سألتني فأجبتك

مجموعة من المؤلفين

تحرير

د. عدنان أديب طرابلسي

الطبعة الرابعة

٢٠١٠

سَأَلْتَنِي فَأَجَبْتُكَ

مَجْمُوعَةٌ مِنَ المؤَلِّفِين

تحْرِيرُ
د. عَدنَانْ أديبْ طرابلسيْ

الإهـــــداء

إلى زوجتي الحبيبة ميرنا (تقلا) فارس نزهة

إلى ولديّ الغاليين: طوني (أنطونيوس) وآنّا (حنّة)

إلى جميع المشتركين في هذا الكتاب

الذين بصبرهم ومحبتهم وتضحيتهم وصلواتهم

أنعم الرب علينا بما بين أيادينا

راجين من لدنه كل نعمة وبركة وسلامٍ

(د. عدنان أديب طرابلسي)

مخطط الكتاب

مقدمة الكتاب ٧

التمهيد ١١

المشتركون في هذا الكتاب ١٣

الفصل الأول: أسئلة حياتية – اجتماعية – أخلاقية ١٧

الفصل الثاني: أسئلة كتابية ٨٥

الفصل الثالث: أسئلة عن الأنبياء والآباء والقديسين ١٣٩

الفصل الرابع: أسئلة عن الليتورجيا والقداس الإلهي ١٦٩

الفصل الخامس: أسئلة حول الأسرار الإلهية ١٨٧

الفصل السادس: أسئلة عقائدية لاهوتية ٢٦١

الفصل السابع: أسئلة روحية ٣٦٣

الفصل الثامن: أسئلة كنسية عامة – تاريخية – فن كنسي ٤١٥

دراسات ملحقة وموسَّعة ٤٥٣

فهرس الأسئلة ٦٢٩

فهرس الدراسات الملحقة ٦٥٣

فهرس أبجدي ٦٥٤

مقدّمة الكتاب

كتاب «سألتني فأجبتك» جديد مبارك: جديد لأنه يطال ما لا يطاله كتاب واحد عندنا. جديد لأنه يجمع ما بين الخطاب الكلاسيكي والخطاب الإجتهادي. يتناول موضوعات تنتمي إلى التعليم المسيحي المتداول وكذا إلى المباحث الجدلية الناشئة بفعل المتغيّرات الحاصلة على كل صعيد. جديد لأنه كثيراً ما يُخرجك من دائرة الأجوبة المعلّبة إلى دائرة المعالجات المبدعة. جديد لأنه ينطلق من تساؤلات الناس. وهو مبارك، في آن، لأنه يغنيك عن مجموعة مجلّدات. يزوّدك، في إقبالك على العلم الإلهي والأرثوذكسيّة بثوابت ومتحرّكات تنطلق من الثوابت وتستند إليها. ثمّة في الكتاب ما هو من آراء البحّاثة. قد يعجبك ما يقولون وقد لا يعجبك. قد توافق الكاتب الفلاني وقد لا توافقه. ليس في الأمر ما يضير. حسبك أن تعرف أنَ هناك مسائل مطروحة على ذوي الوجدان الأرثوذكسي شأنهم فيها أن تتكامل إجاباتهم على تفاوتها وأن اختلافهم فيها غنى لأنهم يأتون ما يُطرح من جوانب شتّى. التراث الحيّ جامعنا وما دام محرّكنا الوجدان الواحد وآباء الكنيسة فنحن في مأمن من الشطط ومغنون ما نتعاطاه بروح الرب لعزاء المؤمنين وبناء جسد المسيح.

الأسئلة المطروحة والدراسات المعروضة دائرتها واسعة تكاد تغطّي كل جانب من جوانب الفكر والحياة الكنسية. فمن الإجتماع والأخلاق إلى المسائل الكتابيّة، إلى الأنبياء والآباء والقدّيسين، إلى الليتورجيا والأسرار الإلهية، إلى العقائد والروحيات، إلى التاريخ والفنون الكنسيّة. في أكثر الإجابات معلومات مفيدة تتزاوج وتوجيهات قيّمة تساعدك في تبيّن معالم الطريق وأنت غائر في عالم غضّ مشوك. لعلّك تحتاج إلى تقييم العديد من المسائل المطروحة من حولك: حقوق المرأة، العلاقات الجنسية قبل الزواج، استعمال موانع الحمل، الأحلام، تحضير الأرواح الخ... في الكتاب ما قد ينفعك. أو لعلّك تسائل عن التقمّص وعادة حرق الأجساد واليوغا أو ربما ترغب في مطالعة كيفية التعاطي وموضوع الإستنساخ والتلقيح خارج الرحم. هنا أيضاً قد تجد ما تنشد. كذلك

متى تصفّحت مُسنَد الأسئلة أو المفردات فقد تعود إليك، بالذاكرة، اهتمامات لديك خبت بالأمس، وما أكثر ما تنشأ الإهتمامات اليوم بسرعة وتخبو بسرعة، إذاً لحرّكت فيك الرغبة في اقتناء معلومة هنا ومعلومة هناك أو وددت أن تقتني جواباً على غوامض اعترضتك.

في كل حال ليس ما حرّك جامع الكتاب والمساهمين فيه هاجس المعلوماتية بل خلاص المؤمنين حيث إن إرادة الله، أولاً وأخيراً، هي قداستكم. فما الأرثوذكسية بمذهب فلسفي بل مخطّط الله لشفاء الإنسان وصولاً إلى تأليهه. من هنا الحرص على سلامة العقيدة وتأكيد الوجدان القويم عندنا لأنه لا خلاص لَمن لم تستقم العقيدة لديه وتتجلّى في روحيّة معيوشة موافقة وسجود بالروح والحقّ.

على أنه جدير بالتنبيه، اتّقاء للمبالغة في توقّع ما يسلمه الكتاب، أن نعيَ أن مصدره ومعاونيه كانوا بإزاء هاجس أكبر مما كان بإمكانهم أن يقدّموه وهذا طبيعي. فالمحاولة أولى من نوعها، في أيامنا. لكن الجهد المبذول كان قيّماً جدّاً. لنقل، إذاً، إن الكتاب فاتحة إصدارات من ذات النوع إلى أن ندنو، ما أمكننا، مما نتشوّف إليه. صحيح أن بعض الأسئلة أكبر من الإجابات عليها، وصحيح أيضاً أن بعض من كَتَب هنا آثر التلميح دون التصريح والاختصار دون التوسّع، لكن الصحيح أيضاً أن في الكتاب الكثير الكثير مما يفيد ويُغني. دونك، أخي القارئ (والقارئة) إذاً، جهداً مباركاً وزاداً متواضعاً مشبعاً على درب طويل.

أما جامع الكتاب وواضع قسم لا بأس به، الدكتور عدنان طرابلسي، فعليه شكرنا لله وثناؤنا. ونحن، عن معرفة ببعض ما تجشّمه من صعوبات وما بذله من مجهودات لتذليل جمّ من العقبات طالعته خلال صناعته لهذا الكتاب، نكبِر توقه الجيّاش إلى التشبّع من الأرثوذكسيّة وبثّه لها. فهو مع كونه طبيباً للأطفال في تكساس الأميركية تكدّه أتعاب المهنة وطبيعة الحياة في بلاد الغربة فإنه لا يدّخر جهداً في إقباله على الدرس والتمحيص والترجمة والتأليف. الإلهيات أخذت بمجامع قلبه. هي لديه الهاجس الأوحد: اللاهوت، التراث، الحياة الروحية، الآباء... وما هو غير ذلك من شؤون الحياة لديه إن

هو سوى مبلّغ إلى وجه ربّه. عدنان شاهد شهيد لمحبّة يسوع، ملأ كل كيانه وفاض. لذا لا يسعنا سوى أن نعبّر عن الشكر لله على عدنان والجهد الذي بذله وهذا السفر النافع عسى أن نلقاه مكمَّلاً في الآتي بنعمة الله وعونه.

الأرشمندريت توما
مدبّر عائلة الثالوث القدّوس
رئيس دير القدّيس سلوان الآثوسي
– دوما –

التمهيد

يطمح كل مَن يؤلّف كتاباً أن لا يطاله نقدٌ أو ذمٌّ. أما مَن يحرّر كتاباً يشترك فيه مؤلّفون مشهورون عديدون، فحسبه أن تكون أخطاؤه ضئيلة وهناته قليلة. وها أنذا أقدّم للقارئ العربي أول كتاب أرثوذكسي أنطاكي من نوعه حاولتُ فيه أن أجمع اليسير مع العسير، البسيط مع المعقّد، من سؤال وجواب، كي يطال هذا الكتاب أكبر عدد من الأحباء فيدخل عقولهم ويُدفئ قلوبهم، على تنوّع خلفياتهم الإيمانية وأسباب قراءتهم لهذا الكتاب. صعوبات كثيرة اعترضتني من بشرية وسواها، لكن الروح القدس له المجد شاء أن يتمّم هذا العمل على يدي عبده الحقير ليكون غذاءً يومياً لأبنائه.

الأسئلة المنتقاة هنا هي أسئلة واقعية من أناسٍ حقيقيين يعيشون في العالم (في مشرقنا العربي) ويجاهدون في حياتهم الروحية ولهم همومهم وأحلامهم. أسئلة كثيرة أخرى لم تُذكر هنا إما لأنها مكرّرة في كتب أخرى أو لأنها لم تستوف غاية الكتاب: أن يكون عملياً، واقعياً، ومفيداً لأكبر عدد من المؤمنين في حياتهم الروحية. المجيبون على الأسئلة هم أيضاً من الناس وبين الناس ويعيشون هموم الناس وجهاداتهم وآلامهم. لهذا كانت أجوبتهم صادقة وأمينة. رغم ذلك تتفاوت الأجوبة تفاوت المؤلّفين وتفاوت الأسئلة وهذه نقطة قوة للكتاب، ليتعرّف القارئ على أكثر من مؤلّف ومن خلفية ثقافية إيمانية في كتاب واحد وفي جسد واحد هو الكنيسة المقدسة. كل جواب يحمل اسم صاحبه. أما الحواشي فهي لكاتب الجواب إلا حيثما تمّ التنويه به. حرصت على ذكر معظم الحواشي التي وصلتني حتى التي تخالف رأي صاحب الجواب أو التي تضيف إلى رأيه أبعاداً أخرى لفائدة القارئ.

جميع المشتركين في هذا الكتاب هم من الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية المقدسة. أردتُ من هذا أن يكون للكرسي الأنطاكي مساهمة متواصلة في خدمة أبنائه روحياً. لذا من الطبيعي أن يعكس هذا الكتاب إيمان الكنيسة الأرثوذكسية وممارستها.

بعض الأجوبة كان قصيراً والبعض الآخر مسهباً جداً. لهذا وجدت مناسباً أن أضع بعض الأجوبة المطوّلة في ملحق في نهاية هذا الكتاب لكي لا أحرم القارئ من دراسة وافية لبعض المواضيع، خاصة التي لا توجد دراسات سابقة كافية عنها في اللغة العربية. اكتفيت بمختصر للجواب في متن الكتاب لكي لا أُخلّ بانسجامه.

هذا الكتاب رفيق المؤمن وخبزه الروحي اليومي. يمكن قراءته على مهلٍ، وبصورة انتقائية بدون أن يؤثّر هذا على الفائدة المرجوة. يمكن أيضاً أن يكون مادة غنية لمدارس الأحد على اختلاف درجاتها. فهذا الكتاب يخاطب تلميذ المدرسة والجامعة والعامل في المجتمع والمختص باللاهوت والخادم في الكنيسة. كل واحد سيجد فيه شيئاً مفيداً يخصّه شخصياً ويمسّ حياته بصورة أو بأخرى.

لا توجد أجوبة جاهزة لكل سؤال أو مادة مطروحة. لسنا هنا بصدد مناقشة «المحلّل» و«المحرّم» في الكنيسة. هذا الفكر غريب عنها تماماً! الروح القدس الساكن في الكنيسة يُرشدها ويعلّمها وبالتالي يحميها. لهذا يحاول هذا الكتاب بأجوبته أن يرسم للقارئ معالم التفكير المسيحي الأصيل وأن يكون مُرشداً روحياً لاهوتياً حياتياً. قد لا يوجد جوابٌ شاف لكل تساؤل أو فضول بشري. ما يهمّ في المسيحية هو خلاص النفس وليس إشباع العقل.

يسلّط هذا الكتاب الضوء على الكثير من نقاط الخلاف بين الكنائس المسيحية الشرقية والغربية بدون مراءاة أو محاباة أو «دبلوماسية» مزيّفة سئمها الناس. معظم الناس يؤثّرون تجنّب الحديث عن هذه الخلافات، لهذا السبب تبقى هذه الخلافات، رغم واقعيتها، ضبابية في ذهن معظم الناس وغامضة ويلفّها الكثير من الأخطاء وعدم الدقّة. محبتنا لجميع المسيحيين وغير المسيحيين هي وصية إلهية، إنما محبتنا للمسيح، الحق السرمدي، تدفعنا إلى قول كلمة الحق. لهذا جاء هذا الكتاب صريحاً صراحة السيد الذي لم يتردّد في القول لتلميذه بطرس عندما ضلّ هذا الأخير: «اذهب عني يا شيطان؛ أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (متى ١٦:٢٣). فهذا الكتاب مؤدّب بمحبة مسيحية. لا يدين أحداً؛ حاشا، لكن لا يمكن أن يخالف تعاليم الكنيسة المقدسة المحفوظة في الكتاب المقدس وتعاليم المجامع المسكونية والآباء القديسين. كنيسة بدون آباء هي كنيسة بدون أبناء.

أشكر المحسن الكريم الذي تبرّع بجزء من نفقات طباعة هذا الكتاب ليكون سعره للقارئ أرخص ومناله أسهل وفائدته أعمّ على محبي الحقيقة.

أخيراً أرجو من القارئ العزيز، ذكراً كان أم أنثى، أن لا يبخل علينا بملاحظاته وأن يمنّ على المشاركين في هذا الكتاب بصلواته ليخدموا كنيسة الله التي اقتناها بدمه الثمين لخلاص نفوسنا ولمجد اسمه الحبيب.

د. عدنان أديب طرابلسي
عيد رفع الصليب المقدس
حمص، ١٤ أيلول ٢٠٠٤

المشتركون في هذا الكتاب

الأب الياس مرقص: اسمه في العالم مارسيل. وُلد في اللاذقية في ١٩٢١/٥/٥. أنهى دراسة الحقوق في مدرسة الحقوق في بيروت في العام ١٩٤٢. اشتغل محامياً لفترة قصيرة ثم صار موظفاً في ديوان المحافظة باللاذقية. ساهم في تأسيس حركة الشبيبة الأرثوذكسية المؤسّسة العام ١٩٤٢. تدرّج مارسيل في المناصب حتى انتهى إلى وزارة الداخلية. استقال بعد حين وأتى دير القديس جاورجيوس في قرية دير الحرف في جبل لبنان. أسّس رهبنة دير الحرف التي ما زال رئيساً لها.

ترجم كتباً مشهورة منها «السلّم إلى الله»، «ثالوثيات بالاماس» و«أصول الحياة الروحية» (التوحّد)، وألّف «العبادة المسيحية» و«من أجل فهم الليتورجيا وعيشها»، «وخواطر في الكتاب المقدس»، وسواها.

الأب مرقص هو قائد التيار الرهباني في الكرسي الأنطاكي وهو أب روحي لكثيرين من الشباب والشابات.

الأب توما (بيطار): اسمه في العالم عصام الياس البيطار، مولود ١٩٤٥ عاليه (اللبنانية)، مجاز في التربية وعلم النفس. مجاز في اللاهوت. كاهن رعية بين العام ١٩٧٧ و١٩٩٠، مذ ذاك راهب رئيس دير القدّيس سلوان الآثوسي في دوما (اللبنانية)، مدبّر عائلة الثالوث القدّوس – دير مار يوحنا المعمدان في دوما. له عدّة مؤلّفات مترجمة وموضوعة، كتباً ومقالات ومواعظ ومحاضرات، أبرزها سنكسار الأرثوذكسية بالعربية ودراسة في القدّيسين المنسيّين في التراث الأنطاكي. اقتبل الإسكيم الرهباني في العام ١٩٩٠ على يد الأرشمندريت صوفروني في أسّكس (لندن).

الأم مريم (زكّا): اسمها في العالم هدى فؤاد زكا مولودة ١٩٣٩ في الشويفات (اللبنانية). ماجستير في الآداب من الجامعة الأميركية في بيروت. اقتبلت النذور الرهبانية على يد الأرشمندريت صوفروني في دير القدّيس يوحنا المعمدان (أسّكس) عام ١٩٩٠. رئيسة دير مار يوحنا المعمدان – دوما (اللبنانية) منذ عام ١٩٩٠. ترجمت الكتب التالية للأرشمندريت صوفروني: «معاينة الله كما هو»، «القدّيس سلوان الآثوسي»، «في

الصلاة»، «كلمات في الحياة والروح». ولها العديد من المقالات والمحاضرات ألقتها في الغرب وفي بلادنا.

الأب منيف حمصي: من مواليد حلب ١٩٥٢. خريج معهد اللاهوت في البلمند العام ١٩٧٨. متزوج وله ولدان. حالياً هو كاهن دير سيدة كفتون التابع لأبرشية جبل لبنان الأرثوذكسية. أستاذ في معهد اللاهوت في البلمند (لغة إنكليزية، رعائيات وموسيقى). له عدة كتب من تأليفه أو ترجمته منها: الحرب اللامنظورة (ترجمة)، أربعمئة قول في المحبة (ترجمة)، اليقظة والصلاة (ترجمة)، أخبار وحكم الآباء النساك (ترجمة)، الرهبنة هي الزواج الحقيقي (ترجمة)، في اللباس والشهوة والجسد (تأليف)، في كهنوت المرأة (تأليف)، معمودية الأطفال (تأليف)، الصوم وتجارب الرب على الجبل (تأليف)، هل يُلغى العهد القديم (تأليف). أسهم بعدد من المقالات في مجلة «النور».

الشماس الأب اسبيرو جبور: من مواليد ١٩٢٣ المزيرعة، اللاذقية. درس الحقوق في جامعة دمشق وتخرج العام ١٩٤٦. وسُجّل محامياً في نقابة اللاذقية ١٩٤٧. وانصرف إلى ممارسة المحاماة والدراسات اللاهوتية والفلسفية والحقوقية والتحليل النفسي والتاريخ. في العام ١٩٦٢ خاض المعارك الطائفية إلى جانب البطريرك ثيوذوسيوس أبي رجيلة حتى فاز المطران الياس معوض بالبطريركية. فانصرف إلى التأليف اللاهوتي. رُسم شماساً في ١٩٧٢/١١/٣. أهم مؤلفاته: «سر التدبير الإلهي»، «يهوه أم يسوع»، «يايسوعاه»، «الله في اللاهوت المسيحي»، «التجليات في دستور الإيمان»، «المزيّفون»، «فادي وذيسبينا»، «الاعتراف والتحليل النفسي»، «المرأة في نظر الكنيسة»، «قرد أم إنسان؟»، «في التوبة»، «طريق النساك»...

أهم نقاط الاهتمام: العقائد المسيحية، النسكيات الصوفيات والمجامع المسكونية.

الأستاذ الياس زيّات: فنان تشكيلي وباحث في تاريخ الفن. من مواليد دمشق العام ١٩٣٥. درس فن التصوير الزيتي وعلوم الفن في أكاديمية الفنون الجميلة في صوفيا (بلغاريا) من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٠. كان معيداً في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق العام ١٩٦٢ ثم شغل منصب أستاذ منذ العام ١٩٨٠ وحتى تقاعده العام ٢٠٠٠. تخصّص في ترميم الأيقونات واللوحات في أكاديمية الفنون الجميلة في بودابست (المجر) ١٩٧٣ – ١٩٧٤. مثّل جامعة دمشق في اتفاقية التعاون مع جامعة ليدن (هولندة)

ومديرية الآثار السورية لدراسة الفن المسيحي في سورية (١٩٩٦ – ٢٠٠٠). عمل خبيراً في هيئة الموسوعة العربية في دمشق في موضوعات الفن والعمارة (١٩٩٦ – ٢٠٠١). كتب وحاضر في تاريخ الفن والأيقونة، كما زيّن بعض الكنائس في سورية بالجداريات والأيقونات.

الدكتور عدنان أديب طرابلسي: وُلد في العام ١٩٦٠ في حمص، سوريا. تخرّج من كلية الطب جامعة دمشق العام ١٩٨٣. اختص في أمراض الأطفال في مشفى الأطفال جامعة دمشق العام ١٩٨٦، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة فتابع اختصاصه وحاز على شهادتي البورد الأميركية في طب الأطفال والأمراض الإنتانية عند الأطفال من جامعة سينسيناتي الأميركية. مقيم في الولايات المتحدة، متزوّج وله ولدان.

بدأ نشاطه اللاهوتي بمقالات في جريدة «حمص» و«الكلمة» ثم أنشأ وهو في مشفى الأطفال كتاب «الرؤية الأرثوذكسية للإنسان: الأنثروبولوجيا الصوفية». وتلا ذلك كتاب «وسقط آدم: لاهوت الأقمصة الجلدية». ثم ترجم كتاب «فن الصلاة» و«شرح الذهبي الفم لإنجيل القديس متّى» (أربعة أجزاء)، «والمزامير الروحية» للقديس أفرام السوري ووضع كتاب «الحوار المسكوني بين الكنائس». له عدة كراسات ومقالات ومحاضرات منها: العنصرة، شخص يسوع المسيح، ميمر في بشارة التجلّي، الإنسان في التدبير الإلهي وفي رقاد السيدة.

الفصل الأول:

أسئلة حياتية - اجتماعية - أخلاقية

"لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم" (يو ١٥: ١٩). "أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لستُ من العالم. لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير.. قدّسهم في حقك، كلامك هو حقٌ" (يو ١٧: ١٤- ١٧).

"ألم يجهّل الله حكمةَ هذا العالم؟... ولكننا نكرز نحن بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة ولليونانيين جهالة. وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس" (١:كور ١: ٢٠، ٢٣- ٢٥).

"بهذه الطريقة يصير الإنسان صورة الله في أنه يشترك مع (الله) في إنجاب الإنسان" **(القديس كلمندس الإسكندري)**

"الفضيلة توجد من أجل الحقيقة؛ لكن الحقيقة لا توجد من أجل الفضيلة" **(القديس مكسيموس المعترف)**

"أتانا ربنا من أجل هذه الغاية: حتى يغيّر طبيعتنا، وليحوِّل هذه النفس ويجدّدها ويعيد خلقها وهي التي أُتلفت بالأهواء بسبب التعدّي، مازجاً إياها بروح ألوهيته. جاء ليخلق ذهناً جديداً ونفساً جديدة، عيوناً جديدة، آذاناً جديدة، ولساناً روحياً جديداً، ليجعل المؤمنين به أناساً جديدين بالكلية" **(مواعظ القديس مكاريوس السوري المنحول)**

ليست المسيحية فلسفة أو ناموساً أخلاقياً أو حتى ديانة جديدة. المسيحية حياة جديدة محورها وأساسها يسوع المسيح، الله المتجسد، الذي يعيش في المسيحيين والمسيحيون فيه. هذه الحياة الجديدة تنبع من اتحاد الإنسان بالله، وتنسكب في جوانب الحياة البشرية المختلفة فتعمّدها وتجدّدها وتحيلها حياة مختلفة عما يعرفه العالم. هدف المسيحية هو خلاص الإنسان وقداسته وتألّهه. لهذا تختلف حياة المسيحي عن حياة العالم ومفاهيمه، ويختلف تقويم

المسيحي عن تقويم أهل العالم، لأن المسيحية تعمّد الإنسان كله، بما في ذلك الفكر والذهن والعقل والقلب والإحساس والمشاعر.

يتناول هذا الفصل بعض أهم الأسئلة التي تمسّ جوانب الحياة البشرية ككل، ولاسيما التي تتحدّى إيمان المسيحي وتفاعله مع العالم. إنها تطرح تحديات يومية، وتأمّلات، وتطلب من القارئ أن يتفاعل مع السؤال ومع الجواب، حتى يستطيع بنعمة الله أن يصل إلى موقفٍ إيماني يتجلّى السيد المسيح فيه، فيحيا لا القارئ بل المسيح يحيا فيه.

ليس لدى الكنيسة أجوبة جاهزة لكل سؤال أو استفهام. لكن الروح القدس له المجد يُلهم أحباءه ويرشدهم ويعلّمهم ويقودهم في موكب نصرة المسيح.

س ١– في القرن الحادي والعشرين كلام كثير حول حقوق المرأة، ودورها ومساواتها بالرجل. كيف نعي ذلك ونحن في كنيسة المسيح؟

ج ١– كان في القرن العشرين وما يزال كلام كثير عن كل شيء لا عن المرأة فقط. كان القرن العشرون سوق عكاظ الثرثرة والبدع والهرطقات والاختراعات التي لا أهمية لها ولا معنى لها كما الاختراعات المفيدة للإنسان. ورق، ورق، ورق وأحرف، كلها أو غالبيتها تستاهل الحرق.

وخَفَتَ صوت الصمت. خرج الصمت إلى السوق يطبّل ويزمّر. دوامة بدأت ولم تتوقف من الإنجازية والسلع للاستهلاك. "عجقة" القرن العشرين أكلت هدأة الحياة الداخلية وأكلت الإنسان أيضاً.. سطّح الإنسان، والرجل كالمرأة أيضاً. كيانهما صار كياناً لا هدأة فيه، ولا انتظار ولا عمق. صارا بدعة وسلعة تُباع وتُشرى وتُعرض في واجهات المحلات التجارية والاستهلاكية. صار الإنسان سلعة بين السلع، المعروضة للبيع، الرجل كما المرأة بآن.

وهذا كان الغبن العظيم الذي لحق بالمرأة: لقد جعلوا منها أداة للتسويق، موضوع بحث يُثار في صالونات الفكر والثقافة والمجتمع عامة، وحتى في الكنيسة. جعلوا منها قضية حرية مدنية وحقوقاً وواجبات؛ شيّئوها (جعلوها شيئاً). أنزلوها من مستوى

الأمومة المقدسة إلى مستوى المأجورية، وساعات العمل وكيفية الدفع لها... حاولوا طرحها كقضية، وتناسوا أو تغافلوا أو حتى لم يعرفوا – لأنهم جهلة – أن المشكلة هي في أن الإنسان بكليته شيّأ نفسه واهتماماته، منطلقاته وحياته كلها. حاولوا إصلاح الأعطال في الطابق الخامس والبنيان برمته كان مشيَّداً على الرمال المتحركة وبلا أساسٍ.

الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله. الرجل كما المرأة. لذلك فحقوق الإنسان مكتوب عنها في الكتاب. وهي حق الإنسان في الحياة الحرّة بالإله، حقه أن يحبّ ويُحَبَّ، وأن تكون له كرامة الوصية الإنجيلية، فكيف نطالب له بحقوق أدنى مما أُعطي له من الخالق؟!...

إذا أطعت يا إنسان وصية المحبة مثلاً، فكيف يغبن الرجل المرأةَ فيضربها مثلاً أو كيف تغبن المرأة الرجلَ، فتمنع عنه الأولاد؟.. كيفَ يقمع الرجلُ المرأةَ أو الإنسانُ أخاه والرب نزل إلى مستوى غسل أرجل التلاميذ، والرسل خدموا الموائد وأطعموا الأرامل والأيتام والفقراء؟..

الرب قال بلسان بولس: "ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حرٌّ، ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (غلا٣: ٢٨). يبقى للإنسان كيانه، هذا بكل تأكيد، ولكن ترفع عن الرجل رجولته المريضة، وعن المرأة حوائيتها. في المسيح ترفع عن الرجل سلوكية السقوط التي لازمته منذ عتاقة موقفه من ربه ومن نفسه، كما ترفع عن المرأة أنوثتها المريضة.

الكل مدعو في المسيح وفي الإنجيل لأن يصبح مشروعاً مسيحانياً يستقي مأكل روحه ومشربها فضلاً عن شخصيته الجديدة، من الإنجيل ومن تعاليم الكنيسة، والآباء، ومن الأبرار الذين خطّوا هم الحياة الحق ليعلّمونا كيف نحيا حياتنا بالحب للإله وللقريب.

المرأة هي أم الكون المخلوق بيد الله وروحه القدوس. فماذا تريدون لها بعد؟.. أن تصبح مشروعاً حقوقياً ندافع

عنه في المجالس والساحات؟... المرأة لا يُحكى عنها هكذا.. هي سرّ الحياة لأنها تحفظ في أحشائها سرّ الولادة.

الله رفع كرامتها وساواها بذاته في الخلق إذ جعلها تحتضن الخليقة، كما احتضن هو الابن، بكر الخليقة ومبدأها.. "ولا أحد يعرف الآب إلا الابن"..."الوحيد الذي هو في حضن الآب" (متى ١١: ٢٧؛ ويو ١: ١٨).

والأمومة الحق ليست أمومة الجسد فقط، بالأولى أمومة الروح أولاً وأخيراً. أمومة الحب والبذل والعطاء والاحتضان والموت عن الآخرين وافتدائهم.

الإنسان، رجلاً كان أم امرأة، مدعو لأن يصير أمّاً للخليقة وللكون كما الإله، يدفق من أحشائه الحياة. أن يعطي الإنسان الحياة، هذا يعني أنه لا يعود يمنع الخير والفرح عن أي مخلوق حوله.

ولعلّكم تقولون: نريد جواباً تفصيلياً عن حياتنا اليومية. نعم، نحن في الكنيسَة وفي حياة الله والحياة معه نطلب أولاً تطبيق الوصية الإنجيلية: "أحبب الرب إلهك من كل قلبك وفكرك ونفسك، وقريبك كنفسك". المهم بعد السعي للحب الأول، أن نقتني الحب الثاني، أعني بذلك محبة القريب كالنفس؛ ولكن بتغيير النفس، من نفس أنانية إلى نفس مبذولة مُراقة لحياة الآخرين؛ والصبر بعد المعرفة تلك، على الذات وعلى الآخرين. وفي هذه ليس من حقوق وواجبات. في الحب الإلهي هناك إطلاقية المعرفة والعيش والبذل والارتقاء اليومي فوق عفونة النفس وطمعها وحبّها للظهور.

في الحب الإلهي ليس من استعلاء ولا امتلاك ولا تسلّط. في الحب الإلهي ليس من مقاضاة، هناك نظرة إلى الآخر بأنه عطية الإله لنا، لذلك يصير حياتنا، لأنه الإله في حياتنا. فكيف نعامل الإله؟!... **(الأم مريم زكا)**

س ٢- كيف ترى دور المرأة في حياة الكنيسة؟

ج ٢- قبل الخطيئة كان التساوي بين الرجل والمرأة تاماً. ولكن بسبب الخطيئة اندسّ الاختلاف الفيزيولوجي- النفسي بينهما. فالمرأة تحبل وتلد وتُرضع وتربّي. هذا شأنها لا شأن الرجل. المرأة عاطفية لأنها أم. المرأة المتديّنة معتدلة جنسياً وقادرة على ضبط نفسها

أكثر من الرجل. تحتل اليوم المناصب في المجتمع بكفاءات لامعة. ولكن الأكثرية الساحقة أمهات يفضلّن الانصراف إلى الطفل والتمتع بعطف الزوج. والمرأة الشريفة لا ترتاد الشوارع والمحلات العامة لأن حشمة المرأة الشريفة وحياؤها يمنعانها من عرض نفسها للناس. ومنذ البداية كانت عفّة النساء المسيحيات تبلغ أحياناً حدّ الاستشهاد. إن غالت في العفّة والتقوى صارت ملاكاً أرضياً. وإن انحرفت صارت شيطاناً.

صورة الأم هي أول صورة يلتقطها ذهن الطفل. فأمّه هي المثل الأعلى. ولذلك نبالغ في إكرام النساء والحرص على سمعتهن. فأي بيت أرثوذكسي لا تحتل فيه الأخت غالباً منصب الأمارة؟ ندلّلها أكثر من أخوتها وهي اللؤلؤ المكنون. وتملأ النساء الكنائس لأنهن أقدر على الحياة الجدّية. بسبب التخلف العثماني ما زالت المرأة عندنا محَاصَرة اجتماعياً وسياسياً. لا بد من الانتظار لكي يأتي التطور طبيعياً بدلاً من قفزات سريعة تبتلي مجتمعنا بنساء لن يفرّقن بين الحرية والدمار.

في كتابي "المرأة في نظر الكنيسة" عرض واف لنصوص الكتاب المقدس وآباء الكنيسة. وفي شرحي لرسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس نبذات هامة. القديس باسيليوس الكبير مثلاً عرف في زمانه تفوّق النساء في الفضيلة على الرجال. يقول: هل تستطيع طبيعة الرجل في وقت من الأوقات أن تدخل في منافسة مع طبيعة المرأة التي تقضي حياتها في معاناة ألوان الحرمان؟ وهل يستطيع الرجل أن يقتفي أثرهن في التجلّد على الأصوام والحرارة في الصلاة، وغزارة الدموع، والهمّة في الأعمال الخيرية؟[1]

كانت المرأة البيزنطية صدر البيت. تهتم بزوجها وتربّي وتعلّم أولادها. الغرب عاد إلى الوثنية اليونانية – الرومانية. ما خجل رؤساء الاتحاد الأوروبي من أن يبنوا شرعة حقوق الإنسان على التراث اليوناني – الروماني دون ذكر فضل المسيحية التي أنقذتهم من الوثنية. وجاءت قوانين الثورة الفرنسية تعيد القانون الروماني القديم الذي يعزّز سلطة الرجل. وأغرقت أوروبا في الدمار فصار الرجال رجال قسوة حربية. والجرمان قوم بدوي محارب ما كسر شوكته سوى انهزامه في الحرب العالمية الثانية.

---

(١) راجع اسبيرو جبور: «سر التدبير الإلهي» ص ٧٨.

التلمود اليهودي قال إن المرأة هي بلا روح. ويتلو اليهودي صلاة يشكر الله فيها لأنه لم يخلقه أنثى. هذا يعني أنها حيوان وظيفتها الحبل والولادة وإمتاع الرجل.

أما لدينا في الكرسي الأنطاكي فقد قال الذهبي الفم مراراً: الصبايا والأرامل هم زينة الكنيسة. وأقول أنا اليوم: الصبايا والنساء يملأن الكنيسة، والصبايا الجيدات هنّ معلّمات الدين. لهن الباع الطولى في النهضة. إنما ينقصهن العمق اللاهوتي الثقافي والشجاعة الأدبية. (اسبيرو جبور)

س ٣- شعر المرأة يلعب دوراً في جاذبيتها. والرسول بولس ذكر تغطية شعر المرأة (١كور ١١: ٣-١٥). هل يجب على المرأة المعاصرة أن تغطي شعرها بحسب نصيحة القديس بولس؟

ج ٣- تغطية الشعر عادة قديمة تعرّض لها القديس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٢-١٦). ما معنى ذلك؟

الغطاء رمز للحماية. فالمرأة يحتضنها رجلها ويحميها ويرعاها، دون أن يعني ذلك أنها قاصرة. والكتاب المقدس يشير إلى هذا بالقول: "... ورأس كل رجل هو المسيح. كذلك فرأس المرأة الرجل".

لقد تكلم الرسول الإلهي عن غطاء الرأس وذلك لأن حجب الشعر ينطوي أيضاً على ضبط الإغراء والغواية. ونحن إلى اليوم، ما نزال نلاحظ ونرى كم للشعر من قيمة ودور في إطلاق مفاتن المرأة وإبراز محاسنها..

الرسول الإلهي بولس تكلم عن غطاء الرأس كمُعطَى حضاري تاريخي قائم، دون أن يعني ذلك أن غطاء الرأس رديف للقداسة. فهو، أي الرسول، التزم في أمرٍ تبنّاه مجتمع ذلك الزمان، وذلك كي يدعو المرأة إلى الاعتدال والتعقّل والرصانة.

إلا أن موقف الرسول لا ينطوي على إقرارٍ بدونية المرأة، فهو نفسه يقول في رسالته إلى أهل غلاطية: "...لا ذكر ولا أنثى... الكلّ واحد في المسيح".

بيد أننا نجد اليوم أن إطلاق الشعر لا يرتبط بقيم أخلاقية، رغم أن بعض التسريحات المعاصرة قد تغمز من المنظور الجنسي. فللشعر منذ أن كان، دور في الغواية والإغراء. لقد

تبدّلت القيم والمفاهيم، ولم يعد إطلاق الشعر يرتبط بقلة الأخلاق. بل لعله من الواجب اليوم أن نطالب المرأة بالحشمة في الثياب، لا في تغطية الشعر فقط. المرأة اليوم، ولا سيما إذا كانت مؤمنة، مدعوة إلى الانتباه كما في كل زمان إلى أن لا تُعثر الرجل بمظهر أو سلوك أو كلمة أو حركة. كذلك فالرجل أيضاً مدعو إلى أن يحوز في قلبه خميرة الصحو والنقاوة.

واستهلاك الإعلام للمراة واسع جداً اليوم، فعلى المرأة أن تنتبه لا لشعرها فقط بل لكل ما فيها، كي تكون للمسيح. **(الأب منيف حمصي)**

س٤- ما هو دور الأم في تربية الأولاد تربية مسيحية؟

ج ٤- الطب العقلي أثبت أولاً أن للجنين في الشهر السادس درجة ما بدائية من الوعي والشخصية. الأبحاث مستمرة. وهناك الآن جمعية دولية باسم علم نفس الجنين.

يتأثّر الجنين بأحوال أمّه من سرور وغمّ. تحلو له الموسيقى الخفيفة ويضجّ من الموسيقى الصاخبة. ينفعل وفق انفعالات أمه. إن استاءت الحبلى من حبلها تأثّر الجنين من ذلك. وإن علم الطفل بأنه كان غير مرغوب فيه أو بجنسه ترك ذلك عليه انفعالات متعددة أدّت به أحياناً إلى الأطباء العقليين. وفي البلاد المتخلّفة يفضّلون الصبي على البنت فيظهر تأثّر الأم والأهل، فيجرحون مشاعر البنت.

يولد الطفل فلا يتخلّص من أمّه. كان هادئاً في بطنها أما الآن فهو دميتها. يبلغ حنان بعض الأمهات درجة الذهول والغرام العمى. ولولا ذلك لما عاش أحدٌ من بني البشر. ولكن لا يجوز أن يطغى هذا الغرام. فالتربية الحضارية تفترض الخلاص من الرواسب البدائية والبدوية.

الطفل عجينة بين يدي أمه. تشكّل بدنه في بطنها، بقي أن تشكّل روحه في يدها.

إذاً: الطفل المولود جديداً عجينة بلا شكل. أمه تغرس فيه العوائد الجسدية كمقدمة للعوائد النفسية والروحية. بعد خروجه من الرحم يصطدم بعالم غير عالم الرحم. اليوم

استعدادت المشافي تخفّف من صدمة سمّاها Rank صدمة الولادة. كان في البطن يتغذّى بصورة آلية. الآن يتغذّى من الثدي. قديماً كانت الأمهات جاهلات يتركن احياناً الطفل يرضع حتى يستفرغ. وكلما بكى أسكتنه بالرضاعة. اليوم طب الأطفال ينظّم الرضاعة وقدرها وأوقاتها. فيتربّى الطفل وفقاً للنظام. فيصير نظامياً. تضبط الأم شهوانية الفم وشراهته. وحين الفطام تتمهّل لئلا تأخذه بالعنف بل بالتدريج. لشراهة الفم والفطام القسري آثار بعيدة جداً. في التحليل النفسي يتم ربط الأمراض العقلية بالطفولة الباكرة. أما الأمراض النفسيّة فمرتبطة لديهم بزمن نشوء العقد.

ارتباط الطفل بأمه في الحشا وفي العام الأول وثيق جداً. الطفل مادة خامٌ. إنه لوحة بيضاء. حباه الله بالقدرة على امتصاص أمّه. يغزل نفسه عليها كأنها مغزل. إذاً: يمتص مسلك أمه وحركاتها وكلامها. في حضنها تنمو نواة شخصيته. تعلّمه النطق. يرشفها بنظره وهو يرضع، ويضع يمناه أثناء ذلك على صدرها كعلامتين لتعلّقه بها. ترضعه وتغسله وفقاً لتعليمات الطب النفسي–الجسدي المعاصر. تجنّبه العوائد الرديئة والكلام البذيء. تعامله بلطف حازم لا بميوعة. تُمتّن شخصيته دون أن يصبح فظاً. تفتح صدره اجتماعياً ليتخلّص من البخل والأنانية والغضب. تعلّمه بمسلكها أولاً ثم بلسانها. لا تأخذه بالعنف إلا استثناءً. تقوّم اعوجاجه بالمداواة اللطيفة لا بالقمع. تحذّره من المخاطر ولكن لا تُرعبه. تحبّه دون استعمار. تحترم حريته قدر المستطاع. تحوّل اتجاهاته بلباقة. تدرّبه باكراً على لمس الأيقونات وتقبيلها. تعمّده باكراً. تحمله باكراً في أول عمره إلى الكنيسة ليتناول جسد الرب ودمه الكريمين. في الإجمال تزرع فيه الخصال الروحية المرتجاة. وإن هي أخطأت، بادرت فوراً إلى إصلاح أخطائها بكل تواضع ومرونة. الأم الممتازة هي اللّينة العريكة، القادرة دوماً على إصلاح متواصلٍ لأخطائها دون اعتدادٍ بالنفس. التربية عملية خلقٍ متواصلٍ ونقل من المشتّت إلى الأصولي المنظَّم.

الطفل ابن أمه أولاً. دور الأب والأخوة تابع ومكمِّل لدور الأم. الأم المسيحية الناضجة لا تُفسد معدة الطفل وحواسه. لا تعامله كحيوان مدلَّلٍ، بل كشخصٍ. لا تُفسده بالتدليل المفرط. تلجم أهواء جسده بحكمة بارعة. تفسح له المجال في تفريغ غضبه في تمزيق الجرائد وسواها. لا تحتكره بل توزّع عطفه على أبيه واخوته. (**اسبيرو جبور**)

س ٥- المجتمعات المعاصرة، خاصة المتطورة صناعياً، فقدت مفهوم الزنى أو كادت في مناقبها، فصارت العلاقات الجنسية قبل الزواج أمراً مقبولاً، مستساغاً أو حتى محبَّذاً. هذا يتعارض مع الأخلاق المسيحية وتعليم الكنيسة والآباء القديسين. كيف تنظر إلى هذه المسألة؟

ج ٥- الجنس قبل الزواج زنى. إنه أمر غير مسؤول. والشاب والفتاة عندما يدخلان هذه الخبرة، لا يدركان النتائج. وفي العادة يغرقان في أمور قد لا يخرجان منها. قبل الزواج ليس هناك شركة حياة بل هناك شيء من اختلاس. وهذه الشركة المبتورة – اذا جاز التعبير – التي يختبرها الشاب والفتاة، تفضي في العادة إلى حالة من التحسّر والجفاف والاضطراب. لا بل من شأنها أن تُفقد الاثنين معاً الزخم والشوق الضروريين دائماً لاستمرار الحياة ونجاحها.

والعلاقة غير المسؤولة بين الشاب والفتاة تقودها الشهوة عادة. والشهوة هي لسان حال الطبيعة البشرية المعطوبة. الجسد عطشان ولا يرويه الا الجسد. الشهوة قوة جامحة عمياء، لا بد من كبحها وضبطها بروح من المسؤولية واحترام الآخر، وذلك كي يأتي الإنسان، في النهاية، إلى سيرة سعيدة ومباركة وقلة من الناس تفهم هذا الكلام في الزمان الرديء.

في الزواج، المضجع طاهر كما يقول الكتاب. الجنس في الزواج شرعي هذا صحيح، لكن الزوجين، وبقوة الحب والاحترام، وعلى أساس الخبرة، كثيراً ما يُقلعان عن هذا الحق الشرعي أعني به ممارسة الجنس، برضى وفرح واتفاق. وهذا ببساطة لأن الجنس ليس كل شيء في الزواج، لا كما يظهر في الإعلام المعاصر.

العلاقات الجنسية خارجِ الزواج لا تنطوي على حب، وذلك لأنها ما تزال جنسية وعلى حب غير مسؤول فمَن الذي يُلزم الشاب والفتاة بكافة النتائج العميقة المترتبة على هذه الشركة المبتورة؟ بالطبع لا أحد. (النتائج التي أتكلم عنها لا تتضمن إمكانية الحبل. هذا أمر لا نفكر فيه في ظل وسائل منع الحمل الكثيرة). ولكن الذي يشغلنا هو النتائج العميقة المترتبة على هذه الشركة المبتورة، وهذا الاختلاس الذي يختبره الاثنان وسط مجتمع لا يقبل بهما هكذا قبل الزواج. ولهذا السبب، فالثنائي عادة، يلجأ إلى أطراف الوديان، والأزقة الضيقة، والغابات، والسيارات، والعتمة، وغير ذلك من الممارسات المبتورة والأجواء الغامضة، وذلك من أجل هذه العلاقة المبتورة.

العلاقات الجنسية قبل الزواج من شأنها أيضاً أن تزرع في النفس الحزن والجفاف والغربة، وذلك لأنها غير محصّنة بالمسؤولية والتعهّد وبالتالي فإنها ذات عواقب وخيمة على صعيد الإنسان الداخلي. وبالتالي، فالمتعة في هذه العلاقة المبتورة مغرية لكنها مبتورة وناقصة، وقلقها ومخاوفها قائمة وفاعلة أيضاً. والسؤال الآن هو التالي: لماذا يكون الدخول إلى العلاقة بين الشاب والفتاة عبر بوابة الجنس؟ ما أهمية الفعل الجنسي في هذه المرحلة من حياة الشاب والفتاة؟ هل التعارف المطلوب والضروري بينهما يستوفي شروطه بفضل اتحاد الأجساد؟ هل يكشف الجنس قبل الزواج شخصية الشاب وشخصية الفتاة؟

الجنس قبل الزواج تبرّره الشهوة لا العقل. وهذه الممارسة هي انحراف كبير وخطير تسرّب إلينا من الغرب. وقد استطيبناه وأحببناه على تفاوت ودرجات وذلك لأن الناس ليسوا سواسية، فهناك التربية والوعي والثقافة والقيم وغيرها مما يجعل الناس مختلفين ومتباينين أمام هذه المسألة. والأكيد مثلاً أن شريحة كبيرة من الشباب تجيز لنفسها الدخول في هذه العلاقة المبتورة، إلا أنها تحرّم ذلك على الشقيقة، وهذا عندي لسبب وحيد هو أن هذه العلاقة غير طبيعية، وبالتالي يخشى الأخ في النهاية ضياع أخته وهلاكها، لأنه يعرف ذلك من احتياله وخداعه لبنات الناس.

والكلام عن الجنس قبل الزواج لا ينتهي عند هذا الحد. فهناك سؤال آخر كبير الأهمية يتبع السؤال المطروح: كيف ننظر إلى الجنس في الزواج؟ هل يُعطى له الضوء الأخضر داخل القفص الذهبي؟ هل هو فعلٌ مشروط أم هو حرٌّ طليق لا يقيّده شيء؟

في الحقيقة يجب أن يجيب على هذا السؤال المعقّد شيوخٌ في الخبرة البشرية، وأناس تعمّقت خبرتهم الزوجية على مرّ السنين والحياة المشتركة في كنف العائلة. أما أنا فيبدو لي أن النظرة إلى الجنس تتغيّر مع طيّ صفحات العمر. فالجنس عند الشاب ليس كالجنس عند الكهل. ونظرة الناس عموماً إلى الجنس ليست واحدة رغم كثافة الضخ الجنسي في الإعلام المعاصر. النظرة إلى الجنس عند المؤمن، ليست هي نفسها كالنظرة عند غير المؤمن، ونظرة المتعلِّم للمسألة عينها، ليست هي نظرة غير المتعلِّم. نظرة الفقير إلى

الجنس، ليست هي كنظرة الغني. الفقير قد ينظر إلى الجنس من باب كثرة النسل، وفي كثرة النسل يجد الفقير الجواب على الخوف من المستقبل. أما نظرة الغني للجنس فقد تكون للتسلية وحرق الوقت.

الجنس كرةٌ من نار، واللعب بها مشروط. وحقيقة الجنس ليست ما نراه على الشاشتين الكبيرة والصغيرة. ما نراه على الشاشتين ليس إلا الوجه العابر فقط، الوجه المتحوِّل. والآن يأتي السؤال الأخير: ما موقف الكنيسة من الجنس قبل الزواج؟

الكنيسة أمّنا العظيمة، لا تمنع ولا تحرّم، بل توجّه وترشد الذين يطلبون رأيها وتوجيهها. كيف تحرّم إنساناً لا سلطان لك عليه؟ وكيف تنفّذ الحرم هذا عملياً؟ هذا أمر سخيف. فالكنيسة توجّه أبناءها ليس المحسوبين عليها على الهوية، فهؤلاء لا يسمعون. إنما توجّه محبيها وتطالبهم بالرصانة والتعقل والعفاف ليس فقط قبل الزواج، بل بعده أيضاً. الجنس في عقل الكنيسة ليس أمراً بغيضاً أو عيباً أو حراماً أو دنساً، لكن كل شيء في الكون يجب أن يستخدم ضمن النواميسَ التي جعلها الله. الكنيسة توجّه أحباءها، ومن أطاعها، وذلك ليقينية أنها أمّه، لا بل تتوق الكنيسة أن تقود أبناءها دائماً إلى الحياة. فهنيئاً لَمن يضع الحصان أمام العربة، لا العربة أمام الحصان. وهنيئاً لَمن يسمع للكنيسة بفرح لأنها تقوده إلى برّ الأمان. **(الأب منيف حمصي)**

س ٦- ما هو دور العفّة في العلاقة بين الزوج والزوجة؟

ج ٦- العفة في الزواج تعني الاستعمال العادي للعلاقات الجنسية دون شراهة أو شذوذ جنسي أو إكراه. بولس الرسول ثورة على الشذوذ الجنسي أولاً والزنى ثانياً. كلاهما في العهد القديم نفسه جرَّ غضب الله على أبناء المعصية. وسنَّ بولس الرسول في الفصل السابع من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس أن يتفرَّغ الزوجان بالاتفاق حيناً للصلاة والصوم فينقطعا عن العلاقات. هذا يعني أن الزوجين يتنسكان أحياناً ليصفو ذهنهما للصلاة والصوم. هذا المبدأ رفيع الشأن. كل العبادات الجسدية قابلة للاستفحال، فالشراهة هوس. وقد يكون موضوعه الطعام والشراب، والمخدرات، والمقتنيات، والسلطة، والكتب، والمجموعات، والمطالعة، وو.... لدى الإنسان استعدادٌ للانهواس بشيء ما منذ طفولته (الرضاعة، التحطيم....). الإنسان الروحي يحارب كل ألوان

الهوس ليحصر قلبه في يسوع. الذين سقطوا في هوس الجنس والخمر والقمار انتحروا روحياً. بولس العظيم الحكيم علّم الأزواج الاعتدال والقناعة وضبط النفس، فكان النسك أياماً على اتفاق الطرفين. وهكذا يتجنبان إساءة استعمال الجنس. العفّة فضيلة عامة يعفّ بموجبها المرء عن المكاره جميعاً.

يوحنا فم الذهب يلحّ على اتفاق الزوجين على التعفّف. فجسد الرجل لزوجته وجسدها له. لا يملك أحدٌ منهما جسده، بل هو ملك قرينه، فلا يسلّمه أبداً لغير قرينه (الموعظة ١٩: ١ و٢ على كورنثوس الأولى). الذهبي الفم مفسِّرٌ كبير وواقعي وعملي رائع.

وليس الخلاص من الهوس بالأمر السهل كما سيجيء في جواب آخر. فالمدخنون مثلاً يبذلون جهوداً كبيرة ليقمعوا أنفسهم، ويخالف بعض مرضى القلب وسواه نصيحة الأطباء لأن هوسهم أقوى منهم. أحدهم أعيا أهله رافضاً نصائح أطباء كبار. ولكن في أميركا هدّده الأطباء بالموت السريع فانصاع للتهديد.

لذلك لا يمارس الكاهن المتزوج الجنس في نوبته، فيصفو ذهنه ليقيم خدمة القداس الإلهي. (مجموعة الشرع الكنسي، ص ١٠٩ و٨٧٤ و٩١٠ والقانون ١٣ من مجمع ترولو). (اسبيرو جبور)

س ٧ – هل يمكن أن يوجد زنى في العلاقة بين الزوج وزوجته، وما هو الزنى؟

ج ٧ – أعطى الإله وصيّة أولى للإنسان أن أحبب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ومن كل نفسك...

وصيّة المحبّة هذه ماذا تعني؟!... أتعني أن طاعة الإنسان للإله تفرض عليه عدم الزواج؟ أو عدم الحبّ؟!...

مبدأ الحبّ هو مبدأ الله...

إذ يحبّ الإنسان من محبّة الله، في اتباع كلمته وحفظ وصاياه، يصعد من سقطته، يقوم من مواتيّته إلى حياة أبديّة، إلى محبّة لا عيب فيها...

العيب في الحبّ أن يطلب الإنسان ما لنفسه من الآخر وفي الآخر... هذا عيب سقوط الإنسان من محبّة الإله...

الرب الإله، في فردوس نعيم محبّته، أعطى الإنسان الحياة، نفخ فيه روحه القدّوس وأسكنه معه في مُلكه... وإذ عصى الإنسان و لم يُطِع ربّه في الحبّ، سقط إلى العالم وعبد نفسه في سقوطه...

الإنسان من تكوينه، منذ ولادته، متّجه صوب العبادة... عبادة ما هو أكبر منه، مطلقه... وإذ لا يكون الإله هو هو الكل في الكل، مطلق وغاية ومنتهى الوجود، يبدأ الإنسان بطلب عبادة أخرى... يتّجه إلى ما يعرف ويحيا... يتّجه إلى ذاته إلى العالم الذي يحيا فيه حوله... وإذ يتّجه إلى ذاته، يدخل في مغاور سقوطه فيرى فيها حركة نفسه الأولى وهي الانجذاب إلى الآخر... والآخر هنا هبط كملاك النور إذ استكبر فصار شيطاناً – هذا الآخر صار أي شيء يلتقيه الإنسان في دربه ليستحوذ عليه... والآخر بإمكانه، في هذه الحالة أن يكون المرأة أو الرجل أو المال أو السلطة أو الوظيفة أو العلم الخ... ونسمّي هذا الذي نحن غارقون فيه حبّاً وهو، بالحقيقة، شهوة التملّك والسيطرة... شهوة تملّك اللذّة والآخر وأي شيء نحصل عليه... شهوة حبّ الظهور وألقام وحش الأنا الذي فينا...

ويصير العالم بكل ما فيه مبتغانا... نحياه، نأكله، نشربه، ٠نعصره، نصير جزءاً منه ويصير حولنا، إلهنا... نعبد كل ما فيه، نماهي أنفسنا به... يصير هو فينا ونحن فيه... فيصرخ روح العالم فينا... خذوني، كلوني فإني أنا إلهكم... ويقدّم لنا اللذّة تلو اللذّة... يُهيِّج فينا الحسّ... الحسّ المادي. وشيئاً فشيئاً تموت الروح وتنطفئ جذوة الحنان الإلهي... يغيب وجه الإله... يموت الله في كياننا، فيصبح الإنسان قناديل مطفأة، تحمل الظلمة في أحشائها وإن قدّمت شيئاً فلا تقدّم إلاّ الظلمة لكل مَن وما حولها...

وإذ يموت الإله وتموت الوصيّة الإنجيليّة التي هي حياة الإله على الأرض وكلمته، ماذا يكون؟!... يستكبر الإنسان في ذاته... يصير هو القائم بأعماله، يصير هو مدبّر حياته، يتّكل على أفكاره وآرائه وأحاسيسه واستنباطات فكره... يخلق ناموسه، ألواحه ليكتب عليها وصاياه وشعائره، يجسّد ذاته إلهاً ويكتب إنجيله... الأسود...

يموت الإله فيه ويموت هو عن الإله... وفي السقوط الفظيع الكبير هذا، يزني الإنسان، إذ يتحوّل عن حبّ الإله إلى حبّ ذاته...

هذا هو الزنى الأوّل والأخير في حياة الإنسان بعد سقوطه من فردوس إلهه: حبّه لذاته...

والسؤال الآن: إذا زنى الإنسان وبطل حبّه للإله؛ فكيف لا يزني في زواجه، إذا اتّحد الرجل (الزوج) بامرأة أو اتّحدت المرأة (الزوجة) برجل ولم يكونا في رفقة تَنْهَد إلى وجه المخلّص؟!...

ونحن الآن إزاء زواج يكثر فيه الزنى في كل أقطار الأرض، والأسوأ أنه طال مجتمعاتنا وعائلاتنا وأولادنا...

الكنيسة عرفت سقوط الإنسان والآباء بعد الرسل خبروا في أبدانهم وفي كيانهم كلّه ذلك السقوط الفظيع المرّ، فوضعوا إرشادات تهدّئ من فورة جسد ونفس الإنسان، تضبط وتلجم نوازعه الجسدانفسية، وتدلّه برفق إلى إلهه من خلال الأصوام والصلوات وأعمال المحبّة والعطاء ومحاربة أهواء الكبرياء والأنانية، وضبط شهوة العين والأذن والحواس، إلى رؤية الآخر من منظار إلهي يتجدّد كل يوم ويتفتّح على أصالة الحبّ والحنان الإلهيّين فيه...

الزنى ابن الشكّ بالإله والابتعاد عنه...

فإذا عدنا إلى الإله بالإيمان وبالصوم والصلاة ومحبّة الآخر باحترام فإننا نعطيه من عطاء الإله لنا... كرامة ومحبّة وتوقاً إلى العودة إلى الفردوس الذي نزلنا منه بسقوط آدم، إذ كل إنسان يحمل في كيانه السقوط...

الآخر يحمل وجه مسيحي... فكيف أنكره أو أستكبر أو أزني عليه؟!... **(الأم مريم زكا)**

س ٨- التنجيم ظاهرة اجتماعية تنمو باضطرادٍ وتلقى رواجاً بين كافة الأوساط الاجتماعية بمختلف درجاتها وثقافاتها. هل يتعارضُ التنجيم مع الإيمان المسيحي أم أنه مجرد ظاهرة اجتماعية لا علاقة لها بالمسيحية ولا تتناقض معها؟

ج ٨ - المقصود هنا بالتنجيم Astrology هو التنبؤ بحوادث معينة في حياة الإنسان بناء على

حسابات خاصة مرتبطة بتاريخ ميلاد الإنسان وبارتباط هذا التاريخ بالأبراج الفلكية وسواها.

في الأرثوذكسية الإنسان ذو قيمة عظيمة في قلب الله، وقد خلق على صورته ومثاله. حياة الإنسان مرتبطة بعلاقته مع الله، وهذه العلاقة هي التي تحدّد درجة امتلاء الإنسان من روح الله بحسب درجة مطاوعة الإرادة البشرية للإرادة الإلهية. بمقدار ما يكون الإنسان إلهياً في حياته بمقدار ما يكون بشرياً، لأن غاية الخلق هي الاتحاد بالله والتألّه به بمقدار ما هو ممكن للإنسان.

التنجيم يفترض أمرين. الأول: إن موقع النجوم عند ولادة إنسان يسيطر على مصير هذا الإنسان، على شخصيته، وعلى ما سيحدث له الخ.. الثاني: إن الإنسان خاضعٌ لهذا المصير ولا يمكن له أن ينجو منه. وهذا يعني أن التنجيم يفترض أن الإنسان ليس سيّد نفسه وسيّد مصيره، بل هو خاضع ومسيَّرٌ بصورة عمياء لقَدَره بناء على تاريخ ميلاده. من هنا يسهلُ الاستنتاج أن التنجيم ينكر عناية الله بالإنسان ويستبدل العناية الإلهية بقَدَرٍ أعمى، الامر الذي يحوّل الإنسان إلى مجرد دمية في يد القدر الأعمى، متنكراً لدور الروح والإرادة البشرية الحرة ولدور العناية الإلهية في صنع المصير البشري. وبالتالي يجعل الإنسان رافضاً عملياً ذبيحة الصليب الخلاصية التي تعمل على خلاص الإنسان وتقديسه وتأليهه. لهذا فالإيمان بالتنجيم يشكّك الإيمان بالعناية الإلهية، ولأنه لا توجد صلة بين النجوم وحياة الإنسان الروحية لأنه لا توجد علاقة علمية بينهما كسبب ومسبَّب وعلّة ومعلول. النجوم مادة والإنسان شخص روحي: عالمان على طرفي نقيض.

يقول القديس يوحنا الدمشقي: "إذا كنا نعمل أعمالنا كلها بدافعٍ من النجوم، نكون نعمل عن اضطرارٍ. وما كان عن اضطرارٍ فليس هو بفضيلة أو برذيلة. وإذا لم تقتن فضيلة ولا رذيلةٍ، فلسنا نستحق ثواباً أو عقاباً" (الإيمان الأرثوذكسي، ٢: ٧).

الكنيسة منذ بدايتها ربطت التنجيم بالوثنية واعتبرته شكلاً من أشكالها. ففي "وثيقة الاثني عشر"، من القرن الثاني الميلادي، يقول الكاتب: "يا بني، لا تكن منجِّماً فتنقاد إلى

عبادة الوثن. احترس من الرقى ومن حسابات المنجِّمين ومن الشعوذات التطهيرية. ارفض رؤيتهم وسماعهم، لأنه من هذه الأمور تولد عبادة الوثن"[٢]. أيضاً القانون ٣٥ من مجمع اللاذقية (٣٦٠) دان التنجيم. وبين آباء الكنيسة الذين دانوا التنجيم نذكر القديسين يوحنا الذهبي الفم، غريغوريوس اللاهوتي، وباسيليوس الكبير. (**د. عدنان طرابلسي**)

س ٩– يُقال إن العجائب هي لغير المؤمنين. ألا تفيد المؤمنين أيضاً؟ وبخاصة أن غير المؤمنين قد لا يؤمنون بعد العجائب كما حدث أيام السيد المسيح؟

ج ٩– لعلّ البعض يتساءلون: أيُعقل أن تكون العجائب المدوَّنة في سير الكثيرين من القديسين مجرد أسطورة، وضرباً من الخيال؟ ولعلّ الكلام عن العجائب عند الكثيرين من القديسين مرتبط – كما يقول البعض – بمحبة الناس لهم، ورغبتهم في تكريمهم عما فعلوه في حياتهم حبّاً بالمسيح.

في الحقيقة يمكننا القول إن المؤمنين، على هذا الصعيد، ينقسمون إلى قسمين:

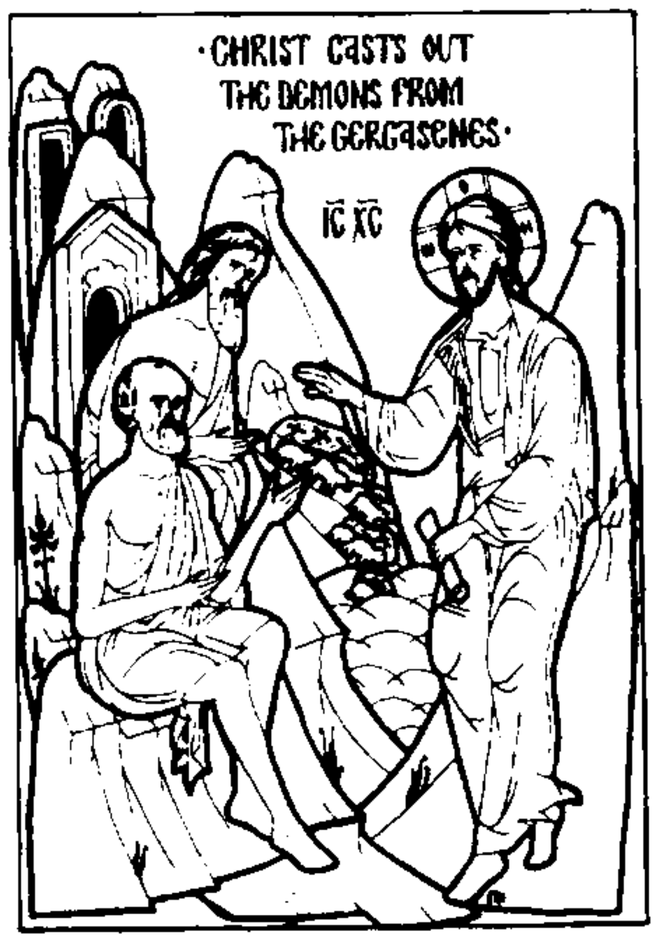

فئة البسطاء: هؤلاء ليس عندهم أية أسئلة حول إمكانية أو عدم إمكانية وجود العجائب، فهم يؤمنون بالعجائب بدون شك أو ارتياب، ويقبلونها بكل تفاصيلها على أنها أمرٌ حقيقي وبديهي. وهؤلاء في العادة يؤلّفون الشريحة الكبرى من المسيحيين. والعجائب عند هذه الفئة من الناس ترتبط بأخبار وأقاويل، أغلبها يتشابه في طروحاته، ولعله يختلف في الأسماء والأزمنة فقط.

أما الفئة الثانية من المسيحيين فهم الذين يؤمنون بالمسيح، إلا أنهم يؤثرون أن يبنوا مواقفهم من العجائب على إيمان الكنيسة وشهادة الآباء القديسين، المدعَّمة بالشواهد الكتابية، والبراهين الإنجيلية. وفي قناعتي ان الفئة الثانية هي صاحبة الموقف الذي يُعوَّل عليه من العجائب.

(٢) الوصية الثانية في التعليم، ٢: ٤. «الآباء الرسوليون»، ترجمة البطريرك الياس معوض، منشورات النور، ١٩٧٠، ص٦٣.

وهذه الفئة الثانية يرتبط موقفها من العجائب بموقف الكتاب المقدس، والمسيح يسوع رأس الكنيسة. وكل ما جاء في الكتاب – على صعيد العجائب – لا بد أنه متوفر في الأدب الكنسي وكتابات الآباء القديسين. فالكتاب المقدس فيه كل الدليل على محبة الله للإنسان، الكتاب المقدس يعبّر خير تعبير عن خبرة المؤمنين التي اقتنوها من مشاركتهم في جسد المسيح، الكنيسة.

ومما لاشك فيه أن العجائب تأتي على العموم معاكسة لحركة العقل والمنطق. فهي في أبسط الأحوال خروج على الممكن، ودعوة للارتقاء فوق معطيات العقل والمنطق. وهكذا، يمكننا أن نسأل: ما هو جوهر العجيبة، وكيف يمكننا أن نُدرج العجائب في سرّ التدبير الإلهي بحيث نتمكن من معرفتها وإدراكها وفهم غايتها ومعناها؟

نحن نؤمن أن الله خلق الكون وجعل له نواميس تسيّره بدقة لا متناهية. والعجيبة بهذا المعنى، ليست كسراً للنواميس الطبيعية، إنما تعبّر عن قدرة الله الفائقة في أن نواميس الكون تطيعه. وهو لم يصنع العجائب كي يبيّن قدرته، إنما عجائبه هي في العمق تعبير عن حبه للإنسان.

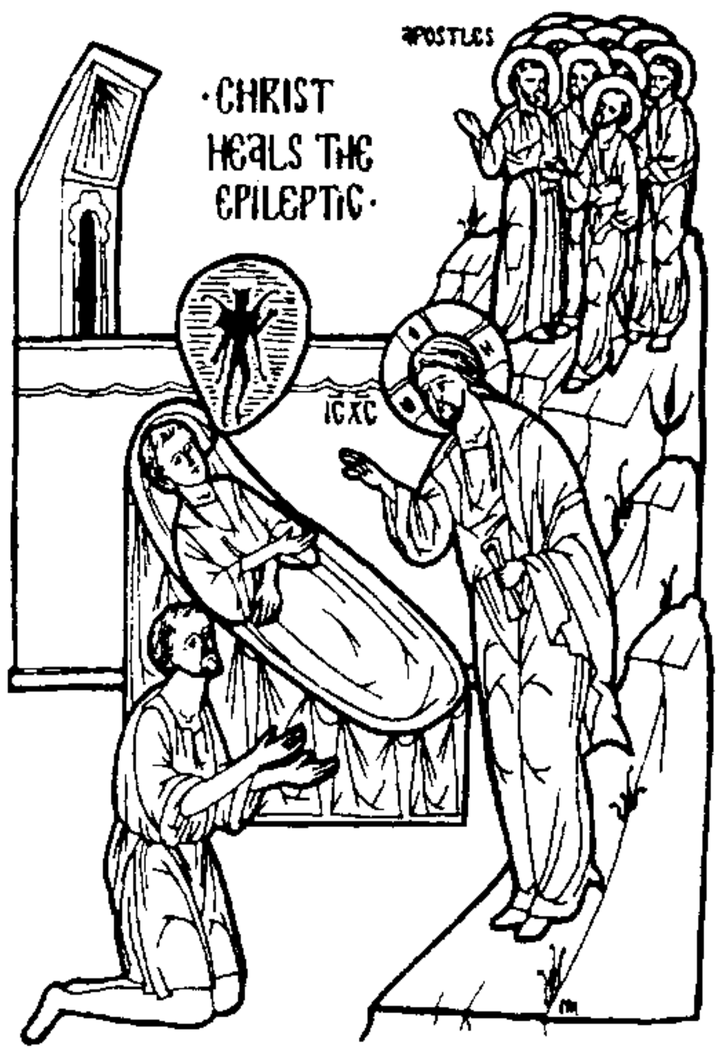

وقد يكون ما نسميه عجيبة اليوم مجرد ظاهرة علمية لم يكتشف العلم معالمها وعناصرها. من هنا فالعجيبة الحقيقية لا تتوخى التحريض على الدهشة، وجحوظ العينين أمام الخوارق. إنما غايتها – إن هي ثبتت – أن تعلن محبة الله للإنسان. ولكن هذا لا يكفي لأن حصر التعبير عن المحبة الإلهية نحو الإنسان، بالعجائب، يعني باختصار أن الله قلما يعبّر عن حبّه، وذلك لأن العجائب لا تجري بشيء من الدفق، بل يدور الكلام عن حدوثها بين زمان وزمان. من هنا فالعجيبة شكل من أشكال التعبير عن الحب الإلهي، والحب الإلهي نحونا لا ينحصر بإجراء العجائب. بهذا الصدد يقول أحد الآباء النساك: "لا يدهشني مَن يُقيم الموتى، بل مَن يتوب عن خطاياه".

وفي العهد الجديد، لا نجد الرب متلهّفاً إلى صنع العجائب. ففي التجربة على الجبل

يجربّ إبليس الرب كي يصنع من الحجارة خبزاً، لكن الرب يرفض الطلب. ويطالبه أن يرمي نفسه من جناح الهيكل كي يؤمن الناس به، فيرفض. وعندما أقام الصبية من الموت لم يُجر الأعجوبة أمام الملأ، بل في الخفاء وبحضور أهلها وبعض تلاميذه. وهكذا لا تبدو العجائب حدثاً جماهيرياً كما يبيّن لنا الكتاب المقدس.

يُضاف إلى ذلك، أن يسوع في بعض عجائبه التي أجراها سأل عن إيمان المريض، وكأنه بذلك يريد أن يقول لنا: الإيمان هو أعمق من شفاء المرض الجسدي. كذلك من الأكيد – كما يبدو في العهد الجديد – أن العجائب لا تقود إلى الإيمان. فلو أن العجائب كان لا بد لها أن تقود إلى الإيمان، كان يجب أن يؤمن اليهود بالمسيح من خلال العجائب التي أجراها. وهو نفسه يؤكد هذا القول في إنجيل لعازر والغني: "لأنه حتى ولو قام واحد من الأموات لن يؤمنوا". وهكذا فإن عجائب الرب تستدعي الإيمان، وتعبّر عن محبة الله، لكنها لا تنمو في وسط جماهيري مذهول ومندهش، بل هي حدث يتفاعل في العمق مع القلب وينمّيه.

العجائب لا تنفع الجميع، ولا يُفترض بها أن تجذب الجميع. فكم من عجيبة صنعها السيد في حضرة يهوذا الإسخريوطي، ومع ذلك، انظروا أين انتهى هذا المسكين؟ وبالتالي لا علاقة للعجائب بالقداسة. فاجراؤها لا يحوّل الضالّين إلى قديسين. وهي ليست مقرونة بسيرة الكثيرين من القديسين (الوجهة الأرثوذكسية). وكم من عجيبة، يقبلها فلانٌ ويرفضها آخر. بطريرك القسطنطينية القديس فيلوثيوس كوكينوس عندما همَّ بإعلان قداسة القديس غريغوريوس بالاماس، طلب لائحةً بالعجائب المصنوعة باسمه. وبالطبع لم يُقدم على هذا الطلب كي يقتنع هو نفسه ببالاماس، فقد سبق له أن اطّلع على سيرته حتى نهايتها، إلا أنه فعل ذلك، من أجل المشكِّكين به.

وفي الكنيسة الغربية، تقترن العجائب بالشفاء من الأمراض، لا بل هي شرط إعلان القداسة، الأمر الذي لا يُؤخذ به في الكنيسة الأرثوذكسية. فقد سبق أن قلنا إن كثيرين من القديسين عندنا لا تقترن سيرتهم، حتى بعد رقادهم، بالعجائب.

إلى ذلك، فالكنيسة الكاثوليكية لا تعترف بقديسي الكنيسة الأرثوذكسية بعد الانشقاق. لا بل تعتبر القديس يوحنا الدمشقي آخر قديسي الكنيسة الأرثوذكسية.

العجائب ليست ضرورية للمؤمن. ولا أعرف إن كان غير المؤمن يتّعظ بها. وإحاطة العجائب بروحٍ من الجماهيرية ليس أمراً يُعوَّل عليه ولا ينفع. **(الأب منيف حمصي)**

س ١٠– كثيراً ما نسمع عن مظاهر عجائبية مثل نضح الزيت، البخور، البودرة، الاختطافات، الرؤى، الخ.. كيف نحلّل هذه المظاهر وكيف نتخذ منها موقفاً سليماً؟

ج ١٠– الكنيسة عرفت في تاريخها مظاهر عجائبية متعددة لأنها في طبيعتها عجائبية بما أنها جسد المسيح الحامل الروح القدس. لكن الشيطان أيضاً يصنع عجائب ويتخذ هيئة ملاك نور (٢كور ١١: ١٣–١٥). فالتمييز يصبح من اختصاص الآباء الروحيين الكبار الذين حباهم الله روح موهبة تمييز الأرواح على ما جاء في رسالة يوحنا الأولى. ولذلك لا يجوز الالتفاف حول هذه المظاهر قبل مجيء أب روحي كبير يحكم بأنها إلهية المصدر. ففي روسيا أيقونات عجائبية عديدة. واختُطِف بولس الرسول إلى السماء الثالثة. وتجلّى قديسون عديدون. المعضلة الأساسية هي التمييز بين ما هو إلهي وما هو شيطاني. في كتابنا "المواهب الإلهية" جاء أن الذهبي الفم يقول إن العجائب تجري لغير المؤمنين، أما المؤمنون فأعجوبتهم إيمانهم. **(اسبيرو جبور)**

س ١١– ما هو موقف المسيحي من الأحلام؟ هل يمكن أن تكون رؤى أو رسائل إلهية؟ وكيف نفسّرها وكم يجب أن نعيرها من الاهتمام؟

ج ١١– في قصة يوسف الصديق وفرعون نرى الاهتمام بالأحلام وتأويلها. كتب اليونان في ذلك. وابن سيرين قلّدهم وكتب في العربية سفراً ضخماً اهتم فيه برمزيّة الأحلام، أي أن آلية الحلم تستعمل الرموز. تأويلاته متواضعة لكنها بنت زمانها.

سيغموند فرويد فتح الأحلام للتأويل العلمي. سرد تاريخاً مطوّلاً لسابقيه، إنما طريقته هي الطريقة المثلى. فقال في الحلم إنه تحقيق رغبة، والباب الملوكي للوصول إلى اللاشعور وحارس النوم. وأثناء التطبيب النفسي تقود العملية نفسها المريض إلى قص أحلامه.

إذاً التحليل النفسي هو الطريقة المثلى لتحليل الأحلام وتأويلها. ولكن ليس من المصلحة أن نحلّل أحلام الأصحّاء بالتقنية التحليلية لأنهم ليسوا بحاجة إلى نبش مخبوءات

لاشعورهم. يستطيع المحلِّلون أن يفهموا الأحلام عندما يقصّها الحالم عليهم. ولكن هذا تأويل سطحي نسبياً.

متى هوت يقظة الإنسان ونباهته وانتباهه، ضعفت رقابته على فكره من أجل أحكام منطقية. ومتى نعس ازداد السهو وتواردت الصور بدلاً من الفكر المنطقي. متى نام غاب المنطق والتفكير بالكلمات للتعبير بالصور. إنها عودة إلى الطفولة. ولكن النوم لا يعني غياباً تاما للقوى النفسية. فالضمير يراقب. ولكن الغيبة المنطقية تفسح المجال للرغبات والشهوات والأهواء وما يسميه الناس الغرائز برفع رؤوسها. تصطدم بالضمير الذي يراقبها ولو نسبياً. تلجأ إلى الظهور بالصور. وهكذا يصبح الحلم حارس النوم.

إذاً الأحلام ترتبط بالجزء الأدنى من النفس. في كتاب ابن سيرين قصص وروايات عن أحلام غريبة وأحياناً شنيعة. وينوّه أفلاطون وأوغسطينوس بشيء من ذلك. يقول أوغسطينوس في اعترافاته أنه ما لا يودّه في يقظته يراه في حلمه.

الرهبان والنساك يدخلون في حرب مع الأحلام. يحاربون الأهواء الفاسدة ليدخلوا مكانها الفضائل. يقومون بعملية تحويل طاقات تلك الأهواء إلى ممارسة الفضائل. يحاربون الغضب ليحوّلوه إلى طاقة منتجة في العمل والصبر ومحاربة الرذائل. يحاربون به الشهوات الجنسية ليقتنوا العفة والطهارة. يحاربون ما يُسمَّى غريزة العدوان ليحوّلوا طاقاته إلى محبة وسلام ووداعة، وهكذا دواليك. في هذه الحرب، تستيقظ الأهواء في الحلم فتتصارع مع الضمير.

ولكن ضبط النفس المحكم واليقظة والسهر والتلاوات والصلوات تبتلع طاقات الإنسان. في المزمور ٦٢: ٦ جاء: "إذا ذكرتك على فراشي، هذذتُ بك في الأسحار". الناسك أشعيا نصح بإطالة الصلاة ساعتين قبل النوم. متى تعوّد المرء صلاة يسوع وأتقنها قبل النوم تلاها وهو نائم واستيقظ وهو يتلوها، والمولعون بالترتيل هم كذلك. ونعرف من الخبرة إن مَن يطالع صباحاً ما درسه ليلاً يتجلّى له ويحفظه.

الإنسان هو المعجزة الكبرى في العالم. فلا أطباء الجسد ولا أطباء النفس والعقل والروح توصلوا بعد إلى فهمه. ويتخبطون في التشخيص.

قال فرويد في المدخل إلى التحليل النفسي: بنت البيت المهذّبة الراقية معقّدة بينما خادمتها طبيعية: رائع، فالأخلاق تضبط وتلجم الأهواء وو... يقوم صراعٌ بينها وبين الضمير الحي.

المسيحي يصارع. النساك مصارعون كبار. هم شهداء يومياً كما قال الآباء. وفي كتابي "الاعتراف والتحليل النفسي" هم شهداء الحرب الداخلية غير المنظورة. فكيف تكون أحلامهم؟ لا تخلو أبداً من آثار هذا الصراع.

بستان الرهبان خصّ الرؤى بفصل جيد في الصفحة ٤١٥–٤١٨. أما يوحنا السلمي فذكر الأحلام في ٣: ٢٥ –٢٩٣ و١٥: ١ و٥٢–٥٦ و٦٥. في الفقرة ٥٥ يذكر الحالة القصوى أي حالة عدم الهوى. مَن يبلغ هذه الحالة وإن احتلم لا يرى صوراً في الحلم[٣] بل يكون الأمر فعلاً طبيعياً عادياً. إنه دلالة جيدة على ارتفاع السوية روحياً. ويركّز السلّمي على صلاة يسوع والعفة لننهض مستفيدين من تعزية الملائكة. في النهاية الطبيعة والشياطين يدنّسوننا في الأحلام.

هنا لا بد من التذكير بالأحلام الواردة في الكتاب المقدس. هذه وردت في كتاب موحى به من الله (٢ تيمو ٣: ٧). المرشدون الروحيون الكبار كما جاء في بستان الرهبان هم أهل التمييز بين الأحلام. لا أنكر ١٠٠٪ وجود أحلام إلهية....

في الفقرة ٣٣ من المقال ١٤ من كتاب السلم إلى الله نرى فوائد الصوم حتى في محاربة الأحلام الليلية.

وأكرر في النهاية: بدون التحليل النفسي، على المرء أن لا يتوهم من مسائل أحلامه. إنها دليل على أحوال اللاشعور. متى تحولت الأهواء إلى عدم الهوى انتصرنا على الأهواء؛ أي سلبنا الأهواء طاقاتها لنستثمرها في الفضائل وهذا لا يعني أن الطبيعة استسلمت نهائياً. الحياة الروحية قائمة على برميل بارود. إن سقط الروحاني في الفتور الروحي استعادت الأهواء قوتها وحلحلت البناء الروحي: إذاً لا مكان للرخاوة والميوعة في الجهاد الروحي، بل استمرارية حربية بطولية حتى يقبض الله الروح. **(اسبيرو جبور)**

---

(٣) الفعل جسدي صرف بلا صور ولا انفعال جنسي. الأفخولوجي الكبير لا يمنع المحتلم من المناولة إلا إذا كان قد أثار نفسه قبل النوم.

س ١٢ – الإنسان فضولي أبداً عن مصير روحه بعد الموت: أين تذهب، ماذا تشعر، ماذا يحدث لها، الخ؟ كم من المعلومات الموثوقة نستطيع استخلاصها من الكتاب المقدس والتقليد؟

ج ١٢– في إنجيل لوقا أخذت الملائكة روح لعازر إلى حضن إبراهيم. ولكن قبل نزول المسيح إلى الجحيم بعد موته على الصليب كان أبرار العهد القديم جميعاً – بما فيهم يوحنا المعمدان – في الجحيم. بولس اشتهى أن ينتقل إلى المسيح وأن يتغيّر بدون رقاد. يوحنا فم الذهب يقول إن إبراهيم كان مع ذلك في تعزية. يسوع أدخلهم مع اللص إلى الفردوس. فردوسنا روحي سماوي نكون فيه مثل الملائكة.. القديس يوحنا السلّمي يمنعنا من دينونة الناس قبل الموت. أما بعد الموت فليس من مكان سوى النعيم أو الجحيم (٢٦: ١٠٧). القديس غريغوريوس اللاهوتي في رثاء أخيه قيساريوس يقول إن المرء يتابع بعد الموت حياته هنا بلمعان أو ظلام حتى يوم الدينونة. في يوم القيامة العامة نستعيد أجسامنا بعد تحوّلها إلى أجسام نورانية ندخل بها المجد الأبدي والغبطة الدائمة. في رؤيا يوحنا الشهداء أحياء لدى العرش الإلهي. مريم العذراء رقدت وقامت في اليوم الثالث، ودخلت المجد الأبدي. نصلّي من أجل أمواتنا ليزداد فيهم مجد الله.

الملائكة والأبرار الراقدون والمؤمنون جميعاً هم أعضاء في جسد المسيح الواحد. أمواتنا أحياء في الرب، ونحن وهم جسد المسيح الواحد. يصلّون من أجلنا ونصلّي من أجلهم. الروح القدس ساكنٌ فيهم وفينا وهو الذي يصلّي فينا جميعاً (رومية ٨: ١٥ و٢٦).

إذاً: الذين أرضوا الله ينتقلون إلى غبطة مؤقتة، والأشرار إلى عذاب مؤقت. في القيامة الغبطة أبدية أو العذاب أبدي[٤]. بولس الرسول قال في كورنثوس الأولى (١٣) بالانتقال من رؤية كما في لغز ومرآة هنا إلى رؤية كاملة وجهاً لوجه يسقط معها الإيمان والرجاء لعدم الحاجة إليهما إذ نبلغ الربَ، ولكن المحبة تستمر إلى الأبد.

إذاً، الموت هو في الحقيقة انتقال من موت الخطيئة في الدنيا إلى ملكوت نور ابن الله. **(اسبيرو جبور).**

---

(٤) صدر حديثاً في اليونانية والإنكليزية والفرنسية كتاب "الحياة بعد الموت" بقلم صديقنا المطران Vlagos، ونظيره كتاب صديقنا Larchet (بالفرنسية). الكتابان كبيران، الثاني أغنى بالنصوص اللاهوتية من الآباء واللاهوتيين المعاصرين.

س ١٣– حرق جثمان الميت المسيحي بعد وفاته عادة موجودة في الدول الغربية. لكنها تبدو غريبة على الفكر والتقليد المسيحيين. فهل تتعارض هذه العادة مع المسيحية بصورة أو بأخرى؟

ج ١٣– حرق جثمان الميت عادة وثنية كانت شائعة في القديم في مصر والصين. وقد انتشرت مع الثورة الفرنسية في الغرب (إيطاليا، ألمانيا وفرنسا)، وفي بعض الدول الآسيوية (كاليابان بسبب ضيق المساحة الجغرافية). في البداية كان حرق الموتى يتم لأسباب صحيّة في الغرب، لكنه لاحقاً اكتسب طابعاً تقليدياً احتفالياً. لكن حرق الموتى يبقى غير شائعٍ أبداً في الشرق الأوسط. لهذا فالسؤال يهمّ المسيحيين الذين يحيون في الغرب والذين يتساءلون عن جواز هذه العادة للمسيحي الأرثوذكسي.

كان حرق الموتى لدى العبرانيين امتداداً لعقوبة الموت وكان يُسمح به في مثل هذه الحالات (لاويين ٢٠: ١٤–٢١). وكان يُعتقد أن الموتى غير المدفونين يبقون هائمين بدون راحة.

اعتادت الكنيسة أن تدفن الموتى المسيحيين لا أن تحرق جثمانهم. وقد فعلت هذا اتباعاً للعادة العبرانية التي كانت تكرّم جثمان الميت بالدفن. ويسوع نفسه بعد صلبه دُفن، وهكذا نحن بعد موتنا. فالإنسان من التراب وإلى التراب يعود (تكو٣: ١٩).

إن عادة دفن جثمان المسيحي هي تعبير عن إيمان الكنيسة بأن الجسد نفسه مخلوق على صورة الله، وهو هيكل للروح القدس ومسكن له منذ معمودية المسيحي ومسحه بالميرون المقدس، واشتراكه بالقربان الإلهي. لهذا تكرّم الكنيسة رفات القديسين المسيحيين وذخائرهم. وترتليانوس (١٦٠؟–٢٢٠) يعطينا شهادة من أبكر الشهادات الكنسية على شجب حرق الموتى فيدعوه "متوحشاً"، إلا أنه يرى دفن الموتى "عمل رحمة للموتى".

وفي أوروبا القرن الثامن عشر، عهد الاستنارة الأوروبية، ظهر العديد من العقلانيين فضلاً عن تيارات فلسفية أنكرت القيامة الجسدية، وهؤلاء راحوا يمارسون عادة حرق جثمان الميت كتعبيرٍ عن رفضهم لهذا التعليم. لكن التعليم حول قيامة الجسد يوم القيامة العامة هو تعليم أساسي في الكنيسة. لهذا كانت الكنيسة الأرثوذكسية ضد عادة حرق

جثمان الميت في تدبيرها وممارستها. أما الكنيسة الكاثوليكية فقد دانت هذه العادة العام ١٨٨٦. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٤– من أكثر الأمور إثارة وتشويقاً قديماً وحديثاً جلسات تحضير الأرواح. وقد تبدو هذه الجلسات صحيحة وواقعية. كيف نقوّم هذه المسألة على ضوء الإيمان المسيحي؟ وهل للإنسان القدرة على السيطرة على الروح؟

ج ١٤– للإجابة على هذا السؤال، يجب معرفة الافتراضات التي يطرحها موضوع تحضير الأرواح.

تحضير الأرواح يفترض ما يلي: ١– أن الوسيط البشري قادر على استدعاء روح إنسان ميت؛ ٢– أن روح الميت تستجيب للوسيط وتحضر؛ ٣– أن روح الميت تتكلم من خلال جسد الوسيط، وأحياناً تظهر بشكل مرئي.

في الموعظة ٢٨: ٣ على إنجيل متّى، يجيب الذهبي الفم بصورة غير مباشرة على موضوع كهذا:

النفس التي تترك الجسد بعد الموت لا تستطيع العودة: إن نفس الميت تؤخَذ إلى مكان ما، "لأن نفوس الأبرار هي في يد الله" (الحكمة ٣: ١)، بدون أن يكون لها القدرة على العودة ثانية، بل تنتظر ذلك اليوم المخيف. لهذا لا يمكن لروح (نفس) الميت أن تهيم هنا على الأرض عندما تنطلق من الجسد. ولا يمكن للنفس المتحرِّرة من الجسد أن تبقى هنا. هذا ينطبق على نفوس الأبرار والخاطئين على حد سواء.

النفس لا تستطيع أن تدخل في جسد آخر أو في روح شريرة: طبقاً لخرافة كانت سائدة في عصر الذهبي الفم مفادها أن المشعوذين يذبحون الأولاد كي يقتنوا نفوسهم، يجيب الذهبي الفم: "من أين يتضح هذا؟ إذ عن قتلهم حقاً يخبرنا الكثيرون، أما عن كون نفوس المذبوحين هي معهم (مع الشياطين)، فمن أين تعرفون هذا، أتوسل إليكم؟ يُجاب:

'الممسوسون أنفسهم يصرخون: أنا نفس فلان.' لكن هذا أيضاً نوع من التمثيل المسرحي والخداع الشيطاني. إذ ليست هي نفس الميت التي تصرخ، بل الروح الشريرة هي التي تدّعي تلك الأشياء كي تُضلَّ السامعين. لأنه إن أمكن للنفس أن تدخل إلى جوهر روح شريرة، فبالأحرى أكثر أن تدخل إلى جسدها الخاص بها".

النفس لا تتعاون مع الأرواح الشريرة بعد الموت: يقول الذهبي الفم: "أيضاً من غير المعقول أن تتعاون النفس مع فاعل الشر، أو أن يستطيع إنسان أن يغيّر قوة غير جسدانية إلى جوهر آخر".

من هنا نستنتج النقاط التالية المتعلقة بموضوعنا: لا يستطيع إنسان ما – كالوسيط في حالة تحضير الأرواح – أن يستدعي نفس أو روح إنسان آخر بعد موته؛ الأرواح الشريرة تستطيع أن تقلّد أصوات بشرية لتوهم المستمعين أنها صوت الإنسان المتوفى؛ لا يمكن لروح إنسان أن تتقمّص في جسد آخر، أو أن تستعمله لتظهر جسدياً(٥).

يمكن للشياطين أن تنقل معلومات تتعلق بالأموات والأحياء لتضليل المستمعين. كأن، مثلاً، تخبر بمكان شيء ضائع أو باسم سارق الخ. لكنها عاجزة عن امتلاك أرواح الموتى، لأن أرواح الموتى هي بين يدَي الله وحده.

من جهة أخرى، يعتقد الكثيرون أن لتحضير الأرواح أساساً كتابياً وذلك بناء على نص كتابي. ففي ١ صموئيل ٢٨: ٥–٢٠ عندما كان شاول يحارب الفلسطينيين: "خاف واضطرب قلبه جداً. فسأل شاول من الرب، فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالكهنة ولا بالأنبياء" (١صمو ٢٨: ٥–٦). هنا يلجأ شاول إلى وسيطة روحانية لتحضير روح صموئيل، فيحدث هذا، ويتحادث صموئيل مع شاول إلى نهاية القصة... الذهبي الفم يجيب هذا الاعتقاد بأن الله أحياناً يتنازل ويخاطب الناس بلغة أو بطريقة غير لائقة بالله ولكنها الطريقة الوحيدة التي تستقطب هؤلاء الناس. فيقول(٦): إن بولس صار لليهود كيهودي كي يربح اليهود، لا لأن اليهود على حق، بل لأن اليهود لا يحاجّون من الإنجيل بل من الأنبياء. أيضاً لم يرشد الله المجوسَ إلى مكان ميلاد المسيح بواسطة ملاك أو

---

(٥) راجع الجزء الثاني من شرح متّى للمحرّر، الصفحات ٥٠–٥٢ مع الحاشية ٢ في الصفحة ٥٠.

(٦) الموعظة الثالثة على الرسالة إلى تيطس والموعظة ٨٦: ٣ على إنجيل متى.

نبي أو رسول أو إنجيلي، بل بواسطة نجم، لا لأن علم التنجيم علم صحيح، بل لأنه هكذا كان المجوس يفهمون. أيضاً في حالة البقرتين اللتين كانتا تجرّان تابوت الرب، استجاب الله لنبوة الفلسطينيين الوثنيين، لا لأن هؤلاء الأنبياء كانوا يقولون الحقيقة، بل شاء الله أن يستعمل نبوّتهم وتصديق الناس لهم ما ليحقق غرضه. أخيراً في حالة العرّافة التي استشارها شاول، سمح الله لهذا الأمر أن يحدث وذلك لينقل رسالة شفوية لشاول، لا لأن تحضير الأرواح صحيح، بل لأن شاول كان يؤمن بالعرّافة.

إذاً، لا اليهود كانوا على حق، ولا علم التنجيم كان صحيحاً، ولا أنبياء الفلسطينيين الوثنيين كانوا أنبياءً حقيقيين، ولا تحضير الأرواح كان صحيحاً وحقيقياً. لكن الله سمح أن تحدث هذه لأنه فقط على هذا النحو كان التدبير الإلهي سيتمّم المشيئة الإلهية. هكذا يفنّد الذهبي الفم الاعتقادات الشعبية والخرافات التي كانت سائدة في عصره ومن بينها تحضير الأرواح واستحواذ الشياطين لنفوس الموتى، والأضاحي البشرية، الخ.

أيضاً حرّم الكتاب المقدس في عهده القديم أية علاقة مع الأرواح. ففي سفر التثنية ١٨: ١٠–١٢ يقول: "لا يكن فيك مَن يُحرق ابنه أو ابنته بالنار، ولا مَن يتعاطى عِرافة ولا منجّم ولا متكهّن ولا ساحر، ولا مَن يشعوذ ولا مَن يستحضر الأشباح أو الأرواح ولا مَن يستشير الموتى. لأن كل مَن يصنع ذلك هو قبيحة عند الرب"(٧). وفي سفر اللاويين ٢٠: ٦ يقول: "وأي إنسان التفت إلى مستحضري الأرواح والعرّافين ليزني وراءهم، انقلبتُ على ذلك الإنسان وفصلته من وسط شعبه". **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥– يزداد الحديث عن التقمّص وعن قصص التقمّص المعاصرة. ويحاول الكثيرون أن يجدوا أساساً للتقمّص وتعليماً له في المسيحية وفي الكتاب المقدس. ما رأيك في التقمّص؟ هل هو موجود في المسيحية؟ وهل تقمصّت روح إيليا النبي في يوحنا المعمدان؟

ج ١٥– التقمص تعريفاً هو دخول روح إنسان بعد موته إلى جسد آخر، فتتقمّصه. هذه

(٧) هذه الآيات هنا من الترجمة اليسوعية الحديثة (منشورات دار المشرق، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨)، حيث تجلو غموض الترجمات العربية الأخرى التي تستعمل لفظة "جان" من الجن، وهي لفظة غير مسيحية وبالتالي مرفوضة، لأن المخلوقات الحيّة في المسيحية هي الإنسان والملائكة والحيوانات والنباتات، بدون وجود صنف اسمه جان (مفرده جنيّ وجنيّة).

العقيدة شائعة جداً في الديانات الشرقية القديمة كالهندوسية والبوذية، ولكنها وجدت لها سبيلاً في بعض الشيع الدينية في الشرق الأوسط.

الحديث عن التقمص يقتضي الحديث عن الجسد والروح والعلاقة بينهما. في المسيحية، كل إنسان شخص: له روح وله جسد خاصّان به، بهذا الشخص. بما أن شخص الإنسان فريد، لا يتكرر ولا يتناسخ، لهذا، فروح الإنسان وجسده هما فريدان أيضاً، وخاصان بهذا الإنسان: لا يتكرران ولا يتناسخان. لروح الإنسان ولجسده ألفة خاصة بهذا الإنسان، بشخصه. وعندما يموت الإنسان، ينفصل جسده عنه، أي عن شخصه وعن روحه معاً. بعد الموت يستمر شخص الإنسان مع روحه في حالة ما[٨].

رغم النبرة المسيحية، خاصة الأرثوذكسية، على أهمية النسك وترويض الجسد في حياة كل مسيحي، إلا أن هذا النسك لا يعني الانتقاص من أهمية الجسد البشري في حياة الإنسان. فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله بالشخص والروح والجسد، وجسده شريك في الصورة الإلهية، لهذا فالمسيحي مدعو للقداسة بالجسد وليس بالشخص والروح فقط. فالجسد ليس "سجناً" للروح تتوق للتخلّص منه كما هي الحال في الأفلاطونية. وليس "قميصاً" تستعمله الروح بصورة مؤقتة، بل هو جزء لا يتجزأ من الشخص البشري. لهذا نقول إن الإنسان يتقدّس في الجسد ويخلص "في الجسد" وليس "من الجسد". ورغم أن النسك المسيحي يدعو إلى ترويض الجسد وكبح أهوائه، إلا أنه في الوقت نفسه يمنع تشويه الجسد (كما تعكس ذلك القوانين الكنسية).

التقمص يعني، من جملة ما يعنيه، أن روح الإنسان بعد وفاته لا ترتبط بجسد معين، بل تستعمل أي جسد آخر لتتقمّصه، أي لتلبسه (كالقميص) كما كانت تلبس الجسد الأول قبل الموت. لهذا لا توجد ألفة خاصة في عقيدة التقمص بين الروح والجسد، ولا يوجد مفهوم متطور للشخصانية، ولا ينطبع الجسد البشري بطابع شخصاني خاص بكل إنسان. من هنا نستنتج أن التقمص عقيدة تنسف مفهوم الشخصانية المسيحي ومفهوم الأنثروبولوجية المسيحية الشخصانية.

أيضاً، مفهوم التقمص يجحد القيامة الجسدية التي فيها سيقوم الجسد البشري ليتحد ثانية بالروح البشرية ضمن الشخص البشري الذي ينتمي إليه. والقيامة الجسدية تعليم

---

(٨) للمزيد عن مفهوم "الشخص" و"الشخصانية" في المسيحية، راجع كتاب الأب اسبيرو جبور "سر التدبير الإلهي"، وكتاب د. عدنان طرابلسي "الرؤية الأرثوذكسية للإنسان".

مسيحي أساسي وهي على غرار قيامة الرب يسوع بالجسد. لهذا كل مسيحي يؤمن بالقيامة الجسدية لا يستطيع أن يقبل بعقيدة التقمص.

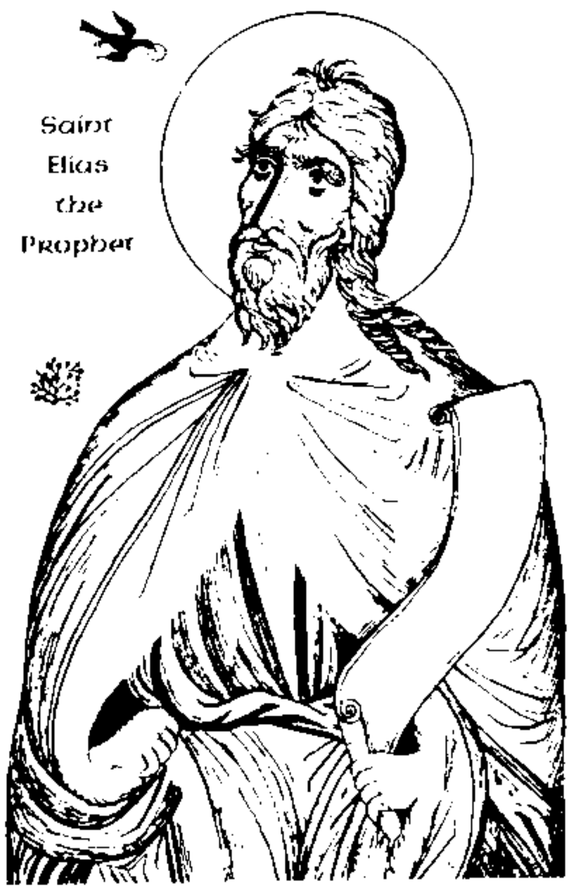

يعتمد بعض الناس على الآية ١: ١٧ من إنجيل لوقا للقول إن روح إيليا قد تقمّصت يوحنا المعمدان. النص اليوناني يقول: "وسيتقدّم أمامه بروح إيليا وقوته". إذاً الأمر يتعلّق بالمستقبل لا بالماضي. من ناحية أخرى، جسد إيليا ما زال ملتصقاً بروحه ولم يخرج ولن يخرج ليحلّ في المعمدان. وفي يوحنا ١: ١٩–٢٠، يقول: "وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه مَن أنت. فاعترف ولم ينكر وأقرّ أني لستُ أنا المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال لستُ أنا". وفي يوحنا ١: ٢٥: "فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمّد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟". إذاً، هذه النصوص تنفي نفياً قاطعاً وقوع التقمّص في شخص يوحنا المعمدان[٩]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٦– اليوغا ظاهرة واسعة الانتشار في العالمين الغربي والشرقي معاً. الكثير من المسيحيين متأثّرون بها ويمارسونها ويدّعون فوائدها. ما هو موقف المسيحية من اليوغا؟ وهل توجد يوغا "مسيحية" إن صحّ التعبير؟

ج ١٦– اليوغا الهندية اجتاحت الغرب منذ فترة مهمة وخلقت شيعاً لا حصر لها، منها قد تطوّر إلى مجموعات ذات طابع غير ديني استغلّت التوق البشري نحو كل ما هو غامض، لتستثمر الأساليب الجسدية–النفسية في المعالجات الفيزيائية والنفسية.

---

(٩) وفي الكتاب المقدس: الله خلق آدم وحواء. ثم تكاثر الناس وماتوا حتى بقي اليوم أكثر من مليار وستمائة مليون نسمة. فمن أين أتت أرواحهم؟ والكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية تقولان إن الله يضع الروح في الجنين فور انعقاده، لأن يسوع تجسّد فور قول العذراء: "ها أنذا أمَة للرب....".
أما القول إن الأرواح موجودة قبل الولادة فتهبط إلى سجن الروح وتنتقل منه إلى جسد آخر فهو مقولة أفلاطون التي انتشرت في الشرق الأوسط مع احتلال الفكر اليوناني للمنطقة. فأفلوطين المصري وتلميذه بورفيريوس صور صاحبا الأفلوطينية الجديدة انتشرا في المنطقة. ورسائل أخوان الصفا مترعة منها. (اسبيرو جبور)

اليوغا الهندية هي ممارسة منهجية مؤلَّفة من مراقبة التنفس مع اتخاذ وضعيات جسدية معينة لتساعد الجسم على الاسترخاء والذهن على التركيز، مقترنة بترداد صلاة قصيرة أو اسم معين حسب الرغبة.

جوهر اليوغا الهندية الحقيقي ليس الممارسة نفسها إذن، بل التأمل الذي هو غايتها. لهذا فغايات اليوغا الأصلية ليست هي الصحة الجسدية أو المعالجة الفيزيائية، بل هي روحية الطابع. لهذا فالإنسان الذي يمارس اليوغا يعرّض نفسه لمواقف روحية معينة بدون وعي منه. لأن ممارس اليوغا يفقد اليقظة والصلاة أهم سلاحين لصدّ إيحاءات الشيطان، وبالتالي يصير فريسة سهلة للسقوط تحت هجمات الشيطان. وبالطبع توجد أساليب أخرى وثنية الأصل تشبه اليوغا الهندوسية مثل زِن Zen اليابانية لاقت رواجاً في العالم الغربي.

قام الكثير من رجال الدين الكاثوليك والبروتستانت في الغرب، الذين يجهلون أنماط التأمل المسيحي الأرثوذكسي (الهدوئية الأرثوذكسية Hesychasm مثلاً)، باستغلال اليوغا واستغلال العطش الغربي إلى الممارسات النسكية والصوفية الغائبة في المسيحية الغربية، وقاموا بتحويل اليوغا الهندوسية إلى يوغا ذات محتوى "مسيحي". اليوغا "المسيحية" تستعمل الأساليب الجسدية لجعل الإنسان مسترخياً ومنفعلاً ومستقبِلاً لأفكار روحية وتأملات وتصورات روحية ذات طابع "مسيحي".

قبل اجراء المقارنة بين اليوغا من جهة وأقرب ممارسة مسيحية لليوغا (وهي الهدوئية الأرثوذكسية) من جهة أخرى، يمكن الرد على اليوغا بحد ذاتها من وجهة نظر المسيحية:

لا يوجد أساس لهذه الحركات في التقليد والممارسة المسيحيين، لكنها مجرد نتاج للديانات الوثنية الشرقية أو للحركات الروحانية spiritism (لا الروحية) المعاصرة؛ فهي عادة ما تُقدَّم كحركات "غير دينية" للمجتمع الغربي وذلك كي تلاقي رواجاً. بالإضافة إلى أن جوهر تعليمها هو على خلاف مع التعليم والتقليد المسيحيين أو مع الحياة الروحية. فهي عملياً تقود الإنسان، سواء أكانت

خبرات وثنية دينية أم اختبارات نفسية، إلى سبيل روحي خاطئ نهايته قد تكون كارثية على الصعيدين: الروحي والنفسي.

وعلى وجه الخصوص، فإن خبرة "الهدوء الروحاني" الذي تقدمه أنواع التأمل المتنوعة، سواء أكان لها محتوى ديني أم غير ديني، تجرّد الإنسان الذي يمارس اليوغا من أهم أسلحته الروحية ضد الشياطين والعالم الروحي الشرير، وهذا السلاح هو الصلاة واليقظة الروحية المدعومة بالروح القدس ومراقبة الذهن والقلب وحركة الأهواء فيهما؛ فيصير هذا الممارِس فريسة سهلة لسيطرة الشياطين وإيحاءاتهم، لأنه يفرّغ ذاته من الجهاد المسيحي ومن نعمة الروح القدس. وحتى البوذيون أنفسهم قد وصفوا هذه الخبرات والاحتكاكات مع هذه الأرواح الشريرة.

ومن جهة أخرى، تؤكد ممارسات اليوغا هذه أولوية الاختبار والممارسة على العقيدة، فتسمح للإنسان بالانجرار وراء اختبارات نفسية يفقد معها اليقظة والتمييز، خاصة أن أي إنسان، بغض النظر عن إيمانه، يستطيع أن يمارس اليوغا وأن يجني منها بعض النتائج التي كثيراً ما تكون مؤسفة. هي شيء نفساني لا روحي. البون مطلق بين غيبوبة النيرفانا الهندية والامتلاء الواعي من الروح القدس.

لهذا، فإن ما يسمى اليوم باليوغا "المسيحية" ليس مسيحياً، لأنها تفصل الإنسان الذي يمارس اليوغا، عن أهم مبادئ النسك المسيحي وهي الجهاد ضد الخطيئة والأهواء وعن الصلاة واليقظة وحراسة الذهن والقلب، وحياة الأسرار في الكنيسة والنمو إلى ملء قامة المسيح بحسب الوصايا الإلهية.

أقرب أسلوب صوفي مسيحي لليوغا – من حيث الشكل الخارجي – هو الأسلوب الهدوئي، وهو باختصار ترداد تلاوة صلاة قلبية قصيرة هي صلاة يسوع: "أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ" والتركيز على كلماتها، مع اتخاذ وضعية جسدية معينة والتركيز على التنفس وانتظامه للوصول إلى هدوء وسكينة معينين لاستدرار نعمة الروح القدس بالصلاة. أتباع الأسلوب الهادئ معروفون بالهادئين وطريقتهم معروفة بالهدوئية (hesychasm). منذ بدايات الحركة الرهبانية المسيحية تطوّر تيارٌ

روحي يعتمد على الصلاة القلبية بترداد صلاة قصيرة والتركيز عليها بحيث يصير كامل الإنسان (جسداً وذهناً وقلباً) عضوية واحدة منسجمة وجاهزة لاستقبال النعمة الإلهية. في القرن الرابع، ومع إيفاغريوس البنطي (٣٩٩)، كانت هذه الصلاة القلبية تُعتبر "أسمى عملٍ للذهن" و"صعود الذهن إلى الله". وفي نهاية القرن الرابع، صار القلب مركز الصلاة القلبية (بدلاً من الذهن) ومكان الحضور الإلهي في الإنسان بحسب القديس مكاريوس المنحول (٤٣٠؟)، وصار هدف الصلاة القلبية في الأسلوب الصوفي الهادئ هو نزول الذهن إلى القلب بالصلاة واستعادة الانسجام في الإنسان، فتستكين كل حركاته وأهواؤه، ويشمله الهدوء، فيستطيع بالتالي تقبّل النعمة الإلهية والتفاعل معها[١٠].

كانت أهم صلاة يتم ترددادها هي "صلاة يسوع" السابق ذكرها. وفي القرون اللاحقة تمَّ ربط "صلاة يسوع" بتنفس المرء (القديس يوحنا السلمي) للمحافظة على ايقاع منتظم للصلاة القلبية (وهي الغاية أيضاً من استعمال السبحة الأرثوذكسية). وفي القرن الثالث عشر، ظهر تيارٌ ربط تلاوة صلاة يسوع بايقاع التنفس. فنصحت بعض الكتابات النسكية أن يتم التركيز على نقطة معينة من الجسم (كالسرّة مثلاً) وترداد صلاة يسوع بهدوء وانتظامٍ مع كل تنفس، وإنزال الذهن (الذي يتأمّل في كلمات الصلاة) إلى القلب للوصول إلى انسجامٍ نفسي–جسدي. كان الذين يمارسون هذا الأسلوب من الصلاة القلبية يُعرفون بالهادئين وطريقتهم بالهدوئية. لكن من خلال كتابات القديس بالاماس، المعروف بلاهوتي الهدوئية، نجد أن ربط ترداد الصلاة القلبية بتنفس المرء كان أمراً ثانوياً جداً ومحدوداً جداً أسوة ببقية الوضعيات الجسدية التي يمكن أن تُقرَن بممارسة الصلاة القلبية. القديس ثيوفانس الروسي الحبيس (١٨٩٤) أجاز كل الوضعيات للصلاة. فالمهم أن يصلّي المرء باستمرار أياً كانت وضعية جسده. من هنا نستطيع أن نفهم لماذا اعتبر البعض أن بعض أشكال الهدوئية المرتبطة بوضعيات جسدية معينة أثناء الصلاة القلبية هي نوعٌ من "اليوغا المسيحية" من حيث الشكل الخارجي على الأقل.

(١٠) في "صلاة يسوع" و"الصلاة القلبية" راجع: "فن الصلاة" ترجمة د. عدنان طرابلسي، و"سائح روسي على دروب الرب".

لكن اليوغا الهندوسية والذِكْر الإسلامي من جهة أخرى (الذي يشبهها من حيث الشكل والفكرة) هما تقنيتان فيزيائيتان تنتجان بحد ذاتهما النتيجة المطلوبة (التركيز على الاسم الإلهي والإحساس النفسي بالراحة والسكينة) ولا يوجد دورٌ للنعمة الإلهية فيهما (بحسب القديس بالاماس). بينما الطريقة الهدوئية ليست أكثر من وسيلة لبلوغ الانتباه وصمت روح الإنسان لكي تجعل الإنسان مستقبِلاً للنعمة الإلهية. أما الصوم وممارسة الفضائل والجهاد ضد الأهواء والتوبة المستمرة وحياة الأسرار الكنسية فهي شروط ضرورية لها. ويؤكد القديس بالاماس على أن تلاوة الصلاة القلبية غير المنقطعة هي "تذكّر الله" وهي ليست حالة منفعلة (كما في اليوغا والذِكْر) كما يقول برلعام (الذي هاجم الهدوئية)، لكنها نشاط واعٍ للإنسان. وعندما يأمرنا الرسول أن نصلي بلا انقطاع (١تسا ٥: ١٧) فإن النشاط المتواصل هو الذي يدعونا إليه وإلى التوسّل إلى الله. يقول بالاماس: "نحن نتضرّع بهذا التوسّل المتواصل، لا لنقنع الله، لأنه يعمل دائماً بصورة عفوية، ولا لنجتذبه إلينا، لأنه في كل مكان، بل لنرفع أنفسنا أعلى إليه". لهذا فالصلاة المتواصلة هي شركة مع الله الشخصاني. الجانب الفعّال والواعي من الروحانية الهدوئية كان بعيداً عن تبنّي أية ميكانيكية معينة في الصلاة.

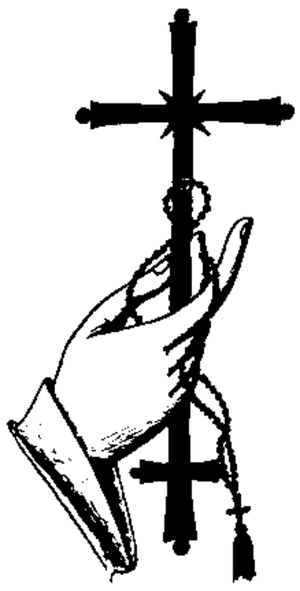

هنا نرى الفارق الكبير الذي يفصل الصوفية الهدوئية عن النيرفانا الهندوسية[١١]. فالصوفي المسيحي يسعى إلى حياة جديدة في المسيح، حياة فاعلة لكامل كيانه (روحاً وجسداً)، وهو يعرف أن نعمة المعمودية والميرون والافخارستيا قد أُعطيت له وهي ضرورية لحياته الروحية. والأكثر من هذا فإنه يسعى إليها في داخل كيانه. لهذا السبب لم تتدهور الحركة الهدوئية في القرن الرابع عشر إلى فردية وصوفية شخصية بل أدت إلى نهضة الأسرار الكنسية.

---

(١١) Nirvana: فلسفة دينية هندية، وهي حالة من التعالي متحرّرة من التألم ومقترنة بالبوذية. الكلمة مشتقة من فعل يعني "أن يبرد"، أو "أن ينفخ". العلاقة هي أنه فقط في النيرفانا تنطفئ لهب الشهوة والكراهية والجشع والجهل. النيرفانا غيبوبة. التصوّف المسيحي يقظة وسيطرة على النفس واعية واستنارة قدسية، ومناجاة إلهية واعية، ومشاهدة نورانية، وعشق إلهي ناري، لا غيبوبة باردة. الغبطة في حرارة العشق الإلهي، لا غبطة سكينة الغائب عن الوجود. عندنا ملء الوجود في الاتحاد بالله. اليوغا رياضية، الهدوئية انفتاح كل ذرّات الإنسان على الله. الفرق شاسع بين Psychologism اليوغا وروحانية Spirituality الهدوئية.

باختصار: اليوغا الهندية أسلوب منفعل يمارسه الإنسان باتخاذ وضعية معينة للجسد، بينما الهدوئية هي أسلوب فاعل تكون فيه وضعية الجسد ذات دور ثانوي. اليوغا تُنتج بحد ذاتها التأثير المطلوب بدون تدخل النعمة الإلهية، بينما الهدوئية أسلوب يفسح للنعمة الإلهية أن تُحدث التأثير المطلوب. اليوغا لا تصل إلى التأثير المطلوب إلا باتخاذ وضعيات جسدية معينة، بينما الهدوئية تصل إلى حالة السكينة المرجوة بمجرد سكون الجسد (وأهوائه) سواء اتخذ الجسد هذه الوضعيات (أو التمارين الجسدية التنفسية) أم لا؛ فالتمارين الجسدية–التنفسية هنا مجرد مساعِدة ليس إلا (إذ توجد هدوئية بدون اتخاذ وضعيات جسدية معينة). نتاج اليوغا هو توازن جسدي–نفسي وراحة نفسية لا علاقة للنعمة الإلهية بها، بينما نتاج الهدوئية هو سلام وسكينة روحيان في الشخص البشري بجسده وروحه وذلك بفضل التفاعل بين الإنسان ونعمة الروح القدس. لا تتطلب اليوغا إذاً إيماناً بما وراء الطبيعة لأنها مجرد تمارين جسدية–نفسية، ويمكن لأي إنسان – بغض النظر عن إيمانه – أن يمارسها، بينما تتطلب الهدوئية إيماناً مسيحياً مستقيماً حتى تصل إلى تفاعل نعمة الروح القدس مع جهود الإنسان. فالهدوئية أسلوب روحي– صوفي مسيحي لا يمارسه إلا أعضاء الكنيسة المعتمدون الذين حلّ فيهم الروح القدس له المجد. من هنا نستنتج أن المسيحية الأرثوذكسية لا تنصح باليوغا كوسيلة لبلوغ السلام والسكينة لأنها وسيلة محدودة وناقصة وتفتقر إلى فعل نعمة الروح القدس في الإنسان. ومن جهة أخرى، الكنيسة بآبائها وتقليدها تحذّر المسيحيين من ممارسة اليوغا لسبب بسيط لكنه غاية في الأهمية: لأن طلب أية معاينة روحية بدون تنقية الأهواء وانسحاق القلب والتوبة المستمرة يعرّض الإنسان إلى الضلال الروحي، وهذا ما يحدث في ممارسة اليوغا.

بينما تنصح الأرثوذكسية بالهدوئية[١٢]. وهذا التأمل الأرثوذكسي المبني على الصلاة القلبية هو تلاوة صلاة قصيرة بتكرار واستمرار، وأشهر صلاة لهذه الغاية وأفضلها هي صلاة الرب يسوع: "أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ". **(د. عدنان طرابلسي)**

---

(١٢) الروحانية الأرثوذكسية تهدف إلى الاتحاد بالله، أي إلى التألّه وهو غاية المسيحية والغاية من وجود الإنسان. هذا يتم بالنعمة الإلهية غير المخلوقة. المرء يجاهد في الصلاة والفضائل ليمتلىء من الروح القدس. التألّه هو اتحاد المؤمن بالله بكل كيانه كما يتحد الجسد بالروح (بالاماس). إذاً: لا وجه للشبه بين غيبوبة النيرفانا (وكل أشكال الروحانيات غير المسيحية) واتحادنا بالله.

س ١٧ – هل تؤمن بالحسد والعين الشريرة مع العلم أن بعض الآباء سبق ان ذكروه، مثل القديس يوحنا الذهبي الفم؟

ج ١٧ – المقصود بالعين الشريرة هو الاعتقاد بأن نظرة معينة قد تسبّب ضرراً أو سوء حظ للآخرين. هذا الاعتقاد قديم جداً وشائع، خاصة في الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض. تتعلّق هذه "العين الشريرة" بأشخاص ينظرون بحَسَد إلى شخص آخر قد يكون جميلاً أو محظوظاً أو متفوّقاً، الخ.. ولقد ورد ذكر "العين الشريرة" في الكتاب المقدس، إنما كان بمعنى مختلف تماماً عن المعنى الشعبي. ففي سفر التثنية ١٥: ٩ هذا التعبير يعني مجرد نظرة عدائية. وفي تثنية ٢٨: ٥٤ ومتّى ٢٠: ١٥ يعني مجرد الحسد. وفي متّى ٦: ٢٢–٢٣ ولوقا ١١: ٣٤ فإنه يعني عيناً غير سليمة أو معطوبة. وفي مرقس ٧: ٢٢ يعني نزعة شريرة. لا يوجد في الكتاب المقدس أي ذكر لمعنى "العين الشريرة" كما يفهمه عوام الشعب. وقد تحدّى القديس يوحنا الذهبي الفم بشكل مباشر وجهة النظر الشائعة للعين الشريرة، عندما يقول في تعليقه على غلاطية ٣: ١ ما يلي:

"وعندما تسمعون عن غيرة في هذا المكان، وفي الإنجيل عن عين شريرة، مما يعني الأمر نفسه، يجب ألا تفترضوا أن لنظرة تلك العين أية قوة فائقة الطبيعة بحيث تؤذي أولئك الذين تنظر إليهم. لأن العين، أي العضو نفسه، لا يمكنها أن تكون شريرة؛ لكن المسيح في ذلك الموضع يعني الغيرة بهذا التعبير. فالمعاينة هي، ببساطة، وظيفة العين، لكن المعاينة بطريقة شريرة إنما تخصّ ذهناً فاسداً في الداخل... لهذا، يدعو (السيد) العينَ شريرةً؛ لا التي تعاين فحسب، بل التي تعاين بحَسَد بسبب انحراف أخلاقي... إنه يتكلّم هكذا، لا كما لو ان للحسَد أية قوة، بل يقصد أن معلِّمي هؤلاء التعاليم قد فعلوا هكذا بسبب دوافع حسودة".

وفي كل المواضع التي يذكر فيها الذهبي الفم الحسَد في عظاته، فإنه يحذّر منه لأن الحسد يؤذي صاحبه، ولا يذكر البتة أن الحسد يؤذي المحسود.

ومع ذلك مازال الكثيرون من المسيحيين يؤمنون، ويا للأسف، بمقدرة العين الشريرة على الحاق الأذى بالآخرين بمجرد النظر إليهم. وبما أن الاعتقاد الشعبي يتوهّم أن العين الزرقاء، أكثر من غيرها، هي المعنية بالحسد والإيقاع بالضرر

بالغير، لهذا يعمد الناس إلى تعليق حلية على شكل عين زرقاء (أو خرزة زرقاء) على الطفل لتردّ أذى وحسد "العين الشريرة" الزرقاء! لكن السؤال الذي لم يطرحه هؤلاء الناس على أنفسهم هو: هل يعجز الصليب والأيقونة المعلَّقَين على الطفل عن القيام بالمهمة أم أننا ندّعي إيماناً بالكلام بينما تدلّ أفعالنا على غير ما ندّعي؟! كل مَن علّق "عيناً زرقاء" أو "خرزة زرقاء" يعلن أنه لا يؤمن أن عناية الله كافية لردّ الأذى عن أحبائه.

في كتاب الافخولوجي الصغير صلاة لدفع ضرر العين الحاسدة، تتهم الشيطان بالضرر (ص ١٧٨، طبعة البطريرك ثيوذوسيوس، دمشق، ١٩٦٤). فليس المقصود هنا العين الحاسدة بالمفهوم الشعبي، بل إضرار الناس تحت تأثير إيحاءات الشيطان.

ختاماً أورد هنا نصاً كاملاً للقديس الذهبي الفم عن بعض هذه الممارسات الشعبية الخالية من الإيمان المسيحي، والتي كانت منتشرة في القرن الرابع الميلادي انتشارها في القرن الحادي والعشرين. يقول هذا المعلّم الكبير:

"عندئذ بعد الزواج، إن حدث وولد طفلٌ، فإننا نرى في هذه الحالة أيضاً الممارسات الغبية والكثيرة المملوءة من السخف. إذ عندما يحين الوقت لإعطاء الرضيع اسماً، لا يهتمون بتسميته بحسب القديسين كما فعل القدماء في البدء، (بل) يشعلون المصابيح ويدفع الأهل بقائمة الاسماء ، ويسمّون الطفل بحسب الاكثر توهجاً؛ وقد حدسوا من هنا أنه سيعيش زماناً طويلاً..... ماذا ينبغي أن نقول بخصوص التعويذات والأجراس التي تُعلَّق على الرأس، والنسيج القرمزي، والأشياء الأخرى الممتلئة بكل حماقة شديدة كهذه؛ في حين يجب أن لا يزيّنوا الطفل بأي شيء آخر سوى حماية الصليب. لكن الآن قد نُبذ هذا (الصليب) الذي قَلَب كل العالم وأعطى جرحاً مؤلماً للشيطان وحطّم كل قوته: بينما قد عُهد بسلامة الطفل إلى الخيط والنسيج والتعويذات الأخرى من ذلك النوع"[١٣]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٨– ما هي النـزعة المعادية للسامية، ولماذا يستغلّها اليهود وكيف؟

ج ١٨– الساميون الأصليون هم سكان الجنوب الشرقي من البحر المتوسط أي بلاد

(١٣) الموعظة ١٢ للقديس الذهبي الفم على الرسالة الأولى لأهل كورنثوس.

الهلال الخصيب والجزيرة العربية. واليهود الفلسطينيون ساميون. إلا أنهم غادروا فلسطين وانتشروا في أصقاع الدنيا. وفي القرون الوسطى دخلت قبائل الخزر في اليهودية ثم انتشرت هذه القبائل في أوروبا وأمريكا. ليست سامية الأصل بل آريّة نسبة للعنصر التركي. بعد الانتداب البريطاني على فلسطين وتمكين اليهود من احتلال الأراضي تدريجياً ظهر هتلر عدواً فظاً لليهود. أصدر اليهود نظريات العداء للسامية واستعملوا نفوذهم العالمي الطاغي لإحراق سمعة كل مَن يطعن فيهم. اختلسوا فلسطين وقتلوا الأهالي وهجّروا الملايين؛ وتثور ثائرتهم على كل مَن يلفظ كلمة ضدهم. كانوا ملاحَقين فصاروا مضطهدِين للعرب ويشنّون عليهم الحروب والغارات ويحتلون كل فلسطين وأراضٍ عربية أخرى، وتسبّبوا مرتين في إغلاق ترعة السويس. فلا تجوز الكراهية لا للبشر ولا للحيوان. وإنما نلوم اليهود على اغتصاب فلسطين بقوة المال والحروب والقتل وعلى سعيهم في العالم لتخريب الكنيسة المسيحية كما فعلوا ويفعلون في أوروبا الشرقية مثلاً. هم المعتدون لا المسيحيون الذين يذوقون منهم الأمرّين لصالح صهرهم فرنسوا ميتران بفضل دهاء شامير وزير خارجية إسرائيل الذي بذر خلافاً بين جيسكار ديستان رئيس الجمهورية وصديقه الرئيس الحالي شيراك. أسقطوا الديغولية في فرنسا ويزعمون أنهم مكروهون. فعداؤهم للأرثوذكسية أصيل وقديم منذ عهد المسيح والرسل ونيرون الطاغية حتى اليوم. فظائعهم في روسيا لا مثيل لها في التاريخ. طوّحوا بعشرات الملايين العديدة وبنصف مليون إكليركي وراهب. وصلبوا البعض منهم على أبواب الكنائس. الكتاب المقدس يذكر أنهم "أعداء الإنجيل" (رومية ١١: ٢٨)، وأن مجمعهم "مجمع الشيطان" (رؤيا ٢: ٩). أصلحهم الله وهداهم سواء السبيل.
(اسبيرو جبور)

س ١٩– هل يوجد ما يمنع المسيحي من الانتساب إلى جمعية أو هيئة علمانية (غير كنسية)؟ خاصة إذا كانت هذه الهيئة ذات أهداف إنسانية؟

ج ١٩– لا يوجد ما يمنع المسيحي من الانتساب إلى هيئة أو جمعية غير كنسية إذا كانت أهداف هذه الجمعية أهدافاً إنسانية. فالكنيسة تؤمن بأنه من واجب المسيحي أن يكون عنصراً فعّالاً يخدم مجتمعه ووطنه، فيكون ملحاً ونوراً كما أمر الرب يسوع (مت٥:

١٣، ١٤). وتاريخ الكنيسة طافحٌ بالأمثلة الحية عن تفاعل المسيحي مع مجتمعه، كما كان، مثلاً، القديس باسيليوس الكبير الذي أنشأ المستشفيات ودور العجزة والأيتام. لكن السؤال هنا هو: كيف نميّز الجمعية المناسبة من غير المناسبة؟ توجد سمات عامة تساعد على الإجابة على هذا السؤال:

١– هل هذه الجمعية باطنية؟ لا يمكن لجمعية تعمل خفية وتستر أعمالها واجتماعاتها عن العموم أن تكون جمعية خيرية صالحة للمسيحي.

٢– هل تتدخل هذه الجمعية في الإيمان الديني، وتتبنّى أفكاراً وعقائد دينية الطابع قد تخالف الإيمان المسيحي؟ ففي حين تحترم الكنيسة كل الأديان الأخرى، وتعتبر أن كل الناس متساوون، بغض النظر عن انتمائهم الديني، إلا أنها تؤمن بأن التدبير الإلهي الحادث بيسوع المسيح هو التدبير الإلهي الكامل الذي صار لخلاص العالم، وبأن الوحي المسيحي هو ذروة الوحي الإلهي، وأن المسيحية هي جواب كل الأديان.

٣– هل توجد طقوس دينية لهذه الجمعية من صلوات وشعارات دينية وسواها؟ إن القيام بطقوس ذات طابع ديني وبصلوات في جمعية ما يجعلها بمثابة دينٍ آخر ينافس الإيمان المسيحي. أيضاً، إن وجود شعارات دينية طاغية يثير التساؤل حول حقيقة هذه الجمعية "الإنسانية" و"العلمانية". لا تقبل الكنيسة التبعية المزدوجة في الإيمان.

لهذا، فالكنيسة تطالب مؤمنيها كما يقول يوحنا: "امتحنوا الأرواح هل هي من الله...كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله. وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح" (١يو٤: ٢–٣). فكل مؤمن مطالَبٌ أن يتفحّص لا الأهداف العلنية لأية جمعية وحسب، بل الأهداف الضمنية الخفية أيضاً. عندئذ، بمساعدة الأب الروحي والضمير يستطيع المسيحي أن يتخذ قراراً صائباً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٠– التدخين ضارٌ بالصحة. لكننا نجد أن بعض الفئات المسيحية البروتستانتية قد حرّمت التدخين إلى درجة أنها جعلته خطيئة أو شبه خطيئة. ما هي نظرة المسيحية إلى هذه المسألة؟

ج ٢٠– التدخين أمرٌ دخيل على الطبيعة البشرية. وهذا يعني أن الله لم يوصِ به. قلتُ إنه

دخيلٌ كي أقول إنه غير نافع وضارّ ومؤذٍ. ويسميه الأب متّى المسكين زنى الفم. أما القديس نيقوديموس الآثوسي فيسمّيه "العادة القبيحة".

ما هو التدخين؟

إنه عملية إدخال مادة النيكوتين وغيرها من المواد السامّة إلى الجسم عبر الفم، فتنزل إلى الرئتين عبر الحلق ثم تخرج عبر الأنف الذي ينفثها على دفعات. وهذه العملية تولِّد تخديراً للعقل وللدماغ ولكل الجسد. مع الوقت تصبح العادة قاتلة بحيث إن الإنسان يدمن عليها، ولا يعود قادراً أن يتحرّر منها: أولاً لأنها أصبحت عادة مستشرية، وثانياً لأن الجسم بات يطلب النيكوتين بإلحاح.

لقد كشف لنا الطب مضارّ التدخين. ومن الخبرة نعرف سيئاته ومضاره. ونعرف كم تتزايد يوماً بعد يومٍ الشريحة التي ترفضه في المجتمع لما له من انعكاس على القلب والشرايين وغير ذلك، فضلاً عن رائحته الكريهة ومقدار الجفاف الذي يُحدثِه في الفم.

بعد كل هذا، كيف يكون محلَّلاً في الكنيسة؟ الكنيسة تسعى جاهدة كي تحضّ أبناءها على الفضائل لا على الرذائل. ثم إن القديس نيقوديموس الآثوسي يدعو جميع المسيحيين والكهنة وأيضاً الأساقفة للإقلاع عنه. فلنسمع ما يقوله أبونا الجليل في القديسين نيقوديموس الآثوسي في هذا الصدد:

"أريد هنا يا عزيزي أن أذكّرك بعادة قبيحة شائعة ليست فقط بين عامة الناس، بل أيضاً بين الإكليروس والأساقفة أيضاً. وأشير بحديثي إلى تلك النبتة المدعوة نيكوتين والتي تمَّ اكتشافها في مكان ما من أميركا الشمالية يُعرف باسم أنثيا، ثم وصلت إلى كاترين ملكة فرنسا على يد سفير البرتغال في شكل أعجوبة أتت من العالم الجديد (أميركا). لهذا السبب أُطلق عليها اسم "النبتة الملوكية". وفي الحقيقة إن هذه النبتة ليست سوى ما يُعرف لدى الجميع باسم التبغ. لذا أرجو أنك لن تحذو حذو الذين يستخدمون التبغ على نحو خاطىء، وأنك لن تعمد إلى التدخين عندما تكون وحدك أو مع الآخرين".

بادىء بدء، إن استعمال التبغ معاكس لطريقة الحياة الفاضلة. ثانياً، من غير اللائق بمَن يحملون الكهنوت أن يدخّنوا. ثالثاً، التدخين عادة قبيحة معاكسة للعادات التي تخدم

الصحة. والتدخين نفسه معاكس لدرب الفضيلة. إن حدود درب الفضيلة، بحسب تعليم غالاتيون، يُنتهَك عندما نقوم بما من شأنه أن يُلحق الضرر بالحواس.. ويدعو إلى القرف والاشمئزاز. ومَن من الناس لا يرى أن استعمال الدخان (التبغ) يقتحم حدود العادات الفاضلة، ويقدّم للإنسان عادات بربرية، مهترئة، عادات ممقوتة، يمجّها الذين يرون ويسمعون ويتخيّلون ما يفعله المدخنون؟ إن السلوك اللائق يستدعي من المرء الذي ينظّف أنفه بمنديل أن يتجه بعيداً عن الناس. والدخان الذي يتم استنشاقه عبر الأنف، من شأنه أن يحرّض الأنف على إفراز مخاط مقرف يجمعه صاحبه في حضور الناس. والسلوك اللائق يدعونا أنه عندما يشعر المرء بالحاجة إلى العطس أنه ينبغي أن يحاول حجب العطسة عن الناس قدر الإمكان وأقلّه، يترتب عليه أدباً أن يكمَّ فمه بمنديل كي لا ينفث الأنف كالبوق فيؤدي إلى إثارة الإزعاج والقرف بين الحاضرين. فالذين يجعلون الدخان في أنوفهم، إنما يغيظون عضو الشمّ، ويحرّضون أجسادهم على استجلاب العطس. و العطسة الحسنة تخلق في العادة اهتزازاً عنيفاً ومزعجاً للرأس، الأمر الذي يدعو الواقفين بجوار العاطس أن يبادروا إلى القول: 'صحة'، أو "مُعافى"، وهي عبارات تعكس استشفاعاً إلهياً، وربما هناك غيرها من العبارات مثل "باركك الله"، أو "ليكن الله بعونك". أما الأمر الأكثر إزعاجاً فهو أن يجعل المرء في فمه غليوناً مصنوعاً من بوق حيوان، أو من الخشب، يقوم المرء من خلاله باستنشاق الدخان المشتعل فيُدخله عبر البلعوم ثم يعود ويُطلقه من جديد عبر الفم والأنف معاً كالمدفأة المدخِّنة، أو كالخيول التي عند ديوميديس، أو كأبقار جاسون التي تُطلق دخاناً نارياً عبر الفم والأنف معاً. تُرى هل هناك عادة أكثر مقتاً وقرفاً من هذه العادة؟

التدخين عادة غير لائقة ولا تناسب الكهنوت بطابعه الروحي. فالأسقف هو صورة الله وأيقونة المسيح. وهذا يعني أن عاداته ينبغي أن تكون كالمسيح واقتداءً به، وأعني بذلك أنه يجب أن تتحلّى بالرصانة ولا تكون مصدر عثرة ضد أحد بل نبع فائدة ومنفعة للناس أجمعين. ترى أين الرصانة في استعمال نبتة التبغ من أجل التدخين؟ وما الفائدة التي يمكن أن نجنيها منها؟ لا بل العكس هو الصحيح. فالتدخين عثرة للمسيحيين الأتقياء، ولا سيما عندما يرون أسقفهم أو كاهنهم ممسكاً بين أسنانه هذا الأمر الغريب، الغليون، الذي راح فيه التبغ يشتعل. في الحقيقة إنه أمرٌ مثير للعثرات أن ترى الإكليركي ينفث الدخان عبر فمه وأنفه فيمتلىء بيته بهذه السحابة الداكنة من الدخان المزعج. على

الأسقف وكل الكهنة، بطبيعة خدمتهم، أن يكونوا مصدراً للشذى الروحي ينبعث من كل حواسهم وذلك كي ينقلوا هذا الشذى الروحي لكل مَن يدنو منهم ويعرفهم من مسيحيين وغير مسيحيين كما يقول الإلهي بولس: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة" (٢كور ٢: ١٥-١٦). وعندما يجتذب الإكليركي إلى جسده عبر فمه وأنفه تلك الرائحة المقرفة التي لا يستطيع الكثيرون احتمالها، لا بل يفقد بعضهم الوعي من جراء استنشاقها، فكيف سيتمكن هذا الإكليركي أن يسلك في طريق دعوته فيكون عطر المسيح، وعطر الحياة المسيحية لكل مَن حوله؟ لهذا السبب هناك في هذه المملكة الكلية الورع، أعني بها روسيا ذلك القانون الصارم الذي يحظّر على جميع الإكليركيين في كل مراتبهم، وعلى الرهبان أيضاً أن ينفثوا الدخان من فمهم وأنوفهم أمام الملأ. وكل مَن يخالف القانون يُعَدّ عاصياً وجديراً بالإقصاء.

أخيراً كان استخدام التبغ بإفراط من شأنه أن يُلحق الضرر بصحة الجسد، وكثيرون من المدمنين على الدخان، كانت رئاتهم بعد مماتهم سوداء وقاتمة، ودماغهم أيضاً. وبمقدار ما يتلقى الدماغ هذا الدخان، فهذا يجعله يستهلك السوائل بإفراط، ليس الطبيعية فحسب، بل الجوهرية أيضاً. لذا من الصعب أن يجد المرء بين المدخنين مَن لا يقرّ بأنه شر أكثر منه ضرورة، وأنه يلوم نفسه لكونه مدخناً. والفلاسفة الأخلاقيون أنفسهم، بدون استثناء، يشجبون التدخين في المحافل العامة، فهو في نظرهم أمر ممقوت ومقرف. **(الأب منيف حمصي)**

س ٢١- شرب الخمرة من الأمور التي حلّلها البعض وحرّمها البعض الآخر. هل تحرّم الكنيسة الخمرة؟

ج ٢١- إذا كانت الكنيسة تحرّم الخمرة بصورة مطلقة، فهذا يعني إلغاء سر الشكر الذي فيه يتحوّل الخمر إلى دم الرب، والخبز إلى جسده الطاهر.

لا بد للإجابة على السؤال أن نميّز في مسألة الخمرة بين الضرورة والسكر. على هذا الأساس، الكنيسة لا تمنع الخمرة عند الضرورة، لكنها لا تقبل بها بهدف السكر.

فالخمرة هي عصير العنب، والكنيسة لا تحرّم العنب لكونه مادة مخلوقة. الكنيسة لا تمقت المادة في كل أشكالها. ولكنها تنبّه إلى كيفية استخدام كل شيء. والرسول بولس يقول: "كل شيء يحق لي، ولكن ليس كل شيء يوافق. كل شيء يحق لي، ولكن لا يتسلّط عليّ شيء".

وتتألّف الخمرة كعصير للعنب من نسبة من الكحول. والكنيسة – من هذا القبيل – ليست ضد الكحول. فالكحول تُستخدم في ميدان الطب للتعقيم. كما وتُستخدم في العطور. كذلك تدخل الكحول في تركيبة عدد من العقاقير الطبية. ومن جديد، المشكلة ليست مع الكحول بل مع الإفراط والغلو. الكنيسة تميّز بين الشيء ومخاطره. الماء نفسه النافع للجسم، والضروري للحياة، إذا شربنا منه بكثرة، من شأنه أن يشكّل خطراً على حياتنا وأذى لجسمنا.

ونجد في الكتاب المقدس في حادثة السامري الشفوق (لوقا ١٠: ٣٤)، كيف أنه استخدم الخمرة والزيت من أجل شفاء المريض. كذلك فإن الرسول بولس يقول لولده تيموثاوس: "... لأن قليلاً من الخمرة... نافع لمعدتك وأسقامك" (١تيمو ٥: ٢٣).

ولا يخفى على أحد أن البلاد القطبية يعمد سكانها إلى الكحول من أجل تدفئة الجسم، الأمر الذي لا يحتاج إليه سكان المناطق الحارة.

باختصار تميّز الكنيسة بين الخمر والسكر (لاويين ١٠: ٩؛ قضاة ١٣: ٤ و٣: ١٤).

نحن في الكنيسة نمتنع عما يؤذي ويعرقل حياتنا وسويتنا ورصانتنا كأساس لحياتنا مع الرب (أمثال ٢٣: ٢٠).

ويشدّد الرسول على ضرورة التمييز بين الخمر والسكر فيقول: "لا تسكروا بالخمر التي للخلاعة، بل امتلأوا بالروح" (أفسس ٥: ١٨). ويقول سفر الأمثال: "... لأن الذي يترنّح بها ليس بحكيم" (أمثال ٢٠: ١؛ وعبر ٢: ١٥). فالكتاب المقدس يحرم السكير من دخول ملكوت المسيح (١كور ٦: ١٠)، لا بل يمنع المسيحي من مخالطتهم (١كور ٥: ١١). الكتاب المقدس لا يقبل أن يكون المسيحي سكيراً (أمثال ٢٣: ٢٩– ٣٠؛ وأمثال٢٣: ٣١–٣٢). وعند بطرس الرسول تقترن الخمرة بالدعارة (١بطر ٤: ٣؛ و١تيمو٣: ٨؛ ولاو١٠: ١٩؛ ودانيال ١٠: ٣ و١: ٥؛ وعدد ٦: ٣). الخمرة تسيء لمحتسيها وتُبعده عن الإيمان ومحبة الله، وتقوده إلى نسيان وصايا الله (أمثال ٣١: ٤) **(الأب منيف حمصي)**

س ٢٢– هل يجوز للمسيحي أن يختن طفله في أيامنا الحالية؟ ألا تُعتبر هذه الممارسة يهودية ومنتمية إلى العهد القديم ونحن أبناء العهد الجديد؟

ج ٢٢– المسيحية أبطلت شريعة الختان. فلا يجوز للمسيحي أن يختن ابنه إلا إذا طرأت ضرورة طبية. والضرورات الطبية نادرة. عاش المسيحيون ١٩–٢٠ قرناً بدون الختان. العودة إليه نكسة يهودية. ونحن رفضنا اليهودية وختانها. المعمودية حلّت محلّه (كولوسي ٢: ٩–١٢). سحقاً للتهوّد من أينما أتى. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٣– ما رأيك بالموت الرحيم euthanasia أو إيقاف أجهزة التنفس الاصطناعي التي تدعم حياة مريض ميؤوس منه؟

ج ٢٣– تعلّم الكنيسة أن الإنسان مخلوق على صورة الله وأن القتل جريمة فاحشة. لا أقبل العدوان على الحياة البشرية بأية صورة من الصور. متى تساهلنا في أي لون مِنه فتحنا الباب واسعاً لتساهلات أخرى. لسنا أرحم من الله. لا نعرف كيف يستقبل المريض الملائكة عند مفارقته الحياة. اللاهوتيون الأرثوذكس رفضوا ذلك. نعيب على أوغسطين السماح بالدفاع عن النفس، فأبادر بقتل مَن سعى إلى قتلي. فالقتل رحمة بالمريض أو لإنقاذ مريض أو لإنقاذ الآخرين فرعٌ من فروع نظرية أوغسطين. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٤– ما هو موقف الكنيسة من الإجهاض؟ وهل يُسمح بالإجهاض في حالات الاغتصاب؟

ج ٢٤– الإجهاض قديمٌ في التاريخ البشري، لهذا كان على الكنيسة أن تواجهه بحزمٍ ووضوحٍ منذ نشأتها. فالقديس باسيليوس الكبير أعلن في القرن الرابع: "إن الذين يعطون جرعات (دوائية) لإهلاك الطفل الذي حُبل به في الرحم هم قتلة؛ مثل الذين يأخذون جرعات (دوائية) تقتل الطفل" (القانون الثامن للقديس باسيليوس). وأيضاً القانون ٩١ للمجمع المسكوني السادس (٦٩١): "أما بالنسبة للنساء اللاتي يزّودن بعقاقير بهدف إحداث الإجهاض واللاتي يتناولن سموماً قاتلة للجنين، فإنهن يخضعن للعقوبة الخاصة بالقتلة".

المسيحية تقدّس الحياة البشرية، وتحرّم قتل أي إنسانٍ مهما كان السبب الذي قد تشرّعه الشرائع البشرية (التخلّف العقلي، عقوبات الإعدام، الارتداد عن الدين، أسباب سياسية، الخ). فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، والرب يسوع قدّم ذاته في سبيل الإنسان لكي يتقدّس الإنسان به وكي تكون له الحياة الأبدية. فالحياة البشرية هبة من الله وهو الوحيد صاحب السلطان المطلق في التصرّف بها. لهذا حرّم الله القتل منذ القدم في العهد القديم (الوصية السادسة). ومن جهة أخرى لم يحرّم العهد الجديد القتل فقط بل وضع نبرة خاصة على قداسة الإنسان وأهميته وهو بعد في الرحم. فعندما كان الرب يسوع في رحم والدة الإله، دعت اليصاباتُ مريمَ "أم الرب"، مشيرة إلى أن الذي في رحم مريم هو الرب المتجسد، إنساناً كاملاً (وإلهاً كاملاً) حتى قبل أن يولد بعد. وبالوقت نفسه أثار سلامُ مريم لاليصابات يوحنا المعمدان الذي ارتكض ابتهاجاً وهو بعد في رحم أمه اليصابات (لو ١: ٤٤)، مما يدلّ على أن للجنين حساً وشعوراً معينين وبالتالي فهو إنسانٌ كامل حتى قبل ولادته. من هنا نفهم لماذا تعتبر الكنيسة أن الجنين شخصٌ وأن له حقوق الحياة التي للإنسان المولود. وأيضاً ترفض الكنيسة رأي المدافعين عن الإجهاض القائل بأن للمرأة الحامل حرية التصرّف بجسدها في أول ثلاثة أشهر من الحمل[١٤]. فالكنيسة ترى أنه متى حصل الإلقاح تمَّ خلق شخصٍ فريد مستقلٍ عن والديه وإن كان يعتمد فيزيولوجياً على جسد أمه في استمرار حياته في أول ستة شهور من الحمل على الأقل. فخلق إنسانٍ جديد يتم في لحظة الإلقاح وليس ساعة الولادة. وليست فترة الحمل سوى نمو وتطوّر هذا المخلوق الجديد إلى إنسان كامل جسدياً. لهذا تحتفل الكنيسة بعيد التجسد الإلهي يوم بشارة العذراء (يوم الحبل به من الروح القدس) وليس يوم ميلاد المسيح.

من هنا نستطيع أن نفهم أنه لا يوجد مبررٌ واحد للإجهاض إلا في حالة واحدة فقط وهي عندما يكون الحمل مهدِّداً لحياة الحامل واستمراره سيقتل الحامل حتماً. الكنيسة دائماً تختار أهون الشرّين وتقف إلى جانب إنقاذ حياة الحامل (أسوة بالطب)[١٥]. ورغم

(١٤) في العام ١٩٧٣ سمحت المحكمة الأمريكية العليا بالإجهاض في أول ثلاثة أشهر من الحمل لأسباب غير طبية.

(١٥) هذا رأي عدنان. من العسير أن تتخذ الكنيسة رأياً يقبل بالقتل. في الجواب ٢٧ عدنان معتدل بما يلزم تطبيقه هنا (اسبيرو جبور).

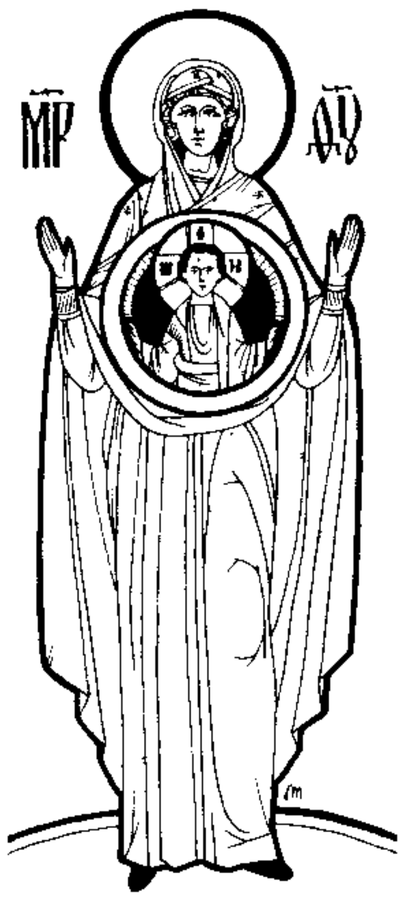

ذلك لا تغيّر الكنيسة من موقفها حتى في هذه الحالة، وتعتبر أن هذه الحالة مؤسفة جداً وأن الجنين الذي تم إسقاطه أو إجهاضه هو إنسان قد مات وتجب الصلاة على روحه. أما في حالة الحمل نتيجة الاغتصاب أو علاقة جنسية غير شرعية، فالكنيسة تعترف بأن هذه الحالة مأساوية وتنصح بالمشورة الروحية مع الطبية لكنها قطعاً لا تنصح بالإجهاض. فطالما سمح الله للحمل أن يتم، رغم أنه كان باستطاعته أن يوقفه، فلا يجوز للإنسان أن يلعب دور الله ويحلّل الإجهاض. النصيحة الطبية والروحية في مثل هذه الحالات هي منع الإلقاح قبل حدوثه بالوسائل الطبية.

فكرة الإجهاض في حالة الجنين المشوّه تخلق حالة صعبة على المستوى الطبي والروحي. (معرفة التشوّهات الخلقية قبل ولادة الجنين هي إحدى ضرائب التقدّم العلمي الباهظة). طالما سمح الله لهذا الحمل أن يتمّ ولهذا التشوّه أن يحدث فلا بد للوالدين أن يشتركا في الخيار الإلهي مهما بدا صعباً. بالطبع الكنيسة دائماً تنظر بمحبة وتفهّمٍ إلى مثل هذه الحالات، وتتجنّب دينونة الوالدين اللذين يحتاجان إلى الرحمة والمشورة الروحية لا الإدانة. في النهاية تشجّع الكنيسة أبناءها أن يطلبوا المشورة الروحية من الآباء الروحيين، لأن صلاة البار تقتدر كثيراً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٥– ما هو تعليم الكنيسة حول موانع الحمل؟ وما هو الفرق بين تعليمها والتعليم الكاثوليكي؟

ج ٢٥– فيما يلي الجواب المختصر لهذه المسألة. في الفصل الخاص بالملاحق في نهاية الكتاب توجد مناقشة مفصّلة.

غاية الزواج: كان إنجاب الأطفال في اليهودية هدفاً رئيسياً للزواج إن لم يكن الهدف الأول. ففكرة القيامة في اليهودية ظهرت متأخرة، وبالتالي كان إنجاب الأولاد تعزية مهمة وضرورية.

أما الرسول بولس فلا يرى أن هدف الزواج هو إنجاب الأطفال بل إطفاء "التحرّق". ولدى القديس يوحنا الذهبي الفم يأتي هدف إنجاب الأطفال في المرتبة الثانية بعد هدف

الاتحاد المنشود والعيش المشترك بين الزوج والزوجة. لهذا لم يكن العقم قط مبرِّراً في الكنيسة الأرثوذكسية للطلاق لأنه لا يطعن في قدسية سرّ الزواج ولو أن الكنيسة تصلّي أثناء خدمة سر الزواج من أجل مباركة ذرية المتزوجين.

ومن جهة أخرى فالكنيسة رفعت الزواج إلى مرتبة سرٍّ على صورة اتّحاد المسيح بالكنيسة. لهذا دانت مجامع كنسية عديدة جميع الذين يحطّون من قدر سر الزواج المقدس ومن الجنس في الزواج، رغم ظهور بعض التيارات ضمن الكنيسة التي حاولت الحطّ من قدسية الزواج والجنس فيه. ومع ذلك، ما زال التعليم الكنسي واضحاً على مر العصور: البتولية المكرَّسة أرفع رتبة من الزواج، لكنها دعوة، ولا يحتملها أيٌّ كان، بينما الزواج هو سرٌّ مبارك لَمن لا يستطيع قبول البتولية المكرَّسة. . يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

"إذاً، أُعطي الزواج لنا من أجل التكاثر أَيضاً، إنما بالأكثر جداً لغاية إطفاء طبيعتنا المحترقة." "ما هي إذاً غاية الزواج، ولماذا أعطاه الله؟ أصغوا إلى بولس الذي يقول: 'ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته.' هكذا كي نتجنب الزنى، على كل واحد أن يكون له امرأته. لهذا، يوجد سبب واحد فقط من أجله يجب علينا أن نأخذ زوجة: لكي نتجنّب الخطية وأن نتحرّر من كل زنى. لهذه الغاية أُعطي الزواج بحيث تعمل كل الأشياء فيه لمصلحة اعتدالنا"(١٦).

إذاً ما يقصده القديس يوحنا الذهبي الفم هنا هو أنه يمكن للزوج والزوجة أن يمتنعا لفترة عن علاقتهما باتفاق الطرفين من أجل الصوم والصلاة، ومن ثم يجتمعان معاً ثانية من أجل الزواج. أي أنهما لا يحتاجان إلى الإنجاب كحجّة للاجتماع معاً. لأن الإنجاب ليس السبب الرئيسي للزواج. وإنجاب الأولاد الكثيرين ليس سبباً لاجتماعهما لأن الكثيرين من المتزوجين يكتفون بعدد قليل من الأولاد.

التعليم الكاثوليكي: الفكر الغربي الخاص بالجنس والزواج معتمدٌ تماماً على وجهة نظر أوغسطينوس (رقد ٤٣٠). كان أوغسطينوس يعتبر أن الجنس والغريزة الجنسية هما

---

(١٦) Econium to Maximus

القناة التي بواسطتها قد انتقل ذنب "الخطية الأصلية"، إلى ذرية آدم. وبالتالي فالزواج هو بحد ذاته خاطئ بمقدار ما يفترض الجنس، ولا يمكن تبريره إلا "بولادة الأولاد". وبالتالي، إذا تمَّ منع ولادة الأولاد بصورة اصطناعية فإن العلاقة الجنسية – حتى في الزواج الشرعي – هي بصورة أساسية خاطئة.

وإذا تبنّى المرء وجهة نظر أوغسطينوس فإن العلاقات الجنسية التي لا تُثمر أولاداً هي خاطئة عندئذ. في اللاهوت اللاتيني الأخلاقي، إن العمل الزوجي إذن مقبولٌ فقط بنيّة التكاثر. وفي الواقع عندئذ يوجد الزواج إذن ويُعرَّف بالتكاثر.

يوجد رأيان حول دور الجنس في الزواج. رأيٌ يرى أن الدور البيولوجي للجنس هو إنجاب الأطفال فقط، وبالتالي فالجنس في الزواج مسموح به فقط إذا كان يخدم هذا الدور. من هنا يستنتج أصحاب هذا الرأي أن موانع الحمل غير مسموح بها لأنها تحرف الجنس في الزواج عن دوره الحقيقي. رأي الكنيسة الكاثوليكية يقع ضمن إطار هذا الرأي. لكن توجد اعتراضات مهمة على هذا الرأي. فأولاً، لا يوجد في العهد الجديد ما يدعم هذا الرأي. ففي المرات القليلة التي ذُكر فيها الزواج والجنس لم يكن لإنجاب الأطفال الأولوية في أهداف الزواج أو الجنس. ثانياً، لو كان إنجاب الأطفال هو الهدف الرئيس من الزواج لكان الطلاق مشروعاً في حالة العقم. ثالثاً: إن فكرة السماح بالجنس فقط من أجل الإنجاب ضمن إطار الزواج قد تجعل الجنس في الزواج "زنى مشروعاً" برّرته الغاية وهي الإنجاب. أما الرأي الثاني فيرى أن للجنس دوراً مهماً في علاقة الحب بين الزوجين. إنجاب الأطفال هنا هو جزء من علاقة الحب المتبادلة عندما يشترك الزوج والزوجة في عملية الحَبَل التي هي صورة عن عملية الخلق. لهذا فموانع الحمل تلعب دوراً مهماً في تنظيم الأسرة مما يسمح للجنس بأن يتخذ بُعده الأصيل الذي هو صهر الزوجين في وحدة جسدية–روحية واحدة. لكن الجنس بحد ذاته ليس ضرورياً في هذه الوحدة الزوجية، لأننا نعرف عدداً من المتزوجين في تاريخ الكنيسة الذين اختاروا طوعاً أن يتجاوزوا دور الجنس الجسدي في علاقاتهم الزوجية بدون المسّ بسرّ زواجهم (كالقديس يوحنا كرونشتادت مثلاً). وبالمقابل لا يكون إنجاب الأولاد شرطاً ضرورياً لسلامة العلاقة الزفافية. وبالطبع لا يوجد دور لموانع الحمل خارج إطار الزواج لأن الجنس خارج الزواج مُدانٌ في الكنيسة.

إن الشهوة الجنسية مغروسة إذاً عميقاً في كل واحد منا وبالتالي فهي ليست شراً. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "الشهوة ليست شراً. لكن عندما تسقط في الإفراط ولا تبقى ضمن قوانين الزواج، وتتعدى إلى زوجات الآخرين، عندئذ تصير زنى، ليس بسبب الشهوة بل عدم الإشباع"(١٧).

القيامة مصوَّرة بالحب الزوجي: لا يتردد الكتاب في استعمال صور غنية عن الخطية وحتى عن الحب الزوجي الحميمي كرمز للحب المتبادل الكامل بين المسيح وعروسه الكنيسة: "لأني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدّم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كور١١: ٢). "أيها الرجال احبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها...كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم...فإنه لم يبغض أحدٌ قط جسده، بل يقويه ويربّيه كما الرب أيضاً للكنيسة، لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (افس٥: ٢٥، ٢٨-٣٢). إن سفر نشيد الأناشيد هو عشق مجازي للمسيح العريس نحو عروسه الكنيسة. تُظهر صلاة قبل المناولة المقدسة حميمية أعضاء جسد المسيح مع العريس: "لقد شغفني شوقُك أيها المسيح، ونقلتني بعشقك (eros) الإلهي...".

لو كان إنجاب الأولاد شرطاً أساسياً للزواج أو عنصراً من صميم لاهوته، لما أمكن للكنيسة عندئذ أن تزوّج إلا الذين سينجبون أولاداً حتماً، ولكان طلاق العاقرين أمراً مشروعاً. بالطبع هذا أمر مرفوض. فبعض المتزوجين سيكتشفون بعد زواجهم أنهم لن يستطيعوا الإنجاب. والبعض الآخر يعرف حتى قبل الزواج باستحالة الإنجاب لسبب مرضي غير قابل للشفاء. والكنيسة لم تتبنَّ قط أي قانون يحرّم تزويج هؤلاء أو يمنعهم من ممارسة العلاقات الزوجية فيما بينهم. ولم تحرّم الكنيسة العلاقات الزوجية بين الذين أنجبوا العدد المرغوب به من الأولاد أو الذين تقدّم العمر بهم. هذا النوع من التحريم ينتهك حرمة روح الإنجيل وتعليم السيد نفسه الذي قال: "إذاً ليسا بعد اثنين بل جسدٌ واحدٌ، فالذي جمعه الله لا يفرّقه إنسانٌ" (مت١٩: ٦).

---

(١٧) الموعظة ٢٠ على الرسالة إلى أهل أفسس.

"اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٨)

إن وصية الله المعطاة لكل الناس "اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٨) لا تشير حصراً إلى التكاثر الجنسي، وإلا كم كبيرة ستكون خطية الذين يمضون حياتهم بعناد رافضين حفظ هذه الوصية، بما في ذلك المتزوجين الذين لا أولاد لهم، والرهبان والراهبات والأساقفة والذين قد نذروا البتولية. لكن الآباء يقولون إن الكائنات العاقلة قد أُعطيت طرقاً أخرى للتكاثر، ولا تتحقق هذه الوصية بالإنجاب فقط. الذهبي الفم يلخّص لنا جواباً تنزيهياً إنما جامعاً بخصوص الأمر الإلهي "انموا واكثروا واملأوا الأرض" بقوله: "سواء بهذه الطريقة أو بأخرى فإني عاجز عن القول. ما يجب ملاحظته هنا الآن هو أن الزواج لم يكن ضرورياً لله لكي يكثر البشر على الأرض... والآن ليست قوة الزواج هي التي تحفظ نسلنا موجوداً، بل كلمة الرب الذي قال في البدء: "انموا واكثروا واملأوا الأرض[١٨]".

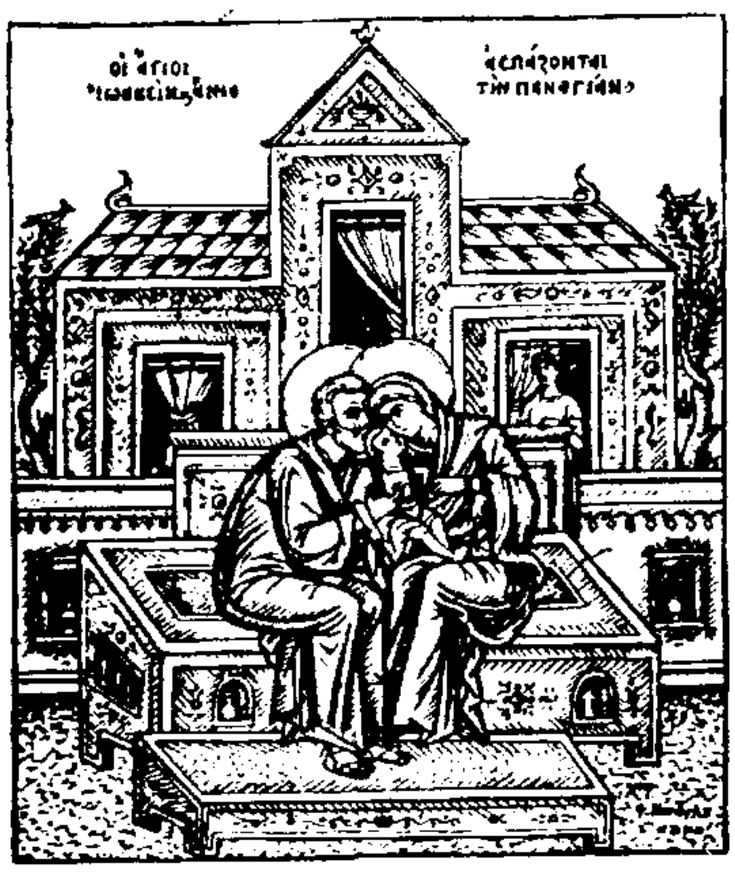

"ها أنذا بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١: ٥): يقول القديس الكاثوليكي برنارد إن الاتحاد الجنسي بين يواكيم وحنّة "أتى بعد شهوة"[١٩]، وبالتالي كان شراً، عملاً ملوماً، وليس مجرد خطية بالمعنى العام لطبيعة الإنسان الساقطة وحالته في العالم. وقد اقتبس صرخة داود واعترافه بطبيعته الخاطئة: "ها أنذا بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١: ٥). وقد فسّر برنارد، مثل أوغسطينوس، هذه الآية بصورة لا تقل أبداً عن إدانة العلاقات الزوجية بشكل عام، وعن العلاقات الزوجية بين والدَي داود بشكل خاص. فاستعمل هذا النص ليؤيّد رأيه غير الصحيح عن الحبل الطبيعي بمريم. تقول الموسوعة الكاثوليكية الجديدة: "حاجَّ برنارد أن الروح القدس لم يستطع أن يتورط بأي شيء شريرٍ جداً بشكل موروثٍ مثل الحبل بطفلٍ"[٢٠].

---

(١٨) في البتولية ١٤–١٧، ٦٠–٥٤٤، ٤٨ اذ

(١٩) Epistle 174, to the Canons of the Cathedral of Lyons

(٢٠) New Catholic Encyclopedia, vol. 7, p. 380

من جهة أخرى، يقول التقليد الأرثوذكسي الآبائي إن العناية الإلهية كانت تعمل بوضوح في الحبل بوالدة الإله وفي إنجاب أسلافها. يقول الآباء إن قداسة و"الصعود المتعاقب لأجيال أسلاف والدة الإله المختارين والمتطهرِّين كانا تهيئة" وتهذيباً قد أديا إلى الحبل بوالدة الإله وأفضيا إليها. أيضاً، لم ينتقص التقليد المقدس قط من قيمة الاتحاد الجنسي بين يواكيم وحنّة (والدَي العذراء مريم) ولم يعتبره خطية أو تعدياً أخلاقياً. وبالفعل إن زرع يواكيم قد سُميّ "طاهراً "spotless[٢١] من قبل القديس يوحنا الدمشقي. وعن اتحادهما وعن جميع الاتحادات يتكلّم القديس مكسيموس المعترف عن اتفاق الآباء قائلاً: بعد السقوط، كان للطبيعة البشرية كمصدر لولادتها الذاتية حبلاً باللذة الحسية والزرع، وولادةً إلى حالة من الفساد، وفي النهاية ألماً وموتاً من خلال الفسادية.

وكما قال داود، كلنا بالآثام قد حُبل بنا، لكن الحبل بالآثام (بالتعديات) هو ليس مثل الحبَل "بواسطة" الآثام. كما عندما نقول: "نحن بالخطايا نعيش" أي في عالم من الخطايا وليس بواسطة الخطايا نعيش.

شروط موانع الحمل: أن تمنع الإلقاح قبل حدوثه، وليس تعشيش البيضة الملقحة في بطانة الرحم (الأجهزة داخل الرحم IUD غير منصوح بها)؛ أن تكون برضى الطرفين وبإرادتهما الحرة؛ أن لا تكون بسبب الأنانية وكراهية تربية الأولاد، بل بغية تنظيم الأسرة؛ أن لا تكون غير عكوسة؛ أن لا تكون بهدف الممارسة الجنسية غير المشروطة وغير الواعية وغير العفيفة؛ وأن تكون بمشورة الأب الروحي.

أخيراً، الجنس شهوة. وبما أن الحياة المسيحية هي حرب ضد تملّك الشهوات على الإنسان لهذا يجب أن لا يكون الإنسان أسير شهوة الجنس، بل أن يكون للجنس بُعدٌ روحي ممارَسٌ ضمن إطار الزواج حصراً. لهذا لا يعني استعمال موانع الحمل أن يصير الجنس شهوة آسرة للإنسان وأن يصير الإنسان عبداً للجنس طالما لا يوجد خوف من إنجاب الأولاد. فكما يمكن إساءة استعمال الجنس يمكن أيضاً إساءة استعمال موانع الحمل. **(د. عدنان طرابلسي)**

---

(٢١) يوحنا الدمشقي: الموعظة في ولادة والدة الإله الفصل الثاني. يشير هذا إلى الزواج الطاهر والعفيف لوالدَي العذراء.

س ٢٦– الكثير من الناس يعتقدون أن الجنس بين الزوجين مسموح به فقط بهدف الإنجاب. هل هذا صحيح؟

ج ٢٦– راجع السؤال السابق المتعلق بموانع الحمل. (د. عدنان طرابلسي)

س ٢٧– التلقيح في الزجاج "خارج الرحم" in vitro fertilization من التطورات الطبية المهمة في العصر الحديث. وهذا التطور يطرح على الكنيسة جملة من المسائل الأخلاقية والاجتماعية. ما هو في رأيك موقف الكنيسة من هذه المسألة؟

ج ٢٧– بما أن الإنجاب هو أحد ثمار الزواج فالكنيسة تباركه وتبارك الأطفال ثمرته. فالإنجاب هو تعبيرٌ وثمرة لسر المحبة الزوجية الرابطة بين الزوجين على الصعيدين الجسدي والروحي. ومع إنجاب كل طفلٍ يشارك الزوجان الله في عملية خلق إنسان جديد، فتغدو العائلة كنيسة مصغَّرة. هذه الشركة الزوجية تحافظ على قدسيتها طالما لا يتدخل عنصر ثالث غريب بصورة أو بأخرى، سواء أكان هذا العنصر شخصاً ثالثاً (الخيانة الزوجية)، أو مادة وراثية غريبة (نطفة أو بيضة مصدرهما غير والدي)، أو عضواً (رحم حاضنة غير رحم الأم). من هنا نستنتج أن التلقيح خارج الرحم يستلزم أن يستعمل نطفة الزوج التي تلقّح بيضة الزوجة ومن ثم تُزرع البيضة الملقَّحة في رحم الزوجة. ظاهرياً توازي هذه العملية التلقيح الطبيعي وتحافظ على حرمة سر الزواج وقدسيته.

لكن التلقيح خارج الرحم ليس بهذه البساطة الظاهرية. عملياً يطرح التلقيح خارج الرحم مشاكل مهمة على الصعيد الروحي الأخلاقي. فعندما يتمّ تلقيح البيضة بنطفة الزوج، يتمّ تلقيح الكثير من البيضات قبل أن تؤخَذ البيضة الملقَّحة (في مرحلة الخلية الأرومية) وتُزرع في رحم الزوجة، مما يترك الكثير من البيضات الملقَّحة التي عادة ما تُجمَّد لكي تُستعمل في حال فشل عملية الزرع الأولى. إن إتلاف البيضات الملقَّحة الفائضة يعني إهلاك كمون الحياة الكائن فيها أي عملياً إجهاض الحياة من جسم حي (هو الخلية الأرومية) يملك كل طاقات الحياة البشرية. حالياً، توجد مئات البيوض الملقَّحة المجمَّدة في المخابر قد أهملها أصحابها، وهي تطرح مشكلة أخلاقية خطيرة. أيضاً، ماذا يكون موقف الزوج إن ماتت الزوجة بعد الإلقاح خارج الرحم وقبل زرع

الخلية الأرومية في رحمها؟ إن "استعارة" رحم حاضنة يطرح مشكلة ثالثة لأن المرأة الحاضن هنا ستشوّش توازن الأسرة وتطالب بحقوقها في الأمومة وهذا يطرح مشكلة أخرى عن مَن تكون الأم: هل هي الأم البيولوجية التي قدّمت البيضة بصورة "آلية"، أم المرأة التي حملت طفلاً ليس من صلبها تسعة شهور في رحمها وعانت آلام المخاض والولادة؟ هذا فضلاً عن الاضطرابات التي قد توجد في شخصية الطفل المولود فيما بعد. وماذا يكون موقف المجتمع إن مات الأبوان معاً بعد التلقيح خارج الرحم وقبل ازدراع البيضة الملقَّحة؟ في حادثة مماثلة طالب الأقارب بإتلاف كل البيوض الملَّقحة بعد موت الأبوين بحادث. كان الدافع الرئيسي هو عدم رغبتهم بإحياء وريث لثروة الزوجين المتوفيين الطائلة! هكذا كلما ابتعدنا عن القانون الطبيعي الذي رسمه الله له المجد في حياة الإنسان وكلما أوغلنا في تقليده اصطناعياً ولعبنا دور الله كلما خلقنا مشاكل جانبية لا تقل أهمية، أخلاقياً وروحياً، عن المشكلة الأصلية وهي عدم إمكانية إنجاب الأطفال بالطريقة الطبيعية.

أيضاً توجد مشاكل جانبية تفرضها عملية التلقيح خارج الرحم. فنسبة الأمراض الوراثية في الطفل المولود بهذه العملية تزداد عن نسبتها الملاحظة في التلقيح الطبيعي[٢٢]. هذا فضلاً عن فتح الباب لاختبار أشكال شاذة من التلقيح، واستعمال الأجنة الفائضة لتجارب محرَّمة (مثل الاستنساخ البشري).

ومع ذلك، يوجد اليوم الكثير من الآباء والأمهات الممنونون للتلقيح خارج الرحم والذين يتنعمون بذرية طبيعية من الأطفال. ولا شك أن تقدماً عالياً قد تحقق على مستوى المعالجة الوراثية والهندسة الوراثية ومكافحة الأمراض الوراثية. لهذا، لا بد من محاولة المصالحة بين فوائد التلقيح خارج الرحم وتجنب التأثيرات الجانبية الضارة. في هذا المضمار يمكن ذكر الحل التوفيقي التالي:

بالنسبة للأجنّة الفائضة، يمكن التبرع بهذه الأجنة لأزواج عقيمين لكي تُحتضن ويصار إلى تطويرها إلى أجنة مكتملة النمو. ورغم أن هذا ينتهك قاعدة ألا يوجد طرف

---

(٢٢) في أحدث دراسة طبية نشرتها مجلة New England Journal of Medicine عدد ٧ آذار، ٢٠٠٢، ص ٧٢٥، جاء أن نسبة الأعطاب الوراثية الرئيسية في الأجنة المولودة نتيجة الحقن النطفي داخل البلاسمي أو التلقيح في الزجاج هي ضعف نسبتها في حالات الإلقاح الطبيعي (٨.٦٪ –٩٪ بالمقارنة مع ٤.٢٪).
(N Engl J Med 2002;346:725-30)

ثالث يتدخل في حدثية الإنجاب، إلا أنه يمكن النظر إلى المسألة على أنها تبنٍ للجنين من قبل الزوج العاقر. هنا يجب أن يكون للجنين المتطور إلى طفل كامل حقوق الطفل المتبنَّى نفسها. ورغم أن الموقف الأخلاقي الأرثوذكسي يفضّل ألا توجد أجنة فائضة، إلا أن تبنّي الأجنة الفائضة يمكن تبريره أخلاقياً طالما يتم التعامل مع البيضة الملقحة والتي كانت مجمَّدة بطريقة تحترم كمون الحياة الكامل الموجود فيها (أي بدون الاتجار بها، وبالتبرع بها للزوج العاقر الذي سيتبناها برضى الطرفين، العاطي والآخذ، وأن تُقبل ضمن شروط التبني المتعارف عليها، وأن يقبل الزوج المتبني أية تشوهات خلقية أو أمراض وراثية قد توجد في الجنين المولود).

حتى نبلغ إلى اليوم الذي يمكن فيه إجراء التلقيح خارج الرحم بنجاح بدون وجود أجنة مجَّمدة فائضة، نستطيع القول أنه يمكن حالياً القيام بهذه العملية إذا توفّر مَن يتبنّى الأجنّة الفائضة.

لهذا يجب ألا تشجّع الكنيسة أبداً على التلقيح خارج الرحم بدون شروط، بل تشجّع أبناءها على التبنّي الذي هو على مثال تبنّي الرب يسوع لنا وصيرورتنا أعضاء في جسد واحد هو الكنيسة. إن النضج الروحي للزوجين هو عنصرٌ مهم في توجيه حياتهما الزوجية تحت إرشاد الأب الروحي. ومن جهة أخرى يجب ألا ننسى أن الصلاة هي الحل الأمثل لمسألة العقم لدى الزوجين قبل وبعد فشل الوسائل الطبية لمعالجته. والكتاب المقدس يقدّم لنا صوراً حيّة حقيقية عن عاقرات قد حبلن (سارة واليصابات وحنّة). فما يعجز عنه الطب والإنسان لا يعجز عنه الله. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٨ – بعد نجاح الاستنساخ cloning الحيواني وتتالي الأنباء عن قرب تطبيق الاستنساخ على خلايا بشرية، صار من الطبيعي أن يتدخل الاختصاصيون في علوم الدين والاجتماع والأخلاق، الخ، لكي يدلو كل واحد منهم بدلوه. فما هو موقف الكنيسة، إن كان لها موقف رسمي، من الاستنساخ؟ وكيف نقوّم هذه العملية من وجهة نظر اللاهوت الأرثوذكسي؟

ج ٢٨ – نورد هنا إجابة مختصرة. أما في فصل الملاحق فسنورد الدراسة المفصَّلة.

الاستنساخ تطوّر في علم الحياة والوراثة لـمّا تُستكمل أبعاده بعد ولا تجاربه ولا ممارساته، لهذا لا تستطيع الكنيسة هنا سوى ذكر المعايير والمقاييس العامة التي بموجبها يجب أن نقوّم علماً تجريبياً كهذا. المبدأ نفسه ينطبق على الهندسة الوراثية Engineering Genetic ، وعلم تحسين النسل Eugenics، والمعالجة الوراثية.

طالما، ويا للأسف، لا توجد مرجعية أرثوذكسية كنسية عليا تستطيع البتّ في مثل هذه القضايا وسواها، لهذا لا نستطيع الادعاء أن مناقشتنا هنا لمثل هذا الموضوع هي جواب الكنيسة الأرثوذكسية على الاستنساخ[٢٣]. كل ما نستطيع قوله هنا هو أن الكاتب يحاول أن يسلّط للمؤمنين بعض النور على الجوانب العلمية واللاهوتية للموضوع فحسب، مع ذكر رأيه الشخصي فيها والذي يؤمن أنه بداية لحوار مفتوح حول علم ربما لن ينغلق أبداً في المستقبل.

تعريف الاستنساخ (التنسيل cloning): هو تكوّن كائن حي كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي آخر، كفردَي توأم البيضة الواحدة مثلاً. الاستنساخ هو توالد لا جنسي، لا يحدث فيه إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر. فالاستنساخ ليس خلقاً من عدم، ولا يطابق ولادة التوائم الحقيقية.

في ٢٧ شباط ١٩٩٧ نشرت مجلة "الطبيعة Nature" تقريراً لفريق اسكتلندي يعلن عن ولادة أول كائن حي من الثدييات (الحيوانات اللبونة) بالاستنساخ. تجربة استنساخ دولي نجحت بعد ٢٧٧ تجربة اندماج خلايا ضرعية (٣٦،٠٪).

الاستنساخ لا يساوي التوائم المتماثلة (الآتية من البيضة الملقَّحة الواحدة نفسها)، لأن الكوندريات mitochondria في الإخصاب الطبيعي تأتي من الخلية البيضية، أي من الأم نفسها. أما في الاستنساخ فكوندريات الفرد تأتي من الخلية البيضية أيضا، لكن ليس من "الأم" التي زوّدت الخلية الجسمية (الضرعية).

دوافع الاستنساخ:

الدوافع العلمية: كان الدافع العلمي الأساسي للاستنساخ هو اختبار قدرة نواة الخلية

(٢٣) الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا الشمالية عبّرت عن رأيها بالإجماع حيال الاستنساخ وبقية التجارب الوراثية في تصريح أدلت به كما سنرى نصه في نهاية هذه الدراسة.

المتمايزة وظيفياً. أيضاً: دراسة وظائف الجينات، تطوير الهندسة الوراثية، اكتشاف الخريطة الوراثية للإنسان..الخ.

الدوافع الاقتصادية: الحصول على نخبة من حيوانات المزرعة ذات خصائص وراثية متميزة؛ استخراج بروتينات معينة بالهندسة الوراثية (هرمون الأنسولين، هرمون النمو، الخ)؛ معالجة الأمراض الوراثية، الخ..

ينقسم العلماء إلى فريقين: فريق يؤيّد الاستنساخ على البشر وفريق يحرّمه.

الفريق المؤيّد: يقول هذا الفريق إنه بالاستنساخ يمكن الحصول على أعضاء يمكن استعمالها كقطع غيار في حالات المرض، أو الحصول على مواد بيولوجية مفيدة للإنسان، أو الحصول على أفراد ذوي خصائص فائقة (نخبة).

الفريق المعارض: لدى هذا الفريق فإن الاستنساخ يناقض القيم البشرية والحضارية، فقد يحوّل الإنسان إلى مجرد سلعة للمتاجرة بها. نستطيع ذكر الملاحظات التالية للفريق العلمي المعارض للاستنساخ باختصارٍ:

١- نسبة نجاح تجربة دولي هي ١ بالألف (تمّ استعمال ألف خلية بيضية). هذا الاحتمال الصغير جداً غير مقبول أبداً في التجارب على الخلايا البشرية.

٢- الاستنساخ توالد لا جنسي يخلو من التنوّع الحيوي، وبالتالي إذا تمّ إنتاج قطيع من الأبقار مثلاً بالاستنساخ فإن ردود فعل القطيع بكامله تجاه تأثير ما (عوامل البيئة) سيكون واحداً. وإذا كان رد الفعل سلبياً فقد يهددّ سائر القطيع بالانقراض. لهذا فدور الجنس (تمازج المواد الوراثية من مصدرين مختلفين) في الإنجاب هو أمر فائق الأهمية. وهذا ما يلغيه الاستنساخ.

٣- اختيار مَن يجب استنساخه أمرٌ لا يمكن حلّه. فالناس منقسمون فيما بينهم بخصوص أية خصائص هي المرغوبة والمطلوب استمرارها والحفاظ عليها في النسل.

٤- حتى لو افترضنا أننا متفقون على الخصائص الحميدة للنسل البشري. فإنه لا يمكننا أن نضمن أفضل بيئة قبل الولادة وخلالها وبعدها لكي نحصل على هذه الخصائص الحميدة، لأن للبيئة دور مهم في ظهور الخصائص.

٥- وإذا افترضنا جدلاً أنه أتى اليوم عندما يمكننا فيه أن نتحكّم في البيئة وبالتالي في ظهور الخصائص المرغوب بها، فإن الصفات الوراثية الحميدة اليوم قد تصبح خصائص ضارّة في الغد، والشخص الخّلاق اليوم قد يصبح عاجزاً في المستقبل.

٦- تأثيرات البيئة بعد الولادة على الدماغ البشري: تستحق هذه الملاحظة المهمة فقرة منفصلة عن سابقتها نظراً لأن الدماغ البشري له الدور الأكبر في حياة الإنسان. فلو افترضنا أننا استطعنا التحكم بالمواد الوراثية بالاستنساخ والتحكم بكل العوامل البيئية قبل وأثناء الولادة لضمان استنساخ فرد بشري هو نسخة طبق الأصل عن مصدره، لصادفتنا العوامل البيئية بعد الولادة والتي تتحكم بنمو الدماغ البشري الذي يزداد بعد الولادة بنسبة ٣ ونصف إلى ٤. وهكذا لن يؤدي الاستنساخ إلى خلق فرد نسخة طبق الأصل عن مصدره. هذا فضلاً عن أن التمثيل القشري (على قشر الدماغ) سواء الحسي أو الحركي هو أمر يتغيّر بتغيّر درجة الاستعمال والخبرة. فلا يوجد تمثيل قشري متماثل تماماً حتى بين التوأمين الحقيقيين لأنهما يخضعان لدرجات مختلفة من التحريض والخبرة والتفاعل مع البيئة.

٧- أيضاً، لو استنسخنا امرأة من خلاياها البيضية ذاتها، وعمرها مثلاً ٤٠ عاماً، فإن عمر جينات genes (أو DNA) المرأة المستنسَخة سيبلغ ٨٠ عاماً عندما يصبح عمرها ٤٠ عاماً. ومن المعروف أن الصبغيات تُصاب بتكسر مع تقدم العمر مما قد يؤدي إلى أمراض. هكذا من المستحيل تقليد دور الطبيعة التي صمّمها الخالق بأفضل وأجمل طريقة.

الموقف اللاهوتي من الاستنساخ: ماذا يعني "تحسين" حياة الإنسان وما هي "الأولويات" في حياته؟ هل هي رفاهية حياته المادية، بكل أبعادها، إذا نظرنا إلى الإنسان ككائن اجتماعي بيولوجي صرف، أم أنها حياته الروحية إذا ما نظرنا إليه ككائن لاهوتي روحي؟ ما هو الخير والشر، الصحيح والخاطئ في حياة الإنسان، ما هي "الفضائل" البشرية، وأي سلّم من المعايير تتبع؟ هل الإنسان بحد ذاته، كل إنسان وأي إنسان، غاية أم يمكن أن يكون وسيلة؟ أي هل يمكن التضحية بحياة إنسان واحد في سبيل "رفاهية" جملة من البشر أو حتى واحد منهم فقط، بدون المسّ بكرامة الإنسان كإنسان؟

كل هذه الأسئلة تفرض نفسها عند الحديث عن موضوع مثل الاستنساخ. وباختصار شديد: مَن هو الإنسان؟ جواب هذا السؤال يوجّه أية مناقشة تتعلّق بالإنسان.

مَن هو الإنسان؟: تعريف الإنسان مهم جداً في مناقشة أي بحث يتعلق به مباشرة. فإن فهمنا الإنسان، أصله، حياته، الغاية من وجوده، معناه، نستطيع أن نناقش أي موضوع يتعلق به بصورة تقترب أكثر من الحقيقة. وإذا بدأنا بصورة مغلوطة عن ماهية الإنسان، كانت نتيجة أية دراسة نتيجة مغلوطة.

الإنسان كائن لاهوتي لا بيولوجي بحت. لاهوتي تعني أن له علاقة مميزة خاصة وفريدة مع الله. كائن لاهوتي تعني أيضاً أنه متميّز من سواه من الخلائق في خلقه وحياته ومصيره. فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، وبالتالي لا يمكن فهم الإنسان بدون الله وعلاقته معه. ففصل الإنسان عن أصله ومصدر خلقه وعن الغاية من خلقه وانحداره إلى مستوى الكائنات البيولوجية الأخرى (كالحيوان والنبات) يعني إنقاصه إلى مستوى دون مستواه الأصلي، إلى مجرد خلايا وأنسجة وأعضاء. بهذا يفقد ماهيته الإنسانية لأنه قد جُرِّد من معناه اللاهوتي.

في ولادة كل إنسان يوجد عملية خلق من عدم، عملية يخلق فيها الله فرداً بشرياً جديداً، إنما يعطي الله للوالدين شرف المشاركة بهذه العملية. لا يوجد إنسان لم يخلقه الله. فلا النطفة الذكرية ولا البيضة الأنثوية هما اللتان تخلقان الإنسان. متى حاول الإنسان أن يخلق فرداً بمعزل عن الله سيجد نفسه أمام نظام يخلّ بالتوازن الإلهي في الطبيعة.

معظم المادة الوراثية التي تحدد الخصائص البشرية محصورة في المادة الوراثية المعروفة بالـ DNA، (أو الدنا). بيولوجياً، الإنسان يُعرَّف كفرد متمايز عن غيره بنوعية الدنا في نوى خلاياه. هذا أيضاً ما يميزه بيولوجياً من بقية الكائنات الحية الأخرى (كالحيوانات) التي تمتلك دنا متمايز.

أما لاهوتياً، فتعريف الإنسان هو تعريف تنزيهي apophatical، الإنسان هو الدنا DNA ولكنه يتعالى عن هذا الدنا. هو ما تحويه نوى خلاياه من خصائص وراثية، ومع ذلك يتعالى عن هذه الخصائص. فلا يوجد إنسان بدون هذا الدنا ومع ذلك لا يمكن حصر الإنسان بهذا الدنا وحده. على نحو مماثل، نستطيع القول، إن الإنسان لا يستطيع العيش بدون أوكسجين (الخبز البيولوجي) أو بدون خبز الجسد المصنوع من القمح (الخبز المادي)، ومع ذلك "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". من هنا نفهم أن إنقاص

الإنسان من كائن لاهوتي يعيش على كلمة الله، إلى مجرد كائن بيولوجي يعيش على الخبز المادي، إلى مجرد حيوان، وإلغاء البعد اللاهوتي فيه، الذي يربطه بالله، هذا الإنقاص هو طعن في هوية الإنسان وتشويه لهذه الهوية في الصميم. ففقدان ما هو إلهي في حياة الإنسان يعني فقدان ما هو بشري. فالبُعدان البشري والإلهي في حياة الإنسان هما صنوان لا يفترقان.

الأخلاق المسيحية

الأخلاق المسيحية Christian Ethics هي تصنيف غربي. الأرثوذكسية تركّز على "اللاهوت الأخلاقي Moral Theology"، الذي هو لاهوت نسكي–صوفي بصورة أساسية، فيه ينكشف الصراع الداخلي نحو القداسة من خلال النعمة والقوة المحوِّلة للروح القدس الساكن داخلاً.

معايير اللاهوت الأخلاقي تتبع قيماً مطلَقة تحافظ عليها ولا يمكن إنقاصها إلى قيم نسبية متغيّرة. أيضاً، في علم الأخلاق نجد أن حرية الإنسان هي أمر يتحدد بضوابط متغيّرة بتغيّر الزمان والمكان أيضاً. .

فالأخلاق المسيحية في الكنيسة تختلف في مفهومها عن الأخلاق التي يفهمها العالم، لأن مفهوم الإنسان مختلف كما وجدنا بين الطرفين. الإنسان ككائن لاهوتي مخلوق على صورة الله ومثاله. والأخلاق المسيحية هي أخلاق نسكية صوفية لا اجتماعية عقلانية، لأنها ثمرة تفاعل النعمة الإلهية والإرادة البشرية بغية المحافظة على الصورة الإلهية المتجدِّدة في الشخص البشري لتقوده نحو القداسة.

أيضاً مفهوم "الحرية" مختلف بين اللاهوت الأخلاقي المسيحي وعلم الأخلاق العلماني. فحرية الإنسان لا يمكن أن تُفهم بدون حدود كحرية أي كائن بيولوجي، بل هي حرية كائن لاهوتي تتحدد أبعادها بمقدار ما تخدم وتحترم دعوته ككائن لاهوتي مدعو إلى تحقيق المثال الإلهي والتألّه. فلا يمكن إعطاء حرية مطلقة في السماح بالإجهاض والطلاق..الخ، كما يفعل المجتمع الغربي اليوم في سن تشريعاته الاجتماعية. فللكنيسة الدور الأول في حياة أعضائها وفي صون حقوقهم. وبالتالي فما هو مسموح في عرف القانون المدني قد يكون ممنوعاً أو خطيئة في نظر الكنيسة.

مخاطر الاستنساخ:

يحمل الاستنساخ في طياته الكثير من المخاطر الظاهرية والباطنية. بعض هذه المخاطر لم تتضح كل أبعاده بعد، وبالتالي يصعب الحكم عليها تماماً في الوقت الحاضر. من هذه المخاطر الرئيسة التي يقدّمها الاستنساخ:

١- تقويض العائلة: مَن هو الأب ومَن هي الأم في الاستنساخ؟ مفهوم العائلة يضمحل تماماً في حدثية الاستنساخ مما يهدّد سلامة المجتمع البشري ويُعيده إلى مستوى أدنى من مستوى المجتمعات الحيوانية التي تحافظ على بنية العائلة بصورة غريزية.

٢- أيضاً التوالد الجنسي يُغني المولود بتنوّع في الخصائص الوراثية يساعده على التغلّب على التغيّرات البيئية. (كلما اختزلنا الفروق الوراثية كلما عرّضنا النسل للخطر كما في زواج الأقارب)[٢٤].

عند تقويم احتمالات الهندسة الوراثية والمخاطر الحيوية الناتجة عنها والمتعلقة بالهندسة الوراثية البشرية، يجب التمييز بين التقنيات العلاجية والتقنيات التحسينية، لأن التقنيات العلاجية أمر مرغوب به ويجب تشجيعه كجزء من دور الإنسان الكهنوتي الملوكي في العالم. ففي التقنيات العلاجية يمكن للهندسة الوراثية إنتاج مواد حيوية مثل الأنسولين البشري والانترفيرون الخ.. فالمعالجة الجينية تسعى لكشف وتصحيح الأخطاء الجينية في الرحم، قبل أن يؤثر هذا الخلل على الجنين، وبالتالي للهندسة الوراثية دور مهم في مكافحة أمراض وراثية معينة.

٣- الاستنساخ يهدف إلى إيجاد إنسان "متفوق" بالمقاييس البشرية، أي إلى إيجاد إنسان آخر على صورة الإنسان ومثاله وليس على صورة الله ومثاله. أي إن الاستنساخ يوجد إنساناً وفق مثالٍ بشري لا إلهي. السؤال هنا: ما هي هذه المعايير البشرية التي يعتبرها الباحثون المثال البشري، وهل ما خلقه واختاره الله هو أقل قداسة وأنقص كمالاً مما يحاول الإنسان أن يحسنه ويطوّره؟ هل الاستنساخ هو تصحيح للأخطاء المرتَكبة خلال الخلق من قبل الخالق!؟

---

(٢٤) تحريم الزواج إلا من الدرجة السادسة هو إحدى حسنات الشرع الأرثوذكسي البيزنطي. التراخي الذي طرأ في ١٩٤٢ عندنا ضلال. تجب العودة إلى الأصل. (اسبيرو جبور).

٤- الاستنساخ يتعامل مع الإنسان كفرد، كنسيج، كمخزن لقطع الغيار وليس كشخص مخلوق على صورة الله ومثاله قد مات المسيح من أجله. حتى نفهم كيف ينتهك الاستنساخ الإنسان كشخص، يجب أولاً أن نتحدث ولو قليلاً عن الإنسان كشخص.

بما أن الإنسان صورة الله فشخص الإنسان فريدٌ، نادر، له طابع شخصاني خاص به. كل إنسان شخصٌ، ولكل شخص بُعد خاص به يستحق احترامنا بدون تمييز. لماذا؟ لأن لكل إنسان شخصاً ثميناً بدون حدود، لا يمكن تكراره، أو نسخه أو استبداله بأي شيء آخر، حتى ولا بأي شخصٍ آخر. كل شخص هو نهايةٌ بحد ذاته. هو بُعدٌ متّجهٌ نحو الأبدية، نحو الله، لا ينتهي في العدم. إذاً لكل إنسان منا شخصٌ متميّز، ولا يوجد شخص مماثل له في أشخاص غيره. هكذا بين البشر لا يمكننا أنِ نستبدل أيَ إنسان بإنسانٍ آخر بحجة أن لهما العمر نفسه، اللون نفسه، الجنس نفسه، الكفاءات نفسها أو ما شابه. الله سيدعو كل واحد منا باسمه الجديد الذي يعطيه. يقول في سر الرؤيا: "وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسمٌ جديد مكتوبٌ لا يعرفه أحدٌ غير الذي يأخذ". إذاً لكل إنسان عند الله اسمٌ خاص به. أي أن علاقة الله مع كل شخص منا هي علاقة فريدة شخصانية، خاصة في نوعها. إذاً لكل إنسان كما قلنا اسمٌ خاص به عند الله لا يُستبدل باسم آخر. لكل إنسان بُعد شخصي في الأبدية يميزه. لا يمكننا أن نحصي البشر كأفراد، كعناصر، كأرقام، مثلما نحصي قطيع غنمٍ مثلاً. ولا يمكننا أن نتعامل معهم إلا على الأساس الشخصاني لكل واحد منهم. في الاستنساخ نلغي التمايز الشخصاني لعدة أسباب. فالاستنساخ يتعامل مع الإنسان كفرد يمكن استبداله، كلياً أو جزئياً، بفرد بشري آخر. إنه يلغي فرادة الإنسان عندما يتكلم عن تأمين "قطع غيار" بشرية. وهو يلغي بُعد الإنسان مع الله وعلاقته الفريدة به لأنه يتعامل مع الإنسان كمجرد كائن بيولوجي حي، وليس ككائن لاهوتي فريد في أصله وحياته ومصيره عن بقية الكائنات الحية.

المزيد من أسئلة: من الأسئلة الأخلاقية التي تثيرها عمليات الاستنساخ والهندسة الوراثية والتي تتطلب من الكنيسة الإجابة عليها في المستقبل:

١– الكلفة العالية لهذه التقنيات

٢– مَن يضع المقاييس والحدود على التجارب ومَن يقرر المعايير المستعملة وأخلاقياتها؟ فبسهولة يمكن لهذه المعايير أن تصير خاضعة لمبدأ النفع ولإساءة الاستعمال.

٣– إن التقنيات الوراثية تتطور بسرعة لدرجة قد تصير معها في المستقبل قادرة على كشف كل الأعطاب الجينية genetic الوراثية في الجنين البشري قبل ولادته. هذا يطرح بدوره عدة أسئلة مهمة لا يمكن التنصّل منها. من هذه الأسئلة:

٤– هل يجب إجبار طالبي الزواج، قبل زواجهم، على إجراء مسح عليهم بصورة إجبارية بغية كشف كل عطب وراثي؟ وهل يجب إجبار الأم في هذه الحالة على الإجهاض في حال عدم توفّر علاج لأي عطب أو خلل وراثي تم كشفه

٥– هل يجوز فرض العقم الإجباري على الزوجين في حال كشف أمراض وراثية في ذريتهما القادمة؟

٦– هل يجب السماح للطفل المولود بالموت في حال إصابته بأعطاب وراثية لا شفاء لها بدلاً من تركه يعيش ويتألم؟ هذا قد يؤدي إلى السماح بتشريع الموت الرحيم لحاملي الأمراض الوراثية العضالة.

٧– مَن يتخذ على عاتقه مسؤولية الكوارث البيئية والأوبئة، وبشكل عام مسؤولية كل منتجات الهندسة الوراثية المستقبلية ذات التأثير السلبي على الفرد أو المجتمع؟

بناء على ما سبق، يمكن اقتراح وضع الحدود التالية على التجارب الوراثية:

١– يجب على الكنيسة الأرثوذكسية فرض حظرٍ على كل التجارب على الخلايا التناسلية البشرية (كما يرد في نص التصريح الكنسي أدناه).

٢– يجب حظر كل التجارب البشرية التي تنتهك حرمة وكرامة وسلامة الشخص البشري. من هذه التجارب على سبيل المثال لا الحصر: المتاجرة بالأجنة البشرية، خلط مواد جينية بشرية مع أخرى غير بشرية (إلا للأهداف العلاجية البحتة)، وكل أنواع الاستنساخ البشري.

٣– يجب حظر كل الممارسات التي تنهك حرمة وتعريف العائلة. من الأمثلة: "الأم الحاضنة"، التلقيح الاصطناعي بنطاف طرف ثالث، الخ..

أخيراً، جواباً على طلب البيت الأبيض في نيسان ١٩٩٨، أرسلت الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا OCA إلى الرئيس الأمريكي تصريحاً تدين فيه كل التجارب العلمية التي تؤدي إلى استنساخ الكائنات البشرية. تقول الكنيسة الأرثوذكسية في ختام هذا التصريح:

"على ضوء هذه الحقائق، فإن الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا تحثّ بصورة مؤكِّدة أن يتم فرض حظر حكومي على كل أشكال التجارب لإنتاج نسخ بشرية وأن يُرفض التمويل الحكومي لنشاط كهذا. تعطيل هذا النشاط هو مطلب ملحّ"[٢٥]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٩– ما رأيك بالتبرع بالأعضاء؟

ج ٢٩– تطوّر الطب السريع يطرح على الإيمان الكثير من الأسئلة الأخلاقية واللاهوتية والتي من بينها: هل يجوز أن ننتهك حرمة الجسد البشري لكي نساعد شخصاً آخر بالتبرع بعضو ما له؟

للجسد البشري حرمة خاصة جداً في اللاهوت المسيحي. فالله خلق الإنسان روحاً وجسداً في شخصٍ واحد. والرب يسوع المسيح اتخذ طبيعة بشرية كاملة في تجسده من والدة الإله مريم، فقدّس الطبيعة البشرية، روحاً وجسداً، باتحادها بالطبيعة الإلهية. فصارت الطبيعة البشرية، روحاً وجسداً، جالسة في يسوع المسيح عن ميامن الله الآب (كول٢: ٦)، وصار الجسد هيكل الروح القدس الساكن في كل مسيحي معتمد. ونحن نؤمن بأن الإنسان سوف يقوم في الجسد ومع الجسد في القيامة العامة، لأن الخلاص هو بالجسد ومعه وفيه وليس منه كما في الفلسفات الوثنية.

في الوقت نفسه كل مسيحي مطالبٌ أن يكون ذبيحة محبة لا حدود لها مقدَّمة إلى أخيه الإنسان، كما يقول الرب يسوع: "وصية جديدة أنا أعطيكم: أن تحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً" (يو١٣: ٣٤، راجع يو١٣: ٣٥

---

(٢٥) John Breck: The Sacred Gift Of Life; Orthodox Christianity and Bioethics; SVSP 1998; p. 251.

و١بطر١: ٢٢). وبالطبع فالسيد المسيح بذل لا جسده فقط بل حياته كلها من أجلنا. من هنا نستنتج أن التبرّع بالأعضاء لإنقاذ المحتاجين هو أمرٌ يعبّر عن المحبة التي أمرنا بها الرب يسوع. لكن هذا التبرّع يستلزم توفّر شروط معينة حتى يكون "ذبيحة مرضية". من هذه الشروط: أن يتمّ بحرية الطرفين، المتبرِّع والآخذ، فلا إكراه في التبرّع؛ أن لا يهدّد التبرّع حياةَ المتبِّرع لأن التبرّع ليس انتحاراً، وبالتالي لا يمكن التبرّع بعضو وحيد من متبرِّعٍ حيٍ مثل القلب أو الكبد مثلاً، بينما يمكن التبرع بعضو مزدوج كالكلية مثلاً لأن الإنسان يستطيع نظرياً أن يعيش حتى بنصف كلية سليمة؛ أن يكون التبرّع منقذاً لحياة الآخذ بالمعنى الطبي.

يدخل هنا أيضاً موضوع التبرّع بعضوٍ مأخوذ من الجسد بعد الموت. أيضاً يجب أن يكون هذا النوع من التبرع هبة مجانية من المتبرِّع قد عبَّر عن موافقته عليها قبل موته، لأن الجسد يحتفظ بحرمته حتى بعد الموت[٢٦]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٣٠- أثارت نظرية التطور تساؤلات وافتراضات وتحليلات لمّا تنته بعد على كافة المستويات: العلمية، الاجتماعية والدينية. لم يعد المسيحي المؤمن قادراً عَلى التهرّب من مواجهة هذه النظرية، بل صار واجباً عليه على الأقل أن يفهم أبعادها وصلاتها بالإيمان المسيحي. هل يمكن أن تسلّط الضوء على هذه المسألة؟

ج ٣٠- الموضوع واسع ومتشعّب جداً. الرد على نظرية (الأصح فرضية) التطور هو ردٌّ علمي قبل أن يكون لاهوتي لأن فرضية التطور مبنية على جملة افتراضات تحاول أن تربط بين عدة حقائق علمية لترسم صورة واحدة لم تثبت ولم تصمد علمياً قط.

في البداية يجب التمييز بين الحقيقة والفرضية في نظرية أو نظريات التطور. الحقيقة هي أن كل نوع حي قد خضع لتطوّر وتغيّرات عبر العصور ضمن النوع الواحد نفسه (مثلاً الحصان الحالي وأسلافه). الفرضية أو الفرضيات هي مجموعة التأملات الفلسفية التي حاولت شرح كيف ظهرت "أو تطوّرت" الأنواع عبر التاريخ. هذه الكيفية هي لبّ

(٢٦) توجد آراء أخرى في الكنيسة الأرثوذكسية. جوابي هنا عام بدون خصوصيات، ويعكس قناعتي الطبية وإيماني وفهمي لأخلاقية الكنيسة وللأنثروبوجية الخاصة بها (المحرر).

فرضية التطور. الكثير من هذه الفرضيات شرحت ظهور الإنسان (وهو ما يهمنا هنا في هذه العجالة) بأنه ظهور تمّ بالصدفة نتيجة تطور أنواع أدنى منه (كالقرود مثلاً). هذه الفرضيات هي هرطوقية برأي الكنيسة لأنها تستبدل الخالق بجملة ظروف غير عقلانية لا هدف لها. لننظر إلى الأمر بعمق أكثر.

نظرية التطور البيولوجي مرتبطة بالعالم الإنكليزي تشارلز داروين (١٨٠٩–١٨٨٢)، إنما توجد محاولة أبكر من العالم الفرنسي لامارك (١٧٤٤–١٨٢٩). داروين استعمل بعض أفكار لامارك وطوّرها.

بحسب لامارك إن الأنواع الأكثر تعقيداً وتطوّراً من الأحياء قد تطوّرت من أنواع أبسط بصيرورة process بطيئة تدريجية. خضعت هذه الصيرورة لمؤثرات بيئية (المناخ، درجات الحرارة، الموقع الجغرافي). هذه الظروف قادت الحيوانات إلى أداء أعمال جديدة صارت عادات جديدة لديها مما أدّى بالنهاية إلى تغيّر في شكل الأعضاء الجسدية وبنيتها. بحسب لامارك حدثت هذه التبدّلات بحسب قانون الاستعمال وعدم الاستعمال. فكل عضو يتقوّى وينمو ويتطور بالاستعمال، بينما يضعف ويضمر ويختفي بعدم الاستعمال. هذه التبدلات في شكل الأعضاء وبنيتها انتقلت بالوراثة عبر الأجيال، مما أدّى إلى ظهور أنواع جديدة "تطورت" من أنواع كانت موجودة سلفاً.

الانتقادات العلمية على فرضية لامارك كثيرة. فقانون الاستعمال وعدمه ليس علمياً وليس دقيقاً. فعين الفرد البالغ (أو دماغه) لا تكبر بكثرة استعمالها. والتغيرات الحاصلة على الأعضاء (على الخلايا الجسدية لا الجنسية) لا تنتقل بالوراثة. فأولاد الحدّاد لا يولدون وعضلاتهم مفتولة مثل أبيهم مثلاً.

قَبِل داروين فرضية لامارك وزاد عليها مبدأين لتفسير كيف حدث التطور. بحسب داروين إن الأنواع الجديدة للأحياء تظهر على الأرض نتيجة لقوى آلية (ميكانيكية) صرفة لا تتطلب تدخلاً خلاّقاً من الله لإحداثها. والإنسان نفسه يظهر على مسرح الحياة كنتيجة لهذه القوى. يتكلم داروين عن تحوّل ضروب varieties إلى أنواع species. والضروب هي مجموعات من الأحياء تقع تحت تصنيف الأنواع وأعضاؤها من أعضاء الأنواع نفسها. كيف تحوّلت الضروب إلى أنواع بحسب داروين؟ حدث هذا وفق مبدأين: ١– الصراع من أجل البقاء؛ ٢– الاصطفاء الطبيعي. هذان المبدءان هما إضافة

داروين على فرضية لامارك. هاتان الفكرتان باعتراف داروين نفسه هما افتراضيتان وليستا ملاحظتين علميتين. يقول: "أما فيما إذا كان الأمر صحيحاً أم لا، فإننا نستطيع الحكم فقط برؤية إلى أي مدى تتوافق الفرضية مع الظاهرة العامة للطبيعة وإلى أي مدى تشرحها". ولأن التبدلات الحادثة في الأحياء بطيئة جداً وعلى مدى أحقاب زمنية طويلة فلا يوجد برهان علمي تجريبي عليها.

يقول داروين، مثل لامارك، إن التغيرات المفيدة تنتقل بالوراثة. وعبر تراكم التغيرات تظهر أنواع جديدة بالنهاية: "إن الفروق الصغيرة المميِّزة للضروب ضمن النوع نفسه تميل إلى الازدياد باطراد حتى تساوي أكبر فروق بين الأنواع من الجنس نفسه". إحدى الدوافع المهمة لفرضية داروين هي أن افتراض أن الأنواع الأعلى تنشأ من الأدنى يساعد على تصنيف الأحياء.

توجد عدة انتقادات علمية مهمة جداً لفرضية داروين:

١–فرضية داروين افتراضية وليست علمية مبنية على الملاحظة العلمية والموضوعية. لا يوجد إنسان قد شهد نشوء نوع جديد من الأحياء وداروين نفسه اعترف بهذا. أي إن افتراض أن نوعاً ما من الأحياء قد تطوّر من نوع آخر لا يمكن البرهان عليه بالملاحظة التجريبية الموضوعية. افتراض داروين هذا هو نوع من الفلسفة الحيوية وليس علماً وضعياً.

٢– لم يستطع أحد البرهان على أن الأنواع species تنشأ من الضروب varieties. تُظهر الملاحظة أن الضروب تبقى دائماً ضمن حدود النوع الواحد التي تنتمي إليه. والضروب غير ثابتة بل تميل إلى الارتداد إلى الشكل الأصلي بعد عدة أجيال.

٣– يؤكد داروين أن "الصراع من أجل البقاء" هو عامل موجود في كل مكان بين الأحياء. إنما يوجد عامل آخر هو "المعونة المتبادلة" بين الأحياء وهو عامل يعاكس الصراع من أجل البقاء وقد أهملت فرضية التطور هذا العامل بشكل مقصود.

٤– "الاصطفاء الطبيعي" عرضة لنقد علمي شديد. فهو فكرة اعتباطية تستثني فكرة وجود ذهن مخطِّط خلاّق، وتستثني وجود خطة أو غاية في صيرورة التطور. فالاصطفاء الطبيعي يعني اصطفاءً ميكانيكياً لأنه يعني أن الضروب تنشأ عفوياً بدون غاية أو فكر أو تخطيط. أرسطو وأفلاطون وسقراط رفضوا فلسفياً فكرة وجود قوى اعتباطية آلية صرفة غير عقلانية تسيّر العالم وتتحكّم به و"تطّوره".

٥– لا يعطي داروين تفسيراً كافياً عن كيفية نشوء الاختلافات. يقول إنها تنشأ عفوياً أي بالصدفة البحتة. صموئيل بتلر Butler (١٨٣٥–١٩٠٢) نقد داروين على المستوى البيولوجي والاجتماعي والديني وقال: "إن عملية الاصطفاء الطبيعي قد تساعدنا بصورة حتمية على فهم أية أشكال نجت، إنما لم يمكنها أن تخبرنا قط كيف وجدت هذه الأشكال". ويتساءل بتلر ما الذي أحدث هذه التغيرات التي عمل عليها الاصطفاء الطبيعي؟

٦– فرضية التطور تفترض وجود أصل واحد للأنواع بسبب التشابه في الشكل بينها (الإنسان والغوريلا مثلاً). هذا الافتراض هو محض خيال لا أساس علمي له. لأن التشابه الظاهري هو دليل على وحدة الخالق لا المخلوق. العالِم Agassiz (أستاذ التاريخ الطبيعي في جامعة هارفارد) يشير إلى أنه قد وجد مستحثات لأسماك عليا تعود إلى حقب جيولوجية أقدم. فلا يوجد دليل علمي على الانحدار المباشر لشكلٍ تالٍ من نوع أبكر في التتابع الجيولوجي للحيوانات. التاريخ الطبيعي يشير إلى استحالة عزو الأنواع إلى عدد أقل من الفروع أدنى تطوراً.

٧– إحدى أهم الانتقادات لفرضية داروين هو أنه لا يفسّر وجود العقل في الإنسان. فالتفكير المجرد للإنسان والضمير والصفات المناقبية وتوقه نحو المطلق لا تُفسَّر بالتطور البيولوجي. فرضية داروين تحاول شرح ظهور جسد الإنسان لا عقله. لا سبيل لتفسير العقل في الإنسان إلا بالرجوع إلى العقل الخالق أي الله. الكثير من العلماء والمؤرخين والفلاسفة دحضوا فرضية التطور لداروين من هذا المنطلق (منهم مثلاً: R. Wallace ,A. ,J. Fiske ,E. Sinnott h). يعتبر هؤلاء أن الإنسان ككائن متفوق هو على اتفاق مع الحقائق أكثر من فرضية تطور داروين نفسها.

فرضيتا لامارك وداروين لا تنتميان إلى العلم بل إلى التأمل الفلسفي الحر. وهما ليستا نتيجة ملاحظة علمية بل تستعملان بعض الحقائق العلمية وتهمل حقائق أخرى وتفترض افتراضاً "حقائق" تخيلية. لا يوجد برهان علمي واحد على تطور ضرب من الضروب في النوع الواحد نفسه إلى نوع آخر تام. أيضاً إن تطور الأنواع يفترض وجود أنواع وسط أو متوسطة بين الأسلاف والأحفاد من الأنواع. إنما كل محاولات إيجاد أنواع متوسطة قد فشلت و لم يوجد أي مخلوق كان وسطاً بين القردة والإنسان مثلاً. كل المحاولات التي حاولت تفسير جمجمة ما مكتشَفة على أنها جمجمة النوع الوسط المفقود بين القرد والإنسان قد باءت بالفشل إذ تبيّن فيما بعد على أن الجمجمة المعنية هي إما جمجمة إنسان أو جمجمة قرد وليس جمجمة نوع وسيط بينهما(٢٧).

آباء الكنيسة يؤمنون بأن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله وبالتالي فهو فريد بين بقية الكائنات في خلقه، في طبيعته، في شخصه، في حياته، في دعوته وفي مصيره. ويؤمن الآباء بأن الإنسان قد خُلق من الله مباشرة وليس بالتطور من نوع آخَر أدنى منه(٢٨). الخلافات بين الإنسان وسائر المخلوقات هي خلافات من حيث النوع لا من حيث الكمّ. وما التشابه الظاهري بين الإنسان وباقي الخلائق إنما هو تشابه بالجسد دون الروح والضمير والشخص. هذا التشابه هو دليل على وحدة الخالق لا على وحدة أصل المخلوقات. لو كان جسد الإنسان مختلفاً بطبيعته ومواده الأولية عن أجساد الحيوانات لكان هذا الاختلاف مصدر دهشة وإعجاب بالخالق. أما لو كان جسد الإنسان، كما هو عليه الآن، مصنوعاً من المواد الأولية نفسها التي صُنعت منها أجساد الحيوانات، فإن هذا التشابه الظاهري هو مصدر دهش وروعة أعظم بكثير لأنه دليل حاسم على أن الخلاف العظيم الملاحَظ بين الإنسان والحيوان ليس مردّه إلى الخلاف الجسدي بينهما (لأنه غير موجود) بل إلى خلاف يقع على مستوى آخر هو المستوى الروحي والشخصاني.

---

(٢٧) Constantine Cavarnos: "Biological Evolutionism", The Institute For Byzantine And Modern Greek Studies, p.55.

(٢٨) الشواهد الآبائية على هذه الفكرة كثيرة. راجع شرح سفر التكوين والتعليق عليه للقديسين: أفرام السوري، أثناسيوس الكبير، غريغوريوس اللاهوتي، باسيليوس الكبير، غريغوريوس النيصصي، يوحنا الذهبي الفم، ويوحنا الدمشقي.

من جهة أخرى لم يرفض آباء الكنيسة فكرة وجود تبدلاّت ضمن النوع الواحد من الأحياء. هذه التبدلات عملت على تطوير هذا النوع، كلٌ ضمن نوعه دون التحوّل من نوع إلى آخر[٢٩]. تخضع هذه التبدلات إلى خطة خلاّقة عاقلة تهدف إلى تأمين بيئة أفضل لعيش الإنسان. هكذا تؤمن الكنيسة بأن الله يعمل في التاريخ حتى الآن بعناية إلهية حاول مؤيدو نظرية التطور أن يستبدلوا بها سوية مع الله قوى غاشمة عمياء من الاصطفاء الطبيعي والصدفة المحضة. القديس ديونيسيوس الاريوباغي يقول إن "الأشكال" أو "الأفكار" التي يسميّها "نماذج" الأشياء موجودة في ذهن الله وبحسبها خلق الله الأشياء. الفكرة نفسها تظهر فيما بعد لدى القديس مكسيموس المعترف (القرن السابع) والقديس سمعان اللاهوتي الحديث (القرن الحادي عشر) والقديس غريغوريوس بالاماس (القرن الرابع عشر) والقديس مرقس الأفسسي (القرن الخامس عشر) والقديس نيقوديموس الآثوسي (القرن الثامن عشر).

يقول القديس نيقوديموس: "إن الأشكال المتمايزة الموروثة في الخلائق هي مفاعيل وصور الأشكال النموذجية غير المخلوقة التي هي في الله". القديس نيكتاريوس (١٨٤٦-١٩٢٠) يقول: "يجب أن نكون محقِّقين عميقين وفاحصين حريصين...إن التساؤل الوحيد الجانب عن الجسد [الذي تراه فرضية التطور] يمكن أن يؤدي إلى استنتاجات غير كاملة وخاطئة تماماً، تختلف قليلاً عن الملاحظة السطحية. فلكي يُعرَف الإنسان، يجب أن يُفحَص في العمق لا على السطح. يجب أن نصل إلى معرفة قواه الروحية، حياته الروحية، طريقته في الحياة، علاقاته مع الكون ومع خالقه. يجب أن نفحص هدف ظهوره في العالم ومصيره. بهذه الطريقة نستطيع أن نعرفه بحسب مرتبته؛ بهذه الطريقة يمكننا أن نضع إيضاحات عنه. أولئك الذين قد فعلوا هذا العمل بدقة يصرّحون بأن الإنسان كائن عاقل ذو مصير عظيم على الأرض، وأنه ذو نفسٍ سماوية، وأنه ينتمي إلى الأرض من جهة جسده". وينتقد القديس نيكتاريوس عمل لامارك المشروح في الطبعة الفرنسة من كتاب لامارك "الفلسفة الحيوانية" الصادر بجزأين. يقول: "إن الجزأين من عمل الفلسفة الحيوانية يقصدان تماماً أن يؤيدا نظرية التطور المهينة المتعلقة بالإنسان. فالجزء الأول يسعى إلى البرهان على أن العضوية البشرية قد تطوّرت من عضوية القرد كنتيجة للظروف بالصدفة. والجزء الثاني يسعى إلى البرهان على أن الخصائص المميِّزة

(٢٩) راجع القديس باسيليوس الكبير "الأيام الستة" حيث يشرح فيه بداية سفر التكوين وأصل العالم وخلقه.

للعقل البشري هي لا شيء سوى امتداد لقوة تمتلكها الحيوانات أيضا، وتختلف عنها بالدرجة فقط. وبأسُسٍ ضعيفة وسيئة يدّعي لامارك البرهان على أنه في الأزمنة المبكّرة قد أنتجت الطبيعة بالتطور الرائع نوعاً ما من نوعٍ آخر أبكر. إنه يسعى إلى تأسيس سلسلة تدريجية ذات صلات وصل متتابعة (غير متزامنة) حتى تُنتج بالنهاية النوع البشري عبر تحوّل هو على عكس الحقيقة، وليس أقل عجباً من التحولات التي يقرأها المرء في الأساطير". ويقول القديس نيكتاريوس عن فرضية داروين "لقد تخيّلت النظريات الداروينية أنها قد وصلت إلى حلّ المسألة الأنثروبولوجية بقبول نمط من التطور. هذه النظريات، غير المؤسَّسة على أسس صحيحة، جعلت (المسألة الأنثروبولوجية) أكثر غموضاً بدلاً من حلّ المشكلة. لأنها تنكر قيمة الحقيقة المعلَنة، وترى الإنسان أنه ينتمي إلى النوع نفسه مثل الحيوانات غير العاقلة، ناكرة أصله الروحي وعازية إليه أصلاً وضيعاً جداً. إن لفشلها سبباً رئيسياً هو نفي أصله السامي وطبيعته الروحية التي هي بالكلية غريبة عن المادة وعن العالم المادي. بشكل عام، بدون قبول الحقيقة المعلَنة سيبقى الإنسان مشكلة غير محلولة. إن قبولها هو الأساس الثابت والأمين الذي عليه يجب أن يبني كل سائل عن الإنسان ذاته. من هنا يجب أن يبدأ لكي يحلّ بصورة صحيحة الجوانب المتنوعة للمسألة، وأن يتعلّم الحقيقة بواسطة العلم الحقيقي".

باختصار: فرضية التطور تحاول شرح "كيف" ظهرت الأنواع بافتراض أن الأنواع الأدنى والأبسط قد "تطورت" إلى أنواع أعلى وأعقد. لا يوجد برهان علمي أبداً على هذا وإنما ينتمي هذا الافتراض إلى التأمل الفلسفي الصرف. لم تستطع فرضية التطور أن تشرح كيف ظهر العقل والضمير والأخلاق في الإنسان، ولا كيف ظهرت الاختلافات بين الأنواع التي عليها عمل مبدأ الاصطفاء الطبيعي. أيضاً لا يوجد أي دليل علمي على وجود أنواع وسيطة بين الأنواع الأبسط والأنواع الأعقد، ولا على تحوّل أي نوع إلى نوع آخر[٣٠]. **(د. عدنان طرابلسي)**

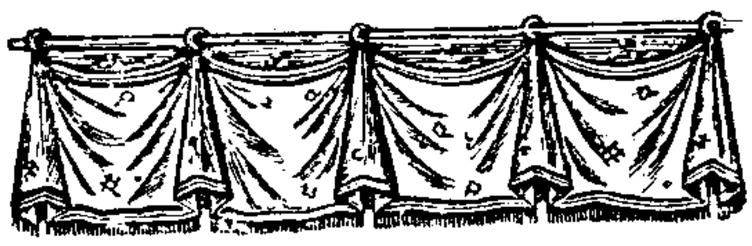

(٣٠) أهم كتاب حديث عن الرأي اللاهوتي الأرثوذكسي في التطوّر ودراسة سفر التكوين هو كتاب الأب المرحوم سيرافيم روز التالي: Fr. Seraphim Rose: Genesis, Creation and Early Man.:St. Herman of Alaska Brotherhood, 2000.
راجع أيضاً: اسبيرو جبور: "قرد أم إنسان".

الفصل الثاني:

أسئلة كتابية

"وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدّسة القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع" (٢تيمو ٣: ١٥)

"كل الكتاب هو موحَى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر" (٢تيمو ٣: ١٦)

"وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو ٢٠: ٣٠-٣١)

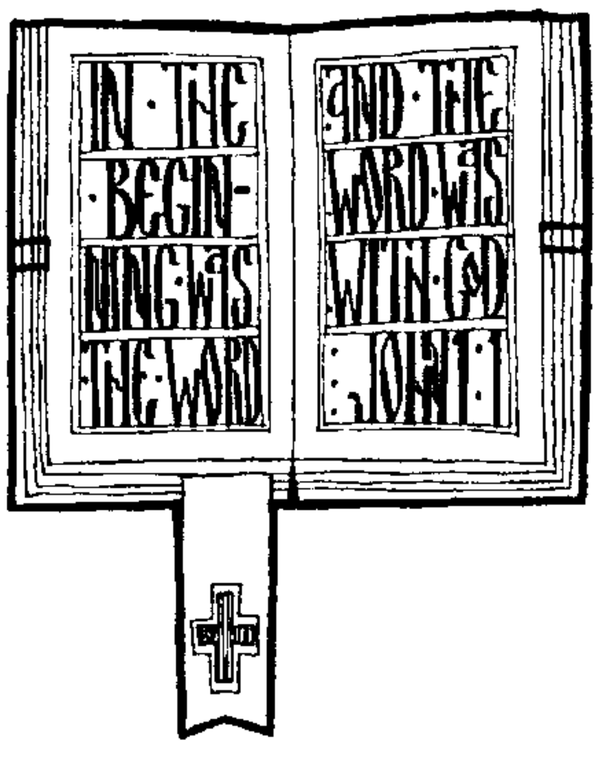

"قراءة الكتاب المقدس تُحدث بالفعل تعزية وتساعد في المحنة؛ إنها تقوّي الإيمان، وتساعد على التغلّب على الأهواء وعلى الرذائل، وتعطينا شعوراً وفهماً للأمور الروحية. لهذا لا يوجد شيء أنفع وأكثر ضرورة للمسيحيين مثل القراءة الجادّة للأسفار المقدسة. يظل من المفيد حتى لو كان المرء لا يفهمها كلها؛ ولا يجب على المرء أن يكتفي بسماعها في الكنيسة، بل أيضاً أن يقرأها باجتهاد في البيت". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"هذا هو مصدر كل الشرور: جهل الكتاب المقدس. أنتم أولاد العالم، إن لم ترغبوا بفعل أي شيء أكثر، فعلى الأقل اشتروا نسخة من العهد الجديد... والذي سيكون معلّمكم الدائم" **(القديس يوحنا الذهبي)**

"إن كنت تصدّق ما يعجبك في الإنجيل وترفض ما لا يعجبك، فليس الإنجيل ما تصدق، بل نفسك". **(المغبوط أوغسطينوس)**

الكتاب المقدس هو كلمة الله المكتوبة بأيدٍ بشرية. هو كتاب الكنيسة التي هي جسد المسيح. هو قلب التقليد الكنسي وقدس أقداسه. هو أبجدية الإيمان المسيحي والدليل إلى الإيمان بالمسيح يسوع مخلّصاً وربّاً وإلهاً. الكتاب المقدس هو أكثر الكتب في التاريخ البشري من حيث الطباعة والنشر والتوزيع، وأكثر كتاب في العالم تعرضاً للدراسة والنقد والتحليل.

هذه الأسئلة هي غيض مهم من فيض متنوع. هذه النخبة من الأسئلة تهمّ القارىء وتفيد حياته الروحية والصلاتية بغض النظر عن خلفيته.

س ٣١ – ما معنى كلمة "إنجيل" وما هو أصلها؟

ج ٣١– يعني الإنجيل المحتوى الأساسي للوحي المسيحي، أو الأخبار السارة المتعلقة بفداء الإنسان. بهذا المعنى يبدأ القديس مرقس إنجيله "بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله" (مر ١: ١). الفعل Evangelion يعني "أُحضر الأنباء السارة"، وهو موجود في الترجمة السبعينية. لاحقاً (في القرن الثاني) تمّ استعمال كلمة "إنجيل" لتقصد الكتابات أو الأسفار المتعلقة بالأنباء السارة عن يسوع المسيح. توجد أربع شهادات عن الأنباء السارة وهي الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا ويوحنا) بحسب ترتيبها في العهد الجديد وليس بحسب تدوينها تاريخياً. وكلمة "إنجيل" تعني أيضاً العهد الجديد ككل، لأنه جملة الأسفار القانونية المتعلقة بالأنباء السارة عن يسوع المسيح له المجد وعن الخلاص باسمه. أما بخصوص الأناجيل الباطنية (الأبوكريفا)، فيُرجى مراجعة السؤال المتعلق بها في هذا الفصل. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٣٢– ما هو أفضل شرح موثوق للكتاب المقدس؟

ج ٣٢ – ليس لدينا في العربية أي شرح له سوى تفسير ماروني جديد. أما في اللغات الأوروبية فتوجد شروح. تفسير ثيوفيلاكتوس للعهد الجديد تفسير آبائي جيد في اليونانية. تفسير القديس ثيوفانس الحبيس تفسير جيد في الروسية. إنما رجال الاختصاص لا يستغنون عن الاستفادة من الدراسات الحديثة الفرنسية والإنكليزية والألمانية. وهناك تفاسير حديثة يونانية وسواها. في اللغات الأوروبية التفاسير كثيرة للعهد القديم من أرثوذكسية وكاثوليكية

وأنكليكانية وبروتستانتية. هذا كله لأهل الاختصاص وليس لدينا في العربية مثيل له. إنما قام الأب بولس فغالي الماروني بعمل تفسيري جبار معتمداً على الفرنسية والإنكليزية لا على اليونانية. تفسير غربي حديث. مؤخراً قام الدكتور عدنان طرابلسي بترجمة شرح القديس الذهبي الفم لإنجيل متى إلى العربية. **(اسبيرو جبور)**

س ٣٣ – هل توجد فروق في ترجمات الكتاب المقدس، وهل كل الترجمات العربية مقبولة في الكنيسة؟

ج ٣٣ – الكنيسة الأرثوذكسية تعتمد الأصل اليوناني للعهد الجديد والترجمة اليونانية السبعينية للعهد القديم. إلا أن الدراسات المعاصرة فتحت الباب للاستفادة من الأصل العبراني للعهد القديم لتوضيح بعض الغموض في السبعينية الذي لاحظه القديس يوحنا الذهبي الفم. أما الترجمات العربية والأجنبيّة فليست على سوية واحدة. فالترجمة الروسية للعهد الجديد التي قام بها المثلث الرحمات كاسيانوس بيزوبرازوف عميد معهد القديس سرجيوس بباريس تتفوق إجمالاً على سواها. تلاها ترجمات فرنسية ممتازة مثل Bible de Jerusalem وترجمة Segond المجدَّدة (١٩٨٠)، Tringueth وإن كانت تحتاج إلى بعض التنقيح. أما ترجمتها الأولى إلى الإنكليزية فهي دون الفرنسية. وترجمتها العربية (دار المشرق) لم تعد إلى الأصل اليوناني، لذا فيها هنات رغم جودتها اللغوية. ترجمتها للعهد القديم عن العبري هي تنقيح للترجمة القديمة ولكنها لاهوتياً دون الفرنسية. ترجمة فان دايك البروتستانتية حرفية وأمينة، إنما تحتاج إلى تجديد على ضوء الدراسات المعاصرة لكن على أيدي اختصاصيين كبار. ترجمة البولسية تنقيح لليسوعية القديمة على ضوء الفرنسية لا اليوناني، فبقي الخلل. الترجمة الجديدة البروتستانتية غير صالحة البتة وغير مقبولة في الكنيسة الأرثوذكسية. الترجمة الأنكليكانية قديمة مثل سواها، ولا يبدو أن الإنكليز عازمون على تجديدها. الترجمة الأرثوذكسية للأناجيل والرسائل منقولة إجمالاً عن ترجمة اليسوعيين القديمة. تحتاج إلى التجديد على أيدي الاختصاصيين الكبار متى وُجدوا يوماً ما. ترجمة جامعة الروح القدس المارونية للعهد

الجديد لم تعد إلى اليوناني إلا عرضاً. لغوياً هي رائعة مثل ترجمة دار المشرق. إذاً نحن مضطرون إلى استعمال إحدى الترجمات المذكورة ما عدا الترجمة البروتستانتية الجديدة[1] وكتاب "الحياة" الذي أصدره المتجدِّدون. مطرانية بيروت العامرة أصدرت طبعة شعبية للإنجيل والرسائل. **(اسبيرو جبور)**

س ٣٤– أين هي ظهورات الثالوث القدوس في الكتاب المقدس؟

ج ٣٤ – يسوع وبولس قالا مراراً: إلهنا إله واحد. والعهد الجديد أبان بوضوح الآب والابن والروح القدس.. والمعمودية تتمّ باسم الثالوث القدوس (متى ٢٠: ١٩). ورد اسم الآب كثيراً وكذلك اسم الابن. والروح القدس المعزّي ينبثق من الآب (يوحنا ١٥: ٢٦). في كتابي "يهوه أم يسوع؟" احصائيات. آباء الكنيسة تولّوا تفسير ذلك، فسمّوا الأشخاص الثلاثة أقانيم. يسوع قال: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠). **(اسبيرو جبور)**

س ٣٥ – ما هي الأناجيل الباطنية (الابوكريفا) ولماذا رفضتها الكنيسة؟ وهل لهذه الكتابات أية فائدة؟

ج ٣٥ – كلمة أبوكريفا apocrypha اليونانية تعني "خفي، باطني، مجهول". وقد سميَّت الأناجيل الباطنية بهذا الاسم لأنها مشحونة بلاهوت وأفكار كاتبيها بصورة باطنية خفية تحت غطاء مسيحي خارجي. وقد درج استعمال تعبير الأناجيل المنحولة أيضاً لها إلا أن تعبير الأناجيل الباطنية أدق.

تتألّف الأناجيل الباطنية من ٢٢ وثيقة منفصلة، عشرة منها كُتبت باليونانية والباقية باللاتينية. يمكن تقسيم الأناجيل الباطنية إلى ثلاثة أقسام: ١– الأناجيل المتعلقة بقصة يوسف والعذراء مريم قبل ولادة الطفل يسوع؛ ٢– الأناجيل المتعلقة بطفولة المخلِّص؛ ٣–

(١) هذه ليست ترجمة بل هي تفسير تحت غطاء ترجمة جديدة يحرّف النص عن الأصل اليوناني لهذا ترفضها الكنيسة الأرثوذكسية بشدة وترفض جميع الواقفين وراءها. والجدير بالذكر أن الأب اسبيرو قد أصدر ترجمة لإنجيل متى ورسالة أفسس (صدرا) وأخرى لإنجيل يوحنا. (المحرّر).

الأناجيل المتعلّقة بتاريخ بيلاطس. أشهر الأناجيل الباطنية وأهمها هي: إنجيل يعقوب، إنجيل توما، وأعمال بيلاطس. كانت معظم هذه الأناجيل مكتوبة مع نهاية القرن الرابع الميلادي.

رفضت الكنيسة المقدسة اعتبار هذه الأناجيل قانونية لأسباب عديدة أهمها:

١- لم تتسلّمها الكنيسة من كتّاب معروفين موثوقين لديها، و لم تدخل في استعمالها فبقيت منبوذة.

٢- لم تتفق مع تقليدها ولا مع الأناجيل الأربعة الرسمية المعترَف بها في العالم المسيحي. فلما قيل لسيرابيون أسقف أنطاكية إنّ هناك إنجيلاً منسوباً إلى الرسول بطرس انصاع للخبر. ولما اطّلع عليه وجده مخالفاً للتقليد فرفضه. الهراطقة استعملت هذه الكتابات فبقيت منبوذة.

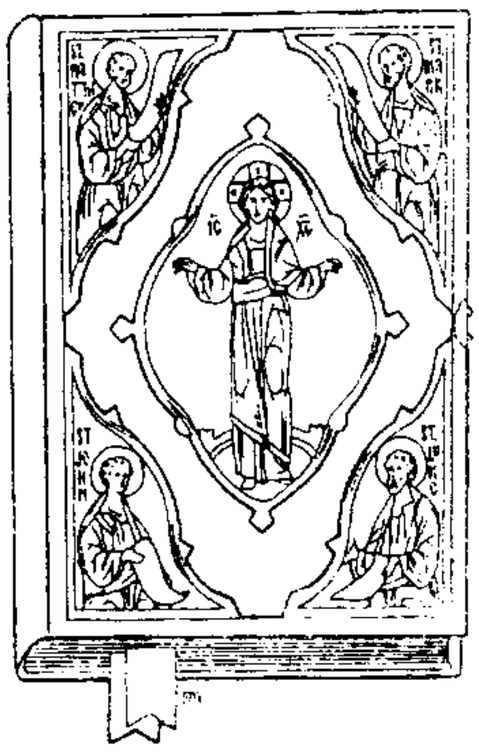

٣- إنها كانت ملوَّثة بأفكار غير مسيحية، كالغِنوصية أو اليهودية أو الوثنية مثلاً. وفي مجمع ترنت Trent اللاتيني، كان المقياس الأساسي لقبول أي سفر على أنه إنجيل قانوني هو استعماله المديد والشامل (في كل الكنائس وفي كل المناطق) في القراءة العلنية على الملأ. لهذا، إن تمّ حديثاً اكتشاف سفرٍ قديم أصيل، فإن هذا السفر لن يُجمع مع الأناجيل القانونية الحالية لأنه لم يُستعمل ولم يُقرأ في الكنائس قديماً، ولأن "قانون" الكتاب المقدس قد أُغلق إلى الأبد.

بالنسبة لأهمية الأناجيل الباطنية، فإنه لا يوجد إنجيل واحد منها يخبرنا بمعلومة واحدة، تاريخية أو سواها، عن حياة الرب يسوع لم تخبرنا بها الأناجيل القانونية. أحياناً، قد تعطينا إحدى الأناجيل الباطنية (خاصة إنجيل توما) شكلاً لإحدى أقوال الرب أبكر من شكله المدوَّن في الأناجيل القانونية. تمثّل الأناجيل الباطنية كيف كان مسيحيو القرن الثاني وما بعده، وأشباه المسيحيين من غنوصيين ومتهوِّدين وسواهم، يظنّون بالمسيح، وكيف ملئوا تفاصيل تخيّلية في سيرة حياته حيث تركت الأناجيل القانونية ثغرات، وكيف جعلوا المسيح ممثِّلاً وناطقاً للاهوتهم الخاص المختلف عن لاهوت الكنيسة الجامع. لهذا فأهمية الأناجيل الباطنية تنشأ من كونها تعطينا فكرة مهمة

لفهم المجموعات الدينية التي ظهرت في القرون ٢–٤ والتي تأثّرت بالمسيحية، ولكنها ليس لها أية قيمة عملية في إعطائنا أية معلومات تاريخية عن الرب يسوع أو عن المسيحية قبل موت القديسين بولس وبطرس في الستينات. فقط القرّاء الذين لا يملكون أي اهتمام بقراءة الأناجيل القانونية (والذين لا تعني لهم هذه الأناجيل شيئاً مهمّاً لخلاصهم) هم عادة الذين يركضون إثر أي عمل جديد قد يشبع فضولهم ومخيلتهم بافتراض، مثلاً، أن المسيح قد نزل من الصليب، وربما تزوج مريم المجدلية وهرب إلى الهند!

الجدير بالذكر هنا أنه لا يمكن اعتبار كل محتوى الإنجيل الباطني مرفوضاً تماماً. لكن طالما وُجدت فيه ولو معلومة واحدة خاطئة أو غير مسيحية فإنه يُعتبر، ككلٍ، إنجيلاً مرفوضاً كنسياً. فمثلاً، إن "إنجيل يعقوب *Protevangelium Of James*" الباطني، الذي يعود تاريخه ربما إلى منتصف القرن الثاني، كان معروفاً أكثر من سواه من الأناجيل الباطنية في الكنيسة. يخبرنا هذا الإنجيل عن مريم العذراء قبل بشارة جبرائيل لها. وعن اسمي والدَي مريم: يواكيم وحنّة (عيدهما في ٩ أيلول)، وقصة تقْديمها إلى الهيكل في عمر مبكر (عيده في ٢١ تشرين الثاني). لكن بما أن هذا الإنجيل، وسواه، لم يستوفِ شروط الأناجيل القانونية لهذا لم يُدرَج معها. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٣٦ – ما مدى تأثر يوحنا الإنجيلي بالجو الغنوصي في كتابته للإنجيل؟

ج ٣٦ – تناول الكثير من الدارسين مناقشة فكرة تأثّر يوحنا الإنجيلي بالغنوصية عند كتابته لإنجيله. وقد وجدت هذه النظرية مؤيّدين ومعارضين. ونقاش هذه النظرية ليس بالأمر السهل لأن الغنوصية كما يقول أحدهم "تعبيرٌ علمي ليس له تعريفٌ علمي مقبولٌ بشكل واسع". إنما يمكن أن نلتمس أنماطاً عامة تميّز الغنوصية. مثلاً: الثنائية المزدوجة، وجود كائنات وسيطة بين الله والإنسان، وساطة هؤلاء الكائنات في إحداث الشر والعالم المادي، النفس كشعاعٍ إلهي مسجون في المادة، ضرورة المعرفة المكتسبة بالإلهام (الكشف) لتحرير الروح وقيادتها إلى النور، المحدودية العددية للقادرين على نيل هذا الإلهام، المخلِّص صاحب الكشف الإلهي. لا يوجد عنصر واحد من هذه العناصر متَّفقٌ عليه أنه السمة الأساسية للغنوصية.

كلمة الغنوصية مأخوذة من الكلمة اليونانية gnosis التي تعني المعرفة. الغنوصية التي نعرفها من ملاحظات آباء الكنيسة في كتاباتهم هي حركة ظهرت في القرن الثاني بشكل متطور. لهذا بما أن إنجيل يوحنا قد كُتب بين الأعوام ٩٠–١٠٠ فإنه لم يتأثّر بهذه الغنوصية بالذات. إنما يوجد ميل بين البحّاثين إلى افتراض وجود شكلٍ أبكر من الغنوصية (غنوصية يهودية وما قبل مسيحية).

مقارنة إنجيل يوحنا بالغنوصية المسيحية: في العام ١٩٣٥ تمَّ اكتشاف مجموعة من الوثائق المسيحية الغنوصية في مصر مكتوبة باللغة القبطية تعود إلى القرن الثاني. من هذه الأعمال الغنوصية "إنجيل الحقيقة" من مدرسة فالانتينوس الغنوصي، و"إنجيل توما". أظهرت الدراسات المقارنة بين هذين العملين وإنجيل يوحنا أن الفرق كبير جداً بينها وأن التعابير فيها قد اُستعملت بصورة متباينة جداً. وإن كانت توجد علاقة بين غنوصية القرن الثاني وإنجيل يوحنا فإن هذه الغنوصية قد اقتبست تعابير إنجيل يوحنا (وليس العكس) واستعملتها بطريقة غنوصية.

مقارنة إنجيل يوحنا بالغنوصية ما قبل المسيحية: بولتمان هو من أكبر مؤيدي نظرية تأثر يوحنا بالغنوصية. إذ أعاد صياغة الإنجيل ليظهر العناصر الغنوصية المفترضة الكامنة فيه. افترض بولتمان العناصر الغنوصية التالية: ثنائية النور والظلام، وجود كائنات إلى جانب الله (الملائكة)، وجود الإنسان الأصلي ، إنسان النور والصلاح الذي انقسم إلى جزيئات صغيرة من نور هي النفوس البشرية التي زُرعت في عالم الظلام. إن مهمة الشياطين أن تجعل هذه النفوس تنسى أصلها السماوي. عندئذ يرسل الله ابنه بشكل جسدي ليوقظ هذه النفوس ويحرّرها من أجسادها، أجساد الظلمة، ويرجعها إلى موطنها السماوي. ويفعل هذا بإعلان الحقيقة وبإعطاء النفوس المعرفة الحقيقية (gnosis) التي ستمكنها من الرجوع إلى السماء. يسوع هو الفادي الغنوصي المفترَض الذي كان سابق الوجود (يو١: ١) والذي صار جسداً (يو١: ١٤) وعاد أخيراً إلى الله. إن التهمة الرئيسية التي وجِّهت إلى بولتمان هي أنه يفترض أنه كانت توجد غنوصية في خلفية يوحنا الإنجيلي

ومن ثم يستعمل بولتمان يوحنا كمصدر رئيسي له لإعادة صياغة هذه الغنوصية. لكن بولتمان يدّعي بأنه يوجد دليل آخر على هذه الغنوصية ما قبل المسيحية في أشعار سليمان وخاصة في الكتابات المانديةMandean[٢]. إن أقدم أشكال اللاهوت الماندي يعود إلى مرحلة متأخرة من العهد المسيحي ومن المستحيل أن يكون يوحنا قد تأثّر بهذا الفكر الغنوصي. لكن بولتمان يفترض أن الفكر الماندي يمثّل تطوراً لاحقاً لغنوصية افترضها موجودة بين تلاميذ يوحنا المعمدان وأن هذا الفكر كان خلفية يوحنا الإنجيلي في كتابة إنجيله. لكن النقد الأدبي يشير إلى أن الفكر الماندي الغنوصي هو متأخر. فعندما تظهر الغنوصية في القرن الثاني فإنها مزيج من تيارات فكرية مختلفة، بعضها قديم. لكن السؤال: هل كانت هذه التيارات متحدة معاً في العصر ما قبل المسيحي؟ لأن اتحاد هذه التيارات هو الذي أنتج الغنوصية. فاكتشافات المخطوطات الغنوصية في مصر قد أثبتت صحة رأي الآباء القائل إنّ الغنوصية هرطقة مسيحية لأن شخص المسيح قد ساعد على صياغة المواقف والعناصر الغنوصية البدائية في جسد محدَّد من الفكر الغنوصي. مثلاً، إن المخلِّص الغنوصي قد تطابق مع ابن الإنسان في تطور لاحق بعد كتابة إنجيل يوحنا. أيضاً يوجد عنصر آخر يطعن في نظرية بولتمان وهو أن فكر جماعة قمران لا ينطبق على فكر الهرطقة المانديةفي القرن الأول. صحيحٌ أنه كانت توجد لدى جماعة قمران ثنائية معدَّلة، وعناصر غنوصية بدائية، لكن لا توجد أسطورة الفادي ولا غنوصية متطورة.

بالنسبة لثنائية النور والظلام: ففي العهد القديم موضوع "النور" مهم منذ مطلع سفر التكوين وعمود الغمام. واستشهد متّى الإنجيلي (٤: ١٦) بنص من أشعياء (٨: ٢٣ و٩: ١) مشهور: "الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نورٌ" (متى ٤: ١٥). والإصحاح ٩ من أشعياء نبوءة عن ظهور المسيح المخلّص.

وسمعان الشيخ سمّى يسوع "نوراً للأمم" كما في أشعياء (لو ٢: ٣٢ وأشع ٤٢: ٦ و٤٩: ٦ و٦٠: ١٩–٢٠..). وفي المزامير : "الرب نوري ومخلّصي" (٢٦/٢٧: ١

(٢) المانديةوأتباعها المانديون Mandeans هرطقة تُنسب إلى ماندا Manda ويعني اسمه معرفة الحياة. وقد تعمَّد على يد يوحنا المعمدان. لاهوتها خليط من التقاليد اليهودية والأسطورة الغنوصية والمسيحية النسطورية والسريانية. مازالت بقاياهم "الصابئة" في العراق.

و٣٥/٣٦: ١٠ وميخا ٧: ...٨.). و"أيها الرب إلهي، لقد عظمت جداً. بالبهاء والجلال تسربلت. اللابس النورَ كالثوب" (١٠٣: ١-٢)[٣].

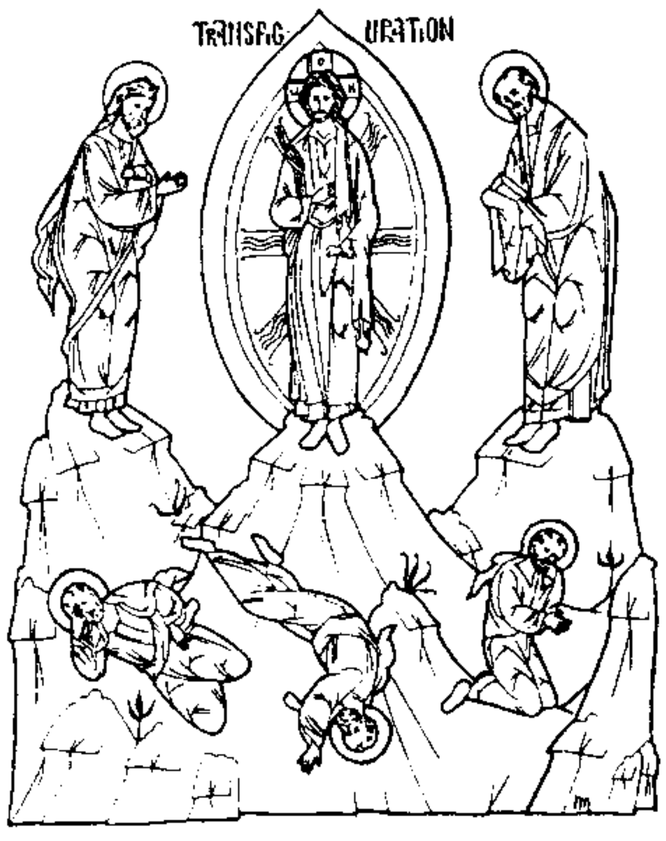

باختصار، لا يمكن البرهان على صحة فرضية أن يوحنا الإنجيلي قد اقترض بعض الأفكار الغنوصية البدائية التي وجدت ما قبل المسيحية. ومن جهة أخرى من الثابت أن يوحنا الإنجيلي قد تأثّر بعناصر معينة مهمة في كتابة إنجيله. فكان يفسّر يسوعَ بألفاظ العهد القديم عن الحكمة المشخصنة. وكان الفكر الفرّيسي أوضح في إنجيله (دُعي يسوع ربّاي في إنجيل يوحنا أكثر من الإزائية). وركّز في الإنجيل والرؤيا على أن يسوع هو يهوه (٨: ٢٤ و٢٨ و٥٨ و١٣: ١٩ ورؤ ١: ٨)، الرب الإله القدير، الألف والياء (رؤ١: ٨ وأشعياء). وركّز على بنوّة يسوع للآب، وعلى كونه الخروف الفصحي الحقيقي. فمواضيعه متأصّلة في العهد القديم. والرؤيا تتضمن ٥٠٨ آية بينما تلمّح إلى ٥١٦ آية من العهد القديم. ويسوع فيها هو العريس والكنيسة هي العروس. المواضيع كتابية من العهد القديم والعهد الجديد. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٣٧ – أين كان المسيح بين طفولته وبداية بشارته ولماذا كانت الأناجيل صامتة حول هذه الفترة؟

ج ٣٧ – لا نعرف الكثير عن صبا الرب يسوع من الأناجيل القانونية إلا مشهداً واحداً عندما ظهر يسوع في الثانية عشرة من عمره في الهيكل (لو٢: ٤١-٥١). حتى هذا المشهد يبدو أنه مستقلٌ. وعلى الأرجح أُدخل هذا المشهد في هذا الموضع لغاية لاهوتية. ففي الإصحاح الأول من لوقا، يأتي ملاكٌ ويخبر العذراء أن يسوع هو ابن الله. وفي الإصحاح الثالث يُخبر صوت الله أن يسوع هو ابنه. وفي الإصحاح الثاني، يتكلم

(٣) في المزامير: "نور وجهك" (٤: ٧ و٤٣: ٤ و٨٨: ١٦ و٦٧: ١). و"بنورك نعاين النور" و"أرسل نورك وحقك" (٤٢: ٣). في أشعياء "نور الرب" (٣: ٥). وفي الفصل ١٣ من كتاب الأب اسبيرو جبور "يهوه أم يسوع؟" كلام مستفيض عن مجد يهوه وبيت يهوه. راجع أيضاً فهرس الكتاب المقدس، كلمة "نور".

يسوع ولأول مرة، وهو ابن اثني عشرة سنة، ويعرّف اللهَ بأنه أبوه: "ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟" (لو٢: ٤٩). لهذا فغاية هذا الظهور هنا غاية خريستولوجية: إن يسوع الذي يعمل ويتكلم خلال بشارته كابنٍ لله قد سبق وتصرف وتكلم كابنٍ لله منذ أول ظهورٍ له علناً. فهناك تواصلٌ مستمر خلال حياة يسوع: إن ليسوع، وهو في حضن عائلته، المعرفة والقوة والوعي نفسها التي أظهرها خلال بشارته. وفي الأناجيل الباطنية (الابوكريفا) نجد هذه الفكرة من إسقاط أعمال وأقوال يسوع خلال بشارته على فترة طفولته وصباه. وحتى الانتقادات التي تعرّض لها خلال بشارته نجد صدى لها هنا. ففي "إنجيل الطفولة لتوما" الباطني نجد أن الصبي يسوع قد صنع طيوراً من الطين وجعلها تطير. فشكاه يهوديٌ ليوسف لأن يسوع كان يعمل بالطين في يوم سبتٍ. لهذا فقصة ظهور يسوع في الثانية عشرة من عمره لها مدلولٌ لاهوتي أكثر منه تاريخي.

ومن جهة أخرى، من المعروف أن يسوع قد عاش مع عائلته في الناصرة خلال صباه، وكان يعمل في النجارة، مهنة يوسف، حسب عادات ذلك الزمان[٤]. ولأن الإنجيليين لم يكونوا مهتمّين بالنواحي التاريخية من حياة الرب إلا بالتي ذات مدلول لاهوتي خلاصي يخدم بشارتهم (يو ٢٠: ٣٠-٣١)، فإنهم تغاضوا عن ذكر تفاصيل تاريخية لا تخدم هدف كتابتهم. فالأناجيل ليست سيرة حياة المسيح biography. هذه نقطة جوهرية لا يفهمها الكثيرون. فكاتب السيرة يهتم بتدوين كل حدث تاريخي في حياة صاحب السيرة. بينما الأناجيل الأربعة لا تقع تحت هذا التصنيف. مثلاً: مرقس ويوحنا لم يخبرانا عن طفولة يسوع. مرقس لم يخبرنا عن اسم والد يسوع، ويوحنا لم يخبرنا عن اسم أم يسوع. فلو كان لدينا إنجيل يوحنا فقط لما عرفنا أن مريم هي أم يسوع، لأنه كان يشير إليها بلقب "أم يسوع". رغم ذلك، فإن كتابات لوقا (إنجيل لوقا وأعمال الرسل) هي أكثر الكتابات الإنجيلية ذات طابع تاريخي. ورغم أنه لا يوجد إنجيل واحد يعطينا وصفاً كاملاً لحياة يسوع، إلا أن الأناجيل بجملتها تعطينا معلومات تاريخية لا بأس بها عن حياة الرب يسوع. فالأناجيل أعمال لاهوتية بالدرجة الأولى. هذا اللاهوت أُعطي ضمن إطارٍ تاريخي معين بحيث كان هذا اللاهوت تفسيراً لحياة حقيقية، لكلمات حقيقية، ولمآثر حقيقية.

---

(٤) ذكر لوقا أنّه تربّى في الناصرة. وفي يوحنا يقول الأورشليميون فيه أنّه "لم يتتلمذ" أي لم يدرس في مدرسة الديانة. وأمره معروف لدى أهل الناصرة الذين تعجبوا من علمه ومعجزاته وهو لم يتعلّم.

الفضوليون الذين يتجاوزون هدف كتابة الأناجيل يتساءلون: هل ذهب يسوع إلى الهند أو بلاد فارس؟ هل تتلمذ على أيدي حكماء الشرق؟ الخ. كل هذه الأسئلة تدل على شيء واحد: أن السائل يُغفل الجوهر الرئيسي من كتابة الإنجيل: خلاص الإنسان. ومن جهة أخرى نراه في السنة ١٢ من عمره يجالس علماء اليهود في الهيكل ويُدهشهم بعلمه. وخصَّ اليهود برسالته فانحصر تعليمه في الوحي الإلهي لا بحكمة هذا العالم. فهو عالم فذّ منذ صباه. ولا حاجة له إلى معلّم. هو رب العلم. وشخصه الإلهي أهمّ من كل علم وفلسفة. شخص يسوع هو الأهم. وإن تساءل أحدٌ: لماذا لم يذكر الإنجيليون فترة صبا يسوع؟ لرددنا بتساؤل آخر: لماذا أغفل الإنجيليون الكثير من التفاصيل التاريخية أثناء تدوين بشارة يسوع، ولماذا لم يكونوا دقيقين تاريخياً في كتاباتهم؟ الجواب مرة أخرى: لأن هذا لا يخدم هدف كتاباتهم(٥).

هذه القاعدة تنطبق أيضاً على أمثلة أخرى من العهد الجديد. فالقارئ المعاصر الذي يقرأ قصة ميت أُقيم من الأموات (مثل لعازر مثلاً) سيتساءل للوهلة الأولى: أين ذهب بعد موته، ما هي الحياة بعد الموت، ماذا شعر، ماذا وجد، مَن قابل؟، الخ... لكن الإنجيليين يخيّبون آماله لأنهم لا يذكرون شيئاً من هذا القبيل. لماذا؟ مرة أخرى، لأنه لا يخدم هدف كتابتهم. لهذا يقول يوحنا: "وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو ٢٠: ٣٠–٣١). **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٣٨ – لماذا توجد سلالتا نسب مختلفين للمسيح؟

ج ٣٨ – ليس غريباً أن يكون لشخص مهمٍ سلالة نسب، خاصة إذا كان هذا الشخص شرق أوسطي مثل المسيح. ولسلالات النسب أهدافٌ مختلفة، وبالتالي يختلف عرض وصياغة كل سلالة نسب بحسب الغرض الذي ترمي الوصول إليه. ونادراً ما تكون سلالة النسب دقيقة من الناحية البيولوجية. لكن هذه الحقيقة لا تُنقص من قيمة سلالة النسب ولا تجعلها غير دقيقة، لأن نيّة تدوينها لم تكن بيولوجية بالأصل. لهذا قد يُغفل الكاتب بعض الأسلاف لأن ذكرهم لا يخدم هدف تدوينه لهذه السلالة.

(٥) الأناجيل علامات على طريق الحياة للقراءة الإيمانية لا للاجترار العقلاني. هي لقطات من حياة يسوع تكوي قلب المؤمن بنار الروح القدس (اسبيرو جبور).

الإنجيلي متى (١: ١–١٧) والإنجيلي لوقا (٣: ٢٣–٣٨) دوّنا سلالتي نسب للمسيح. والمقارنة بينهما تُظهر لماذا اختلفت كل سلالة نسب عن الأخرى ولماذا دوّنها كل إنجيليّ بطريقته الخاصة. تنزل لائحة متى من إبراهيم إلى يسوع، وتستعمل صيغة معينة: "أ كان أبو (وَلَدَ) ب، ب كان أبو (وَلَدَ) ت" وهكذا. بينما تصعد لائحة لوقا من يسوع عبر آدم إلى الله وتستعمل صيغة: "أ بن ب، (ب) بن ت". طريقة متّى هي أقرب إلى لوائح العهد القديم. وبما أن لوقا يشمل الفترة السابقة للآباء (قبل إبراهيم)، فلائحته أطول من لائحة متى، إذ تحوي ٧٧ اسماً مقابل ٤١ اسماً عند متى. والفترة قبل الملكية في سلالتي النسب هي الفترة الوحيدة التي تتفق فيها هاتان السلالتان بشكل كبير.

توجد سلالتا نسب للرب يسوع لأن كل سلالة نسب قد كُتبت بهدف معين يختلف قليلاً عن الثانية. ربما تمثّل سلالة النسب في متّى تقليداً شعبياً كان سائداً عن الانحدار الداوودي الملكي مع إضافة اسمي يوسف ويسوع إليها، بينما قد تكون سلالة النسب في لوقا هي لائحة انحدار عائلة أجداد يوسف. كان اهتمام متى الرئيسي هو إظهار أن يسوع الناصري هو ابن إبراهيم، ابن داود الذي فيه تحققت نبوات العهد القديم. بينما كان اهتمام لوقا الرئيسي هو إظهار أن يسوع هو ابن آدم، ابن الله. قرّاء متى من اليهود سيفهمون هذا التأكيد في متى، وقرّاء لوقا من الأمميين (غير اليهود) سيتقّبلون وسيفهمون تأكيد لوقا، خاصة وأن لوقا[٦] قد وضع سلالة النسب بين معمودية يسوع وبين تجاربه[٧]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٣٩ – ما الهدف من ذكر سلالة نسب المسيح؟

ج ٣٩ – توجد أكثر من غاية كُتبت من أجلها سلالة نسب الرب يسوع. يمكن تلخيصها في غايتين رئيسيتين:

(٦) بعد أكثر من ١٩ قرناً يبدو التأويل عسيراً نسبياً. ولكن بالنسبة لمعاصري متّى ولوقا كان الأمر طبيعياً ومفهوماً وإلا لاعترضوا عليه. نعرف من العهد الجديد انتساب اليهود إلى أسباط. فيوسف بن داود وأليصابات من بنات يعقوب وبولس من سبط بنيامين. وأثناء الاكتتاب ذهب كل واحد إلى بلده، فذهب يوسف ومريم إلى بيت لحم (اسبيرو جبور).

(٧) راجع الدراسة عن سلالة النسب (للدكتور عدنان طرابلسي) في ترجمة شرح إنجيل متى للذهبي الفم، الجزء الأول..

١– يسوع الناصري هو ابن إبراهيم، ابن داود الذي كمّل نبوات العهد القديم (متى)، فهو بالتالي المسيح المنتظر، "يهوه المخلِّص"، الذي تاق إليه اليهود طويلاً. وهو أيضاً ابن آدم، ابن الله (لوقا)، الآتي إلى العالم ليخلّص جميع المؤمنين باسمه من اليهود ومن الأمميين على حد سواء.

٢– تحوي سلالة النسب تلخيصاً لسر التدبير الإلهي كله. فالله يتجسّد في عمق التاريخ البشري، في عمق خزيّاته وضعفاته. إنه، وهو مدفوعٌ بالمحبة الإلهية للإنسان، لا يستحي أن يقبل خطاة أسلافاً له، حتى يجعل الجميع أولاداً له. فالله، له المجد، لم يظهر فجأة في أولى صفحات العهد الجديد، في بيت لحم. يسوع الناصري نفسه كان حاضراً وكائناً منذ الأزل لأنه الكائن والحياة وهو مصدر الكينونة والحياة. هذا التجسد الإلهي كان مرسوماً منذ الأزل في التدبير الإلهي لخلاص الإنسان، ولم يحدث بغتة. لقد خطب الله لنفسه الطبيعة البشرية نفسها التي لعبت دور بغي (عظات الذهبي الفم على إنجيل متى ٣: ٥)، وقدّسها من كل خطيئة وعيب لتصير عروساً عفيفة عذراء للمسيح. هكذا يأتي يسوع الناصري في لجة التاريخ، ابناً لداود ليحقق النبوات المسيّانية، وابناً لإبراهيم لتتبارك به جميع شعوب الأرض. ومع ذلك، فهو ابن الله أيضاً الذي صار في ملء الزمان ابن آدم، ابن الإنسان، حتى يقدّس الإنسان، ويعيد له مجد الصورة الإلهية الضائع فيه، ويعيده ابناً لله، إلهاً مخلوقاً، متألّهاً بالنعمة[٨]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤٠ – ما هي الفروق الرئيسية في قصتي ميلاد المسيح بين إنجيلي متّى ولوقا؟

ج ٤٠ – في قصة متى، يعيش يوسف ومريم في بيت لحم ويملكان بيتاً هناك (٢: ١١). ويبقيان في بيت لحم إلى ما بعد قدوم المجوس وتقديمه للهيكل في اليوم الأربعين، ثم هربا إلى مصر (الذهبي الفم ومعظم المفسِّرين المعاصرين). والسبب الوحيد الذي يعيق رجوعهم إلى هناك بعد الهرب إلى مصر هو الخوف من ابن هيرودس. وبالتالي يعودون إلى مدينة تُدعى الناصرة مع إشارة إلى أنهم لم يكونوا هناك من قبل (٢: ٢٢–٢٣). فمتّى – كعادته – حريص على إظهار هذه السكنى تتميماً للنبوّات. أما في لوقا، فيعيش يوسف

(٨) راجع ترجمة شرح إنجيل متى للذهبي الفم، الجزء الأول.

ومريم في الناصرة ويذهبان إلى بيت لحم فقط بسبب الاكتتاب (١: ٢٦؛ ٢: ٤). وبعد ولادة الطفل يتوقفون في أورشليم مؤقتاً ثم يعودون بسرعة إلى الناصرة ويبقون هناك (٢: ٣٩). لا توجد إشارة في لوقا إلى أن العائلة المقدسة كانت في بيت لحم قرابة السنتين بعد ولادة يسوع، ولا إلى زيارة المجوس أو مقتل الأطفال، أو الهروب إلى مصر. وإنما قصة لوقا لعودة العائلة من بيت لحم، عبر أورشليم، إلى الناصرة لا تُفسح مجالاً للهروب إلى مصر. ولا توجد في متى إشارة إلى الاكتتاب.

من الجدير بالذكر هنا أنه توجد في كل قصة عوامل مساوية لعوامل القصة الأخرى من حيث الوظيفة. فمثلاً، يخبرنا متى ببشارة يوسف، بينما يُخبرنا لوقا ببشارة مريم؛ لكل بشارة منهما وظيفة تعريف الطفل المولود بأنه المسيّا و"الله معنا" وابن الله، ويسوع مخلِّص شعبه من خطاياهم (أي يهوه). يخبرنا متى عن المجوس الذين أتوا بعد ولادة يسوع ليسجدوا له، بينما يخبرنا لوقا عن الرعاة الذين أتوا بعد الولادة ليسجدوا للطفل؛ يرينا كل مشهد إن تجلّي الله في يسوع سوف يُستجاب له بالإيمان والمديح، من جانب الأمميين في متى، ومن جانب اليهود في لوقا. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤١ – ألا تعني آية: "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (متّى ١: ٢٤) أن يوسف قد عرف مريم وتزوجها بعد ولادة يسوع؟ خاصة وأن يسوع قد دُعي "ابنها البكر" دالاً بالتالي على ولادة أخوة له من بعده؟

ج ٤١ – إن صيغة "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" تدل حتماً على الزمان السابق لكلمة "حتى eos"، ولا تعطي أية معلومات تفيد ما حدث بعد "حتى". الإنجيلي متى هنا مهتمٌ بالتأكيد على بتولية مريم قبل الولادة تحقيقاً لنبوءة أشعياء ٧: ١٤. وبرأي معظم علماء الكتاب إن موضوع بتولية مريم بعد ولادة يسوع منها هو أمرٌ لا تفيد به هذه الآية.

لكن للكتاب استعمال معين لكلمة "حتى" يلقي المزيد من الضوء. فأولاً يستعمل كلمة "حتى" مع فعل بصيغة الإيجاب:

- "يُشرق في أيامه الصدّيق وكثرة السلام حتى يضمحلّ القمر" (مز٧٢: ٧، السبعينية). ولا يعني هذا أن الصدّيق وكثرة السلام سيغربان بعد اضمحلال القمر.

- ".. كما أن عينَي الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأّف علينا" (مز١٧٣: ٢). طبعاً لن تكفّ عيوننا عن النظر نحو الله حتى بعد أن يترأّف علينا.

- "ها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠). بالطبع سيظل يسوع معنا حتى بعد انقضاء الدهر.

- "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١كور١٥: ٢٥). سيظل المسيح مالكاً حتى بعد هزيمة أعدائه.

- "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مت٢٢: ٤٤). سيظل الأعداء موطئاً للقدمين حتى بعد جلوس الرب عن يمين الله الآب.

- "وأُرسل الغراب. فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض" (تك٨: ٧). فالغراب لم يرجع إلى نوح (أي ظلّ خارجاً) حتى بعد أن نشفت المياه.

ويستعمل الكتاب كلمة "حتى" مع فعل بصيغة النفي:

- "ولم يكن لميكال بنت شاول ولدٌ حتى يوم موتها" (٢صمو٦: ٢٤). بالطبع لم تنجب ميكال بعد موتها.

- "فلم يصدّق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوي الذي أبصر" (يو٩: ١٨). يخبرنا سياق القصة أن اليهود لم يؤمنوا حتى بعد سؤال والدي الأعمى.

إذاً، إن صيغة "**ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر**" لا تعني أنه عرفها بعد ولادة يسوع. الدراسة الكتابية على هذه الآية في الجزء الأول من شرح إنجيل متى للذهبي الفم تُظهر كيف أن الآية ١: ٢٥ وموضعها في الإصحاح الأول يشيران إلى أن متّى كان يقصد القول إن يوسف لم يعرف مريم لا قبل الولادة ولا بعدها.

أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال المتعلّق بكلمة "البكر"، فالكتاب المقدس نفسه أيضاً يجيب عليه. كلمة "البكر"، بالتعريف، تعني "كل فاتح رحم" (خرو١٣: ٢)، لأن البكر الذكر

هو مقدَّس للرب، سواء أكان له أخوة من بعده أم لا. فالمولود الوحيد، بدون أخوة من بعده، يُدعى بكراً أيضاً. فقد كان لفرعون ابنٌ وحيد، ومع ذلك قُتل مع أبكار مصر. ويقول المزمور ٩٨: ٢٧ عن داود بن يسّى: "أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض". كان داود أصغر أبناء يسّى. والله لم يعكس ترتيب ولادته هنا وإنما كان يتكلّم عن "بكورية" داود الروحية، عن مكانته المتميّزة بين الآخرين. لهذا لكلمة "البكر" معنى مهم في الكتاب، إذ تشير إلى علاقة خاصة بين الله وبين شعبه. وعندما ينتهك البكر هذه العلاقة فإنه يفقدها، كما حدث عندما أُعطيت البكورية إلى يوسف بدلاً من راؤبين (١أخ٥: ١-٢). من هنا نفهم لماذا استعمل متى كلمة "البكر" ليسوع. لأن يسوع هو الابن الأول لمريم، ولأنه كبكرٍ اشترانا وردّنا إلى مُلْك الآب بعدما صرنا متغرِّبين عنه (تث٢٥: ٢٣-٢٤). لقد حقّق يسوع معاني لقب "البكر" ومهامه. و لم يقصد متى أبداً أن يقول إن مريم قد ولدت أولاداً بعد يسوع. هذه خيانة للاهوت متى وللكتاب نفسه.[٩] **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤٢ – مَن هم أخوة الرب المذكورون في العهد الجديد؟ هل يعني ذكرهم هذا أن مريم لم تكن دائمة البتولية؟

ج ٤٢ – ورد ذكر "أخوة الرب" في مر ٦: ٣ ومت ١٣: ١٥ وهم: يعقوب ويوسي/يوسف وسمعان ويهوذا، حيث يوسي ويوسف هما اسم واحد. سنجيب على هذا السؤال من الناحية الكتابية ثم من الناحية الكنسية والتاريخية.

لا يذكر العهد الجديد قط أن "أخوة الرب" هم أبناء مريم أو يوسف و لم يذكر أن مريم كانت أمهم. كانت نسبتهم دائماً للرب يسوع. إن أول أخوين من لائحة أخوة الرب هما دائماً يعقوب ويوسي/يوسف. إذا علمنا مَن كانت أمهما لأخذنا فكرة عن قرابة أخوة الرب بيسوع. وبالفعل يذكر العهد الجديد امرأة باسم مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف، ولأننا لا نعرف في العهد الجديد أي أخوين باسم يعقوب ويوسي/يوسف سوى أول أخوين من "أخوة الرب" فمن المنطقي ربط مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف بأخوة الرب. يذكر مرقس (١٥: ٤٠) ومتّى (٢٧: ٥٥-٥٦) هذه

(٩) راجع ملحق "و لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (للدكتور عدنان طرابلسي) في الجزء الأول من شرح إنجيل متى للذهبي الفم.

المرأة في ذكرهما للنساء اللاتي كن عند صليب المسيح. إذا قارنا هذين النصين مع نص يوحنا ١٩: ٢٥ نستنتج باختصار أنه يمكن مطابقة مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف (في مرقس ومتّى) مع مريم كلوباس (في يوحنا)، حيث مريم كلوباس هي على الأرجح زوجة كلوباس. إذن يعقوب ويوسي/يوسف (وبقية أخوة وأخوات الرب) هم أولاد مريم زوجة كلوباس. هذا على افتراض أن النساء المذكورات في يو ١٩: ٢٥ هن أربعة. أما إن افترضنا أنهن ثلاثة (وهو احتمال وارد كتابياً) تكون مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف هي أخت العذراء مريم وزوجة كلوباس معاً.

الصعوبات الظاهرية هنا هي: لماذا دُعي هؤلاء الأربعة أخوة للرب وهم في الحقيقة أولاد مريم زوجة كلوباس؟ وهل كان للعذراء أخت وهل كان اسمها مريم أيضاً؟ أخذ استعمال كلمة "أخ" (وأخت) في الكتاب المقدس أكثر من معنى تحت تأثير البيئة السامية المشرقية. فقد استعملت كلمة أخ لوصف أخوة الدم (مر١: ١٦)، أو أقارب من نفس العائلة الواحدة (تكو ٢٩: ١٢، مر٦: ١٧–١٨)، أو أخوة بالإيمان الواحد (مت ٢٨: ١٠، يو ٢٠: ١٧، رو ٨: ٢٩، أع ٢: ٣٧ الخ..). لهذا لا بد من وجود قرابة معينة بين مريم زوجة كلوباس وبين العذراء مريم حتى دُعي أبناء هاتين المرأتين أخوة. هذه القرابة ذكرها المؤرّخ الكنسي افسابيوس وهي أن كلوباس ويوسف كانا أخوين، أي أن "أخوة الرب" هم أولاد عم يسوع (التاريخ الكنسي ٣: ١١). ويذكر افسابيوس أيضاً أن سمعان أخا الرب هو ابن كلوباس.

من هنا نستنتج: ١– العهد الجديد لم يدعو العذراء أم "أخوة الرب"؛ ٢– العذراء مريم هي ليست مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف؛ ٣– مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف هي زوجة كلوباس وهي، على الأقل، أم أول أخوين من لائحة أخوة الرب، فهي على الأرجح أم "أخوة الرب" و"أخواته"؛ ٤– مريم أم يعقوب ويوسي/يوسف هي قريبة للعذراء مريم، إما قرابة مباشرة لها (أختها بالمعنى الحقيقي وهو غير مرجح أو بالمجازي)، أو عن طريق قرابة بين زوجيهما يوسف وكلوباس (أخوان بالمعنى الحقيقي أو المجازي). بسبب القرابة الجسدية جاز أن يُدعى هؤلاء الأربعة أخوة ليسوع بحسب العادة السامية الدارجة وجاز أن تُدعى أم يعقوب ويوسي/يوسف أختاً للعذراء وإن كانت العذراء على الأرجح وحيدة والديها.

تاريخياً ظهرت ثلاث نظريات لتفسير "أخوة الرب" المذكورين:

- نظرية هلفيديوس (٣٨٠) الذي أخذ بالتفسير الحرفي دون الاعتبارات الأخرى واعتبر "أخوة الرب" هم أخوة يسوع بالجسد. دانت الكنيسة هذه النظرية. لماذا؟ لأنها مخالفة لتقليدها الحي. دائماً وأبداً آمنت الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية ببتولية مريم العذراء. هذه الشهادة الحية أقوى من كل فذلكات التفسير الحر.
- نظرية ابيفانيوس (٣٨٢) أسقف قبرص الذي بنى فرضيته على إنجيل يعقوب الباطني (الابوكريفا) في القول بأن أخوة الرب كانوا أبناء يوسف من زواج سابق لا أبناء مريم، وبالتالي دُعي أخوة الرب هكذا لأنهم كانوا أنصاف أخوة ليسوع من جهة الأب.
- نظرية ايرونيموس Jerome الذي افترض أن أم أخوة الرب هي مريم زوجة كلوباس وأنها هي نفسها أخت العذراء مريم مفترضاً بالتالي أن مريم ويوسف معاً بقيا بتولين.

الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية تؤمنان بالبتولية الدائمة للعذراء ومن هنا لا يُعثرهما لقب "أخوة الرب". أما الفرق البروتستانتية وسواها التي ترفض العفة المكرّسة والرهبنة والبتولية فإنها تحاول استخدام النص الكتابي بطريقة معينة لتدعم موقفها[١٠].

(د. عدنان طرابلسي)

س ٤٣– هل أحب الرب يسوع يوحنا الإنجيلي أكثر مما أحبَّ سواه من الرسل ولماذا؟

ج ٤٣ – القديس يوحنا فم الذهب يقول إنه أحبّه بالسويّة وإن بانت ليوحنا ميزة ما بسبب امتيازه بالتطلعات اللاهوتية العليا. (اسبيرو جبور)

س ٤٤– هل وجود الشياطين حقيقي أم إن قصص الشياطين الكتابية ذات معانٍ نفسية؟

ج ٤٤ – لا أعرف كيف يستطيع الذين لا يؤمنون بوجود الشيطان أن يعرفوا هذا وأن

(١٠) راجع الدراسة عن أخوة الرب في الجزء الثاني من شرح متى للذهبي الفم، ترجمة وإعداد عدنان طرابلسي، وراجع السؤال رقم ٤١ المتعلق بالبتولية الدائمة لمريم. في الدراسة نفسها أوردتُ أمثلة عن إساءة استعمال النصوص الإنجيلية من قبل مختصين بروتستانت لدعم لاهوتهم الخاص كما ورد في "قاموس الكتاب المقدس " Anchor Bible Dictionary

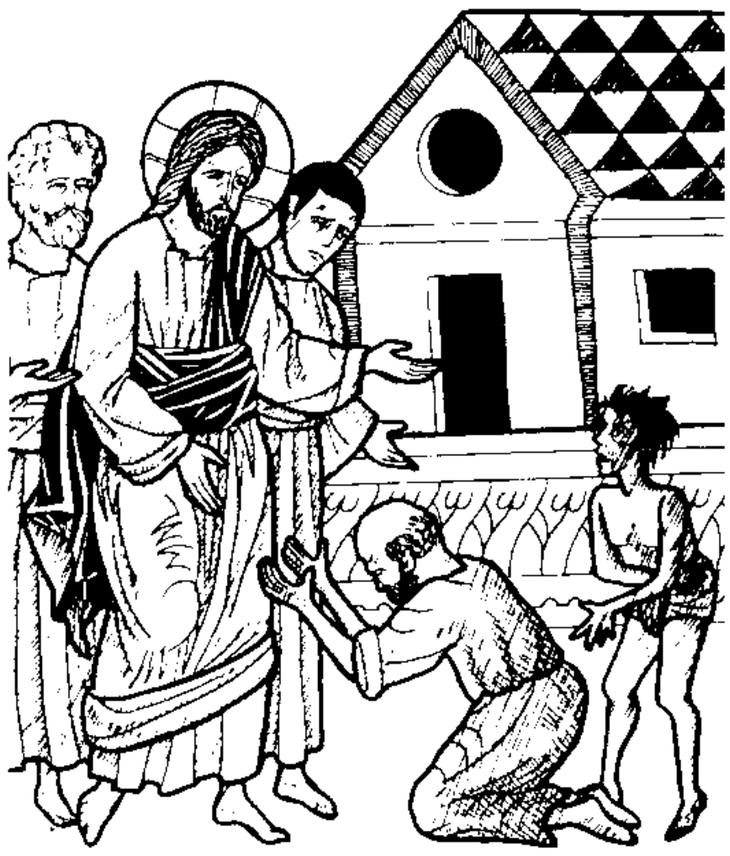

يبرهنوا عليه. فإن كانوا يؤمنون بوجود الله (وهو الأصعب) فإن الإيمان بوجود الشيطان (والشر) هو أسهل عليهم، خاصة في عالمنا الحالي المعاصر! إن فكرة الشيطان، كما نعرفها اليوم، قد تطوّرت في الفكر اليهودي، خاصة بعد النفي البابلي (٥٨٧– ٥٣٩ ق.م). وقد شارك المسيحيون في هذا الإيمان. فمن الصعب فَهْم رسالة يسوع، بأعماله وكلماته، عن ملكوت الله الآتي بدون فَهْم ملكوت الشيطان والشر المتأصِّل سلفاً في هذا العالم. فالرب يسوع كان دائماً يشير إلى أن شفاء الجسد، المنظور، هو علامة على شفاء النفس، غير المنظور، وهو الأهم (مت٩: ٢–٨). وشفاء النفس هو تطهيرها وطرد الشر (والشياطين) منها ومغفرة خطاياها بنعمة الله. هذه هي الفكرة الرئيسية اللاهوتية من حوادث طرد الشياطين من الممسوسين في الأناجيل. أما بالنسبة لكون هذه القصص الإنجيلية واقعية تاريخية، فإن آباء الكنيسة لم ينكروا صحتها التاريخية ولكنهم، بنفس الوقت، شدّدوا على مغزاها اللاهوتي.

من الصعب أيضاً افتراض كون الشيطان والشياطين في العهد الجديد هي مجرد رموز واستعارات، وإلا لأضحى الكثير من القصص والنصوص الكتابية مجرد رموز مرهونة بأهواء القارىء وظنونه. فالشيطان نفسه يظهر كشخص ويحارب الرب يسوع (متى٤: ١١؛ يوحنا ١٢: ٣١)؛ والرب يذكر وجود الشياطين كأشخاص لا كأفكار (متى١٢: ٢٥– ٢٩؛ يو١٤: ٣٠؛ ١بطر٥: ٨ مثلاً)، ويمنح تلاميذه سلطاناً على الأرواح النجسة الشريرة (مر٦: ٧؛ لو١٠: ١٧)؛ هذا فضلاً عن حوادث طرد الشياطين من الممسوسين من قبل الرب يسوع أو تلاميذه لاحقاً.

نظرة سريعة وموجزة على الكتاب المقدس تُرينا خصائص الشيطان وملائكته: لا توجد حقيقة في الشيطان لأنه أصل كل كذب[١١]. فالشيطان أخطأ منذ البداية[١٢] ويقود

(١١) يو ٨: ٤٤ (راجع أيضاً أعمال إيريناوس وجوستينيانوس وبوليكاربوس، الخ من الآباء الرسولين).
(١٢) ١يو ٣: ٨.

الناس نحو الخطيئة[١٣]. ليس الشيطان مجرد مفهوم سلبي للشر، بل هو قوة حقيقية. للشيطان إرادة حرّة، يُضلّ ويخدع[١٤]. إنه قوة شخصية. بأمره تأتمر فيالق من الشياطين والقوى غير المنظورة[١٥]، وبعضها أشرّ من الأخرى (مت ١٢: ٤٣–٤٥؛ لو ١١: ٢٤–٢٦). للشيطان وجنده التعليم الواحد نفسه (١تيمو ٤: ١–٤). هكذا لهم "حكمة شيطانية" (يعقوب ٣: ١٥)، "حكمة حكّام هذا الدهر" (١كور ٢: ٦). تعرف الشياطين بوجود الله الواحد (يعقوب ٢: ١٩)، وبانقضاضاتهم ضد المسيح لمسوا ألوهيته (مر ٣: ١١، ١: ٢٤؛ لو ٤: ٣٤). يعرفون مَن هم أتباع المسيح الحقيقيين (أعمال ١٩: ١١–١٤). الشياطين حرّضت على صلب المسيح (لو ٢٢: ٢–٤؛ يو ١٣: ٢ و٢٧). لكنها لم تعرف حكمة الله وإلا لما حرّضوا على صلبه.

أما بالنسبة لعلماء الكتاب المعاصرين[١٦] فإنهم لا يرفضون هذا المغزى، ولكنهم لا يربطوه بالضرورة بصحة هذه القصص التاريخية. فهم يعتبرون أن المسيح قد نقل رسالته إلى أناس عصره بطريقة شعبية مفهومة لهم، كانوا يفسّرون بها الأمراض وكل الظواهر الأخرى بطريقة متعلّقة بالشر والخير، إذ كان الناس يعزونها إلى الله أو إلى الشيطان (كما قد نفعل نحن اليوم). إنما الطعن بالصحة التاريخية لمثل هذه القصص الإنجيلية يفتح الباب لتساؤلات لا حصر لها: هل اخترع الإنجيليّون هذه القصص لكي ينقلوا بشارتهم، هل كان يسوع يمثّل على الناس؟ هل ادّعى المسيح أن هؤلاء المرضى ممسوسون بينما لم يكونوا هكذا؟ وهل خشي يسوع من مواجهة الناس بالحقائق وقد مات مصلوباً من أجل الحقيقة، الخ؟ أم أن الإيمان بوجود الشيطان ككائن واقعي مما لا يمنع من أن تكون هذه القصص واقعية فعلاً؟ فلا

---

(١٣) ٢كور ١١: ٣؛ ١ تيمو ٢: ١٤؛ تك ٣؛ حكمة ٢: ٢٣–٢٥.

(١٤) ٢ تيمو ٢: ٢٦؛ ٢ كور ٢: ١١؛ أفسس ٦: ١١.

(١٥) متى ٨: ٢٨، ٣٤؛ مر ٥: ١–٢٠؛ لو ٨: ٢٦–٣٩؛ أفسس ٦: ١٢؛ كول ٢: ١٥؛ ١تيمو ٤: ١–٤.

(١٦) إنهم أهل بحث ودراسة لا لاهوتيون عشّاق ليسوع طامعون في الارتقاء بالنعمة الإلهية إلى التجلّي مع المسيح. عالم الكتاب المقدس هو غريغوريوس اللاهوتي وأنداده الذين يرون في كلمات الإنجيل رؤى إلهية ولمعان الروح القدس. (اسبيرو جبور).

يوجد شيء يمنع الرب من أن ينقل بشارته إلى الناس بطرق مختلفة حتى بواسطة الأمثال كما كان يفعل. لكن حوادث طرد الشياطين الحادثة في أيامه لم تقع تحت هذا التصنيف. لقد كانت حوادث تاريخية شهد لها الكثيرون. إذاً يجب الحذر من "النقد الكتابي" المعاصر ويجب الرجوع إلى التفسير الآبائي للكتاب. القديسان أثناسيوس وباسيليوس الكبير يوقنان أن كائناً روحياً قد سقط من السماء بسبب الكبرياء. ورسالة يهوذا (٦) تلّمح إلى سقوط جمعٍ من الملائكة. فلا يمكن فهم الكثير من التعاليم الإنجيلية بدون فهم وجود الشيطان. والرب نفسه علّمنا أن نصلّي "لكن نجّنا من الشرير". فأي "شريرٍ" كان يتكلّم عنه إن لم يوجد شيطانٌ؟ وسفر الرؤيا يتكلم عن "التنين" الذي غضب على المرأة "وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح" (رؤ١٢: ١٧). هنا المغزى النهائي للموضوع: مَن يحفظ وصايا الله والشهادة ليسوع المسيح يدخل في حرب لا هوادة فيها مع الشيطان. أما الذي ينكر وجود الشيطان فهو لن يصل إلى معرفة وجوده لأن الشيطان نفسه لن يحاربه طالما صار حليفاً له بنكرانه لوجوده. القديس بولس الرسول يقول: "ليس أحدٌ يقدر أن يقول يسوع ربٌ إلا بالروح القدس" (١كور ١٢: ٣). لهذا نجد الرسول بولس مغرماً بتعريف نفسه على أنه عبدٌ ليسوع المسيح (رو١: ١؛ غلا١: ١٠). والقديس يعقوب يدعو نفسه "عبد" الله ويسوع المسيح (يعقوب ١: ١)؛ وكذلك القديس يهوذا (يهوذا ١). فعبد الله لا يمكن أن يكون عبداً لأي شيء آخر، أو عبداً للشيطان. لكن لا يمنع أن يُجرَّب عبد الله من قبل الشيطان. إن إحدى ثمار الإلحاد المعاصر هو جعل فكرة الشيطان فكرة مثيرة للاهتمام لكن بدون قوة. هذا هو أقصى رفض للشيطان، وأفضل تحالفٍ معه.

أخيراً، مراجعة الأدب النسكي المسيحي تُظهر قوة الشيطان وحلفائه ضد المؤمنين وتكشف ضراوة الحرب الروحية بين الخير والشر من خلال قصص واقعية. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤٥ – هل توجد حالات اليوم من "الممسوسين بالشياطين" كما كانت في أيام المسيح؟

ج ٤٥ – نعم، إلا إذا كان المرء لا يؤمن بوجود الشيطان وهذا موضوع آخر (راجع السؤال السابق). كما أنه لا بد من وجود حساسية وشفافية معينة لدى الإنسان للشعور بعالم الملائكة، أيضاً لا بد من وجود حساسية وشفافية معينة للشعور بعالم الشياطين. رغم

أن الملائكة (والشياطين) تفعل في عالمنا الحالي، بدون الانتباه لها عادة، إلا أن إدراك حضورها في حياتنا اليومية ليس بالأمر السهل كما قد يخطر على البال للوهلة الأولى. آباء البرية هم أكثر الناس حساسية لعالم الشياطين (ولعالم الملائكة ولكن ليس بطريقة شاعريةكالتي نراها في الغرب!). قراءة قصص حياتهم تعطينا الكثير من المعلومات بهذا الصدد. ومعرفة "الممسوسين بالشياطين" تقع في هذا التصنيف نفسه. ورغم أننا صرنا نعرف الكثير عن الحالات المرضية التي كنا نجهل أسبابها قبلاً (كالصرع والعمى والشلل)، إلا أن بعض الحالات ذات الأعراض المتشابهة هي نتيجة سكنى الشيطان في الإنسان. إذا كنتَ تؤمن بوجود الشيطان فما الذي يمنعه من سكنى الإنسان؟ ربما يمنعه شيء واحدٌ وهو سكنى الروح القدس في الإنسان المسيحي المعتمد باسم الثالوث القدوس. سوى ذلك فالشيطان قادرٌ على سكنى الإنسان وعلى إظهارٍ أعراضٍ مختلفة فيه قد لا تشبه ما قرأناه في الأناجيل (أعراضٍ مرضية). فقد يدفع الممسوس إلى ارتكاب أفظع الجرائم أو إلى الكفر المطلق بالله، أو إلى إهلاك نفس الإنسان بطريقة أو أخرى. إن حِيَل الشيطان لا حصر لها. ونعلم أنّ مجيء المسيح قد صرع الشيطان. وفي خدمة سر المعمودية يتلو الكاهن صلوات لطرد الشياطين من المعتمد ومن الماء.

الإنجيل قال إن الشيطان دخل يهوذا، فسلّم المسيح للصلب. وقال بطرس لحنانيا: "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس؟" (أعمال ٥: ٣). بولس الرسول انتهر عليماً الساحر النبي الكذّاب، وسمّاه ابن ابليس، فعمي (أعمال ١٣: ٥–١٢). وطرد بولس الشيطانَ من العرّافة (أعمال ١٦: ١٦–١٩). وهناك حوادث سكنى الشيطان في البراري التي ذكرها الرب يسوع. وهناك سكناه في بيوت الأوثان (كما ذكر الأب اسبيرو جبور في سيرة الشهيد العظيم جاورجيوس والقديس الناسك مارون). وفي التاريخ جاء أن أسقف أفاميا الشهيرة (محافظة حماة الحالية) أمر بهدم بيت الأصنام الرائع البنيان على ٣ أعمدة، فضجّت الشياطين التي كانت تسكنه. آباء البراري في الجيل الثاني استغربوا انحدار مستوى محاربة الشياطين لهم، فنسبوا ذلك إما إلى ضعفهم وإما إلى هرب الشياطين بسبب صلوات آباء الجيل السابق. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤٦ – هل صحيح أن السيد المسيح قال في رجال الكهنوت الحاليين: "اسمعوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم"؟

ج ٤٦ – هذا تأويل خاطئ لقول المسيح في الكتبة والفريسيّين اليهود: "فكل ما قالوا

لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون" (مت٢٣: ٣). هذا السؤال يدل، ويا للأسف، على أن الناس لا تقرأ الكتاب المقدس. ومع ذلك يبقى قول المسيح هذا خالداً وينطبق على جميع الذين يعلّمون الكلمة الإلهية ولا يعملون بها لأنهم يأخذون دينونة أعظم. لهذا السبب ينصحنا الرسول يعقوب: "كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم" (يع١: ٢٢)؛ وأيضاً: "لا تكونوا معلِّمين كثيراً يا أخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" (يع٣: ١).

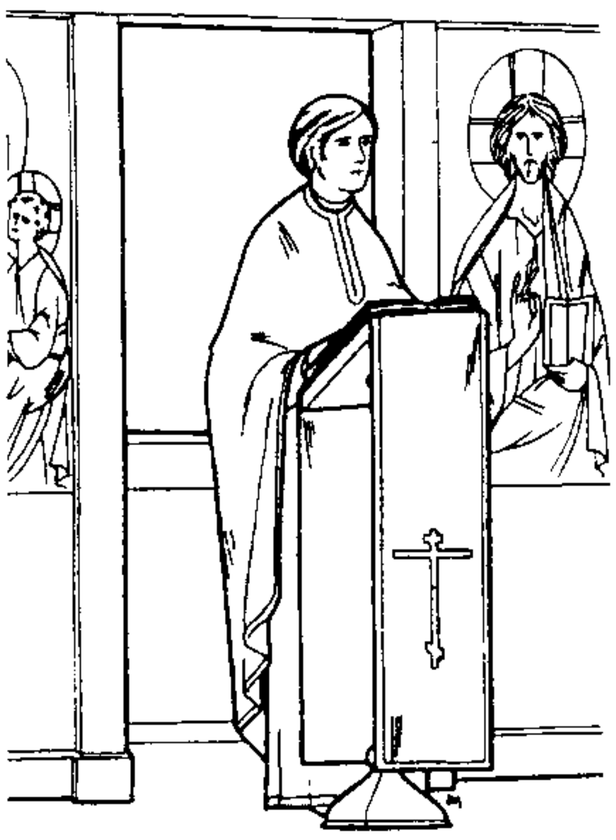

والذهبي الفم في تفسيره لمتى ٢٣، يقول إن الرب ينتقد حياة الكتبة والفريسيين الفاسدة ومحبتهم للمجد لا لكي نحتقر نحن معلِّمينا ولا حتى نثور ضد كهنتنا. ويقول إن شرّ المعلِّم لا يبرّر شرّ تلميذه أو تهاونه، لأن المعلِّم يتكلّم بكلمات الله لا بكلماته هو، لهذا السبب قال السيد "كل ما قال لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه" حتى ولو كان المعلِّم لا يقوم به في حياته، لأنه سيأخذ دينونة أشدّ.

الشيء المضحك والمبكي هنا أن الكثيرين من الذين يقولون اليوم: "اسمعوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم" لا يعرفون هذه الأقوال ولا يحفظونها ولا يطبقونها في حياتهم.

ومن جهة أخرى، إن رسالة رجل الدين (الأسقف بصورة رئيسية لأنه كان شماساً فكاهناً ومن ثم أسقفاً، وهو المترأس في الكنيسة) هي تعليم كلمة الله لخلاص الناس. فلا ينبغي على رجل الدين أن يعلّم تعليمه هو أو أن يُدلي برأيه الشخصي في الكنيسة إلا إذا كان على اتفاق مع الكتاب المقدس ومع تقليد الكنيسة. انحرافات رجال الدين عن رسالتهم في القول والفعل والفكر هي الأسباب الرئيسية التي تدفع الناس العاديين (وهم الأكثرية) إلى الإلحاد بأنواعه وألوانه (النظري والعملي، العلني والخفي، الجزئي والتام، الخ..). رجل الدين هو رسولٌ للمسيح وتلميذٌ له وسفيرٌ ونائبٌ ووكيل أسراره؛ عليه أن ينقص في كل شيء لكي ينمو المسيح فيه فيظهر المسيح للناس حيّاً بينهم. هكذا تصير حياة رجل الدين هي حياة الكنيسة نفسها، ويصير فكره وأقواله وأفعاله هي نفسها فكر الكنيسة وأقوالها وأفعالها. لهذا فالإكليريكية ليست بالأمر السهل وليست تجارة (كما أضحت في كثير من الأحيان). إنها دعوة وشهادة واستشهاد ومَن استطاع أن يقبل فليقبل، وإلا لكان

نير الإكليريكية على غير المستحقين صليباً للدينونة لا للخلاص! فالأسقف اليوم هو خليفة تلاميذ المسيح ورسله؛ هو خليفة إغناطيوس الأنطاكي وإيريناوس والذهبي الفم وباسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ومكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي وبالاماس وثيوفانس الحبيس ويوحنا كرونشتادت، الخ... من آباء ومعلِّمين وشهداء ومعترفين ورسل ومبشّرين ونسّاك ومتوحّدين... أسقف اليوم هو تلميذٌ لمَن سبقه وأبٌ لمَن سيخلفه، لهذا عليه واجب تسليم الوزنة الرسولية بأمانة وإخلاص واجتهاد، وإلا لكان حسابه عسيراً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤٧ – لماذا كانت ظهورات الروح القدس بهيئة حمامة أو نار، الخ..؟

ج ٤٧ – يسوع قال: "كونوا سليمي الطوية كالحمام". الحمامة أتت بغصن زيتون لنوح. إذاً: هو روح الخلاص من طوفان الخطيئة، والمسالمة مع الله والعودة إلى البراءة بنار التطهير. فهو يعدّنا كي يلدنا في المسيح ويجعلنا أبناء الله، فيصالحنا معه بدم المسيح. النار تطهّر كل شيء. "إلهنا نار آكلة" (تثنية وعبرانيين) تحرق خطايانا وتُنيرنا وتُلهب قلوبنا بمحبة الله وغيرته. (اسبيرو جبور)

س ٤٨ – كيف ندعو الكاهن أبانا والكتاب يقول: "لا تدعوا لكم أباً على الأرض.." (متّى ٢٣: ٩)؟

ج ٤٨ – كثيرون من المفسِّرين البروتستانت يقولون إن المسيح قد حرّمَ أن ندعو أحداً على الأرض أباً، فاختاروا ألقاباً أخرى مثل: "محترم"، "قسيس"، "راعٍ"، الخ.

لكن التفسير السطحي والحرفي لقول الرب هذا يعني أنه لا يجوز لنا أبداً أن ندعو إنساناً على الأرض "أباً"، سواء أكان رجل دين (أباً روحياً) أم لا. لأن الآب وحده مَن يجب أن يُدعى هكذا.

لو أخذنا بهذا التفسير الضيّق لوجدنا أن الرسول بولس قد خالف وصية المسيح (أو لم يفهمها على الطريقة البروتستانتية!)، لأنه يقول: "لأنه وإن كان لكم ربواتٌ من المرشدين

في المسيح لكن ليس آباء كثيرون، لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١كور٤: ١٥). فبولس يدعو نفسه هنا "أباً" للذين ولدهم بالإنجيل. ويدعو تيموثاوس وتيطس "ابني". ويوحنا الإنجيلي في رسالته يستعمل لفظة "يا أبنائي الصغار" (١ يو ٢: ١٢ و١٤). أيضاً يدعو بولس أسلافنا "آباء" لنا (١كور١٠: ١). ويستعمل لقب "أب" لمخاطبة الآباء قائلاً: "أيها الآباء.." (كول٣: ٢١). والرب نفسه، في مثل الغني والعازر، يذكر أن الغني خاطب إبراهيم قائلاً: "يا أبي إبراهيم" (لو١٦: ٢٤). لم يجبه إبراهيم قائلاً: "ألا تعرف أن الله الآب فقط هو مَن يجب أن يُدعى أباً؟". ولكنه أجاب الغني: "يا ابني" (لو١٦: ٢٥). ولو تابعنا قراءة متى ٢٣: ١٠ لوجدنا: "ولا تدعوا معلِّمين لأن معلّمكم واحد، المسيح". لكن المسيح نفسه دعا نيقوديموس "معلِّم إسرائيل" (يو٣: ١٠). وكان يوجد في كنيسة إنطاكية "أنبياء ومعلِّمون" (أع١٣: ١). وبولس يذكر أن الله وضع في الكنيسة "معلِّمين" (١كور١٢: ٢٨؛ أفس٤: ١١). إذاً لم يقصد المسيح القول إنه لا يجوز أن ندعو أحداً "أباً" إلا الآب، ولا أحداً "معلِّماً" إلا المسيح. وبولس الرسول والكنيسة كلها لم تفهم قول المسيح هذا كما يحاول البعض أن يفهمه اليوم. يبقى السؤال: ماذا قصد المسيح من قوله هذا إذن؟

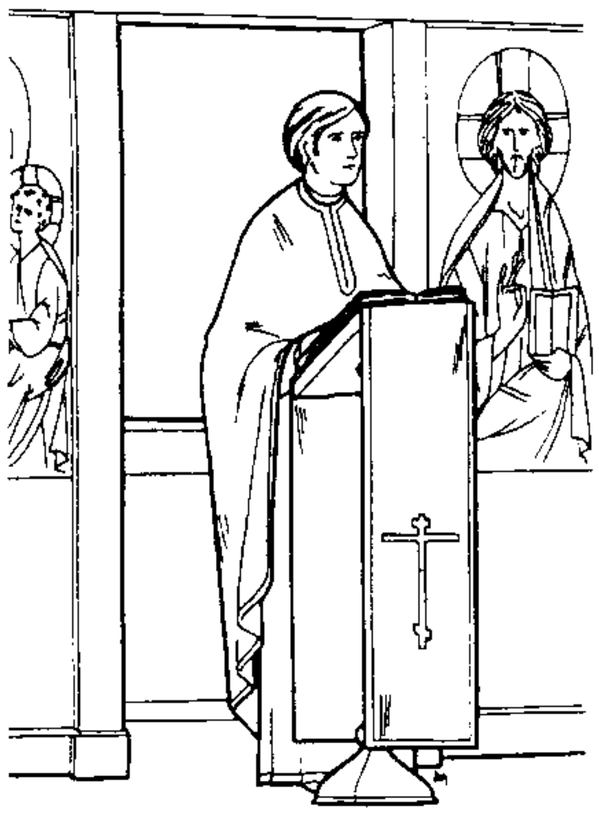

المناسبة التي فيها قال السيد هذا القول تشرح لنا معناه. فالمسيح كان يتكلم عن الكتبة والفريسيين وكان ينتقد ممارستهم وتعليمهم، وكيفية استعمالهم للقب "أب" و"معلِّم". يقول: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيّون" (مت٢٣: ١). وبدلاً من تعليم شريعة موسى صاروا يعلّمون تقليدهم الخاص (مر٧: ٨ و٩)، "مُبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلّمتموه" (مر٧: ١٣). لهذا كان يسوع يحذّرهم من استعمال مناصبهم وألقابهم ليقيموا من حولهم تلاميذ لهم ولتقاليدهم وليس تلاميذ لله ولشريعته. ومع مجيء المسيح، صار على رجال الدين أن يعلِّموا "تعليم الرسل" (أع٢: ٤٢) أو "تعليم المسيح" (٢يو٩)، الذي هو "المعلِّم" الحقيقي و"الأب" الحقيقي، وما رجال الدين إلا صورٌ حية له. وكما يقول الذهبي الفم: "لأنه (المسيح) علّة كل شيء، علّة المعلّمين وعلّة الآباء معاً"[١٧]. لهذا كل "معلّم" وكل "أب" في

(١٧) الموعظة ٧٢: ٣ على إنجيل متى. (راجع الجزء الربع من ترجمة شرح إنجيل متى للذهبي الفم).

الكنيسة ما هو إلا قناة حية لتسليم التعليم الذي وصل إليه من المسيح، "المعلّم الأكبر"، بالرسل. أو بكلمة أخرى، ليس "المعلّم" أو "الأب" في الكنيسة هو مصدر التعليم، بل يسوع المسيح نفسه، بالروح القدس الساكن في الكنيسة. وإلا صار هذا المعلّم أو الأب تحت الدينونة نفسها التي طالت الكتبة والفريسيين. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٤٩ – لماذا أمر الرب الذين من حوله أن لا يقولوا أنه كان المسيح "المسيّا"؟

ج ٤٩ – للإجابة على هذا السؤال، يجب أولاً تعريف كلمة "المسيح" العربية التي هي تعريب لكلمة "المسيّا" العبرية.

لمحة تاريخية:

كلمة المسيح في اللغات السامية تعني الممسوح. موسى رسم مسحة (خروج ٣٠: ٢٢-٣٣). شملت المسحة هارون ونسله الكهنوتي (خروج ٢٩: ٧ و٣٠: ٣٠ والمزمور ١٣٢/١٣٣: ٧). ثم مُسِح الملوك. وبين الأعوام ١٠٠٠ إلى ٥٨٧ ق م، عندما حكمت الملكية الداوودية اليهودية، كان كل ملك يُمسح ويُعتبر ممسوحاً (أو مسيح) الرب وممثل الله أمام الشعب[١٨]. كانت المرتبة المسيانية للسلالة الحاكمة الداوودية تتمتع بالميزات التالية: انتخاب داود من قبل يهوه، الوعود بالنصر والسيطرة الواسعة، تبنّي داود وخلفائه كأبناء، الوعد بسلالة حاكمة أبدية غير مشروطة بإخلاص خلفاء داود ليهوه. كان الملك أداةً للأمن السياسي ورفاهية الشعب.

في القرن الثامن قبل الميلاد، حدث تطور في المسيانية الملَكية، بعد أن عتّم ملوك أشرارٌ على مجد السلالة الداوودية ولطّخوا الرجاء المسياني بفكرة أن كل ملك سيكون مخلِّصاً لشعبه. أشعياء على الخصوص أثار رجاء مختلفاً: ستوجد قوة ليهوه ستُحيي السلالة الحاكمة وتضمن استمراريتها، لأنه بالمستقبل القريب سيُقيم الله خليفة مستحقاً لداود. أشعيا ٧: ١٤-١٦ و٩: ٦- ٧ تصفان الوارث الذي سريعاً ما سيولَد كآية على أن الله ما يزال مع شعبه المختار (عمانوئيل). سيؤسّس الوارث العدالة، ويبني إمبراطورية فسيحة، ويورد السلام إليها، وسيستحق أن يُدعى بألقاب مثل: عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام.

---

(١٨) راجع: مز٢: ٢؛ ٢صمو٧؛ مز٨٩؛ ١تاريخ١٧.

حدث تبدل جذري بعد النفي في مفهوم الرجاء الداوودي المسياني. فلم تعد السلالة الداوودية حاكمة بعد في أورشليم، وبالتالي فالممسوح (المسيح) المنتظر بالكاد يستطيع أن يكون الملك التالي. فالملك المثالي المنتظر سيأتي في مستقبل غير معين عندما يُستعاد عرش داود. هكذا بزغت تدريجياً فكرة الملك المسياني بالمعنى الذي اعتاد الكثيرون أن يفكروا به. بالطبع ما يزال المسيح شخصاً بشرياً سيأتي في حدود التاريخ، لكن عمله سيكون ظهوراً خاصاً لقوة يهوه، وسيحرّر الشعب بدون حدود ويمنحهم الخيرات الروحية والمادية معاً. مع ذلك، بما أنه لم توجد سلالة حاكمة منظورة لتُنتج هذا الشخص، فقد ظهرت آمال وتوقعات يهودية أخرى إلى جانب التوقعات الداودية، مثل الخلاص بكاهن مثالي، أو نبي مثل موسى، أو بالله بدون معونة بشرية.

في أيام الرب يسوع نجد توقعات مختلفة تتعلق بالمسيح المرجو. فلم يتوقع كل اليهود مجيء المسيح، والذين كانوا يتوقعون مجيئه كان لهم تصورات مختلفة عنه كما تدل عليها المصادر اليهودية في تلك الفترة[١٩]. والأدب اليهودي بين ٢٠٠ ق. م. و١٠٠ م ذكر مرات قليلة هذا اللقب بالإشارة إلى شخص مستقبلي. توجد أكثر من ١٥ مرة تُذكر فيها كلمة "مسيح" في مخطوطات البحر الميت المؤلَّفة خلال ١٥٠ سنة.

بالإضافة إلى ندرة الإشارات (أقل من ٣٠) خلال ٣٠٠ سنة عن توقع مجيء المسيح، نضيف حقيقة أخرى أنه رغم أن يوسيفوس، المؤرِّخ اليهودي المشهور المعاصر للمسيح، قد وصف كل أنواع الشخصيات التاريخية (أنبياء، كهنة، ملوك، مثيري شغب) في القرن الأول الميلادي، إلا أنه لم يدعُ أحداً منهم قط مسيحاً. إلا أن يوسيفوس يشير إلى يسوع بلفظة "مسيح، خريستوس" مرتين. إذاً قبل هذا لا يوجد شخص في هذه القرون قد اعتبره اليهود أنه المسيا الملَكي سوى يسوع الناصري.

ولكن في كتاب الصلوات اليهودي–العبري–العربي (القاهرة ١٩١٧) تتردّد كثيراً عبارة: "وليأت المسيح في أيامنا وأيام أولادنا ولتحلّ علينا بركته". فدخول الأمر الصلوات اليومية أهمّ شأناً من ذكره عرضاً أو قصداً في الكتب الأخرى.

---

(١٩) مخطوطات البحر الميت؛ مزامير سليمان (القرن الأول ق م)؛ الخ.

وهذا مؤيَّد بحادثة وردت في إنجيل يوحنا: كان يسوع قد ذكر رفعه على الصليب، فأجابه الجمع: "نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت أنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟" (يو ١٢: ٣٤). المقصود هنا بالناموس الكتاب المقدس. فعقيدة مجيء المسيح وبقائه إلى الأبد كانت، إذاً، آنذاك شعبية لدى الجموع. وسمّاه كثيرون "ابن داود" وبخاصة في يوم أحد الشعانين.

"المسيح" في الأناجيل":

اختصاراً للوقت، سنذكر هنا أربعة حوادث ترد فيها مسألة لقب "المسيح" ليسوع، وهي: سؤال يوحنا المعمدان، اعتراف بطرس، سؤال رئيس الكهنة اليهودي في محاكمة السنهدرين، وحديث الرب مع السامرية.

شهادة يوحنا المعمدان: "أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه مَن أنت؟. فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أني لستُ المسيح. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنتَ؟ فقال: لستُ أنا. ألنبي أنتَ؟ فاجاب لا... فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمِّد إن كنتَ لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟" (يو ١: ١٩–٢٥).

يوحنا أجاب أولاً: "لست المسيح". الفريسيّون قالوا: "إذا لم تكن المسيح...". وحين النزول من جبل التجلّي سأل التلاميذ الثلاثة يسوعَ: "فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟" (متى ١٧: ١٠). والكتبة فريسيّون. والفريسيّون هم علماء الدين. ففي أيام يسوع كان تعليمهم عن مجيء إيليا أولاً والمسيح ثانياً تعليماً مقرَّراً رسمياً. وكان الشعب يردّد كلام الكتبة والفريسيّين. فبعض النقص في المدوّنات اليهودية لا يؤثّر على الحقيقة الثابتة في هذا الحوار.

اعتراف بطرس: جواباً على سؤال الرب يسوع لتلاميذه "مَن يقول الناس إني أنا؟"، "أجاب بطرس وقال له: أنت المسيح" (مر٨: ٢٩– ٣٣)، "أنت هو المسيح ابن الله الحي" (مت١٦: ١٥– ٢٣)، و"مسيح الله" (لو٩: ٢٠–٢٢). بعد هذا الإعلان ينتهر الرب يسوع تلاميذَه كي لا يُخبروا عنه. لا يعني هذا أن اعتراف بطرس خاطئ، لأن الرب يمدح بطرس على هذا الاعتراف. لكن يسوع يبدي تحفظاً هنا تجاه مفهوم المسيا لدى

الناس، لأنه لن يقبل بتعريفهم للمسيا بدون عنصر الآلام المرتبط به ارتباطاً جوهرياً. من هنا نفهم لماذا وبّخ الرب تلميذه بطرس بقسوة لأنه رفض، بدون إدراك، هذه العلاقة بين المسيا وبين آلام يسوع (مت١٦: ٢٢– ٢٣). إذاً لم يرفض الرب يسوع لقب المسيا وإنما رفض المفهوم الشائع له لدى الناس عامة والتلاميذ خاصة والذي يفصله عن الارتباط بالآلام. سوء فهم هذا اللقب هو الذي رفضه الرب. بعد تكثير الخبزات الخمس سعى اليهود لتنصيبه ملكاً، ففرّ من وجوههم (يوحنا ٦). ما كان يسوع يريد مثل هذه المغامرة اليهودية ذات الطابع المدني الثائر ضد الرومان. وأعلنه للسامرية لأنّ السامريين لا يفكرون في مغامرة كهذه، بل قالوا فيه: "... مخلّص العالم حقاً" (يوحنا ٤: ٤٢) مخلص العالم لا مخلّص اليهود أو السامريين وحدهم.

سؤال رئيس الكهنة في محاكمة السنهدرين: سأل رئيس الكهنة: "أنت المسيح ابن المبارك؟" أجاب يسوع في مرقس: "أنا هو" (مر١٤: ٦٢)، وفي متى: "أنت قلت" (مت٢٦: ٦٤)، وفي لوقا: "إن قلت لكم لا تصدقون؛ وإن سألتُ لا تجيبونني" (لو٢٢: ٦٧– ٦٨). يدل هذا على أن مسألة "المسيح" قد أُثيرت خلال حياة يسوع. ففي مرقس كان جواب الرب بالإيجاب؛ وفي متى "... أنت إذاً ابن الله؟" ... قال: "أنتم تقولون أني أنا هو". يوافق الرب في جوابه الإيجابي على السائل رئيس الكهنة. لم ينجح على شهادات متطابقة، فلجأ إلى استجواب يسوع لينتزع منه إقراراً قضائياً يكفي للحكم على يسوع. لم يخف يسوع. اعترف بالحقيقة، فحكم عليه السنهدرين بالموت. وفي لوقا جواب الرب موجّه إلى المجمع بصورة تجمع نصَّي متّى ومرقس. في يوحنا قالوا: "إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً، أجابهم يسوع: إني قلتُ لكم ولستم تؤمنون" (يو١٠: ٢٤– ٢٥). أيضاً لم ينكر الرب أنه المسيا، لكنه كان يعرف أنهم لن يؤمنوا بالمعنى الحقيقي لهذا اللقب ولن يفهموه.

حديث الرب مع السامرية: هنا تقول السامرية للرب: "أنا أعلم أن مسيّا الذي يُقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك يُخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: أنا الذي أكلمك هو" (يو٤: ٢٥– ٢٦). على مستوى القصة، كان جواب الرب أنه المسيا تأكيدي وإيجابي ومدعوم بيوحنا ١: ٤١. إن الفهم السامري للمسيا لم يكن يحمل التلوّن السياسي الذي كان للفهم

اليهودي، ولأن السامريين لم يتوقعوا المسيح لأنهم رفضوا العهد بين الله وداود عن استمرار التعاقب الملوكي لسلالة داود.

حديث الرب يسوع مع السامرية (يو ٤: ٢٠–٢٥) قادها إلى معرفة كون الخلاص يأتي من اليهود، وإلى عبارة الآب بالروح القدس والحق فآمنت بأنّه نبيّ وإن كان يهودياً. فأعلن لها يسوع عبارة الآب ومسيحيانته.

إذاً، من الأناجيل الأربعة نعرف أن الرب يسوع لم ينكر أنه كان المسيح، وإلا لكان تلاميذه قد قالوا أنه كان قد صُلب بتهمة كاذبة (تهمة كونه ملك اليهود، أي المسيح). لكنه كان مسيحاً وملكاً من نوع آخر.

المفهوم الشعبي للمسيح: كما رأينا، تلوّن مفهوم المسيا في اليهودية المعاصرة ليسوع بلون سياسي قومي، واكتسب تحت الحكم الروماني نبرات سياسية قوية، وصار يُنظر إلى المسيا كملك قومي لليهود من نسل داود، وظيفته أن يحرّر اليهود من الاستعمارَ الروماني ويؤسّس مملكة أرضية يهودية. فعند الدخول الأخير إلى أورشليم في أحد الشعانين، عبّرت الجموع عن تطلّعاتها القومية بأن يكون يسوع الناصري ملكاً وطنياً مثل ياهو (٢ملو٩). وحتى قبل حلول الروح القدس على التلاميذ يوم العنصرة، نجد أن التلاميذ أنفسهم كانوا ما يزالون يشاركون اليهود بعض هذه التطلعات. إذ قال اثنان منهما عندما قابلهما الرب في الطريق إلى عمواس: "ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل" (لو٢٤: ٢١). والصدى نفسه نجده في سؤال التلاميذ ليسوع قبل صعوده إلى السماء: "يا رب، هل في هذا الوقت تردّ المُلْك إلى إسرائيل؟" (أع١: ٦). لهذا كان الرب متحفّظاً جداً من دعوة أي واحد له بالمسيح (مر١: ٣٤؛ مر٥: ٤٣؛ مر٩: ٩).

لكن الرب يسوع كان ملكاً، قد أتى ليؤسّس مملكة، وليحرّر شعبه وليرد المُلْك إلى إسرائيل؛ لكنه كان ملكاً من نوع آخر، ملكاً كونياً إلهياً أتى ليؤسّس مملكة ليست على هذه الأرض، ملكاً يحرّر شعبه من أهم عدو له وهو الخطيئة، ملكاً يرد المُلْك إلى إسرائيل الجديد وهو الكنيسة، ملكاً ترتبط ملكيته ومسيانيته ارتباطاً وثيقاً بالآلام والموت (عبد يهوه في أشعيا) وبالتالي بالقيامة. هذا المسيح الملك تمّم مسيانيته بإنجازه خروجاً exodus من نوع جديد في أورشليم (لو٩: ٣١)، خروجاً يترادف مع موته على الصليب، فيه

خلّص شعبه من عبودية الخطيئة والموت فأخرجهم منهما، ومنحهم حياة أبدية وملكوتاً سماوياً، ومواطنة جديدة في أورشليم السماوية الجديدة[٢٠].

لاهوتياً: قال غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الدمشقي إن لاهوت يسوع هو مسحة لناسوته. وقال كيرللس الإسكندري إن الروح القدس مسح يسوع وسكن في ناسوته يوم البشارة. أما سرمدياً فالروح القدس ساكنٌ في يسوع الإله. ولذلك لقب "المسيح" في اللاهوت يدلّ على لاهوت يسوع أيضاً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٥٠ – لماذا لم يذكر الإنجيلي يوحنا سر الافخارستيا "سر الشكر" أو العشاء الأخير؟

ج ٥٠ – رغم أن الإنجيلي يوحنا قد ذكر العشاء الأخير قبل موت الرب إلا أنه أغفل سر الشكر (كسر الخبز) فيه، لا لأنه كان يجهله، بل لأنه ذكر الافخارستيا في مكان آخر. فمن كتابات بولس الأولى (أعمال ٢: ٤٢) نجد أن المسيحيين قد عرفوا سر الشكر (١كور ١١: ٢٣–٢٦)، ويوحنا الإنجيلي، الذي كتب في نهاية القرن الأول، كان يعرف سلفاً هذا السر ويحتفل به، إلا أنه نقل موضعه في إنجيله حتى يعطيه أبعاداً أخرى لم تكن واضحة من قبل. وفي الحقيقة كان وصف يوحنا للعشاء الأخير أطول من وصفه في الأناجيل الإزائية (متى، مرقس، ولوقا). فيوحنا لم يربط كلمات الافخارستيا في العشاء الأخير مع حادثة وحيدة منعزلة من حياة الرب، بل مع تكثير الخبزات، وهي آية حدثت أثناء بشارة يسوع. فالخبز الذي أطعم به يسوعُ الجموعَ كان علامة لخبز (أو لطعام) روحي يغذّي الحياة الروحية المعطاة في المعمودية. وفي الإصحاح السادس من يوحنا، بعد التأكيد على القيمة الغذائية الروحية للكشف الذي هو الخبز من السماء، يؤكّد يسوع على القيمة الغذائية لجسده ودمه، والتي هي لغة يوحنا الافخارستية. فالفضل ليوحنا في التأكيد على أن الافخارستيا هي طعام: طعام الحياة الأبدية. ويوحنا ذكر العشاء وغسل الأرجل أثناءه. من عادته أن لا يكرّر الأناجيل الأزائية (مثلاً: معمودية يسوع، البشارة في الجليل ...)

---

(٢٠) راجع للاستزادة: R.E. Brown: The Death of the Messiah, p. 473 و: شرح إنجيل متى للقديس يوحنا الذهبي الفم، ترجمة د. عدنان طرابلسي، الجزء الثالث، دراسة: "مَن يقول الناس إني أنا".

وهناك علاقة أخرى بين كسر الخبز وظهورات يسوع الناهض من الأموات عند الوجبات عندما كسر الخبز. ففي لوقا ٢٤: ٣٥ يتم التعرّف على يسوع عندما يكسر الخبز. هذه العلاقة بين كسر الخبز والتعرّف على يسوع تؤكد على الحضور الحقيقي ليسوع في الافخارستيا. لأن يسوع الناهض من الأموات حاضرٌ في الافخارستيا. هكذا توجد علاقة بين العشاء الأخير وكسر الخبزات وظهورات يسوع عند الوجبات بعد قيامته. هذه العلاقة طوّرت لاهوت الافخارستيا في الكنيسة الأولى بنعمة الروح القدس. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٥١ – هل كان العشاء الأخير للرب يسوع عشاءً فصحياً أم عادياً؟

ج ٥١ – سنجيب على هذا السؤال من ثلاثة جوانب: ١– موقع العشاء الأخير الزمني بالنسبة لفصح اليهود. ٢– خصائص العشاء الأخير الفصحية. ٣– كيف فهم مسيحيو العهد الجديد هذا العشاء كعشاء فصحي[٢١].

أولاً: موقع العشاء الأخير الزمني بالنسبة لفصح اليهود: عند الشفق الذي يُنهي غروب ١٤ نيسان ويبدأ معه ١٥ نيسان يُذبح الحمل الفصحي اليهودي ويُرش دمه على عتبات المنازل. وعندما صارت الحملان تُذبح في الهيكل (بدأ هذا قبل أيام المسيح)، كان الذبح يبدأ بعدة ساعات قبل غروب ١٤ نيسان. بعد غروب ١٤ نيسان يبدأ يوم ١٥ نيسان في التقويم اليهودي، فيُحمَّص الحمل المذبوح ويؤكل مع خبز فطير وأعشاب مرّة. مع بداية ١٥ نيسان يبدأ أسبوع من عيد الفطير. وقبل أيام يسوع بـ ٦٠٠ سنة تمَّ دمج هذين العيدين معاً بصورة صارت الإشارات الإنجيلية إلى عيد الفصح أو عيد الفطير غير واضحة تماماً لتحديد تأريخ أي منهما. تتفق الأناجيل الأربعة في أن العشاء الأخير حدث يوم الخميس، وأن الصلب حدث يوم الجمعة. إنما يوجد عدم تطابق في تأريخ عيد الفصح اليهودي في أسبوع الآلام بين الأناجيل الإزائية وبين إنجيل يوحنا. اختصارا لهذه النقطة سنستعرض هذين التأريخين في الجدول التالي:

(٢١) راجع الدراسة المفصّلة في الدراسات الكتابية في الجزء الثالث من شرح الذهبي الفم لإنجيل متى.

اليوم	الخميس (العشاء الأخير)	الجمعة (الصلب)	السبت
الإزائية	١٤ نيسان (الفصح اليهودي)	١٥ نيسان (الفطير)	١٦ نيسان
إنجيل يوحنا	١٣ نيسان	١٤ نيسان (الفصح)	١٥ نيسان (الفطير)

كتابياً، لا يوجد تناقض حقيقي بين هذين التأريخين. يمكن مراجعة مناقشة هذه النقطة كتابياً في المرجع السابق المذكور. تأريخ يوحنا هو الأصح. وليتورجيا الكنيسة الأرثوذكسية تتبنّى تأريخ يوحنا.

ثانياً: خصائص العشاء الأخير الفصحية: توجد خصائص فصحية واضحة في العشاء الأخير[٢٢]. من هذه الخصائص باختصار:

- **حدث العشاء الأخير في أورشليم** (مر ١٤: ١٣ وموازياته؛ يو١٨: ١). كان يسوع يمضي ليلته في الأسبوع الأخير في بيت عنيا (مر١١: ١١ وموازياته)، بينما تناول العشاء الأخير في أورشليم (المزدحمة بموسم الحج أثناء الفصح. قُدِّر عدد الناس أكثر من ١٠٠٠٠٠نسمة)، كي يحافظَ على قاعدة الفصح القائلة يجب تناول الفصح في أورشليم.
- **حدث ليلاً** (١كور١١: ٢٣؛ يو١٣: ٣٠؛ مر١٤: ١٧؛ مت٢٦: ٢٠). الفصح وحده يؤكل ليلاً.
- **حدث مع الاثني عشر** (مر١٤: ١٧؛ مت٢٦: ٢٠) حتى يتفق مع قاعدة الفصح في أنه على الأقل عشرة أشخاص يجب أن يشاركوا فيه.
- **اتكأوا إلى المائدة** (مر١٤: ١٨ وموازياته؛ يو١٣: ٢١ و٢٣). يتكأ الآكلون في مناسبات معينة (حفلة، عيد، زفاف). وفي العشاء الفصحي يتكىء المشاركون دلالة على التحرر من العبودية (احتفالاً).

- **كسر الخبز** (مر١٤: ٢٢؛ مت٢٦: ٢٦). مر ١٤: ٢٢ يذكر وجبة فيها كُسر الخبز بعد تقديم صحنٍ. عادة الفصح هو الوجبة الوحيدة في السنة التي يُقدَّم فيها صحنٌ يسبق كسر الخبز.

(٢٢) Joachim Jeremias: The Eucharistic Words of Jesus. The MacMillan Company, New York, 1955. p.14.

- **شرب الخمر** (مر١٤: ٢٣ وموازياته). شرب الخمر يحدث فقط في المناسبات (ختان، خطبة، زفاف،، أحزان)، وفي الأعياد (الفصح، العنصرة، عيد المظال).
- **توكيل يهوذا بالتبرّع للفقراء** (يو١٣: ٢٩). افترض التلاميذ أن يسوع قد فوَّض يهوذا (يو١٣: ٢٦) بإعطاء شيء للفقراء، و"كان ليلاً" (يو١٣: ٣٠). من الصعب الافتراض أن يسوع قد اعتاد على التصدّق للفقراء ليلاً إلا إذا كان العشاء الأخير عشاء فصحياً حيث كان من المعتاد القيام بهذا.
- **اختتام العشاء الأخير بالتسبيح** (مر١٤: ٢٦؛ مت ٢٦: ٣٠). التسبيح يخصّ العشاء الفصحي وهو مختلف عن الشكر في نهاية كل وجبة.
- **عدم العودة إلى بيت عنيا بعد العشاء.** عاد يسوع إلى جبل الزيتون (مر١٤: ٢٦ وموازياته)، إلى بستان شرقي وادي قدرون (يو١٨: ١)، لأنه يجب تمضية ليلة الفصح في أورشليم التي كانت تضم أيام يسوع بيت فاجي وبيت عنيا ووادي قدرون وبستان جثسيماني.
- **تفسير الخبز والخمر**: فسّر يسوع معنى الخبز والخمر في العشاء الأخير. وتفسير عناصر الوجبة جزء راسخ من الطّقس الفصحي. إذ يفسّر رب العائلة عناصر الوجبة الفصحية (الحمل، الفطير، الأعشاب المرّة). هنا أعطى يسوع تفسيراً جديداً، تفسيره هو، لعناصر العشاء الأخير بطريقة جديدة تشير إلى ذبيحته وإلى كونه الحمل الفصحي.

ثالثاً: كيف فهم مسيحيو العهد الجديد هذا العشاء كعشاء فصحي: ذكر بولس تقليداً مسلَّماً إليه (يعود ربما إلى الثلاثينات) لعشاء أخير حدث قبل موت يسوع (١كور١١: ٢٣-٢٥). وطلب من قرّائه أن ينقّوا الخميرة العتيقة بمقدار ما هم فطيرٌ، "لأن فصحنا أيضاً، المسيحَ، قد ذُبح لأجلنا" (١كور٥: ٧). فالمسيح قام من الأموات وصار "باكورة الراقدين" (١٥: ٢٠). إذاً، موت يسوع وقيامته في ذهن بولس مرتبطان برمزية الأيام الافتتاحية لموسم الفصح/الفطير. لهذا فالعشاء الأخير ليسوع قد فهمه المسيحيون لاهوتياً كعشاء فصحي، وربطوا موت يسوع

بتضحية الحمل الفصحي، فصار يسوع هو الحمل الفصحي (١بطر١: ١٩). ورؤيا يوحنا (٥: ٦-١٤) تصوّر المسيح، في إطار ليتورجي من الصلوات والبخور، كحملٍ مذبوحٍ، دمه اشترى الناس من كل قبيلة لله. مرقس ١٤: ١٢-١٦ يقدّم العشاء الأخير كعشاء فصحي. ولوقا ٢٢: ١٥ يفسّر مرقس عندما بدأ يسوع العشاء بالقول إنه اشتهى أن يأكل هذا الفصح مع تلاميذه قبل آلامه. ومن الواضح أنه في هذا العشاء الفصحي إن الكلمات الملفوظة بالإشارة إلى الخبز والخمر تعطي جسد يسوع ودمه المكان المركزي الرئيسي المخصَّص عادة للحمل المضحَّى به في الهيكل. هذا الحمل لم يُذكر قط لدى العشاء الأخير في الأناجيل، لأن يسوع هو الحمل الفصحي هنا. أما يوحنا فقد قدّم رؤية ليسوع على أنه الحمل الفصحي. فيسوع هو "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩ و٣٦)، و"دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١يو١: ٧)، و"هو كفارة خطايانا" (١ يو٢: ٢). والجنود لا يكسرون عظماً ليسوع (يو١٩: ٣٣)، مكمِّلين وصفاً كتابياً للحمل الفصحي (خر١٢: ١٠، ٤٦؛ العدد٩: ١٢). وتُستعمل الزوفى لرفع إسفنجة مملوءة خلاً إلى شفتي يسوع (يو١٩: ٢٩) كما اُستعملت الزوفى لرش دم الحمل الفصحي على عتبات بيوت الإسرائيليين (خر١٢: ٢٢).

هكذا كان العشاء الأخير عشاء فصحياً، كان يسوع فيه هو الحمل الفصحي، إذ قدّم جسده ودمه للمؤمنين به لينالوا الخلاص. والأناجيل الإزائية فهمت هذا العشاء كعشاء فصحي إنما لم تراعِ التأريخ الزمني بالنسبة لفصح اليهود، مشيرة إلى أن يسوع قد أقام فصحه الخاص به، فصحاً جديداً، لكي يلغيَ الفصح اليهودي. بينما كان العشاء الأخير عشاء فصحياً لدى يوحنا، حيث كان فيه يسوع هو الحمل الفصحي الذي ذُبح على الصليب عندما كانت حملان اليهود الفصحية تُذبح في الهيكل. هكذا تتفق الأناجيل الأربعة في اللاهوت الفصحي الواحد نفسه[٢٣]. **(د. عدنان طرابلسي)**

---

(٢٣) نوّهت في الحاشية ١١٢ ص ١٢٨ ١٢٩ – من كتابي "يا يسوعاه !" بالخلاف في الغرب حول العشاء السري. الاختلاف بين الأناجيل حول تاريخ الفصح سطحي. فهم جميعاً متفقون على وقوع العشاء يوم الخميس والصلب يوم الجمعة والقيامة يوم الأحد. والبعض كالنص هنا وملحق معجم الكتاب الفرنسي يقولون إنّ يسوع لم يأكل الفصح اليهودي. .B.J الرصينة تقول إنّ يسوع قدّم موعد أكله الفصح يوماً واحداً وأكل الخروف الفصحي فأنهى فصح اليهود، ثم أسّس سر الشكر (الحاشية على لوقا ٢٢: ١٧). شرح انجيل مرقس الذي ترجمه من اليونانية الأب أفرام كرياكوس يوافق ذلك. حديثاً الكسندر Men الروسي اليهودي الاصل قال بتقديم الموعد وأكل الخروف. ويذهب إلى أن الذهبي الفم قال بتقديم الموعد. لم يقل ذلك صراحة ولكنه اعتبر عشاء الخميس فصحاً ومساء الجمعة فصحاً. (اسبيرو جبور).

س ٥٢ – هل حقاً تناول التلاميذ في العشاء الأخير جسدَ المسيح ودمه؟ هل هو مجرد رمزٍ لهما؟

ج ٥٢ – الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية تؤمنان بأن الرسل تناولوا جسد الرب ودمه. الذهبي الفم يؤيّد ذلك صراحة وليس لدى الأرثوذكس والكاثوليك أي قولٍ يناقض هذا الإيمان. فالرب يسوع قال: "هذا هو جسدي... وهذا هو دمي". لا أستطيع أن أقول خلاف ذلك إلا إذا قلتُ إن يسوع كاذبٌ في قوله. **(اسبيرو جبور)**

س ٥٣ – لماذا خان يهوذا الاسخريوطي المسيحَ وسلّمه؟

ج ٥٣ – لا يشير إنجيل مرقس إلى أي دافع لتسليم المسيح. الأناجيل اللاحقة (متى، لوقا ويوحنا) تشير إلى عاملين:

١– في متى ٢٦: ١٤–١٥ يسأل يهوذا رؤساء الكهنة: "ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلّمه إليكم؟". في يو١٢: ٤–٦، بعد مسح يسوع بالطيب من قبل مريم أخت لعازر، وبعد أن تذمّر يهوذا يشير يوحنا إلى عدم إخلاص يهوذا قائلاً: "لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلقى فيه". ارتبطت هاتان الحادثتان في أسطورة Voragine في العصور الوسطى فصارت الثلاثين من الفضة، ثمن خيانة يهوذا ليسوع، مكافأة يهوذا كعشر الثلاثمائة دينار ثمن الطيب المذكور في مر١٤: ٥ ويو١٢: ٥. إذاً كانت محبة المال (الجشع والطمع) الدافع الأول. هذا الدافع (الطمع بالمال) يذكره القديس الذهبي الفم على شرح متى، العظة ٨٠: ٣

٢– لوقا ٢٢: ٣ يمهّد لذهاب يهوذا إلى رؤساء الكهنة بالقول: "فدخل الشيطان في يهوذا". وقبل العشاء الأخير يقول يوحنا: "فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي أن يسلّمه". ويؤكد يوحنا أنه "بعد اللقمة دخله الشيطان" (يو١٣: ٢٧). هكذا يقدّم لوقا ويوحنا يهوذا كأداة للشيطان وكعامل رئيسي في تسليمه ليسوع. أيضاً توجد إشارتان للعنصر الشيطاني، الأولى هي في وصف يهوذا أنه "ابن الهلاك" (يو١٧: ١٢) وهو تعبير تستعمله رسالة ٢تسا٢: ٣ للشخص المعادي لله؛ والثانية في وصفه كشيطان (يو٦: ٧٠). أيضاً إن فكرة كون يسوع كان يعرف يهوذا

"من البدء" قد تكون مرتبطة بأن الشيطان كان "قتّالاً للناس من البدء" (يو٦: ٦٤ و٨: ٤٤).

هل يوجد عامل ثالث؟ حاول علماء الكتاب المقدس استنتاج المزيد من الدوافع من استقراء نصوص الأناجيل. مثلاً: عندما سكبت امرأة طيباً على يسوع في بيت سمعان الأبرص، قال يسوع: "فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني". هنا يذكر متى مباشرة: "حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يُدعى يهوذا الاسخريوطي."... فهل توجد علاقة بين قول الرب وبين خيانة يهوذا؟ هل كانت ليهوذا مطامع وأحلام قومية سياسية (مثل فئة الغيورين) في يسوع، لكنه أُصيب بخيبة أمل عندما سمع يسوع قائلاً إنه سيُكفَّن؟ من الدوافع الأخرى المقترحة لخيانة يهوذا ليسوع: ادعاء يسوع أنه المسيّا، ادعاء يسوع أنه ابن الله، احتفال يسوع بالفصح على طريقته، كلام يسوع عن الهيكل. افترض البعض أن يهوذا كان يعمل مع السنهدرين لفترة طويلة، خاصة بعدما ظنَّ أن يسوع قد فشل في تدشين ملكوته على الأرض. وافترض البعض أن يهوذا سلَّم يسوع كي يجبر يسوع على إظهار قوته، حتى إن البعض افترض أن يهوذا قد سلَّم يسوع بأمرٍ من يسوع نفسه! بعض الغنوصيين شعروا بالامتنان ليهوذا لأنه أجبر قوى هذا العالم أن تعمل ضد يسوع وبالتالي صار الخلاص ممكناً[٢٤]!

الدلائل الكتابية لا تؤيد أياً من الدوافع السابقة التي أنتجها الخيال الخصب للدارسين على أنواعهم. الدافعان الرئيسيان الكتابيان هما الجشع (محبة المال)، وكون يهوذا أداة للشيطان. ومن جهة أخرى يرى آباء الكنيسة كلهم في شخص يهوذا نموذجاً للمسيحي غير الأمين ليسوع ، ونموذجاً للذي يسلّم المسيحيين للمضطهدين الرومان (راعي هرماس، استشهاد بوليكاربوس ٦: ٢)، وهذا على اتفاق مع أعمال ١: ٢٥ بأن يهوذا قد أُدين. أيضاً يقول القديس ايريناوس (ضد الهراطقة ٥: ٣٣: ٣–٤) إن يهوذا قد عبَّر عن عدم الإيمان. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٥٤ – هل تناول يهوذا الاسخريوطي من جسد المسيح ودمه في العشاء الأخير؟

ج ٥٤ – ينقسم علماء الكتاب المقدس إلى فريقين: فريق يقول إن يهوذا تناول من

---

(٢٤) ما فعله يهوذا قد ساهم في تحقيق الأسفار (مر١٤: ١٨–٢١ وموازياته؛ و١٤: ٤٣–٤٥ وموازياته؛ يو١٣: ١٨؛ مت٢٧: ٩). إنما الأصح أن ما فعله يهوذا قد سبق للأنبياء أن تنبأوا عنه، وبالطبع لم يفعل يهوذا ما فعله حرصاً منه على تحقيق هذه التنبؤات!

الافخارستيا (جسد المسيح ودمه)، وفريق يقول إنه لم يتناول. الذين يقولون إن يهوذا قد تناول من الافخارستيا يشيرون إلى ١كور١١: ٢٧-٣٢ التي يتكلم فيها بولس بإدانة قوية لكل مَن يأكل الخبز ويشرب كأس الرب بغير استحقاق: "إذ أي مَن أكل (هذا) الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب... من أجل هذا كثيرون يرقدون". يقولون إن هذا إشارة إلى يهوذا الذي تناول بغير استحقاق ومات سريعاً بعد هذا. إنما هل يوجد وصفٌ إنجيلي دقيق يقول إن يهوذا تناول الجسد والدم؟ الجواب هو لا. يوحنا لا يصف الافخارستيا في العشاء الأخير ولا يمكن أن نستنتج شيئاً من ذكر اللقمة التي أُعطيت ليهوذا في يو١٣: ٢٦. فيسوع غمس في الصحن مع يهوذا في مر١٤: ٢٠. أما مت٢٦: ٣٢ فهي وصفٌ متميزٌ تماماً عن الافخارستيا. في مر١٤: ١٨-٢١ ومت٢٦: ٢١-٢٥ نجد أن تحذير يسوع الذي يتنبأ فيه بخيانة يهوذا (تحذير صريح في متى) قد سبق الكلمات على الخبز والخمر (مر١٤: ٢٢-٢٥؛ مت٢٦: ٢٦-٢٩). ولا واحد من هذين الإنجيليَن يصف انصراف يهوذا من الوجبة (مذكور فقط في يو١٣: ٣٠)، ولو أن يهوذا لم يكن بين الرسل الذين ذهبوا مع يسوع إلى الجثسمانية (لكنه يصل متأخراً: مر١٤: ٤٣؛ مت٢٦: ٤٧). إذاً لا توجد طريقة لمعرفة فيما إذا كان في ذهن مرقس ومتى أن يهوذا قد غادر بعد التحذير (وقبل الافخارستيا) أو بعد الافخارستيا.

أما وصف لوقا فيسبّب مشكلة: ففي لوقا إن تحذير يسوع المتنبئ بالخيانة (٢٢: ٢١-٢٣) يلي الكلمات على الخبز والخمر (٢٢: ١٧-٢٠). سيظن المرء أن يهوذا كان هناك أثناء التحذير وأثناء الافخارستيا. مع ذلك لا يذكر لوقا قط يهوذا بالاسم خلال العشاء. يذكر لوقا أيضاً قول يسوع لتلاميذه بعد ذكره الويل على خيانته: "أنتم الذين ثبتّم معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (لو٢٢: ٢٨ و٣٠). إن كان من المحتمل أن يهوذا قد تناول الافخارستيا ومن ثم سمع لعنة يسوع له، فهل غادر بعد اللعنة وقبل الوعد بالملكوت؟

علماء الكتاب المقدس حاولوا حلّ المسألة بإعادة ترتيب النصوص كالعادة. اقترح البعض وجبتين: كان يهوذا في الوجبة الأولى عندما قرر أن يسلّم يسوع، لكنه لم يكن في العشاء الأخير وبالتالي لم يتناول الافخارستيا. وقد أدلى البعض بدليلٍ على وجود وجبتين من كتابات القديس أفرام السوري[٢٥] والقوانين الرسولية[٢٦] التي تسمح بالتفريق بين ليلة غسل الأرجل وليلة الافخارستيا. وحاجّ البعض أن مر١٤: ١٠–١١ (ذهاب يهوذا إلى رؤساء الكهنة للاتفاق على تسليم يسوع) هو حدث قد ذُكر خارج الترتيب الزمني، لأنه بالأصل قد حدث في نهاية العشاء الأخير كما في يو١٣: ٣٠. وبالتالي يفترضون ترتيب لوقا الأصلي أنه: ٢٢: ٢٥ و٢٨–٣٠، ٢١–٢٣، ٣–٦؛ وبالتالي سلّم يهوذا يسوعَ بعد الافخارستيا. ربما شعر البعض أن تناول يهوذا من الافخارستيا عندما عقد العزم سلفاً على تسليم يسوع كان أمراً فضائحياً وبالتالي يجب تجنبه!

الأب اسبيرو جبور يرى أن يهوذا قد غادر العشاء الأخير في منتصفه قبل البدء بالاحتفال بالفصح اليهودي بالخاصة (بعد الأكل من صحن الأعشاب المرّة وقبل الافخارستيا[٢٧])، بينما يرى الذهبي الفم (الموعظة ٨٢: ١على متى) أن يهوذا (والمسيح نفسه أيضاً) قد تناول من الأسرار. ليتورجيا الكنيسة الأرثوذكسية تذكر أن يهوذا قد تناول من الخبز السماوي: "إن يهوذا هو ابن الأفاعي... وكذلك هذا الرديء العبادة، إذ كان الخبز السماوي في فمه، صنع التسليم على المخلّص"[٢٨]... باختصار إذاً، لا يوجد دليل كتابي مباشر على تناول يهوذا من الافخارستيا في العشاء الأخير. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٥٥ – ما معنى تمزّق حجاب الهيكل اليهودي عند موت المسيح على الصليب؟

ج ٥٥ – حجاب الهيكل هو الستارة التي تفصل قدس الأقداس عن صحن الهيكل اليهودي. وظيفة الحجاب كانت فرز قدس الأقداس عن باقي الهيكل وتخصيصه

---

(٢٥) Commentary on the Diatessaron 19.3-4

(٢٦) Apostolic Constitutions 5.14.1-6

(٢٧) اسبيرو جبور: "يا يسوعاه"، ص ١١٢، ١٩٩٧ وهو خبير جدا بالاصول اليهودية.

(٢٨) قداس باسيليوس الكبير، يوم الخميس العظيم.

والمحافظة على قدسيته التي يكتسبها بسبب وجود ألواح الوصايا وتابوت العهد فيه. في قدس الأقداس كان الحضور الإلهي موجوداً. يدخل رئيس الكهنة فقط مرة واحدة في السنة إلى قدس الأقداس عبر الحجاب وهناك يقدّم ذبيحة حيوانية كفّارة عن خطاياه وخطايا سائر الشعب.

عند موت المسيح على الصليب تمزّق حجاب الهيكل. لهذا التمزّق معانٍ عديدة. فأولاً خسر قدس الأقداس مكانته وقدسيته ولم يعد مكاناً للحضور الإلهي الذي غادره عند موت المسيح وإلى الأبد. ثانياً، خسر الشعب اليهودي امتيازه كشعب لله له أُعطيت العهود والمواعِد والشرائع، وخسر الهيكل اليهودي مكانته كمعبد إلهيٍ، وصار غير المؤمنين بالمسيح من اليهود أعداء الله والإنجيل. ثالثاً، لم يعد الإيمان بالله الواحد حكراً على اليهود بل صار الإيمان لجميع الناس وصارت العبادة لله الواحد ممكنة للجميع وفي كل مكان، لأن الله فتح الأبواب للأمم كما لليهود. رابعاً، تمزق الحجاب هو علامة على الغضب الإلهي على صلب يسوع ابن الله. وهو ردة فعل على تمزيق رئيس الكهنة اليهودي لثيابه عند اتهامه ليسوع بالتجديف. هنا الله الآب يتدخل من السماء بآية مظهراً بأن رئيس الكهنة هو المجدِّف برفضه بنوّة يسوع لله الآب وبأن الله يتبرّأ من الكهنوت اليهودي ومن الناموس اليهودي اللذين بطلا بمجيء المسيح[٢٩]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٥٦ – ما هو التجديف على الروح القدس، ولماذا لا يُغفر؟

ج ٥٦ – الفريسيّون قالوا إن يسوع يطرد الشياطين ببعل زبول رئيس الشياطين، بينما يطردهم بفعل الروح القدس. وقام من بين الأموات فدفع رؤساء الكهنة والشيوخ أموالاً باهظة للحرس ليقولوا إن تلاميذه سرقوا جسده. وتعقّبوا التلاميذ فحبسوا أنفسهم في عشية ذلك اليوم. هذه الحرب على الحقيقة دلّ عليها إشعيا قائلاً: "الويل للقائلين للحق باطلاً وللنور ظلاماً و و.." (اش٥: ٢٠). يسوع قال لبولس: "صعب عليك أن ترفس مناخس" (أعمال٢٦: ١٤). مقاومة الحقيقة كفر فاحش. يبدو من العهد الجديد أن رجال الدين

(٢٩) راجع ترجمة شرح إنجيل متى للذهبي الفم، الجزء الرابع، الدراسات الكتابية. الرسالة إلى العبرانيين (٩: ١٢ و ١٠: ٢٠) ما يفيد أنّ دم يسوع فتح لنا أبواب السماوات التي انشقت حين اعتماد يسوع ونزول الروح القدس عليه (مر ١: ١٠).

اليهودي غلاظ الرقاب والقلوب في عدائهم للحق يسوع. هم أعداء الحقيقة عمداً. (اسبيرو جبور)

س ٥٧ – هل ذكر العهد الجديد أولوية الرسول بطرس وبأي معنى؟

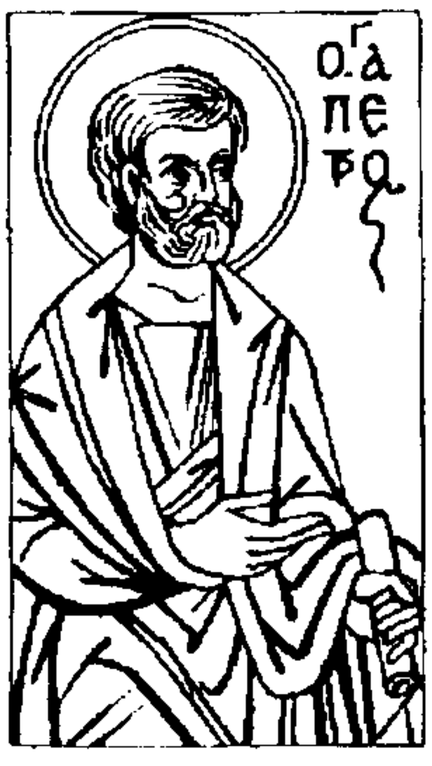

ج ٥٧ – الإنجيلي متّى وحده ذكر أولوية بطرس (متى ١٠: ٢). كان يتقدّم، ولكن في مجمع أورشليم نرى يعقوب الرسول يلفظ حكم المجمع (١٥: ٢٨). وبولس ساوى نفسه ببطرس ويوحنا ويعقوب، وبطرس رسولٌ لليهود وبولس رسولٌ للأمم، وإن كان بطرس قد هدى كرنيليوس الوثني وأتى أنطاكية وعاشر فيها المسيحيين من أصل وثني. كانت كنيسة أورشليم هي المرجع الذي لجأ إليه بولس ضد معارضيه المتهوِّدين. ففصل الرسل والكنيسة كلها الخلاف وحكموا لبولس ووجّهوا الرسالة إلى الكنائس بذلك. ولكن بسبب الأهمية السياسية تميّزت كنائس مدن الإمبراطورية الكبرى روما والإسكندرية وأنطاكية (القانون السادس من المجمع المسكوني الأول). وكانت أورشليم مدينة الملك العظيم تابعة لأسقف قيصرية عاصمة فلسطين التابع بدوره لأسقف أنطاكية. والمجمع الثاني والرابع المسكونيان سمّيا القسطنطينية روما الجديدة وقدّماها على الإسكندرية وأنطاكية. والإمبراطور جوستنيانوس (٥٢٧–٥٦٥) ثبَّت ترتيب المجامع فأصدر قانون الأبرشيات الخمس (روما، القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية، وأورشليم). والمجامع المسكونية اجتمعت في تركيا الحالية بأمر الأباطرة لا لدى بابا روما وبأمره. والبابا القديس لاون ارتمى على الإمبراطورة بولخاريا للدعوة إلى المجمع المسكوني الرابع. والبابا القديس أغاثون صالح الإمبراطور قسطنطين الرابع على أساس قيام الأخير بالدعوة إلى المجمع المسكوني السادس. وليس من نصٍّ مقدس على أن خلافة الرسول تكون في مكان وفاته. فالرسل رسموا أساقفة حيث حلّوا. وأنطاكية تعتبر نفسها مكان خلافة بطرس وبولس مع أنها في المرتبة الثالثة قديماً والرابعة حالياً. القانون ٢٨ من المجمع المسكوني الرابع قاطع وليس لدى الأرثوذكس ما يعاكسه أبداً منذ صدوره.

المجمع السادس ذكر القسطنطينية كروما الجديدة مع أن نفوذ البابا فيه هائل. المجمع الرابع المسكوني كلّف أسقف أنطاكيا مصالحة أسقف أورشليم التائب جوفينال فاتفق معه

على استقلال أورشليم وحدّد نطاقها بثلاث أسقفيات: قيصرية، وبيسان والبتراء. والمجمع السادس دان البابا أونوريوس واعتبره هرطوقياً. وقبل بنديكتوس الثامن وتخريب دستور الإيمان بزيادة انبثاق الروح القدس من الابن رفض ٥١ من البابوات السابقين له هذه الهرطقة. فمَن المعصوم: أهؤلاء الأبرار أم خلفاؤهم؟ ما ظهرت الدعاوى الكاذبة إلا بعد انشقاق ١٠٥٤. (اسبيرو جبور)

س ٥٨ – هل يُعتبر توبيخ بولس لبطرس في أنطاكية إنكاراً لأولويته؟

ج ٥٨ – في أنطاكية وبّخ بولسُ بطرسَ على الجُبْن الذي أظهره لمّا وفد قومٌ من أورشليم من جماعة يعقوب أخي الرب يتمسّكون بناموس موسى. كان بطرس قبل قدومهم يعاشر المسيحيين من أصل وثني ويعيش معهم مثلهم، نابذاً ناموس موسى. لما جاؤوا امتنع عن معاشرتهم وتبعه البعض بما فيه برنابا. هذا الحادث لا يدلّ على احتقار بولس لبطرس وإنكار وزنه الكبير، بل على المساواة التي سمحت لبولس أن يقاوم بطرس ويوبّخه. ذكر بولس الحادثة ليدلّل على أنه ليس دون بطرس وسواه من الرسل، بل هو على قدم المساواة معهم لدرجة أن له الحق في توبيخ بطرس ومعارضته. أما أولويّة بطرس فثابتة بنصّ إنجيل متّى (١٠: ٢). ولكنها لا تُعفيه من الخضوع للنظام العام. فلمّا خالفه لامه بولسُ. وهذا دليل على حق المؤمنين في معارضة الباطل والهرطقات. (اسبيرو جبور).

س ٥٩ – ما هي الخصائص التي تمتّعت بها العذراء مريم في الكتاب المقدس؟

ج ٥٩ – في العهد الجديد تسميات مريم العذراء هي:

١– أمّ يسوع مخلّص شعبه من خطاياهم (متى ١: ٢١). في أشعيا وسواه يهوه هو المخلّص والفادي. يشوع العبرية هي اختصار يهوشاع أي يهوه المخلّص. هي أمّ يهوه الفادي.

٢– هي أمّ عمانوئيل (متى ١١: ٢٣). عمانوئيل هو الله. هي فوق المخلوق ودون الخالق.

٣- هي أمّ ابن الله وابن العلي (لوقا ١: ٣٢ و٣٥). وابن الله هو الله عندنا.

٤- هي أمّ الرب (لوقا ١: ٤٣). والرب هو الله.

٥- هي أمّ يسوع (يوحنا ٢: ١ وأع ١: ١٤). ويسوع هو ربنا وإلهنا.

فالعذراء مريم هي أمّ الله لأن شخص (أقنوم) يسوع واحد. لم تلد جوهر الابن الإلهي، ولكن بسبب وحدة الأقنوم نقول إنها والدة الإله. الملائكة يخدمون الذين يرثون الخلاص (عبرانيين ١). فهي أعظم منهم. والبشر عبيدٌ لله. الروح القدس طهَّرها لتلد يسوع بدون ميل إلى الخطيئة. فطبيعته من طبيعتها. وهذا ما لم يحصل عليه إنسانٌ آخر.

٦- هي الدائمة البتولية. أشعيا قال: "هوذا العذراء". لم يقل: "هوذا عذراء". طبيعة يسوع البشرية من طبيعتها المطهَّرة. الذين يزعمون أن لديها أولاد هم أغبياء. هي مطهَّرة ويوسف غير مطهَّر. وفي الفصل ٧ من يوحنا جاء أن أخوته ما كانوا بعد يؤمنون به. فهل من المعقول أن يكونوا قد تربّوا في حضن العذراء؟

٧- هي قالت: "فها منذ الآن تطوّبني جميع الأجيال". وتطويبها في الكنائس القديمة الأصيلة روعة الروائع.

٨- شاركت المسيح في آلامه، فوقفت لدى الصليب، وجاز سيفٌ في نفسها كما تنبأ سمعان الشيخ الصدّيق.

٩- كان يسوع يطيعها في طفولته وحداثته (لوقا ٢: ٥١) وفي كبره، فأجرى عجيبة تحويل الماء إلى خمر نزولاً عند رغبتها.

١٠- حضرت الصعود الإلهي وكانت في جوقة الـ ١٢٠ المنصرفين إلى الصلاة حتى يوم العنصرة المجيدة.

١١- سلّمها يسوع إلى يوحنا الإنجيلي، فصارت أمّه وصار ابنها، فعاشت لديه عزيزة كريمة حتى رقادها.

١٢- لاهوتياً، الكنيسة تؤمن بأنها صارت يوم البشارة أمّاً لله فولدته وربّته. هي التخم بين المخلوق وغير المخلوق (بالاماس). أقرب من الرسل والملائكة وكل البشر إلى الله. وحدها بين النساء استحقت أن تصير أداة التجسد الإلهي

لخلاص البشر. بها صار الإله طفلاً. اللسان عاجز عن التكلّم في عظائم مريم البتول.

١٣- النسل الموعود به لحواء وإبراهيم واسحق ويعقوب ويهوذا ويسَّى وداود سيكون المسيح ابن داود. الملاك بشَّر مريم العذراء. قال: "سيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه ويملك على آل يعقوب إلى الأبد" (لو ١: ٣٢). مريم هي سليلة داود التي ورث ابنها عرش داود.

١٤- بلغ صوت سلامها اليصابات فامتلأت هذه من الروح القدس وارتكض الجنين في بطنها من الابتهاج (لو ١: ٤١-٤٥). ما هذه القدرة العجائبية في صوت العذراء؟ سبحان الذي غمرها بمجده! **(اسبيرو جبور)**

س ٦٠ - ما هو المعنى الرئيسي من سفر رؤيا يوحنا؟

ج ٦٠ - سفر رؤيا يوحنا هو أعسر أسفار العهد الجديد على الفهم. من الناحية اللاهوتية هو كتاب لاهوتي عميق جداً. في ١: ٨ الرب يسوع هو صراحة الرب الإله يهوه الضابط الكل. غسلنا بدمه وجعلنا لأبيه كهنة وملوكاً. الكنيسة فيه عروس المسيح مبنية على ١٢ رسولاً. الشهداء قائمون لدى العرش الإلهي. يسوع هو الحمل المذبوح منذ إنشاء العالم. وهو أيضاً كتاب ترانيم وتراتيل ليتورجية سماوية. من ناحية أخرى، يمكن تسمية سفر الرؤيا باختصار كتاب "الشهادة والاستشهاد". رسالته الرئيسية هي الرجاء في زمان الضيقات. يصف الكاتب عصره كعصر اضطهادات وضيقات مستعملاً لغة رمزية (وحوش، تنانين، طوفانات، حرائق). الله يسيطر على كل شيء (صورة الكتاب السماوي المفتوح الذي دوِّن فيه كل شيء)، وزمان الاضطهاد له حدود ونهاية. والله سيخلّص الذين بقوا أمناء له. متى سيحصل هذا؟ قريباً. ويمكن للمرء أن يقول "قريباً" سواء أكان يكتب ٥٠٠ سنة قبل المسيح (حزقيال)، أو ٢٥٠ سنة قبل المسيح (دانيال) أو في نهاية القرن الأول المسيحي (رؤيا يوحنا الإنجيلي). كلمة "قريباً" هي من وجهة نظر الله الذي لا يترك شعبه يُضطهد إلى الأبد.

توجد رسالة أخرى هامة لسفر الرؤيا: إن ما يجري على الأرض من حروب واضطهادات وكوارث بصورة منظورة هو صورة لما يجري في السماء، حيث تسبّح

الملائكة والقديسون الله، وحيث ينتصر الله على قوى الشر الروحية (مثلاً، انتصار ميخائيل على الشيطان). وكثيراً ما يرى كاتبُ أية رؤيا السماءَ والأرض كوحدة واحدة، تتجاوز العالم المنظور. فالخدم الليتورجية في السماء هي حقائق يجب أن نراها بعين الإيمان وأن نشترك فيها ونحن على الأرض.

ومن ناحية أخرى، ليست الغاية من كتابة أية رؤيا هي إعطاء أية فكرة عن الأزمنة والأوقات التي هي في علم الله وحده حصراً. لهذا، باطلٌ كل حساب رياضي أو سواه لمعرفة كم سيدوم العالم الحالي ومتى ستأتي الدينونة العامة وسوى ذلكً، رغم أن هذه الحسابات قد أوقعت وتوقع الكثيرين في فخها، مما يُعدَّ خيانة صريحة للرسالة الرئيسية لسفر الرؤيا. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٦١ – لماذا لا يُقرأ سفر رؤيا يوحنا في الكنيسة أسوة ببقية أسفار الكتاب المقدس؟

ج ٦١ – منذ البدء كان سفر الرؤيا مشكلة في الكنيسة. لم تقبله الكنائس دفعة واحدة. كنيسة فارس (الآشوريون الآن) لا يقبلونه. في كتابنا "يهوه أم يسوع" نبذة عن الخلاف عليه. وهو كتاب عسير. يحتوي على ٥٠٨ آية بينما يلمّح صراحة أو ضمناً إلى ٥١٦ آية من العهد القديم. وفي الكنيسة نقرأ من الأسفار النبوية أشعيا ونبذات فقط من سواه. في الليتورجيا نقرأ ما يصلح للمناسبات الليتورجية لا كل الكتاب المقدس. **(اسبيرو جبور)**

س ٦٢ – ما المقصود من ضد المسيح أو "المسيح الدجَّال"؟

ج ٦٢ – كما يدل الاسم باليونانية "antichristos"، إن ضد المسيح (المسيح الدجّال) Anti-Christ يعني العدو الرئيسي للمسيح. في العهد الجديد، ذُكر ضد المسيح بالاسم مرتين في رسالتَي يوحنا الأولى (١يو ٢: ١٨، و٢٢ و٤: ٣) والثانية (٧) ويعني الذين ينكرون الآب والابن وينكرون تجسّد الابن وأن يسوع هو المسيح. وفي سفر رؤيا يوحنا، يُرمز إلى عدو الله الرئيسي (أو إلى ضد المسيح) بوحشين مُضلِّين (رؤ١٣: ١–

١٨). القديس بولس الرسول يتكلم عما يشبه ضد المسيح في حديثه عن "إنسان الخطية ابن الهلاك" قائلاً إنه سيأتي قبل مجيء الرب الأخير ويُظهر نفسه أنه إلهٌ الخ، (٢تسالونيكي ٢). وفي أيام الاضطهادات الأولى في الكنيسة، تصوَّر الناسُ أن ضدّ المسيح هو نيرون الروماني أو الأباطرة الرومان الآخرون، ولاحقاً ظنّوه آريوس أو سواه. وصورة ضد المسيح استمرت في الكنيسة الأرثوذكسية عبر العصور على أنه عدو المسيح الذي يتّخذ أشكالاً مختلفة، وله قوة كبيرة جداً (سياسية، روحية مزيفة)، بحيث لا يُغلَب إلا عند مجيء المسيح الأخير، فضدّ المسيح لن يُغلَب إلا بالمسيح الحقيقي. ضدّ المسيح سيختبر المؤمنين بالمسيح بحيث يكون مجيء ضد المسيح عبارة عن اختبار للمؤمنين قبل الدينونة الأخير من قبل يسوع المسيح، رب السماء والأرض. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٦٣ – لقد برّأ الفاتيكان اليهودَ من دم المسيح. ألا يناقض هذا الكتاب المقدس؟ وما هي الأدلة على تورّط اليهود بقتل المسيح؟

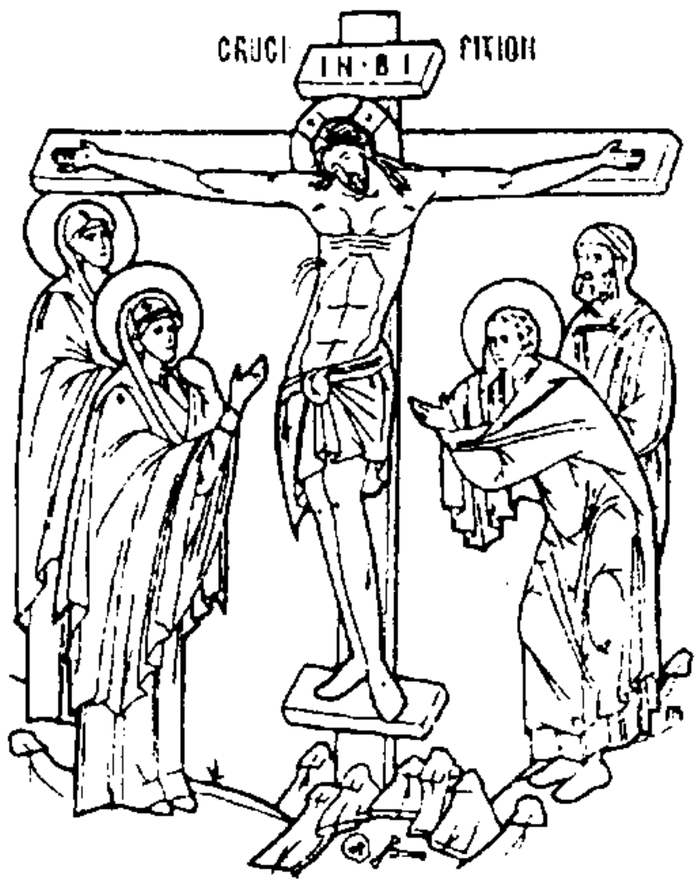

ج٦٣ – ذكر Leroux مقالة صهيونية منشورة مباشرة بعد تأسيس دولة إسرائيل جاء فيها: "إن العداء للسامية ينبع من التهمة بقتل الله التي طرحتها الكنيسة المسيحية ضد الشعب اليهودي"[٣٠]. إن الضغوط اليهودية على الكنائس المسيحية في الغرب للتخفيف من حدة مقت اليهود ومعارضة المصالح اليهودية قد أثمرت، ويا للأسف، تصريحاً بابوياً أصدره المجمع الفاتيكاني الثاني في ٢٨ تشرين الأول العام ١٩٦٥ والقائل: "إن ما حدث لآلام المسيح لا يمكن أن يُلام به بدون تمييز كل اليهود العائشين آنذاك، ولا يهود اليوم. ولو أن الكنيسة هي شعب الله الجديد، إلا أنه لا يجب أن يُنظر إلى اليهود كمرفوضين أو ملعونين من الله، كما لو كانت وجهات نظر كهذه هي نابعة من الأسفار الإلهية"[٣١]. كان هذا التصريح الفاتيكاني مثار خيبة أمل

(٣٠) Leroux: La Terre retrouvee (April, 1947)

(٣١) Nostra aetate Declaration on the Relationship of the Church toNon-Christian Religions", approved Oct. 28, 1965")

لملايين المسيحيين، اللاهوتيين وغير اللاهوتيين[٣٢]، إلى درجة قال معها عالم الكتاب المقدس الكاثوليكي ريموند براون: "إن كنيسة تقليدية جداً (أي الكاثوليكية) كانت تعارض بصورة رسمية وعلناً مواقفَ نحو اليهود قد صرّح بها بعضٌ من أكثر آبائها وعلمائها احتراماً"[٣٣]. إن فكرة عدم تورّط اليهود بموت يسوع هي فكرة غريبة على الفكر الكتابي – الآبائي وهي فكرة معاصرة جداً أتت نتيجة هذه الضغوط اليهودية. على كل حال، إن نظرة سريعة تاريخية تكشف لنا مدى تورّط اليهود بصلب يسوع. سنقسم هذه الدلائل التاريخية إلى: يهودية، مسيحية خارج الأناجيل، وثنية، مسيحية من الآباء الأولين ومسيحية من الأناجيل الأربعة.

١– **البراهين اليهودية:** أهمها وأشهرها شهادة المؤرّخ اليهودي فلافيانوس يوسيفوس (نهاية القرن الأول الميلادي) في كتابه "تاريخ اليهود ١٨: ٣: ٣، رقم ٦٣–٦٤". يقول يوسيفوس:"حوالي ذلك الزمان عاش يسوع، وهو رجل حكيم، إن كان يحق للمرء أن يدعوه إنساناً. لأنه كان الذي قد صنع أعمالاً فائقة وكان معلِّماً لشعب يقبلون الحقيقة بسرور. وقد فاز على الكثير منَ اليهود والكثير من اليونانيين. كان هو المسيّا. وعندما حكم عليه بيلاطس بالصلب بناء على سماعه اتّهامه من قبل أناس أفاضل بيننا، فإن الذين جاءوا إلى محبته لم يكفّوا عن الوجود. وفي اليوم الثالث ظهر لهم وقد استعاد الحياة. لأن أنبياء الله قد تنبؤا عن هذه وعن ربوات من (الأعمال) العجائبية الأخرى عنه. وإن سبط المسيحيين، وقد دُعوا بحسبه، ما يزال قائماً حتى الآن ولم يختفِ"[٣٤]. هذه الشهادة موجودة في كل مخطوطات تاريخ اليهود. وقد عرفها اوريجنس في القرن الثالث (شرح متى ١٠: ١٧ على ١٣: ٥٥)، واقتبس منها افسابيوس في القرن الرابع (تاريخ الكنيسة١: ١١ :١١: ٧–٨). ويعترف التلمود البابلي[٣٥] بأن يسوع قد عُلِّق بتهمة

---

(٣٢) في أرميا وحزقيال زال حكم المثل: "الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون"، وحلَّ محله مبدأ المسؤولية الشخصية عن الجرم. فالمعاصرون اليهود للمسيح المساهمون في الأعمال الإجرامية الصارخون: "اصلبه اصلبه" هم القتلة الفعليون. ولكن اليهود صاروا أعداء الانجيل" (رو ١١: ٢٨) وأعداء المسيحية، المؤيدين لضلال أسلافهم. التعليم الكاثوليكي التقليدي موافق لهذه التمييزات. ولذلك لا مسوّغ لاهوتي لتصريح الفاتيكان. فهو تصريح سياسي أكثر منه لاهوتي.

(٣٣) Raymond E. Brown: The Death of the Messiah, p. 385

(٣٤) هذه هي الترجمة العربية للنص اليوناني كما ورد لدى يوسيفوس. يوجد اقتباس عربي لنص يوسيفوس، غير مطابق له تماماً، لدى أغابيوس (محبوب قسطنطين المنبجي) أسقف منبج في كتابه "كتاب العنوان المكلَّل بفضائل الحكمة المتوَّج بأنوار الفلسفة".

(٣٥) (Sanhedrin 43a): The London Soncino translation (Nezikin volume 3:281).
The Babylonian Talmud

السحر، ويُظهر أن اليهود القدامى يعترفون بأن أسلافهم كانوا مسؤولين عن موت يسوع. واتهام يسوع بالسحر يتناسب تماماً مع التهم اليهودية ضده في القرن الثاني والتي ذكرها اوريجنس في مؤلّفه Contra Celsum ١،٢٨؛٧١. ونجد أن اليهودي في العام ١٠٠ ميلادية والذي اقتبس عنه Celsum يقول عن يسوع: "لقد عاقبنا هذا الشخص (يسوع) الذي كان غشاشاً"، "وأدنّاه، وقررنا أن يُعاقَب"، و"كمذنبٍ عوقب من اليهود"[٣٦].

٢- البراهين المسيحية من خارج الأناجيل الأربعة: كل الأناجيل تصوّر التورط اليهودي بموت يسوع معتمدة على تقليدٍ قبل الأناجيل يعود إلى ما قبل العام ٦٠ الميلادي. من أشهر هذه البراهين رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي: "فإنكم أيها الأخوة صرتم متمثِّلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع. لأنكم تألّمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود، الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن، وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس. يمنعونا عن أن نكلّم الأمم لكي يخلصوا، حتى يتمّموا خطاياهم كل حين. ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية". كُتبت هذه الرسالة حوالي العام ٥٠ م، وبولس يؤمن فيها أن اليهود قد قتلوا يسوع. هذا النص يمثّل شهادة باكرة جداً على التورط اليهودي بموت يسوع، وهي متجانسة مع غلاطية ٣: ١٣. راجع أيضاً: ١كور ١: ٢٣؛ غل٥:١٣؛ أع٣: ١٣ و٤: ١٠ و٥: ٣٠ و٧: ٥٢ و١٣: ٢٧-٢٨ التي تنسب إلى اليهود والسلطات اليهودية دوراً مهماً بموت يسوع.

٣- براهين وثنية: توجد إشارات آبائية إلى الوثائق المتعلقة بمحاكمة يسوع في الأرشيف الروماني. منها: يوستينيوس (الدفاع ١: ٣٥: ٩ و١: ٤٨: ٣)، وترتليانوس (الدفاع ٥: ٢؛ ٢١: ٢٤).

٤- البراهين من الآباء الأولين: وهي كثيرة. منها: في حوار يوستينيوس مع تريفون اليهودي (القرن الثاني الميلادي) يقول: "أنتم صلبتموه" (١٧: ١). لم يحتج تريفون ولم ينكر هذه التهمة بل أقرّها قائلاً: "لو أراد الآب أن يتألّم هذه الأمور فلم نفعل أي شيء خطأ" (٩٥: ٣). وملیتوس أسقف ساردیس Melito of Sardis تكلّم في العام ١٧٠ م

(٣٦) Contra Celsum 2.4; 2.9; 2.5; 1.28,71.

عن "قتل الله" قائلاً: "الله قد قُتل: ملك إسرائيل قد أُزيح بيدٍ إسرائيلية"[٣٧]. واوريجنس (على متى ٢٧: ٢٥، رقم ١٢٦) يقول: "لهذا لم يأتِ دم يسوع فقط على أولئك الذين وجدوا في ذلك الزمان، بل أيضاً على أجيال اليهود كلها التي ستلي فيما بعد حتى نهاية الزمان". وقد كرّر آباء الكنيسة كلهم ولاهوتيوها هذا المفهوم، سواء في الشرق أو في الغرب (الذهبي الفم، اوغسطينوس، توما الأكويني، الخ).

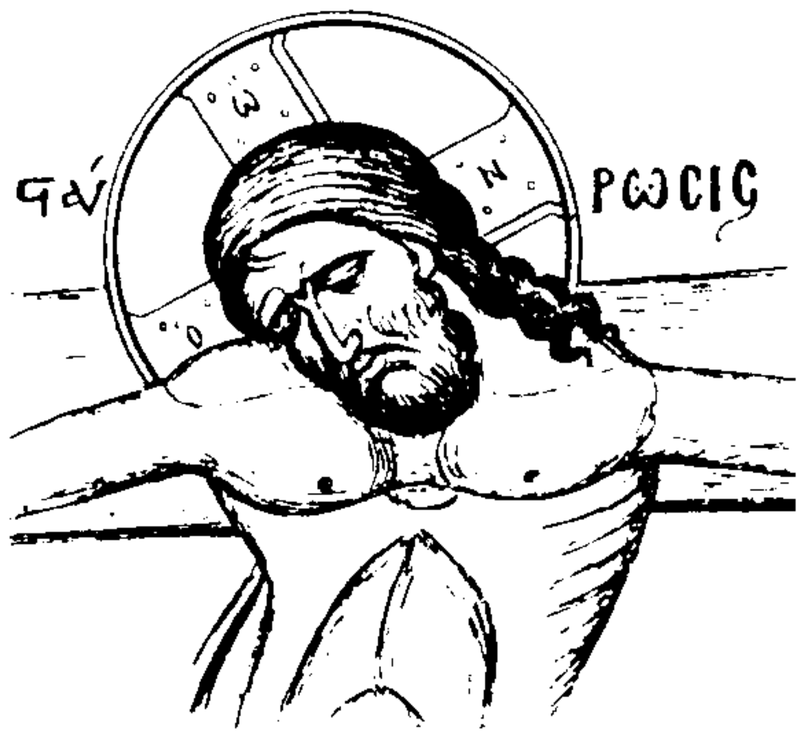

٥- براهين مسيحية من الأناجيل الأربعة: وهي كثيرة وغزيرة جداً. نذكر بعضها هنا. في إنجيل مرقس، صمّم رؤساء الكهنة والكتبة على قتل يسوع فرَشَوا يهوذا لاقتناص فرصة القبض على يسوع دون شغب (١٤: ١-٢، ١٠-١١)، وطلبوا شهادة ضد يسوع. إنما عندما ثبتت أنها كاذبة وغير مُقنعة، أدانوه بتهمة التجديف وسلّموه إلى بيلاطس (١٤: ٦٥-٦٦؛ ١٥: ١). أما في متّى فيوجد تورّط يهودي أكثر بموت يسوع. فرؤساء الكهنة وكل السنهدرين "يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه". واشترى رؤساء الكهنة حقل الفخاري بالثلاثين من الفضة، ثمن خيانة يهوذا ليسوع (٢٧: ٣-١٠). ونجد بيلاطس يغسل يديه ليظهر أنه بريء من دم يسوع (٢٧: ١٩، ٢٤). وفي متى نجد أن جميع شعب اليهود مذنبٌ بدم يسوع قائلين "دمه علينا وعلى أولادنا" (٢٧: ٢٥). ويستمر العداء اليهودي ليسوع حتى بعد الصلب عندما أقام اليهود حرساً على قبر يسوع (٢٧: ٦٢-٦٦؛ ٢٨: ٢-٤، ١١-١٥). وفي اليوم الثالث يقوم رؤساء الكهنة برشوة حراس القبر كي يقولوا إن جسد يسوع قد سُرق ولم يقم. ويكتب متّى: إن كذبة سرقة جسد يسوع قد شاعت "عند اليهود إلى هذا اليوم" (٢٨: ١٥)، مشيراً إلى كراهية اليهود ليسوع وللمسيحيين حتى زمان كتابة إنجيل متى. أما في لوقا فإن اليهود اتهموا يسوع بعدم دفع الجزية لقيصر (٢٠: ٢١-٢٥)، وعندما وجد اليهود أن بيلاطس وهيرودس قد اعترفا ببراءة يسوع، فإن رؤساء الكهنة والشعب أصروا على حكم الموت (٢٣: ١٨، ٢١، ٢٣)، "فصرخوا قائلين: اصلبه، اصلبه... فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة" (١٨ و٢٣). وتوجد نصوص عديدة في

(٣٧) Melito of Sardis: On the Pascha 96. E. Werner (HUCA 37, 1966, 191-210).

أعمال الرسل تصوّر تورّط اليهود بموت يسوع[٣٨]. أما في إنجيل يوحنا فإن الصراع مع السلطات بأورشليم وسلطات المجمع واليهود يسم كل الإنجيل. ففي ١١: ٤٧–٥٣، نجد أن رؤساء الكهنة والفريسيين قد اعتزموا سلفاً دفع يسوع إلى الموت. وقد قدّم اليهود سبباً لاهوتياً لموت يسوع: "وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله" (١٩: ٧). ويظهر رؤساء الكهنة خبثهم بنكرانهم المطامع المسيانية لشعبهم قائلين: "ليس لنا ملك إلا قيصر" (١٩: ١٥). ويستمر هذا الخبث عندما حاولوا أن يغيّروا ما كتب بيلاطس على الصليب "يسوع الناصري ملك اليهود". ويستمر هذا الخبث المبطَّن عندما طلب اليهود من بيلاطس أن يكسر أرجل المصلوبين (١٩: ٣) لتشويه جسد يسوع.

من الجدير بالذكر أن Besnier يذكر أنه في ٢٥ نيسان العام ١٩٣٣، عند الساعة الثانية بعد الظهر، عُقدت إعادة محاكمة يسوع الناصري من قبل محكمة خاصة في القدس. كانت نتيجة التصويت: أربعة أصوات للقضاة ضد صوت واحد لصالح تبرئة يسوع. ويذكر Blinzler و Haufe إعادة أخرى لمحاكمة يسوع في ربيع ١٩٤٩، بعد شهرين من تأسيس دولة إسرائيل. إذ عرض قانونيٌّ هولندي (يُرمز له بـ H, 187) خلاصةً من ١٥ صفحة لوزير العدل الإسرائيلي، طالباً إعادة النظر في محاكمة يسوع. ويذكر Blinzler أنه في العام نفسه قام أعضاءٌ في كلية الحقوق بجامعة باريس بفحص هذه المحاكمة ووجدوا أنه بسبب خطأ فني فإن حكم الموت قد صدر على يسوع وأن هذا الحكم كان يفتقر إلى الشرعية القضائية. ويذكر Lapide طلباً آخر لإعادة المحاكمة في العام ١٩٧٤[٣٩]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٦٤ – لماذا لا تتخلّص الكنيسة من العهد القديم الذي هو كتاب يهودي بدلاً من ضمّه إلى العهد الجديد في كتاب مقدس واحد؟

ج ٦٤ – يطرح هذا السؤال أكثر من نقطة هامة حول علاقة العهد القديم بالجديد وبالكنيسة مفترضاً خطأً أن العهد القديم هو كتاب يهودي. العهد القديم (وهو تسمية

(٣٨) راجع أعمال الرسل: ٢: ٢٣ و٣٦؛ ٣: ١٣–١٧؛ ٤: ١٠ و٢٥–٢٨؛ ٥: ٣٠؛ ٧: ٥٢؛ ١٠: ٣٩؛ ١٣: ٢٧–٢٩.
(٣٩) راجع كتاب ريموند براون، "موت المسيا"، الصفحة ٣٩٣ .

كنسية له لا يهودية) هو جملة الأسفار اليهودية المكتوبة قبل مجيء المسيح بالجسد. وقد جمعته الكنيسة مع أسفار العهد الجديد في كتاب مقدس واحد للأسباب التالية:

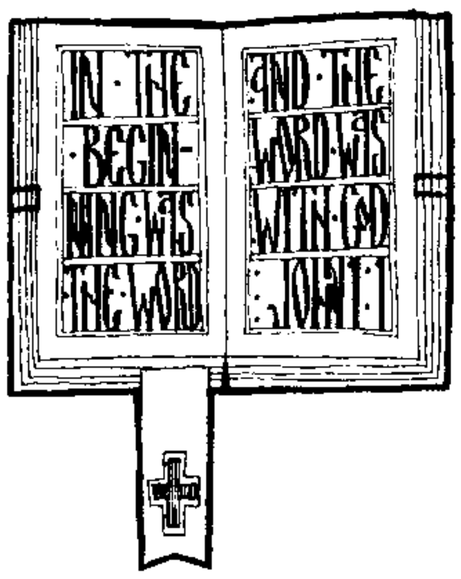

- الوحي الإلهي هو نفسه في العهدين (وحدة وَحْيوية)
- العهد القديم هو كتاب نبوة عن مجيء المسيح وحياته وآلامه وصلبه وموته وقيامته وعن الخلاص الحاصل بالمسيح (وحدة نبوية)
- إله العهدين هو نفسه الثالوث القدوس المتجلّي في العهد القديم بصورة رمزية ظلّية وفي العهد الجديد بصورة واضحة (وحدة لاهوتية)
- شريعة العهد القديم الناقصة، المحدودة والجسدية هي تهيئة ومقدمة لشريعة العهد الجديد الكاملة، غير المحدودة والروحية (وحدة تشريعية).

الرب يسوع لم يرفض العهد القديم بل رفض الذهنية اليهودية التي خانت الوحي الإلهي المدوَّن فيه (يو ٧: ١٩، متى ٢٣). لهذا استعمل الرب يسوع، ومن بعده التلاميذ والرسل، أسفار العهد القديم للتبشير (٢تيمو٦: ٣، أع ١٣: ١٣، أع ٤: ١–٧) موضحاً أن العهد القديم قد كتب عنه وأن المسيح قد حقق هذه النبوات (يو٥: ٤٥، لو ١٦:١٦؛ يو ٥: ٤٥–٤٦). وقد أظهر العهد الجديد أن مجيء المسيح قد أبطل البر (المحدود) الذي كان بالناموس اليهودي وألغى دور هذا الناموس إلى الأبد بعد أن فاضت شريعة الروح القدس على قلوب المسيحيين. غاية الناموس كانت المسيح (رو٢: ٤) لكن اليهود لم يكونوا أمناء على أقوال الله (رو٣: ١–٢) ولم يحفظوا الناموس (أع ٧: ٥٣) وبرهنوا بأقوالهم وأعمالهم أن ليس جميعهم هم أبناء الموعد لأن "ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون" (رو ٩: ٦)، ولا جميع نسل إبراهيم هم أولاد (رو٩: ٧)، لأن البنّوة لله هي بالإيمان لا بالجسد (غل ٤: ٢٨). لهذا أخرج الله جميع اليهود غير المؤمنين بابنه من مقاصده الأبدية فصار اليهود غير المؤمنين بالمسيح : "**من جهة الإنجيل هم أعداء**" (رو ١١: ٢٨)، وصار مجمع اليهود **مجمع الشيطان** (رؤ٢: ٩). وقد قرّر المجمع الرسولي الأول (أع ١٥: ١–٢٩) بإلهامٍ من الروح القدس أن الناموس نيرٌ لم يستطع آباء اليهود تحملّه وثقلٌ وبالتالي لا يصلح للعمل به بعد مجيء المسيح لأنه يبطل البرّ الذي بالمسيح. لأن الناموس

اليهودي كان ذا عيوب (عبر٨: ٧) وعتق وشاخ وقرب من الاضمحلال (عبر٨: ١٣)، لأن فيه كان ظلّ الخيرات فقط ولا يستطيع أن يغفر الخطايا (عبر١٠: ١١) ولا يتبرّر به أحدٌ (غل٣: ١١). بينما ناموس الحق والحرية الموهوب بنعمة المسيح هو أفضل (عبر ٧: ٢٢ و٨: ٦) وهو لعهد جديد (عبر ٨: ٨)، مكتوب لا على ألواح حجرية بل على ألواح القلب اللحمية (عبر ٨: ١٠ و١٠: ١٦)، ومجبول بدم المسيح بدون عيب (عبر٩: ١٤ و٢٨ و١٠: ١٩) وصانعاً فداءً أبدياً (عبر ٩: ١٢ و٢٠).

من هنا نستنتج أن الكنيسة جمعت العهدين معاً في كتاب مقدس واحد بسبب الوحدة بينهما كما ذُكر ولأنها تؤمن بأن العهد القديم لم يعد ينتمي إلى اليهود بعد مجيء المسيح بل إلى الكنيسة فهي صاحبته والمؤتمنة عليه ومفسرته وهي التي أوصلته إلينا عبر القرون لا اليهود. لكن أبناء العهد الجديد غير ملتزمين بالعمل بالعهد القديم لا بل ملزَمون بشريعة العهد الجديد حصراً لأن السوية الروحية واللاهوتية والأخلاقية للعهد الجديد تفوق بما لا يُقاس سوية العهد القديم. لهذا فقديسو العهد الجديد الذين اعتمدوا باسم الثالوث وسكن فيهم الروح القدس فتألّهوا به هم أعظم من أبرار العهد القديم الذين نالوا نعمة الروح القدس من خارج فقط. والأخلاق المسيحية هي أخلاق صوفيّة لأنها مبنية على الامتلاء من الروح القدس والاستنارة به والجهاد الروحي وليس على العمل بناموس حرفي كما كان الحال في العهد القديم.

لهذا فإن أي رفض للعهد القديم يعني رفضاً لموقف المسيح والكنيسة من بعده ويعبّر عن سوء فهمٍ للاهوت المسيحي[٤٠]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٦٥ – ما هو موقف الكنيسة من تبرير اليهودية الصهيونية أطماعها في أرض فلسطين على أساس وعد الله لشعبه في العهد القديم؟

ج ٦٥ – يفهم أبناء الكنيسة الأرثوذكسية العهد القديم فهماً مسيحياً آبائياً، فيه : "ليس

(٤٠) راجع دراسة د. عدنان طرابلسي عن العلاقة بين العهدين في ملحق الجزء الثاني من شرح متى للذهبي الفم. قبل مدونات العهد الجديد، كان العهد القديم والبشارة الرسولية هما سلاح الرسل. في العهد القديم تعاليم أخلاقية تتفق مع العهد الجديد بمكانتها. هناك المزامير أيضاً وهي أشهر صلوات كتابية تُتلى وتُستعمل في الكنيسة الأرثوذكسية وسواها.

بعد يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حرّ، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح" (غل٣: ٢٨). وبالتالي ليس لليهود أو لسواهم أية امتيازات أو حقوق طبيعية أو مكتسبة. وربما الحظ الوحيد لليهود هو أنهم خانوا الله فأُخذ الكرم منهم وأُعطي لأمّة تعمل أثماره. لذا تُبطل الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة مزاعم اليهود المعاصرين وتنسف التفسير اليهودي العنصري للعهد القديم، وتوضح أن كل المواعيد القديمة المعطاة لليهود إنما قد تحققت في شخص يسوع، المسيح الرب، وأن المؤمنين باسمه هم وحدهم ورثة الموعد والخلاص والبركات الآتية: "إن الأمم هم من أهل الميراث الواحد، وأعضاء في الجسد الواحد، وشركاء في الموعد الواحد، في المسيح يسوع بالإنجيل" (أفس٣: ٦). هكذا تفهم الكنيسة البنوّة لله، بحسب الإيمان بالمسيح لا بحسب الجسد كما يفهم اليهود، لأن الله قادرٌ أن يخرج من الحجارة أولاداً لإبراهيم (مت٣: ٩). والعهد القديم نفسه يشهد لأولوية الإيمان قائلاً على لسان هوشع النبي: "سأدعو شعباً لي مَن ليس بشعبي" (رو٩: ٢٥).

الكنيسة تؤمن بما قاله استفانوس الشهيد الأول في خطابه المشهور أمام المجمع اليهودي بأن إبراهيم قد "نقله الله إلى هذه الأرض التي أنتم الآن مقيمون بها و لم يعطه فيها ميراثاً، حتى ولا موطئ قدمٍ" (أع٧: ٤-٥). ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "بالإيمان تغرّب (إبراهيم) في أرض الموعد كأنها غريبة... لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله... في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعِد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً.. ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً" (عبر١١: ١٦-٩٠).

هذا هو مختصر التعليم المسيحي الكتابي الآبائي: الوعد بأرض كنعان هو مجرد وعد رمزي صرف للوعد بالملكوت السماوي، الوطن الخالد. فإبراهيم الموعود بأرض فلسطين سكن فيها و لم يملك شيئاً فيها، فاشترى من أهل المكفيلة مدفناً لزوجته سارة. وآباء اليهود من بعده سكنوا في أرضٍ وعدهم الله بها ميراثاً، لكنهم اعتبروا إقامتهم فيها غربة، طالبين وطناً سماوياً لا أرضياً على ما قاله بطرس الرسول بأننا "غرباء ونزلاء على الأرض" (١بطر٢: ١١).

لهذا فالتفسير الآبائي للكتاب المقدس هو ضرورة قصوى لفهم الكتاب فهماً مسيحياً. وآباء الكنيسة لم يكونوا عنصريين أو غير عادلين، لكنهم برّزوا. ولقد لعبت الكثير من الفرق البروتستانتية في الغرب، خاصة المتهوّدة منها، دوراً سلبياً عندما نشّطت الدراسات الكتابية للعهد القديم على حساب العهد الجديد، مما أبرز أبرار العهد القديم على حساب قديسي العهد الجديد تحت تأثير التيارات اليهودية والصهيونية النشطة في الغرب وبسبب معاداة هذه الفرق لآباء الكنيسة ولتفسيرهم للكتاب المقدس[٤١]. كان اليهود شعب الله الخاص (خروج ١٩: ٥-٦). الآن المسيحيون هم هذا الشعب الخاص (١ بط ٢: ٩-١٠). "أمّا أنتم فإنكم ذرية مختارة وكهنوت ملكي وأمّة مقدّسة وشعب اصطفاه الله ... إنكم شعب الله". (انظر رؤ ١: ٥ و٥: ٩-١٠ واف ١: ١٤ ...). في ١ كور ١٢ الكنيسة هي جسد المسيح والمسيحيون هم أعضاؤه. اليهود هم أعداء هذا الجسد فكيف تبقى لهم وعود وعهود وقد زال عهدهم القائم على دماء الحيوانات بينما - في الرسالة إلى العبرانيين - يقوم عهدنا على دم المسيح ؟ اليهودية لم تعد - في نظر الذهبي الفم - ديناً. **(د. عدنان طرابلسي)**.

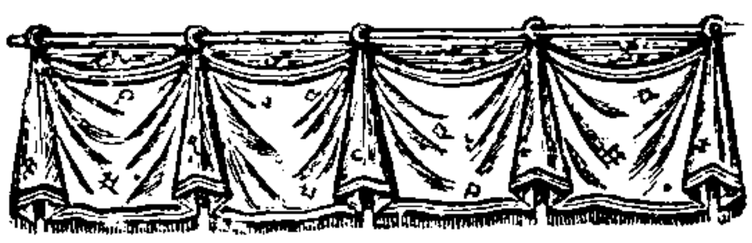

(٤١) راجع دراسة د. عدنان طرابلسي عن العلاقة بين العهدين القديم والجديد في الجزء الثاني من شرح إنجيل متّى للذهبي الفم.

الفصل الثالث:

أسئلة عن الأنبياء والآباء والقديسين

"فكونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (متى ٥: ٤٨).

".. بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأني أنا قدوس" (١بطرس ١: ١٥-١٦).

"ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم" (١كور ٦: ٢).

"شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور" (كول ١: ١٢).

"لم تقاوموا بعد حتى الدم ضد الخطية... لكي نشترك في قداسته... اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عبر ١٢: ٤، ١٠، ١٤).

"... وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين" (رؤ ٥: ٨)؛ "ورأيتُ المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع" (رؤ١٧: ٦)؛ "وخُوِّلَت أن تلبس كتّاناً براقاً خالصاً، فإن الكتّان الناعم هو أعمال البرّ التي يقوم بها القديسون" (رؤ١٩: ٨).

"لا أعرف حياة أخرى سواكم والعناية بالنفوس"[١]؛ "هذا هو همّنا الوحيد نهاراً وليلاً، أن تصيروا كلكم قديسين وكاملين." "لذا تنحّوا عن أهوائكم وحاكوا القديسين، الذين كانوا أناساً كما نحن أيضاً." **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

دعوتنا أن نكون قديسين كاملين نظير القدوس الكامل الذي دعانا وضمَّنا إليه وقدَّسنا وألَّهنا وصيّرنا شركاء في ملكوت محبته وموكب نصرته. لا توجد مسيحية بدون قديسين وبدون شركة القديسين في المسيح يسوع. عجيب هو الله في قديسيه، وعجيبون هم القديسون في الله.

---

(١) Hom. 9:1 ad pop. Ant.

آباء الكنيسة ينصحوننا أن نقرأ سير حياة القديسين يومياً جنباً إلى جنب مع الكتاب المقدس. فهي غذاء الروح وبلسم لآلامنا ودواء لأهوائنا[٢].

س ٦٦ – كان القديس بولس يسمّي كل المسيحيين قديسين حتى قبل رقادهم. فلماذا يوجد قديسون معيّنون في الكنيسة الأرثوذكسية بدلاً من أن يكون كل المسيحيين قديسين؟

ج ٦٦ – كلمة "القديس" كتابياً تعني "المفروز" أو "المتقدِّس" لغاية معينة. فكل مَن اعتمد على يد كاهن قانوني باسم الثالوث له المجد هو قدوس أي مفروز عن بقية الناس غير المؤمنين وغير المعتمدين. هذه القداسة التي يفرضها الإيمان الجديد والحياة في المسيح تقتضي من المسيحي أسلوباً جديداً من الحياة مختلفاً عن أسلوب حياة غير المؤمنين. فكل مسيحي معتمد قد لبس المسيح فوُلد معه وصُلب معه ومات وقام معه. ونال بالميرون المقدس الروحَ القدس، وتناول جسدَ المسيح ودمه بالقربان المقدس. وهو عضو في جسد المسيح أو الكنيسة القدوسة ومرتبط بالرأس الذي هو الرب يسوع. فعلى المسيحي، كل مسيحي، واجب الجهاد الروحي ضد الخطية حتى الدم (عبر١٢: ٤)، والسعي لبلوغ الإنسان الكامل، إلى قياس قامة ملء المسيح (أفسس٤: ١٣)، لأن المسيحي لم ينل بعد ملء الحياة في المسيح، بل نال ملء العربون وملء مواهب الروح القدس ونعمه لكي يبلغ إلى المثال الإلهي. يقول القديس بولس: "فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخّض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقّعين التبنّي فداء أجسادنا. لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً. لأن ما ينظره أحدٌ كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر" (رومية ٨: ٢٢– ٢٥). إذاً، لم نصر

(٢) "السنكسار الأرثوذكسي" لقدس الأرشمندريت المتوحد توما (بيطار)، سلسلة "الفيلوكاليا"، كتاب "بستان الرهبان"، سير حياة القديسين، كل على حدة، الخ...

أبناء الله بصورة كاملة بعد، بل لنا باكورة التبنّي، ونرجو التبنّي الكامل والخلاص الكامل والفداء الكامل. هذه لن تحصل قبل يوم الدينونة العامة. فما زال المسيحي "القديس" معرَّضاً قبل رقاده أن يخطئ، أو أن لا يصل إلى غاية الحياة المسيحية وهي التألّه أو بالتعبير الكتابي "الشركة في الطبيعة الإلهية" (٢بطرس ١: ٤). لهذا نجد في العهد الجديد دعوات لا تنتهي للعيش حسب الوصايا الإلهية، وللصلاة والتوبة الدائمتين، وللجهاد الروحي ضد الأهواء، وللامتلاء من الفضائل المسيحية. وكل مسيحي قد رقد على رجاء القيامة والحياة الأبدية إنما ينتظر اليوم الأخير، والدينونة العامة، التي فيها سيدينه رب المجد بناءً على إيمانه العامل بالمحبة. لهذا تصلّي الكنيسة من أجل الراقدين حتى يذكرهم الله في ملكوته ويعتبرهم مستحقين له بحسب عظيم رحمته.

في الوقت نفسه تؤمن الكنيسة أنه يوجد مسيحيون معينون قد وصلوا أثناء حياتهم وجهادهم على الأرض إلى المثال الإلهي، وإلى قامة ملء المسيح، وبالتالي صاروا سلفاً مواطنين في الملكوت السماوي حتى قبل الدينونة العامة. هؤلاء المسيحيون لا ينتظرون مثلنا، ومثل الذين رقدوا قبلنا، دينونتهم؛ فهم حاضرون سلفاً أمام العرش الإلهي على درجات، يعاينون المجد الذي لا يُعاين، ويقدّمون صلواتهم من أجل جميع الأحياء الذين ما يزالون في جهادٍ هنا على الأرض. هؤلاء المسيحيون هم القديسون بالخاصة الذين طوّبتهم الكنيسة بعد رحيلهم عنا. بتطويبهم، لم تقم الكنيسة سوى بإعلان أنهم قديسون لا ينتظرون الدينونة العامة مثلنا. وفي يوم الدينونة العامة سينالون إكليل البرِّ المعَدَّ لهم (٢تيمو٤: ٨). إنها بالأحرى تصلّي لهم من أجل أن يتشفّعوا من أجلنا، أي أن يصلّوا من أجل خلاصنا. لهذا يكون عيد القديس يوم رحيله عنا، لا يوم ميلاده، لأنه في يوم رحيله عنا تمّم بإخلاصٍ السعي الذي تكلّم عنه القديس بولس (٢تيمو ٤: ٧–٨). فوالدة الإله مثلاً، والرسل والأنبياء والشهداء والآباء والنساك والمعترفون وسواهم هم حاضرون أمام العرش الإلهي، كما رأى القديس يوحنا الإنجيلي في سفر الرؤيا. ومع ذلك فنحن نصلّي للراقدين دون تمييز لأن بولس الرسول دعا للرسول أنيسيفوروس الراقد (١تيمو ١: ١٦–١٨). وتساءل الذهبي الفم: إذا كان بولس قد صلّى للرسول فكم بالأحرى يحتاج سواه من الراقدين لصلواتنا؟ **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٦٧ – ما هي المعايير لتطويب قديس في الكنيسة الأرثوذكسية؟

ج ٦٧ – للحديث عن المعايير لتطويب قدّيس في الكنيسة الأرثوذكسيّة لا بدّ، أوّلاً، من تحديد مَن هو القدّيس. القدّيس هو مَن استحال، بالروح والحقّ، هيكلاً لله. صار إناء للاّهوت. أضحى أيقونة لله على شفافية فذّة. القدّيس هو إنجيل حيّ. حياته كلمة وسيرته قدوة. وهو، إلى ذلك، شفيع لدى الله، يرفع الصلاة عن المؤمنين في الكنيسة. صلاة الأموات لأجل الأحياء والأحياء لأجل الأموات معروفة، في الكنيسة، منذ زمن الدياميس. على هذا تعلن الكنيسة قداسة القدّيس:

- متى لاحظت أنه إنسان للمسيح بالروح والحقّ
- متى تبيّنت فيه أيقونة تتجسّد فيها، إلى مجمل سيرته الناصعة، فضيلةٌ إنجيلية أو أكثر: الاتضاع، الصلاة، الفقر، المحبّة...
- متى لمست له وجوداً بارزاً في وجدان المؤمنين كمثال، كمعلّم، كشفيع...

بالإضافة إلى ذلك هناك ظواهر معيّنة، وإن لم تكن لازمة بالضرورة، لإعلان القداسة، ولكنها تُشكّل هوادٍ تنبّه إلى حضور فاعل للقدّيس في حياة الكنيسة، الأمر الذي يدفعها إلى الصلاة والصوم والتفكير في إعلان القداسة. مثل هذه الظواهر، أو قل المعايير من الدرجة الثانية، الأشفية والظهورات وعدم انحلال الجسد وفيض الطيب... تجدر الإشارة إلى أنه من الضروري التمييز بين القداسة وإعلان القداسة. هناك حتماً قدّيسون لم تُعلن قداستهم في الكنيسة. إعلان القداسة يدخل في إطار العلاقة الوجدانية الدينامية الحيّة بين الكنيسة المحليّة والقدّيس في روح الرب القدّوس وفي إطار السعي الصادق النقي إلى حفظ الوصيّة والحياة في المسيح، وتالياً إلى القداسة. هذا أمر لا يمكن اصطناعه. نقول هذا لئلا يظن أحد أن إعلان القداسة يمكن أن يكون شأناً أكاديمياً أو يمكن أن يستند، بخاصة، إلى رغبة لدى بعض الرؤساء أو المتنفّذين إلى تقديم شخصية معيّنة كقدّيس. طبعاً الأكاديميا والاستطلاعات والاستقصاءات وكذلك مبادرة فلان أو فلان إلى الحثّ على إعلان القداسة، أقول هذه لها دورها في إعلان القداسة ولكن فقط في الإطار الذي أبرزناه أعلاه لا خارجه أو من دونه. لذا فإن إعلان القداسة، في العادة، يترافق ووفرة في الصلاة والصوم في الكنيسة ودفق من نِعَم الله. هذه تحتاج إلى تنقٍ من جانب الرؤساء والمؤمنين في الكنيسة لتمييزه والإغتذاء به، وإلا انزلقت الممارسة (ممارسة

إعلان القداسة) في متّاهات الاستنساب الشخصي واستؤسرت للضغوط السياسية والاجتماعية والقومية والعرقية وسواها وأضحت، بالأحرى، إعلانات مزعومة لقدسية أهواء الناس. **(الأب توما بيطار)**

س ٦٨ – هل نستطيع أن نسمّي إنساناً قديساً قبل وفاته؟

ج ٦٨ – هنا علينا أن نميّز بين معنَيَين من معاني القداسة: الذين تكرّسوا لله والذين حقّقوا تكريسهم وحفظوا الأمانة إلى المنتهى. كل المؤمنين، بالمعنى الأوّل، قدّيسون. الكاهن في الخدمة الإلهية، ندعوه الأب القدّيس والأسقف السيّد القدّيس والمؤمنون قدّيسين. "القدسات للقدّيسين". أمّا المعنى الثاني فنقصره على الذين أكملوا الشوط وحفظوا الإيمان. هؤلاء قد تفوح رائحة القداسة منهم وهم بعد على قيد الحياة، وقد يعاملهم الآخرون كقدّيسين وقد يدعونهم كذلك، ولكن لا تُعلَن قداستهم، رسمياً، إلاّ بعد وفاتهم. **(الأب توما بيطار)**

س ٦٩ – هل توجد مراتب معينة للقديسين. مثلاً: المعادلو الرسل، الشهداء، المعترفون، العادمو القنية، الخ..؟ وكيف تتسلسل هذه المراتب؟

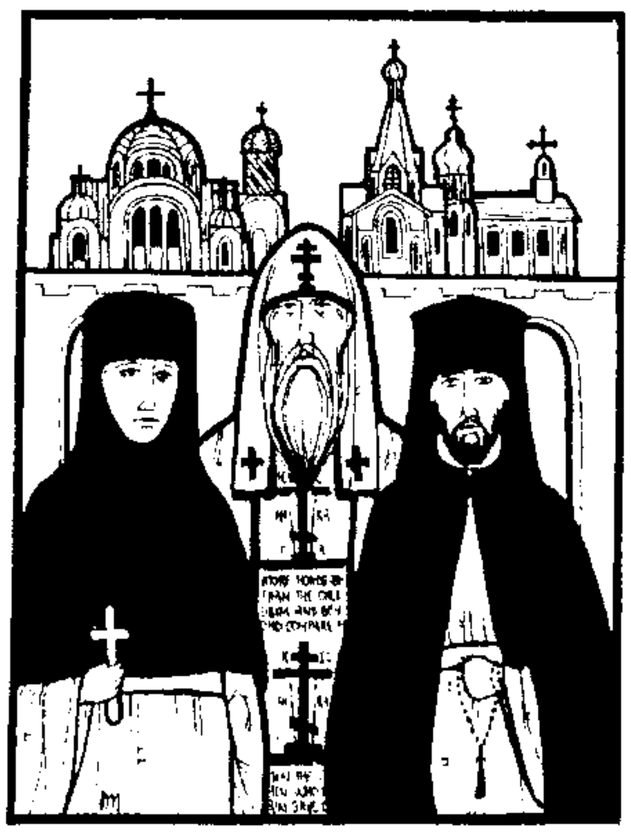

ج ٦٩ – أجل هناك مراتب، أو لنقل فئات، جرت الكنيسة على تصنيف القدّيسين على أساسها. في البداية كان الشهداء هم القدّيسين. الشهيد كان هو النموذج وبقي كذلك إلى يومنا هذا. ثم بعد زمن الاستشهاد، ولا سيما منذ القرن الرابع برزت فئات أخرى من القدّيسين تمتّ إلى الشهداء والشهادة بعلاقة وثيقة. المعترفون اعتبروا شهداء أيضاً ولو لم يقضوا أجَلَهم تحت التعذيب لأنهم كابدوا النفي والتضييق وبتر الأعضاء والسجن وما إلى ذلك. عانوا الشهادة ولو لم يقضوا تحتها. من هنا إن بعض المعترفين في أخبار القدامى سُمُّوا شهداء أيضاً. وإلى المعترفين ضمّت فئات أخرى، تدريجياً، كالرسل القدّيسين والآباء الأجلاّء، الذين هم الأساقفة، وكذلك العذارى والأبرار، أي الرهبان والراهبات، والصانعي

العجائب العادمي الفضّة، وهي فئة الأطباء الذين جمع القدّيسون فيها بين علاج المرضى بالأدوية واسم الرب يسوع، والمتبالهين في المسيح. وأحياناً تطلق صفات على هذا القدّيس أو ذاك تجعله متخصّصاً ولو في إطار فئة معيّنة كهامة الرسل وأول الشهداء والعجائبي والمفيض الطيب والعظيم في الشهداء والمعادل الرسل. هذا اللقب الأخير يطلقونه على الذين بشّروا بالمسيح وهدوا الناس أو اشتركوا في العمل ورسل المسيح كالقدّيسة تقلا مثلاً. القاسم المشترك لهؤلاء جميعاً هو الشهادة، حمراء أو بيضاء. شهدوا بالكلمة وشهدوا بالسيرة. ضبطوا أنفسهم. ذلّلوا أهواءهم لأجل يسوع. قسوا على أنفسهم. بذلوا أنفسهم بالكامل، وحتى الموت، سواء في الشهادة جهراً للمسيح أو في السلوك في وصاياه أو في إذاعة بشراه بين الناس. بهذا المعنى كل مؤمن شهيد أو مشروع شهيد، فأنتم "شهود لي يقول الرب". كلّنا، بمعنى، كاهن يقرّب نفسه والكون ذبيحة لله، في هذا المجال أو ذاك. **(الأب توما بيطار)**

س ٧٠ – سمعتُ بوجود شفيع للعميان وآخر للعاقرات وثالث للأطفال، الخ. هل هذا صحيح؟ ألا يستطيع القديس أن يتشفّع خارج مجال اختصاصه؟

ج ٧٠ – هذا صحيح. بعض القدّيسين – لا كلّهم – شاعت شفاعتهم بين الناس في مجالات محدّدة. هذا شمل الشرق والغرب معاً. أغلب الظن أن أساس هذه الممارسة هو التقوى الشعبية لا جنوح القدّيسين أنفسهم إلى تبنّي مجالات حياتية معيّنة دون سواها، ومع أن القدّيسين يمكن لهم – من باب المحبة والرأفة بحاجات الناس – أن يتدخّلوا، بنعمة الله، لتلبية هذه الحاجات. وقد تكون الانطلاقة أعجوبة حصلت لأحد المؤمنين، في نطاق معيّن: الصحّة، الزراعة الخ... ثم نحا مَن لهم حاجات مماثلة على نحو ما سلك سابقهم، وتدريجياً حصل تخصيص هذا أو ذاك من القدّيسين بمجال دون سواه. إلى ذلك يمكن أن تكون سيرة القدّيس أو طريقة موته – إذا مات شهيداً مثلاً – منطلقاً لتبنيّه شفيعاً في مجال محدّد. مثل ذلك القدّيسة الشهيدة كاترينا التي اعتبرت شفيعة العلماء لأنها حاجّت العلماء وأفحمتهم، أو القدّيس نيقولاوس أسقف ميراليكية، الذي اعتُبر شفيعاً للأولاد أو

اليتامى أو الفتيات اللواتي لا مهر لهنّ لأنه أعان الأولاد والفتيات اللواتي لا مهر لهن في حياته.

إلى ذلك يمكن أن يكون للقدّيس اختصاص في مكان واختصاص آخر في مكان آخر. كما يمكن للقدّيس أن تكون له جملة اختصاصات. فالقدّيس نيقولاوس، بالإضافة إلى ما ذكرنا أعلاه، استقرّ في الوجدان، هنا وثمّة، كشفيع للبحارة والصيّادين والعتّالين وباعة النبيذ وصنّاع البراميل وعمّال البيرة والتجّار والبقّالين والقصّابين والمسافرين والحجّاج والمظلومين والمحكومين والمحامين والأسرى والصرّافين وغيرهم.

هذا وأساس القدّيسين المتخصّصين هو حاجة الناس إلى العناية والحماية، ولا سيما في أمور لا حول لهم ولا قوّة فيها إلا بالله. بهذا المعنى، حتى قبل المسيحية، حين كان الناس غارقين في عباداتهم الوثنية، كانوا يلتجئون إلى مَن اعتبروهم آلهة لحفظ أحوالهم وتأمين الحماية لأنفسهم في شتى أمور الحياة. حتى أتفه مظاهر الحياة عند الرومان، مثلاً، كانت لها آلهتها. ويتحدّث الدارسون عما لا يقل عن ثلاثين ألف إله كانوا في التداول يومذاك. فلما جاءت المسيحية تغيّرت الآلهة، ولكن لم تتغيّر حاجات الناس ولا أنماط تفكيرهم ولا تركيب وجدانهم، فكان أن أخذ القدّيسون يحلّون محلّ الآلهة الوثنية تغطية لشؤون الناس ومخاوفهم وحاجاتهم. وهذا المنحى شجّعت عليه الكنيسة وكان أسلوباً حكيماً لتحويل الوثنيين إلى المسيحية. فالخامس والعشرون من كانون الأول مثلاً كان عيد إله الشمس هليوس، فصار في حسبان الكنيسة عيد ميلاد الرب يسوع في الجسد باعتباره شمس البرّ. القدّيس ضومط الفارسي، لأنه كان طبيباً، أخذ محل اسكلابيوس، إله الطب عند القدامى. والقدّيس نيقولاوس حلّ محل بوسيدون، الإله الإغريقي للبحر والمياه، وهكذا دواليك.

على أن هذا البعد في التعاطي مع قدّيسي الله وان شاع وطغى، أحياناً، حتى بتنا، في

بعض الحقبات التاريخية، لا نعرف عن بعض القدّيسين سوى العجائب التي أجروها وكأن العجيبة سمة قداستهم الأولى، فإن القدّيس يبقى، من منظار تراثي، قدّيساً لأنه سلك بحسب الإنجيل وكانت الحياة بالنسبة إليه هي المسيح والموت ربحاً. وهو الحامل في جسده سمات الرب يسوع. اقتنى المسيح. صار في المسيح والمسيح فيه وهو امتداد جسد المسيح. هذا الموقف من القدّيس هو الأساس، والأعاجيب، مهما بالغ المؤمنون في إبرازها، تبقى تعبيراً، لا أكثر – وليست التعبير الأوحد – عن عمل الله في قدّيسيه ومن خلالهم. **(الأب توما بيطار)**

س ٧١ – أين بشّر كل واحد من التلاميذ الاثني عشر بعد العنصرة؟

ج ٧١ – أسماء الرسل الاثني عشر بحسب إنجيل متّى هي: "الأول سمعان الذي يُقال له بطرس وأندراوس أخوه؛ يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه؛ فيليبس وبرتلماوس؛ توما ومتى العشّار؛ يعقوب بن حلفى ولبّاوس الملقب تدّاوس؛ سمعان القانوي ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه" (متى ١٠: ٢). أما أسماؤهم بحسب إنجيل لوقا فهي: "سمعان الذي سمّاه أيضاً بطرس وأندراوس أخاه؛ يعقوب ويوحنا؛ فيليبس وبرتلماوس؛ متى وتوما؛ يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يُدعى الغيّور؛ يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطي الذي صار مسلِّماً أيضاً" (لوقا ٦: ١٤–١٦). فيما يلي بعض المعلومات المتعلقة بكل رسول من الرسل الاثني عشر على حدة. تختلف المصادر المختلفة فيما بينها في بعض المعلومات المتعلقة بالرسل الاثني عشر.

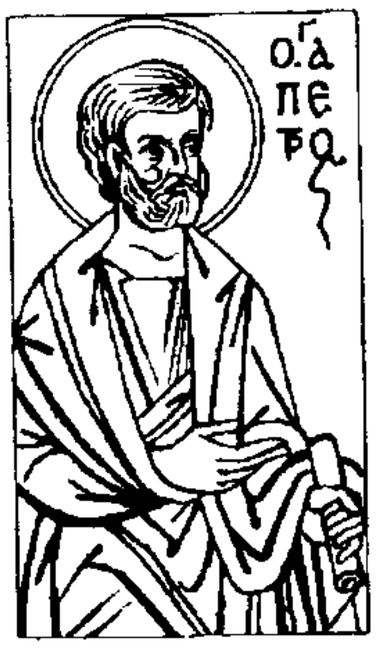

الرسول بطرس (عيده في ٢٩ حزيران): اسمه أيضاً سمعان أو صفا، ويعني الصخرة. عاش في بيت صيدا وكفرناحوم وكان صيّاداً. بشّر فلسطين وآسيا الصغرى وإيطاليا. صنع عدة عجائب (ظله كان يشفي). حُكم عليه بالموت من الإمبراطور نيرون. طلب من صالبيه أن يصلبوه رأساً على عقب لأنه اعتبر نفسه غير مستحق أن يُصلب كسيّده. يُعتبر رئيس جوقة الاثني عشر تلميذاً.

الرسول يوحنا الإنجيلي اللاهوتي الحبيب (عيده في ٢٦ إيلول): هو ابن زبدي الصيّاد وصالومة وأخو يعقوب الرسول. هما من بيت صيدا. دعاه الربُ يسوعُ وأخاه يعقوب

"ابني الرعد". بعد رقاد العذراء ذهب للتبشير في آسيا الصغرى وعاش في أفسس. عذّبه الإمبراطور دوميتيانوس فلم يتأثّر، فخاف الإمبراطور ونفاه إلى جزيرة بطمس. رقد في الرب بعمر متقدم. تُعزى إليه عدة أسفار من العهد الجديد وهي إنجيل يوحنا، رسائل يوحنا الثلاث ورؤيا يوحنا.

الرسول يعقوب (عيده في ٣٠ نيسان): أخو يوحنا اللاهوتي. بشّر في عدة أماكن (أورشليم واليهودية) حتى حدود إسبانيا. قُطعت رأسه حوالي السنة ٤٤–٤٥ في أورشليم بأمر هيرودس اغريبا، ويُعتقد أن ذخائره محفوظة في إسبانيا، إلاّ أنّ الأب مكاريوس لم يذكر له خروجاً من فلسطين.

الرسول أندراوس (عيده في ٣٠ تشرين الثاني): هو أخو بطرس الرسول وكان صيّاداً أيضاً. كان في الأصل تلميذ يوحنا المعمدان. بشّر الإنجيل في سكيثيا بيزنطية والأراضي على طول نهر الدانوب وروسيا وحول البحر الأسود، وأخيراً في اليونان. عذّبه الحاكم Aegeatus وصلبه. ويُعتقد أن صليبه كان بشكل حرف X ويُعرف اليوم باسم "صليب القديس أندراوس".

الرسول فيليبس (عيده في ١٤ تشرين الثاني): بشّر في مناطق عديدة في آسيا الصغرى واليونان حيث حاول اليهود قتله لكن الرب أنقذه بعجائب كثيرة، منها تحويل رؤساء اليهود إلى عميان وإحداث زلزال عظيم فتح الأرض فابتلعت مضطهدي فيليبس. في بلدة Phrygian عمل فيليبس مع الرسول يوحنا اللاهوتي، وأخته مريامنا والرسول برثلماوس. بصلاته قتل أفعى سامة كان الوثنيون يعبدونها. فهجم عليه الوثنيون وصلبوه منكّس الرأس على شجرة، ومن ثم صلبوا برثلماوس أيضاً. فانفتحت الأرض وابتلعت القاضي وآخرين معه. سارع الوثنيون وأنزلوا برثلماوس حيّاً قبل موته، أما فيليبس فكان قد أسلم الروح في العام ٨٦، أيام الإمبراطور دوميتيانوس.

الرسول برثلماوس (عيده في ١١ حزيران): برثلماوس ونثنائيل هما الشخص الواحد نفسه، وهو من قانا الجليل. وهو رفيق فيليبس الرسول. بشّر في آسيا الصغرى والهند،

وأخيراً في أرمينيا حيث اُستشهد هناك إذ صُلب ثم قُطعت رأسه في أرمينيا[٣].

الرسول توما (عيده في ٦ تشرين الأول): يُقال أن الرسل ألقوا قرعة ليعرفوا أين يمضي كل واحد منهم للتبشير. فكان نصيب الرسول توما الهند. فحزن لأنه سيبتعد كثيراً عن فلسطين. فظهر المسيح له معزّياً. أسّس توما كنائس ورسم أساقفة واستشهد في الهند.

الرسول متّى الإنجيلي (عيده في ١٦ تشرين الثاني): اسمه لاوي ايفا. تبع يسوع الذي دعاه (متى ٩: ٩؛ لو٥: ٢٧-٢٨). بشّر الإنجيل في بلاد فارس واثيوبيا حيث يُعتقد أنه رُسم أسقفاً. مات شهيداً. الأب مكاريوس يقول أنّه بشّر منبج السورية ومات طاعناً في السن. ولم يذكر سفره إلى أثيوبيا.

الرسول يعقوب بن حلفى (عيده في ٩ تشرين الأول): هو على الأرجح أخو متّى الإنجيلي الرسول. أصابته القرعة ليبشّر في Eleutheropolis والمناطق المجاورة، ثم في مصر. اُضطهد في مصر وصلبه الوثنيون. على الأرجح لم يكن يعقوب بن حلفى أحد المدعوين أخوة الرب، لكن القديس ايرونيموس في الغرب ساوى بين اسمي حلفى وكلوباس بدون سند تاريخي[٤].

الرسول سمعان الغيّور (عيده في ١٠ أيار): بشّر في موريتانيا وليبيا. عُذَب وصُلب. يُعتقد أن الرب حضر عرسه في قانا الجليل[٥].

الرسول يهوذا (عيده في ١٩ حزيران): في العهد الجديد (لوقا ٦: ١٦ وأع١: ١٣) يُنسب إلى يعقوب، فهو على الأرجح ابن يعقوب لا أخوه[٦] لأسباب مذكورة في شرح إنجيل متى للذهبي الفم، الجزء الثاني، ص ٣٨٤-٣٨٥. وبالتالي ليس يهوذا أحد أخوة

---

(٣) تقليد القسطنطينية يحدّد استشهاده في بآلو أذربيجان (اسبيرو جبور).
(٤) راجع شرح متى للذهبي الفم، الجزء الثاني، ترجمة د. عدنان طرابلسي، ص ٣٨٣-٣٨٤.
(٥) "القانوي". اللفظة عبرية ترجمها لوقا "الغيور". لا تعني أنّه من قانا. ولا صحة لعرسه في قانا إذاً كما يعتقد البعض.
(٦) الدارسون المعاصرون لفظيون حرفيون. ليس في تقليد الكنيسة يهوذا سوى يهوذا كاتب الرسالة الذي سمّى نفسه أخا يعقوب. في متّى ومرقس اسمه تدّاوس (اسبيرو جبور).

الرب. يُدعى تدّاوس (يوجد تداوس/يهوذا آخر من السبعين وعيده في ٢١ آب). بشّر في اليهودية والسامرة وسوريا والعربية وبلاد ما بين النهرين وأرمينيا. وبشّر في أديسا (الرها) وصُلب في أرارات، والبعض يقول في فارس. طُعن بسهام فمات.

الرسول متّياس (عيده في ٩ آب): كان في عداد السبعين رسولاً. بعد قيامة الرب يسوع وخيانة يهوذا وانتحاره، وقعت القرعة على متياس ليُحصى بين الاثني عشر (أعمال١: ٢٣). بشّر في اليهودية ثم اثيوبيا حيث تألّم وفي مقدونية. حكم عليه حنانيا رئيس الكهنة (الذي قتل الرسول يعقوب) بالموت في اليهودية ورجمه ثم قُتل بقطع الرأس بفأس. بشفاعاتهم اللهمَّ ارحمنا. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٧٢ – مَن هم الآباء الرسوليون ولماذا دُعوا هكذا؟

ج ٧٢ – الآباء الرسوليون هم الآباء الذين خلفوا الرسل مباشرة وعاشوا في القرنين الأول والثاني. وقد لعبوا دوراً هاماً جداً في الدفاع عن الكنيسة والإيمان ضد الهرطقات والبدع والعقائد الغريبة عن الإيمان المسيحي والتي كانت منتشرة أو مزدهرة في هذين القرنين. من هذه العقائد الفلسفة الغنوصية (المعرفية أو العرفانية)، والأفلاطونية وسواهما. وأهمية الآباء الرسوليين في أنهم خلفوا الرسل مباشرة فكانوا مرحلة مهمة في تاريخ الكنيسة المسيحية حيث تطور فيها اللاهوت والعقائد والحياة الروحية والليتورجية والإدارية. من هؤلاء الآباء القديسون: كلمندس أسقف روما، إغناطيوس الأنطاكي، هرماس، بوليكاربوس وبابياس، وإيريناوس أسقف ليون. كتابات هؤلاء الآباء تسلط الضوء على تطور حياة الكنيسة وإدارتها في الفترة التالية لفترة كتابة العهد الجديد[٧]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٧٣ – مَن هم آباء البرية ولماذا دُعوا هكذا؟

ج ٧٣ – آباء البرية هم القديسون الكبار الذين عاش معظمهم في القرن الرابع في مصر وسوريا وفلسطين، متوحّدين في البراري، ومنهم مَن عاش بعد القرن الرابع. وقد تركوا

(٧) راجع كتاب المثلث الرحمات البطريرك الياس الرابع "الآباء الرسوليون"، منشورات النور ١٩٧٠.

لنا خبراتهم الروحية في أقوال مقتضبة تُدعى أقوال آباء البرية (بالفرنسية apophtegmes)[٨]، وتحتوي على خبراتهم في الصلاة وفي مختلف أوجه النسك، كالصوم والسهر والصمت والسجدات وغيرها. وقد أُوردت في كتاب "بستان الرهبان"، و"أقوال الآباء الشيوخ"، و"كيف نحيا مع الله"... وهي أساس الحياة الرهبانية، بل الحياة الروحية عامة. ولذا دُعوا "آباء البرية". ومنهم أنطونيوس وباخوميوس وباسيليوس وأفتيميوس ومكاريوس ومرقس الناسك وسمعان اللاهوتي الجديد، وذياذوخوس ويوحنا السلّمي، واسحق السوري وغريغوريوس بالاماس، وكثيرون غيرهم. **(الأب الياس مرقص)**

س ٧٤ – مَن هم المتبالهون من أجل المسيح؟ ولماذا عاشوا متبالهين؟ وهل كانوا مرضى نفسيين؟

ج ٧٤ – المتبالهون من أجل المسيح هم عادة رهبان ينزلون إلى "العالم"، إلى المدن والمجتمع، ويتصرفون ويأتون بأعمال غريبة لا معنى لها ظاهرياً، هي في عرف المجتمع أعمال بلاهة وجنون وحماقة. ومع ذلك، لهذه الأعمال دائماً معنى أعمق: إنها تكشف الواقع الذي يعيش فيه هذا العالم والحقيقة المحجوبة تحت غطاء "التمدن" المزيّف. المتباله يعيش في الشوارع والأزقة، مثل المتشرّدين، مع أناس محرومين، بائسين، مرذولين من المجتمع، مع الزناة والمتشردين. يبدو المتباله ظاهرياً أنه يقلّد طريقة عيشهم، بينما في الحقيقة يُظهر لهم حقيقة الخلاص بطريقة يستطيعون أن يدركوها وتناسب مستواهم الروحي، وذلك عبر المزاح والتهريج والسخافات غير الاعتيادية.

كثيراً ما يوبِخ المتباله هؤلاءَ الخطاة، ويُجري العجائب ليمنعهم من المزيد من السقوط في الخطيئة. عادة ما تكون للمتباله نعمة نفاذ البصيرة وقراءة أعماق الإنسان الخفية؛ إنه يسخر من تعدياتهم الخفية علناً، لكن بطريقة لا يمكن أن يفهمها إلا المذنب فقط.

---

٨) اللفظة اليونانية الأصل. تعني: قول: قول، حكمة، تعليم،...

يقدّم المتباله نفسه للعالم بصورة إنسان خاطئ: فهو أحياناً يكسر أصوام الكنيسة أمام الناس، بينما في الخفاء يمارس أقصى درجات النسك في أكله. إنه في الحقيقة يقوم علناً لا بازدراء الصوم والصلاة والنسك والبر، بل بازدراء الطريقة التي يمارس فيها المجتمع هذه الأعمال. وفي الليل يعود إلى جماعة القديسين، وإلى صلواته وصومه ومعاينة وجه الله. وفي الصباح يعود ثانية ليضع قناع التباله، مستهزئاً من هذا العالم الباطل ومن زيفه وافترائه ومراءاته. هذا التباله هو أحد أشكال درجات النسك القصوى، وهو رفض تام لمقاييس العالم وقيمه، وهجر كلي للأنا. إنه "يبالغ" في رفض العالم ومعاييره ومُثُله لكي "يهزّ" ضمير هذا العالم النائم، لكي "يصدمه" و"يصعقه" فيصحو حتى يرى معايير الإنجيل ومُثُله التي أضاعها هذا العالم.

يأتي المتبالهون ليذكّرونا بأن رسالة الإنجيل هي "حماقة" للعالم، وأن الخلاص والقداسة لا يمكن لهما أن يتصالحا مع قيم المجتمع الدنيوية ومُثُله المزيفة. إنهم يقدمون أنفسهم خلال فترات "العلمنة الكاذبة" عندما لا ينفصلَ الدين عن السياسة، بل عن الحياة نفسها، عندما تضيع فيها قيم الإنجيل وتصير الهوية المسيحية معتمدة على المقاييس والقيم التقليدية لعلمٍ يقيس الحياة الحقيقية وفضيلة الإنسان بمقياس اللياقة الاجتماعية وعلم الأخلاق والواجبات الاجتماعية.

المتباله إناء للنعمة، ولديه الخبرة الآنية بملكوت الله. إنه يعيش هذا الملكوت وهو بعد هنا على الأرض، وفي العالم ولكنه ليس من هذا العالم. إنه يُظهر بصورة نبوية التضاد بين "دهر العالم الحالي" و"دهر الملكوت"، والفرق الأساسي بين مقاييس كل منهما. إنه يرفض أي اعتبار موضوعي للفضيلة والتقوى لنفسه، ويذهب إلى أقصى حدود نكران المدح والكرامة الآتيين من الناس. إنه يعرف أن الفضيلة الفردية تفصل الإنسان عن الله لأنها تقود إلى الرضى عن الذات.

المتباله لا يمارس نسكه في دير، بل وحيداً في العالم، في "وسط" العالم. إنه يصارع في أحياء مغلقة مع العالم والشيطان. إنه يتحدى الشيطان "أمير هذا العالم" في وسط مملكته الأرضية، ومع أكثر ضحايا الشيطان خطيئة. إنه يحمل صليب الكنيسة وصليب المعذَّبين والخاطئين. إنه يلبس قناع التباله، قناع اللامسؤولية الاجتماعية، بحيث يكشف حقيقة الأقنعة الجميلة، لكن المزيّفة، التي يختبأ وراءها أهل هذا العالم، ممزِّقاً حجب المناقبية

التقليدية المزيّفة. إنه يثب إلى بيت القوي ويُمسك بأمتعته (متى ١٢: ٢٩) ويقيّده. القديس وحده يقدر على فعل هذا.

في الغرب لم يُعرَف التباله من أجل المسيح كما هو معروف في الشرق. في الشرق يوجد قديسون عديدون أهمهم: القديس سمعان الحمصي (من أميسا أو حمص الحالية، أيام جوستينيانوس ٥٢٧–٥٦٧) ورفيقه يوحنا، القديس أندراوس القسطنطيني (٨٨٠–٩٤٦)، القديس توما المتباله من أجل المسيح والقديس لوقا الأفسسي (القرن ١١). وفي تقليد الكنيسة الروسية والصربية لدينا القديس يوحنا المتباله (١٤٩٠)، والقديس باسيليوس المتباله (١٥٥٢)، والقديس يوحنا من موسكو (١٥٨٩).

أيضاً، كثيراً ما نجد في حياة القديسين الآخرين حوادث وأمثلة تذكّرنا بحياة القديسين المتبالهين. فكل قديس هو متباله بصورة أو بأخرى. فكثيراً ما يُتَّهم قديس بخطيئة ما ظلماً ولا ينبري للدفاع عن نفسه إلى أن يكشف الله الحقيقة. فبالنسبة للرهبان، إن قبول ذنب أو خطيئة إنسان آخر طوعاً وبدون دفاع عن النفس هو ليس مجرد فرصة للتواضع، بل إظهار عملي لقناعاتهم بأن الخطيئة هي مشتركة بين الجميع، وأن قبول هذه الخطيئة هو طريقة واضحة للمشاركة في الصليب المشترك الذي يجمع كل البشر معاً. فالراهب هو "على حدة" بالنسبة للجميع، هو متوحِّد، لكنه بالوقت نفسه "متّحد بالجميع"، ويرى خطايا الآخرين على أنها خطاياه، أو أنها خطايا عامة للطبيعة البشرية التي نشترك جميعنا فيها. على المسيحي أن يحاكي المسيح الذي أخلى ذاته. عليه طوعاً أن يحمل عيوب البشرية وعيشها في الخطيئة وأن يُحضرها إلى الله، مجسِّداً في شخصه كلمات القديس بولس: "أكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة" (كول ١: ٢٤).

في التباله جهاد كبير ضد الكبرياء وبناتها. المتباله يشرب شتائم الناس فيتواضع ويتذلّل أمام الله. المتباله من أجل المسيح يبدو ظاهرياً أنه يخالف حضّ الرسول بولس على قبول الحرمان الشخصي والتضحية من أجل تجنب إعثار الآخرين (١كور ٨: ١٣). لكن بولس الرسول يتكلّم عن إعثار الآخرين في مجال الحقيقة. المتباله لا يخلق تشوشاً في إيمان الناس، ولا يعتّم على الحقيقة. إنه ببساطة يفاجئ الذين قد طابقوا الإيمان والحقيقة مع

المفهوم الدنيوي للاستقامة الأخلاقية واللياقة التقليدية. المتباله من أجل المسيح له الموهبة والجرأة ليُظهر علناً حالة السقوط البشري وحالة الخطيئة التي جميعنا نشترك فيها. هاتان الحالتان لا تنمحيان ولا تزولان لا بحال التحسّن الفردي ولا التحسن الاجتماعي. التباله حرب شعواء على الكبرياء، وحب الظهور، وحب المجد الباطل، وحب الرئاسة، هذه الأرومات العاتية لرذائل عديدة ضد التواضع والوداعة والخشوع

مبدئياً، بهذا المعنى، كل راهب أرثوذكسي هو متباله من أجل المسيح. إنه يرتدي رداء الحزن لكن الحزن الفرِح، البهي، وعلناً يعلن أنه يقبل سقوطنا المشترك وخطيئتنا المشتركة، وينسحب إلى الحياة النسكية والصلاتية، ويشنّ حرباً على هذا السقوط وعلى هذه الخطيئة من أجل جميع الناس، وليس من أجل نفسه وحدها.

بالمعنى نفسه أيضاً، كل مسيحي هو متباله من أجل المسيح في عين المجتمع. وهنا خلاصة التباله من أجل المسيح. فالمسيحي ليسِ من هذا العالم، وإن كان فيه. إنه ينتمي سلفاً إلى ملكوت الله، إلى ملكوت آخر لا يعرفه هذا العالم، ولن يفهمه. إنه غريب عن هذا العالم. إنه متباله، لأنَّ مناقبه وقيمه ومُثُله مختلفة عن التي لهذا العالم. وبما أن "كلمة الصليب عند الهالكين هي جهالة، وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله" (١كور ١: ١٨)، فإننا "نكرّز بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة ولليونانيين جهالة.. لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس" (١كور١: ٢٣ و ٢٥). لهذا، ليست المسيحية مجرد نواميس وشرائع اجتماعية وأخلاقية وإدارية تنظّم حياة الإنسان؛ وليست "أوادمية" و"كياسة" أخلاقية، ولباقة اجتماعية، وتهذيب فردي. إنها جهاد متواصل في التوبة والصلاة والنسك ضد الخطيئة حتى الموت. والمسيحية نفسها هي تباله: فالرهبنة تباله بنظر العالم، والوصايا المسيحية تباله ، والصلاة المتواصلة بدون ملل تباله، والصوم والتوبة والنواح على حالتنا الخاطئة تباله. حتى غاية المسيحية وهي التألّه والمشاركة في حياة الله هي تبالهٌ. فلِمَ العجب إن كان لدينا متبالهون من أجل المسيح. هذه هي صرخة المتباله: متى تطابقت هذه "المسيحية" مع أشكال اللياقة والكياسة والتهذيب والأخلاق الدنيوية التقليدية الاجتماعية صارت أي شيء سوى مسيحية السيد المسيح. المتباله يُظهر تحرّراً مذهلاً من الأخلاق المزيّفة والفضائل الاجتماعية المزيّفة. هذا التحرر هو أولاً وأخيراً إماتة كاملة لكل عنصر فردي في حياته. هذا الموت (المتجلّي في التوبة المستمرة

والجهاد ضد الخطيئة حتى الدم) هو عِتق (انعتاق) يهدم كل شيء تقليدي. إنه قيامة إلى حياة التمايز الشخصي، حياة الحب التي لا تعرف قيوداً ولا حدوداً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٧٥ – ما هي قصة حياة القديس جاورجيوس (جورج) ولماذا له هذه الشعبية الواسعة بين الكنائس الأرثوذكسية؟

ج ٧٥ – إن شهيد المسيح العظيم والمجيد جاورجيوس اللابس الظفر وُلد من أب كبادوكي وأم فلسطينية. كان جندياً فارتقى إلى رتبة قائد ألف وذاع صيته في الحروب حتى لقبوه باللابس الظفر. واتفق له في أيام ديوكليسيانوس أن جاهر بإيمانه بالمسيح، الإيمان الذي كان قد تلقّنه من والديه. فاحتمل من أجل هذا الإيمان جهادات وعذابات كثيرة ومتنوعة ومروّعة. إلا أنه احتملها كلها وتغلّب عليها، وقاد بالعجائب التي جرت على يديه أناساً كثيرين إلى معرفة الحق. وفي العام ٢٩٦ قُطعت رأسه. أما جسده الشريف فقد نُقل من مكان استشهاده، الذي لا معرفة لنا به، إلى مدينة اللدّ في فلسطين التي كانت وطن أمه ثم نُقل إلى الكنيسة التي بُنيت على اسمه.

ويبدو أن الشعبية الكبيرة التي له تعود إلى شجاعته وعذاباته وغلبته وعجائبه[٩]. **(الأب الياس مرقص)**

س ٧٦ – مَن هو القديس سمعان العمودي ولماذا عاش على العمود؟ هل هذا مرض نفسي؟

ج ٧٦ – القديس سمعان العمودي رجل استثنائي في التاريخ. هو من بلدة إكبس في تركيا. كان يرعى أغناماً. في يوم بردٍ قارسٍ ذهب إلى الكنيسة فسمع الإنجيل والرسالة،

(٩) تعيّد الكنيسة الأرثوذكسية لهذا القديس العظيم في الثالث والعشرين من شهر نيسان، وتحتفل بعيد نقل رفاته إلى كنيسته في اللدّ في الثالث من تشرين الثاني. راجع سيرة حياته الكاملة في السنكسار الأرثوذكسي لواضعه الأرشمندريت الراهب توما (بيطار)، منشورات دير القديس سلوان الآثوسي في دوما، لبنان، وسيرة القديس جيئورجيوس لاسبيرو جبور. (المحرّر)

فهداه الله إلى النسك. يبدو أن جسمه كان قوياً جداً، فتدرّج في النسك حتى انتهى إلى مكان ديره الحالي الواقع على مسافة ستين كيلومتراً من حلب. وبلغ في النسك فاعتلى عدة عواميد تتدرّج في الارتفاع. وكان رجل صلاة نادر وصوّاماً كبيراً يوزّع على الناس كلمة الله والأشفية المتنوعة. رقد في الرب في العام ٤٥٩. طبّقت شهرته الآفاق. أتاه المرضى من الشرق والغرب والشمال والجنوب. نُقل جثمانه إلى أنطاكية فالقسطنطينية.

بدا نوع نسكه غريباً جداً سوى أنه أضحى نموذجاً لكثيرين صاروا عموديين. في مكان العمود بُنيت ٤ كنائس بشكل مصلَّبة. كُتب عليها بالسريانية أنها أُنشئت في العام ٤٩٢. عالمة آثار أمريكية كبيرة قالت لي في ١٩٩٧/٣/٣١ أنها حين إنشائها كانت أعظم من كنيسة مار بطرس بروما ومن كل كنائس الدنيا. يحجّ الناس إليها.

راجع سيرة مار سمعان التي أنشأتُها في كتابنا "سمعان العمودي". كان سمعان رجلاً عجيباً وعجائبياً. الإنسان المتألِّه مثل سمعان لا يكون مريضاً نفسياً إنما مسكناً للروح القدس. لمّا صعد خادمه السلمَّ ليراه شاهد وجهه يُضيء كالشمس وهو ميت. هذا نور إلهي لا بشري. أهل الجسد لا يفهمون ما للروح. يحكمون في الأمور جسدياً (بولس). فطنة الجسد هي غير فطنة الروح. المسيحية برمتها قضية إيمان لا قضية عقلانية. العقلانيون أرضيّون ليس لهم روح المسيح. (**اسبيرو جبور**)

س ٧٧ – مَن هنَّ القديسة تقلا والقديسة بربارة والقديسة كاترينا؟

ج ٧٧ – **القدّيسة تقلا**: تُعرف في الكنيسة بـ"الشهيدة الأولى المعادلة الرسل". نشأت في إيقونية، في آسيا الصغرى وكانت وثنية. في الثامنة عشرة اهتدت إلى المسيح على يد الرسول بولس. نذرت عذريتها ليسوع. عانت التضييق والضرب والتهديد بالموت والتعذيب بسبب تمسّكها بالمسيح ورفضها الزواج. وحُفظت من نار شديدة أُلقيت فيها. هذا كان استشهادها الأول. فرّت وتبعت بولس الرسول إلى أنطاكية. هناك شاءها واحد من علّية القوم. وإذ حاول خطفها وإذلالها قاومته وأخزته فوشى بها أنها مسيحية. حُكم عليها بالموت طعماً للوحوش فلم تمسّها بأذى. فتعجّب الوالي وأطلق سراحها. هذا كان استشهادها الثاني.

بعد ذلك كرزت بكلمة الله ببركة الرسول بولس، على ما قيل. في تراثنا أقامت في معلولا ناسكة في مغارة. وقد أعطاها الرب الإله موهبة شفاء المرضى، وأن كثيرين اهتدوا بواسطتها. حاول رجال أشرار إذلالها فطاردوها فهربت فحاصروها فانشقّت إحدى الصخور فدخلت فيها فكانت الصخرة مخبأ لها ومدفناً.

يُظن أن رقادها كان حوالي العام ٩٠ للميلاد. القدّيس يوحنا الذهبي الفم قال فيها:"إني أرى هذه العذراء المباركة تذهب إلى المسيح ممسكة بعذريتها في يد واستشهادها في الأخرى". يُعيَّد لها في ٢٤ أيلول[١٠].

القدّيسة كاترينا: تُعرف بـ"العظيمة في الشهيدات". قضت للمسيح في مستهل القرن الرابع للميلاد. نشأت في الإسكندرية. كانت من النبلاء. امتازت بجمال أخّاذ وذكاء خارق. درست الفلسفة والشعر والعلوم الطبيعية واللغات وسواها، من الكلاسيكيات. كانت والدتها مسيحية. لا نعرف ما إذا كانت هي قد نشأت على المسيحية أم لا. تعمّدت على يد أحد النسّاك. اقتبلت العذرية عروساً للمسيح. رغب الإمبراطور الروماني مكسيميانوس، الذي أمَّ الإسكندرية، أن يضحّي سكّانها للأوثان دلالة على خضوعهم له. احتدّت روح كاترينا فيها فجاءت من ذاتها ووقفت أمام القيصر. وبعدما طلبت الإذن بالكلام أبدت أن عبادة الأوثان مفسدة لا يجيزها العقل السليم والأوثان لا وجود لها ولا إله غير واحد هو أصل الموجودات وعلّتها. وقد استشهدت في ذلك بأقوال أتت بها من كبار الفلاسفة الوثنيين. أعجبت الإمبراطور لفهمها وطلعتها وجعل مناظرة بينها وبين حكمائه. فاجتمع خمسون منهم والبعض يقول مائة وخمسين. تفوّقت كاترينا على الجميع بقوّة الحجّة والشواهد. وبعد أخذ ورد حرّك روح الرب محفل الفلاسفة فقبلوا الإيمان بالمسيح الذي تؤمن به كاترينا. وقد ورد أن الإمبراطور ألقاهم جميعاً في النار والكنيسة تحسبهم قدّيسين.

وعلق الإمبراطور بهوى كاترينا لكنها صدّته فجلدها وألقاها في السجن. وقد ابتدع دولاباً مسنناً بشفرات حادة لتعذيبها. ولما شاء جعل كاترينا على الدولاب تفكّك وتكسّر. وقد مجّدت القدّيسةُ اللهَ بقطع الهامة.

---

(١٠) كتب اسبيرو جبور سيرتها، حديثاً، بتدقيق تاريخي.

هذا وقد وجد نسّاك رفاتها على قمة جبل سيناء في القرن الثامن للميلاد. مذ ذاك أُودعت الدير فصار يعرف بدير القدّيسة كاترينا. كتب سيرتها القدّيس سمعان المترجم. يُعيّد لها في ٢٥ تشرين الثاني.

القدّيسة بربارة: لا نعرف بالتأكيد لا تاريخ ولا مكان استشهادها. عندنا أنها من بعلبك، ولكن ثمّة مَن يجعلها في مصر أو روما أو توسكانا أو آسيا الصغرى أو سواها، وفي تاريخ يتراوح بين العامين ٢٣٥ و ٣١٣ للميلاد. تُلقّب بـ"العظيمة في الشهيدات"،ويُعيّد لها في الرابع من كانون الأول.

كانت وثنية فاهتدت ونذرت بتوليتها للمسيح. عنف والدها معها وسلّمها إلى الحاكم الذي حاول استعادتها فخاب. أبى والدها إلا أن يكون هو جلاّدها فقطع رأسها بالسيف.

شاع إكرام القدّيسة بربارة في الشرق والغَرب منذ القرنين الثامن والتاسع للميلاد. وهي شفيعة الذين في الشدائد والأخطار. كذلك قيل أنها تلاشي الأمراض الوبائية. ويستجير بها المعرّضون لخطر الصواعق وكذلك ذوو المهن الخطرة كفرق المدفعية في الجيش وصنّاع الأسلحة وعمّال المناجم والبنّاؤون والنجّارون.

قيل عن رفاتها – كما ورد على لسان البطريرك مكاريوس ابن الزعيم – أنها كانت في القرن السابع عشر في دير القدّيس ميخائيل خارج مدينة كييف الروسية، وأن جسدها لم ينحلّ . **(الأب توما بيطار)**

س ٧٨ – هل صحيح أن القديس يوحنا الدمشقي كان آخر آباء الكنيسة الشرقية كما يزعم الغربيون؟

ج ٧٨ – ربما يشير السائل إلى ما ورد في كتاب "الإيمان الأرثوذكسي" للقديس يوحنا الدمشقي الذي ترجمه الأرشمندريت أدريانوس شكور الكاثوليكي (منشورات المكتبة البولسية، العام ١٩٨٤)، والذي ورد فيه (على متن الغلاف) أن القديس يوحنا الدمشقي هو آخر آباء الكنيسة الشرقية. هذه مفارقة تاريخية، كنسية، لاهوتية تفتقر إلى الحقيقة والدقة، وربما تكون غير مقصودة. لم يكن القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥–٧٤٩) آخر

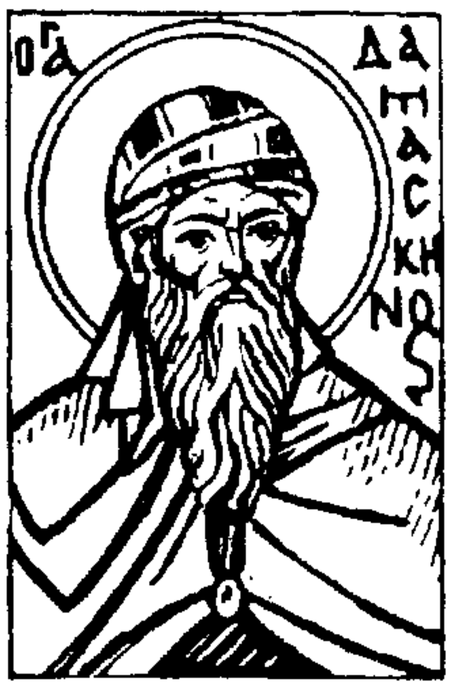

أب أو قديس أو لاهوتي أو كاتب ترانيم أو شاعر كنسي في الكنيسة الأرثوذكسية. آباء الكنيسة وشهداؤها وقديسوها سلسلة لا تنتهي إلا بانتهاء الدهور. بعد هذا القديس العظيم ظهر الكثيرون مما لا يتّسع المجال لذكرهم. منهم فوتيوس وسمعان اللاهوتي الجديد (القرن ١٠–١١)، غريغوريوس السينائي (القرن ١٤)، غريغوريوس بالاماس (القرن ١٤)، نيقوديموس الآثوسي (القرن ١٨)، ثيوفانس الحبيس (القرن ١٩)، يوحنا كرونشتادت (القرن ١٩–٢٠)، الخ... حتى بعد انشقاق الكنيسة الكاثوليكية عن الأرثوذكسية، استمر وجود قديسين في الكنيسة الأرثوذكسية تعترف بهم الكنيسة الكاثوليكية. لكن بالطبع يوجد قديسون في الكنيسة الأرثوذكسية لم تعترف بقداستهم الكنيسة الكاثوليكية (مثل: غريغوريوس بالاماس، مرقس الأفسسي، نيكتاريوس، الخ...). مؤخراً، نلاحظ محاولات جادّة من الطرف الكاثوليكي لإعادة النظر في موقف الكنيسة الكاثوليكية، كما هي الحال، مثلاً، مع القديس العظيم غريغوريوس بالاماس. وفي القرن العشرين أُنصف القديس فوتيوس الكبير. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٧٩ – مَن هو القديس يوحنا الذهبي الفم، ولماذا لُقِّب بهذا اللقب، وما هو دوره وأهميته في الكنيسة الأرثوذكسية؟

ج ٧٩ – القديس يوحنا الذهبي الفم هو بولس الثاني، أفصح خطباء الكنيسة المسيحية وواعظيها على مر العصور، بل ربما كان أخطب رجل في التاريخ، وهو أشهر شارح للكتاب المقدس؛ وهو رجل كنسي قدير، لمعت خصائصه وحنكته أيام الملّمات والأزمات.

وُلد يوحنا الذهبي الفم (٣٤٧–٤٠٧) من أب وثني وأم مؤمنة هي أنثوسا التي ترمّلت في العشرين من عمرها ونذرت نفسها لتربية ابنها؛ وكانت زينة الأمهات المسيحيات الأنطاكيات، وقد قال عنها ليبّانيوس، المعلّم الوثني المشهور آنئذ: "آهٍ، أية نسوة رائعات بين المسيحيات".

تتلمذ يوحنا في الخطابة والفصاحة العلوم الوثنية على يد الفيلسوف الوثني ليبانيوس الذي اشتهى أن يخلفه يوحنا بعد مماته. وتتلمذ مسيحياً على يد الأسقف المشهور القديس ملاتيوس الأنطاكي لمدة ثلاث سنوات، فعمّده. لم يستطع يوحنا أن يترهبن في دير قبل رقاد أمه، إلا أنه عاش النذور الرهبانية في بيته الذي حوّله إلى قلاّية. بعد رقادها انعزل ست سنوات في أديرة قرب أنطاكية يدرس اللاهوت والصلاة والهذيذ تحت توجيه رئيس الدير ديودوروس (أسقف طرسوس لاحقاً). صار يوحنا قارئاً ثم شمّاساً ثم كاهناً في أنطاكية. وفي العام ٣٩٨ صار رئيس أساقفة القسطنطينية. كان خلاص النفوس همّه الأول والأخير. تجنّب الجدالات العقائدية واللاهوتية رغم أنه كان لاهوتياً عظيماً. كانت عظاته النارية تشعّ محبة مقدسة ونوراً إلهياً لمستمعيه. لُقب "الذهبي الفم"، لأنه كان أعظم واعظ وخطيب في تاريخ الكنيسة المسيحية حتى يومنا الحالي، بشهادة أحبائه وخصومه معاً. كان محنَّكاً بارعاً، اتخذ بولس الرسول مثالاً له.

إخلاصه للمسيحية وقيمها ومُثُلها جعله موضع حسد وغيرة الكثيرين، وعلى رأسهم الإمبراطورة افدوكسيا وثيئوفيلوس رئيس أساقفة الإسكندرية آنذاك، الذين حاكوا ضده المؤامرات تلو المؤامرات التي انتهت بنفيه. رقد في يوم عيد الصليب المقدس ١٤ أيلول العام ٤٠٧ في المنفى بعد أن تناول جسد الرب ودمه قائلاً جملته المشهورة: "المجد لله على كل شيء". أُعلنت قداسته بعد رقاده ونُقل رفاته إلى القسطنطينية العام ٤٣٨ في احتفال مهيب على يد تلميذه القديس بروكلوس رئيس الأساقفة. ويُعتبر أنه رقد شهيداً. تعيّد الكنيسة المقدسة له في ١٣ تشرين الثاني، ولعيد نقل رفاته إلى القسطنطينية يوم ٢٧ كانون الثاني.

اشتهر الذهبي الفم بعظاته وخطاباته وفصاحة لسانه. أيضاً اشتهر بشروحاته للكتاب المقدس الذي حفظه عن ظهر قلب بسهولة. كانت لغته نارية، قوية، ومسيطرة، ويشرح الأسفار بحرية إلى درجة تشعر معها أنه الكاتب الأصلي لها. مع ذلك، لم يحاول الذهبي الفم أبداً أن يُسحر مستمعيه بفصاحته وبراعته اللغوية والكتابية. همّه الوحيد كان وصول الكلمة الإلهية حية وقوية إلى قلوبهم. كان يشجّع على قراءة الكتاب المقدس يومياً في المنازل، وعلى

زيارات الأديرة والرهبنات، وعلى التصدّق للفقراء بكل وسيلة ممكنة. يُنسب إليه القداس الإلهي الحالي الذي ساهم على الأرجح بتنسيقه وتعديله وصياغته وإخراجه.

عبقرية الذهبي الفم لم تسمح بتحجيمه ضمن إطار المدرسة الأنطاكية وطريقتها التاريخية–الحرفية في التفسير. لقد تجاوزها إلى درجة أعتقدُ معها، شخصياً، أنه صار مدرسة متكاملة أفضل من المدرسة الأنطاكية والإسكندرية على حد سواء[١١]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٨٠ – سمعتُ بوجود قديس أرثوذكسي اسمه أحمد وله أيقونة. مَن هو وما هي قصة حياته؟

ج ٨٠ – عاش القديس أحمد الخطّاط في القسطنطينية في القرن السابع عشر. كانت مهنته كاتباً للمحفوظات. لأنه لم تكن لديه زوجة، كانت له أمَة روسية بحسبِ القانون العثماني وكانت قد وقعت أسيرة أثناء الحرب الروسية – التركية، فسقطت محظية له. ومع أمَته عاشت أيضاً أمَة روسية أخرى متقدمة في السن. كانت كلتا المرأتين تقيتين.

كانت المرأة المتقدمة في السن تذهب إلى الكنيسة أيام الأعياد وتُحضر معها ماء مقدساً وخبزاً مقدساً antidoron إلى المرأة الشابة. كلما تناولت الأمَة الشابة من الخبز المقدَّس كان أحمد يشمّ رائحة ذكية جميلة تخرج من فمها. كان يسألها ماذا أكلت حتى صارت رائحة فمها ذكية جداً، فكانت تجيبه بأنها لم تأكل شيئاً معيناً ولم يخطر على بالها أن الخبز المقدس كان السبب. ولما زاد إلحاح أحمد أخبرته الأمَة أنها قد أكلت من الخبز الذي باركه الكهنة والذي تحضره الأمَة العجوز إليها كلما عادت من كنيسة المسيحيين. عند سماع هذا امتلأ أحمد من شوق عظيم لمعرفة بأية طريقة كان المسيحيون يتناولون الخبز وكيف كان نظام كنيستهم.

(١١) راجع قصة حياة القديس الذهبي الفم في الدراسة الكتابية الثانية (د. عدنان طرابلسي) في شرح إنجيل متى للذهبي الفم، الجزء الثاني؛ وفي كتاب السنسكار (الجزء الأول) لقدس الأب توما (ص ٣٧٩)؛ وكتاب فيرجيل جيورجيو (منشورات السائح)، وكتاب القديس يوحنا الذهبي للأب الياس كويتر.

فاستدعى كاهناً من الكنيسة العظيمة وطلب منه أن يجهّز مكاناً خفياً له لكي يستطيع الذهاب عندما يأتي البطريرك ليخدم القداس الإلهي. عند حلول اليوم المعيَّن، لبس أحمد لباس المسيحيين وذهب إلى بطريركية المسيحيين وتابع القداس الإلهي. لكن سيّد الخليقة الذي يعرف خفايا القلوب أضاف إلى العجيبة الأولى عجيبة ثانية لكي تقود أحمد إلى معرفة الحق. فبينما كان أحمد يتابع القداس وإذا به يرى البطريرك يشعّ بالنور وقد ارتفع عن أرض الكنيسة عندما خرج عبر الباب الملوكي ليبارك الشعب. وعندما كان يبارك إذا بأشعةٍ من نورٍ خرجت من أصابعه وسقطت على رؤوس كل المسيحيين إلا رأس أحمد. تكرّر هذا مرتين أو ثلاثة. عندئذ آمن أحمد بدون تردّد وأرسل طالباً الكاهن الذي منحه المعمودية المقدسة، وهكذا بقي أحمد مسيحياً في الخفية لفترة، ولا نعرف اسمه بالمعمودية.

في إحدى الأيام اجتمع أحمد مع بعض الخواجات، فأكلوا وجلسوا يشربون النارجيلة. في سياق الحديث تسائلوا ما هو أعظم شيء في العالم. وصار كل واحد يدلي بدلوه. فقال أحدهم إن أعظم شيء هو الحكمة، وقال آخر إنه المرأة، وقال ثالث إنه رغيف خبز باللبن لأنه طعام الأبرار في الفردوس. وعندما جاء دور أحمد في الكلام، امتلأ من الروح القدس وصرخ بصوت عالٍ: إن أعظم كل الأشياء هو إيمان المسيحيين. عندئذ جرّه صحبه إلى القاضي فاعترف أحمد بمسيحيته وصدر حكم الإعدام بحقه. نال أحمد إكليل الشهادة إذ قُطع رأسه بأمر الوالي في الثالث من شهر أيار من العام ١٦٨٢، في مكان يُدعى Kayambane Bahche. بشفاعاته اللهم ارحمنا[١٢] . **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٨١ – مَن هو آخر قديس طوِّب في الكنيسة الأنطاكية، وما قصة حياته؟

ج ٨١ – هو القدّيس الشهيد في الكهنة يوسف مهنّا الحدّاد ورفقته المستشهدون في دمشق في ١٠ تموز ١٨٦٠. جرى إعلان قداستهم بقرار صدر عن المجمع الأنطاكي المقدّس في ٨ تشرين الأول ١٩٩٣ على أن يُعيَّد لهم كل سنة في العاشر من تموز.

---

(١٢) "*New Martyrs of The Turkish Yoke*". Translated by L.J. Papadopulos, G. Lizardos and others. St. Nectarios Press, Seattle, WA, 1985. P.174'

وُلد الشهيد يوسف في دمشق عام ١٧٩٣ لعائلة فقيرة تقية. أكثر ما درس على نفسه. ودرس أيضاً على بعض المعلّمين المعروفين آنذاك حتى أضحى، بشهادة أهل زمانه، "من أكبر علماء النصارى البارعين". اعتُبر لاهوتياً كبيراً وأنموذجاً للتقوى والفضيلة. قيل عنه إنه كان "حسن العبادة، حار الإيمان، صبوراً صبراً عظيماً، صالحاً جداً، وديعاً، هادئاً، متواضعاً، فقيراً، شفوقاً، دمثاً، يكره الكلام عن نفسه ويمجّ الافتخار حتى يخجل من مادحيه ولا يعرف بما يجيبهم". سيم شمّاساً فكاهناً بيد البطريرك سيرافيم وهو في الرابعة والعشرين (١٨١٧م). رعا في الكنيسة المعروفة بالمريمية سنوات طويلة. كان واعظاً ممتازاً ودأب على مؤاساة البؤساء وتسلية الحزانى ومعاضدة الفقراء وتقوية المرضى. سعى إلى صرف الشعب عن العادات الشائعة التي لا تتفق واستقامة الرأي وجدّد كنيسة القدّيس نيقولاوس (١٨٤٥م). عام ١٨٣٦ انتقل إلى المدرسة البطريركية بعدما بقي، ردحاً من الزمان، يجمع التلامذة في بيته. همّ الخوري الأول، في سعيه التعليمي، كان تثقيف عقول الناشئة من أبناء الأرثوذكسية "وترشيحهم للكهنوت واقتبال درجاته ليخدموا الرعية خدمة نافعة". كذلك علّم الأب يوسف في مدرسة البلمند الإكليريكية بين العامين ١٨٣٣ و ١٨٤٠. اهتمّ بتنقيح العديد من المخطوطات وكانت له مكتبة يُعتدّ بها ونشاط كتابي كبير. من مساهماته مقابلة المزامير والسواعي والقنداق والرسائل على أصلها اليوناني والاشتراك في تنقيح النسخة العربية للكتاب المقدس، وهي المعروفة بطبعة لندن. سعى إلى استعادة العديدين من الروم الملكيين الكاثوليك إلى كنيستهم الأمّ وكانت له مواجهاته ودعاة البروتستانتية. ولا مغالاة أنه كان، في القرن التاسع عشر، رجل النهضة الأول في الكنيسة الأرثوذكسية. أكثر من خمسين شخصاً من أبرز رجال النهضة درسوا عليه كالبطريرك ملاتيوس الدوماني (+١٩٠٦ م) والسيّد غفرائيل شاتيلا (+ ١٩٠١)، مطران بيروت ولبنان، والسيّد جراسيموس يارد (+١٨٩٩) مطران زحلة وصيدنايا ومعلولا والأرشمندريت أثناسيوس قصير (+١٨٦٣)، مؤسّس مدرسة البلمند الإكليريكية والخوري سبيريدون صرّوف (+١٨٥٨م)، مصحّح مطبوعات القبر المقدّس، والأيكونوموس يوحنا الدوماني (+١٩٠٤)، مُنشئ المطبعة العربية في دمشق وغيرهم. المطران غفرائيل شاتيلا اعتبر كواكب دمشق ثلاثة: بولس الرسول ويوحنا الدمشقي ويوسف مهنّا الحدّاد.

كلّل الخوري يوسف حياته بالاستشهاد خلال المجزرة على المسيحيين عام ١٨٦٠م. يومها لازم شعبه في الكنيسة المريمية يشدّد ويعدّ رعيّته للشهادة. وإذ وقعت الواقعة في ١٠ تموز وحصلت على المريمية هجمة شرسة سقط العديدون شهداء وتمكّن آخرون من الخروج إلى الأزقّة والطرقات. من بين هؤلاء الخوري يوسف. فلما بلغ ناحية مأذنة الشحم عرفه أحد المهاجمين فنادى "هذا إمام النصارى، إذا قتلناه قتلنا كل النصارى!" للحال أخرج الشهيد الذخيرة الإلهية من صدره – وكان دائم الحمل لها – وابتلعها. فانقضّ عليه المهاجمون بالفؤوس والرصاص وشوّهوه تشويهاً عظيماً ثم سحلوه في الشوارع حتى هشّموه تهشيماً. له عندنا سيرة مستفيضة وخدمة كاملة وأيقونة. فأما طروبارية الخدمة فهي التالية:

"هلمّوا يا مؤمنون نكرّم شهيد المسيح، كاهن بيعة أنطاكية، الذي عمّد أرض الشام وكنائسها وشعبها بكلمة الكلمة ودمائه مع رفقته، لأنه منذ الطفولية اصطبغ بنور الإنجيل، فعمل وعلّم وحفظ كنيسة المسيح وخرافها. فيا يوسف الدمشقي كن لنا قدوة وحافظاً وشفيعاً حاراً لدى المخلّص". (باللحن الخامس) **(الأب توما بيطار)**

س ٨٢ – مَن هو القديس روفائيل هواويني الذي تمَّ تطويبه مؤخراً من قبل الكنائس الأرثوذكسية في أمريكا؟

ج ٨٢ – وُلد روفائيل هواويني من والدين أرثوذكسيين تقيين عاشا في دمشق. أبوه كان ميشيل بن جرجي الهواويني وأمه كانت مريم ابنة الخوري إبراهيم جرجورة، وذلك يوم عيد رئيس الملائكة في ٢٠ تشرين الثاني (بالتقويم القديم) من العام ١٨٦٠. عندما كانت أمه حاملاً به هربت العائلة إلى بيروت خلال المذابح الرهيبة العام ١٨٦٠ التي ذهب ضحيتها آلاف الأرثوذكس في دمشق[١٣]. ولد روفائيل في بيروت، وتعمّد في ١٨ كانون الثاني

(١٣) الأب توما يقول إنهم ثلاثة آلاف. الدكتور سهيل زكّار أستاذ التاريخ في جامعة دمشق نشر مخطوطاً لأنطون عقيقي في "بلاد الشام" يقول إنهم أربعة آلاف. مذكرات اسكندر أبكاريوس تضخّم الرقم فتقول إنهم أربعة عشر ألفاً. حُبس بعضهم في مغاير، فماتوا جوعاً وعطشاً. ولا أدري ما العدد في مذكرات ديمتري دباس وملف موسكو. الدولة العثمانية مسؤولة عن النكبة وساهم اليهود فيها كتجار حرب وكطرف أساسي. تدخلت روسيا وفرنسا لإنهاء المذابح (اسبيرو جبور).

العام ١٨٦١. وعادت العائلة إلى دمشق في ربيع ١٨٦١ وربّت أولادها بتقوى الله ومخافته.

عندما أراد والده أن يوقف تعليم روفائيل المدرسي بسبب الضيق المادي، عرف بذلك الشماس أثناسيوس عطا الله (الذي صار مطران حمص لاحقاً)، فاقترح على غبطة البطريرك الأنطاكي هيروثيوس أن يقبل روفائيل في دار البطريركية تمهيداً لرسامته الكهنوتية. تمَّ قبول روفائيل في البطريركية وأتمم دراسته ورُسم قارئاً العام ١٨٧٤، يوم عيد رفع الصليب المقدس.

بسبب تفوّقه الدراسي اختارته إدارة المدرسة معلّماً مساعِداً للمدرسة الإعدادية العام ١٨٧٧، ومن ثم صار معلّماً دائماً العام ١٨٧٨ ليعلّم العربية والتركية. وفي العام ١٨٧٩ نذره البطريرك هيروثيوس راهباً وعيّنه معاوناً شخصياً له.

في العام ١٨٧٩ سافر روفائيل ليدرس في المدرسة اللاهوتية في خالكي في تركيا على حساب بطريرك القسطنطينية (كان البلمند مغلقاً منذ العام ١٨٤٠).

في العام ١٨٨٥ رُسم الراهب روفائيل شماساً في المدرسة نفسها، وتخرّج منها العام ١٨٨٦ حائزاً على شهادة اللاهوت من الدرجة الأولى. كان موضوع تخرجه "التقليد المقدس وسلطانه".

بعد تخرجه عاد الشماس روفائيل إلى دمشق ليخدم الكنيسة مع غبطته بطريرك أنطاكية جراسيموس. لكن روفائيل لم يكن راضياً عن درجة علمه، فطلب من غبطته الإذن بالذهاب إلى إحدى المدارس اللاهوتية الروسية، على أن يعود إلى الوطن بعد ذلك. وكان أمرٌ وقُبل روفائيل طالباً في أكاديمية كييف العام ١٨٨٨. وبعد عام كان الشماس روفائيل يشرف على الشؤون الأنطاكية في البطريركية الروسية خلفاً للأرشمندريت خريستوفر جبارة. وفي العام ١٨٨٩ رُسم الشماس روفائيل كاهناً في أكاديمية كييف. وبناء على طلب البطريرك الأنطاكي رفع ميتروبوليت موسكو الكاهن روفائيل إلى رتبة أرشمندريت.

في العام ١٨٩٣ صرف بطريرك أنطاكية (التركي الجنسية) اسبيريدون (المنتَخب ١٨٩١) روفائيلَ من البطريركية الأنطاكية ليخدم في الكنيسة الروسية، لأن روفائيل كان يريد انتخاب بطريرك لأنطاكية من الأنطاكيين العرب فعارض انتخاب اسبيريدون.

بقي روفائيل في روسيا حتى العام ١٨٩٥ عندما أرسلت إليه الجمعية الخيرية الأرثوذكسية السورية طالبة منه أن يكون راعياً لأبنائها المهاجرين في نيويورك. أبدى روفائيل سروره ورغبته بتلبية طلبهم، لكنه نبّههم إلى أنه الآن يتبع الكنيسة الروسية، وبالتالي إذا أرادوه كاهناً لهم عليهم أن يتبعوا المجمع الروسي المقدس، فوافقوا[١٤]. وصل الأرشمندريت روفائيل إلى نيويورك العام ١٨٩٥ ليخدم السوريين الأرثوذكس تحت رئاسة الأسقف الروسي نيقولاس أسقف آلاسكا. وفي العام ١٨٩٥ ساعد الأرشمندريت روفائيل المطران نيقولاس بمباركة هيكل أول كنيسة للعرب الأرثوذكس في نيويورك، وكانت تحت شفاعة القديس نيقولاس أسقف ميرا. وبقي في نيويورك معلّماً ومرشداً النفوس التي ناءت تحت أعباء الهجرة عن الوطن والكنيسة. وقام بالاتصال بالجاليات العربية الأرثوذكسية المبعثرة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، وقرر زيارتهم. قام روفائيل في العام ١٨٩٦ بزيارة ثلاثين مدينة أمريكية بين نيويورك وسان فرانسيسكو. خلال هذه الزيارة الرعوية كان روفائيل يقيم الزيجات الكنسية والمعموديات الأرثوذكسية والمسح بالميرون، ويقيم القداديس في منازل المؤمنين المزدحمة ويسمع الاعترافات. وكثيراً ما كان يلقي العظات النارية المطوّلة على المؤمنين الجائعين روحياً.

لمس روفائيل الحاجة الملحة إلى طباعة كتاب صلوات أرثوذكسية باللغة العربية، فقام بطباعة "التعزية الحقيقية في الصلوات الإلهية" بعد أخذ البركة من الأسقف نيقولاس.

بعد هذه الرحلة الرعوية قام روفائيل برحلات رعوية عديدة (الأعوام ١٨٩٨، ١٨٩٩)، قام خلالها بتأسيس كنائس أرثوذكسية في الولايات المتحدة وأقام عليها كهنة من أصل سوري. أيضاً زار المكسيك العام ١٩٠٢ وأسس فيها أول كنيسة أرثوذكسية عربية.

في العام ١٩٠٤ تمَّ رسم الأرشمندريت روفائيل "مطراناً على بروكلين" في نيويورك للجالية الأمريكية العربية السورية (التي كانت تضم آنذاك عدة جنسيات عربية غير

(١٤) في اليوبيل الفضي للمطران أثناسيوس عطا الله جاء أنّ روفائيل نصح الروس بالتعاون مع أثناسيوس. ارتابوا لخشيتهم أن يكون الانطاكيون جشعين مثل زملائهم الأساقفة الأورشليميين. طمأنهم إلى سلامة أخلاق أثناسيوس. فوراً باشر في ١٨٩٤ بناء كنيسة مار جرجس وقد أسسّ المدرسة المعروفة اليوم باسم الغسانية في حمص. وتابع المسيرة زميلاه وصديقاه ملاتيوس اللاذقية (البطريرك لاحقاً) وغفرئيل بيروت.

سورية)، فكان الرجل الثاني في أمريكا الشمالية في الكنيسة الروسية وأول مطران أرثوذكسي يُرسم في العالم الجديد، وصار كل الأرثوذكس العرب في أمريكا وكندا والمكسيك تحت سلطانه مباشرة. وكان خير الراعي الصالح الذي لم يوفّر جهداً لخدمة رعيته المنتشرة في أرجاء المعمورة، مسافراً براً وبحراً، عابراً الجبال والوديان، فصار بولس الرسول الثاني للسوريين الأرثوذكس في أمريكا.

أسّس المطران روفائيل مجلة "الكلمة" لتكون النشرة الرسمية لمطرانيته، ولتنقل الرسالة الإنجيلية إلى البعيدين عن مركز المطرانية، "لأن البعيدين لهم الحق نفسه بسماع كلمة الله مثل أخوتهم في نيويورك". كان للكلمة طابع روحاني أخلاقي كنسي. كان روفائيل يتجنب نشر الجدالات العقائدية العقيمة فيها. وقد ازدهرت الكنيسة تحت رعايته وتوجيهه ومحبته. وقد قام بآخر رحلة رعوية له العام ١٩١٤ وزار فيها ٢٤ جالية في ٢١ مدينة في ١٥ ولاية أمريكية وثلاث جاليات في كندا. وكثيراً ما كان رفيقه في السفر شماسه الأول عمانوئيل أبو حطّاب، الذي كان خير صديق ومؤمن.

كانت الجاليات المشتّتة في أنحاء القارة الأمريكية الشغل الشاغل للمطران روفائيل، الذي كان يتألم بسبب عدم وجود كهنة أرثوذكس كافين لتغطية المؤمنين الأرثوذكس المتواجدين في مناطق لا توجد فيها كنائس أرثوذكسية قريبة. بسبب هذا الهاجس المقدس سمح المطران روفائيل للكنيسة الأنكليكانية في أمريكا أن تخدم المؤمنين الأرثوذكس في حالات الضرورة القصوى فقط على أن يستعمل كهنتها الكتب الطقسية الأرثوذكسية، مؤكّداً بالوقت نفسه على أنه لا توجد وحدة بعد بين الأرثوذكس والأنكليكان، رغم محاولات الكنيسة الأنكليكانية المستمرة للحصول على الاعتراف الأرثوذكسي بأسرارها (بعد أن أعلن البابا ليو الثالث عشر العام ١٨٩٦ أن الكهنوت الأنكليكاني غير شرعي ولا رسولي). لكن بعد فترة قصيرة اكتشف المطران روفائيل أن سماحه هذا قد صار مصدر إساءة للكنيسة الأرثوذكسية، خاصة وأن الكنيسة الأنكليكانية قد بدأت تستغل هذا السماح للوصول إلى غايتها وهي الاعتراف بأسرارها، وصارت تُضلّل الأرثوذكس بشتى الطرق. لهذا قام المطران روفائيل بالانسحاب من كل أشكال النشاطات الأرثوذكسية–الأنكليكانية وأصدر تعليماته لكل المؤمنين بعدم قبول أي شكل من أشكال الخدمة الأنكليكانية. فلاقى موقفه هذا ترحيباً كبيراً في أوساط المؤمنين.

خلال ١٩ سنة توّج روفائيل خدمته الكهنوتية بالمجد والكرامة. لم يلطّخها أبداً بالعار، بل كان يزيّنها باستمرار بالجلال والروعة والعفة والكمال. كل زرع زرعه كان يرويه بدموعه وعرقه. كان يُطعم خرافه بحليب الرعاية والمحبة.

رقد المطران روفائيل بالرب في ٢٧ شباط العام ١٩١٥ مخلّفاً وراءه ثلاثين كنيسة، بالإضافة إلى كاتدرائية القديس نيقولاس في بروكلين التي تخدم كأم لبقية الكنائس. ترك القديس روفائيل العديد من المؤلفات بالعربية والروسية.

في العام ٢٠٠٠، قرر أعضاء المجمع المقدس المؤلف من أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا وبالإجماع أن يحصوا الخالد الذكر المطران روفائيل (هواويني) بين القديسين لتكريمه من قبل المؤمنين.

في عدد مجلة "الكلمة" الصادرة في الولايات المتحدة والذي يسرد سيرة حياة القديس روفائيل، يقصّ الأب جورج خوري المحرّر في "الكلمة" قصة نقل رفات القديس روفائيل وخمسة آخرين من المطارنة المدفونين في نيويورك إلى القرية الأنطاكية في بنسلفانيا. يقول إنه شهد نقل ستة توابيت من المقبرة. وقد طلب منه العمال أن يلقي النظر على اثنين من التوابيت للتحقق من هويتهم. فتمَّ فتح أول تابوت وشاهد رفات المطران المدفون فيه. ثم طلب الأب جورج من العمال أن يفتحوا تابوت المطران روفائيل، فتمَّ ذلك. ولدهشة الجميع شاهد الأب جورج جثمان المطران روفائيل سليماً غير متفسّخ وهو متّشح بثياب زرقاء وذهبية وعلى صدره الصليب، وتاجه يستقر بطرفه على أنفه مغطياً نصف وجهه، ويداه مستقرتان على جانبي الجسد، بينما لحيته بادية للعيان. و لم يكن أي شيء متآكلاً سوى العصا الخشبية. حقاً، عجيب هو الله في قديسيه. اللهم بشفاعات القديس روفائيل ارحمنا وخلصنا[١٥]. آمين! **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٨٣ – هل تتبادل الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية الاعتراف بقديسي كل كنيسة منهما؟

ج٨٣ – قبل الانشقاق الكاثوليكي الرسمي عن الكنيسة الأرثوذكسي (القرن ١١)، كانت

(١٥) أرجو أن يتم يوماً إعلان قداسة الشهيد حبيب خشّة. (اسبيرو جبور).

كل الكنائس الرسولية في الشرق والغرب تعترف بالقديسين المطوَّبين في الكنائس المحلية. بعد الانشقاق تغيّر الوضع الكنسي، وظهر قديسون في الشرق لم تعترف بهم الكنيسة الكاثوليكية (مثل: غريغوريوس بالاماس، مرقس الأفسسي، نيكتاريوس الخ..)، وقديسون في الغرب لم تعترف بهم الكنيسة الأرثوذكسية (مثل: توما الأكويني، برنارد، الخ...). هذا لا يعني أن قديساً ما في الشرق أو الغرب لم يكن قديساً أو باراً أو فاضلاً. بل يعني أن العلاقات الكنسية المنقطعة بين الشرق والغرب لم تسمح بتبادل الاعتراف بقداسة قديسي الكنيسة الأخرى. متى جرى اتفاق عقائدي طرح الطرفان الموضوع. لكن من جهة أخرى، من الصعوبة أن تعترف إحدى الكنيستين بقديسي الكنيسة الأخرى الذين انغمسوا في الفروق اللاهوتية التي تفصل بين الكنيستين (مثل: غريغوريوس بالاماس ومرقس الأفسسي ونيكتاريوس في الشرق، وتوما الأكويني وبرنارد في الغرب)، طالما ما تزال هذه الفروق اللاهوتية تفصل الكنيستين، الأرثوذكسية والكاثوليكية، عن بعضهما بعضاً. **(د. عدنان طرابلسي)**

الفصل الرابع:

أسئلة عن الليتورجيا والقداس الإلهي

"خذوا كلوا، هذا هو جسدي... اشربوا منها كلكم، هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى ٢٦: ٢٧-٢٨).

"الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حقٌ ودمي مشربٌ حقٌ" (يو٦: ٥٣- ٥٦).

"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أع ٢: ٤٣).

"لأنني تسلّمتُ من الرب ما سلّمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً، وشكر فكسر وقال (خذوا كلوا) هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشّوا قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم (هذه) الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء. إذاً: أيٌّ مَن أكل (هذا) الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه" (١كور ١١: ٢٣- ٢٧).

"هذا السر المقدس يُدعى إفخارستيا، لأنه ذكرى لعطايا الله الكثيرة، ولأن به يُعلَن أسمى سرٍّ لعناية الله، ولأنه يحثّنا على تقديم الشكر من أجل كل شيء. فإن كان ميلاد المسيح قد دُعي 'كل شيء' (متّى ١: ٢٢)، فماذا ينبغي للمرء أن يدعو الصلب، وإهراق دم (المسيح)، وتقديم ذاته ليكون طعاماً في الافخارستيا المقدسة؟". (**القديس يوحنا الذهبي الفم**)

"الإفخارستيا المقدسة هي أهمّ معجزة للمسيح وأعظمها. كل معجزات الإنجيل الأخرى تليها. كيف لا يمكننا أن ندعو أعظم معجزة حقيقةَ أن الخبز والخمر البسيطين قد تحوّلا مرة بالرب إلى جسده ودمه بالذات، ومن ثم استمرّا يتحولان قرابة ألفي عام

بصلوات الكهنة، الذين ليسوا سوى بشر بسيطين؟ الأكثر من هذا، استمرّ هذا السرّ بإحداث تغيير عجائبي في أولئك الناس الذين يشاركون بالأسرار الإلهية بإيمانٍ وتواضعٍ". **(القديس أمبروسيوس أوبتينا)**

الإنسان كائن ليتورجي: إن فقد ما هو إلهي في حياته فقد ما هو إنساني. لهذا يصرخ داود النبي الملك: "وأما أنا فصلاة" (مز ١٠٩: ٤). الليتورجيا الأرثوذكسية أفضل تعبير عملي عن التجسد الإلهي: الله صار إنساناً، فتقدّس الإنسان شخصاً وروحاً وجسداً وتباركت المادة به، فصار الجسد شريكاً أساسياً في حياة الإنسان وفي صلاته وفي خدمته وفي خلاصه. لم تعد الشموع والبخور والأيقونات والملابس والسجدات والأصوام أموراً ثانوية شكلية أو تجميلية. بالتجسد الإلهي صارت شريكة للإنسان ذلك الملاك الجسدي الذي سيخلص في الجسد وبالجسد ومع الجسد. من هنا نفهم أهمية مناولة جسد الرب ودمه: إنها غذاء لا غنى عنه لخلاص النفس والجسد وكامل الشخص البشري. بهذا يتجلّى معنى كلمات إله الخليقة ومخلّصها: "الحق الحق أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم".

س ٨٤ – ما معنى كلمة "ليتورجيا" وما هو أصلها؟

ج ٨٤ – كلمة ليتورجيا يونانية وبالأصل تعني عملاً جماعياً علنياً من أي نوعٍ، بما في ذلك الواجبات الدينية. تمّ استعمال هذا التعبير في الترجمة السبعينية للعهد القديم لأول مرة للإشارة إلى الصلوات المُقامة في الهيكل. في الاستعمال الأرثوذكسي، تشير هذه الكلمة بشكل رئيسي إلى القداس الإلهي، وهي الخدمة الجماعية الرئيسية في العبادة المسيحية. وتعني الكلمة أيضاً نصوص الصلوات والخدم العبادية وترتيبها. توجد ثلاث ليتورجيات "قداديس" رئيسية في الكنيسة الأرثوذكسية: قداس الذهبي الفم، قداس باسيليوس الكبير والقداس السابق تقديس. يوجد قداس رابع نادر الاستعمال حالياً هو قداس يعقوب أخي الرب. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٨٥ – هل الرموز المتنوعة في الخدم الليتورجية هي علامة إغناء أم إفقار؟ ما هي ضرورتها؟

ج ٨٥ – ليس في الكنيسة رمزية بالمعنى الدقيق، إنما خدمة القداس الإلهي رواية حيّة

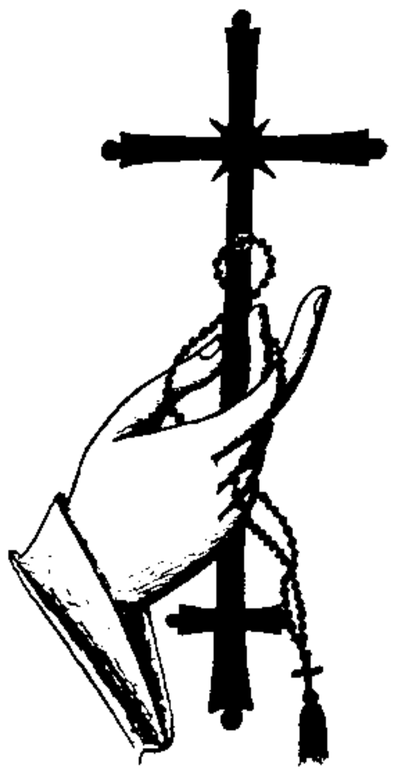

لحياة ربنا يسوع المسيح له المجد. في العربية درج استعمال كلمة "رمز". الرموز خاصة بالعهد القديم، أما القداس الإلهي فهو عيشٌ في يسوع المسيح ينتهي بتناول القربان المقدس. القداس إذاً يذكّرنا بحوادث حياة يسوع. فخدمة القداس الإلهي وكل الأسرار الأخرى امتداد لسرّ التجسد الإلهي. قال يوحنا الدمشقي: نزل يسوع المسيح وتجسّد وصُلب ودُفن وقام وصعد إلى السماء، فقام بعملٍ خاصٍ به. إنما يصير عمله شيئاً خاصاً بنا وملكاً لنا في الأسرار الإلهية. العنصرة هي امتداد للتجسد الإلهي لأنه في العنصرة تأسست الكنيسة جسد المسيح وصار الرسل وصحبهم أعضاء هذا الجسد بفعل الروح القدس الذي غمرهم. فكل ما هو حسّي في الطقوس والاستعمالات الأرثوذكسية هو امتداد لعقيدة التجسد القائمة على الإيمان بأن يسوع إلهٌ وإنسانٌ قد أخذ جسده. فلا بد إذاً من اجتماع الروحي والحسّي كما في المعمودية والميرون والقربان. والشخص البشري نفسه يحوي روحاً وجسداً بلا انفصال، فمن الطبيعي إذاً أن يشترك جسده في عبادته بأشكال ظاهرة ترفع ذهنه إلى الله. كانت الرسالة إلى العبرانيين (الفصول ٨ – ١٠) قد اعتبرت العهد القديم رموزاً وظلالاً للخيرات المقبلة. وكان الأب شميمان قد انتقد التفسير الرمزي لليتورجيا[1]. أما سيمون التسالونيكي (القرن ١٥) في كتابه الكبير فتجنب تماماً لفظة الرمز إلا بالنسبة للعهد القديم، واستعمل الألفاظ التالية: بدل، دلالة، مائل ليستبعد لفظة رمز. وباسيليوس أمير اللاهوتيين واضح تماماً. البروتستانت يقولون إن الأسرار رموز. الأرثوذكس يقولون إن المعمودية هي ميلاد روحي حقيقي يفعله الثالوث القدوس. والافخارستيا هي جسد الرب يسوع حقاً ودمه حقاً. والميرون المقدس هو ختم الروح القدس.

أما بالنسبة لطبيعة الخدمة فقداس الذهبي نصّ: «وبما أننا متذكرون هذه الوصية الخلاصية وكل ما جرى من أجلنا...» (قبل تحويل القرابين). والنص الأوضح هو نص قداس باسيليوس الكبير قبل استدعاء الروح القدس جاء في قداسه: «وقد ترك لنا تذكارات آلامه الخلاصية، التذكارات التي نحن واضعوها الآن بحسب وصاياه... أخذ خبزاً»... هذا اصنعوه لتذكاري. لأنكم كلّ مرة تأكلون هذا الخبز... تخبرون بموتي، وتعترفون بقيامتي.

---

(١) ص ٤٤ من كتابه سرّ الافخارستيا، الترجمة العربية بقلم سامر عبود.. (اسبيرو جبور)

فإذ نحن متذكرون، أيها السيّد، آلامه الخلاصية وصليبه المحيي، ودفنه... وقيامته... وصعوده... وجلوسه... ومجيئه الثاني...» ويسمي القرابين رسم « types» قبل التحويل.

التفسير الذي ذهب إليه يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير هو التفسير الذي ذهب إليه كتاب: Athananios s. Francopoulos بعنوان: Our Orthodox Christian faith. p 216 - 217.

مستشهداً بقداس يوحنا فم الذهب مثلي. إنما أقول إن خدمة القداس تذكارات لا رموز. هو يتكلم عن الخبز والخمر بمعنى مكسيموس: الرمز موجود في صاحبه. أي الرمز موجود في المرموز. بالاماس ردّ على استشهاد خصمه بمكسيموس ففسّر مكسيموس.

إذاً سيمون وشميمن وأثناسيوس واسبيرو في خط واحد.

عندما يقول البروتستانت إن الخبز والخمر هما رمزان يعلنون بذلك أنهما ليسا جسد الرب ودمه حقاً. أما الارثوذكس فكلمة رمز لديهم تعني هنا وجود المرموز له في الرمز (مكسيموس المعترف وبالاماس...) (**اسبيرو جبور**)

س ٨٦ – ما هو معنى الشموع والبخور في العبادة، وهل تجوز العبادة بدونها؟

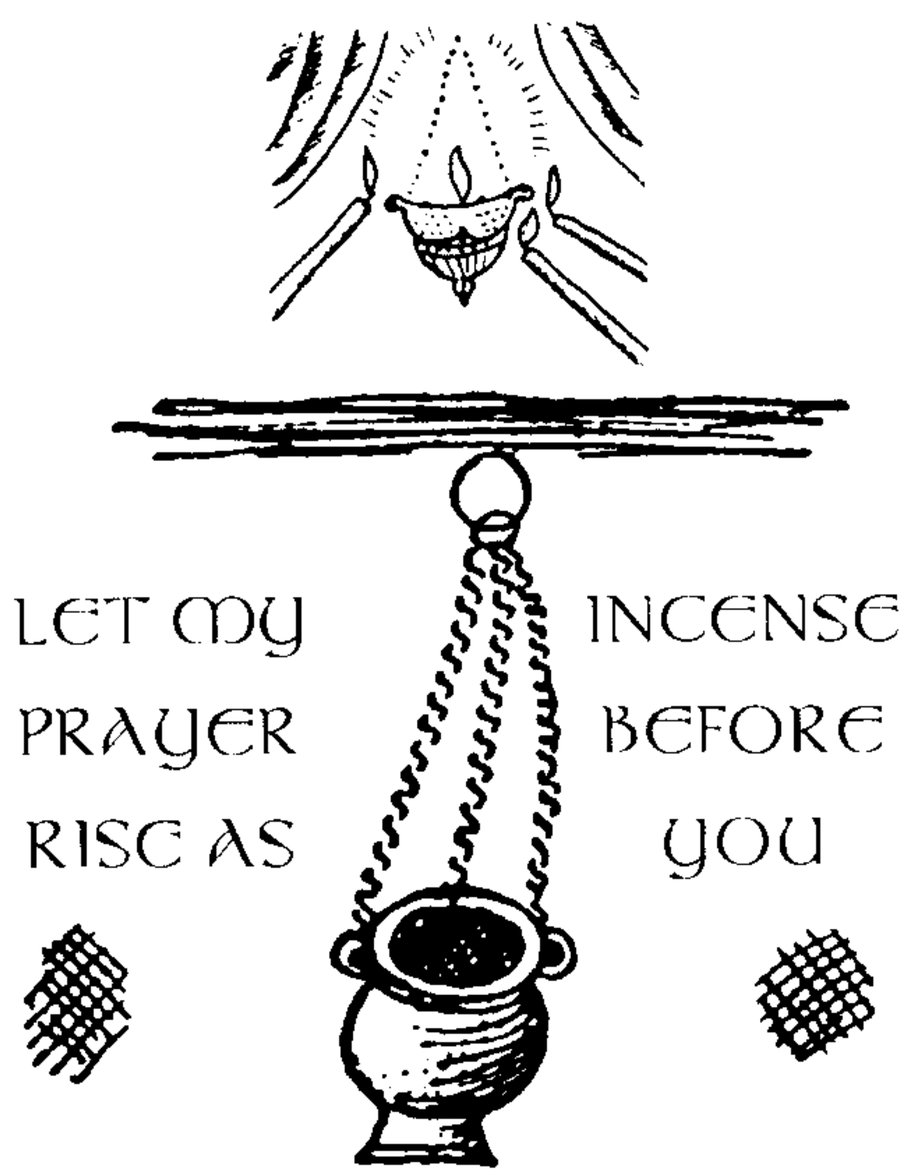

ج ٨٦ – الشمع نورٌ ويسوع هو نور العالم. نضيء الشمعة للإكرام وللإنارة. في هيكل أورشليم كان يوجد شمعدان يحمل سبع شمعات. وكان اليهود يختمون الفطير بخاتم خشبي شمعداني. في الكنيسة أعطينا الشمع معاني لاهوتية وأخلاقية روحية. يوحنا الإنجيلي قال: "الله نور". يسوع قال: "أنا نور العالم". يوحنا الإنجيلي سمّاه: "النور الحقيقي الذي يُنير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو ١: ٩). يسوع قال: "أنتم نور العالم". وأوصانا أن نكون أبناء نور.

في يوم الفصح المجيد يقف الإكليركي في الباب الملوكي ويهتف مرنِّماً: "هلمّوا خذوا نوراً من النور..". سمعان التسالونيكي قال إن الشمع المشتعل المقدَّم يدلّ على طهارتنا، وعلى أن هديتنا تُقدَّم بغير دنس، وعلى تميّزنا بالرسم والختم الإلهي. وكان الشمع يُصنع من الزهور العديدة. فتكون التقدمة والإهداء شاملين لكل الأشياء.

أما البخور فهو ذو رائحة عطرة ودخانه يرتفع. به نرفع إلى الله رائحة طيب صلواتنا ملتمسين أن تصعد صلواتنا مستقيمة إلى الله كالبخور. وعادة التبخير قديمة . في هيكل أورشليم قام موقد للبخور (عبر ٩: ٤). المجوس قدّموا للرب يسوع لباناً. آباء الكنيسة رأوا فيه عبادة لألوهيته. المزامير قال: "لتستقم صلاتي كالبخور أمامك". والرائحة الذكية للتقدمات والقرابين وردت في الكتاب الإلهي. نبخر الهيكل دلالة على حلول مجد الله فيه. ففي العهد القديم كان يحل مجد الله في خيمة الاجتماع وفي هيكل سليمان. وأشعيا رأى الرب في الهيكل. وفي الرؤيا البخور هو صلوات القديسين.

يبخر الإكليركي المذبح دلالة على نعمة الروح القدس التي حلّت على المسكونة. يبخر بعد الذبيحة دلالة على انتشار رائحة التجسد الإلهي في العالم. يبخر المائدة دلالة على حلول الروح القدس. يبخر قبل الإنجيل للدلالة على انتشار رائحة البشارة الإنجيلية للعالم أجمع. يبخر القرابين الإلهية قبل نقلها إلى المذبح دلالة على السجود ليسوع الصاعد إلى السماء.

يبخر الإيقونات، يبخر رجال الدين، يبخر المؤمنين ليرفع عقولهم وقلوبهم إلى العلاء. وهكذا دواليك...

من جهة أخرى كل شيء في العهد الجديد قربان وليتورجيا حتى الإيمان (فيليبي). ونحن كهنوت ملوكي لتقديم أنفسنا ذبائح حية لله (رومية ١٢: ١–٢، و١بطر ٢: ٩وو...). فكل تقدماتنا من شمع وبخور وزيت وخبز ونبيذ وثياب.... هي قرابين. كل شيء في الكنيسة مرتبط بذبيحة الصليب. (اسبيرو جبور)

س ٨٧ – لماذا يبخّر الكاهن الناسَ في الكنيسة؟

ج ٨٧ – التبخير للأيقونات والمقَّدسات مصحوبٌ بالتكريم والسجود. أما للمؤمنين فهو بركة من جهة ودعوة لتصويب الصلوات مستقيمة نحو الله. الكاهن يبارك

المقدَّسات فتصير جسد الرب ودمه. هذا السلطان عام يستطيع بموجبه أن يبارك المؤمنين وكل شيء. فالإنسان صورة الله الحية الذي لبس المسيح بالمعمودية، فصار الأيقونة الجديدة التي ترنو إلى شركة تامة مع الثالوث القدوس. (اسبيرو جبور)

س ٨٨ – ما معنى الكلمات التالية وما هو أصلها: "اوصنّا، هللويا، ماراناثا"؟

ج ٨٨ – " أوصنّا " اليونانية عبرانية الأصل " هوشعنا ". اللفظة مركبة. معناها: خلّص إذاً. " هللويا " لفظة عبرانية مركبة. معناها هلّلوا للرب. " مارانا ثا " (١كور ١٦: ٢٢): اللفظة آرامية. وردت في اليوناني هكذا، فيكون معناها: " ربنا، تعال ". وإنْ كانت (مارانا تا) كان معناها: " ربنا أتى ". في رؤيا يوحنّا، اليوناني جاء هكذا: " تعال، أيّها الرب يسوع " (رؤ ٢٢: ٢٠). (اسبيرو جبور)

س ٨٩ – لماذا لا يجوز استعمال الآلات الموسيقية في الكنيسة الأرثوذكسية، رغم استعمالها في العهد القديم للعبادة ورغم استعمال الكنائس غير الأرثوذكسية لها؟

ج ٨٩ – إن الآلات الموسيقية هي آلات طرب، بينما اللحن الكنسي مجرَّدٌ من الطرب ومحصورٌ بالخشوع والتقوى. ولذلك لفظت الآذان الحسنة التدريب كلَ إدخالٍ غريبٍ سواء كان من الموسيقى العربية أم من الموسيقى الأجنبية. وتشدّدت باللحن الكنسي الصافي.

أما في العهد القديم فلم يكن التجدّد النسكي الرهباني وارداً. الروح الرهبانية هي التي تأبى المزيج. (اسبيرو جبور)

س ٩٠ – ما الأفضل: أن نصغي إلى ترنيم الكاهن والمرتلين في القداس الإلهي أم أن نقرأ في الكتاب ؟

ج ٩٠ – الإصغاء يشدّ الأُذنين والانتباه واليقظة إلى التراتيل للاشتراك فيها، فتلتقي وتلتفّ قلوب السامعين حوله. القراءة في الكتاب تُلهينا عن ذلك وتجعلنا فرديين. الإصغاء يجعل قلوبنا وأفكارنا متحدة حول الخدمة. الإصغاء مشاركة تامة في الخدمة

الإلهيّة. ولكن يبقى على المؤمنين أن يطالعوا النصوص في منازلهم. فترانيمنا ترداد لعقائد إيماننا ولعواطف قلبنا التائق إلى الله. (اسبيرو جبور)

س ٩١ – ما هي الأدوار الليتورجية في حياة الكنيسة الأرثوذكسية؟

ج ٩١ – بما أن الإنسان كائن ليتورجي لا يستطيع المحافظة على هويته الإنسانية بمعزل عن علاقته بالله، لهذا تحتل الليتورجيا مكانة خاصة في العبادة المسيحية منذ أيام الرب يسوع له المجد. كل دور ليتورجي هو كلٌ كامل. يمكن تقسيم الأدوار الليتورجية إلى ثلاثة أدوار رئيسية:

أولاً: الدور الليتورجي اليومي: يتألف اليوم الواحد من ٢٤ ساعة ويؤلّف وحدة كاملة. الساعة الخامسة والعشرون تنتمي إلى الدهر الآتي، إلى ملكوت السموات. في الدور الليتورجي اليومي نسبّح الله سبع مرات على أحكام عدله (مز ١١٨: ١٦٤). هذه التسابيح السبع مقسَّمة على الشكل التالي:

١– **صلاة السحر والساعة الأولى:** فيها نقدّم لله بواكير حركات قلبنا وأشواقه نحو الولادة الجديدة في القيامة "سحراً جداً" لدى بزوغ النور. مزامير السحر الستة هي مزامير دينونة (لا نجلس فيها) إذ نمثُل فيها أمام الله الديّان العادل. بعد تسبحة "والدة الإله وأمّ النور بالتسابيح نعظم مكرمين"، نقدم الشكر والتسبيح لله خالق الكون "كل نسمة فلتسبّح الرب". ثم نختم صلاة السحر بالمجدلية الكبرى "المجد لك يا مُظهر النور". في صلاة الساعة الأولى التي تلي مباشرة نطلب من المسيح "النور الحقيقي الذي يُنير ويقدّس كلَ إنسانٍ آتٍ إلى العالم" أن يرسم علينا نور وجهه.

٢– **الساعة الثالثة (التاسعة صباحاً):** تذكّر بانحدار الروح القدس على التلاميذ في العليّة ونتضرّع فيها قائلين: "يا رب، يا مَن أرسلتَ روحك الكلي قدسه على رسلك في الساعة الثالثة، لا تنزعه منّا أيها الصالح، بل جدّده فينا نحن المتضرّعين إليك".

٣- **الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهراً)**: تذكّر بساعة تعليق الرب المسيح على خشبة الصليب الخلاصية مسمِّراً الخطيئة في اليوم السادس (الجمعة العظيمة): "يا من في اليوم السادس وفي الساعة السادسة سمَّرت على الصليب الخطيئة التي تجرّأ عليها آدم في الفردوس، مزّق صكَّ هفواتنا أيها المسيح إلهنا وخلّصنا". فيها نصلّي أن يحفظنا الرب من ضجر نصف النهار أو "شيطان نصف النهار".

٤- **الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر)**: تذكّر بموت المسيح على الصليب في الساعة التي طُرد فيها آدم من الفردوس (بالعُرف الآبائي). نصلّي أن يُميت المسيح أهواءنا على خشبة صليبه: "يا مَن ذاق الموت بالجسد في الساعة التاسعة من أجلنا، أمِتْ أهواء أجسادنا أيها المسيح إلهنا وخلّصنا".

٥- **ساعة الغروب**: من أجمل الخدم الليتورجية اليومية بعد القداس الإلهي. وتوازي صلاة "تقدمة المساء" في العهد القديم عندما ظهر الملاك جبرائيل لدانيال (دانيال ٩: ٢١)، لذا نصلّي: "لتستقم صلاتي كالبخور أمامك". وفي بدء التكوين: "وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوم واحد.. يوم ثانٍ.. يومٌ ثالث.. يومٌ رابع.. يومٌ خامس.." (تكوين ١: ٥ و٨ و١٣ و...). مع الغروب ينتهي يوم ليتورجيٌ ويبدأ يومٌ جديد. لهذا تلخّص صلاة الغروب التدبير الخلاصي بأكمله: خلق العالم والإنسان "باركي يا نفسي الربَّ"، وسقوطه "يا رب إليك صرختُ فاستمع لي" وافتدائه. الدورة الصغرى بالإنجيل في هذه الصلاة تمثّل بزوغ نور العالم المسيح الإله: "يا نوراً بهياً لقدس مجد الآب.." وهي من أقدم القطع الليتورجية المحفوظة قديماً والتي وصلتنا كاملة. ونختم الصلاة: "الآن أطلقْ عبدك أيها السيد حسب قولك بسلامٍ لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام كل الشعوب..".

٦- **صلاة النوم**: وهي صلاة بدء الليل وتذكّر بنزول المسيح إلى الجحيم. فيها نطلب من الله الصفح عن آثام النهار ويقظة القلب رغم نوم الجسد: "وأعطنا أيها السيد إذ نحن منطلقون إلى النوم راحة نفسٍ وجسدٍ..".

٧- **صلاة نصف الليل:** فيها ننهض من نومنا مجاهدين والعالم غافٍ لنلاقي مع الملائكة الذين لا ينامون "العريسَ[١]" الآتي في نصف الليل. صلاة النهوض من النوم (التي يصليها العلمانيون) هي جزء منها.

هذه التسابيح السبعة اليومية تتوَّج بالقداس الإلهي "تسبيح التسابيح" لهذا لا يُصنَّف معها.

ثانياً: الدور الليتورجي الأسبوعي: الاسبوع هو دور ليتورجي كاملٌ أيضاً. ففي ستة أيام خلق الله كل شيء واستراح في اليوم السابع. أما اليوم الثامن فينتمي إلى الدهر الآتي، إلى الأبدية. لكل يوم في الأسبوع دلالة. يوم الاثنين هو يوم الملائكة (باكورة الخليقة لأنها خُلقت أولاً). يوم الثلاثاء مخصَّص للقديس يوحنا المعمدان، ذلك القديس الذي ينتمي إلى العهد القديم وسابق المسيح. يوم الأربعاء هو يوم خيانة يهوذا (خيانة البشرية الخاطئة لعريسها) ويوم تسليم المخلّص لليهود والرومان. يوم الخميس هو يوم الرسل، باكورة المؤمنين وباكورة العالم الجديد في المسيح، وهوَ أيضاً يوم رؤساء الكهنة خلفاء الرسل. يوم الجمعة هو يوم صلب المسيح الحمل الحقيقي الوحيد. يوم السبت هو يوم والدة الإله والقديسين المنتقلين إلى المجد السماوي ويوم الراقدين على رجاء القيامة والحياة الأبدية. أما يوم الأحد فهو يوم القيامة التي لا قيامة بعدها، لهذا فهو يوم الأحد الفريد.

ثالثاً: الدورة الليتورجية السنوية: تشمل شهور السنة وهي مبنية على أربعة أقطاب محورها الفصح.

١- **عيد الفصح المقدس:** وهو عيد الأعياد وموسم المواسم. لا يوجد عيد أو حتى كنيسة بدون الفصح أو قيامة الرب. بالقيامة يتفسّر كل شيء. تأريخ عيد الفصح يتبع جدولاً زمنياً معيناً مما يجعل تاريخ الفصح متبدّل بين سنة وسواها.

٢- **عيدي الميلاد والظهور الإلهي (الغطاس أو معمودية الرب):** عيد الظهور أبكر تاريخياً من عيد الميلاد. تاريخ هذين العيدين ثابت في التقويم السنوي. الميلاد والظهور يشيران إلى ظهور الرب المتجسد: الأول بولادته في العالم، والثاني بظهوره عند حلول الروح القدس عليه مع سماع صوت الآب.

---

(١) الختن في السريانية هو العريس (متى ٢٥: ١-١٠). في العربية "الختن" هو الصهر.

٣- **عيد العنصرة:** هو عيد تأسيس الكنيسة وحلول الروح القدس على الخليقة.

٤- **عيد رقاد السيدة العذراء:** هو عيد انتقال طبيعتنا البشرية في والدة الإله من الأرض إلى الأمجاد السماوية. وهو عيدٌ للثالوث القدوس. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٩٢ - ما هي مراحل القداس الإلهي؟

ج ٩٢ - يمكن القول إن القداس الإلهي ثلاثي المراحل أو الأقسام. فمن حيث الترتيب الزمني يُقسم القداس الإلهي إلى مرحلة التقدمة ومرحلة قداس الموعوظين ومرحلة قداس المؤمنين:

١- **التقدمة:** في هذه المرحلة يقوم الكاهن بإعداد القرابين المقدسة بصورة غير منظورة للمؤمنين في الهيكل على المذبح الموجود شمال المائدة المقدسة والذي يمثّل مغارة بيت لحم والجلجلة. يرسم الكاهن إشارة الصليب بالحربة على القربانة ثم يقطع ختم القربان[٢] ممثِّلاً الرب يسوع أو "حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم" (يو ١: ٢٩). يضع الكاهن "الحمل" في الصينية المقدسة ويرتّب حوله أجزاء تمثّل أمّ الله (عن يمين الحمل) و الملائكة والأنبياء والرسل ورؤساء الكهنة والشهداء والأبرار وجميع القديسين (ممثَّلين بتسعة أجزاء توضَع عن يسار الحمل) والأحياء والأموات (ممثَّلين بأجزاء صغيرة توضع إلى أسفل). هكذا تلتئم الجماعة المسيحية أو "الكنيسة" متّحدة بالحمل رأسها ومخلّصها. بعد مناولة الشعب يضع الكاهن كل الأجزاء في الدم المقدس في الكأس دلالة على أن أعضاء الكنيسة، الأحياء والراقدين، متّحدون بدم المسيح اتحاداً لا تُفصم عراه لا بالموت ولا بسواه.

٢- **قداس الموعوظين:** يبدأ بإعلان الكاهن: "مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين". وينتهي بعد الطلبة التي تلي قراءة الإنجيل

(٢) عندما يقطع الكاهن بالحربة جوانب القربانة الأربعة يقول: "مثل خروف سيق إلى الذبح... ومثل حملٍ بريء من العيب صامت أمام الذي يجزّه هكذا لم يفتح فاه.... الخ". وعندما يضع الحمل في الصينية يقلبه أولاً ويجزّه بشكل صليب راسماً الذبح قائلاً: "واحد من الجند طعن جنبه بحربة". ثم يصب في الكأس خمراً وماء قائلاً: "وخرج للوقت من جنبه المقدس دمٌ وماءٌ".

المقدس. تُدعى هذه المرحلة بقداس الموعوظين لأنه كان يُسمح للموعوظين (طالبي الإيمان غير المعتمدين بعد) بحضوره. تحتوي هذه المرحلة على الطلبات الابتهالية وقراءة الرسالة والإنجيل والعظة بعده مما يُعدّ نوعاً من العمل التبشيري للموعوظين. قبل قراءة الرسالة يكون الكاهن قد دار بالإنجيل المقدس (الدورة الصغرى) من الباب الشمالي إلى الباب الملوكي، في إشارة إلى تبشير المسكونة كلها بكلمة الله الحية.

٣- قداس المؤمنين: يبدأ مع بداية تسبحة "الشيروبيكون" (أيها الممثِّلون الشيروبيم سريّاً). الممثِّلون الشيروبيم هم المؤمنون المعتمدون (العازمون أن يستقبلوا ملك الكل) لا الموعوظون. منذ هنا وحتى نهاية القداس الإلهي لا يُسمح سوى للمؤمنين بحضور هذه المرحلة التي تهيأ المؤمنين بصلواتها للمشاركة بالأسرار الرهيبة (مناولة جسد الرب ودمه). في هذه المرحلة يعلن المؤمنون عدة مرات بنود إيمانهم بالثالوث والتجسد والصلب والقيامة والحياة الأبدية. لهذا قبل تلاوة دستور الإيمان (خلاصة العقائد المسيحية) يعلن الكاهن "الأبواب الأبواب بحكمة لنصغِ": منبّهاً حرّاس الأبواب (قديماً) لكي يمنعوا دخول أي موعوظ إلى قداس المؤمنين. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٩٣ – ما ضرورة القداس الإلهي؟ لماذا لا يوجد عند الفرق البروتستانتية إن كان ضرورياً؟

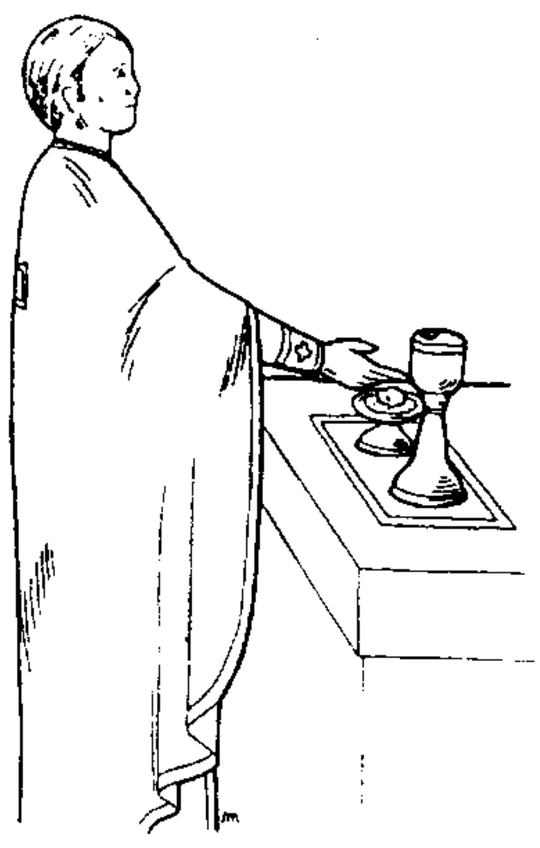

ج ٩٣ – القداس الإلهي عمل مقدّس يتم فيه تحويل القرابين إلى جسد الرب ودمه. يسوع قال: إن جسده مأكل حقاً ودمه مشرب حقاً. إذاً هما للروح طعام وشرابٌ كما الخبز والماء للجسد يومياً. لا يعيش الجسم بدون طعام أو شراب ولا تعيش الروح بدون جسد الرب ودمه. في البروتستانتية نزعة يهودية نحو تعالي الله Transcendence. هذه النزعة تطعن سرَّ التجسد الإلهي في العمق. فيسوع تجسّد لكي يصير إيانا ونصير إياه. ما قام بمشوار فنزل وصعد، بل قام بعملية اندماج بالجنس البشري. هذا الاندماج يتم بالأسرار الإلهية. البروتستانتية تلغي

كل ما هو محسوس فيضحي التجسّد روحياً لا محسوساً. يُقيمون علاقتنا بالله على الإيمان. المعمودية هي ولادة ثانية، والولادة هي الولادة. ويسوع قال: هذا هو جسدي... هذا هو دمي، فإن قلتُ له: هذا رمزٌ، كان معنى كلامي تكذيبٌ للفظة "هذا". يسوع قال قولاً صريحاً لا رمزياً ولا معنوياً. وبولس الرسول صريح: الخبز هو جسد المسيح، والكأس هي شركة دم المسيح. فليس من رمز في كل هذه الأقوال. فتحويلها إلى رموز هو جزء من لاهوت بروتستانتي منحرف عن التجسد الإلهي الذي يتضمن جسداً مثل جسدنا ما عدا الخطية. لذلك البروتستانتية إذ تحذف الأسرار تحصر التجسد بيسوع الجالس في السماء دون أي تمّدد له في البشر. بولس الرسول قال وكرّر: إن المؤمنين هم أعضاء جسد يسوع دون إمكان القول إن هذا الكلام رمزي. هذا حقيقي. وبالفعل نصير جسد يسوع بالمعمودية. البروتستانتية عودة إلى رمزية العهد القديم. العهد الجديد حقيقة لا ظلٌ ولا رمزٌ. التجسّد حقيقة ملموسة.

هذا ومن جهة أخرى يزيدون في الطين بلّة فينكرون الكهنوت المتسلسل من عهد الرسل حتى الآن، فلا تبقى لديهم أدوات بشرية للتقديس. فالأسرار تحتاج إلى الكاهن ليقدّس الماء والخبز والخمر والميرون والزيت.

فضلاً عن ذلك، الكنيسة منذ عهد الرسل حتى اليوم تُقيم القداس الإلهي يومياً وهي تؤمن أنه جسد المسيح ودمه. الأرثوذكس والكاثوليك واليعاقبة (السريان والأقباط والأرمن) يؤمنون بذلك. هذا هو تقليد الكنيسة الأولى منذ عهد الرسل. بولس يقول إنه تقلَّده (١كور ١١: ...٢٣.). نعلم من رسالته إلى غلاطية أنه تسلّم تعليمه من الله مباشرة. وإن كان قد تقلّده من الرسل فالأمر هو هو بعينه: تقليد الكنيسة. ولكن البروتستانت يقدّسون العهد القديم عهد الناموس ويحذفون عهد الكنيسة أي عهد النعمة الإلهية. يحذفون ١٤ قرناً من تاريخ الكنيسة ووجودها دون تقديم دليل على أن الله جدد العنصرة لهم في العام ١٥١٨. هم بدون عنصرة، بدون الروح القدس. من لا كهنوت رسولي لديه كان بدون الروح القدس. (**اسبيرو جبور**)

س ٩٤ – ما معنى قول المسيح في العشاء الأخير: "اصنعوا هذا لذكري"؟

ج ٩٤ – يجب التفريق بين قول يسوع "هذا هو جسدي، وهذا هو دمي" من جهة،

وبين قوله "اصنعوا هذا لذكري" من جهة ثانية. فالخبز هو جسده والخمر هي دمه، ولكن عملية التقديس هي لذكره. الأمر واضح جداً في ١كور ١١: ٢٦ "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء". إذاً اشتراكنا هو إقرار دائم بموت الرب نستمر عليه في كل خدمة قداس حتى يوم القيامة. لذلك قال الذهبي الفم: كلما أقمنا القداس الإلهي احتفلنا بيوم الجمعة العظيم. وقال القديس باسيليوس الكبير في خدمة القداس: إننا نُخبر بموت الرب وقيامته. إذاً القداس الإلهي عيشٌ إيمانيٌ تقويٌ في آلام الرب وقيامته. **(اسبيرو جبور)**

س ٩٥ – متى يحلّ الروح القدس على القَرابين: هل عندما يقول الكاهن: "خذوا كلوا.. خذوا اشربوا"؟

ج ٩٥ – يحل الروح القدس حين يقول الكاهن: أرسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين المقدَّمة[٣]، واصنعْ أما هذا الخبز فجسد مسيحك، وأما ما في هذه الكأس فدم مسيحك، محوِّلاً إياهما بروحك القدوس...

أثناء ذلك يكون المرتّلون يرتّلون: "إياك نسبّح، إياك نبارك، إياك نشكر يا رب" **(اسبيرو جبور)**

س ٩٦ – متى تكون ذروة القداس الإلهي: أعند المناولة أو عند تحوّل القرابين؟

ج ٩٦ – عند التحويل يطلب الكاهن من الآب أن يرسل روحه القدوس ليحوّل الخبز إلى جسد الرب والخمر إلى دم الرب. نحن إذاً أمام حضور للثالوث القدوس. المناولة هي اشتراكنا في جسد الرب ودمه الممتلئين من الروح القدس والنور كما تقول ترتيلة بالاماس. كلاهما ذروة: الأولى بمعنى الحضور الثالوثي والثانية بمعنى اشتراكنا في جسد الرب ودمه وامتلائنا من الروح القدس. **(اسبيرو جبور)**

---

(٣) اللفظة اليونانية تعني: "مقدَّمة"، لا "موضوعة".

س ٩٧ – مَن هم "الممثلو الشيروبيم" المذكورون قبل الدورة الكبرى في القداس الإلهي؟

ج ٩٧ – في الترنيمة الممثّلون للشيروبيم هم المؤمنون الحاضرون في الكنيسة الذين يسبّحون الثالوث القدوس على الأرض عوضاً عن الملائكة المسبِّحين له في السماء. وفي النتيجة نحن والملائكة شركاء في الخدمة كما تقول الترنيمة نفسها في خاتمتها[٤]. **(اسبيرو جبور)**

س ٩٨ – ما هو معنى الدورة الصغرى والدورة الكبرى في القداس؟

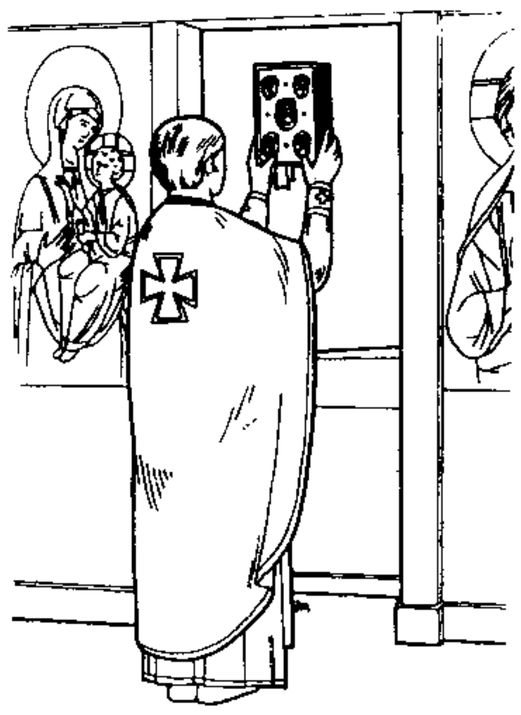

ج ٩٨ – الدورة الصغرى جزء من قداس الموعوظين. خروج الكاهن بالإنجيل هو إشارة إلى خروج يسوع له المجد للبشارة. هذه الدورة تبدأ بعد ترتيلة "يا كلمة الله الابن الوحيد."... عندما يخرج الكاهن حاملاً الإنجيل يرتّل المرتّلون طروبارية اليوم من يوم أحد أو عيد أو سواهما. إنما في كتاب "المعزّي" قطعٌ تُرتَّل على تطويبات. والتطويبات هي لبّ البشارة المسيحية لأنها بدء الموعظة على الجبل.

الدورة الكبرى هي جزء من قداس المؤمنين تبدأ عندما يحمل الكاهن الصينية والكأس من على المذبح ويخرج بهما إلى وسط الكنيسة ويدخل من الباب الملوكي إلى الهيكل فيضعهما على المائدة المقدسة في وسط الهيكل. المذبح هو الجلجلة والمائدة هي القبر المقدس. فالدورة الكبرى إذاً هي نقل يسوع من الجلجلة إلى القبر. في الكنيسة الأرثوذكسية المائدة هي القبر لأن المسيح هو خروفنا الفصحي الذي نأكله حيّاً قائماً من القبر لا ميتاً على الصليب. فالصليب مكان نحر الخروف والقبر مكان تناول الذبيحة الفصحية. **(اسبيرو جبور)**

---

(٤) يقول القديس نيقولاس كاباسيلاس في شرحه لعبارة «لنطرح عنّا كل اهتمام دنيوي» ما يلي: «لهذا من جهة أخرى، علينا أن نسهر على الدوام على أنفسنا، ونسلك بانتباه؛ ومن جهة أخرى من الضروري أن يكون لنا مذكر خارجي، بحيث يمكننا أن نجمع أفكارنا عندما تكون قد تبعثرت وانغمست بخيالات باطلة. لهذا السبب تقول القطعة المرتّلة خلال حمل القرابين إلى المذبح: ولنطرح عنّا كل اهتمام دنيوي، هذا هو المعنى الكامن وراء تلك الكلمات». (المحرّر). راجع: Nicolas Cabasilas: A Commentary on the Divine Liturgy", SPCK, 1960; pp. 60 - 1.

س ٩٩ – ما هو دور الجوقة في القداس الإلهي: هل تصلّي بدلاً عن المؤمنين أم يجب على المؤمنين أن يصلّوا ويرتلّوا مع الجوقة؟

ج ٩٩ – الترنيم الأرثوذكسي بلغ درجة من التقنية الفنية لم يعد معها يستطيع كل الشعب أن يُنشد معاً. ولذلك صارت الجوقات الكنسية مسألة فنية تقوم على التدرّب والتمرّس. إلا أن رئيس أساقفة أثينا الحالي أجاد وأبدع، فأوصى الشعب بالاشتراك في الترنيم بصوت خافت، طبعاً بدون إزعاج الجوقة. هذا الحل رائع وواجب التطبيق في كل مكان.

فالجوقة ليست بديلاً من الشعب ولا نائبة عنه. فالمؤمنون المدرَّبون يشتركون في القداس بصوت خافت. (**اسبيرو جبور**)

س ١٠٠ – هل يجب أن نتناول في كل مرة نحضر فيها القداس؟

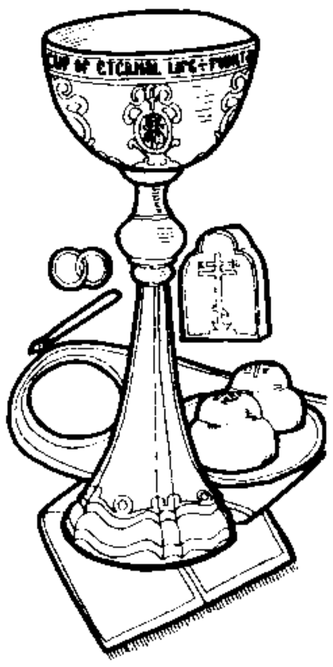

ج ١٠٠ – مبدئياً لا نحضر القداس الإلهي بل نشترك فيه. الأب الروحي قد يمنع أحد أبنائه من المناولة ويفرض عليه تدابير خاصة. إذاً، الأمر يعود إلى حكمته. المقصود بالاشتراك هو المناولة. قد تكون لدى المؤمن أسباب مانعة للمناولة شخصية أو كنسية. ففي القوانين موانع لبعض الناس، كما ورد الأمر في مجموعة الشرع الكنسي (الأفخالوجي والبيذاليون). لا يُقيم الكاهن القداس إن لم يحضر أحد أفراد الشعب. هو خادمهم. الغاية من القداس الإلهي هي المناولة. (**اسبيرو جبور**)

س ١٠١ – هل تجوز المناولة في أية كنيسة أم يجب أن يتناول المرء في كنيسته حصراً؟

ج ١٠١ – خدمة القداس الإلهي هي شركة المتّحدين في الإيمان الواحد. فالأرثوذكسي يشترك في قداس كنيسته دون سواها. ولذلك لا يحضر قداساً في كنائس أخرى (غير أرثوذكسية). وبالتالي فهو مقيَّد بالتناول في كنيسته من الكأس الواحدة التي تضمّه وإخوته في الإيمان الأرثوذكسي. بولس الرسول حصر الشركة بإخوتنا ومنعنا من الاشتراك في كأس أخرى. (**اسبيرو جبور**)

س ١٠٢ – ما معنى "التي لكَ، مما لكَ، نقدمها لكَ، عن كل شيء ومن أجل كل شيء"؟

ج ١٠٢ – التي لك: هي الخبز والخمر المأخوذان من الحنطة والعنب. فكل شيء إذاً من الله ولله.

هذه الأشياء نفسها نقدمها لك قرباناً في كل وجه من وجوه الطلب والابتهال والتضرّع والشكر وما عدا ذلك، من أجل كل شيء، أي ذبيحة مقدَّمة من أجل كل شيء، في هذه الدنيا والآخرة، أي من أجل الأحياء والأموات، من أجل الطبيعة المنظورة وغير المنظورة، فهي ذبيحة كونية. (اسبيرو جبور)

س ١٠٣ – هل يجوز تقبيل الأيقونات عند مغادرة الكنيسة بعد المناولة في القداس الإلهي؟

ج ١٠٣ – مبدئياً لا يجوز بعد المناولة اللجوء إلى ما هو أدنى منها وتقبيل الأيقونات وسواها. (اسبيرو جبور)

س ١٠٤ – لماذا نقيم خدمة القداس السابق تقديسه "البروجيزماني" في الصوم الأربعيني المقدس؟

ج ١٠٤ – الكنيسة الأرثوذكسية لا تقيم القداس الإلهي في أيام الأسبوع في فترة الصوم الأربعيني المقدس. القداس يُقام فقط يومي السبت والأحد. أما في يومي الأربعاء والجمعة من الصوم فنقيم القداس السابق تقديسه المعروف بالبروجيزماني. وكي نجيب على السؤال المطروح، علينا أن نعدّ عدداً من الأسئلة للردّ عليه، وذلك كي نستكمل عناصر السؤال المركزي الوارد أعلاه. إن محاولة الرد على هذا السؤال لهي في العمق مقاربة نفهم من خلالها كل التقليد الطقسي في الكنيسة الأرثوذكسية. ماذا تعلّمنا الكنيسة على هذا الصعيد؟

لا تقيم الكنيسة الأرثوذكسية خدمة الذبيحة الإلهية – أي القداس الإلهي – من الاثنين وحتى الجمعة، باستثناء عيد البشارة. ولكن بسبب موضوع المناولة يومي الأربعاء والجمعة من فترة الصوم الأربعيني المقدس، فإننا نقيم خدمة القداس السابق تقديسه،

والتي هي كناية عن صلاة غروب لها شكل خاص، يتناول في نهايتها المؤمنون من القرابين السابق تقديسها، أي التي تمَّ إعدادها يوم الأحد الفائت. وكل ذلك، لأن ليس هناك توافق بين الذبيحة الإلهية والصوم في فترة الصوم الأربعيني المقدس. والسؤال الأول هو: لماذا هذا اللاتوافق بين الذبيحة الإلهية والصوم؟

الذبيحة الإلهية هي العلامة على أن المسيح حاضرٌ في كنيسته. كذلك فإن الذبيحة الإلهية تحمل للمؤمنين البرهان على قيامة المسيح، وهذا في ذاته علامة فرح. لأن الرب بعد القيامة، كسر الخبز أمام تلاميذه، فعرفوه وغمر الفرح قلوبهم (لوقا ٢٤: ١٣-٢٥). فالرب له المجد، يكشف ذاته أمام تلاميذه من خلال كسر الخبز، ولهذا السبب، ومنذ الكنيسة الأولى، ارتبط كسر الخبز بيوم الرب، وذلك كسر الخبز فيه انكشف الرب. إذاً العيد بمفهومه العميق هو أن ينكشف الرب لأحبائه، من هنا فإننا في كل ذبيحة نحن في عيد. إذاً المناولة تحمل الفرح، من هنا عدم التوافق بينها وبين الصوم المقترن بالحزن والشوق إلى الختن "لأن أبناء الملكوت لا يصومون ما دام العريس معهم" (متى ٩: ١٥). وهنا يبرز السؤال العفوي: إذا كانت المناولة مصدر فرح، فلماذا نتناول في فترة الصوم، التي هي فترة حزن على الخطايا وتقترن بانتظار الرب؟

هنا لا بد أن نفهم أمراً آخر تقدمه لنا الكنيسة بهذا الخصوص. المناولة هي نبع حياة روحية للمؤمن. فإذا كانت هذه المناولة غاية كل جهودنا، وإذا كانت الفرح الحقيقي لحياتنا، فهي بطبيعة الحال القوة أيضاً من أجل مسيرتنا في الجهاد الروحي. أي أن المناولة هي الغاية، ولكنها في الوقت نفسه القوة التي بها نسير نحو هذه الغاية. المناولة هي الغاية من جهة، والقوة الدائمة من جهة ثانية. فنحن بها نصل، وبها نغذّي أشواقنا إلى الله. وصحيح أن ملكوت الله قد أتى بيسوع المسيح، لكن الصحيح أيضاً هو أننا ينبغي أن نتوق إلى هذه الملكوت كي نكون من أبنائه. وهكذا فإن مسيرتنا إلى ملكوت المسيح تحتاج إلى مساندة وعون، فالدرب إلى الله مايزال شاقّاً، والملكوت يُغتصب اغتصاباً.

من هنا فإن الصوم هو عنوان هذه المسيرة. نحن في الصوم نتوق إلى الله، أي إن حياتنا كمسيحيين هي مسيرة يقترن فيها الفرح بالحزن. أما الفرح فلأن الغاية هي لقاء المسيح، وأما الحزن، فلأننا في حالتنا تعساء وبؤساء.

وهنا يبرز سؤال آخر: نحن نفهم أن تكون المناولة يوم الأحد، ولكن لماذا نستطيع أن نقيم القداس الإلهي يوم السبت؟ بكلام آخر، لماذا تعامل الكنيسة يوم السبت بالمنطق الذي تعامل فيه يوم الأحد؟

لا بد من القول – رغم التناقض الظاهري الذي قد يبدو – أن هناك طريقين للصوم في الكنيسة: هناك أولاً ما يمكن تسميته بالصوم الكلي أي الامتناع الكامل عن الأكل والشرب. والصوم الثاني ذو بعد نسكي ويقترن بامتناع عن بعض أشكال الأطعمة عبر الإقلاع عن الحيوان ومشتقاته والانحصار بما هو نباتي. وبطبيعة الحال يتساءل الكثيرون: لماذا نلغي الحيوان ومشتقاته في فترة الصوم؟ ولماذا نرى أن البطن الفارغ مسألة هامة في المسألة الصيامية؟

نحن نؤمن أن الغاية من الصوم هي انعتاق الإنسان من شهوات الجسد وذلك على قاعدة "ليس بالخبز يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله". فنحن نصوم كي نتهيّأ للحدث الكبير في حياتنا. ولكن المناولة بطبيعة الحال تكسر الصيام، لأنها تعني الوصول أما الصيام فيعني بدء الجهاد إلى الله. **(الأب منيف حمصي)**

س ١٠٥ – توجد كلمات يونانية كثيرة في الخدم الليتورجية. لماذا لا تُعرَّب بدلاً من تحيير القارئ العربي؟! وما معنى الكلمات التالية: اينوس، انديفونا، ابوستيخن، ذوكصا، ثيوتوكون، ارمس، أفشين، ايصودون، اكسابوستيلاري، افلوجيتاريا، ايوثينا، ايخوس، كاثسما، كاتافسيا، كونتاكيون، مكارزمي، ميناون، ايكوس، بروكيمنون، برسوميا، استشيرا، سينكساريون، ترساجيون، تريوذيون، تروباريون، تيبيكون، ميناون واوذيا؟

ج ١٠٥ – لتسهيل الإجابة على هذا السؤال، نورد في نهاية هذا الكتاب جدولاً بترجمة الكلمات اليونانية الأكثر تداولاً في الليتورجيا الأرثوذكسية. **(الأب منيف حمصي)**[٤].

(٤) وهناك ألفاظ سريانية: ختن (عريس)، معمودية (تغطيس، تطميس، صبغة)، أقنوم (مسند)، الباعوث (البعث، القيامة)، العنصرة (الحصاد)، السبّة (الأسبوع)، العرّاب (كفيل المعتمد)، الإشبين (صديق العريس المهتم بالعرس)، أسقف، قس، شمّاس، سيامة (رسامة)، مار (سيّد)، الصلاة، الصوم، القربان، القبّة، القمقم... وبسبب القرابة الكبرى بين العربية والسريانية ليس من السهل دوماً التمييز بينهما. فلفظة "قربان" وردت في الإنجيل بالآرامية في نصه اليوناني (مرقس ٧: ١١). من العبرية: هوشعنا (خلّص اذاً)، هللويا (هللوا للرب)، صباؤت (قوات، جنود) (اسبيرو جبور).

الفصل الخامس:

أسئلة حول الأسرار الإلهية

"فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٩)

"حينئذ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس" (أعمال ٨: ١٧)

"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أعمال ٢: ٤٢)

"...الذين أقاموهم أمام الرسل فصلّوا ووضعوا عليهم الأيادي" (أعمال ٦: ٦)

"اكتئبوا؛ نوحوا وابكوا...اتضعوا قدّام الرب فيرفعكم...اعترفوا بعضكم لبعضٍ بالزلات" (يعقوب ٤: ٩ و٥: ١٦)

"من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السرّ عظيمٌ" (أفسس ٥: ٣١-٣٢)

"أمريضٌ أحدٌ بينكم؟ فليدعُ شيوخَ الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي" (يعقوب ٥: ١٤-١٥)

'يستطيع الكاهن أن يحلّ الخطايا مرتين. مرة بالمعمودية، وعندئذ إن خطىء المرء بعد ذلك ثانية بالمسحة". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"ألا ترغبون أن تُمسحوا بزيت الله؟ على هذا الاعتبار نحن نُدعى مسيحيين، لأننا مُسحنا بزيت الله". **(ثيوفيلوس الأنطاكي)**

"لنشارك في جسد المسيح ودمه بقناعة تامة. فالجسد أُعطي لك على شكل الخبز والدم أُعطي على شكل الخمر، بحيث بالمشاركة بجسد المسيح ودمه تصير جسداً واحداً ودماً واحداً مع المسيح". **(القديس كيرللس الأورشليمي)**

"افحصوا خطاياكم أمام منبر الدينونة، منبر ضميرك أنت. ستكون المحكمة خالية من الشهود. الله وحده سيراك في اعترافك، الله الذي لا يخجل منك بسبب خطاياك، والذي، بعد اعترافك، سيعتقك من خطاياك. المحكمة هنا خالية من الشهود، وأنت، الخاطئ، أنت قاضي نفسك". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"ادخل إلى الكنيسة واغسل خطاياك. لأنه يوجد مشفى للخطاة وليس محكمة قانون". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"للكهنة القوة على الحل والربط، على مغفرة الخطايا أو الإمساك بها، وهو أمر لم يُعطَ حتى ولا للملائكة. إنها قوة أُعطيت إليهم من الله بوعد المسيح". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"بالنسبة لاحتفال الزواج، يجب استدعاء الكهنة، وبالصلاة وبركة الاتحاد يتم ضمان حياة زفافية كريمة، بحيث ينفق الزوجان حياتهما بفرحٍ لأنهما قد ارتبطا معاً بالنعمة". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

الأصل اليوناني لكلمة "سر" تعني إغلاق العين لصون المعاينة الفائقة لحوادث فائقة الطبيعة. الأسرار في الكنيسة هي قنوات حسيّة منها تفيض النعمة الإلهية غير المخلوقة وغير الحسية إلى المؤمنين. في الأسرار "نرى شيئاً ونؤمن بشيء آخر" كما يقول الذهبي الفم. إنها نتيجة التجسد الإلهي حيث التقى الإلهي بالبشري وغير المادي بالمادي وغير المخلوق بالمخلوق. الأسرار ضرورية لخلاص المؤمن العضو في جسد المسيح، لأن الإنسان شخص من روح ومن جسدٍ. لهذا تؤمن الكنيسة أن الرب يسوع هو مَن أسّس هذه الأسرار مباشرة بنفسه أو بواسطة رسله معلّمي المسكونة. من هنا نفهم كلمات إنجيلية تشير إلى مشاركة الإنسان بأمور حسيّة في حين ينال بها أموراً إلهية غير منظورة: "خذوا كلوا..اشربوا منها كلكم"، "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياةٌ فيكم"، ".. حتى إذا جاء بطرس يخيّم ولو ظلّه على أحد منهم"، ".. ووضعوا عليهم الأيادي"، "بوضع أيدي الرسل يُعطى الروح القدس". لا توجد كنيسة بدون أسرار، ولا توجد أسرار بدون إيمانٍ متسلسلٍ أبّاً عن جدٍ وصولاً إلى الرسل.

س ١٠٦ – ماذا كانت المعمودية تعني للمسيحيين الأوائل؟

ج ١٠٦ – يوجد مصدران رئيسيان يسلّطان الضوء على معنى أو معاني المعمودية بالنسبة للكنيسة الأولى، وهما: العهد الجديد (القرن الأول) وكتابات الآباء الأولين من القرنين الثاني والثالث. هذان المصدران يمكّناننا من معرفة كيف كان الأولون يفهمون المعمودية وكيف كانوا يمارسونها. في السؤال التالي سنذكر معمودية الأطفال بصورة خاصة.

في العهد الجديد نجد أن المعمودية المسيحية هي معمودية "بالروح القدس ونار"، فيها يحلّ الروح القدس على المعتمد (أع١: ٨)؛ بينما معمودية يوحنا المعمدان هي معمودية بماء للتوبة (متى٣: ١١؛ مر١: ٨؛ لو٣: ١٦؛ يو١: ٣٣؛ أع١: ٥؛ أع ٢: ٣٩). المعمودية المسيحية هي "ولادة من الماء والروح" (يو٣: ٣ و٥)، "ولادة من فوق"، بدونها لا يقدر أحدٌ أن يرى ملكوت الله (يو ٣: ٥). وهي "غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تيطس ٣: ٥). في المعمودية المسيحية نُدفن مع المسيح، حتى نقوم معه كما أُقيم من الأموات بمجد الله الآب (رو٦: ٣–٦؛ كول ٢: ١١–١٢)؛ لهذا نصلب إنساننا العتيق مع المسيح في المعمودية (رو٦: ٣–٦)، لأننا بالمعمودية "نلبس المسيح" (غلا٣: ٢٧)، فهي مدخل إلى حياة جديدة أو "جدّة الحياة" (رو٦: ٣–٦).

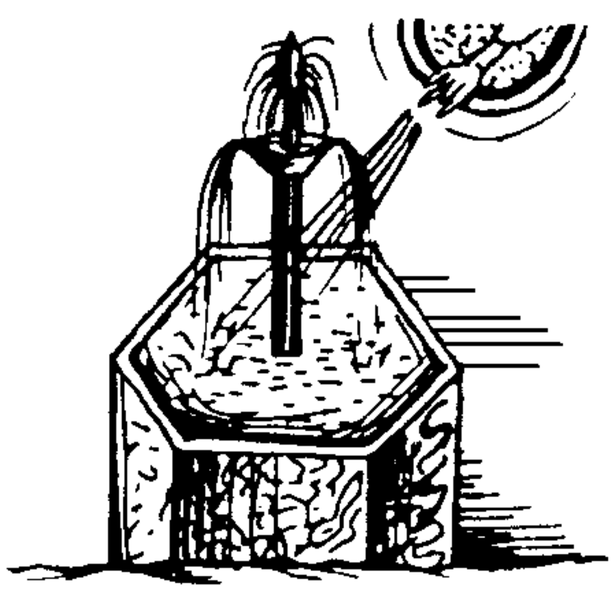

أيضاً بالمعمودية المسيحية نصير أعضاء في جسد المسيح الذي هو الكنيسة (١كور١٢: ١٣؛ أفسس٤: ٤)، فيصير كل المسيحيين أخوة بالمسيح بالتساوي وأعضاء في جسد واحد بروح واحد (١كور١٢: ١٣). المعمودية المسيحية حلّت محل الختان اليهودي، فهي ختان المسيح غيرالمصنوع بيدٍ الذي يخلع جسم (خطايا) البشرية (كول٢: ١١).

بالمعمودية المسيحية الخلاص (١بطر٣: ١٨)، وبها غسل الخطايا وغفرانها (أع ٢٢: ١٦؛ أع٢: ٣٨). لهذا فالمعمودية المسيحية بند إيمان، وهي واحدة لا تتكرر: "رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة" (أفسس ٤: ٤).

من هنا نفهم ضرورة المعمودية المسيحية للمسيحيين "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٩). لهذا كانت المعمودية تتم بأسرع وقت بعد قبول الإيمان من قبل البالغين (أع ٨: ٣٦؛ ٩: ١٨؛ ١٠: ٤٤؛ ١٦: ٣٣؛ ١٨: ٨). و لم تكن مقتصرة على البالغين فقط بل على "جميع أهل بيت" البالغ الذي يقبل الإيمان المسيحي (أع ١١: ١٤؛ ١٦: ١٥؛ ١٦: ٣٣؛ ١٨: ٨)، لأن الموعد هو لجميع المؤمنين ولأولادهم (أع ٢: ٣٩)[١].

بالنسبة لكتابات الآباء الأولين عن المعمودية ومعانيها، نذكر هنا القديس يوستينوس الشهيد (القرن الثاني الميلادي) الذي يذكر وصفاً للمعمودية المسيحية صار مشهوراً. فهو يجد سلطاناً لاستعمالها في أشعيا ١: ١٦–٢٠ "اغتسلوا، تنقّوا، الخ"، وفي يوحنا ٣: ٥ "إن كان أحدٌ لا يولد من الماء والروح، الخ". النقاط الرئيسية التي يوردها هي أن المعمودية هي اغتسال بالماء باسم الثالوث ولها مفاعيل الولادة الثانية لمغفرة الخطايا؛ وهي استنارة (الدفاع الأول، الفصل ٦١). وفي حواره مع اليهودي تريفون يقول إنّ المعمودية المسيحية هي "حمّام التوبة ومعرفة الله"[٢]، وإن الماء الحي، الذي وحده فقط يستطيع أن يطهّر التائبين والذي لكونه معمودية بالروح القدس، يوازي بصورة مضادة غسولات اليهود. فالمعمودية هي رحض لا للجسد فقط بل للنفس أيضاً (الحوار مع تريفون، الفصل ١٤). ويشير إلى أن المعمودية هي ختانة[*] روحية، والمدخل الفريد لمغفرة الخطايا التي تنبأ عنها أشعيا (الحوار مع تريفون، الفصل ٤٣).

وثيقة الاثني عشر (بداية القرن الثاني) تذكر أن المعمودية المسيحية تتم على اسم الثالوث القدوس (٧: ١)، وأن القربان المقدس لا يُقدّم إلا للمعتمدين (٩: ٥) دلالة على أن المعمودية هي سر الصيرورة أعضاءً في جسد المسيح، أي الكنيسة. أيضاً في المعمودية يوجد "روح واحد من النعمة منسكبٌ علينا" بحسب كلمندس (٣٠–١٠٠؟)، وهذا ما يكمن بوضوح وراء وصف المعمودية بأنها "الختم"، أو "ختم ابن الله"، الذي يجب على المعتمد أن يحفظه غير ملطَّخٍ بحسب رسالة كلمندس الثانية ومؤلَّف راعي هرماس (نهاية القرن الأول–القرن الثاني). بحسب هرماس ننزل إلى الماء "موتى" ونخرج "أحياء"؛

---

(١) راجع أيضاً معجم اللاهوت الكتابي ، منشورات دار المشرق، بند "المعمودية"، ص ٧٥٤.

(٢) الحوار مع تريفون ١٤: ١ و٢٩: ١.

(*) راجع أيضاً كتاب "معمودية الاطفال" للأب منيف حمصي.

ونستلم رداء أبيض مما يرمز إلى الروح القدس. رسالة برنابا (حوالي العام ١٠٠ م) تذكر وجود رسوم ظليّة للمعمودية المسيحية والصليب المقدس في العهد القديم، وأن المعمودية المسيحية تؤول إلى مغفرة الخطايا (الفصل١١). وفيها يتم التأكيد على مغفرة الخطايا؛ فنحن ندخل المياه مثقَلين وملوَّثين بتعدياتنا، ونخرج "حاملين الثمار في قلبنا، ولنا الخوف والرجاء في يسوع في الروح". الروح هو الله نفسه الساكن في المؤمن، والحياة الناجمة هي إعادة خلق. يقول قبل المعمودية كان قلبنا سكنى الشياطين؛ وقد تبنّى القديس إغناطيوس الأنطاكي (القرن ١–٢) هذه الفكرة، مشيراً إلى أن المعمودية تمنحنا أسلحة لحربنا الروحية[٣].

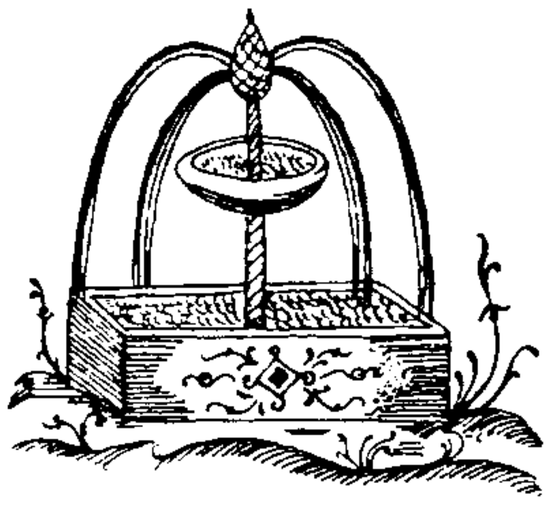

ثيوفيلوس الأنطاكي[٤] يقدّم المعمودية على أنها مانحة مغفرة الخطايا والولادة الثانية؛ ويعتقد بأن خلق الكائنات الحية من المياه في اليوم الخامس من الخلق ما هو إلا رمز لها. أما القديس إيريناوس (١٢٠–٢٠٢)، أسقف ليون، فيصف المعمودية بأنها "ختم الحياة الأبدية وإعادة ولادتنا في الله، بحيث لا نكون بعد أبناء الناس المائتين فقط، بل أيضاً أبناء الله غير المائت والسرمدي"[٥]. إنها ترحض النفس والجسد معاً وتمنح الروح (القدس) كعربون القيامة. يقول: "لقد نلنا المعمودية لمغفرة الخطايا باسم الله الآب، وباسم يسوع المسيح ابن الله، الذي تجسد ومات وقام ثانية، و(باسم) روح الله القدوس. وهكذا فالمعمودية هي ختم الحياة الأبدية والولادة الجديدة في الله". وبها نُغسَل، ويُمنح الروح لنا، وننال "صورة السماوي".

في القرن الثالث يتكلم القديس كلمندس الإسكندري (١٥٠–٢١٥) عن المعمودية كمانحة لإعادة الولادة، وللإستنارة والبنوّة الإلهية وعدم الموت وغفران الخطايا؛ ويشرح[٦] بأن البنوّة هي نتيجة إعادة الولادة التي يُحدثها الروح القدس. المعمودية تطبع ختماً هو في الحقيقة الروح القدس، صورة الله؛ وإن الروح القدس الساكن هو "الختم الساطع" لعضوية المسيحي في المسيح[٧]. أما العلامة أوريجنس (١٨٥–٢٥٤) فيقول[٨]

---

(٣) J. N. D. Kelly: *Early Christian Doctrines; Harper San Francisco*, 1978, pp. 193-4.
(٤) *Ad Autol.* 2, 16.
(٥) *Dem.* 3.
(٦) *Excerpta Theod.* 86, 2
(٧) *Strom.4*, 18, 116
(٨) *Hom. In Ierem.* 19, 14

إنه في المعمودية يتّحد المسيحي بالمسيح في موته وقيامته[٩]. وهي الوسيلة الفريدة لنيل غفران الخطايا؛ إنها تحرّرنا من قوة الشيطان وتجعلنا أعضاء في الكنيسة، جسد المسيح[١٠]. ويشدد على ضرورة معمودية الأطفال.

يصف ترتيليانوس (١٦٠–٢٢٠) مفاعيل المعمودية: "عندما تأتي النفس إلى الإيمان، وتصير متحوِّلة بالولادة الثانية بالماء وقوة من العلى، تكتشف، بعد إقصاء خمار الفساد القديم، نورها بالكامل. وتُقبل في شركة الروح القدس؛ والجسد يلي النفس التي تتحد بالروح القدس".

هذا هو لاهوت المعمودية ومعانيها في العهد الجديد وآباء الكنيسة في القرنين الثاني والثالث. أما آباء الكنيسة في القرون اللاحقة، خاصة الرابع (يوحنا الذهبي الفم، غريغوريوس اللاهوتي، غريغوريوس النيصصي، باسيليوس الكبير، الخ) فقد توسّعوا في شرح لاهوت المعمودية ومعانيها ومفاعيلها السابق ذكرها (لا يفسح المجال هنا للتوسع). إذاً، لاهوت المعمودية في العهد الجديد ولدى آباء الكنيسة هو نفسه لاهوت المعمودية في الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. بينما مفهوم المعمودية لدى الفئات البروتستانتية بأشكالها وألوانها فهو بعيد جداً، مع الأسف، عن الرؤية السابقة ويخالف المعمودية كما عرفتها الكنيسة أيام العهد الجديد. فالمعمودية لدى البروتستانت هي مجرد رمز لقبول المسيح وصيرورة المؤمن مسيحياً. ولا علاقة لها بالولادة الثانية أو الجديدة أو الروحية ولا بمغفرة الخطايا، أو بحلول الروح القدس على المعتمد. لهذا فالمعمودية البروتستانتية بالمفهوم الأرثوذكسي هي معمودية ماء وليست معمودية بالروح القدس والنار. المفهوم البروتستانتي يخون العهد الجديد أولاً وإيمان الكنيسة الأولى ثانياً وليس له أساسٌ كتابي أو آبائي أو تاريخي أو علمي أو، أو. والمؤسف أن علماء الكتاب المقدس البروتستانت يحاولون تحليل آيات العهد الجديد الخاصة بالمعمودية بصورة تتناسب مع

---

(٩) *Exhort. Ad mart.* 30

(١٠) *Hom. In Exod.* 5, 5; in Rom. 8, 5

لاهوتهم وليس بصورة موضوعية[١١]. الإيمان هو الأساس لديهم والأسرار رموز، كأن المسيح أخذ روحاً بشرية بلا جسد، وكأنّ الكنيسة جسد روحي لا بشري نحن أعضاؤه. إنّه رفض نظري لحقيقة التجسّد. المسيح أخذ جسداً وأسَّس أسراراً فيها الماء والخبز والخمر والزيت وو .... لماذا يرفضون المادة التي تقدست في جسد يسوع؟ رغم ذلك، فكيف يفسّر هؤلاء صحة تفسيرهم للمعمودية بالمفهوم البروتستانتي ويغلّطون العهد الجديد وآباء الكنيسة على مر العصور؟! مَن من آباء الكنيسة قال إن المعمودية المسيحية هي مجرد رمز وإنها ليست الولادة الثانية ولا تغفر الخطايا إلى ما هنالك من خزعبلات؟! فإن قال أحدهم بشيء قريب من هذا فالكنيسة ترفض تعليمه لأنه ليس تعليم الكنيسة المقبول في كل مكان وزمان من قبل الجميع.

لهذا، عند التدقيق في دراسات علماء الكتاب المقدس على المعمودية، يجب أن نميّز بين الخلفية الكنسية لكلٍ منهم ونقارن نتائج دراسته مع لاهوت المعمودية في الكنيسة الأولى. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يوجد أمامي كتابان كل منهما معنوَن "المعمودية في العهد الجديد". مؤلّف الكتاب الأول عالم كتاب مقدس مرموق جداً وبروتستانتي، وهو أوسكار كولمان[١٢]. مؤلّف الكتاب الثاني[١٣] عالم كتاب مقدس مرموق جداً وبروتستانتي (معمداني)، وهو .G.R.Beasley-Murray إذاً يتساوى الأول والثاني من حيث التصنيف العلمي والإيماني مبدئياً. لكن مَن يقرأ الكتابين يستنتج بسهولة أن

---

(١١) في "قاموس الكتاب المقدس"، تأليف "نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص واللاهوتيين" كما يقول الكتاب، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط (الطبعة السادسة، ١٩٨١، بيروت)، وتحت حرف العين للأستاذ أنيس صايغ، نجد هذا "القاموس" يتكلم عن المعمودية كما يلي: "جعل (يسوع) التعميد باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسمياً إلى كنيسة المسيح... إلا أن المعمودية ليست في حد ذاتها سبباً للتجديد والولادة الثانية والخلاص. فكرنيليوس مثلاً حلّ عليه الروح القدس وقبل الإيمان من قبل أن يعتمد (أع ١٠: ٤٤–٤٨) وسيمون الساحر اعتمد ومع هذ ظلّ إنساناً عتيقاً وأخطأ في عين الرب (أع ٨: ١٣ و٢١–٢٣)". مع الأسف نجد مثل هذا الكلام الباطل في كتاب يُفترض فيه أن يكون "قاموس الكتاب المقدس" وإذا به قاموس اللاهوت البروتستانتي الذي لا علاقة له لا بالكتاب المقدس ولا بكنيسة العهد الجديد الرسولية. الأخطر من هذا أن هذا القاموس يوحي للقارىء بأن ما يقرأه فيه إنما هو تعليم الكتاب المقدس وتعليم الكنيسة المسيحية، بينما هو مخالف لهما تماماً. ولا عجب طالما أن كاتب هذا الباب في القاموس يتصوّر المعمودية عملاً سحرياً لا يمكن للإنسان بعده أن يخطىء!

(١٢) Oscar Cullmann: Baptism in the New Testament, The Westminster Press, Philadelphia, 1950

(١٣) G.R. Beasley-Murray: Baptism in the New Testament, Eerdmans Publication Co,. Michigan, USA, 1990

معمودية الأطفال، بحسب العهد الجديد، كانت تُمارس أيام العهد الجديد بحسب دراسة الأستاذ كولمان، و لم تكن تُمارس أيام العهد الجديد بحسب دراسة المؤلِّف الثاني! الدراستان مبنيتان على الكتاب المقدس. من هنا نستنتج أن نصوص الكتاب المقدس وحدها لا تكفي في كثير من الأحيان، ولا بد من الاحتكام إلى تعليم الكنيسة علي مر العصور. ودراسة تاريخ العقائد الكنسية في العصور الأولى للكنيسة على يد مؤرِّخين بروتستانت مرموقين أمثال Philip Schaff[١٤] و J.N.D. Kelly (السابق ذكره) وسواهما تُظهر أن لاهوت المعمودية كما فهمته الكنيسة الأولى واللاحقة والحالية وكما مارسته وكما فهمته في العهد الجديد هو اللاهوت نفسه الذي نجده في الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية. وأي تعليم مخالف لهذا التعليم إنما هو تعليم بشري مخالف للكتاب المقدس ولكنيسة المسيح، جسده المقدس. الرسل أسَّسوا كنيسة وسلّموها تعاليم وقلّدوها استعمالات. فاستعمال الكنيسة هو الذي يفسّر العهد الجديد. الوحدة في الارثوذكسية قائمة علي مسيرة التاريخ. التبشير البروتستانتي يقوم على حذفِ التاريخ وحرية التفسير. كل يغنّي على ليلاه لأنّ الروح القدس غير موجود فيهم كما هو موجود في استمرارية الأرثوذكسية. الكنيسة واحدة ارثوذكسية. بينما كل بروتستانتي يعتبر نفسه الكنيسة، فصاروا ملايين الكنائس. تفرّقوا، تنابذوا، ذابوا، ليسوا بكنيسة.

كلمة أخيرة قبل الختام بالمراجع. ذكرنا أن المعمودية هي بند من بنود الإيمان المسيحي (وبمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا)، وهي واحدة لا تتكرر (مثلها مثل الولادة الجسدية). لهذا، لا تعيد الكنائس الرسولية معمودية القادمين إليها من الفئات الكنسية غير الرسولية طالما أن معموديتهم قد تمّت باسم الثالوث القدوس. هذه هي القاعدة العامة مع وجود استثناءات (حتى في الكنيسة الأرثوذكسية). ما يهمني هنا هو ليس مناقشة وجوب إعادة أو عدم إعادة معمودية المسيحيين غير الأرثوذكس والقادمين إلى الكنيسة الأرثوذكسية، بل وجوب الانتباه إلى عنصر مهم جداً في تقويم إعادة المعمودية. فشرط المعمودية باسم الثالوث القدوس وحده لا يكفي أبداً لقبول هكذا معمودية، لأنه توجد فئات دينية ليست بالقليلة تؤمن بالثالوث بصورة مختلفة عن الإيمان المسيحي الرسولي. فمثلاً: شهود يهوه يؤمنون بالآب والابن والروح القدس، وإنما لا يؤمنون بالثالوث القدوس إلهاً

(١٤) Philip Schaff: History of the Christian Chrurch, Eerdmans Publication Co., Michigan.

واحداً في ثلاثة أقانيم (راجع سؤال شهود يهوه). الأمر نفسه لدى المورمون. أيضاً، النقطة الأخيرة المطروحة للبحث هنا هي: إن كانت المعمودية موضوع إيمان، وليست مجرد طقس رمزي، فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار ماهية إيمان القائمين بها، وهو أمر ضروري جداً في تقييم صلاحيتها.

أخيراً، للمزيد من التوسع في هذا الموضوع، أحيل القارىء الكريم هنا إلى المراجع السابق ذكرها بالإضافة إلى دراستين عن معمودية الأطفال[١٥]، هذا فضلاً عن كتابات آباء الكنيسة في المعمودية (يوحنا الذهبي الفم مثلاً) وهي غزيرة جداً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٠٧ – هل كانت الكنيسة الأولى تعمّد الأطفال؟ هل يجب تعميد الأطفال؟ وما هو أفضل عمر لتعميد الطفل؟

ج ١٠٧ – معمودية الأطفال من المسائل التي تُثير جدلاً منذ ظهور البروتستانتية وحتى يومنا الحالي. ولكي يستوفي الموضوع حقه، وَجدتُ من الواجب أن أقدّم للقارىء دراسة مفصّلة عنه يمكن مراجعتها في جزء الملاحق في نهاية هذا الكتاب. أما هنا فسأسرد جواباً مختصراً[١٦].

مفهوم المعمودية بصورة عامة متباين بصورة كبيرة بين الأرثوذكس والكاثوليك من جهة والبروتستانت من جهة أخرى. هذا له دور كبير في رفض معظم الفئات البروتستانتية لمعمودية الأطفال ولسوء فهمها لها. أعداء معمودية الأطفال مغرمون بالاقتباس من الكتاب المقدس لدحض معمودية الأطفال. هنا سيشمل الجواب دراسة من الكتاب المقدس ومن الكنيسة الأولى (القرون الثلاثة الأولى).

---

(١٥) Joachim Jeremias: *Infant Baptism in the First Four Centuries, The Westminster Press*, 1960 & Kurt Aland: *Did the Early Church Baptize Infants?*, The Westminster Press, 1963.

(١٦) اعتمد المبدأ العام التالي: كل الانحرافات عن الإيمان الأرثوذكسي ظهرت في زمان معيّن وأثارت ردة فعل في الوسط الأرثوذكسي. كفر آريوس بألوهة الابن وكفر مكدونيوس بألوهة الروح القدس فثارت ثائرة الكنيسة ضدهما فكان دستور الإيمان. أضعف نسطوريوس اتحاد الطبيعتين ورفض عبارة العذراء مريم "والدة الإله"، فكان المجمع الثالث في ٤٣١. قال أوطيخا بابتلاع الطبيعة الإلهية للطبيعة البشرية فكان المجمع الرابع. زادت روما على دستور الإيمان عبارة انبثاق الروح القدس من الابن فكان انشقاق ١٠٥٤. وهكذا دواليك. البدع البروتستانتية ظهرت في الأعوام ١٥١٨–٢٠٠٣ كخروج على تقليد الكنيسة فسقطت في الهرطقات. هم، إذاً، خوارج على التيار الرسولي (اسبيرو جبور).

كل مقولات العهد الجديد عن المعمودية تأتي في وسط البشارة المسيحية، لهذا لم يتم ذكر معمودية الأطفال بصورة منفصلة أو خاصة لأن الأطفال كانوا مشمولين ضمن العائلة الواحدة التي كانت تقتبل الإيمان المسيحي. أيضاً، هدف كتابة العهد الجديد كانت أن تقود الناس إلى معرفة يسوع المسيح لينالوا حياة إذا آمنوا باسمه (يو ٢٠: ٣٠–٣١)، ولم يكن العهد الجديد أبداً كتاباً طقسياً. وبما أن معمودية الأطفال لم تُذكر بصورة خاصة، فهذا يعني بالاستنتاج أنها لم تكن موضع شك وجدل في الكنيسة الأولى. لهذا نجد أنه لا بد من العودة إلى إيمان الكنيسة الأولى الرسولية وممارستها لمعرفة موقف العهد الجديد من معمودية الأطفال. خاصة وأن علماء الكتاب المقدس يمكنهم أن يتلاعبوا بآيات الكتاب المقدس للوصول إلى مرامهم المقرَّر سلفاً بحسب خلفياتهم الإيمانية.

توجد عدة نقاط يجب أخذها بعين الاعتبار:

١– **صيغة "وأهل البيت"**: النصوص التي تتكلم عن اهتداء ومعمودية "كل البيت" (١كور ١: ١٦؛ أع١١: ١٤؛ أع ١٦: ١٥، ١٦: ٣٣، ١٨: ٨؛ ١كو ١: ١٦) تدلّ على أنه في حالة وجود أطفال (مهما كان عمرهم) في بيت دخل فيه الوالدان في المسيحية، فإن كل الأطفال في هذا البيت كانوا يُعمَّدون (بغض النظر عن عمرهم) مع الكبار البالغين في الوقت نفسه.

٢– **معمودية الدخلاء إلى اليهودية** هي معمودية الوثنيين الداخلين على اليهودية. توجد تشابهات كبيرة في طقس وطريقة ممارسة معمودية الدخلاء إلى اليهودية وبين المعمودية المسيحية الأولى. بالنسبة لمعمودية الأطفال في الكنيسة الأولى فإن كل الدلائل تشير إلى أنه في حالة الأمم الداخلين إلى المسيحية، فإن الأطفال من كل الأعمار (بما فيهم الرضّع) كانوا يُعمَّدون. بولس الرسول في كولوسي ٢: ١١ يؤكّد هذه النقطة. فبولس هنا يسمّي المعمودية بـ"الختانة المسيحية" ويصفها بأنها السر المسيحي الذي يحلّ محل الختانة اليهودية ويُستبدل بها. وفي ٢كور ١: ٢٢ (أيضاً أفسس ١: ١٣ و٤: ٣٠) فإنه ينقل صفة الختانة كـ"ختم" (رو٤: ١١) إلى المعمودية. وبما أن الختانة كانت تتم على كل الأطفال في عمر الثمانية أيام، الذين هم أعضاء في البيت الوثني الذي كان يدخل إلى اليهودية، فإن وصف المعمودية على أنها "الختانة المسيحية" يدلّ على أن الأسلوب المتبع في المعمودية كان نفسه

المتّبع في الختانة، أي أن كل الأطفال من كل الأعمار كانوا يُعَّمدون عندما كان والديهم يقبلون الإيمان المسيحي.

٣- **أعمال ٢: ٣٨- ٣٩** تدل بصورة غير مباشرة على معمودية أطفال أهالي اليهود الداخلين إلى المسيحية.

٤- **معمودية أطفال الأهالي الوثنيين الداخلين إلى الكنيسة:** توجد شهادات لا يُرقى لها شك على معمودية أطفال العائلات التي تتقبل الإيمان المسيحي. هذه الشهادات الآبائية تؤكّد النقطة الإنجيلية المتعلقة بمعمودية "أهل البيت" بكامله. هذه الشهادات تشمل هيبوليتوس الذي يذكر أن معمودية الأطفال تعود إلى عهد أقدم من عهده (حتى القرن ٢ م). وأيضاً تشمل ترتليانوس في أفريقيا في القرن الثاني يذكر معمودية الأطفال وكان أولاً مَن ذكر دور العرابين واشتراكهم في طقس المعمودية. وأخيراً كتابات كلمندس المنحولة في سوريا.

٥- **معمودية أطفال الأهالي المسيحيين:** ماذا فعلت الكنيسة الأولى عند ولادة طفل لوالدين مسيحيين؟ من نص (أع ٢١: ٢١) نتعلّم أنه في سنة ٥٥ م كان الرضع الذكور المولودون في كنيسة أورشليم يُختَنون. وبالوقت نفسه نتعلّم من أعمال ٢١: ٢١ أنه في مناطق بشارة بولس فإن جميع الوالدين من أصل أممي لم يختنوا أولادهم في اليوم الثامن. وبما أن بولس قد عيّن المعمودية على أنها الطقس الذي يحلّ محل الختان كما في كولوسي ٢: ١١ فمن المحتمل جداً أن هؤلاء الأطفال كانوا يُعمَّدون.

٦- بعد دراسة **مرقس ١٠: ١٣-١٦**، يقول جيريمايا أنه بالإضافة إلى حضّ الكنيسة للأهالي على إحضار أولادهم إلى يسوع لنيل البركة، فإن الكنيسة قد رأت في هذه القصة أمراً بإحضار الأولاد إلى يسوع في المعمودية. أول مكان يظهر فيه هذا النص في الأدب المسيحي الأول هو في ترتليانوس[١٧] (حوالي سنة ٢٠٠). هذا الموضع يُظهر بأن كلمات يسوع السابقة قد فُهمت بصورة عامة على أنها فرضٌ بمعمودية الأطفال.

---

(١٧) *De Baptismo* 18: 5

٧- كانت أبرز علامة على العهد بين الله وشعبه هي **الختان**. فالله نفسه أمر بختان كل طفل ذكر بعمر ثمانية أيام (تك١٧: ١٢). بالطبع لم يكن طفل الثمانية أيام هذا يُسأل فيما إذا كان يريد الانضمام إلى شعب الله، بل كان إيمان الوالدين هو شرط ختانة الطفل وانضمامه. من جهة أخرى، من السهل ملاحظة العلاقة بين الختان من جهة والمعمودية المسيحية من جهة أخرى. فالقديس بولس الرسول يقول: "وبه (بالمسيح) أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوعٍ بيدٍ بخلع جسم (خطايا) البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه" (كول٢: ١١-١٢). إذاً، بالنسبة للمسيحي، إن المعمودية هي تحقيق ختان العهد القديم. وفي الإشارات الأخرى إلى المعمودية في العهد القديم نجد اعتماد جميع العبرانيين لموسى في السحابة وفي البحر (١كور١٠: ٢)، و"جميعهم" تشمل الأطفال أيضاً. فلك نوح رمزٌ للمعمودية أيضاً (١بطر٣: ٢٠-٢١). هنا لا يمكن تصوّر استثناء الأطفال من فلك نوح وتركهم يهلكون بالطوفان فقط لأنهم أطفال غير قادرين على فهم ما يحصل.

٨- **الروح القدس يحلّ على الأجنّة والأطفال**: دعا الله أشعيا من بطن أمّه (أشع ٤٩: ١-٢). قدّس الله إرميا وأقامه نبيّاً قبل خروجه من بطن أمه (إرم١: ٤-٦). يوحنا المعمدان امتلأ من الروح القدس وارتكض ابتهاجاً وهو بعد جنين في بطن أمه (لو١: ١٥ و ٤١ و٤٤). صموئيل تنبّأ وهو بعد طفل (١ صمو ١-٣). إن كان الروح القدس له المجد قد حلّ ويحلّ على الأجنّة والأطفال وهم بعد قاصرون غير واعين، ويباركهم ويقدّسهم ويكرّسهم، فهل يعجز عن الحلول على الأطفال أثناء تعميدهم؟ على العكس تماماً، إن معمودية الأطفال لاهوتياً هي امتدادٌ لحلول الروح القدس على الأطفال في كل الأعمار.

٩- **الرب يسوع يبارك الأطفال**: يسوع شفى غلام قائد المائة (متى ٨: ٥- ١٣)، وأقام ابنة رئيس المجمع من الأموات (متى ٩: ١٨-٢٦)، وشفى ابنة الفينيقية (متى ١٥:

٢٢– ٢٨)، الخ. هذه الحوادث وسواه تُظهر لنا أموراً مهمة بما يتعلّق بموضوعنا. أولاً: لم يكن عمر الطفل أو الطفلة حاجزاً أو مانعاً لقبول نعمة المسيح. ثانياً: لم يكن للطفل (أو الطفلة) أي دور في قبول نعمة المسيح و لم يوجد وعيٌ من جهته ليقرّر فيما إذا كان سيقبل نعمة المسيح أم لا. ثالثاً: الرب يسوع شفى الطفل (أو الطفلة) بناء على طلب أحد أفراد عائلته أو المقرَّبين منه والذي أبدى إيماناً بالرب يسوع وبقدرته على الشفاء. إذاً، هنا أيضاً نجد أن لاهوت معمودية الأطفال هو لاهوت كتابي، بينما مَن ينكر صحّة هذه المعمودية فإنما يطعن بالكتاب المقدس نفسه عن جهل أو عن معرفة. ودور العرّابين في معمودية الأطفال إنما هو أمر كتابي أيضاً.

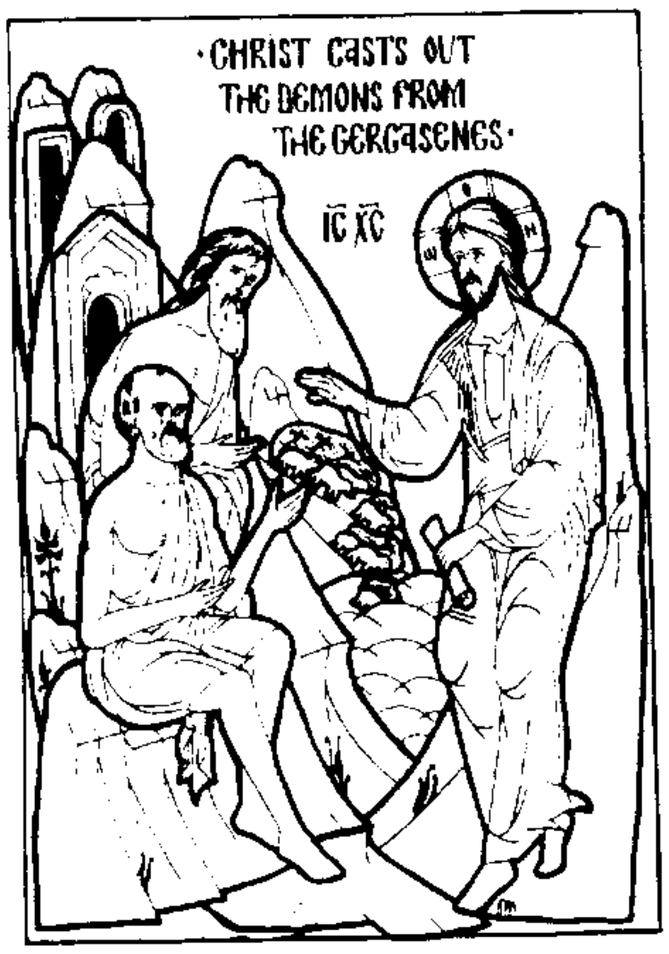

١٠– **الرب يسوع يشفي المجانين:** الرب يسوع شفى أخرساً ممسوساً (متى ٩: ٢٢–٢٣)، وممسوساً أعمى وأخرس (متى١٢: ٢٢)، وشفى الابن الممسوس المصروع (متى ١٧: ١٤–١٨)، الخ. الإنسان الممسوس (المجنون) لأي سببٍ هو إنسان غير متمالك لقواه العقلية. رغم ذلك، لم يمتنع الرب عن شفاء المجنون بحجة أنه لا يعي ولا يفهم ولا يعرف، الخ. الأطفال عند معموديتهم هم غير ناضجين عقلياً، ولا يعون أو يفهمون أو يعرفون، ومع ذلك يولدون ثانية بالمسيح ولادة روحية (كما ولدوا من أمهاتهم ولادة أولى جسدية بدون وعيهم وإدراكهم وموافقتهم). فلو كان غياب الإيمان الواعي والعقلي الصحيح في الطفل سبباً للطعن بصحة معموديته، لما استطاع أن يخلَّص أي مختلٍ عقلياً لأنه لن يُعمَّد بحسب أعداء معمودية الأطفال! خاصة وأن الرب يسوع نفسه هو القائل: "من أفواه الأطفال والرضّع هيّأتَ تسبيحاً" (متى ٢١: ١٦).

١١– **هل يحتاج الأطفال إلى المعمودية المسيحية؟** عادةً مناوئو معمودية الأطفال يقولون إن الطفل لا يحتاج إلى مغفرة الخطايا إذ لا خطايا لديه، وبالتالي لا يحتاج إلى معمودية مسيحية إلا بعدما يكبر ويُخطىء. هذا الجهل باللاهوت المسيحي

فاحش. إن كان الطفل لا يحتاج إلى معمودية، فهذا يعني أنه لا يحتاج إلى الروح القدس لأنه بالمعمودية المسيحية يُعطى الروح القدس (أع ١: ٨) ، ولا يحتاج إلى الولادة من الماء والروح (يو٣: ٣ و٥)، وإلى الولادة من فوق وبالتالي لا يحتاج أن يرى ملكوت الله، لأنه بدونها لا يقدر أحدٌ أن يرى ملكوت الله (يو٣: ٥)، ولا يحتاج إلى دفن مع المسيح وقيامة معه (رو٦: ٣-٦؛ كول ٢: ١١-١٢)، ولا يحتاج إلى صلب إنسانه العتيق في المعمودية (رو٦: ٣-٦)، ولا يحتاج أن يلبس المسيح (غلا٣: ٢٧)، ولا يحتاج إلى الدخول إلى "جدّة الحياة" (رو٦: ٣-٦)، ولا يحتاج أن ينغرس في جسد المسيح، الكنيسة، ليصير عضواً فيه (١كور١٢: ١٣؛ أفسس٤: ٤)، ولا يحتاج إلى الخلاص (١بطر٣: ١٨). لاحظ أننا ذكرنا الكثير عن المعمودية و لم نذكر بعد غفران الخطايا. فإن كان الطفل جدلاً لا يحتاج إلى المعمودية لأنه لا يحتاج إلى غفران الخطايا، أفلا تكفي الأسباب السابق ذكرها لتجعل والديه يركضون به إلى جرن المعمودية "الرحم الثانية المولِّدة"؟! هل رأيتم كم يُخطىء الذين يحاربون معمودية الأطفال مهما كان سبب رفضهم هذا؟! رغم هذا كله، فالطفل يحتاج إلى مغفرة الخطايا. لا لأنه أخطأ[١٨]، بل لأنه مولود من آدم العتيق، وقد ورث عنه كل نتائج الخطيئة الجدّية الأولى (من ألم وعذاب وأهواء وتجارب وضعفات وموت، الخ....)[١٩]. فالخلاص ليس مسألة فطرية في الإنسان، والقداسة ليست مجرد امتناع عن ارتكاب الخطايا. هذا كان قبل المسيح. أما في المسيح فالإنسان مدعوٌ للقداسة والاتحاد بالثالوث القدوس، والتألّه ليصير "شريكاً للطبيعة الإلهية" (٢بطرس ١: ٤). هذا لن يحدث بدون ولادة جديدة وبدون اتحاد بجسد المسيح والغَرْف من النعمة.

١٢- توجد شهادات من الكنيسة الأولى (بوليكاربوس، أوريجنس، إيريناوس، هيبوليتوس، ترتليانوس) تشير بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى ممارسة الكنيسة

(١٨) الطفل يُخطأ، ولكن بدون معرفة. أما الملاك فلا يخطأ لا عن جهل ولا عن معرفة.
(١٩) راجع د. عدنان طرابلسي "وسقط آدم".

الأولى لمعمودية الأطفال بصورة لا تقبل الشك. أيضاً شواهد القبور من القرون الثلاثة الأولى تشير إلى معمودية أطفال كثيرين بأعمار مختلفة قبل رقادهم. (د. **عدنان طرابلسي)**

س ١٠٨ – هل الطفل الذي يموت قبل تعميده مدين[٢٠]؟

ج١٠٨ – الكنيسة مُلزمة بالمعمودية بحسب وصايا الرب: "مَن لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت السماوات" (يو ٣: ١٥)؛ مَن آمن واعتمد خلص، ومَن لم يؤمن يُدن" (مر١٦: ١٦)؛ "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩).

هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الطفل، وإن كان يبدو بريئاً بسبب عدم وعيه للخطيئة، إلا أنه غير متقدِّس بالنعمة لأن القداسة ليست مسألة فطرية موجودة فينا، بل تحتاج إلى جهاد متواصل بين الإرادة البشرية ونعمة الروح القدس، وكلاهما مفقود في الأطفال. لهذا فكل مولود بشر ينطبق عليه كلام داود النبي: "ها أنذا بالآثام حُبل بي، وبالخطايا ولدتني أمي" (مز٥١: ٥). فكل إنسان هو مولود في الخطيئة لأنه ابن آدم القديم. لهذا وإن كان الأطفال غير خاطئين بصورة شخصية لأنهم غير مدركين للخطيئة فيهم، إلا أنهم يولدون في الخطيئة ويحتاجون للمعمودية لينالوا القداسة والاستنارة والخلاص.

المعمودية هي الولادة الثانية، الروحية، من آدم الثاني، الرب يسوع له المجد. لهذا ففيها الخلاص والاستنارة والقداسة. لهذا فكل إنسان غير معمَّد هو إنسان غير مستنير. من هنا يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "الأطفال غير المعمَّدين لا يمجَّدون ولا يُعذَّبون، لأنهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدَّسين بالمعمودية، إلا أنهم لم يرتكبوا خطيئة شخصية، لذا فهم لا يستحقون كرامة ولا قصاصاً". وفي أفاشين العنصرة يقول باسيليوس الكبير إنه ما من انسان ناجٍ من الخطيئة ولو كان عمره يوماً واحداً.

(٢٠) راجع مقالة "الاطفال الذين يموتون بدون معمودية" للقديس غريغوريوس النيصصي في مجموعة الآباء.

ويرى المغبوط اوغسطينوس أن مثل هؤلاء الأطفال يكونون في حالة من حرمان من المجد والملكوت، لكنهم ليسوا في حالة عذاب ومرارة. إنهم في حالة وسطى، لكنهم ليسوا في مكان متوسط بين الملكوت وجهنم كفترة موقتة خلالها ينتقلون إلى الملكوت.

أما القديس غريغوريوس النيصصي فيرى أنهم ينالون حالة من البركة في السماء يمكنهم أن ينعموا بها (التعليم/الكلمة ٣٨). بينما يرى اوريجنس أن الكنيسة تعمّد الأطفال لمغفرة الخطايا، وأيضاً لكي يغسلوا في سر المعمودية الوسخ الجدّي؛ والأمر نفسه نراه لدى القديس كبريانوس.

من كل هذه الملاحظات نستنتج أن المعمودية ضرورية لكل إنسان بحسب الوصية الإلهية للقداسة والخلاص، وأننا، نحن البشر، مرتبطون بها، لكن الله له المجد غير مرتبط بها ويستطيع أن يخلّص مَن يشاء. لهذا تقدّم الكنيسة المعمودية، سر الولادة الثانية الروحية أو سر الخلاص، لكنها تترك لله وحده الحكم والدينونة. **(الأب منيف حمصي)**

س ١٠٩ – لماذا تعمّد السيد المسيح وهو البريء من الخطايا وما هي معاني معموديته؟

ج ١٠٩ – الله له المجد تجسّد فصار إنساناً كاملاً. يسوع المسيح، الإله المتجسد، هو ذروة محبة الله للإنسان وغايتها وخلاصتها. ففي يسوع: غير المنظور يصير منظوراً، وغير المدرك يصير مُدركاً، وغير المحدود يصير محدوداً، وغير الملموس يصير ملموساً، وغير المفهوم يصير مفهوماً. لهذا، بعد أن صار الله إنساناً، لم يعد شيء غير ممكن أو مستحيلاً أو حتى غريباً. وكما يقول الذهبي الفم: "لماذا تتعجّبون إذا تعطّف أيضاً ليعتمد ويأتي مع بقية خدمه؟ فإن الدهش يكمن في هذا الأمر الواحد: أنه، وهو الله، قد صار إنساناً؛ أما البقية بعد هذا كله فتتبع منطقياً"[٢١]. فكيف يولد الله إنساناً وهو خالق الإنسان؟ كيف يسكن تسعة أشهر في رحم إمرأة وهو غير المحدود الذي لا تسعه سماء أو أرض؟ كيف يولد إله الرحمة والخير في مذود للبهائم بعد أن ضاقت به الأرض؟ كيف تكون ولادة إله السلام والمحبة والرحمة ذريعة لقتل أطفال أبرياء؟ كيف يُحجَب اللاهوت في حفنة ترابية من الناسوت، من طبيعة بشرية؟ كيف يحفظ إلهُ الناموس فرائضَ الناموس وهو

(٢١) شرح إنجيل متى للذهبي الفم، الموعظة ١٢: ١، الجزء الأول، ص ١٣٣؛ (ترجمة د. عدنان طرابلسي).

خالق الناموس ووكلاء الناموس؟ كيف يُحصَى الله مع العبيد ويُهان ويُلطم ويُجلد ويُبصق عليه ويُضرب ويُصلب ويُقتل؟ إن آمنّا أن الله صار إنساناً، فكل شيء آخر صار سهل القبول ومنطقياً وممكناً. فلمَ لا يُختن مع شعبه ويعتمد معهم ويتألم معهم ويُصلب ويموت عنهم ليقوم ويُقيمهم معه؟!

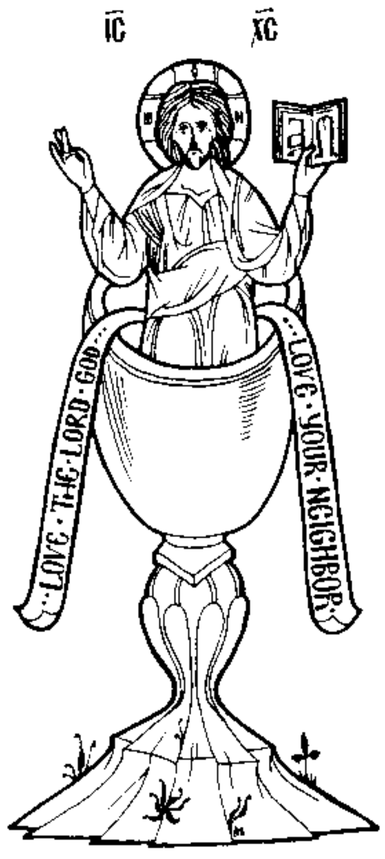

معمودية المسيح مذكورة في الأناجيل الأربعة (متى ٣: ١٣– ١٧؛ مرقس ١: ٩–١١؛ لوقا ٣: ٢١–٢٢؛ يوحنا ١: ٣٢–٣٤). لهذه المعمودية معانٍ عديدة. هذه المعاني ظهرت خلال معمودية السيد. لكن قبل كل شيء آخر، علينا أن نتذكر بأن معمودية يوحنا المعمدان كانت معمودية ماء فقط للتوبة، وليست معمودية بالروح القدس (كالمعمودية المسيحية) لغفران الخطايا ولحياة جديدة. الرب يسوع تنازل (كبقية سلسلة تنازلاته الإلهية منذ تجسّده) وتعطّف واعتمد من يوحنا المعمدان ليكون واحداً مع شعبه وليؤسّس سرّ المعمودية المسيحية التي فيها ينزل الروح القدس على المعتمد على غرار نزول الروح القدس على رأس المسيح في معموديته. إذاً لم يعتمد المسيح من المعمدان لأن المسيح كان بحاجة إلى هذه المعمودية أو لأنه بحاجة إلى التوبة وهو الذي لم يصنع خطية و لم يكن في فمه مكرٌ. لننظر الآن إلى عناصر معينة برزت أثناء معمودية السيد له المجد.

– يوحنا المعمدان رفض تعميد يسوع قائلاً: "أنا محتاج أن أعتمد منك وأنتَ تأتي إليّ؟ فأجاب يسوع وقال له: اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمّل كل برٍّ" (متى ٣: ١٤–١٥). إذاً، لم يعتمد الرب يسوع من المعمدان لأنه بحاجة إلى هذه المعمودية، بل لكي يكمّل كل برّ أتى به الناموس قبل الآلام والصلب والقيامة. أراد الرب أن يكون مثالاً لنا في كل شيء، فجاء وأكمل الناموس فأبطله وألغاه وأسّس بدلاً منه شريعة المحبة والحق والنعمة المجبولة بدمه: "لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٧). الرب يسوع أراد أن يتمّم الناموس لفترة معينة (قبل الصلب والقيامة) ليلغيه إلى الأبد. لهذا كان

جوابه للمعمدان: "اسمح الآن". لأنه لن يسمح أبداً بعد القيامة أن تكون لناموس موسى أية قيمة في خلاص الإنسان. هذا ما أكّده مجمع الرسل المنعقد في أورشليم.

– يوحنا المعمدان أشار إلى يسوع قبل أن يعمّده قائلاً: "أنا أعمّدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني.... هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار" (متى٣: ١١). إذاً بمقدار ما كان الفرق بين يوحنا المعمدان والرب يسوع، هكذا هو الفرق بين معمودية يوحنا (بماء للتوبة) والمعمودية المسيحية التي أسّسها الرب (بالروح القدس ونار لغفران الخطايا وحياة أبدية).

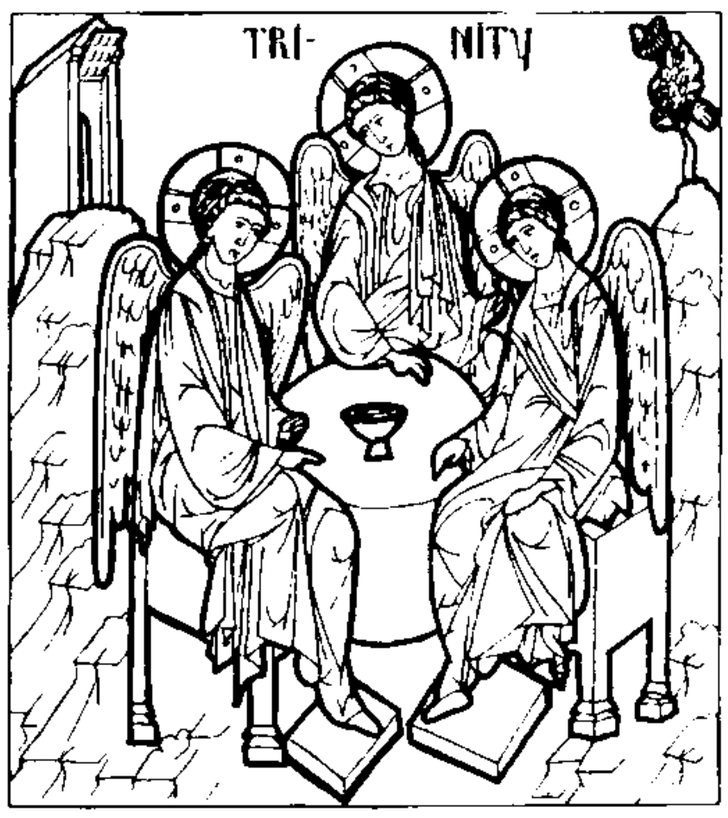

– عندما صعد يسوع من الماء بعد معموديته، انشقّت السموات ونزل روح الله مثل حمامة واستقر عليه. معمودية الرب تكشف لنا شيئاً من سرّ الثالوث القدوس له المجد. فالآب سُرَّ بالابن، والروح القدس صادرٌ من الآب ومستقرٌ في الابن[٢٢]. الكنيسة المسيحية فهمت دائماً أن معمودية المسيح هي عيدٌ لظهور الثالوث القدوس له المجد. هذا الظهور الثالوثي يحدث وإن يكن بطريقة غير منظورة في كل معمودية مسيحية تتم باسم الثالوث القدوس له المجد. وكما يقول الذهبي الفم: نزل الروح القدس على السيد أثناء معموديته ليعلّمكم أنه ينزل أيضاً على المعتمد باسم الثالوث القدوس. والذهبي الفم يعلّق على نزول الروح القدس على المسيح بأن الروح القدس نزل ليشهد على صحة قول المعمدان: هذا هو حمل الله... وليدل على أن المسيح وحده يمكنه أن يغفر خطايا العالم كله. يقول الذهبي الفم: "والبرهان هو أنه ابن الله، وأنه لم يحتاج إلى المعمودية، وأن غاية نزول الروح القدس كانت فقط التعريف بالمسيح". بالحقيقة، المسيح لم يحتاج إلى المعمودية... بل المعمودية (احتاجت إلى) قوة المسيح. (شرح يوحنا؛ موعظة ١٧: ٢).

– معمودية المسيح تشير أيضاً إلى آلام المسيح. فالآب يقول: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ" (متى٣: ١٧). المزمور الثاني يقول: "... قام ملوك الأرض وتآمر

(٢٢) ما ظهر لنا في لحظة زمنية معينة وهي لحظة معمودية المسيح هو حادث سرمداً. فالآب دائماً مسرورٌ بالابن، والروح القدس دائماً صادرٌ من الآب، ومستقرٌ في الابن. ما حدث في مشهد معمودية المسيح كان لفائدة الإنسان.

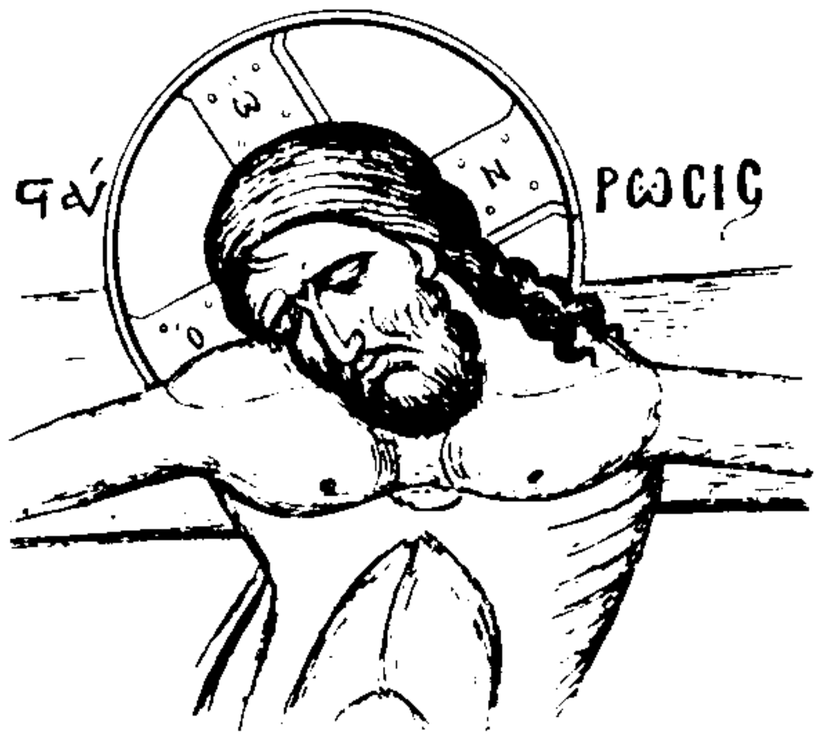

الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه.. إني أخبّر من جهة قضاء الرب، قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك". (مز٢: ١–٢ و٧). هذا المزمور مع أشعيا "هوذا عبدي الذي أعضده.." (اشع ٤٢: ١) يشيران إلى أن يسوع هو ابن يهوه وعبده المتألّم معاً. ففي معمودية يسوع نرى أن يسوع هو نفسه ابن الله الحبيب الذي يستقر فيه الروح القدس وهو أيضاً عبد يهوه المتألّم والمضطَهد[٢٣]. هذه العلاقة بين البنوّة والتألّم هي علاقة صميمية. فابن الله هو نفسه عبده المتألّم لخلاص العالم، وهو نفسه "حمل الله الذي رفع خطية العالم" كما قال المعمدان عن يسوع (يو١: ٢٩). إذاً لا يمكن الفصل بين المعمودية المسيحية، والظهور الثالوثي فيها، وآلام المسيح وصليبه، وموته وقيامته. هذه المعاني للمعمودية لخّصها الرسول بولس قائلاً: "أم تجهلون أننا كلَّ مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة" (رو٦: ٣–٤). **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١١٠– ما هي الولادة الجديدة أو الثانية وهل هي موجودة في الكنيسة الأرثوذكسية كما في الكنائس البروتستانتية؟

ج ١١٠ – رفض البروتستانت لمعاني المعمودية المسيحية (بأنها ولادة جديدة ويحلّ فيها الروح القدس وتغفر الخطايا، الخ..) جعلهم يبتدعون طرقاً جديدة مبتكرة للولادة الجديدة أو الثانية أو الروحية.

"الولادة الثانية" أو "الولادة الجديدة" مذكورة ثلاث مرات في العهد الجديد. مرتان منهما في حديث الرب يسوع مع نيقوديموس: "الحق الحق أقول لك: إن كان أحدٌ لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو٣: ٣). "الحق الحق أقول لك: إن كان أحدٌ لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح روح هو. لا تتعجّب أني قلتُ لك ينبغي أن تولدوا من فوق"

(٢٣) راجع الجزء الثالث من شرح إنجيل متى للذهبي الفم (دراسات كتابية).

(يو٣: ٥–٧). من هذا الحديث نرى أن الرب قد أظهر أن الولادة الثانية هي "ولادة من فوق"، وأنها "ولادة من الماء والروح"، فهي "روحية" وبالتالي هي ولادة ضرورية لأنه بدونها لا يرى الإنسان ملكوت الله. الولادة الوحيدة التي من "الماء والروح" في العهد الجديد هي المعمودية. هذا ما يردّده بولس الرسول ثانية في رسالته لتلميذه تيطس عندما يربط الغسل بتجديد الروح القدس: "غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تيطس ٣: ٥). يمكن للقارىء أن يراجع السؤال المتعلق بمعاني المعمودية (السؤال الأول في هذا الفصل). بولس الرسول شرح قول الرب عن المعمودية قائلاً: "أم تجهلون أننا كلَّ مَن اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة. لأنه لإن كنّا قد صرنا متّحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطَل جسد الخطيّة كي لا نعود نُستَعبد أيضاً للخطيّة" (رو٦: ٣–٦). إذاً: الولادة الثانية أو الجديدة أو الروحية هي الولادة الحاصلة بالمعمودية بحسب العهد الجديد.

من جهة أخرى يذكر بطرس الرسول الولادة الثانية مشيراً إلى عمل المسيح الخلاصي: "مولودين ثانية لا من زرعٍ يفنى بل مّما لا يفنى، بكلمة الله الحيّة الباقية" (١بطر ١: ٢٣). هنا يتحدث الرسول عن السيرة المسيحية التي على المسيحي أن يتحلّى بها، ويحضّ كل مسيحي أن يسلك في جدّة الحياة بما يليق بها من أخلاقٍ مسيحية لأنه وُلد من زرعٍ لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية.

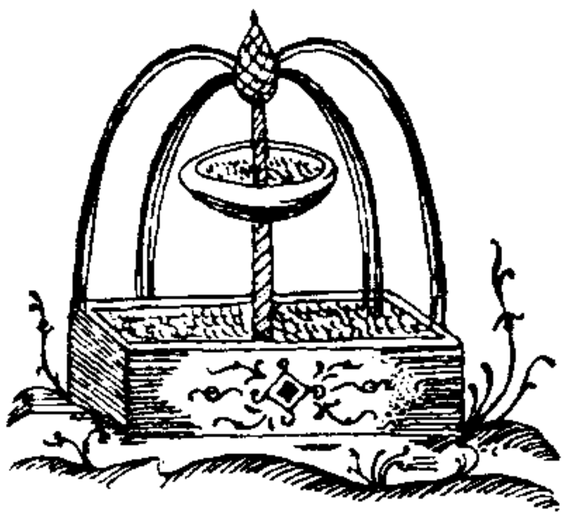

لهذا، الولادة الثانية، الروحية، بالمفهوم الأرثوذكسي هي الولادة الحاصلة بالماء والروح أي بالمعمودية المسيحية كما يقول الكتاب. نحن وُلدنا روحياً بالمعمودية، لكن هذه الولادة لا تضمن لنا خلاصاً سحرياً كما يفهمه البروتستانت، وإلا لما كان العهد الجديد في كل صفحة من صفحاته يحوي حضّاً متواصلاً للمسيحيين على العيش بالبر والتقوى وبما يليق بنعمة الخلاص التي نالوها. فلو كانت الولادة الروحية ضمانة للخلاص لما احتاج المسيحي للتوبة بعدها ولا للجهاد "ضد الخطيئة حتى الدم" كما يقول بولس الرسول.

المعمودية تحدث مرة واحدة لأنها الولادة الروحية الواحدة، لكننا نحتاج إلى توبة يومية متواصلة لأننا نخطىء بصورة متواصلة. التوبة في الأرثوذكسية هي ولادة متواصلة

في المسيح. ولادتنا الروحية مبنية على عمل المسيح الخلاصي: على تجسده، صلبه وموته وقيامته. لنا رجاء حي راسخ بأننا إذا بقينا أمناء للمسيح حتى اللحظة الأخيرة من حياتنا فالرب لن يتركنا نهلك. خلاصنا يبدأ بالمعمودية الولادة الروحية، الولادة الجديدة، لكنه لن يصل إلى الملء إلا يوم القيامة في ملكوت السموات. آنئذ سنحصل على ملء التبنّي بالمسيح ونصير أولاداً له. أما الآن فبالمعمودية نحصل على عربون التبّني وعربون الخلاص الكامل. لهذا يصرخ بولس الرسول قائلاً: "فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخّض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقّعين التبنّي فداء أجسادنا، لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ما ينظره أحدٌ كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر. وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا" (رومية ٨: ٢٢– ٢٦). هذا النص قوي جداً: حتى بعد معموديتنا وولادتنا الثانية الروحية ما زلنا تحت التجربة وفي الجهاد ولنا ضعفات كثيرة. لهذا لا يمكن التباهي بأننا مولودون ثانية (على الطريقة البروتستانتية) وكأننا صرنا في الملكوت السماوي ونحن مازلنا على الأرض نخطىء يومياً. على الأقل هكذا يفهم الرسول بولس الولادة الثانية الروحية وليس على الطريقة البروتستانتية!

من ناحية أخرى، لو كان المفهوم البروتستانتي للولادة الثانية صحيحاً (بمجرد القبول الشخصي للإيمان بيسوع المسيح) فهذا يعني أن المعمداني والأنكليكاني وشهود يهوه والمورموني و..و... كلهم قد وُلدوا ثانية بالمسيح لأن كل واحد منهم قد قبل المسيح مخلِّصاً شخصياً على الطريقة البروتستانتية. لو كان المسيح قد ولَدَ كلَ واحد من هؤلاء لكان هؤلاء أخوة بالمسيح. والأخوة بالمسيح يؤمنون إيماناً واحداً. الواقع هو أن هؤلاء الفرق تؤمن إيماناً مختلفاً جداً، إحداها عن الأخرى، بصورة كبيرة.

لا نضلّ يا أخوة. الولادة الثانية الوحيدة المذكورة في العهد الجديد هي المعمودية المسيحية. بها نولد أطفالاً ننمو بنعمة الروح القدس ومحبة القديسين حتى نبلغ إلى قامة ملء المسيح. ونحن لم نبلغ هذه القامة بعد. يقول يوحنا: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من رجلٍ بل من الله" (يو ١: ١٢–١٣). إذاً، الذين قبلوا يسوع المسيح أعطاهم الله سلطاناً أي إمكانية أن يصيروا أولاد الله. هل هم أولاد الله؟ طالما نُخطىء فلم نصر

أولاد الله بصورة كاملة لأن أولاد الله لا يرتكبون الخطيئة. نحن إن صحّ التعبير أطفال الله لأن الطفل يُخطىء. لكن المسيح يريدنا أن ننمو فيه حتى نصير رجالاً بالروح. آنذاك، عندما نبلغ النهاية يوم الدينونة وإن بقينا أمناء له، عندئذ نصير أولاد الله بالكامل ولا نعد نخطىء (كما أن الملائكة لا تخطىء الآن). عندئذ، لا نستطيع القول آنئذ إننا بالرجاء خلصنا، لأننا قد بلغنا ملء الخلاص فينتهي الرجاء[٢٤]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١١١ – هل يمكن إعادة المعمودية كما تفعل بعض الفئات "المسيحية" الأخرى؟

ج ١١١ – في الإصحاح ٤ من أفسس ودستور الإيمان المعمودية واحدة. ولكن تُعاد معمودية الذين اعتمدوا لدى شهود يهوه والمورمون وأضرابهم لأن معموديتهم ليست بمعمودية مسيحية. أما الأرثوذكس الذين انضمّوا إلى هؤلاء وأضرابهم ثم عادوا تائبين فيُمسحون بالميرون المقدس، لأن المعمودية ولادة والولادة لا تُعاد. وكذلك الذين يكفرون بعد الإيمان يُمسحون بالميرون المقدس.

المعمودية الصحيحة تتم على يد كاهن قانوني. فبدون كاهن قانوني لا تصح. الكنائس الأرثوذكسية مبلبلة. بعضها يعيد المعمودية. بعضها يمنح الميرون. القسطنطينية تعترف بكهنوت الأنكليكان[٢٥]. في بلادنا فوضى. الأفخولوجي الكبير عيّن طرق قبول أبناء الطوائف الأخرى في الكنيسة الأرثوذكسية. هو متأثّر بالأفخولوجي الروسي. لا أعرف مضمون الأفخولوجيات الأخرى. **(اسبيرو جبور)**

س ١١٢ – ما هو دور العرّاب في المعمودية وكيف يجب اختياره وما هي صفاته؟

ج ١١٢ – العرّاب، بالنسبة للطفل المعتمد، هو المرشد إلى الإيمان. فهو يتعهّد الطفل أمام الكنيسة (جماعة المؤمنين)، وذلك بقصد أن يساعده على اكتشاف ما يعجز عنه بداعي طفولته. من هنا، فالعراب الحقيقي هو الأساس الحي للأبوّة الروحية في الكنيسة.

---

(٢٤) راجع السؤال ١٦١ المتعلق بالخلاص ومفهومه بين الشرق والغرب.

(٢٥) ربما بتأثير ميتاكساكيس الماسوني. بصورة عامة لا تعترف الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية بكهنوت الأنكليكان لانعدام أي تسلسل رسولي لكنيستهم. هذا يظهر واضحاً في قبولهم لكهنوت المرأة ولرسم كهنة لواطيين وكاهنات سحاقيات (المحرّر). راجع د. عدنان طرابلسي: الحوار المسكوني بين الكنائس.

العراب مسؤول أمام الله والكنيسة عن حياة الطفل الروحية، وعن نموّه في الروح. وهكذا نفهم أن العراب ليس فقط ذلك الإنسان الذي يحمل الطفل في المعمودية، وفي النهاية يزيّن يده بقطعة من ذهب. إنه المسؤول عن تحريك خميرة الإيمان في الطفل، فيساعده على تعهّد نفسه لاحقاً وذلك كي يكون لربه الذي خلقه.

ما هي صفات العراب؟

ينبغي أن يكون للعراب إيمان الجماعة نفسها (الطائفة نفسها) التي ينتمي إليها الطفل، وذلك لأنه سيرشده روحياً، ولا يمكن أن يُسمَّى عراباً إن لم يكن هكذا.

يقوم العراب مقام الأب في حال التقصير بحق الطفل، حتى إنه يتعهده مادياً إذا بدا التقصير والعجز لدى الأهل.

العراب هو بالمعنى العميق الأساس الذي تُبنى عليه الأبوّة الروحية. لهذا يجب أن تتوفر في العراب صفات الإيمان المسيحي والعمق الروحي.

يصبح العراب قريباً بالروح للطفل المعتمد، وبالتالي لا يجوز له أو لأقرباء العراب من درجة معينة أن يتزوجوا من الطفل المعتمد. (راجع كتاب مجموعة الشرع الكنسي، ص ٩٢٩). **(الأب منيف حمصي)**

س ١١٣ – توجد أمور كثيرة أثناء إقامة سر المعمودية الإلهية لا نعرف معناها أو دلالاتها، مثل: قص الشعر وحمل الشموع والرداء الأبيض، والدورة حول جرن المعمودية في طقس المعمودية، الخ؟ هل يمكنك إيضاح ذلك؟

ج ١١٣ – سرّ المعمودية الإلهية هو سرّ الولادة الثانية الروحية التي يصير فيها المعتمد مسيحياً وعضواً في جسد المسيح بعد أن تتجدّد طبيعته البشرية القديمة (آدم القديم) وينال مغفرة الخطايا. في المعمودية تتجدّد فيه الصورة الإلهية المهشَّمة بالخطيئة فتلمع فيه ويشعّ المعتمد بنور الثالوث القدوس له المجد الذي يعتمد باسمه فيستنير بالنعمة الإلهية غير المخلوقة. هذه المعاني كلها وسواها نجدها في ليتورجيا المعمودية وطقسها. من هنا أهمية معرفة معاني هذا الطقس. من هذه المعاني:

جرن المعمودية: هو في عُرف الآباء الرحم الروحية التي تلد المسيحي. فالمعمودية هي الولادة الثانية أو الولادة الروحية وجرن المعمودية يدلّ على هذا. فهو رحم ولادة على صورة قبر المسيح للدلالة على ارتباط المعمودية بدم المسيح. فالروح القدس يغسل الخطايا في المعمودية بدم المسيح، ولولا الصلب والدفن والقيامة لما كانت المعمودية المسيحية. وكما خرج الدم والماء من جنب السيد وهو معلَّقٌ على الصليب يوم الجمعة العظيم معيداً جبل آدم العتيق إلى آدم جديد، هكذا يجدّدنا دم المسيح وماء المعمودية فنولد خليقة جديدة في المسيح يسوع.

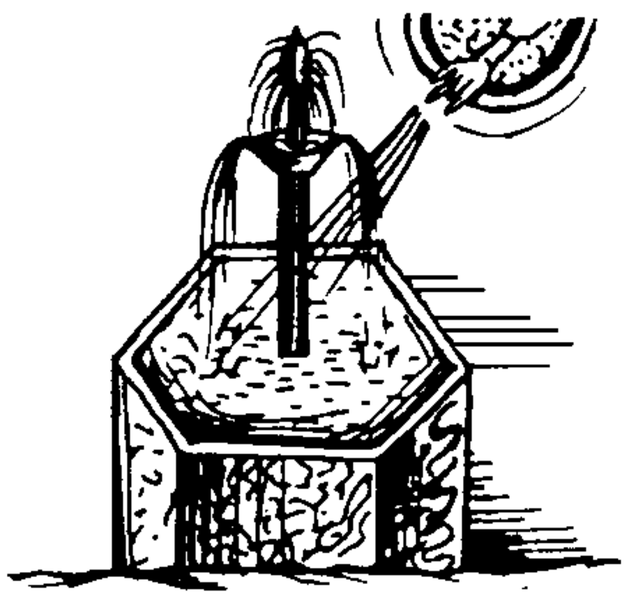

الماء: قبل خلق آدم كان روح الله يرفّ على وجه المياه، وفي الأصل العبري "يحتضن المياه". ومن المياه خرجت الكائنات الحية. وفي جرن المعمودية يحتضن الروحُ القدس الماءَ فيمنحه قوةَ التوليد. ماء المعمودية إذاً يدلّ على أن المعمودية هي ولادة ثانية (روحية) مثلما يولد الإنسان من بطن أمه ولادة أولى جسدية وهو مُحاطٌ بالماء. أيضاً المياه تدلّ على مغفرة الخطايا الحادث بالمعمودية لأنها غسل للروح ورحض للخطايا. يقول القديس الذهبي الفم: "عندما تأتي إلى سرّ (المعمودية) المقدسة، عيون الجسد ترى المياه، وعيون الإيمان تعاين الروحَ. ترى تلك العيون الجسدَ الذي يعتمد؛ ترى هذه الإنسانَ القديم وهو يُدفن. عيون الجسد ترى الجسدَ وهو يُغسل؛ وعيون الروح ترى الروحَ وهي تتنقّى. عيون الجسد ترى الجسدَ بازغاً من المياه؛ عيون الإيمان ترى الإنسان الجديد يبزغ مشعّاً بتلك التنقية الجديدة. عيوننا الجسدية ترى الكاهنَ من أعلى وهو يضع يمناه على الرأس ويلمس (المعتمد)؛ عيوننا الروحية ترى الكاهن الأعلى (يسوع) وهو يمدّ يده غير المنظورة ليلمس رأسه. لأن الذي يعمِّد، في تلك اللحظة، ليس إنساناً بل ابن الله الوحيد".

عري المعتمد: يُعمَّد الطفل أو الموعوظ وهو عارٍ للدلالة على أن المعمودية هي الولادة الثانية والتي بها نولد عارين من جرن المعمودية، "رحم الله". أيضاً خلع الملابس القديمة كلها يرمز إلى خلع خطايانا ونزع آدم العتيق للبس آدم الجديد.

المسح بالزيت: يُمسح المعتمد بزيت الزيتون قبل المعمودية في أماكن معينة من الجسم (اليدين، القدمين، الأذنين، الفم) لتهيئة المعتمد لقبول المعمودية ولتكريسه لخدمة المسيح

كما كان يُمسح الجندي (والمصارع) قديماً بزيت لكي لا يُمسك به أعداؤه.

الغطس الثلاثي: التغطيس في ماء المعمودية يدلّ على الموت مع المسيح، والبزوغ من مياه المعمودية يدل على القيامة بالمسيح. يقول الذهبي الفم: "إن عمل النزول في المياه ومن ثمّ البزوغ منها ثانية يرمزان إلى نزول المسيح إلى الجحيم وعودته من الجحيم ثانية".

الملابس الجديدة: ترمز إلى الحياة الجديدة التي ننالها بعد أن دُفنا مع المسيح بالمعمودية للموت (رو٦: ٤). قديماً كان المعتمدون يلبسون ثياب المعمودية الجديدة طوال أسبوع التجديدات (التالي لأسبوع الفصح) بعد أن كانت المعمودية تتم يوم سبت النور العظيم (السابق لأحد الفصح). الملابس البيضاء ترمز إلى غفران الخطايا الحادث بالمعمودية. هنا يصير المعتمد على صورة المسيح المتجلّي، لا بل يلبس المسيح بالمعمودية (غلا ٣: ٢٦-٢٧). القديس غريغوريوس النيصصي يقول إن الرداء الأبيض الذي يُلبس بعد المعمودية يرمز إلى رداء النورالذي كان رداء الإنسان قبل السقوط: "لقد طردتنا من الفردوس ودعوتنا ثانية؛ لقد نزعتَ أوراق التين، الذيَ هو رداء خزينا، وألبستنا مرة ثانية رداء المجد". يقول سفر الرؤيا: "مَن يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة" (رؤ٣: ٥).

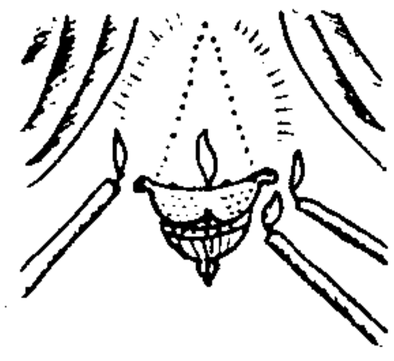

الشموع: المعمودية هي سرّ الدخول إلى النور وحياة النور. فهي استنارة. والمعتمدون حديثاً يشعّون بالنور الإلهي. إنها تفتح عيون النفس لرؤية المسيح الذي هو نور العالم (يو ١: ١٩). في الكنيسة الأولى كان المعتمد يحتفظ بشمعته ويحضرها معه إلى الكنيسة أيام الأعياد والمناسبات ويوم ذكرى معموديته. وإن تزوج المعتمد كانت شمعة معموديته نفسها هي المستعملة خلال سرّ الزواج. وعند حلول ساعة الرحيل عن هذا العالم، كانت الشمعة نفسها تُشعل. هكذا تكون شمعة المعمودية تذكاراً دائماً للمعتمد على التزامات معموديته.

قصّ الشعر: يُقصّ شعر المعتمد بعد مسحه بالميرون المقدس (حلول الروح القدس عليه بملء مواهبه ونعمه). العادة أن تُقص ثلاث خصل من الشعر دلالة على امتنان المعتمد لنعمة الله الفائقة المُعطاة بالمعمودية والميرون وللدلالة على تكريس المعتمد لله قوته والتي يرمز إليها شعره كما في حالة شمشون. قصّ الشعر يدل أيضاً على تكريس حياة التضحية والعطاء بكاملها (كما في حالة تكريس الراهب أو الراهبة).

الدورة حول جرن المعمودية: في القديم كان سرّا المعمودية والميرون يتمّان في مكان خاص بهما، ومن ثم يقود الكاهن المعتمدين وهم يرتدون الملابس البيضاء ويحملون الشموع المشتعلة إلى أمام الهيكل لكي يتناولوا من القربان المقدس. يرتّل الجميع أثناء الدورة: "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم، هللويا"، للدلالة على أن المعتمد والممسوح بملء الروح القدس قد صار عضواً كاملاً في الكنيسة جسد المسيح وبالتالي صار من حقه وواجباً عليه أن يتقدم للإشتراك بالقربان المقدس، المائدة الفصحية. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١١٤ – هل يجب أن تكون المعمودية بالتغطيس أم بالرشّ بالماء؟

ج ١١٤ – لقد تسلّمت الكنيسة منذ العهد الرسولي أن المعمودية تكون بالتغطيس لا بالرش، ويكون التغطيس ثلاث مرات، وذلك على اسم الآب والابن والروح القدس.

والمعمودية تكون بالتغطيس، إشارة إلى موت المسيح ودفنه وقيامته. بهذا الصدد يقول القديس باسيليوس الكبير: "بالمعمودية يتصوّر رسم الموت" (في الروح القدس). والأمر نفسه يقوله الذهبي الفم في تفسيره لإنجيل يوحنا (الموعظة ٢٥: ٢). كذلك فعل القديس أمبروسيوس أسقف ميلان (في كتاب الأسرار ٢: ٧).

ماذا يقول العهد الجديد بهذا الصدد؟

نسمع في متّى ما يلي: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء" (٣: ١٦). فلو كانت المعمودية بالرش، لماذا كان يوحنا المعمدان يعمّد الناس بالنهر؟ كذلك فإن الرسول فيلبس عمّد خصي كنداكة بالتغطيس لا بالرش، فقد ورد في سفر أعمال الرسل: "فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء، فيلبس والخصي، فعمّده.ولما صعد من الماء، خطف روح الرب فيلبس، فلم يبصره الخصي" (أعمال٨: ٢٦– ٣٩). وهنا نستطيع أن نذكر أمرين. أولاً: حادثة معمودية الآلاف يوم العنصرة (أعمال٢: ٤١). يستحيل أن نتصور أن معمودية هؤلاء كانت بالرش. ثانياً: هناك معمودية ليديا وأهل بيتها، والسجّان وأهل بيته (أعمال١٦: ١٥). ومن المستغرب أيضاً أن تكون هذه المعموديات قد تمّت بالرش، رغم أن الكتاب لا يذكر لنا كيف حصلت، فهي ينبغي أن تكون على غرار ما حصل لخصي كنداكة (أعمال ٨: ٢٦– ٣٩). بالإضافة إلى ذلك هناك صورة المعمودية بالتغطيس، أشار إليها

القديس بولس عندما قال: ".. واعتمدوا لموسى في السحاب" (١كور ١٠: ١–٢)، وأيضاً حادثة عبور البحر الأحمر (خروج). كذلك يؤكد بولس أن المعمودية بالتغطيس لا بالرش، وذلك عندما يقول: ".. لا بأعمال عملناها، بل بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس" (تيمو٣: ٥). وحنانيا أيضاً أشار إلى المعمودية بالتغطيس عندما قال: "قم واعتمد وأغسل خطاياك وأدعُ باسم الرب" (أعمال٢٢: ١٦. راجع أيضاً ١بطرس٣: ١٨–٢١ وأف٥: ٢٦). ثم إن المعمودية هي من فعل baptiso الذي يعني "يصبغ أو يصطبغ". فالذي يصبغ قطعة قماش لا يرشها باللون المطلوب وحسب، بل ينقعها فيه ليوم أو أكثر. كذلك فإن القديس يوحنا الذهبي الفم يسمّي المعمودية حمّاماً (loutro) بحيث إن مَن يريد أن يتنقّى، لا يرش نفسه بالماء بل يخلع ثيابه وينظّف كامل جسمه. كذلك فإن القديس يوستينيوس الشهيد يسمّي المعمودية حمّاماً (احتجاج٧، ص ٧٩). أما القديس كيرللس الأورشليمي فيقول لمَن يعتمد إنه يجب أن ينغمر بالماء (عظة ٢١٣).

الكنيسة الغربية هي التي أوعزت بالرش لا بالتغطيس، رغم أن أحواض المعمودية ما تزال تشهد، في روما، على أن الممارسة القديمة كانت تقتضي النزول إلى الماء، حيث نجد عند أطراف الأحواض درجاً يتم استعماله للنزول إلى الماء. وإذا افترض البعض أن المعمودية بالتغطيس كانت أمراً يستحيل على المقعدين، وهذا ما ذكره لنا أيضاً ترتليانوس (في التوبة، فصل ٦)، وأيضاً أفسابيوس (٦: ٣)، فالاستثناء لا يغيّر القاعدة، ولا يلغيها، لا من جهة الكتاب المقدس، ولا من جهة الممارسة الكنسية، ولا من جهة الآثار الكنسية القديمة القائمة إلى اليوم. **(الأب منيف حمصي)**

س ١١٥ – متى يستطيع العلماني أن يعمّد طفلاً ما وكيف يقيم المعمودية؟

ج ١١٥ – لا يستطيع العلماني أن يعمّد، إنما في حالات الخطر الكبرى يستطيع أن يعمّد المدنف المشرف على الموت بالماء رشّاً. إن شفاه الله وجب استدعاء الكاهن لتتميم المراسيم وفق ما هو مدوَّن في كتاب "الافخالوجي". **(اسبيرو جبور)**

س ١١٦ – ما هو موقف الشهداء الذين ماتوا من أجل المسيح قبل أن يعتمدوا؟

ج ١١٦ – المعمودية هي اشتراك في حياة المسيح وفي موته ودفنه وفي قيامته. فالذين

ماتوا من أجل المسيح قبل معموديتهم قد استحمّوا بالدم والروح القدس بدلاً من الماء والروح القدس، وبهذا يكونون قد اشتركوا في آلام السيد له المجد. لهذا يوجد في الكنيسة ما يُسمَّى بمعمودية الدم. لقد رأى بعض الشهداء المسيحيين أن معمودية الماء بالنسبة إليهم هي حافز إلى معمودية الدم حتى إنهم كانوا يطالبون من قلب الماء أن ينعموا بآلام السيد.

بهذا المعنى قال القديس هيبوليتوس: إذا مات الموعوظ من أجل المسيح قبل أن يعتمد، فإنه يُدفن مع الشهداء لأنه اعتمد بدمه من أجل الرب. (قانون١٩: ١٠١). ففي السِلْم نعتمد بالماء، وفي الشهادة للرب نعتمد بالاستشهاد. لهذا قال الرب: "أتشربان الكأس التي أشربها أنا، وأن تعتمدا بالمعمودية التي أعتمد بها أنا؟" (مر ١٠: ٣٨). **(الأب منيف حمصي)**

سر مسحة الميرون المقدس

س ١١٧ – ما الفرق بين المسحة بزيت الميرون والمسحة بغيره من أنواع الزيت؟

ج ١١٧ – المسح بزيت الميرون المقدس هو البديل عن وضع أيدي الرسل على المعمودين لنيل الروح القدس. يمسح الكاهن أعضاء جسم الإنسان: "ختم موهبة الروح القدس". الميرون المقدس يعطينا نعمة خاصة لنمو المعتمد في يسوع المسيح. قال كاباسيلاس: المعمودية ولادة في المسيح، الميرون نمو هذا المولود بفعل الروح القدس، والخبز والخمر هما طعام وشراب هذا المعمود. أما مسحة الزيت العادية فهي للمرضى. يصلّي الكاهن عليهم ويمسحهم. وهناك مسحة بالزيت قبل المعمودية[٢٦]. **(اسبيرو جبور)**

(٢٦) راجع اسبيرو جبور: "المزيّفون".

س ١١٨ – إن كانت الريح تهبُّ حيث تشاء فلماذا كان حلول الروح القدس على المسيحي مرتبطاً بالمسح بالميرون المقدس؟

ج ١١٨ – "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَن وُلد من الروح" (يو٣: ٨).

التركيز في النص على روحانية الحدث. فالولادة روحية نحسّ بها ولكننا لا نلمس الروحَ القدس. في خدمة القداس نقول: "أيها الرب يسوع المسيح إلهنا، أصغِ من مسكنك المقدَّس... والحاضر ههنا معنا غير منظور". فالروح القدس يحلّ في الأسرار المقدسة بواسطتها. الأسرار هي أقنية الروح القدس. هناك كلمة ليسوع تتعلق بجذب الآب الناسَ إليه. هذه العناية الإلهية لا تعني انسكاب الروح القدس. نحن نعرف من الآباء القديسين أن العهد القديم خلا من التألّه لأن الروح القدس لم يكن بعدُ قد أُعطي (يو٧: ٣٧–٣٩)، أي إن العنصرة لم تكن قد حلَّت. وفي كتابنا "معنا هو الله فانهزموا" و"المواهب الإلهية" نصوص آبائية عديدة. ويقولون فيها الروح القدس كان يأتي الأنبياء من الخارج فلا يحلّ فيهم شخصياً. الحلول الشخصي تمَّ في العهد الجديد فسكن النورُ في قلوبنا. (راجع ٢كور٤). (اسبيرو جبور)

سر الشكر الإلهي (الافخارستيا)

س ١١٩ – ما هو الأساس الكتابي لمفهوم تحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه؟ لماذا تعتقد الفئات الإنجيلية بأن ما نتناوله إنما هو رمزٌ لجسد المسيح ودمه؟

ج ١١٩ – الرب يسوع قال إن الخبز والخمر هما جسده ودمه وإنهما مأكلٌ حقاً[٢٧]

(٢٧) كلمة "حقاً" اليونانية المستعملة في يوحنا ٦: ٥٥ تعني "بالفعل" "حقاً". يوحنا ٦: ٥٥ كُتبت بطريقة معينة لا تقبل معها المعنى المجازي أو الرمزي أو ..أو.. بل فقط وحصراً المعنى الحرفي. لهذا لا يمكن بأي شكل من الأشكال فهم كلام يسوع في يوحنا ٦: ٥٥ إلا بالمعنى الحرفي حصراً وإلا لانحرفنا عن معنى النص. "هذا الكلام صعب" (يوحنا ٦: ٦٠) حتى على الرسل قبل العنصرة. إنما هكذا فهمته الكنيسة وهكذا مارسته وهكذا تعلّمه، وما زاد أو نقص عن هذا فهو من الشرير. (المحرّر)

ومشربٌ حقاً (يوحنا ٦: ٥٥). وقال: "هذا هو جسدي وهذا هو دمي". والكنيسة مارست ذلك منذ عهدها الأول بلا انقطاع. فكلمة "حقاً" لا تحتمل المعنى المجازي أبداً. وبولس الرسول قال في كورنثوس الأولى إن القربان هو جسد الرب ودمه (١٠: ١٥-١٧ و٢١).

القديس يوحنا الدمشقي قال إن يسوع قام بمشوار فنزل وتجسّد ومات وقام وصعد لنفسه. ولكن في الأسرار صار قنية لنا ملكناها. بالأسرار التجسّد تغلغل فينا. بالعنصرة عاد يسوع إلينا بفعل الروح القدس. بدون الأسرار هذه علاقتنا بيسوع تبقى نظرية. الجديد في المسيحية هو ما قاله يوحنا فم الذهب: صار يسوع إيّانا لنصير إيّاه.

هذا يتم في الروح القدس بالأسرار والفضائل. لا كنيسة بدون هذا الواقع الأسراري. (اسبيرو جبور)

س ١٢٠ – كيف يتحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ويظلان رغم ذلك خبزاً وخمراً؟

ج ١٢٠ – يسوع قال: "هذا هو جسدي؛ هذا هو دمي". المسألة سرٌ من أسرار الإيمان غير خاضع للفهم العقلاني. المسيحية فوق العقل لأن الإيمان هبة من الروح القدس. بها نؤمن بيسوع وبأسراره، بالإيمان نسمو فوق العقل والحواس لندخل الغمام الإلهي.

في المطالبسي فم الذهب يقول: "هذا هو جسدك نفسه وهذا هو دمك عينه". غيرنا يقول تحت شكلَي الخبز والخمر، أو مناولة روحية من ورائها أو هما رمز جسد يسوع ودمه.... في يوحنا ٦ جسد يسوع مأكل حقاً ودمه مشرب حقاً. والحقيقي هو ضد الرمزي والمعنوي. كل تعليم فم الذهب وكيرللس الإسكندري عن القربان هو واقعي ملموس ومحسوس. الفصل النسطوري بين الطبيعتين وصل لدى غيرنا إلى القربان أيضاً.

الكاهن يقول في قداس الذهبي الفم" محوِّلاً إياهما بروحك القدوس". الروح القدس نفسه يحوّلهما.

يسوع أسَّس السر. الرسل مارسوه. الكنيسة تقلَّدته منهم. الخبز هو حقاً جسده. كيف هو خبزٌ وكيف هو جسده، فالأمر صليب للعقل. وعلّمنا بولس الرسول (١ كور

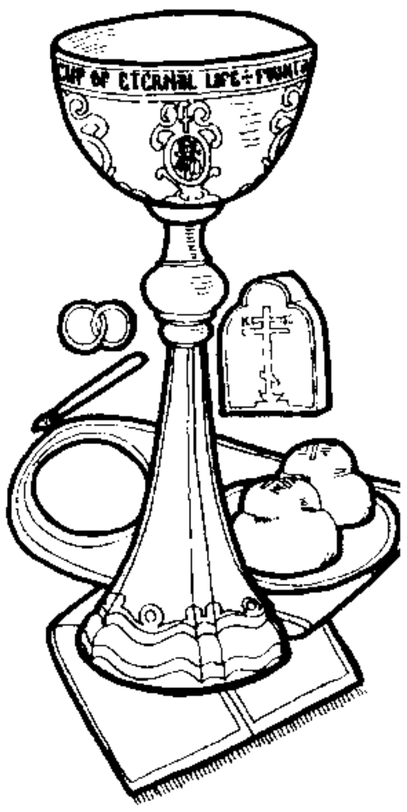

٢ و٣) أن الصليب صليب الحكمة، لا صليب الفلسفة. إيماننا هو حكمتنا الخلاصية. بولس الرسول استعمل عبارات خاصة: قلَّد الكورنثيين ما تقلَّده (١ كور ١١: ..٢٣.). من أين تقلّد هو الديانة؟ مطلع رسالته إلى غلاطية وسواه صريحان: تلقّى تعليمه من يسوع مباشرة بدون وساطة بشر. إيمانه بالخبز والخمر كجسد الرب والخمر كدمه أوضح من الشمس. (اسبيرو جبور)

س ١٢١ – لماذا لا توجد مناولة أولى عند الأرثوذكس؟

ج ١٢١ – من العنوان يتضح أن المناولة الأولى هي ما يُمنح للمرة الأولى، أعني بذلك أن الطفل عندما يكبر قليلاً، ويشتد عوده، ويصبح في سن يعي فيها كل ما يُعطى له، يذهب إلى الكنيسة بصحبة عدد كبير من رفقائه الذين هم في عمره، ويكون ذلك بلباس أبيض واحتفال خاص غرق كثير من عناصره في بحر الاستهلاك والإنفاق العالميين، فكم من أهل وأولياء قد أرهقهم الإنفاق على هذا الاحتفال حتى إن كهنة محسوبين على هذه الممارسة، أبدوا معالم الدهش والامتعاض من كل ما يجري.

ممارسة المناولة الأولى هي ممارسة الكنيسة الكاثوليكية اليوم التي تمتنع عن مناولة الأطفال بعد معموديتهم مباشرة، بل تؤجّلها إلى عمر لاحق بحجة بلوغ الطفل إلى مستوى معين من الوعي.

وهذه الممارسة غريبة عن كنيسة الألف الأولى للميلاد، لا بل تعود حصراً إلى مطلع القرن الثاني عشر[٢٨] لا أكثر، الأمر الذي يعني أن ممارسة الألف الأولى كانت بخلاف ما هي عليه اليوم من هذا القبيل. والسؤال المطروح على العقل اللاهوتي الغربي الآن هو التالي: إذا كانت المناولة، سر الشكر، تؤجَّل إلى سن التمييز، فلماذا لا تكون حال المعمودية هكذا؟ لماذا لا تُؤجَّل المعمودية أيضاً، بحيث يكون الوعي شرطاً لاقتبالها؟

في الحقيقة إن الوعي لا يؤخذ به عندنا على هذا الصعيد، فنحن، في الكنيسة الأرثوذكسية، لا نرى الوعي ضرورياً للدخول في الحياة الإلهية لأن أعمق القيم في الحياة

(٢٧) معجم Catholicisme يعترف أنها صارت رسمية في العام ١٢١٥ ويتمنّى العودة إلى مناولة الأطفال. في كراستنا "معمودية الأطفال والكنيسة الأولى" سيلٌ من المراجع. (اسبيرو جبور).

يبدأ إعطاؤها للإنسان قبل أن يبدأ الوعي حركته فيه. للوعي دور وقيمة، ولكن ليس على صعيد الدخول في الحياة الإلهية. للوعي دور بالغ الأهمية لاحقاً، وفيما بعد. وفي العادة، الألفة تسبق الوعي.

ونحن عندما نقبل الطفل في جرن المعمودية، بكلام آخر، عندما نعمّده، نمنحه سراً مثلث الشموس على نحو ما يقول القديس غريغوريوس بالاماس. نحن بعد المعمودية نعطي الطفل المعتمد سر الميرون المقدس، وسر المناولة الإلهية. وهذه الثلاثة نعاشرها ونتعايش وإياها منذ الطفولة. ولكن يبقى السؤال الكبير: هل نتعهّد الإيمان في أطفالنا؟ السؤال كبير، ونحن في أغلب الأحايين مقصرون ودون المطلوب، ولكن رغم عيبنا هذا، فإن الوعي ليس شرطاً عندنا للدخول في الحياة الإلهية. الوعي يصاحب أطوار الحياة ولا يسبقها، أو يأتي قبلها.

ومن ناحية أخرى، إن مناولة جسد المسيح ودمه هي الطعام الروحي الأهم في حياة كل مسيحي معتمد. هل يمكن منع الطفل المعتمد من تناول أهم طعام روحي بحجة أنه لا يعي هذا الطعام؟ وهل يعي الطفلُ الحليبَ الذي يُقدَّم له في شهوره الأولى؟! والسؤال الأخير المطروح هنا هو: أي سن هو سن الوعي الروحي الذي يسمح بمناولة الطفل المعتمد؟ خمس سنوات، أم سبع سنوات، أم تسع سنوات؟ أليس تقرير عمر النضج الروحي هو أمر اعتباطي، ويختلف بين طفل وآخر؟ **(الأب منيف حمصي)**

س ١٢٢ – ما المشكلة في استعمال الخبز المختمر أو الخبز الفطير "البرشان" في المناولة؟

ج ١٢٢ – درجت الكنيسة منذ البدء على استعمال الخبز المختمر في المناولة والخمر. في مرحلة ما قبل الانشقاق الكبير (١٠٥٤) استبدلت كنيسة روما الفطير بالخبز المختمر، فلامتها كنيسة القسطنطينية على هذا التبديل. أما البرشان ففطير بدون دم إلهي. يقدّس الكاهن الغربي فيستعمل برشانة كبيرة يتناولها وحده. ويتناول خمراً. ثم يخرج كأس

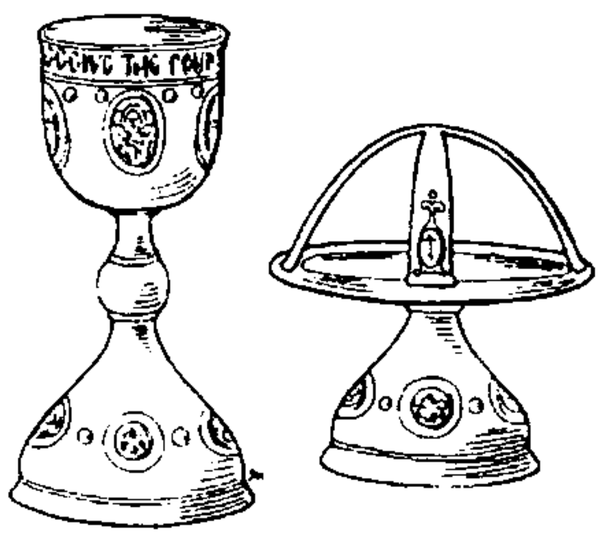

البرشان ليناول منها الشعب بدون أن تكون قد اشتركت في القداس ولا أدري متى قدّسها الكاهن. بولس الرسول (١كور ١٠: ١٧) علّمنا أننا نشترك في خبزة واحدة. فأين الخبزة الواحدة التي يشترك فيها الحاضرون؟ الأرثوذكسية ضد تبدّل الأمور في الكنيسة كما تتبدّل الأزياء. التقليد ثابت فلماذا الخروج عليه؟ الخطأ هو أن كنيسة روما بدّلت التقليد. بطرس بطريرك أنطاكيا (١٠٥٤) كتب إلى بطريرك القسطنطينية ليتساهل في مخالفات اللاتين ويقصر الأمر على مخالفتهم دستور الإيمان بقولهم إن الروح القدس ينبثق من الآب والابن. هذا تدبير حكمة. الأفضل هو العودة إلى الصواب بتواضع. المكابرة غير مجدية. من جهة أخرى الطوائف القديمة مثل الأقباط والسريان وحتى الموارنة (المجمع اللبناني، ص ٩-١١) استعملت الخبز المختمر. فهي شاهدة هنا للاستعمال القديم. (**اسبير جبور**)

س ١٢٣ – هل يجوز استعمال الملعقة البلاستيكية في المناولة؟

ج ١٢٣ – المناولة شركة. الشركة اشتراك الجماعة. الملعقة بديل من امتصاص الدم من الكأس الواحدة. الخبزة واحدة والكأس واحدة. والملعقة واحدة منذ نيّف و ١٩٠٠ سنة. نتناول هكذا. لم نسمع بمرض أحدٍ بسبب الملعقة. المسألة إيمان بدم المسيح الذي يطهّرنا من خطايانا. الوسواس الصحي مرض نفساني للمعالجة الطبية. المناولة فعل إيمان. الكاهن "يتلمذ" الكأس في نهاية القداس ولا يتوسوس. (**اسبيرو جبور**)

س ١٢٤ – هل يمكن للمرأة أثناء العادة الشهرية أن تتناول من الأسرار الإلهية؟ ألا تُعتبر غير طاهرة وغير مهيَّأة للمناولة؟

ج ١٢٤ – العادة الشهرية (أو الطمث) تعني، بما يتعلّق بموضوعنا هنا، الدم الخارج من جسد المرأة. من هنا دخلت فكرة أن المرأة الطامث هي امرأة غير طاهرة، غير نقية، أو نجسة بسبب سيلان الدم منها. أصل هذه الفكرة العهد القديم، حيث توجد نصوص كثيرة تعرّف حالات النجاسة لدى الإنسان، ومنها مثلاً: المرأة الطامث، المرأة النفساء (إذا ولدت)، لمس جسد الميت، الأبرص، المجذوم، العمل يوم السبت، الخ[٢٩]...

(٢٩) راجع سفر لاويين ١٥ مثلاً.

لكن العهد الجديد قد أتى لينسف في لاهوته كل مفاهيم العهد القديم عن النجاسة والطهارة. فالله خلق كل شيء طاهراً، غير نجس، سواء أكان إنساناً أو حيواناً أو سواهما. عندما رفض بطرس أن يأكل الحيوانات المعتَبرة "نجسة" في شريعة العهد القديم، أجابه الله: "ما طهّره الله لا تدنسه أنت" (أع١٠: ١٥). أكانت هذه الحيوانات "نجسة" في العهد القديم وصارت "طاهرة" في العهد الجديد، أم أن التصنيف إلى "نجس" و"طاهر" في العهد القديم كان تصنيفاً للتهذيب والتدريب وأمْراً أُعطي بحسب النموذج ليدلّ على أن النجاسة هي الخطيئة وحدها؟ لهذا، كأبناء العهد الجديد، لا يمكننا أبداً أن نمزج مفاهيم العهد القديم بمفاهيم العهد الجديد، وإلا لكنا خونة للاهوت العهد الجديد المبني على ذبيحة المسيح على الصليب.

لكن، ويا للأسف، دخلت بعض مفاهيم العهد القديم في بعض كتابات آباء الكنيسة وبعض قوانينها عبر العصور، مما ساهم في خلق حالة من التشوش والالتباس في ذهن المسيحيين، خاصة المعاصرين[٣٠]. لكن الذهبي الفم وثيوذوريتوس وديودوروس والفرائض الرسولية يؤكدون أنه لا المعاشرة الشرعية ولا النُفاس ولا نزف الدم ولا الاحتلام الليلي يمكن أن تلوّث طبيعة الكائن البشري أو تفصله عن الروح القدس.

يقول القديس الذهبي الفم في موعظته الثالثة على رسالة القديس بولس إلى تيطس (١: ١٢–١٤):

"لم يخلق الله شيئاً نجساً، لأنه لا يوجد شيء نجس ما عدا الخطيئة وحدها. لأن تلك تصل إلى النفس وتلوّثها. أما النجاسة الأخرى فهي تحامل بشري."

'ما هو النجس إذن؟ الخطيئة، الخبث، الشهوة، الشر. كما هو مكتوب 'اغتسلوا. تنقّوا. اعزلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيّ. كفّوا عن فعل الشرّ' (اشع١: ١٦)، و 'قلباً نقيّاً اخلق فيّ يا الله' (مز٥١: ١٠).. هذه الطقوس كانت رموزاً للتطهيرات. قيل:.. 'المجزوم نجس.' لأن الخطيئة هي الجذام، متنوعة وكثيرة الأشكال".

هنا يبرز الذهبي الفم كمفسِّر عظيم للكتاب المقدس عندما يشرح رموز العهد القديم وعلاقتها بحقائق العهد الجديد. فكل النجاسات المذكورة في العهد القديم هي ليست

(٣٠) راجع القانون الثاني للقديس ديونيسيوس الإسكندري (القرن الثالث)

نجاسات بحد ذاتها، بل مجرد رموز أُعطيت للمؤمنين في تلك الحقبة كي يتدرّبوا على الحقيقة التي ستُعطى لهم في العهد الجديد، وهي أن الخطيئة وحدها هي التي تجعل الإنسان نجساً في عين الله. يستطرد الذهبي الفم ويقول:

"هذه الأشياء هي ليست بحسب المجاز allegorical، بل بحسب النموذج typical، لأن الذي لا يقطع الشر من قلبه هو الشخص النجس. فالذي يعمل يوم السبت يجب أن يُرجَم، أي، مَن لا يكرّس (نفسه) كل الأوقات لله سيهلك." ثم ينبري الذهبي الفم إلى مناقشة موضوع المرأة النفساء ويقول:

"أنتم ترون كم كثيرة هي أنواع النجاسة الموجودة. المرأة النفساء هي نجسة. مع ذلك خلق الله ولادة الأطفال، وزرع الإخصاب. لماذا المرأة نجسة إذن، لو لم يوجد شيء آخر قد تمّ التلميح إليه؟ وما هذا؟ كان (السيد) يقصد أن يُولد التقوى في النفس، وأن يردعها عن الزنى. لأنه إن كانت (المرأة) التي ولدت طفلاً نجسة، فبالأكثر جداً التي ارتكبت زنى. إن كان اقتراب (الرجل) من زوجته أمراً ليس طاهراً بالكلية، فبالأقل جداً أن يعاشر زوجة آخر."

"لأن الأشياء الجسدية هي أقرب إلينا، لهذا من هذه يُدخل (بولس) التعليم. لكن الأمر ليس هكذا الآن. لأنه يجب علينا ألا نتحجّم بالأشخاص، بالظلال، بل أن نلتصق بالحقيقة وأن نؤيدها. الخطيئة هي الشيء النجس".

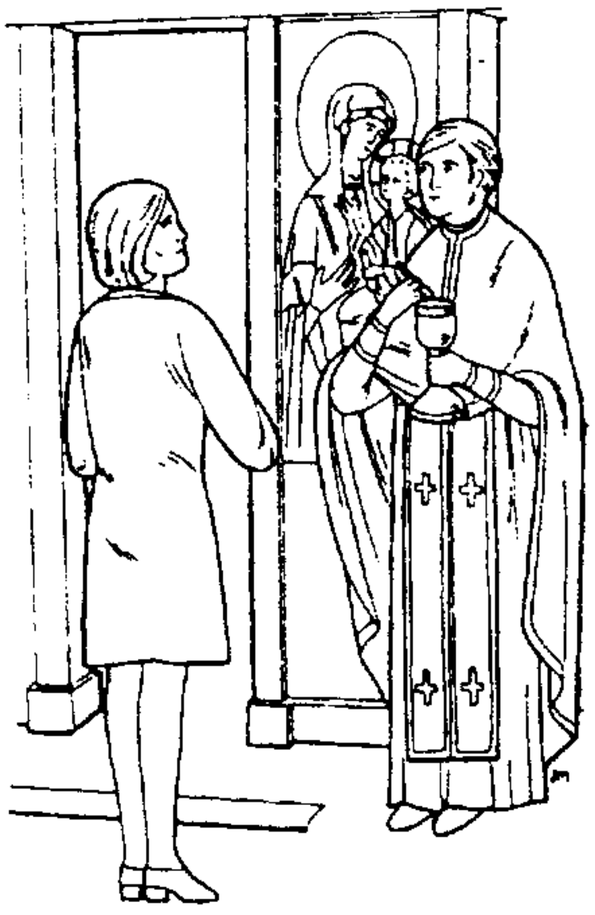

إذاً، القاعدة في الكنيسة المسيحية هي أنه لا يجوز لمسيحي (رجلاً كان أو امرأة) أن يقترب من الأسرار الإلهية بدون استعداد مسبق روحياً ونفسياً وجسدياً. الاستعداد الروحي يتلخّص بالتوبة والاعتراف؛ والاستعداد النفسي يتلخّص بتنقية الذهن والفكر من كل شيء أرضي ('لأننا مزمعون أن نستقبل ملك الكل' كما نقول في ترتيلة الشيروبيكون قبل المناولة)؛ والاستعداد الجسدي يتم بالصوم قبل المناولة. أما مسألة المرأة في حالة الطمث أو

النُفاس فهي لا تعني أن المرأة غير مؤهلَّة للمناولة إذا كانت مستعدة كما أسلفنا. مع العلم، أن التغيرات الفيزيولوجية (النفسية بصورة رئيسية) التي تصاحب حالة الطمث أو النُفاس قد تجعل المرأة غير جاهزة للمناولة، إنما ليس لأنها تنـزف دماً. فالمرأة الطامث أو النفساء قد تكون مستعدة للمناولة أكثر من أي رجل. فالله سمح لها أن تكون بحالة الطمث أو النفاس، وهذا لا يعني أنه جعلها في حالة "نجاسة" كما تدلّ بعض هذه القوانين[٣١]! الله لا يخلق النجاسة ولا يسمح بها. ولا يجوز لنا أن نحرم المرأة من المناولة المقدسة في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى الأسرار الإلهية المحيية، بحجة وضعها الجسدي الفيزيولوجي. ربما حان الوقت للتوفيق بين معلّمي الكنيسة الكبار وبعض هذه القوانين والأفاشين التي تتضمن أن المرأة الطامث أو النفساء هي نجسة، أو التي تمنع دخول النفساء إلى الكنيسة لمدة أربعين يوماً بعد الولادة.

من جهة أخرى، توجد آراء أخرى في هذا الصدد خاصة في الأوساط الرهبانية. هذه الآراء مبنية على الخبرة الروحية بانفعالات النفس واضطراباتها في فترة الحيَض الحرجة أكثر من كونها مبنية على مواقف لاهوتية مخالفة لآراء آباء الكنيسة. يبقى على المؤمن (أو المؤمنة) الالتزام بتوجيه الأب الروحي أو الأم الروحية، ويبقى على الآباء والأمهات الروحيين الالتزام بتعاليم آباء الكنيسة العظام بدون ارتكاب أي شطط لاهوتي عقائدي. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٢٥ – ما الفرق بين القربان الذي يتناوله المؤمنون وبين القربان الذي يوزع لكل المصلين أثناء أو في نهاية القداس الإلهي؟

ج ١٢٥ – تحوي الكأس جسد الرب ودمه. أمّا الخُبزة الأخيرة فخُبزة مباركة يتناولها المؤمن

---

(٣١) البطريرك الإنطاكي القانوني بلسمون رتّب القوانين فأدخل فيها قانون ديونيسيوس الفريد في بابها. وأخذه عنه نيقوديموس الآثوسي في كتاب "بيذاليون" ودخل الأمر الأفخولوجي، مع أنّ ديونيسيوس هذا ليس من الفحول. أمّا آباء الكنيسة فضدّ هذا المفهوم. في كتبي نصوص لكيرللس الأورشليمي وغريغوريوس النيصصي والذهبي الفم ويوحنا الدمشقي: الإرادة والنفس هما اللتان ترتكبان الخطيئة. الجسد بلا الروح جيفة لا تخطأ ... الجسد أداة الروح. أوغسطين ردّ على تبجّح الوثنيين باغتصاب نسائنا: إن لم يَلِنَّ للشهوة، كان اغتصابهنّ اضطهاداً. إذاً: قاسين عملاً استشهادياً ولم يرتكبن الزنى. هذه حالة قصوى للتدليل على أنّ النجاسة تكمن في الروح لا في الجسد: الفعل المادي من الزنى تمّ. أما الفعل النفسي فلم يتمّ. إذاً: ليس من زنى. آباء الكنيسة القدامى أمراء التاريخ. اللاحقون أشباه (اسبيرو جبور).

ويشرب ماءً مقدساً فيحسن بلع ما يرسب في فمه من القربان المقدس. هذا مع العلم أنّ آباء الكنيسة قديماً وحديثاً نصحوا بالتناول كلّما حضر المرء القداس الإلهي. فالخبزة الأخيرة لا تقوم مقام المناولة أبداً، كما يتوهّم البعض. ويتناولها بعض الذين حالت أسبابٌ وجيهة دون المناولة. (اسبيرو جبور)

سرّ التوبة (الاعتراف)

س ١٢٦ – ماذا نقول عندما نعترف؟

ج ١٢٦ – هناك أولاً صلاة يرفعها المعترف لله أمام الكاهن أو يردّدها في إثره وهي "أيها الآب، ربّ السماء والأرض، إني أعترف لكَ بكل خفايا وظواهر قلبي وذهني التي فعلتها حتى هذا اليوم الحاضر. لهذا أطلب إليك أيها الديّان العادل الحنون أن تغفر لي وتمنحني نعمة حتى لا أعود إلى الخطيئة".

بعد ذلك يباشر اعترافه بخطاياه التي ارتكبها بالفكر والقول والعمل. حين نقول بالفكر نقصد فكر القلب. هذا تكون له صورة في العقل المفكّر لكنه يرتبط بنيّات القلب وبالتالي بكل كيان الإنسان، بإرادته وأهوائه وأحاسيسه ومشاعره. طبعاً هناك أفكار تكون حسنة لأنها ترتبط بنيّات القلب الحسنة. لسنا عن هذه نتكلّم، بل عن الأفكار الشرّيرة التي ترتبط بنوايا القلب الشرّيرة. مثال ذلك قول السيّد: "كل مَن نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨). حين يقتبل المرء في قلبه فكراً شرّيراً يكون قد سقط في الخطيئة. قد يتسنّى له أن يحقّق فكره بالقول أو بالعمل وقد لا يتسنّى له ذلك. سيّان فإن ما تولّد في نفسه وما اقتبله بملء إرادته هو ما يجعله خاطئاً أمام ربّه. الخطيئة، أوّلاً، إذاً، خطيئة في القلب. لهذا ورد في سفر الأمثال: "فوق كل تحفّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة" (٤: ٢٣). متى كانت نيّة القلب سليمة نقيّة فإن المرء لا يعود يعرف خطيئة. يرتكب أخطاء لا خطايا، لأنه يرتكبها سهواً أو عن جهل. نيّة الخطيئة لا تكون موجودة عنده. قول السيّد الرب هو: "إذا كانت عينك [أي قلبك]

بسيطة فجسدك كلّه يكون نيِّراً. وإن كانت عينك شرّيرة فجسدك كلّه يكون مظلماً" (مت ٦: ٢٢-٢٣). عند القدّيس مكسيموس المعترف أن المرء لا يخطىء البتّة بالفعل ما لم يكن قد خطىء أوّلاً في الفكر. جلّ اهتمام المؤمن، إذاً، ينصبّ على حفظ القلب من الخطيئة. عيننا الداخلية تكون على فكر القلب أوّلاً. هذا نهتمّ بتنقيته من كل شائبة. اعترافنا بخطايانا في الفكر هو، بالدرجة الأولى، فعل تنقية للقلب.

والآن بعد هذا المدخل نُجيب على السؤال المطروح: "ماذا نقول عندما نعترف؟"

* بالنسبة لأفكار القلب، اعترف بها، على سبيل المثال، على النحو التالي: زنيت بالفكر (اشتهيت. استغرقت في أحلام اليقظة...)، دِنت، حقدت، استكبرت، استسلمت للتسلّط، للغرور، للظنّ السيّء بالآخرين، للتشفّي، لشهوة البطن (هوس الأكل والشرب)، لشهوة العين... للحزن، لليأس، لشهوة الانتقام، للغبطة المريضة إزاء فشل الآخرين أو سقوطهم...

* بالنسبة للأعمال الشائنة، اعترف بها، على سبيل المثال، على النحو التالي: زنيت مع امرأة، وقعت في العادة السرّية، سرقت، غششت، قتلت، حشّشت، عاقرت الخمرة، ارتشيت، اعتديت على الآخرين وعلى أملاكهم، شاهدت الأفلام والمجلاّت الخلاعية. والأعمال الشائنة التي اقترفتها سهواً أو عن جهل مني اعترف بها أيضاً هكذا مثلاً: دهست إنساناً بسيّارتي، أصبت إنساناً ببندقية الصيّد عن غير قصد، تسبّبت بحريق سهواً...

* بالنسبة للأقوال السيّئة المسيئة اعترف بها، على سبيل المثال، على النحو التالي: ثرثرت (أي تفوّهت بكلام لا فائدة منه واسترسلت)، نممتُ (حكيت على الآخرين بالسوء)، تفوّهت أو سمعت بانبساط كلاماً غير لائق (شتيمة، سباب، نوادر غير لائقة الخ...) وشيت، أوقعت بين الناس بنقل الكلام، كذبت، وعدتُ ولم أفِ، شهدتُ بالزور، أقسمتُ بالله. والأقوال المسيئة التي تفوّهت بها سهواً أو عن جهل اعترف بها أيضاً. الكثير مما سبق ذكره قد أتفوّه به لأنه صار فيّ عادة. مثال ذلك الثرثرة أو القَسَم أو الشتيمة أو الكذبة البيضاء أو الكذب بصورة عامة.

كل هذا وغيره لا ضرورة للدخول، في شأنه، في التفاصيل، إلاّ إذا طلب مني الأب المعرّف تفصيلاً. إذ ذاك أُورد التفصيل اللازم بكلام لائق وأسلوب تلميحي لئلا أقع في الثرثرة، من ناحية، ولئلا يكون الكلام مناسبة لاستعادة الأحاسيس التي انتابتني عند ارتكاب الخطيئة، من ناحية أخرى.

فيما عدا ذلك إذا وجد المعرِّف، لمساعدة المعترف، أن ثمّة حاجة إلى طرح أسئلة معيّنة عليه فهو يسأل والمعترف يجيب بالقدر الذي يحتاج إليه السؤال. **(الأب توما بيطار)**

س ١٢٧ – هل الاعتراف ضروري بين الفينة والأخرى؟ ولَمن يجب على المؤمن أن يعترف؟

ج ١٢٧ – القديسان الكبيران غريغوريوس بالاماس وسلوان الآثوسي ومَن سبقهما ربطوا المناولة بالاعتراف. الاعتراف عملية تطبيب روحي. النصوص الآبائية واضحة كل الوضوح. المؤمن يفتح صدره لأبيه الروحيّ فلا يخفي عنه شيئاً. المفروض في الأب الروحي أن يكون خبيراً بالنفس البشرية وأهوائها وطرق تحويل الأهواء إلى فضائل. هذا يتطلب علماً وخبرة وممارسة مازلنا نفتقر إليها في بلادنا. بالمقارنة مع التحليل النفسي نستنتج تماماً أن هذا تطبيبٌ للأمراض النفسية بينما الاعتراف تطبيبٌ للأمراض الروحية. مؤخراً أصدر اللاهوتي الكبير الأرثوذكسي لارشيه Larchet كتاباً ضخماً بعنوان معالجة الأمراض الروحية. يتضمن نصوص آباء الكنيسة لمعالجة الخطايا. اللفظة الفرنسية تعبّر خير تعبير عن المضمون: المسألة معالجة بأساليب روحية لأمراض فتاكة هي الأمراض الروحية أي الخطايا. وبما أن الإنسان ملوَّث بالخطايا كأنها برصٌ أو سرطان خبيث فالمعالجة الفنية ضرورية جداً لاستئصال السرطان الخبيث(٣٢).

أما ممارسة الاعتراف فتتعلّق بالأب الروحي فهو الذي ينظّم أوقاتها بين اعتراف دقيق واعتراف عابر بحسب الحاجة. ثم يعطي الحلّ. مبدئياً لدى الأرثوذكس الآباء الروحيون المختصون هم شيوخ الرهبان(٣٣) وعلى الأخص في الأديرة التاريخية مثل أديرة جبل آثوس

(٣٢) العقل شرط لوجود الإرادة وترتّب المسؤولية. الكلام المعقول هو كلام الناس لا كلام الببغاء. ولا يُحاسب المجنون على أفعاله لأنه فاقد العقل. إذاً: تطهير الفكر أولاً.

(٣٣) شيوخ الرهبان في الأديرة العامرة بالرهبان لا يكونون جميعاً كهنة. ذكر القديس كاسيانوس أن كل ١٠ رهبان ينضوون تحت مشيخة شيخ روحي واحد. ويعترف الراهب فوراً بكل فكرٍ راوده.

في اليونان ودير أوبتينا سابقاً في روسيا. القديس غريغوريوس النيصصي يطالب بالعلم والخبرة كما الأمر في كل المهن الأخرى. مبدئياً شيوخ الرهبان هم الخبراء الصالحون لتدريب سواهم على أصول الاعتراف. فالمحلّل النفسي يدرس خمس سنوات ويخضع هو نفسه للتحليل. وبعد الممارسة يعود بين الفينة والأخرى إلى محلّله ليطهّره مما علق في لاشعوره من اختلالات. وتطبيب الأمراض الروحية من الصنف نفسه فيحتاج المعرِّف الروحي إلى تدريبات علمية وفنية ليصير خبيراً بالنفس البشرية. ليس الكهنوت بحد ذاته وبدون هذه التدريبات تأهيلاً للأبوّة الروحية.

ومن دواعي الأسف الشديد أن معاهد اللاهوت هي معاهد دراسات نظرية لا معاهد تدريب روحي. لا علاقة لتعليمها بأصول الحياة الروحية. في كتبي التالية: "الاعتراف والتحليل النفسي"، و"الاعتراف الرهباني"، و"كيف تعترف"، يرى المرء أن الآباء سبقوا فرويد إلى استنباط تقنية التطبيب هذه. فلا بد من تأسيس مدارس في الأديرة اسمها مدارس التطبيب الروحي. طبعاً يجب أن يكون أساتذتها شيوخ الرهبان لا أساتذة معاهد اللاهوت. القديس إغناطيوس بريانتشانينوف المتوفى في العام ١٨٦٧ شكا من النقص في روسيا العظمى من المختصين، فنصح المؤمنين بمطالعة الكتاب المقدس والآباء القديسين. **(اسبيرو جبور)**

س ١٢٨ – هل يجب على المؤمن أن يعترف باستمرار ولِمَن؟

ج ١٢٨ – إن الكثير من الخطايا التي نرتكبها يتكرّر. هذه نعترف بها لا مرّة واحدة وحسب بل كلّما ارتكبناها. لهذا فإن هناك حاجة إلى جردة اعتراف بالأمور العاديّة التي تتكرّر مثل الثرثرة والظنّ السيّء والحكي على الآخرين والكذب والقَسَم والشتيمة والأكل والشرب من دون رقيب وطلب المديح وعدم حفظ الحواس. هذه يحدّدها المعترف وفق ما يراه مناسباً للمعترف: مرّة في الشهر، أكثر أو أقل. وهناك الاعتراف بخطايا أكثر جسامة من سواها وأقلّ مألوفية مثل القتل والسرقة والزنى وشهادة الزور. هذه يعترف الساقط فيها في أقرب وقت ممكن منذ حدوثها. وبالخبرة تستبين الطريق للمعترف. فئة الخطايا العادية المتكرّرة قد تجعل المعرّف يفرض على المعترف فروضاً خاصة إلى أن يحين موعد اعترافه بها. مثلاً قد يقول له إذا ظننت السوء بإنسان فاطلب السماح من الله فوراً واعمل خمس سجدات كبيرة وقل عشر مرّات على المسبحة الرهبانية: أعِن يا رب الأخ الفلاني وارحمني. وإذا كان، مثلاً، قد دخل وإيّاه في خصام،

فقد يقول له: اذهب إليه أو اتّصل به تلفونياً وقل له: سامحني لأني جرحتك، دون أن تبرِّر نفسك أو تدخل معه في تفاصيل غير لازمة.

أما لَمن يعترف فالمؤمن يعترف، عادياً، للكاهن. هذا إذا توفّر. وإذا وُجد الإنسان في غربة فإنه يأخذ توجيهات كاهنه وفقاً للمكان والزمان والظروف التي يقيم فيها. وسائل الاتصال اليوم ميسّرة. قد يستعين المعترف بالتلفون أو بالبريد الإلكتروني. طبعاً الكاهن لا يعطي الحلّ عن الخطايا عن بُعد، ولكن إذا التزم المعترف توجيهات المعرِّف فإن صلاة المعترف عن نفسه طلباً لمسامحة الربّ الإله له، من ناحية، وصلاة المعرِّف من أجله، من ناحية أخرى، تسدّ مسدّ الاعتراف والحلّ الرسميَين إلى أن يلتقيا. إذ ذاك يكملان ما شرعا فيه عن بُعد. **(الأب توما بيطار)**

س ١٢٩ – إن كنتُ أصلي صلاة قبل الاعتراف (المعروفة في الكنيسة الأرثوذكسية بصلاة المطالبسي) قبل المناولة ألا يغني هذا عن الاعتراف؟

ج ١٢٩ – لا شيء يُغني عن انفتاح الصدر للأب الروحي لأن طبيعة الإنسان ترتاح إلى الانسكاب في يدَي الأب الروحي. في الحياة العامة إن تمرمر الإنسان وضاق صدره لا يرتاح إلا إذا أفضى بما في صدره لأحد أصدقائه أو معارفه. فإذا كانت الحالة الطبيعية كذلك فكم بالأحرى الحالة الروحية تتطلب اعترافاً أقوى لنيل الغفران والحلّ. الاعتراف الرهباني الأرثوذكسي هو تحليل روحي مشابه للتحليل النفسي. هذا يشفي الأمراض النفسية وذاك يشفي الأمراض الروحية.

أما صلاة المطالبسي فهي ابتهالٌ من القلب على لسان آباء قديسين عظام يعترفون بضعفهم وخطاياهم ملتمسين من الله الرحمة والغفران. إنها وسيلة لكسر القلب وتذليل النفس للانسحاق أمام الله. ولدينا قانون يسوع وقانون أندراوس الدمشقي أسقف كريت والمزامير الروحية لأفرام السوري وكتاب التريودي. في صلواتنا جميعاً اعترافٌ وانسحاق. وفي اللغات الأجنبية الفيلوكاليا تسدّ فراغاً روحياً كبيراً. وفي السريانية واليونانية (والفرنسية الآن) مؤلّفات أفرام السوري مدرسة اعتراف روحية. **(اسبيرو جبور)**

س ١٣٠ – حينما لا يتوفر أب روحي حيث يسكن المسيحي، ما هي افضل طريقة للتعويض عن هذا النقص؟

ج ١٣٠ – "يا ربّ ملجأً كنتَ لنا في جيل وجيل... أنا قلتُ يا رب ارحمني واشفِ نفسي، لأني قد خطئت إليك..."

"يا ربّي إليكَ لجأتُ فعلّمني أن أعمل رضاك"... (المجدلة الكبرى)

هذا هو؛ هو مَن نلجأ إليه؛ إيّاه نعبد. منه نطلب، وحده نترجّى أن يكشف لنا خطايانا... وإذ تجتاحنا عمق الأهواء، نصرخ بالأنّات التي لا يُنطق بها، بالدموع، بالتوسّلات أن يُعتقنا من أسرنا لملذّات جسدنا وفذلكات عقلنا وانحرافات نفسنا، لكي نصل إليه بالتوبة والدموع... فيخلّصنا...

هذا هو المطلق، مطلق حياتنا ورجاؤنا...

لكن السؤال المطروح أمامنا بسيط وهو يدخل في السهل الممتنع... "إلى مَن نلجأ عندما لا يتوفّر لنا أب روحي؟!"...

هذا هو مطلب الذين يتدرّجون على خطى المسيح في حياتهم الروحيّة... الذين يسعَون وراء الكمال الإنجيلي... فماذا نفعل للمؤمنين عامّة؟!... الذين يطلبون وجه ربّهم في حياتهم اليوميّة مع المسيح؟!...

نلجأ إليه هو بالصلاة والسجود.

لنضع الصلاة الصباحيّة، بل القانون الصباحي أولويّة، لهؤلاء الطالبين وجه ربّهم... القيام قبل صحو المنزل الذي نحن فيه، للصلاة...

نبدأ بسجدات كبيرة للاستغفار؛ على صلاة القدّيس أفرام السرياني؛ "أيها الرب وسيّد حياتي، أعتقني من روح البِطالة والفضول وحبّ الرئاسة والكلام البطّال؛ وأنعم عليّ أنا عبدك (أو أمتك) الخاطئ، بروح العفّة واتضاع الفكر والصبر والمحبّة؛ نعم يا ملكي وإلهي، هب لي أن أعرف ذنوبي وعيوبي وألاّ أدين إخوتي، لأنك مبارك إلى الأبد آمين"... يتبع هذه الصلاة والسجدات الوقوف أمام أيقونة الرب يسوع المسيح ووالدة الإله في غرفتنا، أو في أي مكان هو مصلّى المنزل، أو مصلاّنا الخاص بنا، لتلاوة صلاة النهوض من النوم...

بعدها نبدأ بصلاة يسوع على مسبحتنا الصغيرة (٣٣ حبّة) مصنوعة من الصوف أو الخيط القطني أو على مسبحة أكبر (٥٠ أو ١٠٠ حبّة) إذا رغبنا في الاستزادة من الصلاة؛ "يا ربّي يسوع المسيح يا ابن الله الحي، ارحمني أنا عبدك (أو أمتك) الخاطئ"... لمدّة مسابح كما يسمح وقتنا... وآخر المسبحة نقول "ارحمنا وارحم عالمك"...

ثم مسبحة أو اثنتان لوالدة الإله... "أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا"... ثم في الأخير؛ وخلّصي شعبك وعالمك...

بعدها نجلس ونقرأ مقطعاً من الكتاب المقدّس... فصلاً من الأناجيل، ثم فصلاً من كتاب الرسائل... وإذا كان لدينا وقت أطول فإننا نقرأ فصلاً من أسفار العهد القديم...

وننطلق إلى أعمالنا حاملين معنا في القلب اسمه القدّوس (يا يسوع ارحمني، يا يسوع شدّدني، يا يسوع أبعد عنّي سهام الشرّير، يا يسوع أعطني صبراً الخ... الخ...) أو صلاة يسوع في القلب الداخلي لنهدأ ولنتمكّن من مقاومة ضجّة وعنف وقسوة العالم حولنا...

ظهراً؛ نتوقّف ولو للحظات أو دقائق حتى نتلو بورع داخلي مزمور التوبة أو المزمور الخمسين، لتهدأ روحنا وتتنشّط بذكر الرب والرجوع إليه بالحبّ والتوبة والقلب المتخشّع المتواضع...

وهكذا نستمر بعد الظهر في حمل اسم الرب يسوع ونقول له "يا يسوع ارحمني"... ولوالدة الإله "يا والدة الإله خلّصيني"... حتى يأتي وقت الغروب... فإذا كان لدينا الوقت نتلو صلاة الغروب ومساءً قبل النوم نصلّي صلاة النوم الصغرى وإن ضاق الوقت بالأفاشين (أو القِطع) الثلاث الأخيرة للسيّد ووالدة الإله والملاك الحارس. وإذا أحببنا أن نتدرّج للرقي إلى الله، نقرأ كتاباً روحياً أو حياة قدّيس في السنكسار اليومي...

أما أن نحفظ الأصوام، فهذا ضروري بل الصلاة والصوم هما ألف وباء حياتنا في المسيح ومعه على هذه الأرض الجرداء التي لا حياة ولا خضار ولا ماء فيها...

ويحسن بنا أن نتذكّر يومَي الأربعاء والجمعة لكي ننقطع فيهما عن الزفرَين متذكّرين الحياة وتسليم الرب يسوع يوم الأربعاء وصلبه وموته لخلاصنا، يوم الجمعة.

أما قمّة جهادنا هذا الأسبوعي، فيكلَّل بالقدّاس الإلهي نهار الأحد، فننقطع مساء السبت عن أكل الزفر قطعاً وعن التلهّي بما ليس لله، من تلفزيون وسهرات إجتماعيّة أو سينما أو مسارح وما إلى ذلك وعن كل علاقة خاصة تأسر الجسد وتبعده عن اللقيا الروحيّة مع الربّ الإله صباح اليوم الثاني لدخوله إلى خدر المسيح للاشتراك في صلبه وآلامه ومساهمة القدسات، لغفران الخطايا والحياة الأبديّة.

هذه المسيرة تؤهّلنا، للدخول في سرّ أنفسنا، فتتفتّح آفاقنا على بُعد روحي جديد... بُعد الملكوت على الأرض التي خلقنا فيها، لتطهيرها وإيّانا من خطايانا وسقطة آدم الأوّل التي يحملها كلّ منّا، في كيانه هذا المائت...

وبعد كل هذا، نبدأ بالقربى في الكنيسة من كاهنها... فإذا أغضبنا ربّنا ونحن نقرأ كتابه المقدّس بعدم طاعة أو بكسر إحدى وصاياه، فإننا نلجأ إلى الكاهن للاعتراف...

الكاهن يا أحبّة، كما أنتَ، صورة المسيح المصلوب... أعطه ثقتك وتبرّك به، فيعطيك هو تالياً كلمة الرب ويحلّك بنعمة الكهنوت المعطاة له، من خطاياك... أنت واقف قدام الرب يسوع عندما تنطق بخطيئتك لا أمام الكاهن وحده، أو أمام إنسان عادي... وإن طلبت الولوج إلى الأكثر، حتى تتدرّج على طريق القداسة في حياة روحيّة، فالعليّ سيرسل لكَ (أو لكِ) راهباً في دير؛ أباً روحياً أو رئيسة دير، أماً روحيّة يعلّمانك مما تعلّماه وخبِراه... نبراساً لحياة جديدة... هناك، لديهما، يتسنّى لك أن تكشف القلب والفكر وتعرف خبايا حياتك الداخليّة...

فالأب أو الأم الروحيّان يختلفان عن الكاهن المعرِّف... أنتَ بإمكانك أن يكون لكَ أب روحي ولو لم يكن كاهناً (فالقدّيس سلوان الآثوسي كان أباً روحياً لعشرات الرهبان، ولم يكن كاهناً) أو أماً روحيّة. هذان يعلّمانك أسرار الحرب الروحيّة وكيفيّة التغلّب على الأهواء في الجسد والنفس والفكر والكيان ثم يرسلانك إلى كاهنك لتعترف عنده فيعطيك الحلّ عن خطاياك...

بالإمكان أيضاً أن يكون الأب الروحي في الدير كاهناً. فإذا تمّ لك ذلك تكون قد حصلت على البركتَين في شخص واحد... بركة الإرشاد وبركة الاعتراف...

الأبوّة الروحيّة الحقيقيّة هديّة من الرب للمؤمنين الساعين على دروبه. **(الأم مريم زكا)**

س ١٣١ – ألا يمكن للاعتراف للكاهن أن يُنقص أو يحط من قيمة المعترف في نظر الكاهن إذا كان هذا المعترف صادقاً في اعترافه؟ ألا يؤثر هذا على شعور الكاهن تجاه المعترف لديه؟

ج ١٣١ – مبدئياً الكاهن المؤهَّل أصولاً المتمرّس بالحياة الروحية يحترم أبناءه الروحيين، ويقدّر تقديراً عالياً المعترفين الذين يصارحونه بكل شيء، بينما لا يمكن لنا أن نثق بقدرة جميع الآباء الروحيين على ضبط مشاعرهم ١٠٠٪ تجاه الكاذبين والمرائين والمنافقين.

الأب الروحي حنون ورحيم ولطيف. لذلك ينحني برحمة على عنق أبنائه التائبين. أما قساة القلوب المتغطرسون فلا يجدون فيه تجاوباً كبيراً. إنما عليه أن يرحم الكل ويساعد الغامضين الكذابين على الانفتاح الكامل. إذاً: الأب الروحي يحبّ بعمقٍ المعترفين التائبين من كل قلوبهم.

ولكي يبقى الأب الروحي منكسر القلب يحتاج مثل المحلِّل النفسي إلى أب روحي يفحصه بين الفينة والفينة، فيبقى متذللاً أمام الله رئيفاً بالواقعين. فهو نفسه إنسانٌ خاضع للضعف والآلام، ولا يخلو من الأهواء مهما انتصر عليها. والذين يصلون إلى حالة عدم الهوى قليلون. (**اسبيرو جبور**)

سرّ الزواج المقدس

س ١٣٢ – هل توجد خدمة أو صلاة خاصة للخطوبة ومتى تتم؟

ج ١٣٢ – توجد خدمة "الخطوبة" وهي تسبق مباشرة خدمة "التكليل". خدمة "الخطوبة" تبارك العروسين الجديدين اللذين يتعهدان الإخلاص المتبادل. كانت هذه الخدمة بالأصل طقساً مدنياً لكن الكنيسة جعلتها مصطبغة بعمل المسيح الخلاصي على الصليب الذي خطب لنفسه الكنيسة عذراء عفيفة فصار هو عريسها. تستعمل هذه الخدمة قصة اسحق ورفقة (تكو ٢٤) التي تشير إلى قبول غير اليهود في الكنيسة. رأت الكنيسة أيضاً أن قصة ماء البئر هي إشارة إلى المعمودية المسيحية التي بها صالحنا الله فخطب كل واحد منا لنفسه. تبادل الخواتم في هذه الخدمة لا يشير فقط على الإخلاص المتبادل بين العروسين.

الخاتم هو علامة على عربون الله للإنسان: فيوسف استلم خاتماً من فرعون كعلامة على قوته الجديدة (تك ٤١: ٤٢)[٣٤].

حالياً خدمة الخطوبة تسبق مباشرة خدمة الاكليل بحيث لا يمكن ملاحظة الفصل بينهما ما لم يكن العروسان قد نالا شرحاً لخدمة الزواج قبل حدوثها وهذا لا يحدث مع الأسف. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٣٣ – ما هي شروط الزواج؟

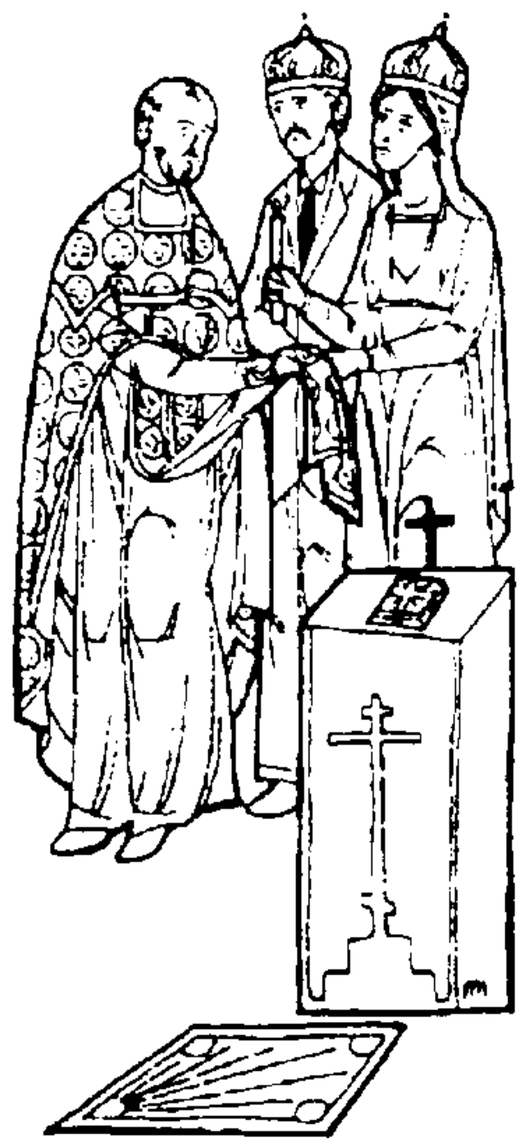

ج ١٣٣ – الزواج المسيحي يقوم على يسوع المسيح. ولا ينجح بدون المسيح: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً". و"إن اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون أنا بينهم".

الزواج المسيحي هو حياة مشتركة بين إنسانين: رجل وإمرأة. وهذه الحياة المشتركة ليست أمراً سهلاً لأن هذين الفريقين يأتيان من بيئتين مختلفتين، وعقليتين مختلفتين، وتربيتين مختلفتين. ناهيك أن لكل منهما مزاجه وعالمه وخصوصياته.

وهكذا فالحياة المشتركة بمفهومها المسيحي تقوم على تعهّد الفريقين أمام الله والناس على المحبة المتبادلة والاحترام المتبادل، والوفاء المتبادل، حتى نهاية الحياة.

ويحتاج هذا الزواج – أي المسيحي – كي يحقق مرماه وهدفه، إلى فريقين يتمتعان بالصحة الجسدية والنفسية والعقلية، وذلك كي يكون القرار والموافقة على هذه الحياة المشتركة نابعاً من الفريقين معاً، وعن اقتناعٍ تامٍ، لا عن إكراه وضغوطٍ خارجية أو داخلية من شأنها أن تُلزمهما بما لا يريدان. وعندما يكون المرشّحان للزواج على القدر المطلوب من النضج والعمق، فإنهما يُحسنان الاختيار، ويعرفان جيداً ما هما مُقبلان عليه في هذا الزواج.

(٣٤) راجع أيضاً: دانيال ٦: ١٧ وتك ٣٨: ١٨ ولوقا ١٥: ٢٢.

ولنجاح الزواج يُشترط الانسجام على أساس السن بين الفريقين. فالعروس الصغيرة والعريس العجوز عندهما الكثير من عوامل التفرقة بينهما. العروس الكبيرة والعريس الصغير عندهما الكثير من عوامل التفرقة بينهما أيضاً. ينبغي أن يكون فارق السن منطقياً ومعقولاً بين الاثنين كي لا ينشب الصراع بينهما.

وفي اليهودية كان الزواج بين الأقارب مقبولاً حتى الدرجة الثالثة. لكن التشريع الروماني منع زواج الخال من ابنة أخته، لكنه أجاز زواج أولاد العم. واسترسل القانون (٥٤) من المجمع المسكوني السادس على صعيد تحديد درجة الصلة بين العروسين. ولكن في الوقت نفسه صدرت تحديدات لجهة منع الزواج بين ابنة العرّاب وأمّ فليونه إن ترملت (قانون ٥٣ من المجمع المسكوني الخامس-السادس).

الزواج المسيحي لا ينجح إلا إذا تضافرت الجهود بين المعنيين، وقامت الحياة الزوجية على يسوع المسيح[٣٥]. **(الأب منيف حمصي)**

س ١٣٤ – لماذا تمنع الكنيسة الزواج في أوقات معينة كما في الأصوام مثلاً؟

ج ١٣٤ – صباح الأحد على جميع المؤمنين أن يحضروا القداس ويتناولوا. فلذلك تمنع الكنيسة الإكليل بعد ظهر السبت لئلا ينشغل العروسان بالجنس فلا يشتركا بالقداس.

---

(٣٥) أثبت صاحب مجموعة "الشرع الكنسي" في الصفحات ٩٢٠–٩٣٠ قوائم بموانع الزواج. في الكرسي الأنطاكي أصدر الأرشمندريت فوتيوس خوري كتاب "الحق الكنسي". وإذ لم يكن كتاب سواه طبقته المحاكم. وهو قانونياً كتاب رديء الصياغة القانونية ولاهوتياً مرفوض المضمون بنسبة كبيرة. وكلّف البطريرك أليكسندروس ٤ قانونيين غير لاهوتيين لصياغة مشروع أحوال شخصية، فحسّن نسبياً جداً الأول وبقي معيباً قانونياً ولاهوتياً. قبلته الحكومة اللبنانية ورفضته الحكومة السورية (١٩٥٢). فبقي "الحق الكنسي" سارياً في سوريا. وفي ١٩٥٣ صدر في سوريا قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، فنصّت المادة ٢٠٨ منه على اختصاصات المحاكم الروحية دون التبني فما انتبه المسيحيون إلى هذا الغبن. في خارج سوريا ولبنان يبقى "الحق الكنسي" ساري المفعول إن لم يصطدم بمانع ما. فمثلاً أشرتُ مرة إلى تطبيق أحكام الميراث فيه على إيراني أرثوذكسي، فكان حظ الأخت مساوياً لحظ الأخ. (اسبيرو جبور).

في الأيام الأخرى كالصوم الكبير تفترض الكنيسة في المؤمنين النسك والعفة. بولس الرسول في ١كور ٧ طرق موضوع تبتّل الزوجين أياماً ليتفرّغا للعبادة. انطلاقاً من ذلك درج مؤمنون كثيرون منذ القدم على التعفّف في الصوم الكبير وصوم العذراء. وهكذا نرى الصليب واقفاً في كل حياة المؤمن. المتشدّدون الأرثوذكس في اليونان وأتباعهم يطوّلون هذه اللائحة. (**اسبيرو جبور**)

س ١٣٥ – ما هي العلاقة بين الزواج والإفخارستيا؟ هل كانت توجد علاقة بين السرّين قديماً؟

ج ١٣٥ – حتى القرن التاسع لم تعرف الكنيسة طقساً خاصاً بسرّ الزواج مستقلاً عن سر الإفخارستيا. كانت الكنيسة تقبل المتزوجين زواجاً مدنياً في القداس الإلهي. الإفخارستيا هي التي كانت تجعل زواج عضوين في الكنيسة زواجاً كنسياً.

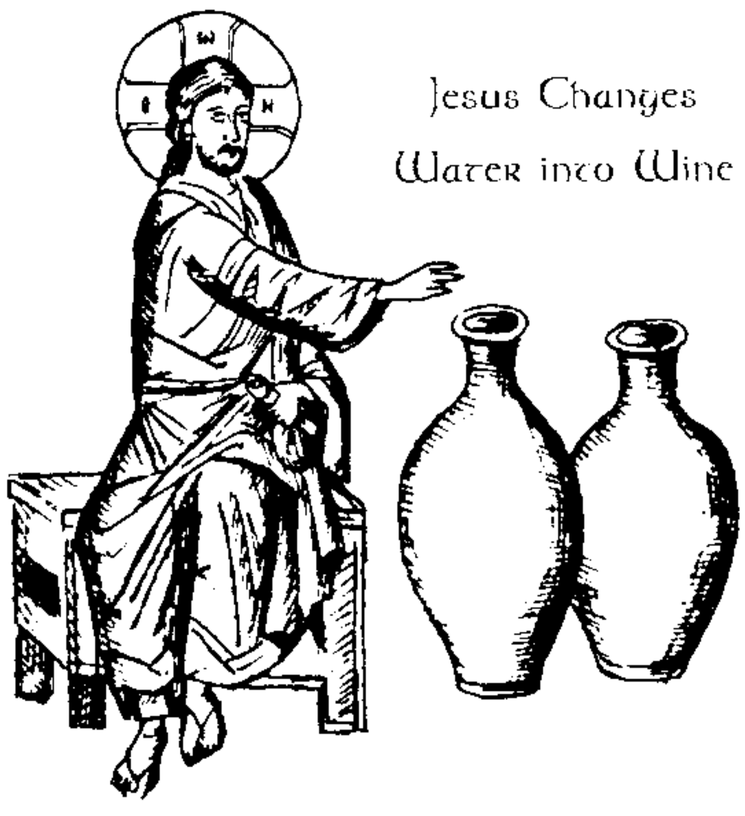

في قصة عرس قانا الجليل (يو٢: ١– ١١) نجد العلاقة بين سر الزواج وسر الإفخارستيا كما فهمتهما الكنيسة. عادة ما كانت العلاقة بين الله وشعبه تصوَّر في الكتاب على أنها علاقة زفافية بين العريس الإلهي والعروس البشرية. هذه العلاقة تعرّضت للكثير من التجارب وشابتها حالات "زنى" روحي طوال العصور قبل المسيح. في ملء الزمان، نضبت الخمر من عرس شعب الله "ليس لهم خمر" (يو٢: ٣). والخمر هي الفرح والسعادة والبركة والغبطة. في ملء الزمان نضبت الغبطة والبركة في شعب الله. صار زفافه خاوياً وجافاً. احتاج إلى ابن الله ليعطيهم خمراً جديدة، وهذه الخمر هي دمه التي بها عقد العهد الجديد معه، فصار شعب الله في زفاف دائمٍ لا ينضب فرحه. لهذا، فالإفخارستيا المقدسة تقدّس العلاقة الزفافية بين عضوين في جسد المسيح قد صارا جسداً واحداً بالزواج. عندما كانت الكنيسة قديماً تقبل المتزوجين في سر الإفخارستيا، فإنها كانت تعبّر عن إيمانها بأنه في هذا السرّ كانت الكنيسة كجماعة إفخارستية تلتئم وتتحقق، وبالتالي أي عضوين قد تزوجا زواجاً مدنياً خارج الكنيسة سيتم استقبالهما وختمهما ببركة الروح القدس التي تعطي لشركتهما الزوجية معنى مسيحياً مختلفاً عن

المعنى الدنيوي. يقول ترتليانوس (القرن الثاني): بأن الزواج "يتم ترتيبه من قبل الكنيسة، وتأكيده بالقربان (الإفخارستيا)، وختمه بالبركة، ونقشه في السماء بالملائكة".

الكثير من الأسرار الإلهية الأخرى ذات علاقة وثيقة بالإفخارستيا: سر المعمودية، سر مسحة الميرون، وسر الرسامة الكهنوتية. ليس هذا بغريب لأنه كما قلنا في الإفخارستيا تجتمع الكنيسة وتلتئم في كأس الرب المقدسة جسداً للمسيح. والإفخارستيا نفسها هي زفافٌ بين شعب الله والله نفسه الذي يدعو شعبه إلى مائدته الزفافية الفصحية.

اليوم، لا تبدو العلاقة بين سر الزواج وسر الإفخارستيا واضحة، (إلا ربما بافتتاحية خدمة سر الزواج: "مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس" وهي دائماً افتتاحية القداس الإلهي)، لكن للكنيسة دور يجب أن تلعبه لإبراز هذه العلاقة، ولتهيئة العروسين لسرٍّ جديد في حياتهما، ولتشجيع الزيجات بين أفراد الإيمان الواحد ونبذ الزيجات المختلطة التي لا يمكن مصالحتها مع سر الإفخارستيا وبالتالي لا تنال بركة خاصة. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٣٦ – توجد أمور عديدة في طقس الزواج غير مفهومة الدلالات والمعنى، مثل الإكليل والكأس المشتركة وسوى ذلك. هل يمكن أن تشرح معنى هذه الدلالات؟

ج ١٣٦ – غالبية المتقدمين للزواج يجهلون، ويا للأسف الشديد، طقس الزواج بسبب جهل الكهنة وتقاعسهم على أداء واجبهم من جهة شرح هذا الطقس المهم ومعانيه العظيمة وذلك قبل الوقوف على منصة الزواج لإجراء خدمة مختصرة سريعة مبتورة في جو حار جداً بوجود ضيوف الزواج الذين لا يهمّهم في معظم الأحيان سوى إنهاء الخدمة بأسرع ما يمكن والخروج إلى الهواء الطلق قبل الذهاب إلى الحفل المسائي. الحال نفسه مع الإكليروس الذين يُقيمون الخدمة وذهنهم منشغل بالخدمات اللاحقة. لهذا من الأهمية الكبرى أن يجتمع الكاهن مع العروسين الجديدين قبل الزواج وأن يشرح لهما الخدمة.

الخواتم: بالإضافة إلى ما ذكر الأب منيف في السؤال السابق، الخاتم علامة على العربون الإلهي للإنسان. فيوسف استلم خاتماً من فرعون كعلامة على قوته الجديدة (تك ٤١: ٤٢). والملك داريوس ختم جب الأسود بخاتمه (دانيال ٦: ١٧) بعد أن طرح دانيال فيه. وتامار، قبل

أن تمنح نفسها ليهوذا، طلبت منه خاتمه كضمانٍ لسلامتها (تك ٣٨: ١٨)؛ وفي مثل الابن الخليع الشاطر (لوقا ١٥: ٢٢) كان الخاتم علامةً على الرضى الوالدي على الابن التائب.

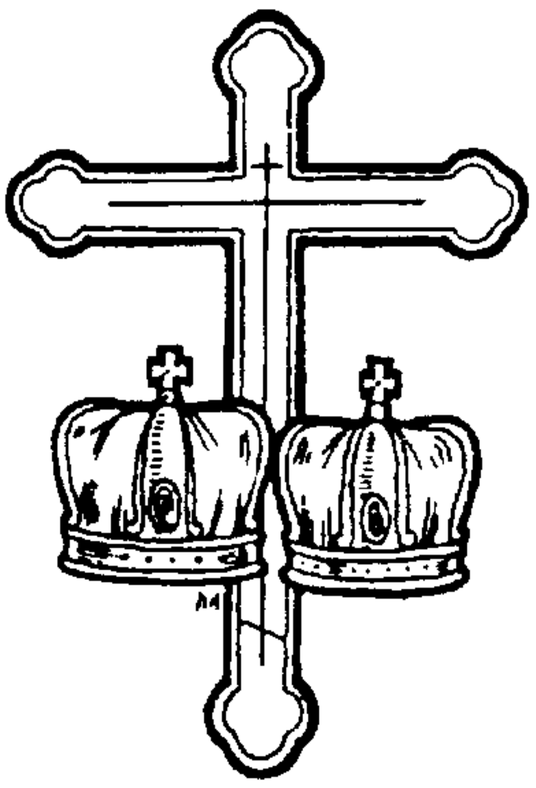

الإكليل: هو علامة تغلب الحياة على الموت في العهد الجديد: "وكل مَن يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى، وأما نحن فإكليلاً لا يفنى" (١كور ٩: ٢٥). لهذا يرى القديس يوحنا الذهبي الفم الإكليل "رمز نصرٍ" على الجنس غير المنضبط[٣٦]، الذي يؤدي إلى الفساد والموت. أيضاً الإكليل هو علامة على المكافأة الإلهية الأبدية للأبرار: "قد جاهدت الجهاد الحسن، وحفظت الإيمان، وأخيراً وُضع لي إكليل البر الذي يهبه في ذلك اليوم الرب الديّان العادل" (٢ تيمو ٤: ٧–٨). يوجد معنى آخر مهم جداً مرتبط بالإكليل: الإكليل هو رمز الشهادة والاستشهاد. فالمخلصون ليسوع يشاركونه انتصاره على الموت، لهذا يُدعون شهداء وشهوداً (الاشتقاق اللغوي واحد للكلمتين في العربية واليونانية). "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤ ٢: ١٠). في الرسوم المسيحية القديمة نجد صوراً للمسيح وهو يكلّل الشهداء بأكاليل النصر. لهذا نجد في خدمة الزواج إشارات كثيرة للشهداء. هذا لا يعني أن الزواج دعوة للآلام، بل هو دعوة للتضحية المستمرة ولحمل الصليب في سبيل بناء عائلة مباركة، "كنيسة صغيرة".

الكأس المشتركة: هي علامة على أن طقس الزواج كان في الأصل يُقام ضمن القداس الإلهي[٣٧]. يُرتَّل أثناء الشرب من الكأس المشتركة: "كأس الخلاص أقبل وباسم الرب أدعو". تجدر الملاحظة هنا أن الكأس المشتركة ليست مناولة المقدسات وليست بديلاً من مناولة جسد الرب ودمه قبيل العرس من قبل العروسين[٣٨].

---

(٣٦) الموعظة التاسعة على تيموثاوس الأولى.

(٣٧) يمكن مراجعة كتاب المرحوم الأب مايندورف "الزواج" للمزيد من التفصيل.

(٣٨) هذه الممارسة غير شائعة ويا للأسف إلا في مناطق معينة في الكرسي الأنطاكي (حمص مثلاً....).

الدورة الثلاثية: الدورة علامة على الأبدية: الزواج هو شهادة واستشهاد أبدي. هذا ما تدل عليه أيضاً الترانيم المرتَّلة أثناء الدورة.

أخيراً، أدعو أن يتبنّى الكرسي الأنطاكي مشروعاً يقوم فيه كاهن الرعية بشرح طقس الزواج ودلالاته للعروسين والعرّابين وبإصدار كتاب خاص بهذا يوزَّع عليهما قبل الزواج بفترة مقبولة. يجب أن يتحوّل طقس الزواج من مجرد خدمة مبتورة مشوَّهة لا معنى لها سوى الجانب القانوني إلى خدمة روحية كنسية أسرارية مملوءة بالنعمة والبركة.

(د. عدنان طرابلسي)

س ١٣٧ – ما هو موقف الكنيسة من الزواج المختلط (للعروسين إيمان مختلف)؟ هل اختياري قرين من كنيسة أخرى يناقض إيماني؟

ج ١٣٧ – لقد رأى الرسول الإلهي بولس سرَّ الزواج في صورة المسيح والكنيسة. ورأى عيش السرّ مقروناً وملتصقاً بالعلاقة القائمة بين المسيح والكنيسة (أفسس)، فصاح: "إن هذا السر عظيم، وأقول من جهة المسيح والكنيسة".

الزواج هو الإطار الذي يحيا فيه رجل وإمرأة في شركة مقدسة تباركها الكنيسة. وهذه الشركة الزوجية كثيرة الصعوبات والعراقيل. لهذا فالجهاد المسيحي وطلب النعمة الإلهية أمران بالغان الأهمية، فالمرأة والرجل عليهما أن يجاهدا معاً لتحقيق مشيئة الله لخلاصهما وأهل بيتهما.

والزواج المسيحي بمفهومه الأرثوذكسي يقوم على وحدة الإيمان، والالتزام بحياة الكنيسة الكامل. والوحدة والالتزام شرطان أساسيان في هذا الزواج. راجع قانون (١٠–٣١) من مجمع اللاذقية، والقانون (٢١) من مجمع قرطاجة، والمجمع المسكوني السادس. فهذه المجامع المذكورة تمنع الزواج بين أرثوذكسي وغير أرثوذكسية.

وهذا المنع المذكور ليس شكلياً، لأن وحدة الإيمان ووحدة الحياة هي التي ستضفي على هذا الزواج الطابع المسيحي المنشود.

بالطبع يمكن أن يكون الناس أصدقاء، وأن يكون عندهم اهتمامات متشابهة ومصالح متشابهة، وأن يحب أحدهم الآخر. ولكن المهم ليس هذه على أهميتها، لأن المطلوب هو أن يتحوّل البيت الزوجي إلى ملكوت المسيح.

وعندنا، ليس من السهل فصل الزواج عن سر الشكر. والاعتراض على ملازمة الزواج المسيحي لسرّ الشكر هو في العمق تغييب لعمل الروح القدس.

وعبر التاريخ كانت هناك زوجيَّات مختلطة كثيرة (١كور ٧: ١٣-١٥). في المجتمعات التعددية تكثر الزيجات المختلطة، وليس غريباً أن يكون العديد من هذه الزيجات قد أسهم في عائلات سعيدة. ومع ذلك، فالمهم ليس السعادة، بل امكانية تحويل البيت الزوجي إلى مملكة المسيح، أو ملكوت السموات.

ويمكننا في الوقت نفسه أن نعدّد ونوسّع دائرة الزيجات المختلطة، فالفروق في التربية والبئية والعقلية وسواها هي كلها عناصر اختلاطية عندما يقرّر فريقان الزواج.

ومع ذلك، نحن يهمّنا أن تكون الحياة الزوجية مكرَّسة للرب في الكنيسة. لأن الرب نفسه يذكّرنا ويطالبنا أن نكون كاملين (متى ٥: ٤٨). الرسول بولس تكلّم عن نيل القداسة عند غير المؤمن إذا كانت الزوجة مؤمنة (١كور ٧: ١٤)، ولكن كلام بولس يتكلم عن فريق اهتدى إلى الإيمان، وليس هو دعوة للزواج المختلط.

ومما لا شك فيه أن زيجات كثيرة ستستقيم إذا استطعنا أن نعيد الزواج إلى حظيرة سر الشكر.

ومع ذلك يرى الكثيرون أن تفعيل الزواج المختلط، بين دينين مختلفين، وطائفتين هو خدمة وطنية جليلة، وقد صرَّح بذلك عدد من رجال السياسة في لبنان. كذلك يرى فريق آخر أن الزواج المختلط يوسّع دائرة الاختيار. وكلما اتسّعت دائرة الاختيار كلما انعكس ذلك على حُسْن الاختيار.

الزواج المختلط خطأ كبير لأنه لا يخدم بنيان ملكوت المسيح، ويُطلق روح المساكنة والتعايش بين المتزوجين. طبعاً، كلامي لا يعني أن الزيجات المختلطة فاشلة، إذ ربما يكون بعضها أكثر نجاحاً من الكثير من الزيجات المسيحية الشكلية والاسمية.

السؤال ليس بسيطاً أو ساذجاً، لأن الجواب الحقيقي عليه يحتاج إلى شهادة تأتي من علماء قديسين. **(الأب منيف حمصي)**

س ١٣٨ – ما هي شروط الطلاق في الكنيسة الأرثوذكسية ولماذا تختلف عن شروط الكنيسة الكاثوليكية؟

ج ١٣٨ – قانون الأحوال الشخصية يجيز الطلاق فما قصته؟ في الدولة الرومانية المسيحية كان القانون المدني يحكم علاقات المواطنين وكان القضاة مدنيين فلا علاقة للكنيسة بالأمر سوى أنها تعقد الزواج كنسياً. بعد الفتح العربي تُرك المسيحيون وشأنهم فترجموا القانون البيزنطي إلى العربية. في العام ١٩١٣ أصدر السلطان العثماني قانون حقوق العائلة الذي يحوي أحكام الأحوال الشخصية لجميع الطوائف. في ١٩٣٦ أصدر المفوّض السامي القرار ٦٠ ل. ر. المنظّم للطوائف وحقها في الحكم في أحوالها الشخصية. الأسقف فوتيوس خوري ترجم كتاباً عن اليونانية وردت فيه أحكام للطلاق وفسخ الزواج ما أنزل الله بها من سلطان. ولم يذكر مصدره اليوناني. ولم يكن في الكرسي الأنطاكي اختصاصيون أعلامٌ. ولم يخطر ببال أحد المسؤولين أن يستعين بكلية اللاهوت في أثينا لتنظيم هذا الشأن. فسارت المحاكم على ضلاله. إلا أن نصوصه تعكس فساد العهد العثماني. في الكرسي الأنطاكي كانت عوائدنا معادية للطلاق. المطران–البطريرك أرسانيوس حداد قضى العمر في مطرانية اللاذقية يصالح الأزواج فلم يُعثَر في سجله إلاّ على حالة طلاق واحدة بسبب استحالة العيش المشترك. المطران جبرائيل دميان قضى فيه ست سنوات بدون إصدار أي قرار طلاق. كتاب "الحق العائلي" فتح الباب على مصراعيه. في العام ١٩٥٢ كلّف البطريرك ألكسندروس طحان لجنة من أربعة حقوقيين ليسوا في العير ولا في النفير لتنظيم مشروع قانون للأحوال الشخصية، فكان غالباً صورة عن سلفه. رفضته الحكومة السورية وقبلته الحكومة اللبنانية.

كتاب "الحق العائلي" يتضمن أحكام الأحوال الشخصية من زواج وتبنٍّ وميراث وو.... إلا أن المادة ٢٠٨ من الأحوال الشخصية السوري للمسلمين الصادر في العام ١٩٥٣ لم تعطِ المسيحيين الحق في كل أحكام الأحوال الشخصية. فللميراث قانونان. لم تسمح بالتبنّي. النفقة بين الأقارب (غير الزوجة والأولاد) من اختصاص المحكمة الشرعية. في لبنان قانون الميراث عام لجميع المسيحيين يساوي بين الذكر والأنثى. يحتاج الأمر إلى لجنة تتألّف من أساتذة الحقوق البيزنطية في أثينا وأساتذة مادة الحقوق المدنية فيها وكلية اللاهوت لوضع مشروع قانون أرثوذكسي المضمون عصري الصياغة الحقوقية. متى؟ وقد صدر نظام جديد عن المجمع المقدس بعد الفراغ من انشاء هذا الكتاب. فلم يعد من مجال لتبديل الفصل. انما أبدي ملاحظة قانونية عامة. خارج سوريا ولبنان – إيران مثلاً – لا يوجد قانون يحدّد اختصاص محاكمنا. لذلك تجب العودة إلى كتاب «الحق العائلي» أو بالاحرى إلى كتاب «الناموس الشريف» في الامور التي لك يعالجها النظام الجديد كالميراث مثلاً.

أما آباء الكنيسة فهم ضد الطلاق (باسيليوس، غريغوريوس اللاهوتي، الذهبي الفم وسواهم). غريغوريوس اللاهوتي يعتبر الزواج الثالث زنى. الذهبي الفم لا يعترف أبداً بزواج المطلّقين ولو حملوا ألف قرار طلاق.

عملياً الإكليروس يكلِّل العروسين ويصرفهما. تعقّد الحياة المعاصرة صار يتطلب مرشدين مختصّين بارعين في توجيه العروسين قبل الزواج توجيهاً يساعد على انفتاح صدر كل منهما للآخر لضمان الاندماج الوجودي والالتحام المصيري، والصبر على صروف الدهر وتقلّبات الزمان. فهما بحاجة إلى التدريب على فن الحياة المشتركة الطويلة الأمد في الاحترام المتبادل لبعضهما بعضاً ولأهلهما دون تبذّل وخفة. الاحترام المتبادل والإعجاب المتبادل المتجدِّدان يومياً يقصيان الحياة الرتيبة المملّة. فالتجدّد الدائم ضرورة ملحّة. في كل يوم يكتشف أحدهما في الآخر جانباً جديداً. الجاذبية الروحية هي أقوى لحمة تجمع الزوجين.

س ١٣٩ – يقول الرب يسوع: "مَن تزوّج بمطلَّقة فقد زنى". لماذا؟ وماذا تفعل المطلَّقات إذن؟

ج ١٣٩ – في إنجيلي مرقس ولوقا والرسالة إلى كورنثوس الأولى الرابطة الزوجية لا تنفصل، ولذلك فالطلاق هنا هو تفريق لا يُجيز الزواج ثانية لا للرجل ولا للمرأة. لا شك أن في الأمر قساوة ولكن المسيحية صليب فلماذا على الشهداء والنساك والمتبتلين عامة أن يستشهدوا باستمرار ويبقى المطلّقون بدون خضوع لقانون الاستشهاد من أجل الإنجيل الذي منعهم من الزواج ثانية؟ المسيحية لا توافق أهواء الإنسان بل تطلب لجمها. ولذلك على كل إنسان أن يحمل صليبه. فإن تزوّج المطلق أو المطلقة قبل وفاة قرينه كان زواجه أو زواجها باطلاً وعلاقته (أو علاقتها) علاقة زنى. أما متى مات القرين أو القرينة فقد صار الفريق الآخر حرّاً ليتزوج ممَّن يشاء في الرب. إذاً: زواج المطلّق والمطلّقة زنى لأن الرابطة الزوجية الأولى لم تنفصم. لا تنفصم إلا بالوفاة (رومية ٧: ٢–٣). رومية واضحة.

أما على المطلقين والمطلقات فعيش العفّة هو القاعدة. هناك حالة لا تُعتبر طلاقاً ألا وهي حالة وقوع القرين أو القرينة في الكفر. آنذاك يُطبّق كلام بولس الرسول في ١كور ٧: للفريق المسيحي أن يستمر أو أن يفارق. **(اسبيرو جبور)**

س ١٤٠ – هل يجب السماح بالزواج المدني أم لا ولماذا؟

ج ١٤٠ – الزواج المدني يتم أمام دائرة حكومية وفقاً للقوانين المدنية. من حسناته أن المسؤول الحكومي يطبق القانون بدون مخالفات. وتتحدّد فيه الحقوق والواجبات وفقاً لنصوص القانون. وفي البلاد ذات النظام المدني تفصل المحاكم النظامية الخلافات. فإن وُجد أو لم يوجد لا يعنينا أمره كثيراً. بالنسبة إلينا كمسيحيين نحرص على إجراء إكليل قانوني بدون مخالفات ينال فيها الزوجان البركة الإلهية. وبالنسبة للخلافات الزوجية المهم أن تُعالج روحياً وفقاً لأحكام الإنجيل.

في بلادنا الأحوال الشخصية طائفية. هناك بشرٌ ضعفاء الإيمان يودّون التخلّص من الزواج الكنسي والمحاكم الكنسية. وهناك طوائف ترفض تعدد الزوجات والطلاق بينما

يسمح سواها بذلك. فتشريع مدني يشمل الكل يلقى صعوبات. في مصر أُلغيت المحاكم الطائفية، ولكن الأقباط شكوا من إساءات الاستعمال، فأُعيد إليهم حقهم المسلوب.

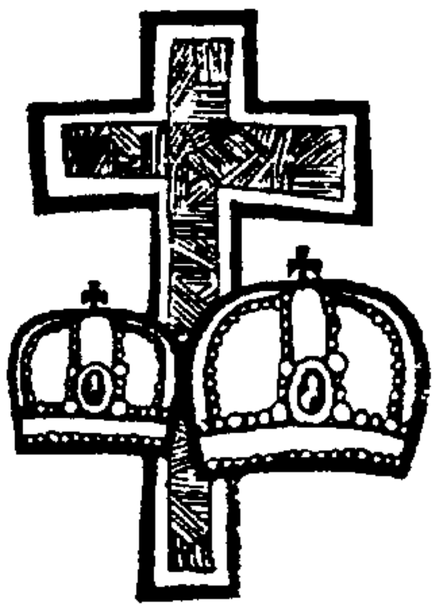

فليس المهم فقط عقد زواج مدني. يعقده البعض في الخارج. ولكن فصل الخلافات يبقى من اختصاص المحاكم الطائفية. وفي بلادنا من العسير الاتفاق على وحدة الزواج وتقييد الطلاق بقيود ضابطة. وليست المحاكم المدنية بأشرف من المحاكم الروحية متى قام على شأنها قضاة ذوو أهلية محمودة. فبعد ٥٥ سنة من مباشرة المحاماة أعرف ملابسات الأمور... وفي هذه الأيام تعجّ دور المحاكم المدنية بالمتقاضين والمراجعين والشهود الكذبة وسواهم. فلا يليق بالنساء المحصنات أن يرتدن هذه البازارات. كنتُ في مشروع النظام الأساسي للبطريركية (١٩٧٢) قد أفردتُ فصلاً للمحاكم يضبط الشذوذ بنسبة كبيرة عن طريق نيابة عامة يحق لها الطعن في الأحكام: إلا أن اللجنة حذفته. الأفضل هو تدخّل أهل الطرفين فوراً للصلح. فلا يجوز اخفاء الخلاف عن الأهل، ولا تعَصّب أهل الزوجة لها ولا أهل الزوج له. متى دعم أهل الزوجة الزوجَ وأهل الزوج الزوجةَ اضطرا إلى التفاهم غالباً. الأهل الأغبياء يؤجّجون الخلافات. **(اسبيرو جبور)**

سر الكهنوت المقدس

س ١٤١ – ما هي رتبة الشماسات التي كانت موجودة في الكنيسة الأولى؟

ج ١٤١ – توجد إشارات قليلة إلى رتبة الشماسات(*) في التاريخ. وقد اشتهرت في الشرق المسيحي على عكس الغرب. ومن الملاحظ أنه لا توجد خصائص واحدة لهذه الرتبة في كل مكان وعصر. وقد وجدت هذه الرتبة في الكنيسة الأرثوذكسية وفي كنائس شرقية أخرى، كالأرمنية والكلدانية.

أصول هذه الرتبة تعود إلى العهد الجديد، إلى فيبي التي ذكرها بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية (١٦: ١–٢) على أنها diakonos أو شماسة. وقد حاجّ البعض

(*) راجع باب «الشموسية» في كتاب «نعم أو لا لكهنوت المرأة»، للأب منيف حمصي.

بأن هذه الكلمة قد تعني "مساعِدة" أو "خادمة" وليس شماسة بالمعنى التقني للكلمة، إلا أن التقليد اللاحق لا يسند هذا التأويل. ففي حالة فيبي، يشير هذا اللقب إلى خدمة نوعية وليس إلى خدمة عامة. أوريجنس في تعليقه على رسالة رومية (١٠: ١٧) يشير صراحة إلى أن فيبي كانت شمّاسة.

أيضاً يشير القديس الذهبي الفم في تعليقه على رسالة رومية (الموعظة ٣٠) إلى أن فيبي كانت شماسة في كنيسة كنخريا. ويمدحها على صلاحها وقداستها. ويوصي الذهبي الفم الرجالَ والنساءَ معاً بالتشبّه بها. أيضاً، نجد أن الذهبي الفم في تعليقه على الآية ٣: ١١ من رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس يذكر أنها لا تشير إلى النساء بشكل عام، بل إلى الشماسات، ويقول: "ادّعى البعض أن هذا (النص) قد قيل في النساء بشكل عام، إنما الأمر ليس هكذا، إذ لماذا يُقدّم (بولس) أي شيء عن النساء حتى يتدخّل في موضوعه؟ إنه يتكلم عن أولئك اللائي شغلن منصب الشماسات.. لأن تلك الرتبة ضرورية ومفيدة ومكرَّمة في الكنيسة". (الموعظة ١١ على الرسالة إلى تيموثاوس).

إذاً، التقليد الكنسي ينظر إلى فيبي كنموذج للشماسات، كما أن القديس استفانوس الشهيد كان نموذج الشمامسة. والكنيسة الأرثوذكسية تعيّد لعدد من الشماسات في الكنيسة، من أشهرهن الشماسة اوليمبيا (عيدها في ٢٥ تموز)، صديقة القديس الذهبي الفم والتي رسمها سلفه نكتاريوس. وكان عمرها ٢٩ عاماً، إنما كانت جديرة جداً.

المجمع المسكوني الأول (٣٢٥) ذكر الشماسات اللواتي تمَّ انتخابهن من قبل الأسقف وتكريسهن منه.

مكانة ووظائف الشماسة: توجد وثيقتان تاريخيتان[٣٩] تلقيان الضوء على مكانة الشماسات في التاريخ الكنسي ودورهن في الكنيسة. تناقش هاتان الوثيقتان وظيفة الأرملة ووظيفة العذراء في الكنيسة. ولا تبدو أن وظيفة الشماسة مساوية لأي من هاتين الوظيفتين، لأن الأرملة أو العذراء هي علمانية قد نالت بركة الأسقف لتخدم في

(٣٩) Apostolic Constitution & Didascalia.

الكنيسة، و لم يوجد طقس خاص لرسامة أي منهما مثلما هو الحال بالنسبة إلى الشماسة. ورغم أن الشماسات كن يُنتَخَبن من بين رتبة الأرامل في البداية، إلا أن هذه الرتبة صارت مستقلة. وقد كانت الشماسة معدودة ضمن سلك الكهنوت لا العلمانيين، أسوة بالشماس. والقوانين الكنسية والتشريعات المدنية في تلك الفترة تؤيد هذه الملاحظة. وكانت توجد شروط خاصة برتبة الشماسة من حيث العمر (٦٠ عاماً، ثم خمسون، فأربعون)[٤٠]، وأن تكون عذراء أو أرملة أو منفصلة عن زوجها إن كان كاهناً ورُفع إلى رتبة أسقف، ولا يجوز زواج الشماسة بعد رسامتها.

كانت مسؤولية الشماسة الرئيسية هي مساعدة الأسقف في تعميد النساء الموعوظات. إنما كان مسؤوليات أخرى أوسع منوطة بالشماسة، ومنها على سبيل المثال: حراسة أبواب الكنيسة، الاهتمام بجزء الكنيسة حيث تجلس النساء، تعليم النساء الموعوظات والمسيحيات، زيارة المريضات والمسجونات والمقعَدات، إحضار المناولة للنساء العاجزات عن المجيء إلى الكنيسة، توزيع التبرعات على الأرامل. وبشكل عام، تخدم الشماسة تماماً مثل الشماس خارج الإطار الليتورجي. أما ضمن الإطار الليتورجي فمسؤولية الشماسة أقل من مسؤولية الشماس، إذ لا تنغمس في أي عمل ذي طابع كهنوتي.

أُثير جدلٌ في الكنيسة حديثاً فيما إذا كانت الشماسة مساوية للشماس من حيث الرتبة الكهنوتية، أم أن خدمتها هي مجرد تكريس خاص (مثل القارئ والمرتّل). قبل نهاية القرن الرابع كانت المخطوطات المتعلقة بهذا الموضوع تستعمل كلمتين يونانيتين بصورة متبادلة للدلالة على تكريس الشماسة. هاتان الكلمتان هما: Heirotonia (وتعني الرسامة الكهنوتية)، و Heirothesia (وتعني التكريس أو البركة للقيام بعمل ما). في نهاية القرن الرابع، نجد أن كلمة الرسامة الكهنوتية فقط هي التي كانت تُستعمل، مما يدل على أن رتبة الشماسة هي رتبة كهنوتية مناظرة لرتبة الشماس وإن كانت توجد بعض الفروق بين طقسي الرسامة وبين واجبات الشماس والشماسة من الناحية الكهنوتية (فالشماسة مثلاً لا تركع على ركبة واحدة مثل الشماس أثناء طقس الرسامة، ولا توزّع القربان المقدس كالشماس). إنما توجد بعض الدلائل على أن الشماسة كانت تتناول من الأسقف من

(٤٠) في القانون ١٥ من المجمع الرابع والقانون ٤٠ من المجمع الخامس–السادس.

على المائدة مثل بقية الكهنة. وأن الشماسة كانت تأخذ القربان المقدس إلى المريضات والعاجزات، وأنها كانت تضع كأس المناولة على المائدة بعد المناولة أثناء القداس الإلهي. وتوجد إشارات أخرى تدل على أنه كانت للشماسة رتبة خاصة بها ليست متطابقة مع رتبة الشماس وإنما ليست علمانية في الوقت نفسه.

في نهاية القرن الثاني عشر بدأت هذه الرتبة بالأفول. ويعزو البعض هذا إلى عدم وجود موعوظات بالغات من النساء وانتشار معمودية الأطفال مما أنقص الحاجة إلى وجود رتبة الشماسات. لكن القرن التاسع عشر والقرن العشرين شهدا محاولات عديدة لإحياء رتبة الشماسات في الكنيسة الأرثوذكسية، أهمها في روسيا واليونان. وقد قام القديس نكتاريوس، أسقف المدن الخمس، برسامة راهبة شماسة في عيد العنصرة من العام ١٩١١. وقد وجدت بعد ذلك شماسات عديدات كن راهبات في اليونان. كانت الواحدة منهن تلبس الزنار orarion وتبخّر وتزيّن مائدة المذبح، وتقرأ الإنجيل خلال الخدم الليتورجية وتُحضر القرابين إلى الراهبات المريضات[٤١].

إذاً من العهد الجديد والمصادر التاريخية وقوانين الكنيسة نستنتج وجود خدمة معينة للنساء هي الشماسات. تؤيد هذه المصادر رسامة الشماسة. إنما ما يزال الباب مفتوحاً بعد للنقاش حول نوعية رسامة الشماسة، وإلى أي درجة يمكن مقارنتها برتبة الشماس. الأب اسبيرو جبور أفرد فصلاً خاصاً لموضوع الشماسات في كتابه "المرأة في نظر الكنيسة"، وهو يرى أن الشماسة لم تكن في عداد سلك الكهنوت وذلك اعتماداً على المجمع المسكوني الأول (القانون ١٩).

يجب أن نلاحظ هنا أن الكنيسة الأرثوذكسية، التي كانت على علمٍ بوجود كاهنات في الديانات الأخرى الوثنية، لم تربط رتبة الشماسات برتبة الكهنة (الشيوخ). بل كانت

---

(٤١) للمزيد يمكن مراجعة:
Women and the Priesthood by several authors, SVSP, 1983
Matushka Ellen Gvosdev: The Female Diaconate: An Historical Perspective;Light and Life Pub. Co. 1991

الكنيسة الأرثوذكسية ومازالت تعتبر أن رتبة الشماسية هي رتبة كاملة بحد ذاتها و لم تعتبر أن الشماس (أو الشماسة) هو كاهن ناقص. فلكل منهما دوره وخدمته وموهبته. لهذا فوجود رتبة الشماسات في الكنيسة الأرثوذكسية لا يمكن أن يكون دليلاً، مباشراً أو غير مباشر، على أنه يمكن للكنيسة الأرثوذكسية أن تسمح في المستقبل برسامة المرأة فيها كاهنة. ويمكن للقارئ أن ينظر إلى السؤال ١٤٧ الذي يناقش مسألة كهنوت المرأة[٤٢]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٤٢ – لماذا لا يستطيع الكاهن الأرثوذكسي أن يتزوج بعد رسامته؟ ولماذا لا يستطيع الكاهن أن يتزوج ثانية إذا ماتت زوجته؟

ج ١٤٢ – لا بد من القول أولاً إن الجواب على هذا السؤال ليس عقائدياً. و لم يكن هكذا في يومٍ من الأيام. هو باختصار لاعتبارات عملية وتربوية.

الزواج عند المرشَّح للكهنوت خطوة أساسية على طريق الاستقرار والثبات في خدمة الناس (الرعية). ويفضّل بعض القادة الكنسيين أن يكون المرشَّح للشمّاسية قد أصبح أباً لطفل أو طفلة أيضاً. وهذا أيضاً يصبّ في خانة الثبات في الخدمة والاستقرار. ويقول المثلث الرحمات الأب يوحنا مايندورف إن خادم الرب يجب أن يتوفر فيه: الثبات والنضوج مع روح التعليم. السؤال الآن: هل نختار الزواج قبل الرسامة أم الرسامة قبل الزواج؟

الزواج قبل الرسامة: إذا تزوج المرشَّح لإحدى الرتب الكهنوتية قبل رسامته، فإنه يعيش حياته سوية وكاملة. وتستقر علاقته بزوجته. لا بل يصبح أباً لطفلٍ. بعد ذلك يدخل مجال الخدمة الكنسية هادئاً وفي سلامٍ، ودون أن يتخلّى عن جهاده مدى الحياة.

---

(٤٢) كان نكتاريوس قد رسم أولمبيا وهي أرملة ابنة ٢٩ عاماً نظراً لأهليتها الاستثنائية. المجمع الرابع المسكوني حدَّد العمر بالأربعين (القانون ١٥ وكذلك المجمع الخامس – السادس القانون ١٤). مرجع عدنان تجاوز القانون ١٩ من المجمع المسكوني الأول الذي أدخل الشماسات في عداد العوام. فمخالفة بعض رجال الدين لقوانين المجامع المسكونية وعلم اللاهوت باطلة بطلاناً مطلقاً ولو صدرت عن بطريرك المسكونة. ويبقى مذنباً. وتعاد معمودية الشماسات ورسامة رجال الدين إن كانوا من أتباع السمسياطي قديماً أو أضرابهم اليوم الذين أنكروا الثالوث والتجسد مثل شهود يهوه (اسبيرو جبور).

ولّما كان الراعي إنساناً يعمل في الرعية، فهذا يعني أن عليه أن يعرف مشاكل الناس، وأن تكون عنده خبرة تخوّله أن يحلّ مشاكل الناس بهدوء وعمق وسلامٍ. والمتزوج السوي يتمتع برؤية واضحة للعلاقة مع المرأة. فهو يعرفها أمّاً وقريبة وأختاً وزوجةً. وهذا يجعل رعايته للناس سليمة وهادئة. وهذا هو النمط الذي تسير به نظرة الكنيسة للرعاة في العالم.

الزواج بعد الرسامة: أما إذا أقبل المرشَّح للخدمة على الرسامة، وبعد حين قرّر أن يتزوج ولعدد من الأسباب، فهذا يجعل خدمته للكنيسة – قبل الزواج – معيبة. فهو لم يكن ينعم بالاستقرار والثبات، وهذا جليّ من رغبته بالزواج.

كذلك فإن الذي يفكر أن يرتبط بزوجة وهو شماس أو كاهن، فإنه يقوم بعملٍ غير رضي – ليس لأن الزواج دنس– بل لأنه مارس القيادة ولم يُثبت الاستقرار فيها، فقد شعر أنه بحاجة إلى زواج. ناهيك أن الخطوبة والتعارف لا تليق به كشماس أو كاهن، وذلك لأن عالم الخطوبة والزواج يختلف عن عالم الشماس أوالكاهن. تُرى بماذا يختلف العالمان؟

قلتُ إن الثبات مبدأ هامٌ في حياة الشماس أو الكاهن. لهذا فعالم الخطوبة والزواج هو طور من الاختبارات تسبق الثبات والاستقرار.

وهكذا، فإن الكنيسة تبدو لي حكيمة جداً عندما تقبل بزواج الخادم قبل البدء بخدمته. فالزواج في نظرها مكرَّمٌ ولا عيب فيه. ولكن الزواج بعد الرسامة أمرٌ ملتوٍ ومعيب.

فليتزوج المرء إذا أراد العمل في الرعية. ومن ثم يمارس الشماسية والكهنوت بهدوء وسلامٍ. هذا في الرعاية. أما في الرهبنة فالمسألة تختلف، ومنطقها ليس هو منطق الحياة في الرعية. **(الأب منيف حمصي)**

س ١٤٣ – كيف ترى العلاقة إذاً بين البتولية والزواج والكهنوت؟

ج ١٤٣ – مَن رُسِمَ وهو بتول فقد اختار البتولية. إنْ تزوج بعدها خانها. والخيانة هنا ممنوعة وأمر فاحش. والزواج في رسالة بولس الأولى إلى تيموثيوس مسموحٌ به مرة

واحدة للكهنة والشمامسة. لا تجوز رسامة مَن تجوّز مرتين ولا يجوز تزويج الكاهن الأرمل. وبولس الرسول فرض سن الستين على الأرامل المنتظمات في السلك المقصود. ولم يسمح بأدنى من ذلك لئلا يبطرن فيتزوجن ويرتكبن الخيانة للمسيح (١تيمو ٥: ٩-١٢). وفرض أن تكون الأرملة قد تزوجت مرة واحدة فقط. فكم بالأحرى يجب أن يخضع الإكليريكيون لهذه القواعد؟ أي لا يجوز أن يتزوج الكاهن بعد الرسامة ولا أن يتزوج الكاهن الأرمل. فالقانون ٦ من المجمع الخامس – السادس واضح كل الوضوح في أمر عدم الزواج بعد الرسامة ومَن تبتّل فليبقَ بتولاً. فإنه قد اختار الكنيسة عروساً والتصق بالمسيح. فما عاق التبتّل يوحنا الذهبي الفم وأنداده عن اللمعان. المسألة مسألة معادن. الناس معادن. بولس الرسول قال إن لكل واحد دعوته وفضّل البتولية على صورته هو على الزواج (كورنثوس الأولى ٧). والرب في مثَل العذارى امتدح ضمناً البتولية، طبعاً البتولية العاملة المكافحة مثل الرسل. (اسبيرو جبور)

س ١٤٤ – ما هو الفرق بين الكاهن والارشمندريت ؟

ج ١٤٤ – الأرشمندريت هو رئيس الدير. اللفظة اليونانية تعني حرفياً رئيس الحظيرة. ولكن في بلادنا جرى العمل على إعطاء رتبة الأرشمندريت للمتقدم العازب بين الكهنة. فالأرشمندريت كاهن متبتل لا رتبة كهنوتية مختلفة عن رتبة الكاهن. (اسبيرو جبور)

س ١٤٥ – مَن هو المسؤول عن اختيار المرشَّحين للكهنوت؟ لماذا يوجد الكثيرون من الشمامسة والكهنة والأساقفة الذين لا يستحقون أن يكونوا في عداد الكهنوت؟

ج ١٤٥ – المسألة واسعة التعقيد تاريخياً. فقبلاً كان الشعب يرشّح الأساقفة والأساقفة يرسمونهم (كما في كتابنا المخطوط " الشعب ينتخب أساقفته "). المسألة تقلّبت كثيراً في الكرسي الأنطاكي وسواه. أمّا اختيار الكهنة فكان الأهالي يعرضون أحد الناس على المطران. اليوم معاهد اللاهوت تخرّج الكهنة. التطور العلمي العالمي يفرض على الكنيسة أنْ يكون رجالها قادة ميامين يقودون الشعب بجدارة.

في منطقتنا الخارجة من عهود الظلام المملوكي العثماني لا نستطيع أن نجد الكمال. في القرن ١٨ اعتلى عرش القسطنطينية ٣٣ بطريركاً بسبب فساد الحكم العثماني وتناحر المطارنة والرشوة.... لا بد من مرور زمن ما قبل الإصلاح الجذري، وما يُسمَّى بالوجهاء هو ذو دور في الإتيان بعناصر تافهة تتبع زعاماتهم.

فما كل الأساقفة والكهنة عجائبيون مثل القديس اسبيريدون العجائبي لينفذوا وصية بطرس الرسول بالردّ على كل ما يسألنا عن موضوع إيماننا. نحتاج إلى رجال أنداد لمعلمي المسكونة فم الذهب وو.... هؤلاء يصدرون من أمهات رفيعات التقوى يتدرّبون على العمل الرسولي. معاهد اللاهوت اليوم أكاديميات لذلك لا تنجح في تخريج الخطباء الأماثل. التمرّس بفنّ باسيليوس وغريغوريوس والذهبي وبالاماس وحده سيخلب الألباب ويخطفها إلى السماء، لا الخطب المنمّقة المتصنّعة. روح آباء الكنيسة وحدها نهضوية. وما تبقّى نوافل. اللّب هو آباء الكنيسة. الباقي قشور. لا احتقرها إلاّ إذا كانت بدون اللّب.

كان آباء الكنيسة سكارى بالله. اليوم الناس سكارى بمنافخياتهم وو..... **(اسبيرو جبور)**

س ١٤٦ – لماذا لا يكون الأساقفة في الوقت الحاضر متزوجين بينما كانوا هكذا في العصور المسيحية الأولى؟

ج١٤٦ – الكنيسة الأولى سمحت بوجود إكليروس متزوج في كل درجاته. ولكن قبل نهاية القرن الأول أخذ تشدّد في العفة يعطي ثماره. فعرف العسكر الروماني أن المسيحيات متشدّدات فاخترع تعذيبهن عن طريق فضح أعراضهن. في العام ١٠٠ القديسة بيلاجيا ألقت بنفسها من على السطح لئلا يفضح عرضها العسكر الروماني. أوريجنس شدّد كثيراً على البتولية. كاسيانوس كذلك. في القرن الرابع استفحل الأمر والتشدد في الغرب. مع تمادي الزمان تناقص جداً عدد الأساقفة المتزوجون. في العام ٦٩١ انعقد المجمع المسكوني الخامس–السادس وأصدر قانوناً يمنع فيه المتزوجين من ارتقاء

مناصب الأسقفية. اللاهوتي الكير سرجيوس فيرخوفسكوي يعتبر هذا القانون في جملة العقائد الأرثوذكسية أي له صفة عقائدية Dogmatical. هذا القرار لا يلغيه إلا مجمع مسكوني.

عملياً الإكليروس الأرثوذكسي في أوروبا رهبان. لا يمكن إطلاقاً إقناع الروس وأندادهم بتغيير أي حرف من تقليد الكنيسة. ولذلك الأكثرية الأرثوذكسية الساحقة تتمسك ببتولية الأساقفة. وترى الأرثوذكسية في الأسقف راهباً مكرَّساً للصلاة وخدمة الشعب. الرهبانية في الأرثوذكسية تطغى على كل شيء. فروحانيتها رهبانية. فأضحى من المسلّمات أن يكون الأسقف صورة عن أنطونيوس الكبير لا عن رجل يذهب إلى السوق للتبضع والاهتمام بحاجات المرأة والأولاد. والإصحاح ٧ من كورنثوس الأولى يشجّع على التبتّل والتكرّس. فإن لم يكن الأسقف هو النموذج فأين نجده. الكاهن يذهب إلى السوق مثل كل الناس. لا نستطيع اليوم أن نتصوّر الأسقف في سوق الخضار والبازار. (اسبيرو جبور)

س ١٤٧ – لماذا لا توجد نساء كاهنات في الكنيسة الأرثوذكسية؟

ج ١٤٧ – ليس في العهد الجديد أي شيء يؤيّد كهنوت المرأة وكذلك الأمر في العهد القديم. إنما ذكر بولس الرسول القديسة فيبي شماسة كنيسة كنخريا. في كتاب "الدساتير الرسولية" توجد خدمة بسيطة لرسامة الشماسة. ووظائفها محدودة جداً، فلا تشترك في خدمة القداس الإلهي كالشماس. وفي الكنيسة استمر نظام الشماسات حتى القرن التاسع، فما تنطّس أحدٌ للمطالبة برسامة النساء كاهنات.

من جهة أخرى لا تستطيع المرأة أن تكون كاهناً نظامياً لأسباب عديدة منها:

١– الحبل والولادة ومعوقاتهما.

٢– لا يستحسن الأرثوذكس تنقّل المرأة من بيت إلى بيت كالرجال. وبولس الرسول ذمّ الأرامل اللواتي يتنقلن بين البيوت.

٣– بعد ألفي عام من المسيح لا يستحسن الرجال الأرثوذكس كهنوت النساء.

٤– لا يستحسن الأرثوذكس استرجال المرأة ودخولها المطرانيات التي هي في الأصل قلايات رهبانية.

٥- يؤلمني أن أقول إن كهنة الرعايا مضطرون إلى مسايرة المجتمع في الأحاديث التافهة وغير التافهة. ولا يليق بالنساء الكاهنات أن ينحدرن إلى مستوى التفاهة[٤٣]. (اسبيرو جبور)

س ١٤٨ – ماذا تعني عصا المطران؟

ج ١٤٨ – المطارنة هم رعاة الشعب والراعي يحمل عصا الرعاية. يسوع قال: إنه الراعي الصالح. في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد الشعب رعية رجال الدين وهم رعاته. والراعي يسوق خرافه بالعصا، والعصا هي عصا إرشاد وتأديب. وهذه هي وظيفة المطارنة الأساسية لا السياسة لا المظاهر الاجتماعية. (اسبيرو جبور)

سر مسحة المرضى

س ١٤٩ – إن كان المريض لن يُشفى في كل مرة ينال فيها مسحة المرضى فهل هذا يعني أن المسحة نفسها لا تكون فعّالة في كل مرة؟

ج ١٤٩ – مسحة المرضى جاء ذكرها في رسالة القديس يعقوب الرسول. في إنجيل متّى جاء أن الرسل كانوا يمسحون المرضى بالزيت. بحسب نص يعقوب صلاة البار تقتدر كثيراً في فعلها. فالكاهن يصلّي أولاً ويمسح ثانياً. التركيز في الرسالة على صلاة الكاهن وإيمانه. وهذا لا يتنافى مع إيمان المريض نفسه. أما النتائج (الشفاء) فهي بيد ربنا. الله ذو مقاصد في المرض. يسوع نفسه قال في مرض لعازر إنه لمجد الله. فبدلاً من دينونة الكاهن واتّهامه في إيمانه علينا أن نفتش عن مجد الله في مرضنا. لله مقاصد ومخطط بالنسبة إلى كل مؤمن. فكما

(٤٣) راجع اسبيرو جبور: "المرأة في نظر الكنيسة"، والأب منيف حمصي: "نعم أم لا لكهنوت المرأة؟".

تمجّد في مرض لعازر قد يتمجّد في مرض كل إنسان آخر. وفي السنوات الأخيرة رأينا مرضى السرطان ينتقلون وهم في حالة قداسة. (اسبيرو جبور)

س ١٥٠– الأمراض مذكورة في الكتاب المقدس في مناسبات عديدة. ما هو الموقف اللاهوتي من المرض وكيف تراه الكنيسة في حياة المؤمن؟

ج ١٥٠ – مصدر المرض في حياتنا:

سبع مرات يذكر كاتب سفر التكوين في الإصحاح الأول أن الله "رأى كل ما عمله فإذا هو حسن جداً" (تكو ١: ٣١). وكما ذكرنا في كتابنا "وسقط آدم" أن الله لم يخلق الإنسان على ما هو عليه اليوم من حال. لكن خطيئة آدم وحواء التي أدت إلى انفصال الإنسان عن الله وسقوط الجنس البشري وخسارة النعمة الإلهية في حياتنا البشرية، هذه الخطيئة أدخلت إلى حياتنا الألم والأمراض والفساد والأتعاب والضعفات وأخيراً الموت، الروحي أولاً ومن ثم الجسدي.

يقول القديس مكسيموس المعترف: "الإنسان الأول الذي نال كيانه من الله أتى إلى الوجود معتَقاً من الخطيئة والفساد، لأنه لا الخطيئة ولا الفساد قد خُلقا معه". و"إن التحوّل في الإنسان نحو الألم والفساد والموت لم يكن هناك في البدء"(٤٤). فالطبيعة البشرية قبل السقوط كانت خالية من المرض والألم والمعاناة. يقول القديس باسيليوس الكبير: "ليس الله سبب المعاناة، من الحماقة أن نعتقد أن الله خالق معاناتنا؛ هذا التجديف.... يُفسد صلاح الله". و"لم يُشكِّل المرض بيد الله". ويقول: "الله الذي خلق الجسد لم يخلق المرض، تماماً كما أنه خلق النفس لكنه أبداً لم يخلق الخطيئة"(٤٥). أيضاً يقول القديس غريغوريوس النيصصي: "لا مرض ولا عاهة وجدت في البدء مع طبيعتنا (الأصلية)"(٤٦). ويردّد هذا القديس مكسيموس: "الله في خلق الطبيعة البشرية لم يُدخل الألم إليها"(٤٧).

---

(٤٤) To Thalassios 21; PG 90, 312B & ibid. 42; PG 90, 408C.

(٤٥) Homily: God is not the cause of evil 2, 6; PG 31.

(٤٦) Letters III. 17.

(٤٧) To Thalassios 61; PG 90, 628A.

ويلّخص القديس بالاماس الإجماع الآبائي بقوله: "الله لم يخلق الموت ولا الأمراض ولا العيوب"(٤٨)؛ "لم يخلق الله لا موت النفس ولا موت الجسد". "موت الجسد هذا لم يعطه الله؛ و لم يخلقه و لم يقضِ أن يكون.... ولا الله خالق الأمراض الجسدية"(٤٩). إذاً: السقوط أدّى إلى خسارة النعمة الإلهية الممنوحة للإنسان لدى خلقه. هذه الخسارة أدّت إلى تبدّلات كبيرة في الطبيعة البشرية والحياة البشرية. هذه التبدّلات تلخّصها ما يُعرف لدى الآباء بـ "الأقمصة الجلدية". هذه الأقمصة دخلت حياتنا بسبب عصيان الإنسان الوصية الإلهية وبسبب سوء استعمال الإرادة البشرية الحرة. يقول القديس مكسيموس المعترف: "إن سوء استعمال الحرية في الاختيار أدخل إلى آدم القابلية للعقاب والفساد والموت"(٥٠). ويقول ثيوفيلوس الأنطاكي: ".... في عصيانه، اكتسب آدم التعب، والمعانة، والألم، وأخيراً سقط في قوة الموت"(٥١).

يقول القديس بالاماس: "من أين نحصل على ضعفاتنا، أمراضنا، والشرور الأخرى التي تُحدث الموت؟ من أين يأتي الموت نفسه؟ من عصياننا للوصية الإلهية، من تعدّي الشريعة التي أعطاها الله لنا، من خطيئتنا الأولى في فردوس الله. هكذا، الأمراض والضعفات وثقل كل أنواع التجارب هي نتاج الخطيئة. ففي الواقع، بسبب الخطيئة كسينا أجسادنا المريضة بأقمصة جلدية؛ إننا نجتاز هذا العالم الزائل المؤقت مائتين ومسحوقين بالمعاناة، وقد أُدنّا أن نحيا حياتنا تحت رحمة الشرور التي لا تحصى وحشود النوائب. نتيجة لهذا، فإن المَرض هو سبيل قصير وصعب قادت الخطيئةُ السلالةَ البشرية إليه، والموت هو نهاية هذا السبيل وحدّه الأقصى"(٥٢).

مسؤولية الإنسان عن المرض:

هكذا فالمرض هو نتيجة لخطيئة آدم الأولى، للسقوط، وهو إحدى أشكال الشر الذي ولّدته الخطيئة. ما هي العلاقة بين المرض والخطيئة، وما هي مسؤولية الإنسان في ظهور المرض وتطوره؟

---

(٤٨) Homily XXXI; PG 151-396 B.
(٤٩) ibid. 151-396 C.
(٥٠) To Thalassios 42.
(٥١) To Autolycus II. 25.
(٥٢) Homily XXXI, PG 151-388BC.

مما سبق نستنتج أن هذه العلاقة وهذه المسؤولية موجودة منذ البداية. لأن المرض كان نتيجة لسقوط آدم ولخطيئته، والآباء يصوّرون المرض، سوية مع الشرور الأخرى، كنتائج للخطيئة الجديّة وكعقاب عنها.

لكن يجب الانتباه إلى أن هذا العقاب لم يوضع من الله، وإن كان قد سمح به بالطبع، بل أوجده الإنسان بتعدياته. يقول القديس كلمندس الإسكندري: "كلٌ منّا يختار العقوبات عندما نخطىء بإرادتنا"(٥٣). فعندما أخبر اللهُ آدمَ وحواء بالشرور التي ستنجم عن المعصية والخطيئة والتعدي (تكو ٣: ١٦–١٩) لم يكن هو مَن أحدث هذه الشرور؛ لقد تنبأ بها ووصفها فحسب(٥٤).

آدم بعد السقوط أورث الجنس البشري الموت والفساد والمرض والمعاناة، الخ. يقول القديس غريغوريوس النيصصي: ".... البشر مولودون من بشر، وبولادتهم يلدون النقائص البشرية". والذهبي الفم في تعليقه على رومية ٥: ١٩ يقول: "يؤكد الرسول أن الكثيرين قد صاروا خطاة بسبب معصية إنسان واحد. من المحتمل أن الإنسان الذي يخطىء ويصير مائتاً يجب أن ينقل حالة الموت هذه إلى نسله"(٥٥).

إذاً الأمراض التي تصيب الجنس البشري هي ليست نتيجة خطايا شخصية، بل لأن الناس يشتركون في الطبيعة البشرية الساقطة منذ سقوط أبيهم آدم. لهذا توجد نصوص كتابية كثيرة تشير لعدم وجود رابطة بين مرض إنسان وبين أية خطايا قد يكون ارتكبها هو أو أجداده.

مثلاً: يو ٩: ١–٣: سأل تلاميذ يسوع معلّمهم عن المولود أعمى: "يا معلّم، مَن أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى؟. أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه". أيضاً في قصة المفلوج (متى ٩: ١–٦؛ مر ٢: ١–٢؛ لو ٥: ١٧–٢٦): يقول يسوع أولاً: "يا بني، مغفورة لك خطاياك". ومن ثم يشفيه بأعجوبة ثانية قائلاً له: "قم، احمل فراشك واذهب إلى بيتك". فلو كان المرض الجسدي هنا نتيجة لخطيئته، لكان يكفي المسيح أن يغفر خطايا المفلوج حتى يقوم ويمشي.

---

(٥٣) Pedagogue I, VIII. 69.i.

(٥٤) راجع السؤال ١٦١ أيضاً والدراسة المتعلقة بالخلاص في نهاية الجزء الثاني من هذا الكتاب. الله لم يخلق الموت بل سمح به.

(٥٥) الموعظة على رومية ١٠: ٢–٣ز

القديس يعقوب ينصح في حالة مرض مؤمن أن يجتمع شيوخ الكنيسة للصلاة عليه قائلاً: "وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يُقيمه. وإن كان قد فعل خطية تُغفر له" (يعقوب ٥: ١٣–١٥). هذا الشرط "وإن كان" يشير إلى عدم وجود بالضرورة علاقة بين المرض وخطايا المؤمن.

من الصحيح أن خطيئة آدم أدت إلى السقوط فدخول الفساد والأمراض والموت إلى الطبيعة البشرية ككل، لكننا من جهة أخرى نحمل درجة من المسؤولية في أننا صرنا نحاكي آدم ونزيد خطايانا على خطيئته. هذا ما قصده بولس قائلاً: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رومية ٥: ١٢)[٥٦].

الصحة الجسدية والصحة الروحية

لا توجد علاقة مباشرة بين "الصحة الروحية" و"الصحة الجسدية". فالكثير من القديسين كانوا يعانون أمراضاً متنوعة، بينما الكثير من الأشرار كانوا ينعمون بصحة جسدية ملحوظة.

رغم ذلك، ففي حالات معينة تكون الأمراض مرتبطة بالحالة الخاطئة للمريض. فرغم أن القديس مكسيموس المعترف يؤكد بأن "المرض لا يعتمد علينا" من حيث المبدأ، إلا أن الحياة المتوانية قد تكون سبباً له. والقديس برصنوفيوس يتكلم عن "الأمراض التي تأتي من التواني والفوضى". القديس نيقولاس كاباسيلاس يقول: "يوجد أولئك الأشخاص المبتلين بأمراض جسدية سببّها الحرمان الأخلاقي للنفس"[٥٧].

القديس غريغوريوس اللاهوتي يقول "تترك الأهواء بصمتها على الجسد"، وبحسب القديس سيرافيم ساروفسكي: "يمكن للأهواء تماماً أن تولِّد المرض". السبب الرئيسي للمرض، على كل حال، هو تلك الأهواء التي يدعوها التقليد النسكي "جسدية"، ليس

(٥٦) النص اليوناني: "بسبب أن الجميع أخطأوا اجتاز الموت إلى جميع الناس". النص اللاتيني: "إذ فيه (في آدم) أخطأ الجميع".

(٥٧) شرح القداس الإلهي ٤٣: ٢.

أن أصلها في الجسد، بل لأنه لا تظهر إلا من خلال الجسد، وتجد أساسها في ميول الجسد، مثل الشراهة، والشهوة الجنسية.

بالإضافة إلى الأمراض المتعلقة بالأهواء، نجد في الكتاب المقدس حالات قليلة تكون فيها الأمراض نتيجة مباشرة لخطايا شخصية (عدد ١٢: ١٠؛ ٢ملوك ٥: ٢٧؛ ٢أخبار ٢١: ١٨، ٢٦: ١٩؛ ١صموئيل ٣: ١٧–١٨؛ أع ١٢: ٢٠–٢٣).

يجب ألا ننسى أن المرض بحد ذاته قد يسمح به الله كتجربة للمؤمن، أو كتذكير له بخطية، أو كرادعٍ أخلاقي، أو كعلاج للكبرياء، أو كدافع للتوبة.

المعنى الروحي للصحة والمرض:

بما أن الصحة هي حالة آدم قبل السقوط والمرض دخل على حياته بعد السقوط، لهذا فالصحة تُعتبر صالحة وحسنة بحد ذاتها[٥٨].

من جهة أخرى لا تضيف الصحة شيئاً على الشخص البشري (إلا المظهر الخارجي) وقد لا تُستعمل بصورة صالحة لتقوية علاقة الإنسان بالله. لهذا السبب يقول باسيليوس الكبير: "بمقدار ما لا تحوّل الصحة الذين يملكونها إلى صالحين، فإنه لا يمكن أن نحصيها بين الأشياء الصالحة بالطبيعة"[٥٩]. وقد تكون الصحة شيئاً شريراً إذا لم تساهم في خلاص صاحبها، كأن تعطيه مثلاً شعوراً كاذباً بالاكتفاء الذاتي والغرور والاعتماد على القوة الجسدية لا على نعمة الله. حتى أن الصحة قد تصير شراً أعظم إذا ما تمّ استعمالها لإطلاق الأهواء فتصير بالتالي أداةً للإثم (رو٦: ١٣). يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "اعلمْ إذاً كيف تنبذ صحةً ماكرة تقود إلى الخطيئة"[٦٠].

بالنسبة للمرض: نشأ بعد السقوط ودخل حياتنا لهذا يُنظر إليه كشيء سلبي أو شر. لكن المرض شر فقط على المستوى الجسدي الفيزيائي. هو غريب عن الجسد الذي خلقه الله بالأصل. لكن المرض لا يستطيع أن يؤذي النفس ولا يستطيع أن يؤثّر على البنية الروحية للإنسان. بحسب تعليم المسيح: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن

---

(٥٨) مئويات المحبة ٢: ٧٧.
(٥٩) الرسائل ٢٣٦: ٧.
(٦٠) الحوار ١٤: ٣٤.

النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يُهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (متى ١٠: ٢٨). المرض بحد ذاته لا يستطيع أن يفصل الإنسان عن الله؛ لهذا من وجهة نظر روحية لا يمكن اعتباره مصدر شر في حياة المريض. يقول الذهبي الفم: "إن كانت النفس في صحة جيدة، لا يستطيع المرض الجسدي بأية طريقة أن يؤذي الإنسان"(٦١). المرض إذاً شرٌ في هيئته فقط ، لا في جوهره. يمكن للمرض حتى أن يكون بركة للإنسان، في أنه، إن تم استعماله حسناً، يمكن للمرء أن يشتق منه منفعة روحية، مما يجعل ما كان بالأصل علامة على حالة الموت أداةً للخلاص. يضيف الذهبي الفم: "يوجد شرٌ وهو، بالأصح، ليس شراً، حتى ولو كان يحمل ذلك الاسم: مثل المرض، وأمور أخرى على هذا النحو. فلو كانت حقاً شروراً، لما أمكن لها أن تصير بالنسبة إلينا مصدر كمٍ من البركات"(٦٢). القديس يوحنا كاسيانوس يقول بالمعنى نفسه: "كيف نرى في (المرض) شيئاً شريراً بصورة جوهرية، في حين أنه يخدم كبركةٍ لكثيرين بمنحهم الوسيلة للبلوغ إلى فرحٍ وافرٍ وأبدي؟"(٦٣).

أخيراً يلخّص القديس غريغوريوس اللاهوتي الموقف بقوله: "لا تُعجب بأي شكل من أشكال الصحة، ولا تدِنْ كل مرضٍ"(٦٤).

من جهة أخرى روحية، قد تكون حالة المرض أفضل من الصحة في أمثلة معينة. فالقديس غريغوريوس اللاهوتي يلاحظ أن الهدف من المعالجة الطبية "يتألف من المحافظة على الصحة أو الحالة الجيدة للجسد إن كانت حالة كهذه موجودة، أو استعادتها إن كانت ضائعة. لكن من غير الواضح أن هذه المزايا هي بالحقيقة مفيدة. ففي الحقيقة، كثيراً ما تكون الحالات المعاكسة أكثر منفعة للمصابين بها". لهذا، نصادف قديسين كثيرين مصابين هم أنفسهم بأمراض، ولا يسألون الله بالدرجة الأولى استعادة الصحة، بل يسألون ما هو أكثر فائدة لهم روحياً. وبدلاً من النواح بسبب هذه الأمراض، فإنهم يفرحون بالفوائد التي يمكن أن تُشتق من هذه الأمراض.

---

(٦١) الموعظة على لعازر ٦: ٥.

(٦٢) المواعظ على الشياطين ١: ٥.

(٦٣) Conferences VI.6.

(٦٤) Discourses II.22.

المعنى الإيجابي للمرض والمعاناة

الموقف السابق يفترض أننا ننسب للمرض معنى وغاية يتعاليان على الطبيعة الجسدية.

فإذا نظرنا واعتبرنا المرض على أنه ظاهرة جسدية فحسب وبصورة حصرية، فلا بد في هذه الحالة أن نراه شيئاً سلبياً وانحرافاً عما هو صحيح وسليم. هذه الرؤية تفسح المجال للشياطين بإثارة الأهواء (كالقلق والخوف والإنهاك واليأس) في النفس، مستفيدة من ضعف الجسد واعتلاله. هذه الأهواء تفاقم المرض الجسدي وتخلق اضطراباً في النفس. هنا يكون المرض للمريض سبباً للتدهور الروحي.

بسبب هذا الخطر يؤكّد الآباء "ليس عبثاً ولا بدون سبب أننا معرَّضون للأمراض". لهذا السبب فهم يحثوننا على اليقظة عندما يحدث المرض[٦٥] وألا ننهمك أولاً بأسبابه الطبيعية ووسائل شفائه. بالحري، يجب أن يكون همّنا الأول معرفة معناه ضمن إطار علاقتنا بالله وأن نلقي الضوء على الوظيفة الإيجابية التي قد يملكها المرض في تعزيز خلاصنا. بهذا الخصوص يقول القديس مكسيموس المعترف: "عندما تتعرض لاختبارٍ غير متوقَّع... فتّش عن غايته وستجد الوسيلة لتنتفع منه"[٦٦]. ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "....بالحري أريدك أن تكون فيلسوفاً فيما يخص معاناتك وأظهرْ نفسك متعالياً على سبب بلواك، ناظراً في المرض طريقة فائقة نحو ما هو بالنهاية صالح لك" (الرسائل ٣١: ٢-٣).

في كل مرض يتكلم الله معنا وينقل إلينا رسالة ما تخص حياتنا الروحية وخلاصنا. فالمرض لدى الآباء يظهر لنا علماً إلهياً. والمرض يمثّل تصحيحاً يطبّقه الله على الإنسان بسبب خطاياه. يجب عدم فهم هذا التصحيح بالمعنى السلبي على أنه عقابٌ، بل بالحري بالمعنى الإيجابي على أنه تصحيح أو شفاء. بهذا المعنى يسمح الله للمرض أن يصيبنا لاستعماله بصورة تفيدنا. أحياناً يمكن أن نستعمل المرض الجسدي لشفاء أمراض نفسية أو

(٦٥) الذهبي الفم: المواعظ على التماثيل ٥: ٤.
(٦٦) مئويات المحبة ٢: ٤٢.

روحية. يكتب القديس اسحق السوري لإنسانٍ مصاب بأمراض جسدية كثيرة: "كن يقظاً على نفسك واعتبر كثرة العلاجات التي يرسلها الطبيب الحقيقي إليك لصحة إنسانك الداخلي"(٦٧).

يؤكد الآباء أن المرض قد يكون وسيلة من الله لتطهيرنا من الخطيئة. هذه النقطة مبنية على حديث القديس بطرس الرسول: "فإن مَن تألّم في الجسد كُفَّ عن الخطية" (١ بطرس ٤: ١). الذهبي الفم يقول: "البلايا، والأمراض، والصحة المعتلة والآلام التي تعانيها أجسادنا... محسوبة لمغفرة تعدياتنا". ويرى هذه البلايا على أنها "الأتون الذي فيه نتطهّر"(٦٨). القديس برصنوفيوس يقول لأحد تلاميذه: "كل ما يسمح الله لجسدك أن يعانيه إنما يخدم نحو تخفيف حِمْل خطاياك" (الرسائل ٧٢). والقديس اسحق السوري يقول: "الأمراض تقتل متعة الأهواء" (الحوار النسكي ٢٧).

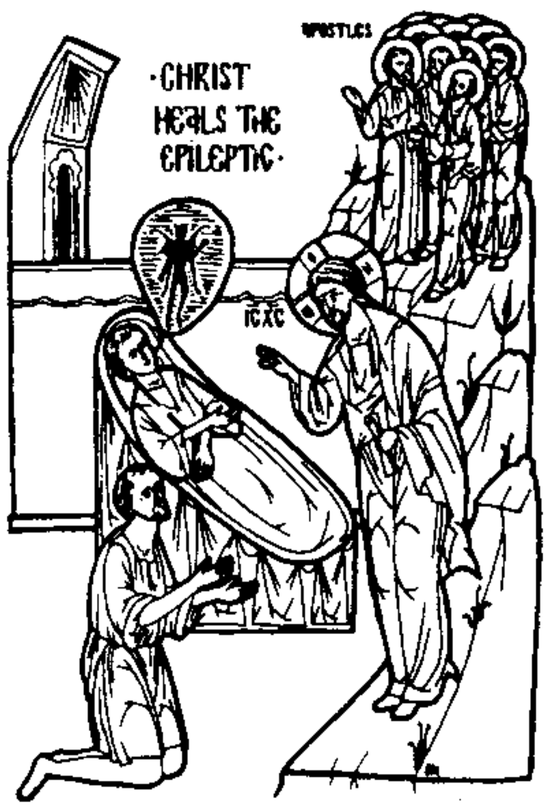

بنعمة المسيح يمكن للمرض الجسدي أن يخدم كعلاج لأمراض النفس. لهذا ما كان بالأصل بالنسبة للإنسان نتيجة لسقوطه يمكن أن يصير أداة لخلاصه. يصوّر القديس مكسيموس المعترف كيف حوّل المسيح معنى الألم بآلامه: فبينما كان الألم قبلاً نتيجة عادلة للخطيئة، يجعل المسيحُ، بآلامه، من الألم وسيلة لإدانة خطيئتنا ويمنحنا طريقاً للحياة الإلهية. بفضل معمودية المسيح يستطيع الإنسان أن يشارك بالنعمة الإلهية بآلام المسيح وموته وقيامته. من هنا يمكن للأمراض أن تكون جزءاً من الضيقات الكثيرة التي بها ينبغي أن ندخل إلى ملكوت الله (أعمال ١٤: ٢٢). ويمكن للألم أن يكون جزءاً من الصليب الذي ينبغي أن نحمله ونتبع المسيح (متى ١٠: ٣٨، ١٦: ٢٤؛ مرقس ٨: ٣٤؛ لوقا ٩: ٢٣، ١٤: ٢٧). لهذا يقول القديس مكاريوس: "إن مَن يريد أن يحاكي المسيح، بحيث يُدعى هو أيضاً ابناً لله، مولوداً من الروح، يجب قبل كل شيء أن يحمل بشجاعة وصبرٍ الآلام التي يصادفها، سواء أكانت أمراضاً جسدية، افتراءً، ذمّاً من الناس، أو هجمات من الأرواح غير المنظورة".

---

(٦٧) الحوار النسكي ٨.

(٦٨) الموعظة على مثل الدائن ٥، والموعظة على المفلوج ٢.

ويقول القديس اسحق السوري: "بدون تذوّق آلام المسيح وفهم أهميتها، لن تكون النفس أبداً في شركة معه" (الحوار النسكي ٥).

يقول القديس بالاماس: الألم "يقتل خطيئة الجسد ويعدّل تلك الأفكار التي تحرّض أهواء بهيمية"(٦٩).

في الوقت نفسه يستعمل الله المرض لينقّي الإنسان من خطاياه وأهوائه ويمنحه أن يعيد اكتشاف طريق الفضائل. يقول الذهبي الفم: "كلما أوجعنا الله كلما صيّرنا كاملين"(٧٠). **(د. عدنان طرابلسي)**

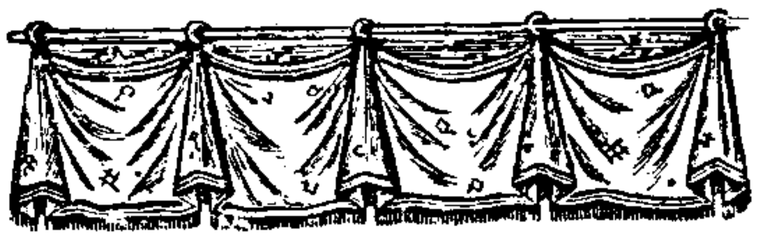

(٦٩) Syncletica 10

(٧٠) المواعظ على لعازر ٦: ٨.

الفصل السادس:

أسئلة عقائدية لاهوتية

"ولكن إن بشّرناكم نحن أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشّرناكم فليكن أناثيما... إن كان أحدٌ يبشّركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما" (غلاطية ١: ٨-٩).

"كلُ مَن تعدّى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله. ومَن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً. إن كان أحدٌ يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلامٌ. لأن مَن يسلّم عليه يشترك في أعماله الشريرة" (٢يوحنا ٩-١١).

"فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا بالتقاليد التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا" (٢تسالونيكي ٢: ١٥).

"ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنّبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذي أخذه منا". (٢تسالونيكي ٣: ٦).

"فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون التقاليد كما سلّمتها إليكم". (١كور ١١: ٢).

"يا تيموثاوس: احفظ الوديعة مُعرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم، الذي إذ تظاهر به قومٌ زاغوا من جهة الإيمان" (١ تيمو ٦: ٢٠-٢١)

"بالنسبة لتعاليم الكنيسة، سواء المُعلنة علناً (البشارة) أو المحفوظة لأعضاء بيت الإيمان (العقائد)، فإننا تسلّمنا بعضها من مصادر مكتوبة، بينما أُعطيت المصادر الأخرى لنا سرّاً، بالتقليد الرسولي. للمصدرين معاً قوة متساوية في الديانة الحقة. فلا أحد ينكر أي مصدر، لا أحد بأي حال إن كان متآلفاً ولو قليلاً مع قوانين الكنيسة". (**القديس باسيليوس الكبير**)

"من الواضح من هذا، أن الرسل لم يسلّموا كل شيء كتابة، إنما نطقوا بكلمة الفم. على كل حال، فسواء هذا أم ذاك فهو جديرٌ بالتصديق. لهذا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار

أيضاً تقاليد الكنيسة على أنها مستحقة التصديق. فإن سُلِّمت إلينا كن مقتنعاً بها" **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

اللاهوت الصحيح هو حياة الإيمان الصحيح. بدون تعليم صحيح، واحد، مقدس، رسولي، وجامع لا توجد مسيحية حقيقية بل زائفة، مهما كانت الطلاوات البشرية الخارجية برّاقة وجذابة. المسيحية حياة جديدة أعطاها الرب يسوع وليست من صنع البشر أو ابتكارهم. إنها أمانة ثمينة علينا صونها بالروح القدس الساكن فينا. المحبة أعظم الفضائل. لهذا فمحبتنا لله لا تسمح لنا أن نعلّم عنه شيئاً غير صحيح. الإيمان الملتوي يؤدي إلى هلاك النفس لهذا فهو محبة زائفة. المحبة واللاهوت صنوان لا يفترقان. قلْ لي بما تؤمن، أقل لك مَن أنت. لا نخدعنَّ أنفسنا. الشيطان نفسه قادر أن يظهر في شبه ملاك نور، ويعلّم شبه تعاليم خلاصية لكنها في النهاية مُهلكة. لهذا مهما كانت أسلحتنا ومواهبنا ومهاراتنا يصرخ الرسول محذِّراً: "حاملين فوق الكل ترسَ الإيمان الذي به تقدروا أن تُطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة" (أفسس ٦: ١٦).

دستور الإيمان

س ١٥١ – ما هو معنى "مولود غير مخلوق" في دستور الإيمان؟

ج ١٥١ – الابن (الشخص الثاني من أشخاص الثالوث الأقدس المجيد) صادرٌ من الآب بالولادة، فهو مولودٌ من الآب منذ ما قبل الدهور، أي سرمداً. الابن مولود من أقنوم (شخص) الآب لا من جوهره. فيسوع الابن له أقنوم إلهي فهو غير مخلوق بل خالق. هذا الأقنوم يولَد من قبل أقنوم الآب سرمداً. أي هو دوماً مولود.

الابن في ملء الزمان تجسّد من العذراء المجيدة، فأخذ طبيعة بشرية كاملة منها (روحاً وجسداً) وضمّها إلى شخصه (أقنومه) الإلهي. هذه الطبيعة البشرية "المقنَّمة" في شخص الابن هي طبيعة مخلوقة، لكن الابن ككل، كشخص يبقى مولوداً غير مخلوق حتى بعد التجسد. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥٢ – توجد تعاريف كثيرة متنوعة ومختلفة للكنيسة. ما هو تعريف الكنيسة، وأي تعريف هو الأصح؟

ج ١٥٢ – آباء الكنيسة كرّروا كلام بولس الرسول: الكنيسة هي "جسد المسيح". بعض

المعاصرين الأرثوذكس (لوسكي، جيله، كرميريس، ستانيلواي) قالوا مثل الغرب: "جسد المسيح السرّي". رفضتُ مثل هذا التعبير الذي لم يستعمله الآباء. نقول مع بولس الرسول: الكنيسة هي "جسد المسيح"، والمسيح هو "رأسها". المؤمنون هم أعضاء هذا الجسد، أعضاء بعضهم لبعض (رومية١٢؛ ١كور١٢؛ أفسس..٤.). الروح القدس أسّس الكنيسة يوم العنصرة، يوم حلّ على التلاميذ، فكانوا جسد المسيح. ثم عمّدوا الذين آمنوا فصار هؤلاء أعضاء جسد المسيح. يوحنا السلّمي قال إن المرء يصير مسيحياً بالمعمودية. هذا سرّ إلهي عظيم جداً. في الكنيسة نحن أقرب إلى المسيح من قرب جسدنا من رأسنا ومن التصاق نفسنا بجسدنا (فم الذهب وكاباسيلاس). نحن في المسيح (أعمال ١٧: ٢٨). ولكن ليس يسوع أقنوماً للكنيسة وللبشر. هو أقنوم فقط للطبيعة البشرية التي اتخذها من أمّه. أما نحن فنتحد بالله بالنعمة الإلهية.

بولس الرسول صريح: نحن أبناء الله بالإيمان بيسوع المسيح لأننا لبسنا المسيح لمّا اعتمدنا في المسيح (غلاطية ٣: ٢٧). الأصل اليوناني وتفسير فم الذهب واضحان: لبسنا المسيح ابن الله فصرنا مثله أبناء الله، طبعاً بالنعمة لا بالطبيعة. هكذا فهمت الكنيسة الأرثوذكسية دوماً هذا النص. المعمودية صيَّرتنا أبناء الله. فكيف يقول البروتستانت إنها رمز؟ (اسبيرو جبور)

س ١٥٣ – ما معنى "كنيسة واحدة جامعة قدوسة رسولية" ومَن هي هذه الكنيسة؟

ج ١٥٣ – وضع دستور الإيمان أربعة أوصاف للكنيسة: واحدة، جامعة، قدوسة ورسولية.

الكنيسة واحدة: الآب واحد، يسوع واحد، الروح القدس واحد، الثالوث إله واحد، المعمودية واحدة، فهل يكون جسد يسوع متعدداً؟ بالخطيئة دخل التمزّق إلى حياة الإنسان، فجَبَر يسوع كسرنا وعادت الوحدة المفقودة في يسوع. الكنيسة واحدة أي جسد يسوع واحد، أي نحن الكثيرين (أعضاء جسده) واحد. يسوع جَبَر كسر الطبيعة وجدّدها.

الكنيسة جامعة: لفظة "جامعة" هي ترجمة للفظة "كاثوليكية" اليونانية. المعنى القديم هو "جامعة". المعنى لدى آباء الكنيسة الأوائل هو "أرثوذكسية"، (راجع إغناطيوس الأنطاكي

وبوليكاربوس تلميذ الإنجيلي يوحنا). القديس كيرلس الأورشليمي هو أحد آباء المجمع المسكوني الثاني الذين وضعوا هذا النص من دستور الإيمان. لذلك فشرحه لهذا البند من الدستور جدير بالاعتبار. نصوصه تحتمل المعنيين القديم "جامعة" والحديث "أرثوذكسية". قال: "نسمّي الكنيسة كاثوليكية بسبب امتدادها إلى المسكونة من أقصى الأرض إلى أقصاها الآخر" (الموعظة ١٨: ٢٣). "في حين أن رؤساء شعوب الأرض لا يمارسون إلا سلطة محدودة، فإن الكنيسة القدوسة الكاثوليكية، وحدها، تمدّ سلطتها في الأرض كلها...". "لأنها تعلّم، كاثوليكياً وبدون اخفاق، جميع العقائد التي يجب أن تبلغ إلى معرفة الناس، سواء عن الأشياء المنظورة أم غير المنظورة، عن السماوية أم الأرضية"، (١٨: ٢٣).

فيما عدا الفقرة الأولى، لفظة "كاثوليكية" تأتي مرادفة للفظة "أرثوذكسية". و"أرثوذكسية" هنا تعني الكنيسة القويمة الرأي المناهضة لكنيسة المارقين، المتميزة عنهم تماماً. هي صاحبة التعليم القويم لأن يسوع رأسها والروح القدس روحها. فالحقيقة ، كل الحقيقة، موجودة فيها غير منقوصة. هذه الكنيسة منتشرة في كل المسكونة جمعاء لأنها أصيلة في وجودها القديم وامتدادها الأصيل في المسكونة. للخارجين عنها صفة "الشيع". تمارس هذه الكنيسة سلطانها لدى أمم الأرض قاطبة، بدون تمييز.

الكنيسة قدوسة: الروح القدس أسّس الكنيسة في يوم العنصرة المجيدة. الكنيسة هي جسد يسوع والروح القدس ساكن في جسد يسوع، هذا الجسد القدوس. الكنيسة – عبر يسوع – تمتلك الثالوث القدوس، هي قدوسة إذاً. وأمورها كلها قداسة: تقدّس العالم، تقدّس البشر، وتقدّس الماء والخبز والزيت في الأسرار المقدسة. تقدّس الإيقونات والمنازل وكل شيء. هي تصنع قدّيسين. أعضاؤها مقدَّسون بماء المعمودية وبالميرون وبالقربان المقدس، وبالزيت المقدس الخ... بولس الرسول يدعو المؤمنين "قديسون".

الكنيسة رسولية: الكنيسة رسولية لأنها قائمة على يسوع حجر الزاوية وعلى أساس الرسل (أفسس٢: ٢٠؛ رؤيا ٢١: ١٤). يسوع والرسل (١كور٣: ١٠–١٢) هم أساساتها. وعليهم قام بنيانها. الرسل عمّدوا الناس وأقاموا أساقفة وكهنة وشمامسة يعمّدون

الناس، ويسلّمونهم تعليم الرسل. وخلفاؤهم تابعوا تعميد الناس ونقل التعليم حتى يومنا هذا. والروح القدس الساكن في الكنيسة هو الذي يُقيم رجال الدين، وهو الذي يحفظ التعليم. فليس أساقفتنا فقط رسوليين بل تعليمنا أيضاً هو رسولي. تلقّفناه عن الرسل كابراً عن كابر.

هذه الأوصاف متجسّدة في الدرجة الأولى في الكنيسة الأرثوذكسية المحافظة بدقة متناهية على تعليم آباء الكنيسة والمجامع المسكونية السبعة دون انحراف. هي كنيسة الرسل والمجامع والآباء. تاريخها حلقات متواصلة مستمرة. لم تنفصل يوماً عن التيار الرسولي إنما واجهت ببطولة وحزم كل الانحرافات من الغنوسطيين حتى محاربي الأيقونات والعقلانيين الغربيين، بما فيه النقّاد المعاصرون (بولتمان، هارناك، باور....). لا نقبل التسويات أو التنازلات أو المزج: أرثوذكسية مطلقة دون تعصّب أو تشنج. فهمومنا هي انفتاح كل البشر على حقيقتنا ليعرفوا الحق.

الكنائس التي انفصلت عنا عبر التاريخ تشترك بواسطتنا في الأصل الرسولي. فكنّا وروما واحداً قبل انشقاقها في العام ١٠٥٤. أصولنا واحدة حتى ذلك التاريخ. (**اسبيرو جبور**)[١]

الفروق بين الكنائس والشيع

س ١٥٤ – كثيراً ما يُقال إن الفروق بين الكنائس هي فروق بشرية ذات أصول سياسية صنعها رجال الدين للمحافظة على مناصبهم وامتيازاتهم. هل هذا صحيح؟

ج ١٥٤ – الكنيسة هي جسد المسيح المؤلَّف من الرأس وهو يسوع ومن الأعضاء البشريين. لهذا يوجد عنصر إلهي وعنصر بشري في الكنيسة على مثال الرب يسوع، الله المتجسّد. تعاليم الكنيسة من جهة أخرى هي تعاليم إلهية منحها الروح القدس لأعضاء الكنيسة، فصاغوها بتعابير بشرية. فكل تعليم كنسي قويم فيه عنصر إلهي (وهو الوحي الإلهي مصدر هذا التعليم)، وعنصر بشري (وهو مستلم هذا الوحي والمتفاعل معه وناقله).

---

(١) للمزيد راجع كتاب الأب اسبيرو جبور: "التجليات في دستور الإيمان"، ص: ١٠٤–١٢٢.

لهذا، لا بد من وجود عنصر بشري تاريخي سياسي في كل تعليم عقائدي يفرّق الكنيسة الأرثوذكسية عن الكنيسة الكاثوليكية أو الجماعات البروتستانتية. لكن الفروق بحد ذاتها هي فروق عقائدية بكل ما للكلمة من معانٍ. وهذه الفروق العقائدية هي جزء لا يتجزأ من دساتير إيمان الكنائس الأخرى غير الأرثوذكسية. هذه الفروق عقائدية ومرفوضة من قبل الكنيسة الأرثوذكسية لأنها عقائد مخالفة للتعليم الرسولي المتمثِّل بتقليد الكنيسة ومجامعها المسكونية السبعة وتعاليم الآباء والقديسين. بالطبع تطوّرت هذه العقائد ضمن أُطر بشرية تاريخية سياسية جغرافية معينة، ربما تكون قد ساعدت على تسهيل الظروف المناسبة لظهور هذه التعاليم، لكنها في النهاية تبلورت في عقائد معينة. على سبيل المثال: عقيدة "الانبثاق من الابن" الكاثوليكية، عقيدة "الكتاب المقدس حصراً Sola Scriptura" البروتستانتية. يمكن للمهتم بتاريخ العقائد مراجعة مصادر أخرى تشرح العوامل البشرية التي تفاعلت في صياغة هذه العقائد، لكنها تبقى عقائد لاهوتية مهمة لا يمكن التقليل من أهميتها قد قبلتها الكنائس وأدخلتها في دساتير إيمانها وتُلزم أعضاءها بقبولها. بالنسبة لعلاقة رجال الدين بظهور هذه الفروق العقائدية بغية المحافظة على امتيازات معينة، فهذا يصحّ على بعض العقائد (أولوية البابا وسلطانه الفائق مثلاً)[٢]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥٥ – ما هي الشيع التي تدّعي أنها مسيحية بينما لا تؤمن إيماناً مسيحياً صحيحاً؟

ج ١٥٥ – لا يوجد تعريف موَّحد لكلمة شيعة / Sect - Cult ، إنما يمكن القول إن

(٢) راجع على سبيل المثال لا الحصر: اسبيرو جبور "كنائس الشرق الأوسط"؛ الأب جورج عطية: "رأي في مشروع توحيد البطريركية الأنطاكية المقترح". المسألة معقّدة، لكل بدعة تاريخ. يراجع في شأنه كتاب تاريخ العقائد. كانت السياسة تتدخل، ولكن الكنيسة الأرثوذكسية قاومت في النهاية الأباطرة الذين انحازوا إلى الهراطقة من قسطنطين حتى ابنه قسطنديوس فخليفته يوليانوس الجاحد فواليس (فالنس) فثيئوذوسيوس الصغير، فزينون، ففاسيليسكوس، فانستاسيوس، فثيئوذورا، ... فهرقل وسلالته (حتى اهتدى قسطنطين الرابع ٦٧٨ –٦٨١)، فمحاربي الأيقونات، فسواهم، فهنري الثاني الجرماني الذي فرض على روما عقيدة الإنبثاق من الابن .... في النهاية عبرت العقيدة الأرثوذكسية في نيران الاضطهاد (اسبيرو جبور).

الشيعة هي شذوذ ديني مبني على الإيمان والممارسة الدينيين الضيقين اللذين يدعوان إلى التمركز حول شخصية دينية بشرية (وكتابات بشرية) بعقيدة غير صحيحة تاريخياً ولاهوتياً. أي أن الشيعة هي هرطقة منظَّمة. وبشكل عام، كل انحراف في العقيدة عن تعليم الكنيسة الواحدة الجامعة القدوسة الرسولية الذي أُعلَن عنه في الكتاب المقدس والمجامع المسكونية السبعة وتعليم الآباء على مر العصور هو انحراف يضع المؤمنين به تحت بند الشيع (سواء كانت هرطقة، أو بدعة، أو تعليماً متفرِّداً). الشيع المعاصرة التي تدعي أنها مسيحية كثيرة جداً. يتفاوت إيمانها جداً لدرجة من الصعب تصنيفها بصورة سهلة. وقد اختلفت هذه الشيع عبر التاريخ، فمنها ما اندثر، ومنها ما استمر بأسماء أخرى لشيع معاصرة تحمل إيماناً هرطوقياً مماثلاً. الإيمان بالثالوث القدوس له المجد (آب وابن وروح قدس، ثلاثة أقانيم أو أشخاص لهم الطبيعة الإلهية الواحدة نفسها) هو أساسي لتعريف الوحي المسيحي. بدونه لا توجد مسيحية. هذا الإيمان يفترض بالطبع الإيمان بألوهية الابن يسوع المسيح وتجسده، وبألوهية الروح القدس، ومساواتهما التامة للآب في الجوهر الواحد.

الشيع التي تنكر الإيمان المسيحي الرسولي بالثالوث القدوس: كثيرة، منها:

- شهود يهوه (إيمان قريب من الآريوسية التاريخية)،
- كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة أو المورمون (إيمان وثني)،
- كنيسة الأخوة في المسيح Christadelphians (يؤمنون بتجسد الآب في ابنه، ويحفظون السبت، ويؤمنون بعودة اليهود إلى فلسطين)،
- جمعية الأصدقاء الدينية (المرتجفون Quakers).
- الكنيسة الموحّدة .The Unification Church
- كنيسة العِلْم المسيحي .The Christian Science Church
- إرسالية النور الإلهي :The Divine Light Mission تؤمن بمعظم الكتب الدينية التاريخية (التوراة، العهدين القديم والجديد، القرآن، و .Bhagavad Gita وهذا الأخير هو كتاب الهندوس المقدس).

الشيع المتهوِّدة: وهي الشيع المتهوّدة التي تؤمن بالثالوث وإنما تؤمن أيضاً بمساواة العهدين (من خلال ممارساتها وحياتها الدينية) وبعودة اليهود إلى فلسطين، أو بحكم

المسيح الألفي المادي على الأرض. من هذه الشيع: السبتيون (يحفظون يوم السبت)، وبعض فرق كنيسة الاتحاد المسيحي وبعض فروع الكنيسة المعمدانية.

توجد شيع أخرى أقل أهمية، وشيع ليست مسيحية (الايزوتيريك، Hare Krishna مثلاً).

ختاماً لهذا الجواب هنا، أودّ أن ألفت نظر القراء العرب البروتستانت إلى أن إيمانهم وممارساتهم الكنسية هي مختلفة قليلاً أو كثيراً عن إيمان وممارسات الفرق البروتستانتية التي في الغرب (أوروبا وأمريكا). فالبون واسع بين بروتستانت الشرق الأوسط بشكل عام وبين بروتستانت الغرب إلى درجة أنه لا يمكن أحياناً وضعهم تحت التصنيف الواحد نفسه. ومع ذلك، إن رفض بروتستانت الشرق الأوسط لإيمان المجامع المسكونية السبعة ولإيمان آباء الكنيسة التاريخي المسلَّم إلينا عبر العصور هو الذي يُخرجهم خارج الكنيسة الواحدة الجامعة القدوسة الرسولية. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥٦ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية وهرطقة شهود يهوه؟

ج ١٥٦ – الفروق كثيرة نذكر بعضها هنا باختصار مع ذكر المراجع العربية للاستزادة:

١– ينكر شهود يهوه عقيدة الثالوث القدوس المسيحية (كاليهود). فالله اسمه يهوه حصراً، وهو ليس ثلاثة أشخاص في طبيعة إلهية واحدة. المسيح هو ابن الله بالمرتبة وهو خليقة وأقرب خلائق الله له. قبل تجسده كان المسيح رئيس الملائكة ميخائيل، ثم صار إنساناً في تجسده، ثم عاد إلى السماء وصار رئيس الملائكة ميخائيل مرة أخرى! أما الروح القدس فليس شخصاً بل هو روح يهوه وقوته الفاعلة. ويستعمل شهود يهوه أسماء الآب والابن والروح القدس الواردة في الإنجيل إنما يجحدون بالثالوث.

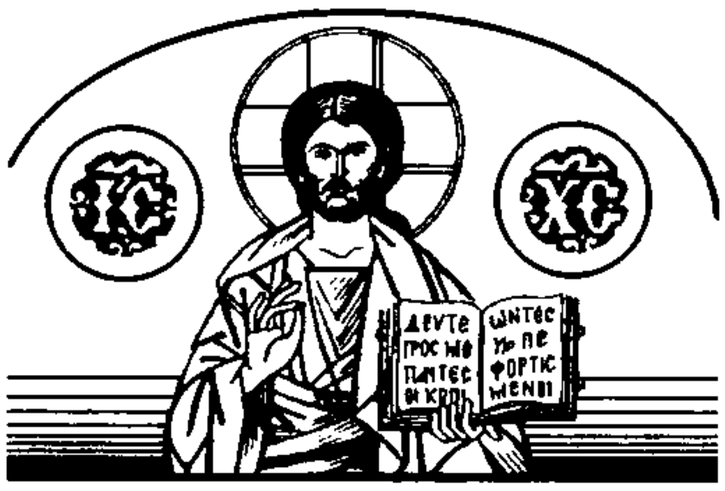

٢– ليس المسيح إلهاً مساوياً ليهوه وإنما يُدعى إلهاً مثل آلهة العالم. وهو إله حقيقي ولكنه مخلوق وأدنى من يهوه. بالطبع لا يستطيع شهود يهوه التوفيق بين هذا التعليم وتعليم الكتاب المقدس الذي لا يعترف إلا بإله واحد حقيقي بينما يسمّي آلهة العالم أوثاناً.

٣- يدّعي شهود يهوه أن ملاكاً قد سرق جسد يسوع من القبر وأخفاه ليظهره في اليوم الأخير[٣]! وبأن يسوع كان يظهر لتلاميذه بعد موته منتحلاً "أجساداً استعارية"[٤]. بالطبع هذا كذب وافتراء على الكتاب المقدس.

٤- بعد صعود المسيح ككائن روحي وجلوسه عن يمين يهوه، وضع يهوه المسيحَ في الأول من تشرين الأول ١٩١٤ على عرشه، فطهّر المسيح عرشه الروحي!. وهذا هو "عودة" المسيح لدى الشهود. أما في ١٩١٨ فإن بعض ١٤٤٠٠٠ قد قاموا من الأموات وبدءوا بالحكم مع المسيح في السماء!

٥- ينكر شهود يهوه خلود الروح البشرية التي تموت بموت الإنسان وتعود إلى العدم. فروح الإنسان هي في دمه مثل الحيوان.

٦- يساوي شهود يهوه بين العهدين القديم والجديد وبين أبرار العهد القديم وقديسي الجديد. ويؤمنون بعودة إبراهيم واسحق ويعقوب الجسدية لتأسيس دولة يهودية في فلسطين وبناء هيكل سليمان. وقد رسموا صورة لهيكل سليمان في كتابهم "لتكن مشيئتك"، النسخة العربية، الصفحات ٧٦، ٧٧.[٥]

٧- إن ١٤٤٠٠٠ فقط سيرثون ملكوت السماء بينما بقية المؤمنين (مؤمنين من الدرجة الثانية) سيرثون الأرض بأجساد فيزيائية ولا يكونوا كالملائكة في السماء!

٨- تنبأ شهود يهوه بنهاية العالم عدة مرات (١٩١٤، ١٩١٨، ١٩٢٥، ١٩٧٥) بدون جدوى مبرهنين على أنهم "النبي الكذّاب".[٦]

٩- يحرّم شهود يهوه نقل الدم لأتباعهم مهما كان السبب استناداً على الآيات تك٩: ٤ ولاو٧: ٢٦-٢٧ و أع١٥: ٢٨-٢٩، مبرهنين أنهم يهودٌ أكثر من اليهود، لأن اليهود أنفسهم لا يفهمون هذه الآيات على هذا النحو ولا يحرّمون نقل الدم. حرّم شهود يهوه زرع

---

(٣) كتاب "قيثارة الله"، النسخة العربية، الصفحات ١٩١.
(٤) كتاب "قيثارة الله"، النسخة العربية، الصفحة ٢٠٣.
(٥) راجع أيضاً كتاب "ملايين من الأحياء"، النسخة العربية، الصفحات ٣١، ٩٤.
(٦) كتاب "ملايين من الأحياء" طبعة ١٩٢٠ الأمريكية، الصفحات ٨٩-٩٠. ومجلة "برج المراقبة" الطبعة الأمريكية، العدد ١٥ آب، ١٩٦٨، الصفحة ٤٩٤.

الأعضاء العام ١٩٦٧ ثم سمحوا به العام ١٩٨٠. وحرّموا اللقاحات العام ١٩٣١ حيث جاء لديهم: "إن التلقيح هو انتهاك مباشرٌ للعهد الأبدي الذي صنعه الله.."[٧].

١٠– تختلط تعاليم شهود يهوه بالوثنية المفضوحة. فمثلاً: قال مؤسّسهم تشارلز راسل إن هرم مصر الأكبر هو "موحَى" به من الله مثل الكتاب المقدس[٨]. وترجمت منشورات جمعية برج المراقبة مقاييس الهرم إلى سنوات كمحاولة منها للتنبؤ بالحوادث المقبلة، فتنبأت بأن معركة هرمجيدون "ستأتي في سنة ١٩١٤"[٩]. وقالوا إن يهوه يسكن في الثريا وأن عرشه في نجمتها الصغرى[١٠].

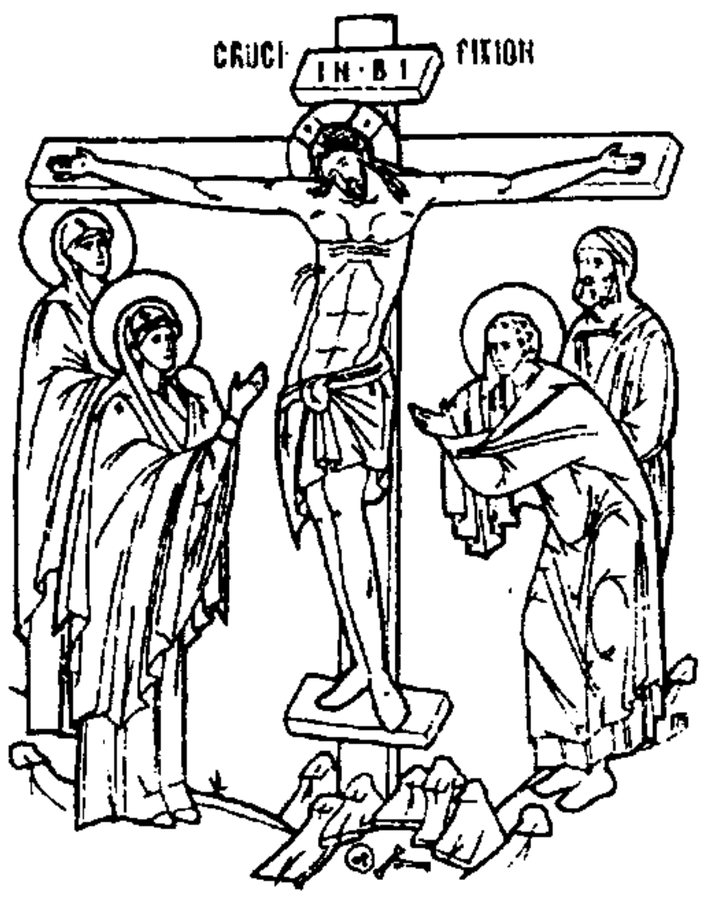

١١– يستعمل شهود يهوه نسخة محوَّرة مشوَّهة من الكتاب المقدس هي "نسخة العالم الجديد"، قاموا بترجمتها إلى الكثير من اللغات (وقريباً سيترجمونها إلى العربية حتماً إن لم يكونوا قد فعلوا هذا الآن!). قاموا بتحوير النص الكتابي الأصلي لكي يتفق مع عقائدهم. ففي يو ١: ١ مثلاً، يفرّقون بين كلمة "الله" الأولى والثانية، فيكتبون الأولى بحرف كبير God، لأنها تدل على الله الآب، ويكتبون الثانية بحرف صغير god لأنها تدل على المسيح لكي يشيروا إلى أن المسيح هو مجرد إله لا يساوي الآب. وفي أعمال ٢٠: ٢٨ "كنيسة الله التي اقتناها بدمه" جعلوها في ترجمتهم: "كنيسة الله التي اقتناها بدم ابنه"، حتى لا يجعلون المسيح هو الله الذي بذل دمه على الصليب. وفي كولوسي ٢: ٩ "فإنه (أي المسيح) يحلّ فيه ملء اللاهوت جسدياً"، جعلوها في ترجمتهم: "فإنه فيه تحلّ ملء الصفة الإلهية جسدياً"، لكي لا يكون للمسيح ملء اللاهوت، رغم أن الكلمة اليونانية المستّعملة لكلمة "اللاهوت" هنا هي Theotetos والتي تعني الألوهية وليس الصفة الإلهية! ولأن شهود يهوه يؤمنون بأن المسيح قد صُلب على مجرد خشبة عمودية دون أخرى معترضة (يرفضون الإيمان

---

(٧) The Golden Age: April 2, 1931, .293

(٨) Thy Kingdom Come, 1903 Ed., .362

(٩) The Time is at Hand, 1904 Ed., .101

(١٠) كتاب "المصالحة"، النسخة العربية، الصفحات ١٥–١٦.

بالصليب) فإنهم حذفوا من طول الكتاب وعرضه كلمة الصليب cross واستبدلوها بكلمة the torture stake. ولأنهم لا يؤمنون بألوهية الروح القدس وبأنه شخص، فقد حرّفوا بعض المواضع مثل: "وروح الله يرفّ على وجه المياه" (تكو ١: ٢) وجعلوها: "وقوة الله الفاعلة ترفّ."... ومن الأمثلة الأخرى أيضاً رو٩: ٥ وفيل٢: ٦ و٢بطر١: ١ وتيط٢: ١٣ ولو٢٣: ٤٣ الخ... هكذا لا يرتدع شهود يهوه عن تحريف وتزوير النص الكتابي الأصلي لكي يطابق أفكارهم.

في النهاية شهود يهوه، حسب إيمانهم، هم هرطقة يهودية – وثنية بصبغة مسيحية كاذبة. تكفر بالثالوث القدوس وبخلود النفس وبقيامة المسيح الجسدية، وتنادي بعودة اليهود إلى فلسطين لتأسيس مملكة أرضية عاصمتها أورشليم[١١]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥٧ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية والمورمون؟

ج ١٥٧ – مؤسِّس المورمون هو جوزيف سميث المولود العام ١٨٠٥ في الولايات المتحدة. وقد ادّعى النبوة وقام بترجمة "كتاب المورمون" إلى الإنكليزية ونشره العام ١٨٣٠ (راجع السؤال التالي). وفي نيسان ١٨٣٠ تأسَّست رسمياً هرطقة المورمون تحت اسم "كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة". والخلافات العقائدية بين الأرثوذكسية والمورمون خلافات جوهرية عديدة. أذكر هنا بعضها على سبيل المثال:

١– مصدر تعليم المورمون هو "كتاب المورمون" أولاً والكتاب المقدس ثانياً.

٢– تستعمل هرطقة المورمون المنشقَّة عن الفرع الأصلي ترجمة جديدة للكتاب المقدس (النسخة الملهَمة) قام بها جوزيف سميث. في هذه الترجمة أُدخل العديد من الزيادات والخزعبلات والقصص الخيالية غير الموجودة في النصوص الأصلية للكتاب المقدس (راجع مثلاً سفر التكوين). فهي عملياً نسخة مزوَّرة.

---

(١١) راجع اسبيرو جبور: "يهوه أم يسوع"، شهود يهوه والسبتيون..."، "المغالطات اللاهوتية عند شهود يهوه". وأيضاً: الأب جورج عطية "مناظرة علنية مع شهود يهوه". وكتاب
Anthony Hoekema: The Four Major Cults, WB Eerdmans Co.

٣- ينكر المورمون الثالوث القدوس، ولا يؤمنون بإله واحدٍ في ثلاثة أقانيم (أو أشخاص). ورغم أنهم يستعملون أسماء الآب والابن والروح القدس إلا أنهم يؤمنون بأن للآب لحم وعظم مثل الابن.

٤- يؤمن المورمون بتعدّد الآلهة. كانت هذه الآلهة مرة بشراً (مثل الآب والابن) على الأرض ومن ثم انتقلت إلى مكانة متعالية في السماء.

٥- كل كائن هو موجود منذ الأبد كروحٍ، مثل أشخاص الثالوث، ثم يمر بمرحلة بشرية يكتسب فيها جسداً، وينتقل بعدها إلى السماء. هكذا حدر المورمون اللهَ إلى مستوى الإنسان وصار الإنسان يتعالى إلى مستوى الألوهية، بحيث أن الفرق بين "الله" والإنسان هو بالمرتبة فقط لا بالطبيعة.

٦- يؤمن المورمون بسبق وجود الأرواح الأزلي، وبأن آدم كان روحاً أبدية اسمه رئيس الملائكة ميخائيل قبل أن ينزل إلى الأرض، (تأثير أفلاطون).

٧- لا يؤمن المورمون بالخلق من عدم .ex nihilo فالعناصر المادية سرمدية مثل الأرواح، وليس الخلق سوى إعادة تنظيم (تعليم أفلاطوني).

٨- سقوط آدم كان عمل بركة لأنه أدى إلى تزويد بلايين الأرواح السرمدية بأجساد بشرية، وبالتالي ليست خطيئة آدم وسقوطه هي خطيئة أو سقوط.

٩- الفرق الوحيد بيننا وبين المسيح هو أن المسيح بكر أولاد ألوهيم (الآب)، بينما نحن، في وجودنا السرمدي كنا "مولودين" بعده. فالفرق بين المسيح وبيننا هو بالدرجة لا بالنوع. فليس المسيح إلهاً أكثر من أي واحد منا. والشياطين هم أولاد الوهيم، وبالتالي هم أخوة المسيح.

١٠- يمارس المورمون المعمودية دون معمودية الأطفال، ويستعملون ماء بدل الخمر في إقامة ذكرى العشاء السري.

١١- في المادة ١٠ من مواد الإيمان يقول المورمون: "نؤمن بالتجمع الحرفي لإسرائيل وباستعادة الأسباط العشرة، وبأن صهيون ستُبنى على هذه القارة، وبأن المسيح سيحكم شخصياً على الأرض، وبأن الأرض ستتجدّد وستنال مجدها الفردوسي". يؤمن المورمون بأن اليهود سيجتمعون في فلسطين تحقيقاً لنبوات الأنبياء. ويعتقدون بأن الهجرات

اليهودية الأخيرة إلى إسرائيل هي تحقيق لهذه النبوات. ويؤمنون بأن مركز هذا التجمع هو أورشليم حيث سيُعاد بناؤها قبل عودة المسيح. وبعد عودة يسوع إلى الأرض ستوجد عاصمتان حيث سيحكم الفترة الألفية خلالهما: صهيون (يعرّفها المورمون بأنها مدينة Independence في ولاية ميسوري الأمريكية) وأورشليم (القدس) في فلسطين.

باختصار المورمون هرطقة يهودية – وثنية – هندوسية (تعدّد الآلهة، سبق وجود الأرواح وسرمدية المادة، نظرية تصاعد الأرواح..الخ). لا تؤمن بالثالوث المسيحي (إله واحد في ثلاثة أشخاص)، وتحطّم شخص يسوع له المجد ولا تؤمن بألوهيته، وتكفّر كل الكنائس الأخرى، وتؤمن بتعدّد الآلهة، وتؤمن بعودة اليهود إلى فلسطين. يحتوي "كتاب المورمون" على بعض هذه التعاليم. إسرائيل صاحبة المصلحة العليا في خلق مثل هذه الهرطقات ودعمها بكل الوسائل لكي تطعن المسيحية وتحوّلها إلى أداة يهودية مطيعة تنادي بحق اليهود الإلهي في فلسطين.(١٢) لهذا لا يمتّ المورمون بصلة إلى المسيحية إلا بالاسم بل هم كفّار خطرون. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥٨ – ما هو كتاب المورمون ومَن كتبه؟

ج ١٥٨ – كتاب المورمون" أو "كتاب مورمون" هو الكتاب الملَهم الثاني بعد الكتاب المقدس لدى المورمون. وفي الحقيقة يعتبر المورمون أن "كتاب المورمون" يفوق الكتاب المقدس لأن هذا الأخير قد تعرّض للتبديل والحذف عبر الترجمات المختلفة بحسب رأيهم. يقول جوزيف سميث مؤسس شيعة المورمون: "أخبرتُ الأخوة بأن كتاب المورمون هو أكثر الكتب صحةً على الأرض، وأنه حجر أساس ديانتنا، وأن الإنسان يقترب أكثر من الله بالالتزام بوصاياه أكثر من أي كتاب آخر"(١٣). يدّعي سميث مؤسس المورمونية بأن ملاكاً ظهر له من الله العام ١٨٢٣ ودلّه على مكان وجود ألواح ذهبية

---

(١٢) راجع كتاب: Anthony Hoekema: The Four Major Cults, W.B. Eerdmans Publishing Co.: 1988

(١٣) Teachings of the Prophet Joseph Smith; ed., Joseph Fielding Smith., Salt Lake City: Desert Book Co., 1958; p. 194

مطمورة، ومكتوب فيها "كتاب المورمون" بلغة "مصرية مُصلَحة". قام سميث بحسب روايته بترجمة هذه الألواح إلى الإنكليزية ونشر "كتاب المورمون" العام ١٨٣٠ في الولايات المتحدة وهو العام نفسه الذي أسّس فيه رسمياً "كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة" أو كنيسة المورمون. أعتذر من القارئ سلفاً على إضاعة وقته بتلخيص محتوى "كتاب المورمون" هنا لأن هذا المحتوى مبني على قصص خيالية أشبه بالأساطير الوثنية.

يقصّ "كتاب المورمون" قصة هجرتين كبيرتين من الشرق الأوسط إلى القارتين الأمريكيتين. تمّت أولاها في العام ٢٢٥٠ ق.م إلى أمريكا الوسطى حيث أسّس المهاجرون حضارة ومدناً لكنهم حاربوا بعضهم بعضاً فيما بعد في معارك مات فيها ملايين الرجال والنساء والأطفال و لم ينجُ إلا اثنان أحدهما هو النبي إيثر .Ether الهجرة الثانية هي هجرة ليهاي (وهو يهودي من قبيلة منسَّى) وحدثت من أورشليم العام ٦٠٠ ق.م إلى أمريكا الجنوبية ومن ثم هاجر نسل لامان (أحد أولاد ليهاي Lehi) إلى أمريكا الشمالية حيث أسسوا حضارة وبنوا مدناً. عاش أولاد ليهاي وأولاد نيفاي Nephi، أخيه، ٢٠٠ سنة إلى أن اندلعت الحروب بينهم حتى الحرب الأخيرة، معركة تل كوموراه Cumorah، في الولايات المتحدة، التي قُتل فيها كل أتباع نيفاي إلا واحداً هو موروني Moroni الذي كان اسم أبيه مورمون .Mormon

كتب مورمون، في القرن الرابع ق.م، قصة شعبه، أتباع نيفاي، على ألواح ذهبية. وكان نيفاي قد بدأ بها من قبل. وبعد معركة كوموراه أضاف موروني إليها ثم طمرها حتى أظهرها الملاك لجوزيف سميث.

الانتقادات كثيرة على كتاب المورمون. منها عقائدية (راجع السؤال السابق)، ومنها لغوية تاريخية. فلغة الألواح هي "المصرية المصلَحة" وهي لغة مجهولة لأي إنسان. والله لا يستعمل لغة مجهولة لنقل وحيه. ومن غير المعقول أن يكتب يهود، مثل نيفاي وسواه، بلغة كهذه، هي في الأصل ليست لغة ألفبائية، وأقل تطوّراً من اللغة العبرية. واللوحات الأصلية غير موجودة لدراستها ونقد ترجمتها (كما هي الحال في مخطوطات الكتاب المقدس الأصلية). فضلاً عن أن المورمون يدّعون بأن ترجمة جوزيف سميث هي خالية

من الأخطاء وملهّمة من الله وبالتالي ملزِمة ولا يمكن تعديلها[١٤]. بينما لو قارنا "كتاب المورمون" في طبعته الأصلية العام ١٨٣٠ وبين الطبعات اللاحقة، طبعة ١٩٥٠ مثلاً، لوجدنا الكثير من التصحيحات اللغوية والعقائدية! أيضاً يحتوي "كتاب المورمون" على ٢٧٠٠٠ كلمة مأخوذة تماماً من طبعة الكتاب المقدس الإنكليزية .King James فهل يُعقل أن تُترجم الألواح الذهبية بإلهام إلهي بلغة مطابقة لطبعة King James؟

في حزيران ١٩٩٧ شاهدتُ لأول مرة "كتاب المورمون" بطبعته العربية في لبنان، مما يعني بأن المورمون قد بدءوا بنشاطهم التبشيري في الشرق الأوسط على نطاق واسع، وبتمويل إسرائيلي، لأن إسرائيل هي صاحبة المصلحة العليا في نشر هذه الهرطقة الوثنية المتسترة بلباس مسيحي لتحطم المسيحية الرسولية ولتخلق أناساً في الشرق يؤمنون بعودة اليهود الحرفية إلى فلسطين كما يؤمن أتباع المورمون علناً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٥٩ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية والسبتيين؟

ج ١٥٩ – السبتيون، Seventh Day Adventist، هم هرطقة بروتستانتية تأسست في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة. نوجز هنا بعض عقائدهم الرئيسية:

١– يؤمن السبتيون بأن الكتاب المقدس، المفسَّر على طريقتهم، مع تعاليم رؤسائهم، خاصة السيدة وايت White التي تدّعي روح النبوّة، هي مصادر تعليمهم الأوحد.

٢– يؤمن السبتيون بالثالوث القدوس على عكس المورمون وشهود يهوه. في البداية كانوا يقولون إن المسيح ليس مساوياً لله الآب تماماً، وأن له بداية في الماضي السحيق، أما الكتبة المعاصرون فيؤكدون رسمياً مساواة الابن للآب في الأزلية[١٥].

٣– يقولون إن رئيس الملائكة ميخائيل هو نفسه ابن الله في حالته قبل التجسد[١٦]

٤– يؤمن السبتيون بأن ناسوت المسيح ملوَّث وخاطئ[١٧].

---

(١٤) Talmage: Vitality of Mormonism

(١٥) Seventh-day Adventists Answer Questions on Doctrine (Washington: Review and Herald, 1957) p.46-49.

(١٦) Ibid., p.71-83.

(١٧) John H. Gerstner: Theology of the Major Sects. P.127

٥- لا يؤمن السبتيون بخلود الروح، بل بأن الإنسان يفنى بالموت، مثلهم مثل شهود يهوه.

٦- يؤمن السبتيون بنظرية عجيبة معقدة في الغفران. فالمسيح، بحسب زعمهم، أتمَّ على الصليب الذبيحة التي بها سيُعطى الغفران. وبعد صعوده "طبّق" هذه الذبيحة. لهذا التطبيق طوران: الأول من وقت صعود المسيح إلى دخوله إلى قدس الأقداس السماوي في ٢٢ تشرين الأول ١٨٤٤ (يوم عيد الغفران اليهودي في تلك السنة!) عندما قام المسيح بعملٍ مماثل للخدمة اليومية لكهنة العهد القديم مما أدى إلى غفران الخطايا وإنما ليس إلى محوها! يبدأ الطور الثاني بعد دخول المسيح في خدمته في ١٨٤٤ عندما بدأت مرحلة الدينونة الاستقصائية حيث يمحو فيها الخطايا وهو عمل يماثل، في إيمان السبتيين، لعمل رئيس الكهنة اليهودي في يوم الغفران.

٧- يحفظ السبتيون السبت (اليوم السابع)، لأنه "يوم الرب" بإيمانهم. ويرفع السبتيون الوصية الرابعة (حفظ يوم السبت) من الوصايا العشر إلى مرتبة أعلى من كل الوصايا الأخرى. وكل مَن لا يحفظ يوم السبت سوف ينال علامة الوحش،[١٨] وسوف يهلك.

٨- يؤمن السبتيون بأنهم "الكنيسة الباقية" ويكفّرون باقي الكنائس، مثلهم مثل شهود يهوه والمورمون.

٩- يرفض السبتيون معمودية الأطفال، ويحرمون المتقّدم إلى المعمودية من تناول القهوة والشاي والكحول والتدخين ومن تناول الأطعمة "النجسة" التي تشمل لحم الخنزير والقريدس والمحار. ويعتبرون تناول أو شرب هذه "خطايا وخيمة" (كالزنى والقتل).

١٠- يقيم السبتيون ذكرى العشاء السري مرة كل ثلاثة شهور مستعملين خبزاً فطيراً وخمراً غير مختمر. ويسبق هذه الذكرى غسل الأرجل. أما ما يتبقى من الخبز والخمر فإنهم يقومون بحرق الخبز وبإراقة الخمر!

١١- كل المؤمنين سيقومون في المجيء الثاني للمسيح وينالون عدم الموت. أما غير المؤمنين فسيقومون لكي يتم إفناؤهم فيصيرون رماداً. أي لا يوجد عذاب أبدي. أيضاً

---

(١٨) Ellen G. White: The Great Controversy. P.605. Questions on Doctrine, p.184. ".

في آخر الأزمنة وبعد القضاء على الشيطان ستتجدد الأرض وسيعيش عليها جميع المؤمنين القديسين إلى الأبد[١٩]. هكذا لا يؤمن السبتيون بالملكوت السماوي الخالد كميراث للقديسين.

١٢– يؤمن السبتيون بعودة المسيح المادية والفيزيائية، المسموعة والمرئية إلى الأرض. تنبأ William Miller، أول مؤسسيهم، بأن المسيح سيعود بين ٢١ آذار ١٨٤٣ و٢١ آذار ١٨٤٤. وعندما لم يأتِ المسيح قال Snow ، تلميذ Miller، إن المسيح سيعود في ٢٢ تشرين الأول ١٨٤٤ (يوم عيد الغفران اليهودي في تلك السنة). بالطبع كذّب الله ادعاءات السبتيين الكاذبة.

١٣– وإن كان السبتيون لا يؤكدون في كتاباتهم على أن المسيح سيحكم ألف سنة في مملكة أرضية عاصمتها أورشليم، إلا أنهم يتصرفون على هذا الأساس ويهلّلون لإسرائيل ولانتصاراتها الحربية على العرب[٢٠].

في النهاية، السبتية هرطقة بروتستانتية متهوِّدة، لا تؤمن بخلود نفس الإنسان ولا بالملكوت السماوي الخالد كميراث للقديسين، ولا بالعذاب الأبدي كعقاب لغير المؤمنين. وتؤمن بأن الكتاب المقدس، المفسَّر بطريقتها الخاصة، مع كتابات رؤسائها، مثل السيدة White النبيّة!، هي مصادر تعليمها الوحيدة. وتُلزِم رعاياها بحفظ بعض الشرائع الناموسية اليهودية، مثل حفظ يوم السبت والامتناع عن أطعمة تعتبرها "نجسة"، وتبرز تفوّق يوم السبت على الأحد، وتنسب إلى المسيح كهنوتاً يهودياً على غرار الكهنوت اللاوي. وتؤمن بنظرية هرطوقية في الغفران والخلاص على عكس التعليم الكتابي وبأن ناسوت المسيح خاطئ. هذا بالإضافة إلى سائر التعاليم البروتستانتية الأخرى الغريبة عن الكنيسة الأرثوذكسية. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٦٠ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية والبروتستانتية؟

ج ١٦٠ – في دراسة الفروق بين الأرثوذكسية والكثلكة يسهل الحديث عن نقاط

---

(١٩) Fundamental Beliefs, Article 21 & 22. Cf. Questions on Doctrine, pp.507-508.

(٢٠) راجع اسبيرو جبور "شهود يهوه والسبتيون .الخ"، ١٩٩١.

الخلاف بينهما؛ أما في دراسة الفروق بين الأرثوذكسية والبروتستانتية، فالأسهل هو الحديث عن نقاط الاتفاق المعدودة بينهما. بادي ذي بدء، لا بد من القول إن البروتستانتية تمثّل جملة من الفرق الكنسية المنشقة عن الكنائس الرسولية (الأرثوذكسية والكاثوليكية) والتي تجمع هجيناً مختلفاً غير متجانس من التعاليم العقائدية المتباينة بين فرقة وأخرى. لهذا سنركّز الحديث هنا وبإيجاز على الأمور الرئيسة. وهكذا يكون تعريف اللاهوت البروتستانتي والعقائد البروتستانتية أمراً صعباً وغير ممكن. لكن يمكن الحديث عن الملامح العامة التي تجمع بين الفرق البروتستانتية، مع العلم أن بعض البروتستانت لا يرحبون بمناداتهم بهذا الاسم ويفضّلون الآن لقب "الإنجيليين". لكن بما أن لقب "الإنجيليين" هو لقب الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية على حد سواء، لهذا، فاسم بروتستانت "معارض" هو الأصح ويشمل كل الذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية وعارضوها، وكل الذين تفرّعوا وانشقوا عن الجماعات البروتستانتية الأولى واللاحقة إلى ما شاء الله.

غالبية الفرق البروتستانتية (وليس كلها، كما وجدنا في دراسة شهود يهوه والمورمون والسبتيين، الخ...) تؤمن بإله واحد في ثلاثة أقانيم؛ وتؤمن بتجسّد ابن الله (الأقنوم الثاني)، ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وبآلامه وصلبه وموته وقيامته، وبالفداء والخلاص. لكن توجد فروق مهمة أحياناً في بنود هذا الإيمان. فأولاً، فصلت البروتستانتية نفسها (منذ ظهورها بعد انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكية) عن الكنيسة الرسولية التي ظهرت يوم العنصرة واستمرت **بدون انقطاع** حتى يومنا الحالي وإلى الأبد. هذا الانفصال (عن سبق إصرار وتصميم) أدى بالبروتستانتية إلى رفضٍ شاملٍ لحياة الكنيسة الرسولية بما في ذلك المجامع المسكونية السبعة والمجامع المحلية وتعاليم الآباء والرسل، وإلى رفضٍ للتقليد الكنسي المقدس الذي هو حياة الروح القدس الساكن في قلوب المسيحيين؛ وإلى رفضٍ لحياة الصلاة والنسك التي تطورت عبر العصور ولحياة الرهبنة والنسك، وإلى رفضٍ للأسرار الكنسية، وإلى رفضٍ للإيمان بقداسة القديسين وبالشركة معهم وبالشفاعة، وإلى رفض لإيمان الكنيسة الرسولية بقداسة مريم العذراء

ومكانتها (والدة الإله الكلية القداسة الدائمة البتولية) وشفاعتها[٢١].

لهذا، فأهم ما يجمع الفئات البروتستانتية هو رفض للكنيسة الرسولية (بحياتها وتقليدها) والمناداة بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" أو Sola Scriptura (راجع السؤال رقم ١٧٧)، وبعقيدة "الإيمان حصراً دون الأعمال".

هذا باختصار. لكن لا بد من ذكر بعض التفاصيل الموضحة فيما يلي.

الكنيسة: الأرثوذكسية تؤمن بأن الكنيسة هي جسد المسيح وأن المسيحيين هم أعضاء هذا الجسد ورأسه المسيح. هذا الجسد نذوقه عملياً وواقعاً في كأس الأسرار الحاوية على جسد المسيح ودمه اللذين بهما نغتذي بيسوع ونستقر فيه ويستقر فينا على ما قال هو نفسه له المجد (يوحنا ٦). يصير المسيحي مسيحياً أي عضواً في جسد المسيح أي الكنيسة بالمعمودية الإلهية. أما البروتستانتية فترى أن الكنيسة هي مجموعة المؤمنين بالمسيح وهذا يشمل المؤمنين المعروفين والمجهولين معاً. العضوية في الكنيسة تصير بمجرد إعلان الإنسان لإيمانه الشخصي بالمسيح وقبوله مخلّصاً له. المعمودية هي مجرد رمز للإيمان بالمسيح والصيرورة عضواً في الكنيسة. القديسان يوحنا السلّمي (السلّم إلى الله ١: ١) ويوحنا الذهبي الفم حاسمان: بالمعمودية يصير المرء مسيحياً.

الأسرار الإلهية: في الأرثوذكسية، الأسرار الإلهية هي الاندماج بالنعمة الإلهية التي تنسكب بها النعمة على الإنسان فتقدّسه وتحقق فيه أعمالاً معينة بحسب السر. فلا يوجد سرٌ كنسي بدون نعمة إلهية غير مخلوقة تحلّ على المؤمن بصورة غير منظورة وغير مفهومة ولهذا دُعيت هذه الأعمال بالأسرار. **فالمعمودية** هي الولادة الجديدة (الثانية) وهي دفن مع المسيح وقيامة معه، وهي تجدّد الطبيعة البشرية القديمة (آدم القديم) وتلد الإنسان إلى آدم جديد بطبيعة بشرية جديدة فيها تصير الصورة الإلهية (التي كانت ممزّقة ومهشّمة بالخطيئة والسقوط) متجدّدة، وبالتالي يصير المعتمد عضواً في الكنيسة (جسد

---

(٢١) وأخطر ما في أمرهم هو البتر. بتروا ارتباطنا بيسوع بفضل الأسرار الإلهية. حياتنا في المسيح قائمة في المعمودية والميرون والقربان. بتروها. ركّزوا على الإيمان. هذا نكسة يهودية. وفسخوا فسخاً تاماً كل تاريخ الكنيسة متشدّقين بتاريخ شعب الله في العهد القديم. هذا شعب الناموس، شعب أورشليم الأرضية، أما نحن فشعب الله الجديد، شعب أورشليم السماوية. عمليات تقطّع الأوصال هذه هي أخطر المخاطر: قطعونا عن يسوع بنسخهم الأسرار. قطعونا عن يسوع بنسخهم تاريخنا الذي هو تاريخ "الكنيسة الواحدة الجامعة القدوسة الرسولية". الهوة سحيقة بيننا. وقفوا على الباب ولم يدخلوا. قالوا بالتفسير الحر الفردي للكتاب المقدس فكثرت شيعهم. في النهاية تبخّرت الكنيسة لديهم بينما الوحدة التاريخية من صفات الكنيسة الحقة. لا وحدة أبداً لديهم. (اسبيرو جبور).

المسيح) وتحلّ النعمة الإلهية فيه ويصير بالتالي جاهزاً لاستقبال ملء نِعَم الروح القدس ومواهبه التي تنسكب في المعتمد بعد مسحه بزيت **الميرون المقدس** بعد المعمودية مباشرة[٢٢]. بعد هذا يصير المعتمد أيضاً مؤهَّلاً لمناولة جسد المسيح ودمه **بسر الشكر الإلهي** (الافخارستيا) تحت شكلي الخبز والخمر. أيضاً تستطيع الكنيسة أن تغفر خطايا المسيحي بعد التوبة الصادقة بالقوة الممنوحة لها وذلك **بسر التوبة**. أيضاً توجد ثلاثة أسرار كنسية أخرى (**سر الزواج، سر الكهنوت، سر مسحة المرضى**) بها تتمّم النعمة الإلهية غير المخلوقة أعمالاً إلهية معينة.

أما في البروتستانتية فلا توجد أسرار كنسية بالمفهوم الأرثوذكسي. لا بل على العكس، بعد انفصالها عن الكثلكة، رفضت البروتستانتية وبشدة كل الأسرار الإلهية وحاولت أن تمارس بعضها بصورة شكلية خالية من المضمون الرسولي. فأولاً بانشقاقها غير الشرعي عن الكثلكة، ظهرت البروتستانتية كحركة كنسية خالية من أي **تسلسل رسولي** يجمعها بالكنيسة الأولى (كنيسة العهد الجديد) عبر العصور. وبالتالي، لا يوجد في البروتستانتية أي كهنوت كنسي يحمل نعمة إلهية فاعلة تستطيع أن تتمّم الأسرار الكنسية. وإن كان قد ظهر لاحقاً مبشّرون وقساوسة ومفروزون لخدمة الكلمة، إلا أن هؤلاء جميعهم تنقصهم نعمة الكهنوت التي انتقلت وتنتقل بوضع الأيدي عبر رسامات كهنوتية شرعية بدأت من يوم العنصرة وحتى يومنا الحالي. أي انشقاق عن هذه الرسامات الشرعية وخروج عنها يضع المنشق خارج جسد الكنيسة الذي لا يتحقق ولا يوجد خارج الأسرار الكنسية. إذاً لا يوجد كهنوت في البروتستانتية ولا مراتب كهنوتية كالتي نراها في العهد الجديد و الكنيسة الأولى (الـ ٣٠٠ سنة الأولى). من هنا نفهم لماذا لا توجد أسرار كنسية في الفرق البروتستانتية، وإن

---

(٢٢) للدقة أعود إلى كاباسيلاس: المعمودية نواة الولادة الثانية. الميرون يمنحنا القوة الإنمائية لهذا الجسم الجديد. القربان هو طعامه وشرابه ليبلغ ملء قامة المسيح. بالعودة إلى بولس الرسول: المعمودية ميلاد ثان (ولادة ثانية في يوحنا ٣)، وصلب ودفن وقيامة وصعود وجلوس عن يمين الله في يسوع المسيح. بالاماس قال إن نعمة الآب والابن والروح القدس تحلّ في جرن المعمودية وتعمّدنا. فم الذهب قال إن الروح القدس يسكن فينا بالمعمودية. وقال أيضاً إن النور الإلهي يسكن في قلوبنا باستمرار بينما كان المجد على وجه موسى وبصورة عابرة. وفي لاهوت بالاماس وكل مصادره الآبائية: هذا النور يؤلّهنا. وسيكون لنا بعد الموت وفي الآخرة التجلّي بالنور الإلهي أي الخلاص الكامل في المفهوم الأرثوذكسي. الخلاص الإلهي هو التألّه عندنا. راجع كتابنا "الظهور الالهي" (اسبيرو جبور).

كان يوجد أشباه أسرار ظاهرياً لكنها لا تماثل الأسرار الكنسية الأرثوذكسية (أو الكاثوليكية). فمثلاً: في البروتستانتية **المعمودية** هي مجرد رمزٍ لانضمام المؤمن إلى الكنيسة ولقبوله المسيح مخلّصاً شخصياً، وبالتالي لا تنقل مفاعيل النعمة الإلهية الموجودة في المعمودية الأرثوذكسية (أو الكاثوليكية). فالمعمودية في البروتستانتية لا تلد الإنسان في المسيح ولا تغفر الخطايا. البروتستانتية تمارس شكلاً خارجياً رمزياً **لسر الشكر الإلهي** حيث تقدّم لأعضائها خبزاً وخمراً مرة أو أكثر في السنة (وليس كل أحد) **كرمزٍ** لجسد المسيح ودمه وليس كجسد المسيح ودمه الفعليين. لهذا ما يتناوله البروتستانت هو مجرد خبزٍ وخمرٍ، بينما ما يتناوله المؤمنون أعضاء الكنائس الرسولية هو جسد المسيح ودمه الفعليان. لا توجد في البروتستانتية **مسحة الروح القدس** بالميرون المقدس، ولا **سر التوبة** أو **مسحة المرضى** بالشكل المعروف في الأرثوذكسية. وتعتبر البروتستانتية **الزواج** عقداً شرعياً قانونياً بين العريس والعروس يتم بشهادة الكنيسة، ولا علاقة له بالروح القدس أو بسر الكهنوت الذي بواسطته يتم هذا السر في الكنيسة الأرثوذكسية.

التقليد الكنسي: الفرق البروتستانتية بكل أشكالها وألوانها رفضت التقليد الكنسي المقدس الذي هو حياة الروح القدس في أعضاء الكنيسة ويشمل إيمان الكنيسة (المتمثّل مثلاً لا حصراً بالمجامع المسكونية السبعة) وتعاليم آباء الكنيسة وخبرتهم وحياة الكنيسة في العبادة والصلاة وشركة القديسين وحياة البتولية المكرَّسة (المتمثّلة بالرهبنة والنسك) الخ. البروتستانتية، بعد انفصالها عن الكثلكة رفضت كل شيء يربطها بالكنيسة كهيئة بشرية إلهية وذلك حتى تتحرّر تماماً من السيطرة الكاثوليكية الإكليروسية وحتى لا تسمح للبابا ومَن يمثّله أن يطالها. لهذا اضطرت أن ترفض كل شيء تدعوه الكنيسة الكاثوليكية تقليداً، ولم تقبل سوى بالكتاب المقدس كما هو. واليوم، صارت الفرق البروتستانتية مجرد جزر معزولة عن المسيحية التاريخية الرسولية التي ظهرت أيام الرسل القديسين، ولم تعد تمّت إليهم بصلة سوى قبول الإيمان بالثالوث القدوس والتجسد والصلب والقيامة والفداء وإن يكن باختلافات معينة. هكذا خلقت الفرق البروتستانتية ديانة جديدة لا علاقة لها بالمسيحية الأولى إلا ببعض بنود الإيمان المسيحي. أما مسألة المجامع المسكونية وحياة القديسين وآباء الكنيسة وتعاليمهم عبر العصور وكيفية

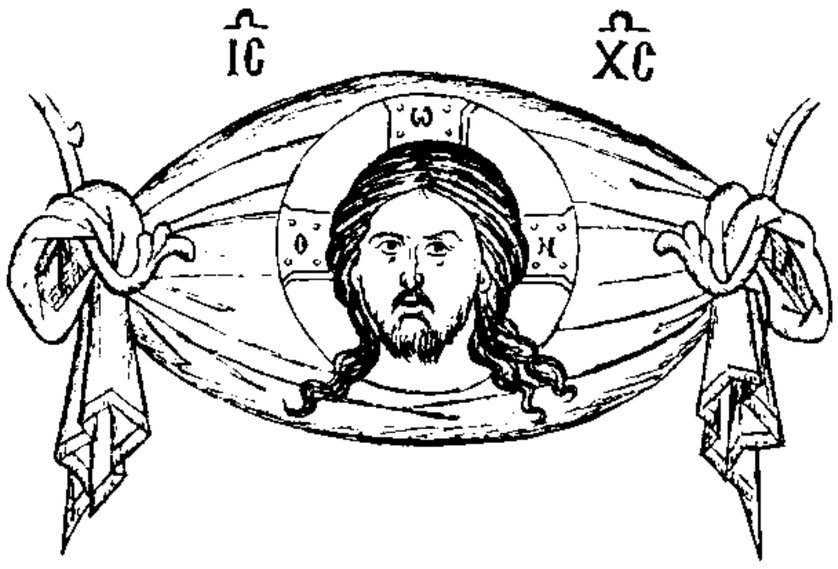

تطورت حياة الصلاة المشتركة (الليتورجيا) والصلاة النسكية والرهبنة وحياة شركة القديسين وما إلى ذلك، فتأخذ البروتستانتية موقف الرفض بشكل عام وتترك لمؤمنيها الحرية الشخصية في اختيار ما يحلو لهم أن يقبلوه وما يحلو لهم أن يرفضوه من التقليد، حتى لو كان هذا الرفض على خلاف مع اللاهوت المسيحي. وكلمة "تقليد" لدى البروتستانت مرادفة لكلمة "هرطقة" أو "خطيئة" أو "بطلان". حتى الرفض البروتستانتي للتقليد الكنسي قد تطوّر عبر العصور. فمارتن لوثر مثلاً كان يؤمن ببتولية العذراء وبأنها أم الله على عكس معظم الفرق البروتستانتية اليوم. واللافت للنظر هنا، أن البروتستانتية التي ترفض التقليد الكنسي المقدس ولا تأخذ إلا بما جاء في الكتاب المقدس حصراً كما تدّعي، قد طوّرت عبر العصور تقليداً بروتستانتياً خاصاً بها لم يأتِ في الكتاب المقدس وليس له أصول كتابية وإن توّهم البعض هذا. فمثلاً: ترفض البروتستانتية سر الشكر الإلهي والليتورجيا الكنسية التي يصل عمرها إلى أكثر من ١٧ قرناً والتي ساهم فيها كبار قديسي الكنيسة ونساكها ورهبانها ، بينما استحدثت لها طقوس صلاتية مبنية على ترانيم ضعيفة اللغة والمعاني مصحوبة بموسيقى دنيوية مأخوذة من أغانٍ وألحان شعبية. أيضاً، ترفض البروتستانتية تفاسير آباء الكنيسة للكتاب المقدس مدّعيةً بأن كل مؤمن بروتستانتي يمكنه أن يقرأ الكتاب المقدس ويفسّره بالروح القدس (كما لو كان قيثارة الروح المقدس). لكن في الوقت نفسه نجد أن المكتبات البروتستانتية الدينية محشوة ومُتخمة بمئات التفاسير البروتستانتية للكتاب المقدس والتي كتبها أناسٌ هم دون آباء الكنيسة قداسة على الأقل. عملياً كل بروتستانتي ينتحل لنفسه صفة المفسِّر. كلهم مُلهَمون ولكن تبعثرهم دليلٌ على انعدام وحدة الروح عندهم. فكيف يرفض البروتستانت تقليد الكنيسة المقدسة الذي عمره عمر الكنيسة[٢٣] ويختلقون لأنفسهم تقليداً هزيلاً ضحلاً وسطحياً لا يمتّ لكنيسة الرسل أو كنيسة العهد الجديد بصلة؟! أيضاً، ترفض البروتستانتية الالتزام بقرارات وبنود إيمان المجامع المسكونية السبعة، وتعطي

(٢٣) يتجاهلون أن الرسل علّموا الناس شفوياً أولاً. ثم جاء كتاب العهد الجديد مؤيِّداً للتعليم الشفوي. الكنيسة قبلت كتب العهد الجديد القانونية ورفضت الكتب الباطنية (الأبوكريفا) لأن الأولى متفقة مع التعليم الشفوي. التعليم الشفوي والعهد الجديد قطعة واحدة لا قطعتان. هذا هو تقليد الكنيسة. لماذا رفضت الكنيسة آريوس؟ لأنه خالف هذا التقليد. وبناء عليه رفضنا شهود يهوه وكل البدع التي ظهرت في الكنيسة منذ عهد الرسل حتى اليوم. خلافنا مع الغرب هو الفلسفة اليونانية الوثنية. البروتستانتية تعتمد مبدأ التفسير الحر الفردي. أي تجعل العقل هو الحكم. كلّ مفسّر وفق هواه. الارثوذكسيّة كنيسة الفي سنة من التواصل الموحّد بالروح القدس استاذها. لم تظهر في العام كذا. للباقين تواريخ ظهور: اريوس، نسطوريوس... لوثر.... راسل.... (اسبيرو جبور).

لنفسها ولمؤمنيها الحرية المطلقة بقبول ما يحلو لهم أو رفضه بشرط عدم التناقض مع بنود الإيمان البروتستانتي. فلا تجد في البروتستانتية مفهوماً لاهوتياً واضحاً للثالوث والتجسد والتقنيم والفداء والقداسة والتأله الخ.. كل ما يمكن تلخيص لاهوت البروتستانتية هو بالقول: قبول يسوع المسيح مخلّصاً شخصياً يعني الخلاص. أما كيف ولماذا، ومَن هو يسوع وما هي الكنيسة وما علاقتنا اليوم بكنيسة الرسل وكيف ولماذا ومَن هم الآباء الرسوليون، الخ... من هذه الأسئلة فلا تجد لها جواباً إلا ربما أحياناً بعض التلميحات العقائدية الضحلة. وقد وقعت البروتستانتية تحت حروم الهرطقات القديمة التي حرمتها الكنيسة الرسولية بسبب تعاليمها المغايرة للاهوت الكنيسة الأرثوذكسية. فالبروتستانتية مثلاً ترفض لقب "والدة الإله" للعذراء مثل الهرطقة النسطورية.

الكتاب المقدس: تؤمن البروتستانتية بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً Sola Scriptura" والتي يمكن أن تلخص البروتستانتية بصورة أو بأخرى. بحسب هذه العقيدة فإن الإيمان البروتستانتي والممارسة تعتمدان على ما جاء في الكتاب المقدس الذي يمكن لأي إنسان أن يقرأه ويفهمه لأن الكتاب المقدس يفسّر نفسه بنفسه (راجع السؤال التالي).

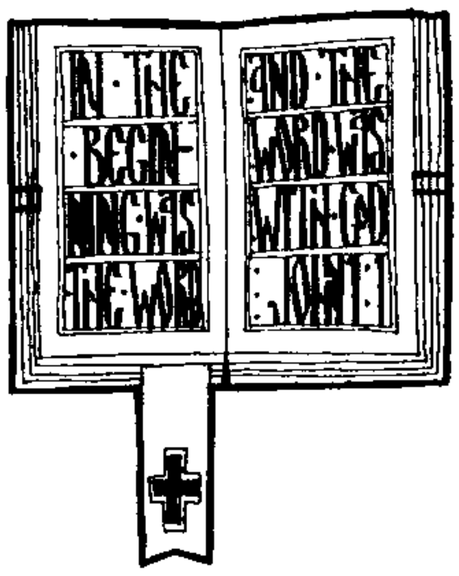

بالإضافة إلى هذا، توجد العديد من النقاط الأخرى التي لا يسعها المقام هنا (مفهوم الخلاص، الاختطاف، الدينونة، شفاعة القديسين، الإيمان بالعمال حصراً) ويمكن مراجعة مناقشة بعض هذه النقاط في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

كلمة أخيرة في الختام: لا يعني ما قيل سابقاً دينونة البروتستانت أو مصيرهم، فهذا الحكم لله وحده. والكثير من البروتستانت يفوقون سواهم من الأرثوذكس والكاثوليك غيرة وتقوى ومحبة وإيماناً. لكن الإيمان المسيحي شيء مُعطى للكنيسة وعليها واجب الحفاظ عليه بدون محاباة أو دينونة أو كراهية للآخرين. هذا فضلاً عن أن الكثير من البروتستانت لديهم غيرة وإن تكن ليس بحسب المعرفة ولا يدركون عظمة الفروق الهائلة بين إيمانهم وإيمان الكنيسة المسيحية الأولى والذي استمر حتى يومنا الحالي بالكنيسة الأرثوذكسية. هذا نراه بأجلى بيان في آلاف البروتستانت الذين تحوّلوا إلى الأرثوذكسية منذ السبعينات في القرن الفائت في أمريكا أولاً وأوروبا ثانياً. وجميعهم نشيطون غيّورون ومتعلّمون وكثيرون منهم كهنة والعديدون منهم نشروا كتباً ومقالات ومحاضرات عن أسباب تحوّلهم إلى الأرثوذكسية.

لم توجد فوائد مادية أو معنوية في اهتداء هؤلاء إلى الأرثوذكسية، بل على العكس. كان عليهم مواجهة عالمٍ كامل عريق في البروتستانتية وجاهل تماماً لأي شيء سواها (بما فيه لوجود الكنيسة الأرثوذكسية نفسها قبل اهتدائهم إليها). لم يعتبروا أبداً انتمائهم للأرثوذكسية انتماءاً لطائفة معينة أخرى، بل انتماءاً لملكوت السموات[٢٤].

لهذا نقول: الأرثوذكسية والبروتستانتية عقيدتان مختلفتان لا يمكن المصالحة بينهما. يقول القديس كبريانوس أسقف قرطاجة: "كل مَن ينفصل عن الكنيسة ويدخل في اتحاد زانٍ، يقطع نفسه عن الوعود المقطوعة للكنيسة.... لا يمكنك أن تملك الله أباً لك إن لم تكنِ الكنيسة أمّاً لك". (د. عدنان طرابلسي)

س ١٦١ – "الخلاص" موضوع شائك بين الشرق والغرب. البروتستانت يؤمنون بالخلاص الآني والمضمون متباهين بالقول "أنا مخلَّص!"، بينما يؤمن الأرثوذكس بالخلاص العامل حتى الموت. الكاثوليك والبروتستانت يؤمنون بنظرية "التبرير"، بينما لا يؤمن الأرثوذكس بهذا. على ما يبدو أن كل طرف حين يتكلّم عن الخلاص إنما يتكلّم عن شيء مختلف عما يقصده الطرف الآخر. هل يمكن أن تلقي بعض الضوء على هذه النقاط؟

ج ١٦١ – الموضوع مهم جداً ولكنه طويل ومتشعّب جداً وخارج إطار هذا الكتاب الذي لم ينفكّ عن النمو مع كل جوابٍ. لهذا سنورد جواباً مختصراً في ملحقٍ بآخر الكتاب وجواباً مختزلاً هاهنا.

---

(٢٤) توجد العديد من الكتب بالإنكليزية تحكي قصة هؤلاء العائدين إلى أحضان الكنيسة الأرثوذكسية الأم. منها مثلاً:
Peter Gillquist: Becoming Orthodox & Coming Home"; Concilia Press
المؤلّف كاهن أنطاكي ومدير قسم الدراسات الإنجيلية في الأبرشية الأنطاكية الأرثوذكسية.
Clark Carlton: "The Way", "The Faith", "The Truth", "The Life", Regina Orthodox Press
المؤلّف أستاذ فلسفة في ولاية تنسي.
Frank Schaeffer: "Dancing Alone", "Letters To Father Aristotle"
المؤلّف منتج سينمائي في هوليوود وناشط أرثوذكسي وناشر مشهور.
Jaroslav Pelikan: Orthodox Theology in the West: the Reformation' Jesus Through the Centuries; The Christian Tradition
المؤلّف أستاذ التاريخ الكنسي في جامعة Yale ومؤلّف كنسي مشهور.

الخلاص في الأرثوذكسية هو الخلاص من حالة الخطيئة والفساد والموت وذلك بالاتحاد بالله والتألّه بنعمة الله غير المخلوقة. الخلاص في الغرب ذو معنى حقوقي وهو أن يعلن الله أن هذا الخاطىء هو مبرَّرٌ في عين الله.

الإنسان، في الأرثوذكسية، قبل السقوط كان كاملاً بمعنى لم يكن خلقه معيباً أو ناقصاً. كان في حالة شركة مع الله من المفروض أن تنمو وتتطوّر لكن السقوط فصله عن الله. ولكنه لم يكن بعد في مرحلة الاتحاد بالله (وإلا لما كان قد سقط). أما الإنسان في الغرب فكان كاملاً قبل السقوط ومع ذلك سقط!

بسبب السقوط دخل الموت وحالة الفساد والخطيئة إلى حياة الإنسان. لم يخلقها الله كما أنه لم يخلق الشر ولا الموت. أما في الغرب فالله حكم بالموت على الإنسان بسبب سقوطه. لهذا يؤمن الغرب بأن الله خلق الموت كعقاب على سقوط الإنسان. الشيطان في الأرثوذكسية ليس أداة لله كما في الغرب.

في الأرثوذكسية الإنسان ورث عن آدم الطبيعة البشرية الساقطة (بما فيها الموت وحالة الفساد والخطيئة). لم يرث الإنسان ذنب آدم الشخصي أو خطيئته "الأصلية". في الغرب يتم توارث ذنب آدم وخطيئته الأصلية بالجنس بين الأجيال البشرية.

في الأرثوذكسية: آدم أخطأ فمات. نحن نولد مائتين إذاً نحن عرضة للخطيئة. الله لا يحكم علينا بالموت الآن لأننا شركاء في ذنب آدم وخطيئته الأصلية كما يفهم الغرب. بل لأننا نرث طبيعة خاطئة. أما في الغرب: الله حكم بالموت على آدم لأنه اخطأ فدخلت الخطيئة إلى العالم. والآن حكم علينا بالموت لأننا شركاء آدم في خطيئته الأصلية بالتوارث الجنسي. الله سمح بالموت كعمل رحمة حتى لا يكون الإنسان خالداً في الخطيئة.

احتاجت البشرية إلى "ترياق ضد الموت" (إغناطيوس الأنطاكي). "طبيعتنا المريضة احتاجت إلى شافٍ. إنساننا الساقط احتاج إلى مَن يقوّمه. مَن فقد نعمة الحياة احتاج إلى مانح حياة" (غريغوريوس النيصصي). ترياق هذه الحالة هو "ناسوت الله" (غريغوريوس اللاهوتي)، خميرة وتخمر استنارتنا وتقديسنا: التجسد. إن جسد الكلمة المتجسد ودمه هما "الترياق ضد الموت، دواء عدم الموت" (إغناطيوس الأنطاكي).

الغرب يفهم الفداء والفساد بمعنى قانوني حرفي، كجزء من حدثية شرعية. يعلّم أوغسطينوس والغرب بأن الفساد والخطايا الناجمة منه ما هي إلا نتائج الخطيئة الأصلية.

يقول أوغسطينوس: "تنشأ الشهوة كنتيجة جزائية للخطيئة (الأصلية)". وعندما يشير إلى شفاء البشرية فإنه لا يعني شفاء المرض الأصلي بل رفع العقوبات. الخطيئة والفساد والموت هي، بالمفهوم الغربي، عقوبات فرضتها العدالة الإلهية. رفع العقوبات هو رفع لعنة، مما يسمح للمختارين أن يمارسوا مناقب خارجية .

المسيح تجسّد وأخذ الطبيعة البشرية بكل جوانبها. يقول غريغوريوس اللاهوتي: "ما لم يتّخذه لم يُشفَ". أي حتى يحرّرنا المسيح من سيطرة الخطيئة والموت، وحتى يعطينا حياة أبدية، كان عليه أن يشارك في موتنا كما في حياتنا.

لم يمت المسيح لأنه كان مضطراً أن يموت. لقد فعل كل شيء باختياره طوعاً. موت المسيح وقيامته أديا إلى: ١- غفران الخطايا والمصالحة مع الله. ٢- التحرر من سلطان الموت. ٣- الوعد بتجديد العالم كله.

العدالة الإلهية:

العدالة الإلهية تعني شيئاً مختلفاً بين الأرثوذكس والكاثوليك. بالنسبة للآباء العدالة الإلهية هي القضاء على الشيطان والموت واستعادة كامل الإنسان جسداً وروحاً إلى عدم الموت وعدم الفساد وإلى معرفة الله في مجده. حتى يحدث هذا لم يوجد تبدّل في الله مطلوب ولا تكفير أو تعويض قضائي، فالناس "مبرّرون مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣: ٢٤). العدالة الإلهية ليست برنامجاً أو مخططاً شرعياً أو قضائياً أو حقوقياً. عدالة الله ومحبة الله هما الأمر الواحد نفسه. إن فكرة التكفير ليست موجودة لدى الآباء لأنهم كانوا يعرفون بأن عدالة الله هي محبة لا تطلب بالمقابل شيئاً. إن موت خليقة الله وموت البار هو أمرٌ غير عادل، لأن الله لم يخلق الموت ولا يستلذ بموت خليقته. لكن الموت دخل إلى العالم بسبب الشرير بسبب سقوط الإنسان وخطيئته. الغرب يساوي بين الموت والعدالة الإلهية أما في الشرق فالموت غير عادلٌ. الله جاء في الجسد ليلغي هذا الجور والشر وليحافظ على أبنائه فادياً إياهم من قبضة الشرير والموت. هكذا يعلن القديس بولس: "وأما الآن فقد ظهر برّ الله..." (رو ٣: ٢١). بهذا الإطار نجد معنى التبرير والبرّ.

الشيطان والموت كانا دائماً العدو وأبداً لم يكونا أداة أو شريكاً لله كما يفهم الغرب.

يؤمن الغرب بأن فهمه للعدالة الإلهية هو انعكاس لطبيعة الله العادل وهو فهم يحمل

تشابهاً هائلاً مع العدالة البشرية. يفكر الغرب هكذا بسبب أنه ورث أسلوب أوغسطين في المعرفة المبنية على وجود شبه بين الله والخليقة لأن الواقع المخلوق لديه هو نسخة عن الواقع غير المخلوق الذي هو أفكارٌ أبدية في جوهر الله تُدعى .universals

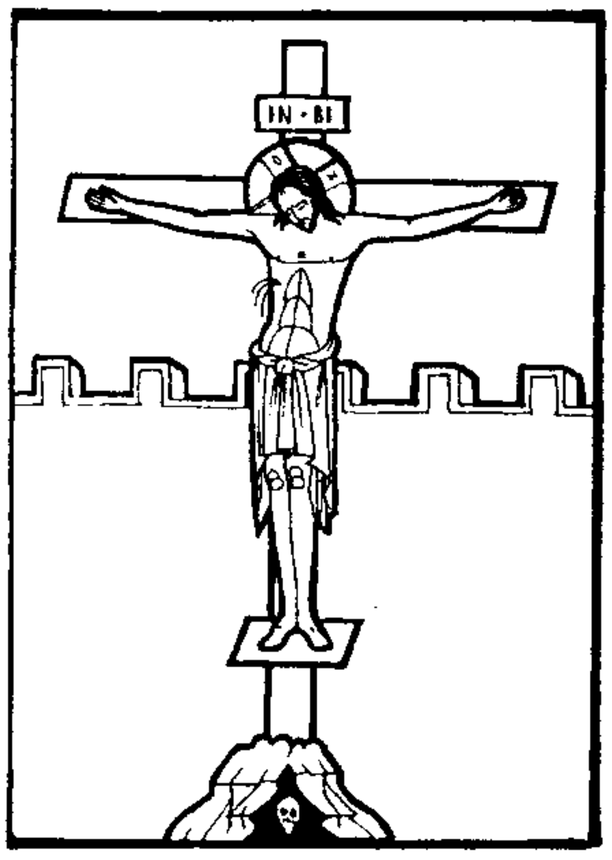

في العصور اللاحقة لأوغسطينوس، بدأ الغرب بفهم عمل الخلاص على أنه حصراً كفارة استرضائية لإله غاضب منتقم، وهي وجهة نظر تعبّر عن بقايا إيمان وثني. قال أوغسطينوس: "الله هدّد آدم بعقاب الموت هذا إذا أخطأ". ومقيّداً بضروريات العدالة الإلهية، لا يمكن لله إلا أن يطلب دماً وثأراً كضريبة على تعديات الإنسان ضد القانون الإلهي. إن الحاجة الإلهية للثأر والجزاء ضد الإنسان هما السبب الرئيسي للموت. رغم ذلك كان موت كامل السلالة البشرية غير كافياً. كان لا بد من ولادة مَن كان دمه كافياً للدفع. هذه الضرورة كانت السبب الرئيسي للتجسد برأي الغرب: المسيح وُلد لأنه كان الوحيد القادر على صنع التكفير الضروري غير المحدود والذي سيغيّر موقف الله نحو الإنسان والذي سيمكّن الله من منح العفو القانوني أو حلّ الخطايا. إن تعليم الغرب عن الكفارة كان إعلاناً لا لبس فيه عن الضرورة في الله. بالطبع الضرورة في الله كانت بالأصل موروثة في تعليم الأفكار الإلهية في الجوهر الإلهي بحسب أوغسطينوس. الضرورة حلّت محل حرية الله ومحبته غير الأنانية في علاقاته مع أولاده وأمْلَت التجسّد.

يشرح غريغوريوس اللاهوتي إجماع الآباء قائلاً:

"لم يكن بواسطة الآب أننا ظُلمنا. على أي أساس أبهج دمُ ابنه الوحيد الآبَ، الذي لم يكن ليقبل حتى اسحق عندما قدّمه والده، بل غيّر الذبيحة، واضعاً كبشاً مكان الضحية البشرية؟ أليس من الواضح أن الآب يقبله (يقبل المسيح) لكنه لا يطلبه ولا يتطلبه، لكن بسبب تدبير (التجسد)، ولأنه على البشرية أن تتقدّس بناسوت الله، حتى يعطينا نفسه ويغلب الطاغية، ويجذبنا إليه بوساطة ابنه؟".

التكفير: الكتاب يُظهر الخلاص بأنه حقيقة ذات وجوه متعددة. في العصور الوسطى قام اللاهوتي أنسلموس Anselm رئيس أساقفة كانتربري (١٠٣٣–١١٠٩) باختراع نظرية التكفير التي سادت في الفكر الغربي حتى يومنا الحالي.

يقول أنسلموس بأن خطيئة الإنسان كانت إهانة لله. بما أن الخطيئة كانت ضد الله فالذنب كان غير محدود لأن الله غير محدود. والإنسان لا يمكنه أن يكفّر عن ذنب غير محدود لأن الإنسان محدوداً. لهذا دعت الحاجة إلى إله–إنسانٍ أي إلى إله متجسد ليكفّر بآلامه و بموته عن خطايا البشرية.

وضع الناس نبرات مختلفة في نظرية أنسلموس: البعض قال بأن العدالة الإلهية هي التي يجب أن تُرضَى. آخرون قالوا إنها كرامة الله المجروحة بخطيئة الإنسان. آخرون قالوا بأن غضب الله يجب أن يُطفأ. البروتستانت والكاثوليك قبلوا بنظرية أنسلموس مع بعض الفروق بينهما. توجد ثلاث مشكلات لاهوتية في هذه النظرية.

المشكلة الأولى: إنها مبنية على أن الله ذو خصائص بشرية: فهو يغضب، ويحقد، ويثأر، ويُهان، وتُجرح كرامته، الخ. لكن الله لا يتغيّر. نظرية التكفير هذه تعني أن الله يتغيّر، وأن هذا التغيّر سبّبته أعمال الإنسان! هذا مرفوض في الأرثوذكسية.

المشكلة الثانية: إنها تجعل الخطيئة مشكلة لله بالأحرى لا مشكلة الإنسان. إحدى أوجه هذه النظرية هو أن الله رحيم وعادل بالوقت نفسه. رحمة الله تريد أن تخلّص كل الناس. لكنه لا يستطيع أن ينتهك عدالته الإلهية. لهذا فالخطيئة هي مشكلة بالواقع لله. المشكلة هنا ليست ما تفعل الخطيئة للإنسان، بل ما تُحدث الخطيئة من تأثير على الله وعلى موقفه من الناس. في الشرق المسيحي الخطيئة تُرى على أنها مرض يصيب الإنسان. بحسب نظرية التكفير الغربية، هذا المرض يصيب الطبيب أكثر من المريض، والشفاء يعتمد على موقف الطبيب نحو المريض أكثر بالحري من صحة المريض.

المشكلة الثالثة: الخلاص في نظرية التكفير الغربية يبقى خارجياً عن الإنسان وبالتالي يبقى الإنسان بدون تغيّر. فالخلاص يعني أن ذنب الإنسان قد زال، وإذا كان هذا الذنب مجرد موقف قضائي قانوني أمام الله، فهذا يعني أن الإنسان يبقى بدون تغيير في طبيعته وبدون شفاء لأمراضه. بمعنى آخر: الإيمان بكفارة المسيح على الصليب، بحسب نظرية التكفير الغربية، لا يمحو خطايا المؤمن، بل لا يعد هذا المؤمن متّهماً بعد بهذه الخطايا. يبقى الإنسان في الجوهر خاطئاً بدون تغيير.

هذا يعني أن الله والإنسان يبقيان طوال حدثية الخلاص خارجيين واحدهما بالنسبة للآخر. فالإنسان لا يُغيَّر أو يُعَاد خلقه، بل يُعلَن أنه "غير مذنب" وحسب. هذا إنكار عمليٌ للتجسد الإلهي في الفكر الغربي.

بالنسبة للأرثوذكس الحالة هي العكس تماماً. ليست المسألة هي الموقف الأخلاقي للإنسان نحو الله، ولكن تغرّب الإنسان عن الهدف الذي خُلق من أجله وهو الشركة مع الله، أن يكون معه ويتحد به. المصير البشري الضائع قد اُستعيد في المسيح، آدم الجديد الثاني. فما هو عليه بالطبيعة نصير نحن عليه بالنعمة.

لهذا ترفض الكنيسة الأرثوذكسية نظرية التكفير بالفداء لأنها تخالف أبسط مبادىء اللاهوت المسيحي ولأنها تترك الإنسان بدون تغيير. بالنسبة للأرثوذكس: أن تخلص يعني أن تستعيد صحتك الروحية. ليس هو موقف الله نحو الإنسان الذي بحاجة إلى تغيير، وإنما بالحري حالة الإنسان.

الخلاص بالمفهوم الأرثوذكسي:

كل التصورات البروتستانتية على أنواعها تفترض أن الخطيئة هي عمل قانوني يهين كرامة الله ويثير غضبه. لهذا يجب إرضاء كرامة الله وغضبه. عملياً لم يُقل شيء عن الإنسان سوى وقوفه أمام الله.

الفهم الأرثوذكسي للخلاص ينطلق من بديهيات مختلفة جداً. كما رأينا إن فكرة أن أعمال الإنسان الخاطئة تُحدث تبدلاً في الله (تُثير غضبه وتجرح كرامته) هي أقرب ما تكون إلى التجديف. الله لا يتغيّر. لا يخضع الله لصراع داخلي بين عدالته ورحمته.

بالنسبة للأرثوذكسية: الخطيئة ليست جريمة ضد العدالة الإلهية، لكنها مرضٌ يتلف الإنسان. لم يأتِ المسيح لكي يشفي كرامة الله المجروحة، بل ليشفي الإنسان من مرضه. بسبب الخطيئة صار الإنسان أسير الموت والفساد. الله حياة، والإنسان قطع نفسه عن الله مصدر الحياة الأبدية. جاء المسيح ليُعيد هذه الحياة الضائعة للإنسان.

بسبب خطيئة آدم وحواء صارت الطبيعة البشرية منفسدة وأسيرة للموت. لم يرث الإنسان ذنب خطيئة آدم. هذا ذنب شخصي. بل ورث نتائج السقوط التي أصابت الطبيعة البشرية العامة ككل. أيضاً لم نرث طبيعة مائتة فحسب، بل أيضاً طبيعة أصاب الفساد ملكاتها. الإرادة البشرية صارت مشلولة بالخطيئة وتفضّل الشر على الخير.

المسيح بتجسده بدأ عملية شفاء طبيعتنا المريضة. طبيعته الإلهية اتحدت بطبيعتنا البشرية وإرادته الإلهية قدّست إرادتنا البشرية. بطاعته لله الآب شفى المسيحُ الإرادة

البشرية وبموته وقيامته قضى على قوة الموت وحرّر الإنسان المسبي معيداً الطبيعة البشرية إلى الحياة الحقة.

هذا هو البعد الموضوعي للخلاص. المسيح خلّص الطبيعة البشرية ومنحها مجده وعدم الموت. إنما يوجد بُعدٌ شخصي للخلاص. فحتى لو كان كل الناس سيقومون في اليوم الأخير من الأموات إلا أنه ليس كل الناس سيذوقون القيامة المغبوطة.

لو كان الخلاص مسألة موقف لله نحو الإنسان بالحري لا مشاركة حرة للإنسان في حياة الله، لكانت السماء مليئة بأناسٍ أُعلنوا أنهم "غير مذنبين" من قبل الله، ومع ذلك فنفوسهم ما تزال مفسودة بالخطيئة. ليست الخطيئة مشكلة الله بل مشكلة الإنسان. المسيح فعل كل شيء ليستعيد الطبيعة البشرية ويفتح أبواب الملكوت للإنسان، أما دخولنا إلى الملكوت فهو متوقفٌ علينا.

الله لا يُجبر الإنسان على شيء. الإنسان بحريته المطلقة عليه أن يقبل أو يرفض المسيح. المسيح أعاد الصورة الإلهية في الإنسان إلى ما كانت عليه. أما بلوغنا إلى المثال الإلهي فهو متوقف على اختيارنا الحرّ. بكلمات أخرى، يستطيع الله أن يجعلنا غير مائتين، لكنه لا يستطيع أن يجعلنا صالحين ومُحبين.

التأكيد الأرثوذكسي على التعاضد synergeia بين الله والإنسان، بين الإرادة البشرية والإرادة الإلهية، لا يعني الإنقاص من عمل المسيح لخلاص الإنسان: المسيح غلب قوة الخطيئة والموت وأعاد للطبيعة البشرية الصورة الإلهية. أيضاً عقيدة التعاضد الأرثوذكسية لا تعني أن خلاص الإنسان شيء يمكن أن "يستحقه" الإنسان أو "يستأهله" أو "يكسبه". فكرة الاستحقاق بأكملها غريبة عن اللاهوت الأرثوذكسي. عندما يعود المسيح سيكون الكل بالكل، وسنختبر حضوره إما كنور وحياة أو كدينونة وظلمة. ليس الفرق كامن في موقف المسيح منا: لأنه محبة وسيظل هكذا يحب الكل. الفرق هو في موقفنا نحن تجاه المسيح: هذا هو الجانب الشخصي أو البعد الشخصي من الخلاص؛ هذا هو عالم الإيمان والأعمال.

الخلاص بالمفهوم البروتستانتي متأصّل في إطار نظرية التكفير السابق ذكرها. فالفرق بين المخلَّص والهالك هو في موقف الله منهما، وليس في أية صفات فيهما. وأيضاً يفترض أن حالة الإنسان يمكن أن تتغيّر في لحظة من خاطىء كبير إلى قديس عظيم.

أن تكون "مخلَّصاً" بالنسبة للبروتستانتي يعني أن تُعلَن "غير مذنب" من قبل الله. هذا يعني أن الله عندما ينظر إليك فإنه يرى برَّ المسيح بدلاً من خطاياك وحالتك الساقطة الخاطئة. بفداء المسيح البديل على الصليب أرضى المسيح عدالة الآب وكرامته وأطفأ غضبه. ولأن الشخص "المخلَّص" يقف أمام الله "مبرَّراً"، أي بريئاً من كل تهم الخطيئة ضده، فإنه باستطاعته أن يدخل إلى الملكوت ويتمتع بالحياة الأبدية.

من جهة أخرى فإن الذي ينكر المسيح ولا يقبله رباً ومخلِّصاً شخصياً، يبقى في خطيئته. عندما ينظر الله إليه، فإنه لا يرى برَّ المسيح بل حالةَ هذا الإنسان الخاطئة، لهذا يُلقى هذا الإنسان في الجحيم.

ضمن هذا الإطار فإن البروتستانتي يؤكد بأنه قد ضمن خلاصه متى آمن بالرب (عقيدة التأكّد المغبوط). إذا قبل المرءُ المسيحَ ووضع كل ثقته في عمل المسيح الفدائي، عندئذ يمكنه له أن يكون واثقاً بأن الله سيحفظ وعده: "ويكون كل مَن يدعو باسم الرب يخلص" (أعمال ٢: ٢١). لقد قِبلتُ المسيحَ، لهذا أنا مخلَّصٌ. لا شيء يمكن أن يكون أبسط من هذا.

بالنسبة للأرثوذكسي ليست مسألة الخلاص كيف يرى اللهُ الإنسانَ. الله دائماً ينظر إلى الإنسان بمحبة، بغض النظر عن تصرفات الإنسان: "فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار والظالمين" (متى ٥: ٤٥). إنها مقدرة الإنسان على الاتصال بالله وليست مقدرة الله على الاتصال بالإنسان.

بما أن الخلاص بالنسبة للأرثوذكسي يشير بالنهاية إلى الحالة الروحية الفعلية للمسيحي، لهذا نجد المسيحي الأرثوذكسي متحفّظاً عن التصريح بأنه مخلَّصٌ. القول بأنه مخلَّص يعني أنه يأخذ مكانة الله في الدينونة. عندما يقول البروتستانتي بأنه مخلَّص فإنه لا يصف حالة روحه، بل أن الله لا يعد يراه خاطئاً. أما القول بأنه مخلَّص بالنسبة للأرثوذكسي فهو يعني أنه وصل إلى حالة سامية من البر أمام الله.

لهذا فالمسيحي الأرثوذكسي التقي يحجم عن تقويم ذاته وحياته الروحية. إنه يترك هذا لأبيه الروحي (البروتستانتي ليس لديه أبوّة روحية ولا يفهم معناه لهذا فهو بعيد جداً عن التقوى المسيحية بالمعنى الأرثوذكسي). فكلما اقترب الإنسان من الله كلما شعر بعدم استحقاقه وأدرك مدى عظمة الله ومدى صغر نفس الإنسان. وبالعكس، كلما

ابتعد الإنسان عن الله كلما رأى اللهَ صغيراً ورأى ذاته كبيراً وشعر بعظمة نفسه وبكبريائه. أعظم القديسين في الكنيسة وضعوا ثقتهم في نعمة الله لكنهم لم يتباهوا قط بأنهم مخلَّصين أو قديسين. لا يعني هذا فقدان الثقة بالله. حاشا، بل يعني تواضعاً عميقاً أمام الله.

يوجد تعليم آخر بروتستانتي في الخلاص وهو ضمانة الخلاص ضمانة أبدية. فالبروتستانتي لا يعرف فقط أنه مخلَّص بل أيضاً أنه لا يمكن أن يسقط ثانية[٢٥]. هذا التعليم بدون شك ذو جذور في تعاليم كالفن. مع ذلك فقوته ليست في الناحية العقائدية بل النفسية.

الضمانة الأبدية هي نتيجة تعليم كالفن في المثابرة. بحسب التعليم الأصلي، الذين اختارهم الله للخلاص قبل بدء العالم سيُحفَظون حتى النهاية ولن يسقطوا قط من النعمة.

الشيء الملفت للنظر هنا هو أن غالبية المؤمنين بنظرية الضمانة الأبدية ليسوا من أتباع كالفن. المعمدانيون الجنوبيون (أكثرية البروتستانت في أمريكا) هم على هذا الرأي المتناقض: يختار الإنسانُ المسيحَ بإرادته الحرة، ومع ذلك متى خلص، يضمن خلاصه ولا يستطيع أن يخسره!؟ أي: يستطيع الإنسان أن يختار المسيحَ بحرية ولكنه، متى اختاره، لا يستطيع أن يرفضه؟!

غالبية بروتستانت العالم حالياً على هذا المبدأ. لا يعيرون أهمية فيما إذا كان لاهوتهم متناقضاً مع نفسه أم لا[٢٦]. إن عقيدة الضمانة الأبدية" –تخلص مرة، تخلص للأبد" – ذات أبعاد نفسية هائلة جذابة سمحت بجذب الكثيرين من الناس إلى البروتستانتية.

طبعاً، الكنيسة الأرثوذكسية ترفض هذا التعليم الخاطىء عن الخلاص لأنها ترفض الإطار الذي فيه تمت صياغة هذا التعليم. فالخلاص حدثية حية من الشركة المتواصلة مع الله. ولا

---

(٢٥) ليست كل الفئات البروتستانتية تؤمن بهذا. الميثوديست Methodists والمعمدانيون ذوو المشيئة الحرّة Free Will Baptists وأتباع كامبل Campbellites لا يؤمنون بالضمانة الأبدية.

(٢٦) في كتاب معمداني اسمه: "Witnessing to People of Eastern Orthodox Background" لمؤلّفه Matt Spann، يحاول المؤلّف استعراض الفروق بين الأرثوذكس والبروتستانت بغية تسهيل "تبشير" الأرثوذكس في البلاد الأرثوذكسية. تحت فقرة آدم قبل السقوط، يقول إن البروتستانت يؤمنون بأن آدم كان كاملاً وعلى شركة كاملة مع الله. لم ينتبه المؤلّف إلى أن آدم "بالمفهوم البروتستانتي" قد سقط لأنه رفض الله، رغم أن آدم كان كاملاً برأيه. واليوم البروتستانتي، وهو غير كامل مثل آدم، لا يمكنه أن يسقط أو يرفض الله، رغم أنه لا يملك شركة كاملة مع الله مثل آدم قبل السقوط (بالمفهوم البروتستانتي). هذه التناقضات في اللاهوت البروتستانتي ليست غريبة ولكنها مؤسفة وتستحق الرثاء.

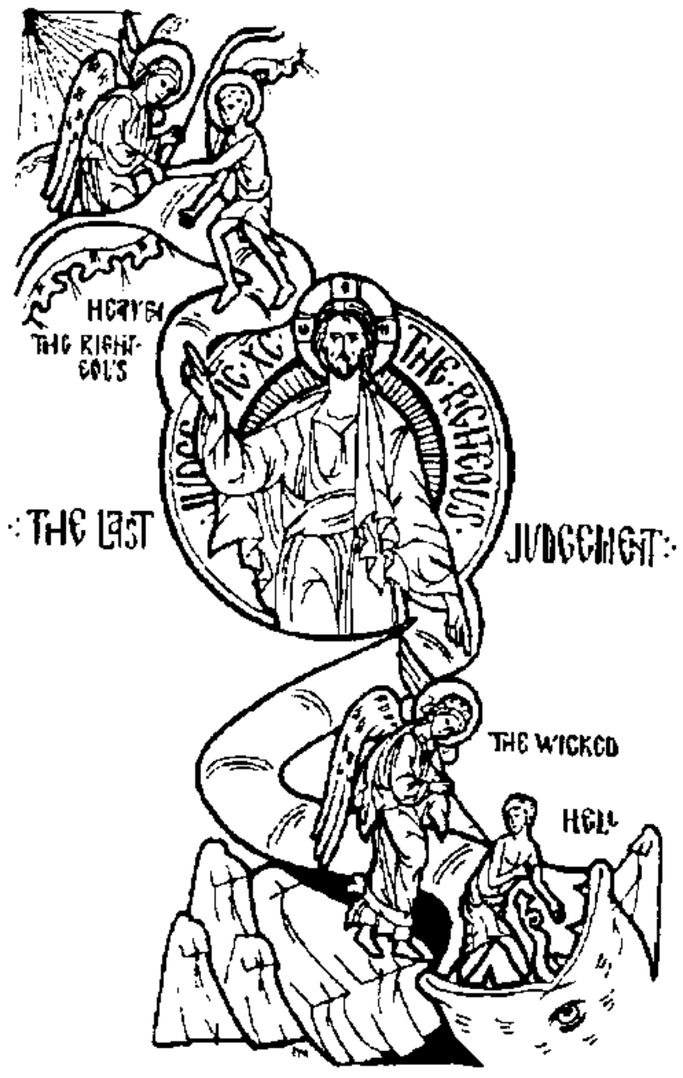

يمكن للخلاص أن يُقال بأنه تامٌ حتى يوم القيامة العامة، عندما يصير المسيح "الكل بالكل". طالما نحن نعيش بالجسد فإن خلاصنا يعتمد على اختيارنا الحر الذي يحترمه الله مهما يكن. القديس بولس يتكلم عن حياته الروحية قائلاً: "إذاً أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين؛ هكذا أُضارب كأني لا أضرب الهواء؛ بل أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١كور ٩: ٢٦–٢٧).

بكلمات أخرى كان بولس يعمل من أجل خلاصه حتى يصل إلى ما كان يرجو. مع ذلك كان يعرف بأنه لم يكن يعمل بقوته بل بقوة الله. هكذا كان يحثّ أهل فيليبي: "إذاً يا أحبائي، كما أطعتم كل حين ليس كما في حضوري فقط بل الآن بالأولى جداً في غيابي تمّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدةٍ، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرّة" (فيليبي ٢: ١٢–١٣). لا يشك الأرثوذكس للحظة واحدة أن الله هو العامل فينا أن نرغب وأن نعمل من أجل خلاصنا، ولكن: ليس ضد مشيئتنا، وإلا لما عدنا بشراً بل حيوانات ذات غرائز بدون عقل وإرادة حرة. الخلاص يعني شركة حرّة وإلا لا توجد شركة على الإطلاق.

في كل قداس إلهي نصلّي: "أن تكون أواخر حياتنا مسيحية سلامية بلا حزن ولا خزي وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهوب"، وذلك لأن خلاصنا يعتمد لا على موقف الله منا (الله محبة ويحبنا سواء قبلناه أو رفضناه) بل على موقفنا من الله قبيل موتنا. لا يجرؤ أرثوذكسي مهما بلغت قداسته القول بأنه وصل إلى ذروة الحياة الروحية وهو حيٌ بعد. لأن أقدس إنسان هو أكثر إنسان قدرة على رؤية حالته الخاطئة. لهذا يبقى المسيحي ساهراً يقظاً لئلا يسقط. وإذا سقط يؤمن بأن الله يقبله للحال متى تاب توبة صادقة.

أرجو من القارىء أن يراجع الدراسة الموسَّعة الملحقة بهذا الكتاب والتي تضمّ مناقشة مهمة لآيات كتابية في الخلاص والتعليق عليها. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٦٢ – تقول الفئات البروتستانتية المختلفة إنها لا تؤمن إلا بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" والمعروفة بـ Sola Scriptura. هل يمكنك أن تلقي الضوء على هذه العقيدة وما هو موقف الكنيسة الأرثوذكسية منها؟

ج ١٦٢ – الجواب المفصّل موجود في قسم الملاحق.

ليس من المبالغة القول إن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً"[٢٧] هي حجر الزاوية أو العمود الفقري للاهوت البروتستانتي. فكل إنسان يؤمن بتعاليم الإصلاح البروتستانتي (سواء أكان يدعو نفسه بروتستانتياً أو لا) قد بنى فكره اللاهوتي على هذا المبدأ. وأكثر من أية عقيدة أخرى، فإن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي التي تعرّف البروتستانتية. تعريف هذه العقيدة صعب. فمن جهة لدينا الإصلاحيون أمثال لوثر وكالفن الذين علّموا أن الأسفار المقدسة هي المصدر الكافي للمعرفة الخلاصية؛ ومن جهة أخرى يوجد إصلاحيون متطرّفون يصرّون على أن الأسفار المقدسة لا تؤلّف فقط المصدر الكافي للتعليم ولكنها أيضاً المرشد الأوحد للعبادة ولحياة الشركة.

عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" ليست مجرد تأكيد على الكتاب المقدس بقدر ما هي مجرد تأكيد على رفض التقليد الكنسي وحياة الروح القدس وشهادته في الكنيسة.

لم يذكر أو يؤكد أي أب من آباء الكنيسة أو أي مجمع من مجامع الكنيسة الأولى بأن الأسفار المقدسة بحد ذاتها وبدون أية مرجعية للكنيسة هي قاعدة كافية للعقيدة والإيمان. حتى الكتاب المقدس نفسه ينقض عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" كما سنرى.

وحتى نفهم عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" بشكل صحيح يجب أن نفهم الافتراضات التي تطرحها هذه العقيدة والرد عليها.

١– الافتراض الأول: الأسفار الإلهية تشهد بنفسها على صحتها self-authenticating:
يقول الإصلاحيون إن الكنيسة لم تؤسّس قانوناً للكتاب المقدس ولكنها شهدت له.

الرد: إن أول قائمة من أسفار العهد الجديد تطابق القائمة الموجودة لدينا حالياً هي الموجودة في الرسالة الفصحية للقديس أثناسيوس الإسكندري (٣٦٧). أما في الغرب،

---

(٢٧) سأستعمل هذه الترجمة الاصطلاحية لكلمتي Sola Scriptura

فإن قانون العهد الجديد لم يتم البت فيه إلا في مجمع قرطاجة (٣٧٩ م). هكذا إذن، في القرون الثلاثة الأولى من المسيحية، لا يمكن للمرء أن يشير إلى قانون واحد مقبول في كل مكان، سواء للعهد القديم أو للعهد الجديد. فإذا كانت الأسفار هي حقاً ذاتية الشرعية أو الأصالة وتشهد لنفسها بنفسها، فلماذا استغرقت الكنيسة الأولى ثلاثة قرون لتعرّف أسفاراً هي، بحسب الإصلاحيين، تشهد عن صحتها بنفسها، وتعرّف عن نفسها بنفسها وذاتية الوضوح؟

٢- الافتراض الثاني: الأسفار المقدسة تفسّر ذاتها بذاتها:

الرد: لقد أظهر أينشتاين بأن المراقب هو جزء لا يتجزأ (أو موروث) من أية ملاحظة علمية. ولا يوجد شيء على الإطلاق هو موضوعي ١٠٠٪.

إن سخافة هذا الادعاء واضحة تماماً بوجود عدد لا محدود من التفسيرات المتناقضة لآلاف الجماعات البروتستانتية المختلفة التي تفسّر النص الكتابي الواحد نفسه بطرق مختلفة. ورغم أن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" تفترض أن النص يفسّر ذاته بذاته، إلا أن البروتستانت عملياً لا يؤمنون بأن النص هو ذاتي التفسير[٢٨]. فلو كان الكتاب المقدس يفسِّر نفسه بنفسه (كما يقول البروتستانت) فلماذا كتب المفسِّرون البروتستانت آلاف الصفحات تفسيراً لعدة صفحات من الكتاب المقدس، ولماذا تتناقض هذه التفاسير البروتستانتية فيما بينها؟ أعمال ٨: ٢٦-٣٩ تُظهر أن الخصي الحبشي احتاج إلى تفسيرٍ "كنسيٍ" للكتاب المقدس؛ بالتأكيد كان الخصي سينال تفسيراً مختلفاً لسفر إشعيا لو كان الذي يفسّر له نص أشعيا هذا هو حاخام يهودي.

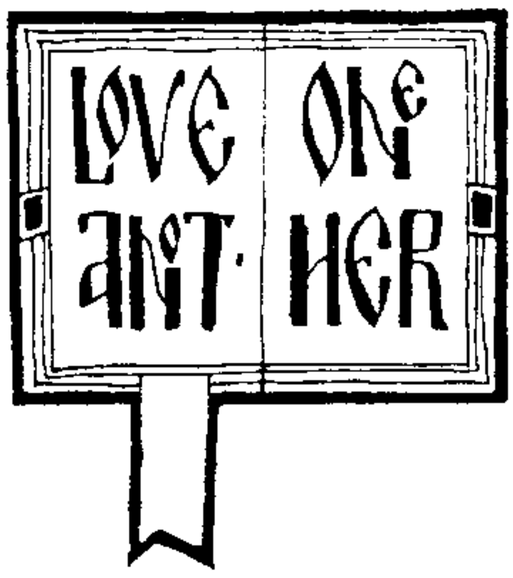

في كل مناقشة أو مسألة لاهوتية في الكنيسة الأولى، لم تُحَلْ القضية بالرجوع إلى مجرد نصوص عارية أو مجرّدة للكتاب المقدس وبتفسيرها بطريقة أو بأخرى، ولكن بالرجوع إلى حياة الكنيسة الحية أو إلى تقليد هذه الكنيسة. لم يُطرَح أبداً سؤال: "ماذا يقول الكتاب المقدس؟"، بل "ماذا يعني الكتاب المقدس؟". الرب يسوع نفسه سأل الناموسي[٢٩] الذي جاء ليجرّب الربَ:

---

(٢٨) خلال حياة مارتن لوثر نفسه ظهرت ما لا يقل عن ١٢ فئة مختلفة فيما بينها تدعي الإيمان "بالكتاب المقدس حصراً". "ناكروا المعمودية" تحدّوا لوثر بناء على "الكتاب المقدس" فحاربهم اللوثريون وقتلوا الآلاف منهم.

(٢٩) وهو الذي يتمسك بحرفية الناموس.

"ما هو مكتوبٌ في الناموس؟ **كيف تقرأ؟**"(لو ١٠: ٢٦). تقليد الكنيسة الأرثوذكسية في هذه النقطة واضح: تقليد الرسل هو اللُحمة المفسِّرة ذات السلطة التي ضمنها يجب أن تُفهَم الأسفار المقدسة بصورة صحيحة.

أساليب التفسير البروتستانتي للكتاب المقدس مذكورة في الدراسة المفصّلة في الملحق في آخر هذا الكتاب.

٣- الافتراض الثالث: الكتاب المقدس هو جواب لكل شيء: الافتراض الثالث لعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي التعليم بأن الأسفار المقدسة مكتوبة بطريقة يجب أن تكون معها المرشد الكامل والكافي للمسيحيين. فكل شيء يجب أن يتم وبدقة "**بحسب الكتاب**".

الرد: يفترض هذا التعليم بأن الكتاب يحتوي على كل التعليمات الضرورية للمسيحي. لكن نظرة واحدة مُقارِنة بين العهد القديم والعهد الجديد تُظهر لنا أن أسفار العهد القديم كانت أسفاراً عبادية تصف بصورة دقيقة أموراً طقسية متعلقة بأماكن العبادة وبطرق ممارستها، الخ؛ بينما لا يوجد شيء مثل هذا في العهد الجديد على الإطلاق. مثلاً، لا توجد تعليمات خاصة بالعبادة في العهد الجديد، وإنما توجد تلميحات كيف أن المسيحيين الأولين كانوا يجتمعون "في أول الأسبوع" للعبادة (أع ٢٠: ٧) بدون تفاصيل أخرى. وأيضاً لا توجد تفاصيل عن كيفية كان يتم الاحتفال بسر الشكر الإلهي (الافخارستيا). أيضاً، كانت رسائل القديس بولس في معظم الأحيان رسائل ظرفية مكتوبة لأشخاص معينين أو لكنائس معينة في أوقات معينة ولأسباب معينة. إن غياب التفاصيل بما يتعلق بالافخارستيا والأمور الأخرى (كالصوم والصلاة) هو بالضبط ما نتوقّعه في رسائل ظرفية كهذه.

لنأخذ مثالاً موضحاً من المعمودية. فالفئات البروتستانتية المختلفة بأنواعها كلها تأخذ بالكتاب المقدس على أنه المصدر الوحيد والكافي للتعليم لديها. لكن نظرة واحدة على تعاليم هذه الفئات عن المعمودية تُرينا اختلافات جذرية فيما بينها. كل فئة من هذه الفئات البروتستانتية تحاول جاهدة أن تستشهد بالكتاب المقدس لتدل على صحة تعاليمها المتعلقة بالمعمودية. فهل سبب هذه الخلافات الجذرية عن المعمودية

بين الفئات البروتستانتية هو في الكتاب المقدس نفسه، أو في طريقة تفسيره من قبل هذه الفئات التي لم تلجأ إلى تقليد الكنيسة وممارستها وفهمها للمعمودية منذ القرون الأولى المسيحية؟

٤- الافتراض الرابع: المسيحية كفكرة: القول إن الأسفار المقدسة تحتوي على كل ما هو ضروري للإيمان المسيحي والممارسة المسيحية يعني أنه يمكن للكتاب المقدس أن يستوعب كل ما هو ضروري. وهكذا فإن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" تفترض بأن المسيحية هي مجرد فكرة أو إيديولوجية. بحسب هذه الفكرة فإن الإنجيل يحتوي على أفكار وجملة من التعاليم، وهكذا يمكن لأي إنسان أن يلتقط الكتاب، ولأن الكتاب ذاتي التفسير، يمكن لهذا الإنسان أن يقتطف منه أي شيء يحتاجه للإيمان والممارسة المسيحية. ولأن الكتاب المقدس يحتوي على كل شيء ضروري لخلاص المسيحي، فإنه يمكن للمسيحي الاستغناء عن الكنيسة وتقليدها ولاهوتها وتفسيرها وحياتها وشهادتها، الخ. وهكذا تستحيل المسيحية إلى جملة من العقائد والتعاليم والأفكار.

الرد: المسيحية بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية هي حياة جديدة وليست مجرد ديانة جديدة، لأن المسيحية هي الحياة في المسيح، وهو الذي يعيش في المعتمدين باسمه. إذاً ليست المسيحية هي جملة تفاسير وتعاليم وعقائد، بل هي وحدة عضوية بالمسيح يسوع من خلال جسده الكنيسة المقدسة.

الافتراض الخامس: الإيمان بالكتاب المقدس بحد ذاته: اعتراف Westminster الإيماني، وهو الوثيقة العقائدية الرئيسية لأتباع كالفن الناطقين بالإنكليزية، تبدأ بالتأكيد على السلطان المنفرد للأسفار المقدسة. أيضاً، اعترافات لندن، وكل اعترافات المعمدانيين الإيمانية اللاحقة تبدأ بالتأكيد على الإيمان بسلطان الكتاب المقدس. وحقاً، مع استثناءات بسيطة، فإن الاعترافات البروتستانتية ودساتير إيمانها المختلفة دائماً تقريباً تبدأ بمقولة تؤكّد سلطان الكتاب المقدس. لهذا ليس من المبالغة القول إنه بالنسبة للبروتستانت الكتاب المقدس هو موضوع إيمان. أي، إن البروتستانت لا يؤمنون فقط بما كُتب بالكتاب المقدس وبالوحي الذي به كُتب الكتاب المقدس، ولكنهم يؤمنون أيضاً بالكتاب المقدس بحد ذاته. هذه بديهية بالنسبة للبروتستانت.

الرد: سنناقش هذا الموضوع من خلال مناقشة عدة نقاط موضحة.

"**على ما في الكتب**": إن الإيمان بالكتاب المقدس كموضوع إيمان، وكخاضع لدستور الإيمان العقائدي يمثّل انحرافاً جذرياً عن إيمان الكنيسة الأولى. فلا يوجد أي من دساتير الإيمان الأولى للكنيسة يبدأ بمقولة متعلقة بالكتاب المقدس. على كل حال، تحتوي دساتير الإيمان القديمة على تأكيد إيماني لا يوجد في دساتير إيمان البروتستانت الحديثة: وهو الإيمان بالكنيسة. في دستور الإيمان النيقاوي تعترف الكنيسة بإيمانها بالله الواحد الآب الضابط الكل، وبرب واحد يسوع المسيح، وبالروح القدس، وبكنيسة واحد جامعة قدوسة رسولية. بالنسبة للكنيسة القديمة، فإن الكنيسة نفسها كانت موضوع إيمان وبند إيمان من بنود دستور الإيمان. فالكنيسة الأولى اعترفت بالإيمان بالكنيسة نفسها كاعترافها بالله.

عند الحديث عن تجسّد المسيح وعمله على الأرض، يؤكّد دستور الإيمان النيقاوي "تألّم وقُبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب". "على ما في الكتب" تفترض سلطان الأسفار المقدسة. هذا يعني أن المسيح قد تجسّد وعاش وتألّم وصُلب ومات وقام في اليوم الثالث كما تشهد الكتب ذلك. أي إن الأسفار المقدسة هي شهادة على ما فعله الله للإنسان بيسوع المسيح. إن شهادة الأسفار المقدسة هي صحيحة والكنيسة لم تشك بذلك أبداً. لكن الموضوع الذي يُبنى عليه الإيمان كان، وهو أبداً، موضوع الشهادة وليس الشهادة نفسها. هكذا تؤمن الكنيسة بدون شك بشهادة الأسفار المقدسة. إنها تؤمن بالوحي الذي كتب الكتاب المقدس وتؤمن بمحتواه وبشهادته ولكنها لا تؤمن بالكتاب بحد ذاته كبند إيمان.

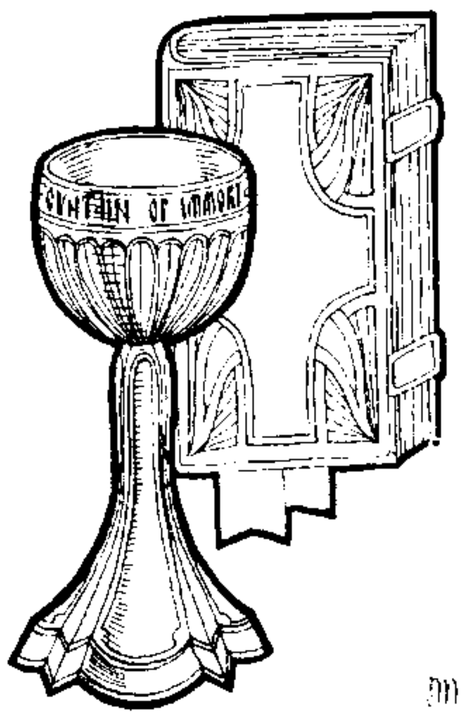

"**كسر الخبز**": بعد قيامة يسوع ظهر للوقا وكليوباس في الطريق إلى عمواس، فلم يعرفاه: "ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤: ٢٣–٢٧). حتى عندما كان الرب يقرأ ويشرح أسفار العهد القديم لهما لم يعرفاه بأنه الرب الناهض من الأموات. و لم يعرفاه إلا بعدما كسر الخبز معهما: "فلما اتكأ معهما أخذ خبزاً وبارك وكسّر وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه" (لو٢٤: ٣٠–٣١). إذاً، كان قلبهما ملتهباً عندما كان المسيح يشرح الأسفار ولكنهما لم يعرفاه رغم ذلك، إلا عند كسر

الخبز. أيضاً، يستعمل القديس لوقا تعبير "كسر الخبز" مرة ثانية في أعمال الرسل (أع٢: ٤٢). إذاً، الأسفار المقدسة تشهد للمسيح. قلوبنا تلتهب فينا عندما تُقرأ الأسفار المقدسة، أي عندما يُبشَّر بالمسيح. على كل حال، ليست الأسفار المقدسة هي المسيح. الافخارستيا (سر الشكر الإلهي) هو الحدث الذي به تعبّر الكنيسة عن جوهر حياتها بصورة خاصة. في الافخارستيا فقط نحن نعرف يسوع المسيح بعد أن تنفتح أعيننا، وتكون لنا شركة حيّة معه. إذ يقول له المجد: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٤-٥٦).

"**ها أنا معكم كل الأيام**": المرة الوحيدة التي كتب فيه الرب يسوع في الأناجيل هي في يوحنا ٨:٦، ولم نراه أبداً يكتب كتاباً أو يترك تعليماً مكتوباً أو مدرسة أو أكاديمية (مثل أفلاطون)، بل على العكس: الشيء الوحيد الذي خلّفه يسوع المسيح وراءه هو الكنيسة. فقبل صعوده يَعِد تلاميذه بوجوده الدائم معهم: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). ويعدهم بإرسال الروح القدس على التلاميذ: "وأما المعزّي الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي فهم يعلّمكم كلَ شيء" (يو١٤: ٢٦). إذاً وعدهم بالروح القدس، روح الحق الذي يرشدهم إلى جميع الحق (يو١٦: ١٣).

ليس المقصود هنا الحطّ من قيمة الكتاب المقدس، لا سمح الله. "كل الكتاب هو موحَى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ" (٢تيمو ٣: ١٦). لكن النقطة الرئيسية هنا هي أن الكنيسة، لا الكتاب المقدس، هي جسد المسيح. فالأسفار الإلهية كُتبت في الكنيسة وبإلهام الروح القدس له المجد. وهكذا، من شهادة الأسفار المقدسة يأتي الناس إلى معرفة الحقيقة وقبولها (١تيمو ٢: ٤)، ويتحدون بالمسيح في الكنيسة. فالكنيسة، وليس الكتاب المقدس، هي "عمود الحق وقاعدته" (١تيمو ٣: ١٥). والكنيسة المقدسة، وليس الكتاب المقدس، هي "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ٢٣).

لهذا نجد أن البروتستانتية قد استبدلت الكنيسة المقدسة بالكتاب المقدس واستبدلت جسد المسيح الحي، وهو الكنيسة، بنصٍ حرفي، ولو أنه موحَى به بالروح القدس. هكذا نجد أن الفروق بين إيمان البروتستانت وإيمان الكنيسة الأولى هي فروق كبيرة جداً.

"**الكنيسة موضوع الإيمان**": تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأن الأسفار المقدسة هي ليست المسيح ويجب ألا تكون موضوع إيمان بحد ذاتها. من جهة أخرى، تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية (والكاثوليكية) بأن الكنيسة (كجسد المسيح بالتعريف الكتابي) هي موضوع إيمان وبند من بنود دساتير الإيمان. هذا ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية وتردّده في دستور إيمانها. إنه أمر شائع بالنسبة للمفسِّرين البروتستانت المعاصرين أنه يجب ألا نأخذ حرفياً القول بالإيمان بالكنيسة. إنهم يقولون إن الكنيسة ليست الله، وبالتالي يجب أن نؤمن بالروح القدس العامل بالكنيسة لا بالكنيسة نفسها.

لكن بحسب القديس بولس إن الكنيسة هي جسد المسيح "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ٢٣). وأيضاً يقول: "لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه" (أفسس ٥: ٣٠). والمسيح نفسه يقول: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٦). فإن كان يوجد في المسيح اتحادٌ حقيقي وثيق بين الله والإنسان، فإن جسد المسيح، أي الكنيسة، مستحقٌ المجد نفسه اللائق بالابن كلمة الله. لهذا، كل مَن ينكر أن تكون الكنيسة موضوع إيمان – بحجة أن "الكنيسة ليست الله" – يقول بأن الكنيسة ليست جسد المسيح بأي معنى حقيقي للكلمة، وبالتالي يضع نفسه مخالفاً لتعليم بولس الرسول.

لهذا بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية، إن الخريستولوجيا (علم المسيح) وعلم الكنيسة ecclesiology لا ينفصلان. فالمسيح يعني الكنيسة، والرب المتجسد لا يمكن أن يكون بدون جسده الكنيسة. لهذا فالقول بأننا نؤمن لا بالكنيسة بل بالروح القدس الفاعل في الكنيسة لهو مفارقة عقائدية. فالكنيسة بالمعنى اللاهوتي هي جسد المسيح المقدّس والمؤلّه. أما العناصر البشرية في الكنيسة فمنها الصالح ومنها الطالح. لهذا نتفق مع البروتستانت في النفور من كل شيء طالح في الكنيسة ولا نتفق معهم في رفض الكنيسة كجسد المسيح الحي أبداً.(٣٠)

---

(٣٠) البروتستانت نفروا من سلطات البابا غير المعقولة وامتيازاته الخيالية فرفضوا الكنيسة جملة وتفصيلاً. نفروا من المبالغة في تكريم العذراء مريم فرفضوا لقبها "والدة الإله" وبتوليتها الدائمة وشفاعتها. نفروا من رجال الدين فرفضوا الأسرار الكنسية بما فيها سر الكهنوت. نفروا من صكوك الغفران والاستحقاقات و..و.. فرفضوا الإيمان العامل بالمحبة ونادوا بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" و"الإيمان حصراً". رفضهم للكنيسة وللقب "والدة الإله" يعني رفضهم للتجسد الإلهي. فالكنيسة هي جسد المسيح رأسها. ويسوع واحد في طبيعتين غير منفصلتين للأبد. العذراء هي أم الله، أمّ عمانوئيل، أمّ ابن الله، ابن العلي بسبب اتحاد الطبيعتين. نسطوريوس فصل الطبيعتين لأنه رفض اللقب. لذلك في البروتستانتية التي ترفض اللقب وصمة نسطورية.

النصوص الكتابية التي تبرهن على عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" بحسب البروتستانت:
سنناقش هنا وبصورة سريعة أكثر النصوص الكتابية شيوعاً والتي تستعملها الفئات البروتستانتية للبرهان على صحة عقيدة "الكتاب المقدس حصراً":

١- **"كل الكتاب هو موحَى به من الله ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر. لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عملٍ صالحٍ" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦- ١٧).** الملاحظة الأولى أن كلمة "الكتاب" التي يستعملها بولس الرسول هنا تشير إلى أسفار العهد القديم. ثانياً، تطبق الكنيسة الأرثوذكسية كلام بولس الرسول على العهد الجديد أيضاً ولكن قانون العهد الجديد لم يوجد قبل القرن الثالث الميلادي كما أشرنا سلفاً. لهذا لو كان بولس الرسول يقصد هنا أن الكتاب وحده كافٍ (أي العهد القديم) لكان هذا يلغي ضرورة وجود العهد الجديد. ثالثاً، بولس يؤكد بطريقة غير مباشرة على أن العهد القديم غير كافٍ وحده. فالآية الثامنة من النص نفسه يذكر اسمين هما "ينيس ويمبريس" أخذهما من التقليد اليهودي وليس من أسفار العهد القديم. مما يعني بالنسبة لبولس أنه باستشهاده من تقليد شفوي كتابي يؤكد على أن الكتاب المقدس (العهد القديم بأيامه، والعهدين القديم والجديد في أيامنا) لا يلغي ضرورة الحاجة لوجود تقليد كتابي شفوي مُعترَف به ويُؤخذ به. في هذا النص نفسه يقول بولس لتيموثاوس "وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري، الخ.." (٢تيمو٣: ١٠). ويقول له في الآية ١٤: "وأما أنت فاثبت على ما تعلّمت وأيقنت عارفاً ممَّن تعلّمت". إذاً يحضّ بولس تيموثاوس هنا ليحفظ التعليم الذي استلمه تيموثاوس من بولس ومن معلِّمين آخرين. عندئذ يقول بولس لتيموثاوس: "وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع" (٢تيمو٣: ١٥). هنا الخلاص يأتي من الإيمان بالمسيح يسوع وليس من الأسفار المقدسة بحد ذاتها. فالكتب المقدسة ترشد إلى الإيمان بالمسيح يسوع، وهذا الإيمان بالمسيح هو الذي يخلّص. لذلك المهم هو الإيمان المسيحي وهو الذي يجعل المسيحي مؤمناً بأن الكتاب المقدس هو موحَى به من الله وهو الذي يجعل الكتاب نافعاً للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر. فالكتاب المقدس بحد ذاته لا يخلّص إنساناً حتى لو كان يحفظه عن ظهر قلب. فيمكن للوثني أن يحفظ الكتاب المقدس بصورة أفضل من المسيحي، ومع ذلك لا يخلص إلا إذا آمن بالمسيح واعتمد. الإيمان بيسوع هو الذي يخلّص الإنسان، وهذا الإيمان يقود المسيحي

إلى المعمودية ليولد من المسيح ثانية، وهو الذي يقود المسيحي إلى الاعتراف بأن الكتاب المقدس كتاباً مقدساً ونافعاً، الخ. إذاً، يسأل بولس تلميذه تيموثاوس أن يحفظ الوديعة (١تيمو ٦: ٢٠)، وأن يثبت على ما تعلّمه، واثقاً وعارفاً مصدر تعليمه (٢تيمو ٣: ١٤)؛ ومعظم ما تعلّمه كان شفهياً غير مكتوب.

٢- النص الثاني الكتابي الذي يستعملوه مناصرو عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هو: "...**أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب كي لا ينتفخ أحدٌ لأجل الواحد على الآخر**" (١كورنثوس ٤: ٦). القراءة الأولى لهذا النص وظاهرياً يبدو أنه على المسيحيين أن يلتصقوا بالكتاب المقدس فقط وحتماً. لكن نظرة متمعنة لهذا النص تُظهر أن لا علاقة له أبداً بمسألة سلطة الكنيسة. فأولاً، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الإطار الذي كُتبت فيه رسالة كورنثوس الأولى، حيث يناقش بولس الرسول المشاكل التي كانت في هذه الكنيسة. ففي ١كور١: ١٢، يقول بولس إن بعض الكورنثيين يتبعون بولس وبعضهم أبلوس، الخ. أي كانت توجد انشقاقات فيما بينهم. والسؤال هنا مطروح على الفئات البروتستانتية المنقسمة على بعضها بعضاً: هل المسيح منقسمٌ؟ ومن الواضح أن الانقسام في كنيسة كورنثوس وصل إلى نقطة كان الناس فيها يقارنون الرسل بعضهم ببعض ويحكمون على أن بعض الرسل أفضل من البعض الآخر. إجابة لهذه النقطة، يؤكد بولس الرسول بأن القضاء أو الدينونة هي لله وحده ويجب على أهل كورنثوس أن لايفتكروا فوق ما هو مكتوب، قائلاً: كي لا ينتفخ أحدٌ لأجل الواحد على الآخر. إذاً لا علاقة لهذه النص بالأفكار التي تطرحها عقيدة "الكتاب المقدس حصراً".

٣- "**وأما الأخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية، وهما لما وصلا مضيا إلى مجمع اليهود. وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط، فاحصين الكتب كلَّ يومٍ هل هذه الأمور هكذا**" (**أعمال ١٧: ١٠-١١**). هذا هو المقطع الإنجيلي الثالث الذي يستعمله أتباع عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" للدلالة على صحة تعليمهم. لا يقول هذا النص بشكل مباشر إن الكتاب وحده كافٍ للإيمان والممارسة، ولكن قيمته لدى البروتستانت تأتي من وجوب المسيحيين أن يكونوا على مثال أهل بيرية، متفحّصين كل الأشياء بحسب الكتب. الكتب المذكورة هنا والتي تفحّصها أهل بيرية هنا هي أسفار

العهد القديم. لو كان أتباع عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" مصيبين في رأيهم في استعمالهم لهذه الآية، لكان على المسيحيين أن لا يستعملوا سوى أسفار العهد القديم حصراً لأنها كانت التي استعملها أهل بيرية. من الملفت للانتباه هنا هو أن أهل بيرية كانوا أشرف من الذين في تسالونيكي لا لأنهم كانوا يتفحّصون الكتب، بل لأنهم قبلوا الكلمة بكل نشاط.

٤ – **"لأني أشهد لكل مَن يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب، إن كان أحدٌ يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذه الكتاب. وإن كان أحدٌ يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب" (رؤيا ٢٢: ١٨–١٩).** ظاهرياً، تبدو هذه الآيات وكأنها تؤيد المدافعين عن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً". لكن لننظر إلى الإطار التي كُتبت فيه هذه الآيات. يقول المفسر المشهور البروتستانتي وليم باركلي إن مقولات كهذه هي شائعة في الأدب القديم. فأمثال هذه التحذيرات موجودة في تثنية ٤: ٢ وتثنية ١٢: ٢وأمثال ٣٠: ٥و٦. أيضاً إن سفر أخنوخ (وهو من الأدب المنحول في العهد القديم) يحذّر ضد تغيير النص أيضاً. وبحسب باركلي فإن الغاية من هذه التحذيرات هي ضمان نقل هذه الكتب بصورة دقيقة بدون أي تغيير من قبل الكتبة الذين كانوا ينسخونها. وفي نص يوحنا السابق ذكره فإن يوحنا يشير بصورة خاصة إلى أن نبوة هذه الكتاب (أي سفر رؤيا يوحنا) هي المقصودة، ولا يوجد شيء يشير إلى كل الأسفار المقدسة أو الكتب المقدسة ككل.

طبيعة التقليد: في الدفاع عن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً"، يدّعي البروتستانت أن الكنيسة الكاثوليكية تقبل بمصدرين للتعليم هما الكتاب المقدس والتقليد، وأن هذا التقليد قد جُعل مساوياً للكتاب المقدس. ويقولون إن اعتماد الكنيسة الكاثوليكية على التقليد قد أدى إلى عقائد مستحدثة مثل الحبل بلا دنس، وعصمة البابا، لهذا يستنتج البروتستانت بأن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي الوحيدة التي تضمن عدم تطوّر عقائد مخالفة للكتاب المقدس.

بادي ذي بدء، الكنيسة الأرثوذكسية ترفض العقائد الكاثوليكية السابق ذكرها (الحبل بلا دنس، عصمة البابا وأولويته، المطهر، الخ) لأنها لا تنتمي إلى التقليد الكنسي الأرثوذكسي. أيضاً، الكنيسة الأرثوذكسية لم تقبل بمصدرين للسلطة في الكنيسة. فالكنيسة الأرثوذكسية تميّز مصدراً واحداً للسلطة وهو التقليد الرسولي والذي يشمل في

قدس أقداسه التقليد الرسولي الكتابي أي الكتاب المقدس (وهو المصدر المكتوب للوحي الإلهي الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل عبر العصور)، والتقليد الرسولي غير الكتابي (وهو مكتوب وشفوي).

لننظر ماذا يقول العهد الجديد عن التقليد أو التقاليد. لنبدأ بمثال موضح من الترجمة الإنكليزية "الترجمة العالمية الجديدة" NIV للعهد الجديد وهي من أكثر الترجمات المستعملة لدى البروتستانت (وهي من أشهر الترجمات الإنكليزية بعد ترجمة James King) حيث نجد عشرة أماكن عن "التقليد" وهي: متى ١٥: ٢، ٣، ٦؛ مر٧: ٣، ٥، ٨، ٩، ١٣؛ وغلا١: ١٤ وكول٢: ٨. في كل حالة من هذه الحالات يُقدَّم التقليد على أنه شيء سلبي ويعاكس الحقيقة الإلهية. الأمر نفسه حاصلٌ تماماً في ترجمة فان دايك البروتستانتية العربية المشهورة. مثلاً في مر٧: ٨: "لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس". على ضوء هذا ليس من المستغرب أن نجد أن البروتستانت يجدون صعوبة في إيجاد أي شيء إيجابي يمكن أن يقولوه عن التقليد. لكنهم يجهلون أو يتجاهلون أنه بالإضافة إلى النصوص السابقة توجد ثلاثة نصوص أخرى في العهد الجديد (تغفلها الترجمات البروتستانتية) تذكر التقليد على أنه شيء إيجابي. وبالحري فإن هذه النصوص الثلاثة تأمرنا أن نحفظ التقاليد الشفوية التي استلمناها من الرسل. البروتستانت يجهلون هذه الآيات، جزئياً لأنهم يعيرون انتباهاً كبيراً للآيات الأخرى، وجزئياً لأنهم يستعملون ترجمات بروتستانتية تحرّف الآيات التي تعاكس التعاليم البروتستانتية كما سنُظهر في هذا المثال الموضح. لو عدنا إلى العهد الجديد اليوناني، لوجدنا أن كلمة التقليد اليونانية هي paradosis وتأتي ١٣ مرة في العهد الجديد وليس ١٠ مرات! ومن الملفت للنظر أن ترجمة NIV تترجم كلمة paradosis اليونانية إلى كلمة "تقليد" في كل مرة إلا في ثلاث آيات هي: ٢تسالونيكي ٢: ١٥، ٢تسالونيكي ٣: ٦ و١كورنثوس ١١: ٢. فالمثال الأول هنا جاء في النص العربي (ترجمة فان دايك البروتستانتية) والنص الإنكليزي (الترجمة العالمية الجديدة): "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتعاليم** التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا". بينما في النص اليوناني لم ترد كلمة "تعاليم" بل كلمة "تقاليد paradoseis"، وهذا ما نجده في ترجمة James King الإنكليزية المشهورة أيضاً. فتصير الآية: "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتقاليد** التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا". كلمة "تقاليد paradoseis" اليونانية هنا

مشتقة من فعل paradidomi اليوناني والذي يعني "يسلّم، أو ينقل، أو يتناقل". من السهل لأي إنسان عارف باللغة اليونانية معرفة عادية أن يدرك بأنه يوجد تحريف بالترجمة هنا لتغيير المعنى ولإبعاد أي معنى إيجابي في ذهن القارىء مرتبط بكلمة "تقليد" أو "تقاليد". فالمترجمون البروتستانت هنا حرّفوا النص اليوناني لكي يطابق عقائدهم و لم يغيّروا من عقائدهم لتتوافق مع النص الإلهي المكتوب. من الواضح بأن الترجمة العالمية الجديدة NIV قد حرصت على إبقاء كلمة "تقليد" أو "تقاليد" في النص الإنكليزي في كل مرة تأتي هذه الكلمة بالمعنى السلبي، ولكنها تحرص بالوقت نفسه على استبدال الكلمة اليونانية نفسها paradosis بكلمة أخرى غير "تقليد" أو "تقاليد" بل بكلمة قريبة منها مثل "تعليم" أو "تعاليم" في كل مرة تأتي هذه الكلمة اليونانية بالمعنى الإيجابي(٣١)! لو كان الكتاب المقدس فعلاً يفسّر نفسه بنفسه وكافٍ بحد ذاته فلماذا يلجأ البروتستانت إلى تحريف بعض النصوص الإنجيلية في ترجماتهم لتوافق هواهم ولاهوتهم؟ أو هل يفهم البروتستانت تعليم القديس بولس عن السلطة بصورة أفضل منه؟ هذا المثال هنا عن كلمة "تقليد" وترجمتها تعطينا نقطة مهمة جداً: كل تفسير للكتاب المقدس يُقدَّم ضمن إطار أو تقليد معين ويختلف هذا التفسير عن غيره بحسب خلفية التقليد الذي ينطلق منه هذا التفسير(٣٢). لنتذكّر هنا: المراقب هو جزء من الحدث.

٢ تسالونيكي ٢: ١٥ يقول: "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتقاليد** التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا"، و٢ تسالونيكي ٣: ٦ يقول: "ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنّبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس حسب **التقليد** الذي أخذه منا". وفي ١كورنثوس ١١: ٢ يقول: "فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون **التقاليد** كما سلّمتها إليكم". هذه الآيات تناقض ظاهرياً ما قاله بولس في كولوسي ٢: ٨ "انظروا أن لا يكون أحدٌ يسبيكم بالفلسفة وبغرورٍ باطلٍ حسب **تقليد** الناس، حسب أركان العالم وليس حسب المسيح". هذا يعني

---

(٣١) في ٢تسالونيكي ٣: ٦ كلمة "تقليد" اليونانية تم استبدالها بكلمة "تعليم" في ترجمة فان دايك البروتستانتية العربية وترجمة NIV الإنكليزية. الأمر نفسه نراه في ١كور ١١: ٢، حيث أستبدلت كلمة "تقاليد" اليونانية" بكلمة "تعاليم". النصان يحضّان القارىء على التمسّك بالتقليد أو التقاليد التي سلّمها بولس للمؤمنين والتي أخذوها منه.

(٣٢) هذه قاعدة عامة تنطبق على الحياة بجوانبها المختلفة. فالمراقب جزء من الحدث وينقله بصورة مختلفة عن غيره. هذا ما نراه بأجلى بيان في تباين الأخبار المنقولة عبر مراسلين تختلف تقاليدهم بعضها عن بعضٍ.

أنه يوجد نوعان من التقليد بالنسبة لبولس الرسول. النوع الأول هو تقليد أو تقاليد الناس، والثاني هو تقليد أو تقاليد الكنيسة أو الرسل. فعلى المسيحيين أن يبتعدوا عن تقاليد الناس وأن يلتصقوا بتقاليد الرسل كما استلموها.

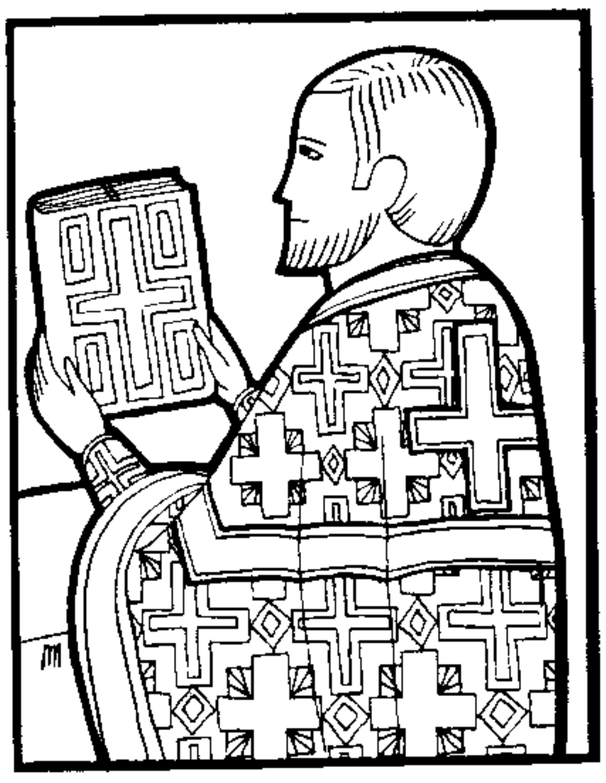

المسألة أو المشكلة هنا هي أنه يوجد تباين كبير بين البروتستانت من جهة وآباء الكنيسة من جهة أخرى بخصوص مفهوم وطبيعة المسيحية. فالمسيحية بالنسبة للبروتستانت هي "جملة من الحقيقة" محفوظة "بدون عيب" في الكتاب المقدس حصراً. أما بالنسبة لآباء الكنيسة الأرثوذكسية، ليست المسيحية "جملة" أو "نظاماً"، بل هي "الحياة في المسيح". هذه الحياة لا يمكن أن تُحال أو تُحوَّل إلى مجموعة مُثُل أو أفكار مكتوبة أو إيديولوجية نظرية. القديس بولس نفسه يوضح هذا قائلاً في ٢ تسالونيكي ٣: ٦: "ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنّبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس حسب **التقليد** الذي أخذه منا". لقد أعطىَ هذا الرسول العظيم مثالاً حياً لأهل تسالونيكي عليهم أن يعيشوا وفقه وهذا المثال صار جزءً من التقليد الحي الرسولي. هذا هو ما تعنيه الكنيسة بالتقليد. هو الحياة التي سلّمها المسيح لرسله، وهم بدورهم سلّموها للكنائس التي أسسوها. فقط ضمن هذه الحياة (أو التقليد) يمكن للمرء وبصورة صحيحة أن يفهم ما هو مكتوب في الأسفار الإلهية. لهذا السبب كان الرسول بولس ملحّاً في أن يحفظ أهل تسالونيكي التقاليد، أي الحياة التي سلّمها لهم.

لهذا ليست المسيحية ديانة كتاب، بمعنى أنها ليست ديانة مرتبطة ومعرَّفة بتعاليم محتواة في كتاب ما، بل هي المسيح في المسيحيين. لهذا إنقاص المسيحية إلى مجرد ديانة كتاب هو نحر المسيحية ونحر الإنجيل نفسه الذي يتعارض لاهوته مع القول إن المسيحية هي ديانة كتاب، لأن "الحرف يقتل لكن الروح يُحيي" (٢كور٣: ٦).

في النهاية، عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" أو Sola Scriptura كانت وليدة غيرة ولكن ليس بحسب المعرفة تجاه التجاوزات البابوية. ربما لا يقصد البروتستانت (أو معظمهم) أن ينتهي الأمر بهم إلى هذه النتائج الوخيمة، لكن الحقيقة لا يمكن كبتها أو تغطيتها. المطلوب اليوم هو العودة إلى إيمان الكنيسة الأولى، كنيسة العهد الجديد، كنيسة الرسل والشهداء والآباء المدافعين والمعلمين والنسّاك، الخ... وليس العودة إلى

الاجترارات الفكرية الفلسفية بغية الربح بعلم باطل. كل البروتستانت الذين تحوّلوا إلى الأرثوذكسية في الولايات المتحدة (وسواها)، وعددهم بالآلاف، تجمعهم خبرة واحدة مشتركة: لقد وجدوا في الكنيسة الأرثوذكسية اللؤلؤة الضائعة، حبة الخردل، الخميرة الدفينة في العجين، النور الساطع للعالم[٣٣]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٦٣ – ما هي الفروق الرئيسية بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس اللاخلقيدونية؟ وهل توجد وحدة في الإيمان حالياً؟

ج ١٦٣ – الكنيسة الأرثوذكسية هي كنيسة المجامع السبعة والآباء القديسين منذ إغناطيوس الأول (١٠٧) حتى القديس الروسي ثيوفانس الحبيس (١٨٩٤) والقديس اليوغوسلافي يوستينوس بوبوفيتش. الكنائس غير الخلقيدونية قبلت بمجمع ٤٤٩ برئاسة أسقف الإسكندرية ديوسقوروس الذي برَّأ فيه أوطيخا (أفتيخيوس) الكافر. كان هذا رئيس دير في القسطنطينية. قال بأن الطبيعة الإلهية في المسيح ابتلعت الطبيعة البشرية. حاكمه مجمع القسطنطينية في تشرين الأول ٤٤٨ وخلعه وجرَّده من الكهنوت. عقد ديوسقوروس مجمعاً في الإسكندرية دان فيه مجمع القسطنطينية. كان أسقف القسطنطينية فلافيانوس سورياً قد فاز رغم أنف الوزير خريسافيوس الذي يقود الإمبراطور الضعيف ثيئوذوسيوس الصغير (٤٠٨–٤٥٠) من أنفه. وهو فليون أوطيخا.

استفاد ديوسقوروس من الوضع. دعا الإمبراطور إلى مجمع في أفسس برئاسة ديوسقوروس مع أن القانون ٣ من المجمع المسكوني الثاني رفع القسطنطينية فوق الإسكندرية وبعد روما. قام الإمبراطور بحرمان ثيئوذوريتوس قورش الخصم اللدود لبدعة الطبيعة الواحدة من الحضور. حضر مندوبا البابا القديس لاون وأسقف القسطنطينية فلافيانوس وأسقف أنطاكية دومنوس وأسقف دوريليوم بطل المعركة ضد أوطيخا. برَّأ ديوسقوروس أوطيخا وتسبَّب بمعركة وقع فيها فلافيانوس قتيلاً وهرب مندوبا البابا وصحبهما. وحُرم البابا. وخُلع دومنوس وثيئوذوريتوس. وأُعطي الاستقلال لأسقفية جوفينال أورشليم التابعة لأنطاكية قبلاً. ونصَّب نفسه بطريركاً

(٣٣) بولس الرسول طلب أن يكون لنا فكر واحد ورأي واحد وقول واحد وإيمان واحد، وكنيسة واحدة ورب واحد ومعمودية واحدة. في كل هذه الفئات الوحدة مفقودة. أساس اختلافهم تفاسيرهم المتباينة للكتاب المقدس الذي فرّقهم ولم يجمعهم لأن الذي يجمعنا هو الروح القدس لا حرف الكتاب المقدس (اسبيرو جبور).

مسكونياً وسعى لنفي لاون ليشغر كرسي روما فيملأه. قامت قيامة البابا لاون. في ٢٨/٧/ ٤٥٠ مات الإمبراطور فخلفته أخته القديسة بولخاريا. اتّصل بها البابا فدعت إلى مجمع مسكوني انعقد في خلقيدونية قرب القسطنطينية. رفض ديوسقوروس المثول أمامه. تبرَّأ من أوطيخا. دانه المجمع ورفيقه جوفينال. تاب جوفينال وتصالح مع أسقف أنطاكية في المجمع.

حدَّد المجمع الإيمان الأرثوذكسي: أقنوم يسوع اتخذ من العذراء والدة الإله طبيعة بشرية ضمَّها إلى أقنومه الإلهي: أقنوم واحد في طبيعتين (راجع سر التدبير الإلهي).

الصيغة مستعارة من رسالة المصالحة التي أنشأها ثيئوذوريتوس ووقّعها كيرللس الإسكندري، ومن غريغوريوس اللاهوتي وإيسيدوروس الفرمي الأب الروحي لكيرللس، ومن أثناسيوس الكبير وسواهم من الآباء.

رفضها ديوسقوروس ومشايعوه متمسكين بعبارة منسوبة لأثناسيوس الكبير استعملها كيرللس: "طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله". كان ثيئوذوريتوس اتهمه بأنها عبارة أبوليناريوس اللاذقي أبي بدعة الطبيعة الواحدة. بعد مشاحنات برز فيها كيرللس وثيئوذوريتوس قطبين كبيرين تفاهما على صيغة رسالة المصالحة (مجموعة الشرع الكنسي، ص ٣٨٠–٣٨١ و٤٠٠). اعترف فيها كيرللس بالطبيعتين. بعد مشاحنات طويلة ركّز سويروس أسقف أنطاكية زعيمهم التعليم على ما يلي: أقنوم من أقنومين، طبيعة من طبيعتين، فعل من فعلين، ومشيئة من مشيئتين غير ممتزجتين. كيرللس الإسكندري قال: "إن الكلمة قد ضمَّ إلى ذاته جسداً... لأن الطبيعتين... اتحدتا.. اتحاداً لم ينزع الفرق بين الطبيعتين... قد ضمَّ هو شخصياً إلى ذاته جسداً.. الطبيعة الإلهية لم تتألّم. الطبيعة التي صارت جسده قد تألّمت..." (مجموعة الشرع الكنسي، ص ٢٩٦). وفي المكان نفسه ينفي كيرللس اتحاد شخصين أي أقنومين. لا "نعتقد كما يعتقد البعض (أي النساطرة) باتحاد شخصين، لأن الكتاب المقدس لم يقل إن الكلمة وحّد بين شخصه وشخص إنسان، بل قال إنه صار جسداً" (ص ٢٩٧).

ويتعرّض كيرللس صراحة لنوعية الاتحاد بين الأشخاص. فهي اتحاد في الكرامة وو... لا يمكن دمج شخصين (ص ٣٠٣). في لاهوت الثالوث الشخص هو الأقنوم. وفي التجسد الأمر كذلك. فإذاً لا يصير شخصان أو أقنومان شخصاً واحداً وأقنوماً واحداً (راجع "سر التدبير الإلهي").

فالأقنومان أي الشخصان لا يصيران واحداً. النسطوريون يقولون بأقنومين منفصلين. غير الخلقيدونيين يقولون بأقنومين قبل الاتحاد صارا أقنوماً واحداً بعده. نحن نقول: ابن الله ضمَّ إلى أقنومه الإلهي طبيعة بشرية أخذها من العذراء. لم تكن موجودة قبل التجسد ليجمع الله الطبيعتين. وهكذا نقول في المشيئة والفعل. ففي كلامهم عسر كبير. وكيف يكون الفعلان فعلين قبل التجسد وفعلاً واحداً بعده؟ فلا وجود قبل التجسد للفعل البشري. ما انضم فعلان موجودان سابقاً. يسوع ضمَّ إليه طبيعةً بشرية ذات فعل بشري ومشيئة بشرية. لا لبس ولا ابهام في عبارتنا بينما اللبس والابهام هما كنه عبارتهم (التفصيل في كتابنا: "سر التدبير الإلهي"). من جهة أخرى رسالة المصالحة تركّز مثل رسالة غريغوريوس (١٠١) ومطوّلها (رسالة ثيئوذوريتوس رقم ٤ في ٤٣١-٤٣٢) على الفعلين تركيزاً قاطعاً. فلماذا يرفضون الفعلين؟ رسالة المصالحة عممت على العالم المسيحي وقبلها.

وكان في ١٩٠٩ الأب جوزيف لوبون قد جعل الخلاف لفظياً، فضلَّ الناس حتى جاء جان كلود لارشيه في العدد ١٣٥ من .Le Messager Ortho ينقضه ويبرز رأي مكسيموس المعترف في سويروس.

فكيرللس واضح: يسوع أخذ طبيعة بشرية لا شخصاً بشرياً كما يقول خصمه نسطوريوس. وينسب الآلام إلى الرب بسبب الاتحاد الأقنومي. فكيف يقولون أقنوم من أقنومين وشخص من شخصين؟ كيرللس حريص على وجود الفرق بين الطبيعتين. مكسيموس اكتشف أن هذا الفرق لدى سويروس هو فرق بسيط (لا فرق جوهري) على غرار الاتحاد البسيط بين الطبيعتين في النسطورية التي لا تجعل الاتحاد جوهرياً. وهذا ما لم يفهمه جوزيف لوبون، فأوضحه لنا لارشيه.

كان كيرللس يستعمل طبيعة وأقنوم مترادفين في أمر ربنا يسوع المسيح ومختلفين في سر الثالوث القدوس. ثيئوذوريتوس قاده إلى تعبير غريغوريوس اللاهوتي: أقنوم واحد وطبيعتان. بعد ذلك تراجع كيرللس عن عبارته القديمة. كيرللس فهمها فهماً أرثوذكسياً لأن لفظة طبيعة لديه مرادفة للفظة أقنوم. في سر الثالوث استعمل "أقنوم" للشخص و"طبيعة" للجوهر. هنا كان فضل ثيئوذوريتوس عليه: قاده إلى التفريق بينهما في سرّ التجسد على غرار التفريق بينهما في سرّ الثالوث.

يوحنا أنطاكية وزّع رسالة كيرللس على العالم المسيحي فقبلها الناس إلا نفراً صغيراً.

حقوقياً استعمال كيرللس لعبارة الأقنوم الواحد والطبيعتين هو تراجع عن استعماله لعبارة الطبيعة الواحدة. الكلام الختامي هو الكلام الأخير الذي يلغي ما قبله. روما والقسطنطينية وأنطاكية قبلت رسالة كيرللس.

الأرثوذكسية لا تجد من معنى لعبارات أقنوم من أقنومين و....

الأقنوم هو الشخص. لا يمكن دمج شخصين في شخص واحد. والطبيعتان غير متزامنتين. الطبيعة الإلهية سرمدية. الطبيعة البشرية مأخوذة في الزمن من والدة الإله مريم العذراء. والطبيعة البشرية ليست أقنوماً؛ إن كانت أقنوماً كما في تعليم نسطوريوس استحال الاتحاد. لذلك قال نسطوريوس بوجود شخص إلهي وشخص بشري وشخص اتحاد في يسوع يجمع الشخصين. لماذا؟ لتجنّب صعوبة القول إن الشخصين صارا شخصاً واحداً.

نقول إن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم لهم طبيعة واحدة. هل نستطيع أن نقول إن الآب والابن هما أقنوم واحد؟ لا، بل طبيعة واحدة في ثلاثة أقانيم. ليس كيرللس وحده قانون الكنيسة. الآباء جميعاً، قبله، قالوا بالطبيعتين. ويعترف سويروس بذلك (سر التدبير الإلهي، ص ٤٥وو...)[٣٤]. والعلماء اليوم مجمعون على أن العبارة لأبوليناريوس. ومع ذلك يعاندون ويكابرون متشبثين بنسبتها إلى كيرللس. فلا بد من عقلٍ علمي معاصر في الموضوع. ويصرّون على رفض مجمع خلقيدونية (الرابع المسكوني) والمجمع السادس وعلى التشبّث بمجمع ٤٤٩. وهذا مستحيل للأرثوذكس. بدون خلقيدونية والمجمع السادس تنهار أسس إيماننا الأرثوذكسي ونفتح ثغرة مع كنيسة روما نحن بغنى عنها. ستّتهمنا روما بخيانة المجامع المسكونية والآباء القديسين

(٣٤) السريان يسبّحون بحمد القديس أفرام ليل نهار. في كتاب "المزامير الروحية" الأفرامي الذي ترجمه الدكتور عدنان طرابلسي قلتُ في النبذة عن حياة أفرام وفي الحواشي إن أفرام حارب هرطقة الطبيعة الواحدة الأبولينارية بالتوكيد على وجود طبيعتين في يسوع. فأفرام أرثوذكسي قحّ عدو لدود للمونوفيسية التي اشتهرت في القرن الرابع كهرطقة أبولينارِيوس. فليقبلوا أفرام مثلنا.

ومكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي. واللوثريون ومَن إليهم يقولون بالأقنوم الواحد والطبيعتين والمشيئتين والفعلين. إذاً: بقوا وحدهم يرفضون إيماننا.

إيمان كيرللس أرثوذكسي. أرى في عبارتهم غموضاً. يقولون بأقنومين. هذا تعبير نسطوري. ويقولون بطبيعة واحدة. وهذا تعبير أبوليناريوس. ويقولون بعدم امتزاج الطبيعتين. وهذا تعبير كيرللسي. كيف مزجوا الثلاثة؟ عليهم تجنّب تعبير أبوليناريوس ونسطوريوس. متى خرج من المعركة تمّ الوفاق.

لذلك مازالت الطريق شاقة. لا بدّ من شجبهم لمجمع ٤٤٩ واعترافهم بالمجامع المسكونية السبعة كما فرضت روما على أتباعها الشرقيين، فضلاً عن مقارنة واسعة لتعليم الطرفين في العام ٢٠٠٢ لا في العام ٤٥١ فقط. يجب أن يقدم كل طرف كتاباً كاملاً بعقائده وأنظمته وليتورجيته للمقارنة الدقيقة.

المقارنة تكشف الحقيقة: ابوليناريوس قال بأقنوم واحد وطبيعة واحدة وقال ان يسوع أخذ طبيعة بشرية بدون NOUS (أي روح عاقلة). صدمه الكبادوكيان غريغوريوس وغريغوريوس: واحد في طبيعتين وفعلين.

اندفع نسطوريوس وزملاؤه تلاميذ ثيئوذوروس المصيصة (موبسويستة) في التركيز على تمامية الطبيعتين حتى وصل نسطوريوس إلى القول بتجاورهما.

ركّز كيرللس وثيئوذوريتوس حين المصالحة على وحدة الاقنوم وثنائية الطبيعتين والفعلين.

ركّزت خلقيدونيا ٨ مرات على وحدة الاقنوم فقطعنا الطريق على المتشيّعين زوراً لكيرللس. ثم ركّزت على الطبيعتين.

جاء سويروس يردّ على تطرّف ابوليناريوس ونسطوريوس وديوسقوروس. اعتدل الموقف ولكن بقي متطرفاً كما رأينا اعلاه. نقيم انثروبولوجيانا على الخريستولوجيا. نحفظ حقوق الانسان في يسوع والجسد في البشر. سويروس قال إن لطبيعة يسوع الواحدة صفتان صفة إلهية وصفة بشرية بعد الاتحاد. ما هي هذه الصفة؟ يقولون: طبيعة الهية واحدة. طبيعة يسوع الالهية هي طبيعة الآب. فلا يمكن أن تصبح صفة. أين الطبيعة البشرية اذاً؟ لماذا مسخها؟ الآباء القديسون (غريغوريوس اللاهوتي، كيرللس، الذهبي، وكيرللس الاورشليمي...) قالوا ان النفس والارادة هما اللتان تخطآن. غريغوريوس

وكيرللس قالا ان ما لم يأخذه يسوع لم ينل الشفاء، لم يخلص. اذاً: أخذ طبيعتنا الساقطة وإرادتها ليشفيها ويخلصها.

ثيوذوريتوس قال بالتأله الذي لم يقل به النساطرة. قال به سويروس وقال إن نور ثابور إلهي. هذه النقطة الهامة تفتح باباً واسعاً ليطرحوا بعمق انثروبولوجيا (علم الإنسان) التي تقوم على الخريستولوجيا (علم المسيح) ليصلوا إلى عمق لاهوتي سليم. تألّه الانسان لا يكون الاّ بوجود طبيعة انسانيّة كاملة في يسوع. بذلك فقط يبتعد سويروس ١٠٠٪ عن ابولیناریوس، ليقول بطبيعة بشرية تامّة غير ناقصة. ابولیناریوس بتر منه ال NOUS. سويروس بتر منه الطبيعة. ولكن مع اعترافه بالـ NOUS.

العقيدة الارثوذكسية معتدلة وسليمة:

اقنوم واحد في طبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين بدون امتزاج ولا استحالة ولا... الاقنوم الالهي ضمّ اليه طبيعة بشرية صارت جزءاً في أقنومه الالهي. صار أقنوماً ابدياً لها. أي قنَّمها. امتلأت من الانوار الالهية. تألّهت. تألّهنا بفضلها. الالوهة تجسّدت في أقنوم الابن دون أن يتجسّد الآب والروح القدس[1]. انّما تجسّد برضوان الآب وفعل الروح القدس. كيف ذلك؟

إنه سرّ إلهنا. نحن نحيا بالايمان لا بالعيان (٢ كور ٥:٤). ايماننا أقوى من عيوننا. لاهوتنا شخصاني. يركّز على أشخاص الثالوث وعلى شخص الابن في التجسّد. التركيز على الطبيعة والجوهر في اللاهوت الغربي يذعرنا: رائحة الفلسفة اليونانية.

وتركيز غير الخلقيدونيين على الطبيعة الواحدة بدلاً من الاقنوم لا يُسرِّنا. والحطّ من وزن الطبيعة البشرية في يسوع يذعرنا: روائح يونانية إلى حد ما. لاهوت الشخص أي لاهوتنا هو الذي قصم ظهر الفلسفة اليونانية الخالية كلياً من مفهوم الشخص. هي فلسفات ماهيات نظرية. نحن عبّاد شخص يسوع لا عبيد ماهيات خيالية.

ما ينقص لاهوتهم أيضاً هو التقنيم. الاتحاد الاقنومي بين الطبيعتين. ضمهما ضماً محكماً إلى الابد. قنّم الطبيعة البشرية وألّهها. امتلأت من أنوار لاهوته ويقول سويروس

(١) الدمشقي (٣:٣ و٦ و١١ وبالاماس...)

– سترها عن أعيننا الا على جبل التجلّي. والاّ لعجزنا عن النظر اليه. فالرسل لم يروه الا حسبما استطاعوا.

ذعرُ غير الخلقيدونيين توجّه ضد نسطوريوس. هذا عظيم. ولكن توجّهه ضدنا كان خطأً فاحشاً.

إن استطاعوا أن يطالعوا بعمق كبير كتاب لارشيه الفرنسي "تأليه الانسان بحسب مكسيموس المعترف" استطاعوا أن يفهموا صواب موقفنا.

لم نمسخ الطبيعة البشرية في يسوع نكاية بنسطوريوس. النكايات لجهنم و لم نبالغ في تعظيمها نكاية بابولينياريوس. الروح القدس قاد سفينتنا في مضايق هذه الصخور العاتية فوصلنا شاطئ السلامة...

بدون مكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي وسمعان اللاهوتي الجديد وغريغوريوس بالاماس ومرقس الأفسسي والمجامع المسكونية السبعة لا تستطيع الأرثوذكسية أن تُقيم وحدة مع أحدٍ. في كتاب "أثناسيوس الكبير" قال الأب متى المسكين وصحبه إن غريغويوس بالاماس غنوسطي أريوسي (ص ٣٨٢ و٤٩٧). فإذا كانوا هكذا يفهمون آخر أعمدة لاهوتنا العظام فما زلنا نجهل بعضنا بعضاً. واستغربت حديثاً عودتهم إلى التمسّك بعباراتهم السابقة والطعن في خلقيدونيا، والدفاع المبطَّن عن أوطيخا ضد فلافيانوس القسطنطينية، وعن قداسة مجمع ٤٤٩ وبطله برصوما... وهذا تنصّل من بيان البلمند في ١٩٧٢/٣/٥. فإن سعوا إلى تراخينا في التشبّث بخلقيدونيا كما فعلوا دوماً منذ ٤٥١ فقد خاب فألهم. لا أرثوذكسية بدون المجمعين ٤ و٦ ومكسيموس المعترف وبالاماس. (اسبيرو جبور)

س ١٦٤– ما هي الفروق الرئيسية بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية؟

ج ١٦٤ – توجد فروق عديدة مهمة بين تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية. لكن المهم هنا هو أن الكنيستين (اللتين تمثّلان الشقّين الرئيسيين للمسيحية: الشرقي والغربي) تشتركان في الأمور الرئيسية في الإيمان والعقائد، مما يجعل الفروق بينهما، وإن كانت مهمة، أقل حدّة من الفروق بين هاتين الكنيستين من جهة والتعاليم

البروتستانتية من جهة أخرى. على الأقل للكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية أصولٌ رسولية ثابتة تاريخياً وعقائدياً، وتشتركان في الإيمان بتعاليم المجامع المسكونية السبعة، وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية قد أدخلت تعاليم جديدة، بعد آخر مجمع مسكوني، لا تقبل بها الكنيسة الأرثوذكسية لأسباب عقائدية. لكن الكنيستين تؤمنان بالثالوث القدوس والتجسد والصلب والقيامة والفداء وخلاص الإنسان بالإيمان العامل بالمحبة، وبأهمية الكتاب المقدس والتقليد، ودور العذراء مريم والقديسين في حياة المسيحي، وبالرهبنة.. الخ.

اختصاراً للجواب، نُسرد هنا بإيجاز الفروق الرئيسية فقط بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، بدون مناقشتها.

الله: تاريخياً لم تفرّق الكثلكة بين جوهر الله وقواه الإلهية غير المخلوقة كما في الأرثوذكسية (من القديس باسيليوس إلى القديس بالاماس). تقول الكثلكة بوجود نعمة "إلهية" مخلوقة، بينما تقول الأرثوذكسية بأن نعمة الله هي إلهية غير مخلوقة، لأنها قوة صادرة من جوهر الله. تركز الكثلكة في حديثها عن الثالوث القدوس على وحدة الجوهر الإلهي، وتعتبر أشخاص الثالوث القدوس أقرب إلى مجرد تميّزات ضمن الجوهر الإلهي الواحد (خاصة لدى توما الأكويني)، أكثر من كونها أشخاصاً (أقانيم) ذات وجود قائم بحد ذاته لكل منها، والجوهر الإلهي موجود فيها كقنيّة لها كما في الأرثوذكسية. من هنا يمكن للكثلكة أن تقول بأن الروح القدس ينبثق من الآب والابن معاً، وهذه زيادة على دستور الإيمان الأصلي ترفضها الأرثوذكسية رفضاً قاطعاً، وبخاصة أنها تشوّش التعليم الأرثوذكسي في الثالوث القدوس له المجد، ولأنها لا تجعل الآب مصدر الألوهة لكل من الابن والروح القدس (ومصدر الوحدة)، منه يبزغ الابن بالولادة والروح القدس بالإنشقاق، ولأن هذه الزيادة تخالف التعليم الرسولي.

الخلاص: للعدالة الإلهية معنيان مختلفان بين الأرثوذكسية والكثلكة[٣٥]. بالنسبة للآباء العدالة الإلهية تعني القضاء على الشر والموت واستعادة كامل الإنسان إلى الخلود

(٣٥) راجع السؤال ١٦١ المتعلق بالخلاص في هذا الفصل.

ومعرفة الله في مجده غير المخلوق. حتى يحصل هذا لم يوجد تغيّر في الله أو إرضاء حقوقي، لأن الإنسان مبرَّرٌ مجاناً بنعمة الله بالفداء الذي بيسوع المسيح (رو٣: ٢٤).

الكنيسة: لاهوت الكنيسة في الكثلكة مختلف بصورة كبيرة جداً عنه في الأرثوذكسية. فرأس الكنيسة المنظور في الكثلكة هو بابا روما، خليفة بطرس، لهذا فالبابا هو وكيل المسيح على الأرض. وتعليمه في الإيمان والأخلاق معصوم عن الخطأ بسبب منصبه. كل الأساقفة (المطارنة) الكاثوليك التابعين له هم أدنى منه مرتبة كنسياً، ويطيعونه ويلتزمون بتعاليمه بدون نقاش أو جدال. وله سلطة مطلقة عليهم، وعليهم واجب الطاعة المطلقة له. فله أن ينقلهم أو يغيّر مراكزهم. لكل أبرشية كاثوليكية مطران، ومجموع الأبرشيات يؤلّف الكنيسة الكاثوليكية، جسد المسيح على الأرض. هكذا يكون لكل أبرشية رأسان أحدهما البابا والثاني أسقف الأبرشية، أحدهما أعلى والآخر أدنى.

بينما تعلّم الكنيسة الأرثوذكسية أن رأس الكنيسة هو يسوع المسيح نفسه، وأن كل أسقف هو ممثل للمسيح على الأرض، وأن كل كنيسة هي كلٌ كامل لجسد المسيح، وليس جزء من كل، وهذا الجسد يلتئم ويتحقق في كأس الأفخارستيا الواحد. ولا توجد كنيسة بدون أسقف شرعي ذي تسلسل رسولي. ولا يوجد أسقف شرعي بدون كنيسة ذات تسلسل رسولي. يقول القديس كبريانوس قرطاجة: "الكنيسة هي في الأسقف، والأسقف في الكنيسة". وتعلّم أيضاً أن الأساقفة (المطارنة) متساوون تماماً، إلا أن البطريرك يرأس اجتماعات المطارنة في المجمع المقدس، وليس له سلطات فائقة. وتسميات أسقف ومطران ورئيس أساقفة وميتروبوليت وبطريرك ما هي إلا تسميات ذات صلة بالمنصب الإداري، إلا أن لكل واحد من هؤلاء الرتبة الكهنوتية الواحدة. كلهم أساقفة.

ليس في الكنيسة الأرثوذكسية مَن له عصمة أو تعليم مُلزِم. العصمة هي للكنيسة ككل، وليس لشخص معين. فالقديسون يخطئون، ولكن تعاليمهم المقبولة من قبل الجميع، في كل زمان ومكان هي تعاليم معصومة[٣٦].

---

(٣٦) ولا يصير أي مجمع مسكونياً إن رفضته الكنيسة فتاريخياً رفضت مجيمعات الآريوسيين ومجيمع ٤٤٩ ومجيمع محاربي الأيقونات (٧٥٤) وسواها. ولم تعقد بعد إنفصال روما أي مجمع مسكوني. فهذا يعرقل عودة الوحدة. فروما شردت فعقدت عدة مجامع لن توافق عليها الأرثوذكسية إلاّ بعد تمحيص وتشطيب (اسبيرو جبور).

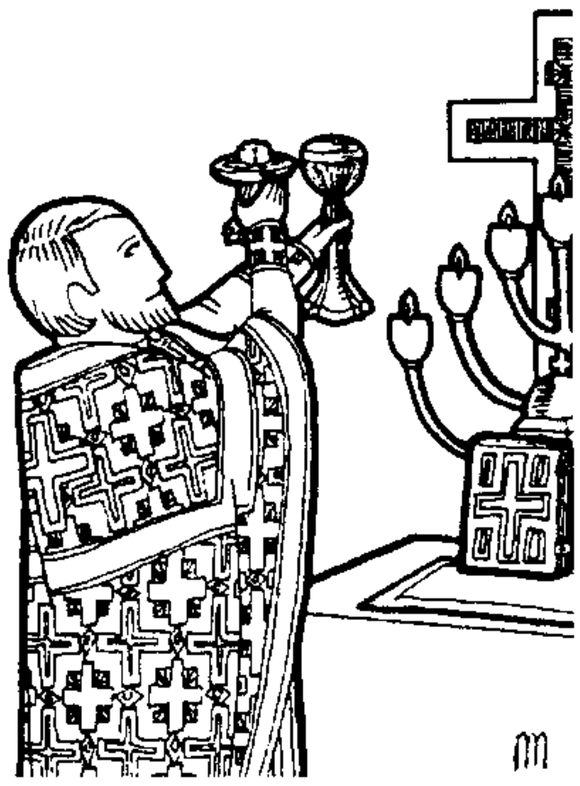

الأسرار: الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية تؤمنان وتمارسان الأسرار الكنسية التقليدية السبعة: المعمودية، الميرون، المناولة، التوبة، الكهنوت، الزواج ومسحة المرضى. لكن توجد فروق في ممارسة هذه الأسرار. قبل ذكر بعض هذه الفروق لا بد من ذكر أن نظرية النعمة الإلهية المخلوقة تشوّه لاهوت الأسرار بالنسبة للأرثوذكسية وتغيّر من معناه. بعض هذه الفروق ذات أبعاد لاهوتية عقائدية. على سبيل المثال لا الحصر: الكثلكة تعمّد برش الماء، بينما الأرثوذكسية بالتغطيس لأن هذه هي ممارسة الكنيسة الرسولية الأولى ولأن المعمودية هي "دفن" مع المسيح واصطباغ به. الكثلكة لا تناول المعتمد حديثاً، بل تنتظر حتى بلوغ الطفل سنّاً تسميه "سن الإدراك"؛ بينما الأرثوذكسية لا تؤخّر مناولة الطفل المعتمد حديثاً لأنه بالمناولة يتناول جسد الرب ودمه. إدراك الطفل لا علاقة له بمفعول المناولة، وبالتالي من الخطأ الكبير حرمان الطفلِ المناولة المقدسة سنوات عديدة بحجة الإدراك[٣٧]! الكثلكة تستعمل خبزاً فطيراً (غير مختمر) في القربان المقدس الذي يُقدَّم بدون الخمر (الدم). بينما الأرثوذكسية تستعمل خبزاً خميراً فقط (على غرار العشاء السري) وتقدِّم للمتناول الخبز والخمر معاً (الجسد والدم). الكثلكة تفرض العزوبية "الامتناع عن الزواج" على المتقدم للرسامة الكهنوتية (إلا في طقس الروم الكاثوليك المشتق من الطقس البيزنطي). بينما الأرثوذكسية لا تفرض شيئاً على المتقدم للكهنوت، إلا وجوب الزواج، إن شاء، قبل الرسامة الكهنوتية. الكثلكة تنظر إلى سر التوبة (والاعتراف) نظرة حقوقية عقلانية (أسوة بأمور أخرى في الكنيسة الغربية). فعلى المعترف أن يسرد خطاياه بصورة أقرب ما تكون إلى الاعتراف بالتجاوزات الحقوقية القانونية، بغض النظر عن موقف القلب. أما الأرثوذكسية فتنظر إلى التوبة نظرة رهبانية مملوءة بالتوبة القلبية وهي بالتعريف تغيير القلب وهجر الحياة القديمة، بدون تحجيم سر التوبة بسرد كل الأخطاء والتجاوزات. الكثلكة، بمفهومها للبابوية (مركز البابا وعصمته)، غيّرت لاهوت الكهنوت أسوة بتغييرها للاهوت الكنيسة ecclesiology. ففي الأرثوذكسية ثلاث مراتب كهنوتية: الشماس، الكاهن، والمطران. ولا توجد مرتبة كهنوتية ذات سلطات فائقة على بقية المراتب الكهنوتية على

(٣٧) بينما قبل العام ١٢١٥ كانت تُناول (راجع اسبيرو جبور، الكنيسة الأولى ومعمودية الأطفال).

غرار مرتبة البابا. أيضاً، في الكثلكة، تقسيم الأبرشيات التقليدي القديم قد تم الإخلال به. فمثلاً، تاريخياً، لأبرشية أنطاكية يوجد بطريركٌ واحد هو بطريرك أنطاكية وسائر المشرق. هذه هي الحال في الكنيسة الأرثوذكسية. بينما في الكثلكة نجد في ديار أنطاكية ما يلي: بطريركية للروم الكاثوليك، وأخرى للسريان الكاثوليك، وثالثة للموارنة، ورابعة للكلدان وخاصة للأرمن الكاثوليك، فضلاً عن أسقفين لاتينيين تابعين لبطريرك أورشليم. .وتشمل بطريركية الروم الكاثوليك كراسي الأسكندرية وانطاكيا وأورشليم. لماذا هذا الموزاييك من الطوائف؟ ولماذا اللاتين. بينما أصلهم أرثوذكس أو سريان أو أرمن؟ لماذا لم تضمهم إلى أصولهم الرومية أو السريانية أو الأرمنية؟ إن كان لهذه البطريركيات التعليم الواحد نفسه (وهو المفترَض)، فكيف تكون منقسمة ومجزءَّة؟! ولكل بطريركية بطريرك دونه مطارنة، وهؤلاء وأولئك تابعون أو موظفون لدى البابا. هذا الواقع الفسيفسائي في الكثلكة غريب عن الكنيسة الرسولية التقليدية ولا ينسجم مع لاهوت الكنيسة.

توجد فروق أخرى عديدة في ممارسة الأسرار ومفهوم السر سنتجاوز عن ذكرها هنا لضيق المجال.

طبيعة الإنسان: تختلف الكثلكة عن الأرثوذكسية في طبيعة خطيئة آدم وحواء والسقوط. تؤمن الكثلكة بأن ذنب آدم وحواء ينتقل إلى ذريتهما بالتناسل الجنسي بحيث كل مولود يرث ذنب الجدّين الأولين وسيُحاسَب على ما يُدعى بالخطيئة الأصلية. النظرة الكاثوليكية هذه أدت بالكنيسة الكاثوليكية إلى منع استعمال وسائل منع الحمل لأن الجنس في الزواج أمر غير مبارك، لأنه بواسطته تنتقل الخطيئة الأصلية. ولا يفدي الجنس إلا الرغبة بإنجاب الأطفال. لهذا فممارسة الجنس في الزواج مع استعمال موانع الحمل يعني خطيئة[٣٨]. الله في الكثلكة خلق الموت كعقاب إلهي على معصية آدم وحواء.

تؤمن الأرثوذكسية بأن آدم وحواء سقطا بعصيانهما لوصية الله فطُردا من الجنة أو الحياة مع الله، فدخل الموت إلى العالم، ومع الموت الفساد والأمراض والشيخوخة، الخ. لهذا فذرية آدم وحواء ترث الفساد الذي وُلدت فيه مع الموت، ولا ترث ذنب أو إثم

(٣٨) راجع السؤال المتعلق بموانع الحمل في الفصل الأول.

الجدّين الأولين[٣٩]. الله لم يخلق الموت، ولم يقل للإنسان الأول: متْ يوم تأكل من الشجرة، بل "يوم تأكل منها موتاً تموت".

والدة الإله: الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية تؤمنان بأن مريم العذراء هي أقدس إنسان وأنها بحق تُدعى والدة الإله لأن المولود منها هو الله المتجسد، وبأنها دائمة البتولية. لكن الأرثوذكسية ترفض الإيمان الكاثوليكي بالحبل بمريم بدون دنس (راجع السؤال المتعلق بهذا الموضوع في هذا الفصل)، الذي لا أصول له كتابية أو آبائية، والذي يعني أن مريم ظهرت في التاريخ بموجب القضاء والقدر وليس باختيارها الحر. والأرثوذكسية ترفض الإيمان بأن العذراء مريم قد نُقلت بالجسد إلى السماء دون أن تموت بالفعل. أيضاً، توجد تيارات كاثوليكية قوية تحاول صياغة عقيدة جديدة عن مريم العذراء لجعلها شريكة فعلية ليسوع المسيح في الفداء والخلاص. هذا تعتبره الكنيسة الأرثوذكسية "غيرة ليست بحسب المعرفة".

المطهر: تؤمن الكثلكة بوجود مكان أو حالة تمر بها النفوس التي ستكون في الملكوت في النهاية إلا أن عليها أن تتطّهر تكفيراً عن بعض الذنوب أو الخطايا. الأرثوذكسية تؤمن بأنه لا توجد فرصة للتوبة أو التكفير عن الذنوب بعد الموت، بل توجد مرحلة انتظار الدينونة العامة، وأن الفداء قد أُعطي مجاناً للإنسان وليس مقابل بضعة أعمال تكفيرية يقوم بها فيستحق بسببها الغفران[٤٠]. كتاب "سلّم الفضائل" للقديس يوحنا السلّمي قال بموضعين لا ثالث لهما (٢٦: ١٠٧).

العبادة: توجد فروق في العبادة بين الكنيستين يطول الحديث عنها بالتفصيل. من هذه الفروق: الكثلكة تستعمل الآلات الموسيقية في العبادة، بينما لا تسمح الأرثوذكسية إلا باستعمال الأصوات البشرية لترتيل التسابيح والأناشيد أسوة بالكنيسة الرسولية القديمة. تسمح الكثلكة باستعمال التماثيل إلى درجة صارت تطغى فيها على استعمال الأيقونات. أما الأرثوذكسية فلا تسمح باستعمال أي منحوت ذي ثلاثة أبعاد لأن ذلك

---

(٣٩) راجع كتاب "وسقط آدم"، د. عدنان طرابلسي

(٤٠) في معجم Catholicisme (١٩٩٠) اعترف المؤلّف بأنه لا دليل في الكتاب والآباء على المطهر. دائرة معارف الإيمان الفرنسية لم تذكره أبداً.

لا يخدم أهداف عبادتها. تسمح الكثلكة بإقامة أكثر من ذبيحة (قداس) واحدة على المذبح الواحد نفسه في أقل من ٢٤ ساعة، بينما لا تسمح الأرثوذكسية بهذا (ذبيحة إلهية واحدة في الدور الواحد أسوة بذبيحة المسيح الواحدة). تسمح الكثلكة باستعمال أية ألحان في تراتيلها حتى ولو كانت أغاني دنيوية؛ بينما لا تسمح الأرثوذكسية إلا باستعمال الألحان الكنسية، وهي على الغالب البيزنطية أو السلافونية. تؤكد الأرثوذكسية على ضرورة الانقطاع عن الطعام لفترة قبل المناولة المقدسة، بينما تتساهل الكنيسة الكاثوليكية في هذا. تستعمل الكنيسة الأرثوذكسية تقويماً كنسياً (هو التقويم الجولياني القديم الأصلي) مختلفاً عن التقويم الكنسي الكاثوليكي (الغريغوري) وهو مستَحدث من التقويم الجولياني. لهذا فعيد الفصح (على الأقل) بينهما يُعيَّن باستعمال تقويمين مختلفين فيأتي في تواريخ مختلفة[٤١].

الحياة الروحية: توجد رهبنة في الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية. لكن الرهبنة الكاثوليكية على أنواع ومراتب، منها تقليدية ومنها حديثة ومستحدثة. لا توجد رهبنات عاملة في الأرثوذكسية على غرار الكثلكة، بل كلها رهبنات صلاة وتوبة قلبية. الصلاة القلبية والهدوئية وصلاة يسوع متطورة أكثر على مستوى التعليم والممارسة في الأرثوذكسية. الأرثوذكس يؤكدون على التوبة والصلاة القلبية للعلمانيين أكثر من الغرب الذي يؤكد على الممارسة الكنسية الخارجية. ممارسة الأصوام الكنسية والصوم قبل المناولة متوطّدة في الأرثوذكسية بينما هي مُهمَلة في الكثلكة على درجات[٤٢].

في النهاية، رغم أهمية هذه الفروق العقائدية واللاهوتية، إلا أن التقارب بين الأرثوذكسية والكثلكة كبير جداً إلى درجة يشعر معها المؤمنون من كلتا الكنيستين بأنهم أعضاء الجسد الواحد نفسه. مهما يكن الحال، يمكن القول إن ما يجمع المؤمنين هو أكثر بكثير مما يفرّقهم. لكن هذه الفروق لم تسمح بالشركة الكنسية (بالمفهوم اللاهوتي) بين الكنيستين ولن تسمح طالما هذه الفروق مستمرة. **(د. عدنان طرابلسي)**

---

(٤١) راجع السؤال المعلق بالتقويم الكنسي في السؤال ٢٤٤ (الفصل الثامن)

(٤٢) الكثلكة انخرطت في الحياة العملية والاجتماعية والمؤسّسات على حساب العمق الروحي الصوفي في صلاة القلب. طابعها طابع دولة لا طابع مملكة ليست من هذا العالم. (اسبيرو جبور).

س ١٦٥ – ما هي أهمية الفرق بين دستور الإيمان الأرثوذكسي القائل بانبثاق الروح القدس من الآب ودستور الإيمان الكاثوليكي القائل بانبثاق الروح القدس من الآب والابن؟ طالما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بالثالوث القدوس، ألا يكفي هذا؟

ج ١٦٥ – الإجابة على هذا السؤال مهمّة جداً لأن مسألة انبثاق الروح القدس له المجد هي أهم مسألة لاهوتية تفصل الشرق عن الغرب، الأرثوذكس عن الكاثوليك. ومن جهة أخرى فإن هذه المسألة تتعلّق مباشرة بالثالوث القدوس (باللاهوت بالخاصة)، إله الوحي المسيحي، وتعكس إيمانين مختلفين به.

الجواب صعب وعميق ويتطلب خلفية لاهوتية فلسفية مهمّة مقترنة بالصلاة والتأمّل[٤٣]. لكن بما أن لكل قارىء الحق في معرفة شيء ما عن هذا الفارق المهم بين الشرق والغرب، فإنني سأضع الجواب في شكلين: مناقشة مختصرة سأذكرها هنا، ومناقشة موسّعة ترد كدراسة في الملاحق في نهاية هذا الكتاب. لا بد من بعض التكرار والاستطراد بسبب صعوبة الموضوع ونقاط بحثه ولعدم توفّر الكثير عنه بالعربية وحتى تترسّخ النقاط المهمّة في ذهن القارىء الكريم. عذراً عن هذا التوسّع[٤٤].

في الله نميّز بين الطبيعة الإلهية الواحدة البسيطة من جهة وبين الأقانيم (الأشخاص) الإلهية من جهة أخرى والتي لها الطبيعة الإلهية الواحدة التي تكون واحدة للأقانيم بدون انفصال أو تجزئة أو انقسام. مسألة انبثاق الروح القدس له المجد ذات علاقة مباشرة بالتمييز بين الجوهر والأقانيم. أي لاهوت يؤدي إلى إرجاع إله الوحي المسيحي الشخصاني إلى مجرد جوهر أو طبيعة إلهية غير شخصانية أو يخلّ بالتوازن بين الجوهر (الطبيعة) الإلهي والأقانيم الإلهية ويُضعف التمايز الأقنومي لصالح الجوهر إنما هو لاهوت مرفوضٌ أرثوذكسياً لأنه يخالف وحي الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة وتعليم

---

(٤٣) لا بد من توفّر خلفية لدى القارىء عن مفهوم الأقنوم (الشخص). الأقنوم والشخص هنا مترادفان. (راجع السؤالين ١٩١ و١٩٢ المتعلقين بالأقنوم وبخصائص الأقانيم.

(٤٤) راجع:

Vladimir Lossky: In the Image and Likeness of God; SVSP, 1974.

Vladimir Lossky: The Mystical Theology of the Eastern Church; SVSP, 1976.

الآباء القديسين. فأي لاهوت يجعل مفهوم الأقانيم الإلهية مفهوماً نسبياً هو لاهوت غير مقبول.

بالنسبة لعقيدة الثالوث القدوس، يأخذ الغرب الطبيعة الإلهية الواحدة كنقطة بداية، ومنها ينطلق إلى الأقانيم (الأشخاص)؛ أما الشرق فيأخذ الاتجاه المعاكس بادئاً من الأشخاص ومنها ينطلق إلى الطبيعة الإلهية. يُركَّز على الموجود في الواقع أي الأقانيم.

الموقف الكاثوليكي:

إذا بدءنا من حقيقة أن الصفة الأقنومية للروح القدس تبقى غير معرَّفة و"مستترة"، فإن اللاهوت اللاتيني يسعى إلى رسم استنتاج إيجابي عن نمط مصدر الروح القدس. وبما أن تعبير "الروح القدس" هو، بمعنى ما، مشترك بين الآب والابن (كلاهما روح وقدوس)، فإن تعبير "الروح القدس" يجب أن يشير إلى شخصٍ يتعلق بالآب والابن بما لديهما من شيء مشترك. حتى لو كان موضوع بحثنا هنا هو الانبثاق، مأخوذاً كنمط مصدر الشخص الثالث، فإن تعبير "الانبثاق" – والذي بحد ذاته لا يدلّ على نمط مصدر متميّز عن الولادة– يجب أن يشير إلى علاقة مع الآب ومع الابن معاً، ليخدم أساساً لشخص ثالث، متميّز عن الشخصين الأولين. بما أن "علاقة التضاد" يمكن لها أن تتوطّد فقط بين طرفين، فيجب على الروح القدس أن ينبثق من الآب والابن، بمقدار ما يمثّلان وحدة. هذا هو معنى الصيغة اللاتينية التي بحسبها قيل إن الروح القدس ينبثق من الآب والابن كما من مبدأ واحد. علاقات التضاد هذه هي أساس الأقانيم (في اللاهوت الغربي) والتي تعرّف نفسها بتضادها المتبادل، الأول تجاه الثاني، والأول والثاني تجاه الثالث. إن السمة العامة للاهوت الثالوث الغربي هذا هي أسبقية وحدة الطبيعة على الثالوث الشخصاني، أو أولوية وجودية (أونتولوجية) للجوهر على الأقانيم. المفهوم الغربي للثالوث يضع الطبيعة الجامعة لله فوق الأقانيم، مما يُضعف من الأقانيم ويخلط شخصي الآب والابن ويجعل الروح القدس مجرد علاقة أو صلة وصل بين الاثنين[٤٥].

(٤٥) الروح القدس هو محبة الآب للابن. أي أنّ المحبة هي أقنوم الروح القدس. لدى ديونيسيوس الأريوباغي المنتحل ومكسيموس المعترف وأندادهما، المحبة والصلاح والنور والمجد والحكمة قوى إلهية. فلبست الأقنوم ولا الطبيعة.

الموقف الأرثوذكسي:

دائماً كان الأرثوذكس يؤكدون على أن مصدر الوحدة في الثالوث القدوس هو شخص الآب. فالآب، كمصدر لشخص الابن وشخص الروح القدس، هو بالوقت نفسه أيضاً مصدر العلاقات التي منها تتخذ الأقانيم خصائصها المميِّزة. فبتسببّه بصدور شخصَي الابن والروح القدس من شخصه (الابن بالولادة والروح القدس بالانبثاق) فإنه يضع أساس علاقتهما الخاصة بصدورهما (الولادة والانبثاق) بالنسبة لأساس الألوهة الفريد.

إذاً: في محاولة مناقشة مصدر الروح القدس، فإن اللاهوت الغربي يتّبع مقاربة إيجابية، بينما يتبع اللاهوت الأرثوذكسي مقاربة تنزيهية (سلبية). اللاهوت الغربي يعرّف الأقانيم الإلهية بحسب علاقات التضاد بينها مما يؤدّي إلى:

١– مفهوم الأقنوم (الشخص) والتنوّع (التمايز) الشخصاني يصير نسبياً في اللاهوت الغربي، بينما يحافظ اللاهوت الشرقي على هذا التمايز، لأن الأقنوم بحد ذاته هو الحاوي والطبيعة هي المحتوى، ولأن للأقنوم وجود أونتولوجي قائم بحد ذاته.

٢– يعترف اللاهوت الغربي بأولوية الجوهر على الأقنوم متأثّراً بلاهوت الفلاسفة (جوهر إلهي بسيط)، بينما اللاهوت الأرثوذكسي يعترف بأن الجوهر الإلهي لا يوجد بدون أقانيم وأن الأقانيم الإلهية لا توجد بدون الجوهر الإلهي الواحد.

٣– اللاهوت الغربي ينتهي إلى إقرار أن الأقانيم هي مجرد علاقات في الطبيعة (الجوهر) الإلهية الواحدة وليست كيانات شخصية ذات قوام شخصي ووجود أونتولوجي بحد ذاته (توما الأكويني).

٤– في اللاهوت الغربي إن علاقات مصدر الأقانيم (الولادة كمصدر للابن، والانبثاق كمصدر للروح القدس) هي أساس الأقانيم، وهذه العلاقات هي علاقات تضاد (لوجود طرفين مقابل بعضهما بعضاً)، بينما في اللاهوت الأرثوذكسي إن علاقات المصدر (الولادة والانبثاق) هي صفات للأقانيم وليست أساسها، ولا توجد علاقات تضاد بين الأقانيم بل علاقات تنوّع شخصي (فالولادة صفة أقنومية أو شخصية للابن، والانبثاق صفة أقنومية أو شخصية للروح القدس). خاصية الآب هي الأبوة، وخاصية الابن هي البنوّة وخاصية الروح القدس هي الإنبثاق. ما عدا ذلك كل شيء

واحد: الطبيعة، القوة، الإرادة، الفعل، المجد، النور، الصلاح، البر ...

٥- اللاهوت الغربي (متأثّراً بالفلسفة الوثنية) يعترف بأن أساس وحدة الله هي الطبيعة الإلهية الواحدة (جوهر إلهي بسيط) والأقانيم فيها هي علاقات. أما اللاهوت الأرثوذكسي فيُعيد الوحدة في الله إلى شخص الآب نفسه الذي يمنح طبيعته الإلهية (بدون انقسام) إلى الابن والروح القدس، والذي يُصدر شخصَ الابن منه بالولادة وشخصَ الروح القدس بالانبثاق.

المختصر:

ليست عقيدة "الانبثاق من الابن" هي تلاعب بالألفاظ.

هذه العقيدة هي إضافة غير مشروعة لاهوتياً ودستورياً كنسياً على دستور الإيمان النيقاوي.

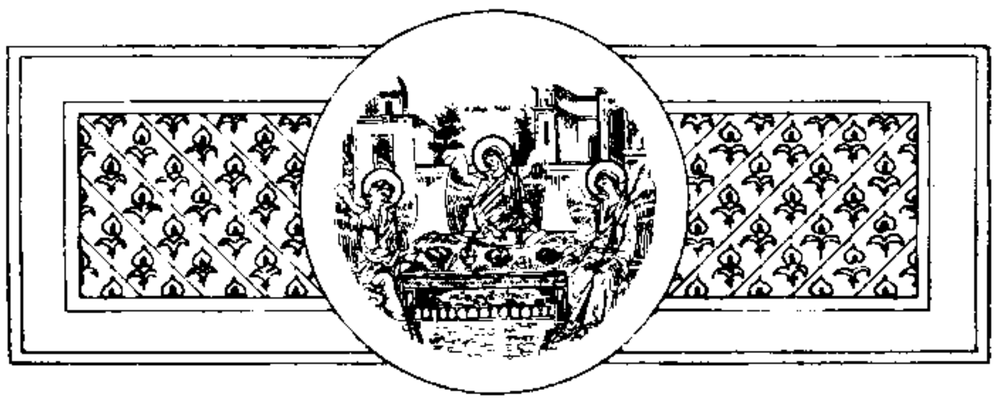

البابا يوحنا الثامن دان هذه الإضافة العام ٨٧٩.

هذه العقيدة تُظهر إيماناً مختلفاً بالثالوث القدوس واقتراباً من اللاهوت مختلفاً عن اقتراب الآباء الكبادوكيين منه والذي يكمن لاهوتهم ما وراء الإقرار النهائي على الدستور في العام ٣٨١. هذا فضلاً عن أن هذه العقيدة تخالف لاهوت القديسين مكسيموس المعترف ويوحنا الدمشقي وفوتيوس وغريغوريوس بالاماس منه وسواهم(٤٦).

تنشأ مسألة أخرى تتعلق بهذه العقيدة. إن البابا يوحنا بولس الثاني، في مناسبتين، قد تلا دستور الإيمان بدون "الانبثاق من الابن". هل يُرضي هذا اعتراضات الأرثوذكس إذا وافقت الكنيسة الكاثوليكية على إزالة "ومن الابن" من دستور الإيمان النيقاوي؟ الجواب هو لا. فالكنيسة الكاثوليكية قد أعلنت رسمياً أن الانبثاق من الابن هو عقيدة. ولا يمكن ببساطة أن تُسقَط هذه الزيادة من دستور الإيمان كما لو لم توجد. يجب أن تُعلن هرطقة

(٤٦) ليس كل مَن يؤمن بالثالوث يُعتبر مسيحياً. فالآريوسيون وخلفاؤهم شهود يهوه والمورمون وهرطقة Christian Scientists وسواهم كثيرون كانوا "يؤمنون" بما يُدعى "الثالوث" ومع ذلك كانوا هراطقة لأن إيمانهم لم يكن إيماناً مسيحياً مستقيما و لم يكن إيمان الكنيسة عبر العصور.

وتُنبذ رسمياً. إن حلّ هذه المسألة يتطلّب توبة حقيقية وتغيّراً في الذهن والقلب[٤٧]. (**د. عدنان طرابلسي**)

س ١٦٦ – تدّعي الكنيسة الكاثوليكية امتيازات لقداسة البابا لا تقرّ بها الكنيسة الأرثوذكسية، منها: رئاسة كنيسة روما، أولوية البابا، وعصمته. هل يمكن أن تشرح هذه الفروق وموقف الكنيستين منها؟

ج ١٦٦ – توجد دراسة موسّعة في الملاحق بنهاية هذا الكتاب. إليكم هذا الجواب المختصر.

رئاسة كنيسة روما وأولوية البابا وعصمته هي نتاج مفهوم خاص للكنيسة الكاثوليكية تجاه علم الكنيسة أو لاهوتها ecclesia. هذا المفهوم الخاص لا ينسجم مع لاهوت الكنيسة كما فهمه الآباء خاصة قبل الانشقاق الأرثوذكسي الكاثوليكي. فمنذ بداية الكنيسة كانت توجد بنية واضحة محددة للكنيسة ذات هوية إفخارستية. إذ كان يوجد عرش "أسقف واحد" جالس "في مكان الله" في مركز الكنيسة، يُفهم على أنه "صورة المسيح" الحية. حول عرشه يوجد شيوخ جالسون، بينما بجانبه وقف الشمامسة يساعدونه في الاحتفال، وأمامه "شعب" الله. آباء الكنيسة الأولّون (إغناطيوس، كلمندوس، يوستينيانوس وسواهم) يشهدون بذلك. القديس إغناطيوس هو أول شخص قد استعمل صفة "كاثوليكية" للكنيسة. ويجب هنا أن نؤكد بأن كلمة "كاثوليكية" لا تعني "كونية، شاملة "universal (كما تستعملها الكنيسة الكاثوليكية اليوم) بل تعني "كل whole، كامل complete". كلمة مسكونية اليونانية هي التي تعني كونية. بالنسبة للقديس إغناطيوس فإن الكنيسة المحلية – وهو ما ندعوه اليوم بالأبرشية – هي الكنيسة الكاثوليكية (الكلية، الكاملة)، لأنه هناك في وسط الجماعة الافخارستية، التي يترأسها الأسقف، يظهر ملء المسيح. هذا هو قلب الفهم الأرثوذكسي للكنيسة.

---

(٤٧) الملك الجرماني هنري الثاني عقد في روما مجمعاً في ١٠١٤ في عهد البابا بندكتوس الثامن وزاد على دستور الإيمان "الانبثاق من الابن"، بينما رفضها ٥١ بابا قبله اعتباراً من أدريان الأول ٧٧٢–٧٩٥، إلى بندكتوس. وآباء اللغة اليونانية جميعاً رفضوها. فأين العصمة الحقيقية؟ إنها في هؤلاء لا في البابا بندكتوس الثامن وخلفائه. (اسبيرو جبور)

في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس، بدأت كلمة "كاثوليكية" تأخذ معنى "كونية". إن ادعاء بابا روما بأن له سلطان كوني على الكنيسة في كل العالم معتمد على مفهوم أن الكنيسة الكونية – وليس الأبرشية – هي الكنيسة الكاثوليكية. هنا نجد تفسيران للكنيسة.

التفسير الكاثوليكي: هو التفسير الجامع (وصل إلى ذروته العام ١٨٧٠): فيه الكنيسة هي مجموع الكنائس المحلية، والتي تؤلّف معاً جسد المسيح. فالكنيسة هنا تُرى بتعابير كلٌ وجزء. كل كنيسة محلية هي جزء من كل، ولا تكون الكنيسة المحلية كنيسة إلا عبر انتمائها إلى "الكل". من هنا نفهم أنه لا بد، بحسب التفسير الكاثوليكي، من وجود رأس شامل، أو أسقف شامل، للكنيسة، وهذا الرأس هو بابا روما.

التفسير الأرثوذكسي: هو التفسير الإفخارستي للكنيسة، وهو مطابق لرؤية الكنيسة الأولى كما رأينا. الكنيسة هي كنيسة إفخارستية، حيث الإفخارستيا هو عملٌ يحقّق الكنيسة كجسد المسيح. المسيح غير المنظور يصير حاضراً عبر وفي الوحدة المنظورة للأسقف والشعب (إغناطيوس الأنطاكي، الرسالة إلى سميرنا ٨: ٢). بالإفخارستيا لدينا الكنيسة ككل وليس جزء، لدينا المسيح ككل وليس جزء. لهذا فالكنيسة المحقَّقة بالإفخارستيا هي ليست جزء من كل بل هي كنيسة الله بكليّتها.

هذه الهوية الأساسية في إيمان وحياة الكنائس الكاثوليكية الفردية على مستوى الأسرار تضمن وحدة كل الكنائس معاً. هذا يعني أن وحدة الكنيسة في العالم كله غير مضمونة وغير معتمدة على أي بنية ذات أبرشية فائقة كما هو كرسي روما بالمفهوم الكاثوليكي. القانون الرسولي ٣٤ يعطينا البنية المجمعية التي هي تحت رئاسة أسقف المدينة الرئيسية (metropolis) في هذه البقعة. من المهم ملاحظة أن أسقف المدينة الرئيسة أو الميتروبوليت لم "يسود" على بقية الأساقفة في المجمع نفسه. فالأساقفة كانوا يحكمون كنائسهم، لكن المسائل ذات الاهتمام المشترك بالإضافة إلى الخلافات كانت تُناقش في المجمع. وكرئيس، كان للميتروبوليت صوت واحد فقط مثل بقية الأساقفة. كان لأسقف المدينة الأولى، أي أسقف العاصمة أولوية على بقية الأساقفة من حيث الإدارة لا المرتبة الكهنوتية.

أيضاً من المهم ملاحظة أن الأساس الرسولي لم يكن عاملاً رئيسياً في تقرير الأولوية في الكنيسة الأولى. فلم تستطع أية كنيسة – ولا حتى كنيسة روما – أن تدّعي أساساً رسولياً أقوى من كنيسة أورشليم، مع ذلك بقيت أسقفية صغيرة تابعة لقيصرية عاصمة فلسطين التابعة بدورها إلى أنطاكية حتى رفعها إلى مستوى بطريركية من قبل مجمع خلقيدونية العام ٤٥١.

إن القانون ٢٨ من مجمع خلقيدونية قد رفع كرسي القسطنطينية إلى المرتبة الثانية بعد كرسي روما. كان السبب واضحاً جداً: فالقسطنطينية الآن صارت عاصمة الإمبراطورية. لكن روما لم تقبل هذا القانون أبداً. إذاً: لم يكن حضور بطرس الرسول في روما هو السبب في تقدّمها على بقية الكراسي الرسولية، لأن بطرس الرسول كان حاضراً في أورشليم وأنطاكية حضوره في روما إن لم يكن أكثر بكثير.

لم يكن الرسل أساقفة لكنائس محلية، بل كانوا رسلاً مبشّرين متجوّلين. و لم ينل الأساقفة من الرسل "رسولية"، بل النعمة لقيادة الجماعات المحلية.

أيضاً، إن لوائح التعاقب الأولى للكنائس لم تسلسل الرسل كأول الأساقفة. فبحسب إيريناوس، كان لينوس، وليس بطرس، أول أسقف لروما[٤٨]. هذه النقطة لم تكن خاصة بالشرق المسيحي فقط، لأن روما نفسها قد قبلتها بدون جدل. هكذا، في الكنيسة الأولى – حتى في روما – من المستحيل أن نبني نظرية من الأولوية على فكرة التعاقب من رسول معين، لأن الأساقفة لم يكونوا معتبرين خلفاء رسل معينين.

القديس كبريانوس يرى أن "كرسي بطرس" موجود في كل كنيسة محلية وليس في روما وحدها[٤٩]. ويؤكّد القديس كبريانوس نفسه: "إن سلطان الأساقفة يشكّل وحدة، منها كل واحد يحتفظ بدوره في كليته". إذاً، كل أسقف محلي يحتفظ بـ "كرسي بطرس" بكليته. كل أسقف محلي هو خليفة بطرس في كل كنيسة، وهو مركز الوحدة في كل كنيسة محلية.

---

(٤٨) ضد الهراطقة: ٣:٣:٣.

(٤٩) A. d'Ales: La Theologie de St. Cyprien. Paris, 1922, pp. 91-218. Camelot: Saint Cyprien et la Primaute, dans Istina, 1957, IV, p. 421-34.

يقول المنطق الكاثوليكي: بما أن بطرس الرسول هو رأس الرسل الاثني عشر وقائدهم ورئيسهم، فإن بابا روما، الذي هو خليفة بطرس الرسول، هو رأس الأساقفة، خلفاء الرسل، وقائدهم ورئيسهم. لكن تحليل دور الرسول بطرس في الكنيسة الأولى لا ينسجم مع هذا المنطق.

الرب يسوع قال لبطرس: "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨). كان هذا الإعلان ردّاً على اعتراف بطرس: "أنت هو المسيح ابن الله الحي". لن يسعنا الوقت هنا للاستفاضة في تحليل هذه النصوص كتابياً وتاريخياً وآبائياً، ولكننا سنذكر هنا هذه النقاط السريعة(٥٠):

١- المسيح يبني الكنيسة لا على شخص بشري (حتى لو كان شخص بطرس، بولس أو حتى شخص والدة الإله) بل على الإيمان الصحيح بشخصه المجيد (المسيح ابن الله الحي). بدون هذا الإيمان لا توجد كنيسة و لا توجد مسيحية.

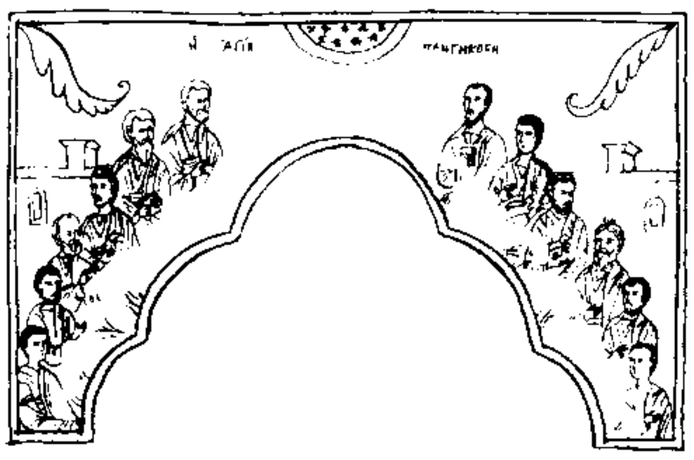

٢- الكنيسة هي جسد المسيح ورأسها هو المسيح. لهذا فالكنيسة هي كنيسة المسيح ("**أبني كنيستي**") لا كنيسة بطرس أو بولس أو مريم أو .. أو ..

٣- في الإصحاح المذكور نفسه وبعد أن طُوِّب بطرس من الرب، ينال توبيخاً قاسياً "اذهب عني يا شيطان...." (متى ١٦: ٢٣). الكنيسة لا تُبنى على عنصر بشري معرَّض للخطأ.

ومن جهة أخرى: يذكر الإنجيل نصّين يتعلّقان ظاهرياً بميّزتين لبطرس الرسول دون سواه من الرسل: فقد أعطاه الرب مفاتيح ملكوت السموات (متى ١٦: ١٩)، وطلب منه أن "ارْعَ غنمي" (يو ٢١: ١٧). فهل حظي بطرس الرسول بما ميّزه عن سواه من الرسل (كما هي امتيازات بابا روما الفائقة والفريدة اليوم)؟ دراسة الكنيسة الأولى تُظهر عكس هذا تماماً: فبطرس كان رسولاً بارزاً في الكنيسة الأولى، لكنه لم يتقلّد أي منصب ثابت في مكان ثابت. هذه خيانة لرسوليته. و لم يرتبط اسمه بكنيسة واحدة. ورغم أنه دُعي الأول بين جوقة الاثني عشر (أولهم والأول بينهم)، لكنه لم يتصرّف قط بمفرده بل دائماً بصحبة الاثني عشر وأحياناً يوحنا. بطرس هو هامة جوقة الرسل. صحيح أن رسلاً

(٥٠) The Primacy of Peter in the Orthodox Church. SVSP, 1973.

آخرين قد دُعوا هامات (مثل يوحنا، يعقوب وبولس)، لكن بطرس كان أول رسول للمسيح ودائماً ما كان يتكلم بالنيابة عن الكل.

أولوية بطرس كانت فريدة في كنيسة فريدة هي كنيسة العنصرة. فلن تتكرر في التاريخ كنيسةٌ جلّها تقريباً من شهود عيان، شهود مجد الرب وشهود قيامته وحلول الروح القدس، الخ... في هذا الظرف الفريد كان بطرس الأول بين الاثني عشر: في كنيسة معينة في تاريخ معين وفي حقبة معينة. هذا الدور الفريد لبطرس الرسول كان دائماً مرتبطاً بالاثني عشر.

يوحنا الإنجيلي كتب سفر الرؤيا في نهاية القرن الأول وكان آخر سفر يُكتب من أسفار العهد الجديد. سجَّل يوحنا الحبيب رؤية معينة عن "المدينة العظيمة أورشليم المقدسة، نازلة من السماء من عند الله" (رؤ ٢١: ١٠). أورشليم هذه هي "الكنيسة". يستمر يوحنا فيكتب عنها: "وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثنى عشر" (رؤ٢١: ١٤). إذاً: اسم الرسول بطرس كان واحداً من بين أسماء الرسل الاثني عشر أسوة بهم. فأين الأولوية هنا وأين الرئاسة بالمفهوم البابوي؟! لو كان يوحنا الإنجيلي يؤمن ويعرف بأن لبطرس أولوية ورئاسة كما تفهمها البابوية اليوم لاعتبر ما شاهده من رؤيا أمراً غير صحيح. لكن المساواة بين أسماء الرسل الاثني عشر على أساسات أورشليم السماوية أمر في غاية الوضوح.

روما وأنطاكية تُنسبان إلى بطرس وبولس مع أن المسيحية دخلت أنطاكية قبل قدومهما. من الممكن جداً أن يكونا قد رسما فيهما شيوخاً فاعتبرتهم الكنيسة خلفاءهما.

يُقال أن بطرس رسم لينوس على روما. فلما مات بطرس كان لينوس في كرسيه. فموت بطرس في روما لا يعطي لينوس وزناً خاصاً. وليس من نصٍ في الكتاب المقدس على أن خلافة الرسول تنحصر في مكان وفاته

إذاً: لو كان بطرس الرسول هو هامة الرسل بالمفهوم البابوي المعاصر، لكان يجب أن

يكون أول أسقف على أورشليم أم الكنائس، لكنه لم يكن هكذا؛ ولوجب أن تكون سلطاته الكنسية واضحة وغامرة وذات سيادة في طول أعمال الرسل وعرضه وفي تاريخ الكنيسة الأولى، لكنها لم تكن هكذا؛ ولوجب أن يترأس مجمع أورشليم (العام ٤٩) لكنه لم يفعل لأن يعقوب أخا الرب أسقف أورشليم ورئيس مجمع الرسل هو الذي أصدر حكم المجمع (أع ١٥: ٢٨)؛ ولوجب على بقية الرسل الأحد عشر أن يأتمروا بأمره وأن يخضعوا له (كما تخضع أساقفة الكاثوليك في العالم اليوم لبابا روما) لكنهم لم يفعلوا هذا؛ ولوجب أن يتعيّن أساقفة الكنائس بأوامر بطرس الرسول لا في روما فحسب بل في كل مكان، لكن بطرس لم يعيّن أيّاً منهم.

بابا روما يملك اليوم امتيازات وسلطات كنسية لم يملكها بطرس الرسول آنئذ. هذه هي الخلاصة. بابا روما اليوم يصلح أن يكون بابا حتى على بطرس الرسول نفسه!

يقول أوريجنس في تفسيره لكلمات المسيح لبطرس: "إن قلنا نحن أيضاً: أنت المسيح، ابن الله الحي، نصير عندئذ بطرسَ أيضاً.... لأن كل مَن يماثل المسيح يصير الصخرة. أيعطي المسيح مفاتيح الملكوت لبطرس وحده، في حين لا يستطيع أن ينالهم غيره من المطوَّبين؟"(٥١).

معظم النصوص الآبائية (الآباء الكبادوكيون، الذهبي الفم، أوغسطينوس) المتعلّقة ببطرس تعكس الإيمان السابق بأنه على إيمان بطرس الرسول بالمسيح بنى السيد كنيسته. لأن الكنيسة لا تُبنى على شخص بشري. حاشا. لهذا، فجميع الذين يشاطرون بطرس الرسول هذا الإيمان الواحد عينه يكونون خلفاءه. هذا التفسير الآبائي موجود أيضاً في القرون الوسطى المسيحية. يقول القديس غريغوريوس النيصصي مثلاً إن المسيح "بواسطة بطرس أعطى الأساقفة مفاتيح الكرامات السماوية"(٥٢).

---

(٥١) الموعظة ١٢: ١٠ على إنجيل متى (PG XIII, 997-1004)

(٥٢) De castigatione, PG, XLVI, 312 C.

إن تعليم الروم الكاثوليك عن البابوية سيؤدي بصورة منطقية وحتمية إلى تعليم عصمة البابا. مجمع الفاتيكان الأول يُظهر نقطتين مهمتين بخصوص هذا التعاليم. الأولى: العصمة تكمن في شخص وحيد بفضل منصبه. الثانية: هذا السلطان مشتق ليس من إجماع الكنيسة جمعاء بل من سلطان البابا الذاتي كخليفة لبطرس.

الأرثوذكس يؤمنون بأن الكنيسة معصومة. ولم توجد قط محاولات لتوضيع هذه العصمة في أي شخص أو مؤسسة. ومن الشائع القول إن المجامع المسكونية معصومة. على كل حال، لا يمكن لأي مجمع أن يدعي العصمة ببساطة لمجرد وجوده. فقط بعد أن يتم "قبول" قرارات المجمع من قبل الكنيسة على نطاق واسع، أي بعد أن تجد الكنيسة جمعاء أن هذه القرارات على اتفاق مع فكر الكنيسة (*consensus Ecclesiae*) أو الإجماع الكنسي، عندئذ يمكن القول أنها معصومة.

القديس بولس وبّخ القديس بطرس. المجمع المسكوني السادس دان البابا هونوريوس بهرطقة المشيئة الواحدة. فأين العصمة؟ البابا يوحنا الثامن دان "الانبثاق من الابن"، مع ذلك فقراره، "النهائي" بمقاييس مجمع الفاتيكان الأول، قد أُبطل من البابوات في القرن الحادي عشر. فإذا كان على خطأ فقد ضلَّ؛ وإن كان على صواب فخلفاؤه (حتى يومنا الحالي) قد أخطأوا.

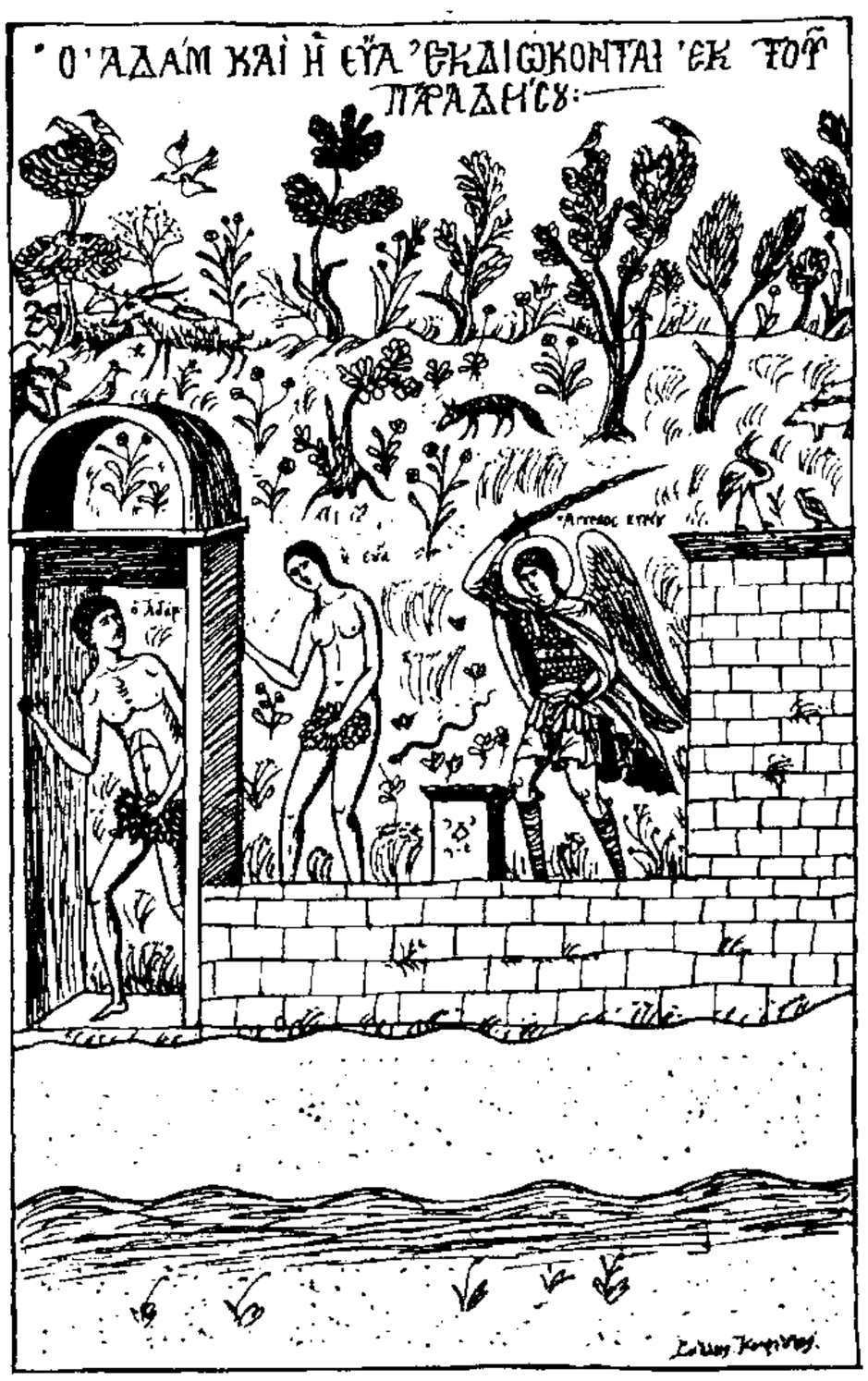

بالنسبة للأرثوذكس، إن معيار العصمة هو فكر الكنيسة، أو الإجماع الكنسي. لكن روما قد وضعت بوضوح البابا فوق هذا الإجماع. وإذا كان التاريخ لا يدعم هذا الموقف، وهو حتماً لا يدعمه، عندئذ لماذا تطورت النظرية بالمقام الأول، ولماذا يصرّ الكاثوليك على الالتصاق به؟ **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٦٧ – تقول الكنيسة الكاثوليكية بالخطيئة الأصلية بينما لا تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بها. ما هي الخطيئة الأصلية ولماذا لا يعترف الأرثوذكس بها؟

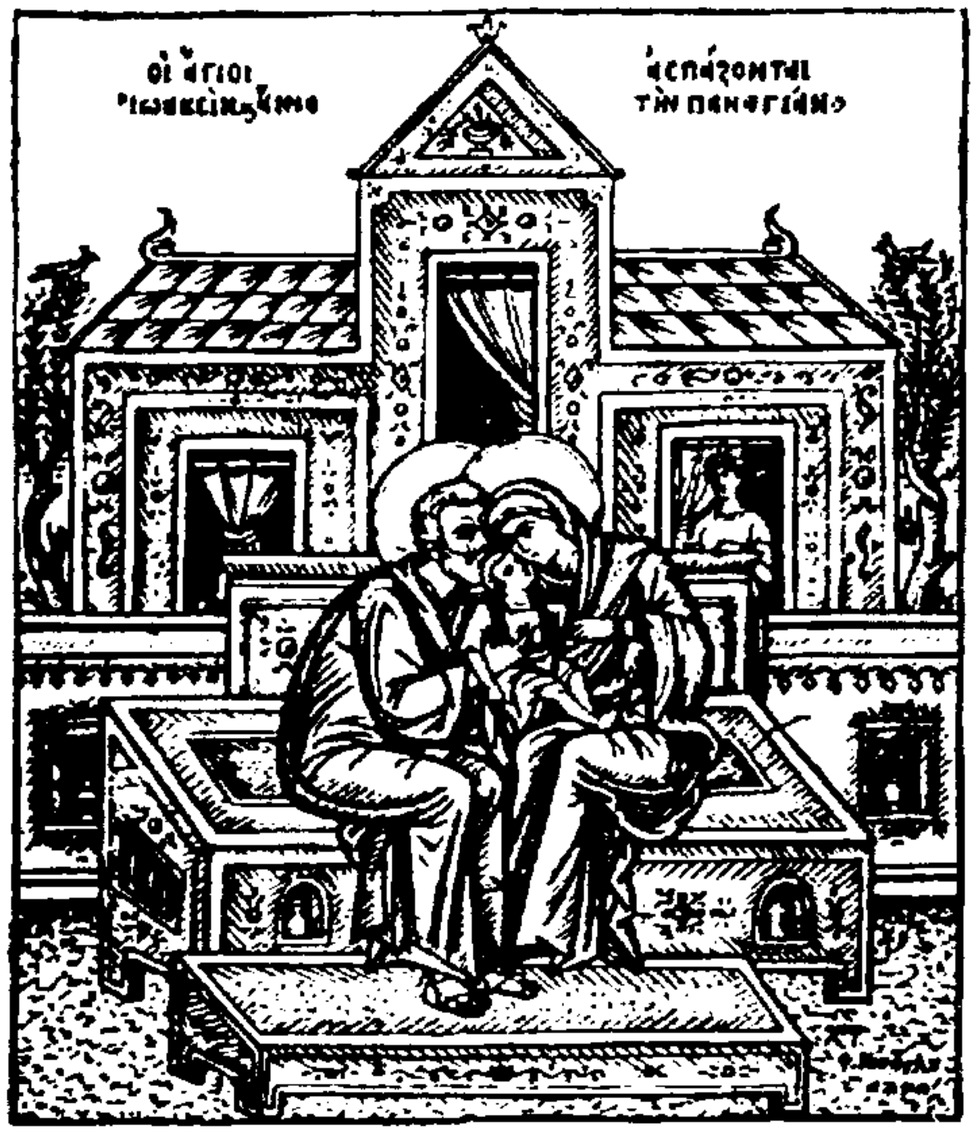

ج ١٦٧ – الكنيسة الكاثوليكية اعتمدت على ترجمة القديس إيرونيموس (جيروم) لرسالة رومية (٥: ١٢) "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطيةً الموت؛ وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع"، للقول إن البشر مسؤولون شخصياً عن خطيئة آدم. إلا أن النص اليوناني مخالف للترجمة اللاتينية. لذلك آباء الكنيسة الأرثوذكسية الناطقون باليونانية قالوا إن خطيئة آدم على عاتقه إنما أدخلت خطيئته على طبيعته البشرية الظلام والفساد والميل إلى الخطيئة والموت والبلى[٥٣]. ونحن أبناء هذه الطبيعة الساقطة. بولس قال بالخطيئة دخل الموت. كان آدم في الجنة غير مُعَدٍ للفساد والموت والبلى. كان بريئاً. كانت إرادته سليمة ومتّجهة نحو الخير. بعد الخطيئة دخل التنازع الذي ذكرته رسالة رومية في الإصحاح السابع: صارت فينا قوتان متصارعتان.

تؤمن الكنيسة الكاثوليكية أن خطيئة آدم وحواء يتم انتقالها أو توارثها عبر الأجيال بواسطة التوالد الجنسي. لهذا كل الأجيال البشرية مسؤولة عن هذه "الخطيئة الأصلية".

المفهوم الكاثوليكي ذو نتائج عملية إيمانية (مثل منع استعمال موانع الحمل في الكنيسة الكاثوليكية والنظرة الدونية للجنس في الزواج) (**د. عدنان طرابلسي**)

س ١٦٨ – ما هيٍ عقيدة "الحبل بدون دنس" ولماذا ترفضها الكنيسة الأرثوذكسية؟ وما هو "الدنس" أصلاً؟ وما علاقة هذه العقيدة بصعود العذراء إلى السماء؟

ج ١٦٨ – عُرِّف "الحبل بلا دنس" كعقيدة من قبل البابا بيوس التاسع في العام ١٨٥٤

(٥٣) راجع: د. عدنان طرابلسي: "وسقط آدم: لاهوت الأقمصة الجلدية".

(في Ineffabilis Deus) أو "الدستور الرسولي". وبما أن الأرثوذكس عادة متَّهمون بسوء تمثيل هذه العقيدة، إليكم المقطع المتعلق بها في الموسوعة الكاثوليكية: Encyclopedia Catholic

"في الدستور Ineffabilis Deus في الثامن من كانون الأول، ١٨٥٤، أعلن البابا بيوس التاسع وعرَّف أن المغبوطة العذراء مريم "في أول لحظة من حبلها، وبميزة وحيدة ونعمة ممنوحة من الله، بسبب فضائل يسوع المسيح، مخلِّص الجنس البشري، قد حُفظت معفاة من كل لطخة من الخطية الأصلية". إن موضوع هذه المناعة ضد الخطية الأصلية[٥٤] هو شخص مريم في لحظة خلق نفسها ونفخها في جسدها. إن تعبير الحبل لا يعني الحبل الفاعل أو المولِّد من قبل والديها. لقد شُكِّل جسدها في رحم والدتها، وكان للأب النصيب العادي في تشكيله. المسألة لا تتعلق بطهارة الفعل المولِّد لوالديها. ولا يتعلق بالحبل المنفعل بصورة مطلقة وببساطة (conceptio seminis carnis, inchoata)، والذي، بحسب نظام الطبيعة، يسبق نفخ النفس العاقلة. إن الشخص قد حُبل به حقاً عندما خُلقت النفس ونُفخت في الجسد. لقد حُفظت مريم معفاة من كل لطخة الخطية الأصلية في أول لحظة من إحيائها، وأُعطيت لها نعمة مقدِّسة قبل أن يمكن للخطيئة أن تفعل في نفسها. إن الجوهر الفعّال الأساسي للخطيئة الأصلية لم يُزَلْ من نفسها، كما يُزال من آخرين بالمعمودية؛ لقد تم استثناؤه. إن حالة القداسة الأصلية والبراءة والعدالة، المعاكسة للخطيئة الأصلية، قد مُنحت لها، وبهذه العطية فإن كل لطخة وخطأ، كل العواطف الفاسدة، والضعفات، المتعلقة بصورة أساسية في نفسها بالخطيئة الأصلية، قد تم استثناؤها. لكنها لم تُصيَّر معفاة من عقوبات آدم الزمنية: من الحزن، الضعفات الجسدية، والموت. المناعة ضد الخطيئة الأصلية قد أُعطيت إلى مريم باستثناء وحيد من الناموس الكوني بواسطة فضائل المسيح نفسها، والتي بها يُغسل أناسٌ آخرون من الخطيئة بالمعمودية. لقد احتاجت مريم إلى المخلِّص الفادي للحصول على هذا الاستثناء، وللانعتاق من الضرورة الكونية ومن الدَّيْن بسبب خضوعها للخطيئة الأصلية. إن شخص مريم، كنتيجة لأصلها من آدم، كان يجب أن يكون خاضعاً للخطيئة. لكن، لكونها حواء الجديدة التي كانت ستكون أم آدم الجديد، فقد سُحبت من الناموس العام

(٥٤) استغربت استعمال البطريرك شنودة القبطي تعبير "الخطيئة الأصلية" في كراسته المذكورة في السؤال المتعلق بالفروق بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس اللاخلقيدونية (اسبيرو جبور).

للخطيئة الأصلية.بمشورة الله الأزلية وبفضائل المسيح. إن فداءها كان تحفة حكمة المسيح الفادية بالذات. إنه فادٍ يدفع الدَّيْن... أعظم من الذي يدفعه بعد أن يقع على المديون. هكذا هو معنى تعبير "الحبل بلا دنس".

هذه العقيدة رفضها في القرون الوسطى بعض أشهر علماء الكثلكة من مثل رهبان دير Cluny بباريس، والقديسين اللاتين، وبعض أشهر اللاهوتيين الكاثوليك البارزين من مثل Bernard، و Bonaventure، وألبير الكبير وتوما الأكويني، وكلهم مطوَّبون قديسين في الكنيسة الكاثوليكية. بينما المدافعون الأوائل عن هذه العقيدة (مثل Eadmer و Duns Scotus) لم يكونوا مطوَّبين. وكانت هذه العقيدة مثار جدل في القرون الوسطى بين الدومينيكانيين (أتباع الأكويني) والفرنسيسكانيين (أتباع Scotus Duns).

لا يرى الأرثوذكس أن هذا التعليم هو مجرد تطوّر مشروع في التعبير عن العقيدة، بل هو تغيّر في جوهر اللاهوت. ليس لأن الحبل بلا دنس هو ضلال لاهوتي وحسب، بل لأنه يفتح الباب للمزيد من "التطورات" هي أكثر ضلالاً.

عقيدة "الحبل بلا دنس" البابوية هذه تعني أن الله قد استثنى مريم من ذنب الخطيئة الأصلية الموروث بالتعريف الكاثوليكي وذلك عندما تمَّ الحبل بها من قبل أمها حنّة. لأنه لو كانت مريم قد ورثت الخطيئة الأصلية وورثت الذنب معها، لما أمكن اختيارها لتحمل ابن الله المتجسد، لأن طفلها سيكون، في هذه الحالة، قد ورث منها الذنب نفسه ولصار تحت الدينونة الإلهية. ولكانت "فضائل" ذبيحته غير كافية للفداء أي لإرضاء العدالة الإلهية وإزالة الغضب الإلهي بالمفهوم الكاثوليكي.

قبل استعراض الاحتجاجات الأرثوذكسية على هذه العقيدة، نورد هنا نقطة مهمة وهي أن الكثير من الكاثوليك المدافعين عن هذه العقيدة يحاولون التنقيب في المصادر الآبائية بحثاً وراء كلمة، جملة أو أي نص قد يقوّي موقفهم ويدعمه ولو بطريقة غير مباشرة، أو يحاولون استعمال النص الآبائي خارج إطاره الصحيح. على ضوء هذا تقول Hilda Graef وهي مؤلّفة كاثوليكية في كتابها "مريم: تاريخ العقيدة والتكريس":

"بينما تطوّر في الغرب التعليم والتقوى المريميان بصورة مهمة ما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، فإنهما بقيا في الشرق أكثر جموداً في بعض الجوانب. لأن

التأثيرات الثلاثة التي قرّرت بصورة رئيسية التطورات الغربية كانت غائبة هنا: التعليم الأوغسطيني عن الخطيئة الأصلية، والذي لعب دوراً حاسماً جداً في الجدال حول الحبل بلا دنس؛ والعلمانيون الأميّون وغالباً ما يزالون نصف بربريين؛ والسكولاستيكية."

"لكي أتجنّب التكرارات الكثيرة جداً فسوف أقول للحال أنه يبدو لي أن كامل المسألة كان تُرى من قبل اليونان بنور مختلف بالكلية عما كانت تُعتبر من قبل اللاهوتيين الغربيين. ففي الكنيسة اليونانية لم تلعب الخطيئة الأصلية قط الدور الغالب (الراجح) نفسه كما في الفكر الغربي ما بعد أوغسطينوس. فمنذ أبكر الأزمنة قد اُفترض كحقيقة لا تُفنَّد أن مريم كانت أنقى خليقة يمكن تصوّرها، أعلى الملائكة بدون استثناء. حتى أن القديس يوحنا الدمشقي قد اعتبر حبلها الفاعل أنه بدون خطيئة، لكنه لم يشارك وجهة النظر الأوغسطينية عن الخطيئة الأصلية كذنب موروث ينتقل بالفعل الجنسي، فالمسألة لم تطرح نفسها عليه أبداً بالطريقة التي فعلتها على اللاهوتيين اللاتين. فاليونانيون رأوا الخطيئة الأصلية أكثر مواتية مع كل تضمناتها، وأن والدة الإله كانت خاضعة لهذا، فهم لم يعفوها منها. ومن جهة أخرى، رغم أنهم قد أكّدوا على نقاوة مريم التامة، فقد كانوا أقل اهتماماً من اللاهوتيين الغربيين في مسألة اللحظة ذاتها عندما قد تثبّت هذا. يمكننا القول تقريباً إن اللاتين قد اعتبروا المسألة من الوجهة التاريخية، أما اليونان فمن الوجهة ما وراء الطبيعية (الميتافيزيقية)؛ السابقون (اللاتين) كانوا مهتمّين بزمن بدء هذه النقاوة، أما اللاحقون (اليونان) فكانوا مهتمين فقط بحقيقة أنها كانت موجودة. لهذا السبب لا أظن أنه يستطيع أي واحد أن يطالب هؤلاء المؤلفين اليونان من جهة الحبل بلا دنس"(٥٥).

نتعرف هنا إذاً بأنّ تراثنا اليوناني معاكس لعقيدة الحبل بلا دنس. معجم الروحانية الفرنسي الكاثوليكي في الفصل الخاص بمريم العذراء ذكر صراحة قول غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الدمشقي: حلّ الروح القدس على مريم العذراء أثناء البشارة بالحبل وطهّرها. وقال بالاماس: " ... ليطّهر طبيعتي" (العظة على التجسد، ١٤:٨). فمعاكسة

(٥٥) Hilda Graef: Mary: A History of the Doctrine and Devotion; Part One, pp. 322-323.

روما لتقليدنا هذا وفي نقطة سطحية دليل على إمعانها في المجافاة والمقاطعة وتقطيع الأوصال.

العيب الكبير في الموضوع هو انعدام أي نص في الكتاب المقدس والقرون الأولى يقول إنّ الروح القدس حلَّ على حنة أم العذراء أثناء الحبل. المسألة إذاً تحاليل عقلية بدون أساس في الوحي الإلهي. وهي تعني أنّ مريم العذراء مختارة بموجب القضاء والقدر لا بسبب برِّها الذاتي. الكثلكة تحارب القضاء والقدر لدى الكلفينية وتقع فيه ههنا. اللاهوتي الكاثولكي d'Alès صرّح في كتابه "مجمع نيقية" بأنّ الأرثوذكسية أقرب إلى الكتاب المقدس. وبما أنّ تراثنا اليوناني يرفض هذه العقيدة فكان على روما أن لا تزيد اسفيناً في حسن علاقات الأرثوذكس بالكاثوليك. فعقيدتا الحبل بلا دنس والصعود إلى السماء بالجسد لا تتعلقان بخلاصنا. ولذلك هما رأي لا عقيدة. بموجب عقيدة الحبل بلا دنس يصبح الأرثوذكس في نظر العقائدية الكاثوليكية هراطقة. هذا ما لم نقدم عليه في مآخذنا على روما العزيزة ليبقى باب الوحدة والمحبة مفتوحاً بيننا. وسيرج بولغاكوف قال إنّ الأرثوذكسية لم تعقد أي مجمع مسكوني بعد انفصال روما لأنّه لا يجوز عقده بدونها(٥٦).

نموذج أو استثناء؟

لاحظ الأب شميمان أن الحبل بلا دنس يجعل مريم العذراء "الاستثناء الأعظم" للبشرية، وليس "النموذج الأعظم". هذا هو الاعتراض الأرثوذكسي الأول على هذه العقيدة: إنها تضع أم الله على حدة بالنسبة للبشرية ، ليس فقط في درجة نقاوتها، بل أيضاً في النوعية.

اللاهوتيون في الشرق والغرب معاً سبّحوا ورتّلوا لنقاوة العذراء. وبالفعل، بصورة عامة، إن التراتيل في الكنيسة الأرثوذكسية أغزر وأجمل. فكل واحد إذن موافق على أن العذراء كانت نقية، لكن كيف ومتى صارت هكذا، وأية معانٍ تحمل؟ إن نقطة البدء في الخلاف بين التقليد الشرقي والغربي قد ذكرته Graef أعلاه وهي التعريف الأوغسطيني

(٥٦) أيّدتُ ذلك في مقال (النور ١٩٧٤). روما لا تعيرنا انتباهاً في تصرفاتها بينما العقلاء منا حريصون على احتضانها. ننزعج جداً من كل تطور فيها يحفر فجوة بيننا. عليها أن تحبنا لأننا نحبها وإن كنّا مجروحين (اسبيرو جبور).

للخطية الأصلية كذنب موروث أو تلوّث لخطيئة آدم والذي ينتقل بالتناسل الجنسي. هكذا، إن الخطيئة الأصلية تُرى أولاً وبالأغلب كذنب موروث. أنسلموس Anselm أسقف كانتربري سيعيد تعريف هذا كغياب العدالة الأصلية. ورغم أن أنسلموس Anselm لم يعلّم الحبل بلا دنس – قال بصورة خاصة إن مريم قد وُلدت بالخطيئة الأصلية – إلا أن Graef تلاحظ دور أنسلموس Anselm في تطوّر هذه الفكرة:

"إذا كانت مريم أنقى كل الخلائق، وإذا كانت الخطيئة الأصلية ما هي سوى غياب العدالة الأصلية، عندئذ لا يحتاج الأمر أكثر من توقع نتائج آلام المسيح لصنع الحبل بلا دنس مقبولاً لاهوتياً"(٥٧).

هذا الاستنتاج قد صنعه تلميذ أنسلموس Anselm وهو Eadmer، الذي كتب "أول تفسير مفصَّل لعقيدة الحبل بلا دنس". وحاجّ أنه إذا كان باستطاعة حبة الكستناء أن تنمو تحت الشوك بدون أن تتأذى به، فالله إذن كان باستطاعته أن يجعل الحبل بالعذراء من والدين خاطئين بدون أن تكون هي نفسها ممسوسة بالخطيئة. "يمكنه بالتأكيد أن يفعله؛ إذاً، إذا كان قد أراده، فقد فعله".

بالطبع لن ينكر أي مسيحي أرثوذكسي أن الله يستطيع أن يفعل أي شيء يريده، لكن هذا يطرح السؤال وهو فيما إذا كان قد فعله بهذه الطريقة أم لا. فبالنسبة للأرثوذكس، لا يرث الإنسانُ الذنبَ عن خطيئة آدم، بل بالحري يرث نتائج تلك الخطيئة، أي طبيعة مستَعبدة للفساد والموت. ومن الملاحظ هنا أن الأرثوذكس لم يطوّرا أبداً إطاراً قضائياً لفهم الخطيئة والخلاص كما حدث في الغرب.

فالقول إذاً بأن العذراء قد أُعفيت من الخطيئة الأصلية هو مساوٍ للقول بأنها معفية من كونها بشرية. لاحظ أنه في شرح العقيدة من الموسوعة الكاثوليكية أنه قد قيل إن الخطيئة الأصلية لم تُبعَد منها، بل تم استبعادها بالكامل (أي لم تقل إن الخطيئة الأصلية وجدت في مريم ومن ثم تمّت إزالتها، بل لم توجد فيها بالأصل أبداً). لقد أُعفيت من الخطيئة الأصلية ومن كل الأهواء التي تسير معها. حقاً هذا يجعل العذراء

(٥٧) Graef: Part One, p. 211.

استثناءً للجنس البشري، وليس مجداً مكلّلاً. وبالتالي يلغي كل فضيلة وتقوى في العذراء قبل أن تصير أم الله، ويحوّلها إلى مجرد أداة منفعلة لله، ويهمّش التدبير الإلهي في العهد القديم الهادف إلى التهيئة لملء الزمان.

بالنسبة للأرثوذكس، إن مجد مريم يكمن بالضبط في حقيقة أنها بشرية مثلنا، بما في ذلك الطبيعة البشرية الخاضعة للأهواء. القديس يوحنا مكسيموفيتش أسقف سان فرنسيسكو يقول:

"هذا التعليم، والذي له ظاهرياً هدف إعلاء أم الله، ينكر في الحقيقة بالكلية كل فضائلها... إن برّ العذراء مريم وقداستها قد أُظهرا في حقيقة أنها، لكونها بشرية مع أهواء مثلنا قد أحبت الله جداً ووهبت نفسها له، حتى بنقاوتها تُعلَّى فوق بقية الجنس البشري. لهذا، وقد تمت معرفة هذا سلفاً وانتخابه ، فقد مُنحت أن تكون مطهَّرة بالروح القدس الذي حلَّ عليها، وأن تحبل به، بمخلِّص العالم ذاته. إن تعليم حالة اللاخطيئة الممنوحة بالنعمة للعذراء مريم تنكر انتصارها على التجارب؛ فبدل منتصرة مستحقة أن تُكلَّل بأكاليل المجد، يجعلها هذا أداة عمياء لعناية الله"(٥٨).

يذكر القديس يوحنا هنا نقطة مهمة: إذا كانت مريم معفاة من الأهواء، عندئذ فإن قولها ليكن – قولها "ليكن لي بحسب كلمتك" – لا معنى له. أي أنها لم تكن سوى مجرد أداة منفعلة في خطة الخلاص. بالطبع سينكر الكاثوليك هذا؛ مع ذلك، فهو النتيجة الحتمية لعقيدة الحبل بلا دنس. من المثير للاهتمام، أن منشور البابا يوحنا بولس الثاني Redemptoris Mater قد طُبع في شكل كتاب في الولايات المتحدة بعنوان: مريم، نَعَم الله للإنسان .Mary, God's Yes to Man(٥٩) على كل، بالنسبة للأرثوذكس، فإن مريم تمثّل الجواب الحّر الأكثر كمالاً، جواب الإنسان لله. إن قولها "ليكن" هو "نعم" البشرية لله.

مسار خاطئ

بالإضافة إلى أن حقيقة الحبل بلا دنس مبنية على فهم خاطئ للخطيئة الأصلية

(٥٨) The Orthodox Veneration of Mary the Birthgiver of God, translated by Fr. Seraphim Rose (Platina, CA: St. Herman of Alaska Brotherhood, 1994) pp. 59-60.

(٥٩) Trans. By Lothar Krauth (Ignatius Press, 1988).

(ولإطارها الحقوقي)، وبالإضافة إلى حقيقة أنه يجعل العذراء استثناءً للجنس البشري، فإن الأرثوذكس يعارضون أيضاً هذه العقيدة على أساس أنها ستؤدي بصورة طبيعية إلى إعلاء أم الله على قدم المساواة مع الله نفسه.

صعود العذراء إلى السماء

في العام ١٩٥٠ أعلن البابا بيوس الثاني عشر في "الدستور الرسولي" عقيدة الإيمان بانتقال العذراء جسدياً إلى السماء. عقيدة الحبل بلا دنس أعفت العذراء، كما وجدنا، من "الخطيئة الأصلية" و"الذنب الموروث" (بالتعبير الكاثوليكي) وبالتالي من نتائج سقوط آدم. لهذا لا يمكن بحسب هذه العقيدة أن تموت العذراء (أن تترك روحُها جسدَها)، لأنه لا يمكن لله أن يعاقبها بالموت طالما لم ترث الخطيئة الأصلية، وطالما كان الموت في اللاهوت الأوغسطيني[٦٠] عقاباً على الخطيئة الأصلية (وليس نتيجة لها كما في المفهوم الأرثوذكسي). ومن جهة أخرى لم يترك أوغسطينوس نفسه أي مجال "لامتياز أو نعمة فردية" وأي استثناءات للدينونة الإلهية. وحتى لا يظهر أي تناقض في التعليم البابوي فإن البابا بيوس قد صاغ تعليم "صعود العذراء" بأكثر طريقة غموضاً دون أن يذكر صراحة موتها: "بعد أن أتمّت مسيرة حياتها الأرضية، نُقلت مريم جسداً ونفساً إلى المجد السماوي". أما مسألة موتها (مغادرة روحها لجسدها) فقد تُركت للاهوت اللاتيني ليجيب عليها ضمن تعليمه بالحبل بلا دنس.

البابا بيوس الثاني عشر ذكر في تعليمه بصعود العذراء إلى السماء إجماع آباء الكنيسة بأن العذراء قد انتقلت جسداً وروحاً إلى السماء. لكن ما أغفله البابا بيوس هو تعاليم الآباء المهمّة التالية: الله لم يخلق الموت (بل كان نتيجةً لسقوط آدم)، العذراء ماتت حقاً (روحها غادرت جسدها) والمسيح استقبل روحها البارّة. الرسل القديسون اجتمعوا من

(٦٠) لا يسع المجال لمناقشة دور أوغسطينوس في نشأة اللاهوت الغربي وكل البدع الناجمة منه. لكن لاشك فيه أن أصول الكثير من البدع الغربية يمكن أن تُعزى إلى أوغسطينوس أو على الأقل إلى ما يُنسب إليه من فكر لاهوتي.

أنحاء المعمورة ليشتركوا بتجنيز أمّ الحياة؛ المسيح أصعد أمّه البارة من القبر بالجسد في اليوم الثالث؛ جسد العذراء لم يعرف فساداً لأنه جسد أم الحياة المتألِّه. لم تستطع الكنيسة الكاثوليكية أن تعترف بأن العذراء قد ماتت فعلاً قبل صعودها إلى السماء وإلا لتعارض هذا التعليم مع تعليم "الحبل بلا دنس" ومع اللاهوت الأوغسطيني، ومع "عصمة البابا" ومع تعليم مجمع ترنت القائل بأن الله خلق الموت كقرارٍ قضائي غاضب لعقاب البشرية.

لا يمكن القول ببساطة إن الأرثوذكس والكاثوليك يشتركون في التعليم الواحد بصعود العذراء إلى السماء. لأنه من المستحيل للإيمان الأرثوذكسي أن يعترف بصعود العذراء إلى السماء بالجسد قبل أن يؤمن بأنها ماتت فعلاً ودُفنت. لهذا السبب تفضّل الكنيسة الأرثوذكسية استعمال تعبير "رقاد العذراء" لعيدها في ١٥ آب (بالتقويم الجديد) بدلاً من تعبير "صعود العذراء". فتعبير "صعود العذراء" بدون موتها يرفعها إلى مستوى إلهة. لهذا يقول يوحنا الدمشقي: "نحن نحتفل برقادها. نحن لا ندعوها إلهة؛ لا سمح الله! أساطير كهذه تنتمي إلى شعوذة وثنية، لأننا حتى نعلن موتها"(٦١). ترتّل الكنيسة يوم عيد "رقاد العذراء":

"في ميلادكِ حفظتِ البتولية وصنتها، وفي رقادكِ ما أهملتِ العالم وما تركته يا والدة الإله، لأنكِ انتقلتِ إلى الحياة بما أنكِ أمّ الحياة، فبشفاعاتكِ أنقذي من الموت نفوسنا".

(د. عدنان طرابلسي)

س ١٦٩ – لماذا يعيّد الأرثوذكس عيد الفصح في توقيت مختلف عن الكاثوليك؟ ألا يجب أن يعيّد الجميع لقيامة المسيح الواحدة في يوم واحد؟ ألا يُعثر هذا غير المسيحيين؟

ج ١٦٩ – راجع السؤال المتعلق بالتقويم الكنسي رقم ٢٢٩ (الفصل الثامن) . **(د. عدنان طرابلسي)**

(٦١) Second Encomium on the Dormition, ch. 15

س ١٧٠– ما هو أصل الكنيسة المارونية وما هي الفروق بينها وبين الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية؟

ج ١٧٠ – في العام ٦٠٤ بدأت حملة فتوحات فارسية، فاجتاح الفرس الشرقَ ومصر وقسماً هاماً من تركيا الحالية في حملة ساندهم فيها اليهود واليعاقبة. في العام ٦٢٦ حاصروا القسطنطينية فطردتهم العذراء. كان القائد هرقل قد أجرى انقلاباً في ٦١٠. في ٦٢٨ قام بحملة ضد فارس ببركة بطريرك القسطنطينية سرجيوس السوري المونوفيسيتي الأصل. اخترع لهرقل صيغة لاهوتية توفيقية لمصالحة المونوفيسيتية (القول بطبيعة واحدة في يسوع) والأرثوذكسية: الاثنتان تقولان بأقنوم واحد. تساير المونوفيسيتية الأرثوذكسيةَ فتقول بطبيعتين في المسيح، بالمقابل تساير الأرثوذكسية المونوفيسيتيةَ، فتقول بفعل واحد. ثم زيدت قصة المشيئة الواحدة.

سقطت العاصمة الفارسية الشرقية واستسلمت فارس وعادت إلى حدودها شرق الفرات. حلَّ هرقل في سوريا لإجراء المصالحة. رهبان أديرة مار مارون الأرثوذكس الذين شاهدوا ويلات الاحتلال الفارسي قبلوا الصيغة. الذين ساروا وراء هرقل سُمّوا أصحاب المشيئة الواحدة. قسا هرقل، فنفر منه السكان وقبلوا العرب[٦٢]. في العام ٦٧٨ اتصل الإمبراطور قسطنطين الرابع بالبابا للتفاهم. طلب منه البابا القديس أغاثون أن يدعو إلى مجمع مسكوني يعترف بالمشيئتين والفعلين. انعقد في ٦٨٠–٦٨١ فتصالحا. الفتح العربي أدّى إلى انحصار الجماعة في بلاد الشام. لجأوا شيئاً فشيئاً إلى قمم الجبال فيها ثم انحسروا إلى لبنان كالنسور بين الصخور.

خلال الحروب الصليبية اتحدوا بروما طيلة ٨٠ عاماً ثم انفكّوا. تجددت الاتصالات بعد الفتح العثماني الجائر، فعادوا إلى روما في ١٥٨٤. في ١٧٣٦ عقدوا الاتفاق الكامل، فأضحوا لاهوتياً على مذهب روما. وهكذا هجروا القوقعة والعزلة إلى رحاب كنيسة مسكونية. قبلوا المجمعين السادس والسابع المسكونيين. تعرّضوا لمظالم تاريخية فاحشة أيام الاستبداد المملوكي[٦٣] والعثماني. حافظوا بنسبة ما على الطقس القديم. أحسنوا صنعاً باعترافهم بالمجمعين السادس والسابع. **(اسبيرو جبور)**

---

(٦٢) المسألة معقدة تخرج على نطاق هذه العجالة. فبطريرك السريان اجتمع بهرقل وتفاهم معه. ثم انحازت القبائل العربية في بلاد الشام إلى المسلمين العرب وسلّمتهم بلاد الشام متقاسمين الغنائم.

(٦٣) حيث كان يتم القتل على الهوية، فيقتل المماليك الموارنةَ والإسماعيليين وو.... والعكس. وفي أيامهم صدرت الفتاوي القاسية وكتاب ابن قيتم الجوزية "أحكام أهل الذمة في الإسلام". طبّقه العثمانيون أبشع تطبيق.

س ١٧١ – لماذا لا توجد اليوم موهبة التكلّم بألسنة في الكنيسة الأرثوذكسية كما هي موجودة في بعض الفرق البروتستانتية حسب ادعائها؟

ج ١٧١ – بدأت الحركة الخمسينية (نسبة ليوم العنصرة[٦٤]) Pentecostal Movement في العام ١٩٠٠ وإنما كان لها جذورٌ في القرن التاسع عشر. وتدّعي أن معمودية الروح القدس هي دائمة مرتبطة بالتكلّم بألسنة. وقد تأثّر بها بعض الروم الكاثوليك في أمريكا بالستينات، وفي أوروبا بالسبعينات (مثلاً، المؤتمر المواهبي Charismatic في صيف ١٩٧٨ في ايرلندا). وقد امتد هذا التيار إلى بعض أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا خاصة.

بحسب أتباع حركة النهضة المواهبية" : Charismatic Revival يُشهد على معمودية المؤمنين بالروح القدس بالعلامة الفيزيائية الأولى أي بالتكلّم بألسنة أخرى"[٦٥]. ويقول أحد قادة هذه الحركة :David Du Plessis "يجب أن تستمر ممارسة الصلاة بألسنة وأن تزداد في حياة الذين تعمدّوا بالروح، وإلا فقد يجدون أن مظاهر الروح الأخرى نادراً ما تأتي أو تقف بالكلية"[٦٦].

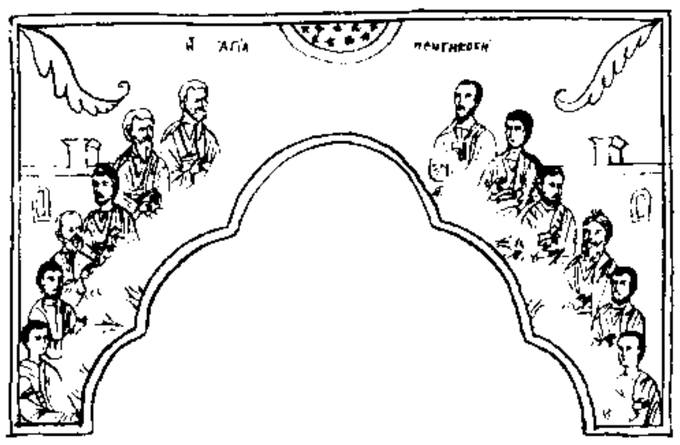

لكننا لا نجد هذا التأكيد في العهد الجديد الذي يذكر التكلّم بألسنة عند نزول الروح القدس يوم العنصرة (أع٢) وفي مناسبتين ثانيتين فقط (أع١٠: ٤٦ وأع١٩: ٦). بعد القرن الأول لا يوجد ذكر لها في المصادر الأرثوذكسية، و لم تحدث حتى بين آباء البرية الذين امتلئوا من الروح القدس وصنعوا العجائب وطفحوا بالمواهب الإلهية. يقول القديس أغسطينوس (الموعظة على يوحنا ٦: ١٠): "في الأزمنة الأولى نزل الروح القدس على المؤمنين، وتكلّموا بألسنة لم يتعلّموها، كما أعطاهم الروح نُطقاً. كانت هذه العلامات مناسبة للزمان. لأنه كان من المناسب أن تكون هذه العلامة للروح القدس في كل الألسنة لتُظهر بأن إنجيل الله كان سيجري عبر كل الألسنة فوق الأرض كلها. تمَّ هذا كعلامة ومن

---

(٦٤) في الترجمة السبعينية وأعمال الرسل والسريانية واللغات الأوروبية اسم العنصرة هو "اليوم الخمسيني" إلاّ لدى الأرثوذكس العرب "العنصرة" من العبرية والسريانية "الحصاد".

(٦٥) John L. Sherrill: They Speak With Other Tongues. Spire Books, Old Tappan, NJ, 1965, p.79.

(٦٦) David Du Plessis: The Spirit Bade Me Go. Logos International, Plainfield, NJ, 1970, p.89.

ثم انقضت. هل من المتوقع الآن أن يتكلّم بألسنة الذين وضعَت عليهم الأيدي؟ أو عندما نضع أيدينا على هؤلاء الأولاد، هل انتظر كل واحد منكم أن يرى فيما إذا كانوا سيتكلّمون بألسنة؟ وعندما رأى أنهم لم يتكلّموا بألسنة، هل كان أي واحد منكم منحرفاً في القلب جداً بحيث قال: هؤلاء لم ينالوا الروح القدس؟".

إذا رجعنا إلى النص الكتابي لوجدنا أن التكلّم بألسنة يعني التكلّم بلغة لم يعرفها و لم يتعلّمها المتكلّم من قبل (١كور١٤: ٩). وليس التكلّم بكلام غير مفهوم أو الهذر والدمدمة كما هو موجود عند الفئات البروتستانتية التي تدّعي هذه الموهبة(٦٧). وإلا ما الفائدة من التكلّم بألسنة؟ لأن الروح القدس له المجد قد أعطى هذه الموهبة آنئذ لكي يستطيع الغرباء الذين كانوا موجودين يوم العنصرة وسواه أن يفهموا البشارة بالإنجيل (أع٢: ٦). ومن جهة أخرى فإن بولس الرسول يؤكد أن التكلّم بألسنة هو إحدى المواهب الروحية وليس أعظمها، وأنها قد أُعطيت "للمنفعة" (١كور١٢: ٧) وليس للتباهي بها أو للبرهان على معمودية الإنسان أو على حلول الروحِ القدس عليه. فالمحبة عند بولس هي أعظم المواهب وليس التكلّم بألسنة (١كور١٣: ١٣). والعهد الجديد لم يشترط قط أن يكون التكلّم بألسنة شرطاً ضرورياً للمعمودية أو لحلول الروح القدس وإلا لكان معظم المسيحيين المذكورين في العهد الجديد باطلين! حتى الفئات البروتستانتية المحافظة هي معارضة لهذه الحركة بشهادة أحد دعاتها. يقول Du Plessis أحد أنبياء هذه الحركة الذي كان ينشر بحماسٍ بشرى "معمودية الروح القدس" في الكنائس المشارِكة بمجلس الكنائس العالمي: "إن الشيء الأكثر ملاحظة في هذا الإحياء هو أنه موجود فيما يُدعى بالمجتمعات الحرّة liberal وأقل في المجتمعات الإنجيلية وليس على الإطلاق في الأجزاء المتعصبة من البروتستانتية. فهذه المذكورة أخيراً هي الآن أكثر المعارضين حماساً لهذا الإحياء الرائع لأننا في هذه الحركة الخمسينية وفي حركات المجلس العالمي المتمدن نجد أقوى مظاهر الروح"(٦٨).

السؤال الحقيقي هنا هو: ما هو الروح الذي يفعل في هؤلاء "المتكلّمين بألسنة" لدى هذه الفئات البروتستانتية؟ هل هو روح الله حقاً أو هو روح الشرير القادر حتماً أن يُحدث مثل هذه الظواهر الغريبة عن روح الكتاب وعن تعليم الكنيسة؟

---

(٦٧) راجع شرح الذهبي الفم على أعمال الرسل الموعظة ٤ و٢٤ إذ يذكر أن التكلّم بألسنة يعني التكلّم بلغات أجنبية.

(٦٨) David Du Plessis: The Spirit Bade Me Go. Logos International, Plainfield, NJ, 1970, p.28.

في كتاب اسبيرو جبور "المواهب الإلهية" نصوص عديدة للذهبي الفم تتعلق بالموضوع: لدى بولس والذهبي موهبة الألسنة عجيبة لهداية غير المؤمنين. إختفت بعد القرن الأول ففضّل عليها بولس والذهبي الإيمان والمحبة. سئل الذهبي مراراً عن سبب إختفائها، فأبان عدم الحاجة إليها.

هي موهبة وليست نعمة مؤلِّهة. تحليل ذلك موجودٌ في الكتاب المذكور. في حياتنا الروحية نحتاج إلى نعمة التألّه لا إلى موهبة اللغات وسواها من العجائب. تركيزهم على عجيبة اللغات هو انحراف لاهوتي كبير. إذاً الظاهرة شيطانية لأنها مخالفة للاهوت بولس والذهبي وكل الآباء المذكورين في ذلك الكتاب.

ومن جهة أخرى، إن وجهات النظر الخاصة لدى أتباع حركات النهضة الكنسية المعاصرة Charismatic Movement يجب دائماً أن تخضع لإيمان الكنيسة، لتقليدها ولخبرتها الروحية. تقليد الكنيسة المقدس (حياتها وخبرتها في الروح القدس) هو المحك الوحيد والمقياس الذي تُختبر وفقه كل الحركات ووجهات النظر الإيمانية الخاصة المعاصرة. ومهما كانت فوائد هذه الحركات على الصعيد الشخصي للمشتركين فيها، إلا أن ليتورجيا الكنيسة، وليتورجيا المذبح والكأس المقدسة الواحدة لا يمكن أن يُستبدل بها بشيء آخر. إن وحدة الجسد الواحد بتقليده المتواصل عبر القرون لا يمكن أن تُجزأ. لهذا لا نستغرب أن الكثير من المشاركين في هذه الحركات قد انتهوا خارج الكنيسة أسرى هرطقة أو أخرى. إن أفضل إحياء للحياة الروحية هو حياة الصلاة المتواصلة بالروح القدس، حياة قوامها التوبة والاعتراف والمناولة المتواترة بإرشاد الأب الروحي. هذه الحياة تتم عادة بصمت في الكنيسة الأرثوذكسية لهذا قلما تجد شعبية واسعة لدى الشرائح الاجتماعية التي تؤخذ بالإعلان والدعاية بحسب النمط الغربي السائد! **(د. عدنان طرابلسي)**

أسئلة عقائدية متنوعة

س ١٧٢ – ما هي ماهية الله؟ هل هو ذكر، أنثى، روح، ملاك الخ..؟

ج ١٧٢ – الله له المجد هو الخالق. فهو غير محدود وغير مفهوم وغير مُدرك وغير منظور الخ. كل معرفتنا عنه ناجمة عمّا أعطانا إياه الوحي الإلهي. هذه المعرفة محدودة جداً لأن

الإنسان، وهو المخلوق والمحدود، لا يمكنه أن يعرف عن الخالق غير المحدود إلا اليسير. من جهة أخرى، إن المعرفة البشرية مرتبطة ومُحَجَّمة بمحدوديات العقل البشري والمنطق البشري وطرق المعرفة البشرية. لهذا، لا يمكن أن نضع الحقائق الإلهية في قمقم المعرفة البشرية. فمثلاً: لدينا كل شيء منقسمٌ إلى ذكر أو أنثى (أو حيادي في بعض اللغات الأخرى). لكن الله فوق مستوى التصنيف البشري إلى ذكر وأنثى. إنه يتعالى عن هذا التصنيف والانقسام الجنسي. لهذا ليس الله ذكراً أو أنثى أو حيادي الجنس أو،.. أو، الخ. لكننا في معرفتنا عن الله لا يمكن لعقلنا البشري أن يُدرك عدم الانقسام الجنسي أو يفهمه إلا بصورة غامضة ومحدودة. من هنا لا بد لنا، في الحديث عن الله له المجد، أن نستعمل صفة الجنس. وعادة ما نستعمل صفة الذكورة لله لأسباب مناقشتها خارج نطاق هذا السؤال. لكن لا يكون الله ذكراً إن أشرنا إليه بـ "هو"، ولا يكون أنثى إن قلنا عنه "هي". الأمر نفسه ينطبق عن الانقسام إلى مادي وروحي. فكل شيء لدينا يكون إما مادياً أو روحياً. فالجسد مادة والروح روحاً. الملاك روحٌ والحيوانات مادة حيّة، الخ. لكن الله فوق مستوى التصنيف إلى مادة وروح. فهو خالق المادة والروح. لكن في حديثنا عنه نقول مجازاً إنه روح، بمعنى إنه غير منظور وغير ملموس وغير مُدرك بالحواس وهي صفات المادة. لكنه ليس روحاً لأنه غير مادي. لا يمكن للعقل البشري أن يتصوّر شيئاً موجوداً واقعاً ولكنه غير مادي في الوقت نفسه. لكن الله فوق مستوى البشر. لهذا بالتنـزيه نقول إن الله غير مادي وغير روحي وغير ملموس وغير مُدرك، الخ. يسوع قال للسامرية إنّ "الله روح" ولكنّه فوق الروح.

إذاً، ليس الله ذكراً أو أنثى أو مادة أو روحاً، ملاكاً أو، أو..الخ. إنه مطلق وكل شيء آخر نسبي. وإن استعمل الكتاب المقدس صفات بشرية لله فهذا على سبيل المجاز أيضاً حتى يمكن للعقل البشري أن يفهم المعنى المقصود. يقول القديس يوحنا الدمشقي: "وعليه إن الكثير مما يُفهم عن الله فهماً غامضاً لا يمكن التعبير عنه تعبيراً صائباً، بل نضطر للكلام عمّا يفوقنا إلى استعمال ما هو على شكلنا. مثلاً، في الكلام عن الله ننسب إليه تعالى النوم والغضب والإهمال واليدين والرجلين وما شابه ذلك"[٦٩]. **(د. عدنان طرابلسي)**

(٦٩) "الإيمان الأرثوذكسي"، الكتاب الأول، الرأس الثاني، ص: ٥٦، منشورات المكتبة البولسية.

س ١٧٣ – ما هي ضرورة الصليب والموت والقيامة؟ ألم يمكن لله أن يختار طريقة أخرى لفداء الإنسان؟

ج ١٧٣ – الله قادرٌ على كل شيء. ولكنه يختار خير السبل لأهدافه. ليست المسألة فقط صلباً وموتاً وقيامة. هي أبعد من ذلك بكثير. أراد الله أن يضمّنا إليه ويصير لنا طعاماً وشراباً. الضمّ تمَّ بتجسدّه الإلهي، فضمَّ طبيعتنا البشرية إلى أقنومه الإلهي، وصيَّر فتاة عذراء أمّاً للإله والبشر. وكان لا بد من أن يُميت إنساننا الساقط وأهواءه الشريرة، فصلبه على الصليب وأماته وأنزله القبر. وبعد أن أنهى آدم الساقط فينا وصلبه وغسل خطايانا بدمه، أقامنا معه من الأموات وأجلسنا عن يمين الآب. أشركنا في آلامه ودفنه وقيامته. وليس هذا كل شيء. المهم هو أن يلبس إنسانُنا الساقط عدمَ الفساد وأن تتغلغل فيه أنوار اللاهوت. ما كان ذلك ممكناً لولا أن دم المسيح غسلنا وأن جسده ودمه صارا طعامنا وشرابنا. كيف يصير كذلك إن لم يُذبَح الحمل الفصحي أي يسوع ويُشوى بنار الروح القدس؟ إذاً،

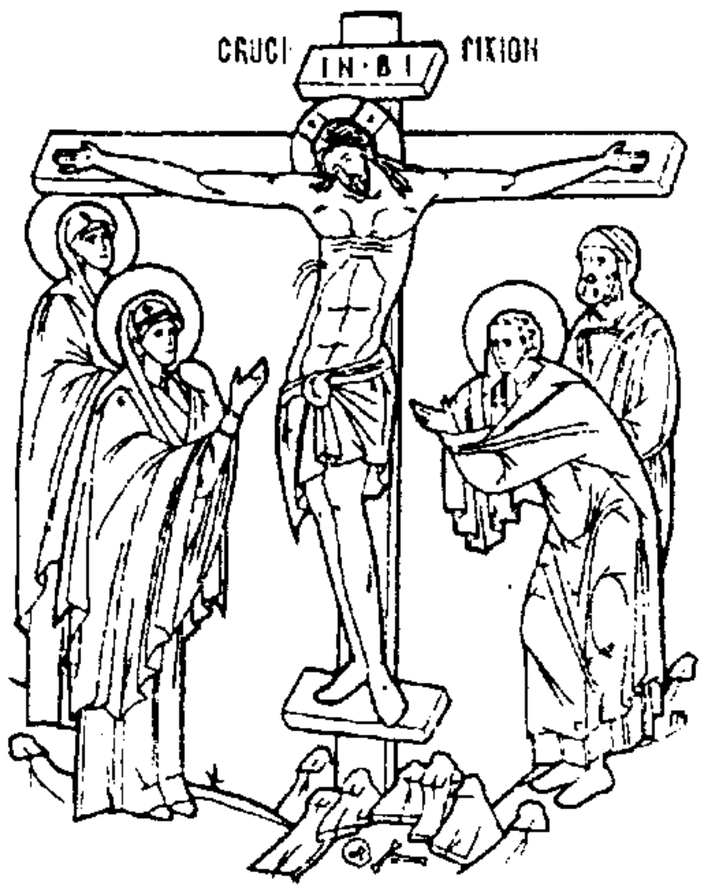

ليس الفداء عملية إنقاذ بفدية. وليس الخلاص عمل تطهير من الخطايا وكفى. خلاصنا هو صيرورتنا آلهة بالنعمة جالسين عن يمين يسوع. (اسبيرو جبور)

س ١٧٤ – إلى أي مدى كان التجسد الإلهي ضرورة وواجباً؟ أما كان التجسد سيحصل حتى ولو لم يحدث السقوط؟

ج ١٧٤ – تجسَّد الإله لكي يضمّني أنا الإنسان الساقط إلى جسده (١كور ١٢ وأفسس ٢ وكول ١ ورو١٢). نحن جسده. بذلك أعادني إلى فردوس جديد أعظم قدراً بما لا يُقاس من فردوس آدم. للآباء القديسين آراءٌ. يقول بعضهم إن التجسد كان سيقع ولو لم يخطأ آدم. ولكن بسبب خطيئته تألّم يسوع ومات وقام. بدون خطيئة آدم كان التجسّد سيقع ولكن ما كان يسوع ليتألّم ويُصلب ويفتدينا. أي كان التجسد سيقع بدون حاجة إلى الفداء والصلب والقيامة. بطل هذا الرأي القديس مكسيموس المعترف. هاوسهر نوّه بنصٍ من

القديس إسحق السوري يؤيّد ذلك. الآباء الكبار والدمشقي وديمتري ستانيلواي (رومانيا) يخالفون هذا الرأي وهم المصيبون[٧٠]. **(اسبيرو جبور)**

س ١٧٥ – نقول إن الابن يولد من الآب والروح القدس ينبثق من الآب. ما هو الفرق بين الولادة والانبثاق؟

ج ١٧٥ – الولادة والانبثاق خاصيتا أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس في صدورهما من أقنوم الآب. فالابن مولودٌ سرمدياً من أقنوم الآب، والروح القدس منبثق سرمدياً (يو٢٦: ١٥) من أقنوم الآب. فالابن والروح القدس نابعان من شخص الآب: الابن بالولادة والروح القدس بالانبثاق. لهذا نقول إن الآب هو العلّة. شخص الآب يلد (الابن) ويبثق (الروح القدس). شخصه هو العلّة. فالولادة هي كيفية وجود الابن، والانبثاق هو كيفية وجود الروح القدس. وعندما نقول ولادةً وانبثاقاً فإننا ندرِك وجود فرق بينهما، هذا الفرق يميّز بين صدور الابن من الآب وصدور الروح القدس من الآب. أما ما هو هذا الفرق فهو غير معروف للإنسان وغير مُدرَك. قديسو الكنيسة (غريغوريوس اللاهوتي، الذهبي الفم، يوحنا الدمشقي) أقرّوا بعدم معرفتنا الفرق بين الولادة والانبثاق. يقول القديس يوحنا الدمشقي: "نحن نعلم أن هناك فرقاً بين الولادة والانبثاق لكننا نجهل كيفيته. وإننا نعلم أيضاً بأن ولادة الابن وانبثاق الروح القدس من الآب كانا معاً"[٧١]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٧٦ – ما معنى كلمة "أقنوم"؟

ج ١٧٦ – كلمة "أقنوم" سريانية وهي ترجمة لكلمة hypostasis اليونانية المؤلَّفة من مقطعين: hypo (تحت) و stasis (وضع). وفي اللغة تعني لفظة أقنوم: "القائم حقيقة"، أو "القوام". وقد وردت في الترجمة السبعينية (اليونانية) للعهد القديم وفي العهد الجديد (عبر ١: ٣ و٣: ١٤ و١١: ١؛ ٢كور٩: ٤ و١١). وقد اتخذت لفظة "أقنوم" معاني

(٧٠) راجع كتابنا "التجليّات في دستور الإيمان"، ص ٧١–٧٢

(٧١) "الإيمان الأرثوذكسي" (١: ٨)، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٤، ص ٧٠.

عديدة عبر التاريخ. وقد كانت تُستعمل كمرادف لكلمة ماهية (ousia اليونانية). فكلاهما يحددان وجوداً موضوعياً جوهرياً، أي يحددان ما هو موجود وقائم. ولكن "ماهية" تميل بالأحرى إلى العلاقات والمميزات الداخلية، بينما تشير لفظة "أقنوم" إلى الطابع الواقعي الخارجي للجوهر.

وقد استعمل المجمع المسكوني الأول (في نيقية العام ٣٢٥) اللفظتين كمترادفين. وبقي هذا الاستعمال حتى الأعوام ٣٦٢–٣٧٠. وفي العام ٣٦٢ أوضح القديس أثناسيوس الكبير الفرق في استعمال لفظتي "جوهر" و "أقنوم" عندما قال في عقيدة الثالوث القدوس: جوهر واحد للثالوث في ثلاثة أقانيم شخصية متساوية في الجوهر. من بعده جاء القديس غريغوريوس اللاهوتي واستعمل لفظة شخص prosopon (التي كان الغرب يستعملها) كمرادف للفظة أقنوم. وتوضّح الأمر نهائياً في أنطاكية العام ٣٨٢، ومن ثم أقرّ المجمع المسكوني الرابع (العام ٤٥١) المرادفة بين اللفظتين (أقنوم وشخص).

إذاً حالياً تُستعمل لفظة أقنوم كمرادف للفظة شخص العربية، وهي تختلف في المعنى عن لفظة "فرد".[٧٢] لهذا نقول: إن الله ثلاثة أقانيم (أي ثلاثة أشخاص) لهم الجوهر الإلهي الواحد نفسه. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٧٧ – ما هي خاصيّات أقانيم الثالوث القدوس المجيد؟ ما الذي يميّز الآب من الابن ومن الروح القدس؟

ج ١٧٧ – الله له المجد هو ثالوث قدوس: آب وابن وروح قدس. فلله طبيعة إلهية واحدة، فهو إله واحد. هذه الطبيعة الإلهية الواحدة هي نفسها موجودة في ثلاثة أقانيم (أو أشخاص) إلهية. فللآب الطبيعة الإلهية نفسها التي للابن والتي للروح القدس. يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "يعبدون الآب والابن والروح القدس الألوهة الواحدة،

(٧٢) راجع: اسبيرو جبور: "سر التدبير الإلهي"، ص ٢٠٠–٢١٤، و"الله في اللاهوت المسيحي"، ص٦٣–٩١، وعدنان طرابلسي: "الرؤية الأرثوذكسية للإنسان"، ص ٦٣–٩٤.

الله الآب والله الابن والله الروح القدس، طبيعة واحدة في ثلاث خواص عاقلة، تامة، قائمة بذاتها، متميّزة بالعدد، ولكن غير متميزة بالألوهة"[٧٣].

هناك ما هو مشترك في الثالوث القدوس وهناك ما هو مميَّز. فالمشترك يعود للجوهر، أما الأقنوم فهو العلامة الفارقة المميِّزة. فأشخاص الثالوث القدوس متساوية في كل شيء ولها الجوهر الإلهي الواحد عينه. إلا أن هناك خاصية أقنومية (متعلقة بالأقنوم) واحدة لكل شخص منهم تميِّزه من الشخصين الآخرين. خاصة الآب الأقنومية هي عدم الولادة. خاصة الابن الأقنومية هي الولادة (من الآب). خاصة الروح القدس الأقنومية هي الانبثاق (من الآب)[٧٤]. كل ما هو للآب هو للابن وللروح القدس إلا عدم الولادة وعدم الانبثاق. كل ما هو للابن هو للآب والروح القدس إلا الولادة. وكل ما هو للروح القدس هو للآب والابن إلا الانبثاق. الخصائص الأقنومية لأقانيم الثالوث القدوس هي خصائص خاصة بكل أقنوم على حدة وليست عامة فيما بينهم. كل ما عداها هو خصائص عامة.

الآب وحيد فلا آب سواه. لهذا لا يمكن للآب أن يصير ابناً (أو روحاً)، وإلا لا يكون أباً وحيداً بالحقيقة. والابن وحيد فلا ابن سواه. لهذا لا يمكن للابن أن يصير أباً (أو روحاً)، وإلا لا يكون ابناً وحيداً بالحقيقة. والروح القدس وحيد فلا روح سواه. لهذا لا يمكن للروح القدس أن يصير أباً (أو ابناً)، وإلا لا يكون روحاً قدساً وحيداً.

من الجدير بالذكر أخيراً معرفة أن الخصائص الأقنومية (عدم الولادة، الولادة والانبثاق) هي خصائص سرمدية، فوق الزمان والمكان. لهذا لا نقول إن التجسد الإلهي (الحادث في أقنوم الابن) هو خاصة أقنومية للابن، لأن التجسد حادث في الزمان والمكان[٧٥]. الألوهة تجسدت في أقنوم الابن بمسرة الآب وفعل الروح القدس دون أن يتجسدا ودون أن يكون الجسد جسد الثالوث القدوس... هذا سر إلهي عظيم. **(د. عدنان طرابلسي)**

---

(٧٣) العظة ٣٣: ١٦ في الينابيع المسيحية الفرنسية.

(٧٤) راجع "الإيمان الأرثوذكسي" للقديس يوحنا الدمشقي، ٣: ٥، ص ١٦٠، منشورات المكتبة البولسية، طبعة أولى ١٩٨٤.

(٧٥) للمزيد يرجى مراجعة كتب الأب اسبيرو جبور: "سر التدبير الإلهي، الله في اللاهوت المسيحي والتجليات في دستور الإيمان"، وكتاب د. عدنان طرابلسي "الرؤية الأرثوذكسية للإنسان".

س ١٧٨ – كيف تدعو الكنيسة الأرثوذكسية العذراء مريم "أم الله" أو "والدة الإله" مع أن المسيح قد أخذ من مريم طبيعة بشرية فقط؟ وكيف ولدت العذراء مريم اللهَ؟ ولماذا ترفض الفئات البروتستانتية استعمال هذا اللقب؟

ج ١٧٨ – العقيدة المريمية مؤسَّسة على العقيدة الخريستولوجية (التعليم عن شخص المسيح). حتى نفهم لقب "والدة الإله" المنسوب إلى العذراء يجب أولاً أن نفهم التعليم الصحيح المتعلّق بشخص المسيح المجيد.

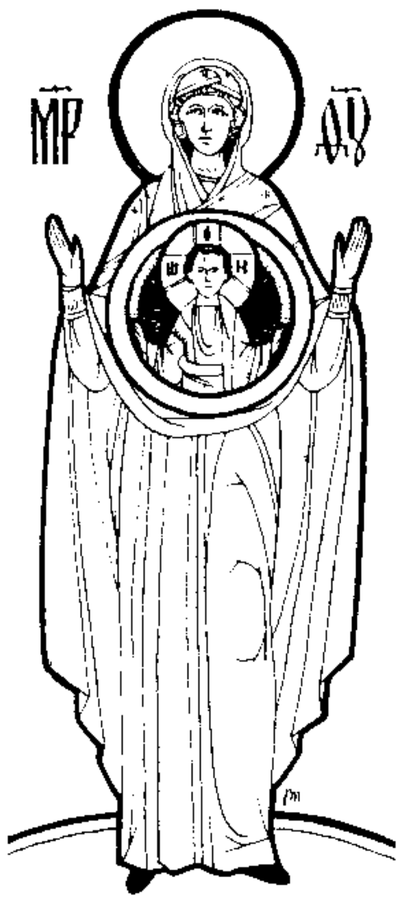

يسوع المسيح هو الله المتجسد. أي هو الله الكامل والإنسان الكامل. إنما هو شخص (أقنوم) واحد لا شخصان. شخصه الإلهي كان شخص طبيعته الإلهية (اللاهوت) قبل تجسده. في يوم التجسد (يوم بشارة العذراء)، أخذ الرب يسوع من العذراء طبيعة بشرية كاملة بعد أن حلَّ الروح القدس على العذراء وقدّسها وطهّرها (غريغوريوس اللاهوتي والدمشقي). فصار شخصه الإلهي الواحد شخص طبيعته الإلهية وطبيعته البشرية (الناسوت) معاً على حد سواء. إذاً يسوع هو شخصٌ واحد لا شخصان. العذراء مريم لم تلد ناسوت يسوع مجرداً! أقنوم يسوع ضمّ إليه منها طبيعته البشرية. في دستور الإيمان نقول: "نزل من السماء وتجسّد ... وتأنّس". هو نفسه الواحد إله وإنسان بدون إمكان تجزئة أوانفصال، شخص واحد. نقول مريم أم الله لأنّ الأقنوم واحد لا ينفصل. فهي ولدت شخصَ يسوع بكامله، أي ولدت اللهَ المتجسد بالتعريف. من هنا فإن تسمية العذراء "أم الله" ليست تسمية صحيحة فقط بل يجب تسميتها هكذا وإلا شققنا شخص يسوع وطعنّا في الخريستولوجيا.

في الإنجيل دُعيت العذراء أم ابن العلي وأم ابن الله (لو ١: ٣١ و٣٢ و٣٥) وأم الرب (لو ١: ٤٣) وأم يسوع (أع ١: ١٤). ودُعيت أيضاً أم عمانوئيل (مت ١: ٢٣) وأم المخلّص المسيح الرب (لو ٢: ١١). وهذه كلها أسماء لله حصراً. عمانوئيل هو الله. واسم يسوع هو مختصر لـ "يهوه يخلّص". والمسيح الرب هو المسيح يهوه. لهذا فالعذراء مريم هي أم الله Theotokos.. إذاً العذراء في الأناجيل هي أم ابن العلي، أم ابن الله، أم المسيح الرب، أم يهوه الفادي المخلّص، أم عمانوئيل، أم يسوع. لهذا لخّصت الكنيسة كل هذه الألقاب بلقب واحد جامع هو أم الله أو والدة الإله. لهذا قال القديس يوحنا الدمشقي:

"إن اسم أم الله Theotokos يحوي كل سر التدبير (الإلهي)، لأنه إن كانت التي حبلت به هي أم الله فالمولود منها هو بالتأكيد إله وأيضاً إنسان" (الإيمان الأرثوذكسي ٣:١٢).

إن جميع الذين يرفضون لقب والدة الإله يقعون في الهرطقة النسطورية ويخالفون المجامع الكنسية ويطعنون في الإيمان بأن شخص المسيح هو شخص واحد في طبيعتين كاملتين إلهية وبشرية وبالتالي يعرضّون خلاصهم الشخصي للخطر. إن قلنا إن مريم هي فقط أم يسوع الإنسان نشقّ شخص يسوع ونجعل الابن ابنين: ابن الله وابن الإنسان. وإن قلنا إن الآب هو أبو لاهوت يسوع فقط نشقّ شخص يسوع أيضاً. وحدة أقنوم يسوع تسمح بتسمية مريم والدة الإله وبتسمية الآب أبا ناسوت يسوع. أيّ تفريق في شخص يسوع هو هرطقة تصبّ في الهرطقات التي طعنت في الخريستولوجيا (ابوليناريوس، نسطوريوس، أوطيخا وسرجيوس). كيرللس الإسكندري قال إن العذراء ولدت ناسوت يسوع و لم تلد اللاهوت. الآب ولد لاهوت يسوع. تقول إحدى الترانيم: "يا مَن هو بغير أمّ من جهة أبيه وبغير أب من جهة أمّه..". التركيز هو على وحدة الأقنوم التي جعلت الآب أباً ليسوع الإله–الإنسان والعذراء أمّاً ليسوع الإنسان الإله.

تاريخياً ثبّت المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس العام ٤٣١ لاهوت لقب والدة الإله Theotokos. لكن هذا اللقب كان مستعملاً حتى قبل هذا المجمع. فقد استعمل اوريجنس لفظة والدة الإله Theotokos في تفسيره للآية ٣٣ من إصحاح ٢٢ من سفر التثنية. ويذكر المؤرّخ الكنسي سقراط (الكتاب ٧ من تاريخه، الفصل ٣٢) أن اوريجنس سمّى العذراء والدة الإله Theotokos. القديس كيرللس الإسكندري في كتابه إلى نسطوريوس يقول إن القديس أثناسيوس الكبير قد دعا مريم والدة الإله Theotokos. والقديس باسيليوس الكبير في حديثه عن ميلاد المسيح يقول: "إن أم الله Theotokos لم تكفّ قط عن أن تكون عذراء..". ويقول القديس غريغوريوس اللاهوتي في رسالته الأولى إلى كليدونيوس: "إن كان يوجد أي واحد لا يعتبر مريم أنها أم الله Theotokos فإنه مفتقرٌ إلى اللاهوت". وفي حديثه الأول عن الابن يخاطب اليونان قائلاً: "أين من بين آلهتكم قد عرفتم عذراء أماً لله Theotokos؟". ويقول افسابيوس في حياة قسطنطين

(الفصل ٤٣) وسقراط (الكتاب ٧، الفصل ٣٢): "لهذا حقاً إن أكثر الملكات توقيراً لله (هيلانه) قد زيَّنت بالشواهد الرائعة مكان ولاده أم الله Theotokos" (أي بيت لحم). وقال ديونيسيوس الإسكندري لبولس السمسياطي: "إن الذي قد تجسّد[٧٦] من العذراء القديسة والدة الإله.. Theotokos".

لهذا فلقب والدة الإله ليس مجرد تكريم للعذراء مريم وإنما هو إعلان إيمان بشخص يسوع المسيح، الله المتجسد، الذي له المجد إلى الدهور آمين[٧٧]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٧٩ – لماذا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأن العذراء مريم هي أقدس خليقة؟

ج ١٧٩ – في العهد الجديد تسميات مريم العذراء:

١– هي أم يشوع مخلّص شعبه من خطاياهم (متى ١: ٢١). في أشعيا وسواه يهوه هو المخلّص والفادي. يشوع العبرية هي اختصار يهوشاع أي يهوه المخلّص.

٢– هي أم عمانوئيل (متى ١: ٢٣). عمانوئيل هو الله.

٣– هي أم ابن الله وابن العلي (لوقا ١: ٣٢ و٣٥). وابن الله هو الله عندنا.

٤– هي أم الرب (لوقا). والرب هو الله.

٥– هي أم يسوع (يوحنا ٢ وأعمال ١: ١٤). ويسوع هو ربنا وإلهنا. فالعذراء مريم هي أمّ الله لأن شخص (أقنوم) يسوع واحد. لم تلد جوهر الابن الإلهي، ولكن بسبب وحدة الأقنوم نقول إنها والدة الإله. الملائكة يخدمون الذين يرثون الخلاص (عبرانيين ١). فهي أعظم منهم. والبشر عبيد الله. الروح القدس طهَّرها لتلد يسوع بدون ميلٍ للخطيئة. فطبيعته البشرية من طبيعتها. وهذا ما لم يحصل عليه إنسانٌ آخر. **(اسبيرو جبور)**

---

(٧٦) التجربة النسطورية تجربة فلسفية يونانية. لما سقط الغرب في الفلسفة والفكر اليونانيين دخل السم اليه في الفلسفة واللاهوت والادب. وظهر الانشقاق بين العقل والدين، وصار الغرب عقلانياً. البروتستانتية نزعة عقلانية تعلي شأن العقل الفردي على حساب وحدة الروح القدس المعلم في الكنيسة جسد المسيح. لذلك مزّقتها حرية التفسير البروتستانتية إرباً ارباً حتى صار كل واحد فيها مفسراً لنفسه دون الجماعة. (اسبيرو جبور).

(٧٧) راجع "سر التدبير الإلهي"، "الله في اللاهوت المسيحي" و "معنا هو الله" للأب اسبيرو جبور.

س ١٨٠ – نصلّي: "أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا". هل تستطيع العذراء مريم أن تخلّصنا؟

ج ١٨٠ – الخلاص ذو معانٍ عديدة. الخلاص بمعنى التطهير من الخطايا والنقل إلى العرش السماوي هو من اختصاص يسوع له المجد. لكن نحن منكوبون بالخطايا والأمراض والضعف والبؤس والشقاء وو... فللعذراء قدرة على إنقاذنا مثلما كان الرسل والقديسون قادرين على ذلك. بولس الرسول التمس صلوات المؤمنين. وطلب منهم أن يحاربوا في الصلاة من أجله (رو ١٥: ٣٠). فهل كان طلبه ضلالاً؟ لا. ونحن نؤمن بأن الكنيسة واحدة في السماء وعلى الأرض، والروح القدس ساكن فيها. وهو الذي يصلّي فينا ويتشفّع فينا (رو ٨: ١٥ و٢٦). فإن قلّدنا بولس والتمسنا صلوات القديسين أحسنّا صنعاً. (اسبيرو جبور)

س ١٨١ – لماذا نطلب شفاعة القديسين؟ ألم يوصِ المسيح أن نصلّي لله فقط وليس للقديسين؟ هل يستطيع القديسون أن يسمعوا صلواتنا ويستجيبوا لها وهم أموات؟ هل يوجد مخلّص آخر سوى المسيح؟ ولماذا نحتاج إلى وسطاء بيننا وبين المسيح؟

ج ١٨١ – هذا سؤال تقليدي لجميع البروتستانت تقريباً ولسواهم، مِمَّن لا يعرفون الكتاب المقدس والكنيسة حق المعرفة، وبخاصة أن مفهوم شفاعة القديسين قد تلوّث بالاعتقادات الشعبية والخرافات على مدى العصور. لنحاول الإجابة هنا باختصارٍ، ذاكرين بعض الأمثلة الكتابية لا كلها، معتمدين قدر الإمكان على الكتاب المقدس وحده لكي تصل الإجابة إلى أكبر عدد ممكن من القرّاء. (راجع أيضاً السؤال المتعلق بالصلاة من أجل الراقدين)[٧٨].

(٧٨) الأب د. جورج عطية ذكر مناقشة مسهبة ومهمة لهذا الموضوع في "مناظرة علنية مع المتجدّدين: المعمدانيين"؛ ص ١٥٣–١٩٨.

في لو ٢٠: ٣٧–٣٨ يُظهر الرب يسوع أن إبراهيم واسحق ويعقوب هم أحياء عند الله وليسوا أمواتاً، لأن الله "ليس إله أموات بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء". ومَثَل الغنيِ ولعازر (لو١٦: ١٩–٣١) يُظهر أن الغني لم ينسَ إخوته حتى بعد موته. وفي تجلّي الرب على الجبل (مت١٧: ١–٩ وموازياته) يظهر أن موسى لم يكن مائتاً كما نفهم الموت بل كان حياً ويتحدث إلى يسوع. وفي رسالة بولس إلى أهل فيليبي يقول: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم". فلو كان الإنسان بعد موته يدخل في حالة غير واعية مثل الرقاد أو النوم، لما فضّل بولس أن يموت و"ينام" ويصير "غير واعٍ"، بل حتماً لكان قد فضّل أن يظلّ حياً في شركة واعية مع المسيح. وفي سفر الرؤيا رأى يوحنا أربعة وعشرين شيخاً "يخرّون... ويسجدون للحي إلى الأبد" (رؤ٤: ٤–١٠). هؤلاء الشيوخ هم الذين قد اشتراهم الخروف بدمه من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة (رؤ٥: ٩). لهذا فهؤلاء الشيوخ ليسوا ملائكة بل بشراً قديسين، يقدمون بخوراً الذي هو صلوات القديسين (رؤ٥: ٨). أيضاً رأى يوحنا "نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم" (رؤ٦: ٩). فهل كانت هذه النفوس في حالة رقاد وغير واعية؟ طبعاً لا. لأن النص يقول: "وصرخوا بصوت عظيم قائلين: حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟" (رؤ٦: ١٠)؟ لكن يوحنا يضيف: "وإذا جمع كثير لم يستطع أحدٌ أن يعدّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش... وهم يصرخون قائلين: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف... آمين. البركة والمجد والحكمة والشكر..لإلهنا إلى أبد الآبدين" (رؤ٧: ٩ و١٠ و١١). هذا الجمع الكثير "هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوا ثيابهم بدم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحلّ

فوقهم" (رؤ٧: ١٤–١٥). إذاً كل القديسين الراقدين في المسيح هم "أمام عرش الله"، أحياءً، يسجدون له ويصرخون له، ولا ينسون الذين على الأرض (رؤ٦: ١٠). أين هي صلوات القديسين هنا؟ إنها مقدَّمة من ملاك مع البخور "على مذبح الذهب الذي أمام العرش" (رؤ٨: ٣–٤). لاحظ هنا الليتورجيا الكنسية في السماء، والليتورجيا المقامة على الأرض هنا هي جزء منها!

لكن المعارضون يقولون: إن القديس بولس يتكلم عن الموتى كراقدين (١تس٤: ١٣)، وبالتالي لا يستطيع الراقدون أن يسمعونا. في النص المقتبس هنا يتحدث بولس إلى الذين فقدوا أحداً بالموت لكي يعزّيهم لكي لا يحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم (١تس٤: ١٣). فالموتى بالنسبة لنا نحن الأحياء هنا يبدون راقدين، لا حياة فيهم، لا يسمعون ولا يتحركون. هذا بالنسبة للناحية الجسدية، لكنهم أحياء روحياً عند الله. كيف نعرف أنهم أحياء عند الله؟ بالإضافة إلى ما سبق لنتأمل النقاط التالية: يقول يسوع: "أنا هو القيامة والحياة. مَن آمن بي وإن مات فسيحيا" (يو١١: ٢٥)..".. بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٥: ٢٤). والرقاد هو النوم كما فهمه الرسل لمّا قال لهم يسوع إنّ لعازر رقد. وبما أنّ روحه ستعود إليه مثل ابنة يايروس (لو ٨: ٥٥). فالموت هنا رقاد لأنّ لعازر سيقوم. فهو حيّ لم يمت. لكن إن كان الله إله أحياء لا إله أموات، فكيف يموت مَن آمن بالمسيح؟ من الواضح هنا أن الموت ليس بعد موتاً. كل المسيحيين سيموتون جسدياً. لكنهم لا يموتون روحياً. فالموت يفصلهم جسدياً عن الأحياء هنا ولكنه لا يفصلهم روحياً عن الله. الخطيئة وحدها تفصلنا عن الله. أيضاً بما أن كل المسيحيين هم أعضاءٌ في الكنيسة، جسد المسيح الواحد، إذاً، "لا موت ولا حياة..تقدر أن تفصلنا عن محبة الله" (رو٨: ٣٨ و٣٩). وبما "أن المحبة لا تسقط أبداً" (١كور١٣: ٨)، فلا توجد قوة للموت علينا. فالمسيح قد قهر الموت بموته.

السؤال هنا: حتى لو كان الراقدون بالمسيح أحياء عند الله، فعلى أي أساس نصلّي إلى القديسين طالبين شفاعتهم؟ يقول القديس بولس: "فأطلب أولاً قبل كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس" (١تيمو٢: ١). إذا كان بولس يطلب من كل المسيحيين أن يصلّوا لأجل جميع الناس، فكم بالأحرى أن يطلب من القديسين الذين سبقونا، خاصة أنهم أقرب إلى المسيح منا كما يشهد القديس بولس نفسه (فيل١: ٢٣–٢٤). فالموت لا يفصلنا عن الراقدين أو عن المسيح كما وجدنا. وقد

رأينا مع القديس يوحنا اللاهوتي كيف تُقدَّم صلوات القديسين مع البخور أمام عرش الرب في السماء (رؤ٨: ٣ و٥: ٨). لهذا إذا طلبنا من القديسين أن يصلّوا من أجلنا فإننا نحقق بذلك وصية الرسول (١تيمو٢: ١)، ونحن على ثقة بأن المسيح سيسمع هذه الصلوات لأنها مقدَّمة أمام عرشه السماوي (رؤ٨: ٣).

هنا قد يقول المعارضون: ألم يقلْ الكتاب: "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (١تيمو٢: ٥). لماذا نطلب وسيطاً آخر ولدينا وساطة يسوع؟ ونحن نسأل بدورنا: ماذا يعني بولس هنا بكلمة "وسيط"؟ إنه لا يتكلم عن وساطة الصلاة، بل عن المصالحة بين الإنسان الساقط والله بيسوع المسيح الذي وهو الله قد صار إنساناً ليتمّم هذه المصالحة. لو كان بولس يقصد أنه لا يوجد شفيع بالصلاة سوى يسوع فلماذا يطلب أن تُقام صلواتٌ لأجل جميع الناس (١تيمو٢: ١)؟ لماذا يطلب بولس مني أن أصلّي للآخرين؟ ألا يستطيع الآخرون أن يصلّوا من أجل أنفسهم؟ طبعاً يستطيعون، ولكن الله يريدنا أن نكون لحمة واحدة بالصلاة، لهذا نطلب من القديسين، الأحياء والذين سبقونا، أن يصلوا من أجلنا. وفي الحقيقة فالذين هم في السماء يستطيعون أن يصلوا لنا أكثر بدون انقطاع.

لكن لماذا يجب أن أطلب شفاعة القديسين وأن يصلوا من أجلي؟ ألا يقول الكتاب إن المسيح وحده هو المخلِّص، وبالتالي لماذا لا أصلي له وحده، لأنه سيسمعني حتماً؟ أنا سأوجّه هذا السؤال لبولس نفسه، وأسأل: لماذا يا بولس تريدني أن أصلّي لأجل جميع الناس (١تيمو٢: ١)؟ ألا يستطيع الناس أن يصلّوا لأجل أنفسهم؟ أولاً: بالطبع إن المسيح هو المخلِّص وحده. لكننا لا يمكننا أن نهمل شركة القديسين وشفاعتهم، لأن المسيح نفسه يريدنا أن نفعل هذا. فالمسيح من جهة هو المخلِّص، لكن الكتاب يقول:

المسيحي يخلِّص أيضاً (يع٥: ٢٠؛ يهو٢٢-٢٣)؛ القديس بولس يخلّص (رو١١: ١٤)؛ الكرازة تخلّص (١كور١: ٢١؛ ١تيمو٤: ١٦)؛ المعمودية تخلّص (١بطر٣:

٢١)؛ الصلاة تخلّص (يع٥: ١٥)؛ الملائكة تخلّص (أش ٦٣: ٩). كيف يخلّص هؤلاء جميعاً؟ أبقوّتهم أم بتقواهم؟ بالطبع بالمسيح، وفي المسيح ومع المسيح، وبدون المسيح لا يوجد خلاص. بالطريقة نفسها تخلّصنا صلوات القديسين بالمسيح فقط، لأن المسيح نفسه قال: "إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم" (يو١٥: ٧). أي إذا طلب القديسون من أجلنا في الصلاة إلى الرب سيستجيب الرب لهم. إذاً شفاعة القديسين لنا تحقق وصية الرب أن نحب بعضنا بعضاً (يو١٥: ١٢)، وأن نصلّي معاً (مت١٨: ١٩؛ ١تيمو٢: ١؛ كول٤: ٢-٤؛ افس٦: ١٨). فلا أحد يُخلَّص وحيداً في الأرثوذكسية. لأننا كلنا جسدٌ واحدٌ، إيمانٌ واحد، وصلاة واحدة، ولا أحد يكمل بدون الآخرين (عبر١١: ٣٩-٤٠). إن الإيمان بالمسيح يقودنا إلى المعمودية فنصير أعضاء في جسد المسيح، الكنيسة، فنصلّي من جهة إلى الله والمسيح، ومن جهة أخرى نطلب من المسيحيين، على الأرض وفي السماء، أن يصلّوا من أجلنا (أن يتشفّعوا) إلى المسيح في خلاص نفوسنا. هكذا نحقق كوننا واحداً في المسيح كما طلب المسيح نفسه إلى الله الآب (يو١٧: ٢١).

من جهة أخرى لا يمكن أن تكون شفاعة القديسين حجة لإهمالنا وتقاعسنا في حياة الإيمان والصلاة. لأن صلوات الآخرين لن تفيدنا في هذه الحالة. (أيضاً راجع السؤال المتعلق بالقداسة)[٧٩]. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٨٢ – النعمة الإلهية أهي مخلوقة أم غير مخلوقة؟ هل لهذا علاقة بالجوهر والقوى في الله؟ ما تأثير هذا على حياة المسيحي، وما الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك في هذه النقطة؟

ج ١٨٢ – سنذكر في الملحق دراسة مفصَّلة لهذه النقطة. إليكم جواباً مختصراً هنا.

---

(٧٩) بولس الرسول طلب من أهل رومية (١٥: ٣٠- ٣١) وأفسس وكولوسي وتسالونيكي والعبرانيين وو... أن يصلوا من أجله (راجع كتابنا: هرطقات معاصرة – ضد شهود يهوه وو...). الفجوة الكبيرة بين الأرثوذكسية والبدع الغربية هي لاهوت الكنيسة. فإمّا أن يعودوا جميعاً إلى اللوثرية الأصلية وإمّا أن يبقوا في نظري فتات متبعثرة لا تتوفّر فيها أوصاف الكنيسة: واحدة، قدوسة، جامعة رسولية. ليسوا كنيسة بل شراذم مزّقت الكنيسة وخناجر في ظهرها وبطنها. الرب قال: "من ثمارهم تعرفونهم." ثمارهم هي تمزيق جسد المسيح. من جهة أخرى، الروح القدس الساكن فينا هو الذي يصلّي (رو٨: ١٥ و٢٦؛ غلا ٤: ٦). يسوع أوصانا أن نصلّي من أجل أعدائنا. هذا كمالٌ في المحبة. نخرج بذلك من أنانيتنا وقوقعتنا. المفقود الكبير في البروتستانتية هو الشركة. هي فردية أنانية. الأرثوذكسية تجسّد عمق الجماعة الإنجيلية. هي نحن لا أنا. (اسبيرو جبور).

يقول القديس بطرس الرسول: "لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بطر ١: ٤). هذه هي غاية المسيحية: أن نصير شركاء الطبيعة الإلهية، أن نتألّه بمقدار ما هو ممكن للإنسان، أن نصير آلهة بالنعمة كما أن الله هو إله بالطبيعة. لكن كيف يمكن للإنسان أن يكون شريك الطبيعة الإلهية والكتاب المقدس يقول: "الله لم يره أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو ١: ١٨). ويقول عن الله: "ساكناً في نورٍ لا يُدنى منه، الذي لم يره أحدٌ من الناس، ولا يقدر أن يراه" (١تيمو٦: ١٦). فالله في الكتاب المقدس بشكل عام غير منظور (رو١: ٢٠) وغير موصوف (٢كور٩: ١٥) ولا يُعبَّر عنه بلفظ (٢كور١٢: ٤) ولا تُسبَر أغواره (رو١١: ٣٣)، ولا يُستقصى (رو١١: ٣٣)، الخ. لهذا لا بد من حلّ الإشكال الناجم عن التناقض الظاهري بين كلمات القديس بطرس وبين عدم قابلية الله للشركة وللمعاينة.

السؤال هنا هو: كيف يمكن للطبيعة الإلهية أن تكون غير قابلة للمشاركة بها وبالوقت نفسه قابلة للمشاركة بها؟

لا بد من وجود نوعٍ من الاتحاد بين الله والإنسان، اتحاداً يحفظ الخصائص الإلهية لله (غير القابل للمشاركة به ولمعاينة جوهره الذي لا يُدنى منه، الخ...) ويحفظ الخصائص البشرية للإنسان، وفي الوقت نفسه يجعل الإنسان "شريك الطبيعة الإلهية" بحسب الرسول بطرس. هذا النوع من الاتحاد بين الله والإنسان يفرض تميزاً معيناً في الله عدا عن التميّز بين الطبيعة الإلهية والأقانيم الإلهية. هذا التميّز هو بين جوهر الله (أو طبيعته) من جهة (وهو غير قابل للمعاينة أو للمشاركة به أو للفهم أو للوصول إليه) وبين قوى الله الخاصة بالجوهر الإلهي والصادرة عنه وغير المنفصلة عنه سرمداً. هذه القوى (أو القوة) الإلهية تصدر من الجوهر الإلهي بدون انقطاع سرمداً صدور أشعة الشمس من قرصها وفيها يمنح الله ذاته ويشترك مع الخليقة وتتحد به. هذه القوة أو النعمة الإلهية هي استنارة إلهية. هذا التميّز في الله بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية يشرح لنا قابلية الاتصال بالله والاتحاد به أي بقواه لا بجوهره.

يقول القديس باسيليوس الكبير: "بقواه نقول إننا نعرف إلهنا؛ لا نؤكد أننا نستطيع الاقتراب من الجوهر نفسه، لأن قواه تنزل إلينا، لكن جوهره يبقى غير مُقتَربٍ منه". ويقول القديس مكسيموس المعترف: "الله قابل للشركة معه بما يمنحه لنا؛ ولكنه غيرٌ قابل للشركة معه في لا شركية جوهره".

القوى الإلهية أو النعمة الإلهية تصدر من الجوهر الإلهي سرمداً بدون انقطاعٍ وهي مثل الجوهر الإلهي غير مخلوقة وسرمدية. فيها يكون الله حاضراً، لا حضوراً رمزياً أو مجازياً بل حضورياً كلياً وواقعياً؛ فالله حاضرٌ تماماً في قواه حضوره في جوهره.

إذاً، نميّز في الله الطبيعة (أو الجوهر) الإلهية، والأقانيم الإلهية، والقوى (أو النعمة) الإلهية، وهي كلها خالقة. هذه القوى الإلهية ستكون موجودة حتى لو لم توجد المخلوقات، فهي سرمدية. وهي حضور بشكل نور إلهي أو نعمة إلهية غير مخلوقة. هذا النور الذي يقول فيه القديس بولس الرسول: "الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نورٍ لا يُدنى منه، الذي لم يره أحدٌ من الناس" (١تيمو ٦: ١٦)، هو النور نفسه الذي كان يشعّ على أبرار العهد القديم إنما من خارجٍ، وهو نفسه الذي شعّ على التلاميذ الثلاثة على جبلِ التجلّي عبر ناسوت المسيح. وهو نفسه الذي يسكن في المسيحيين المعتمدين باسم الثالوث القدوس. إذاً، هذه القوى الإلهية أو النعمة الإلهية غير المخلوقة أو النور الإلهي غير المخلوق هي واقعٌ حقيقي وليس مجرد مفهومٍ فكري نظري.

أعداء بالاماس المتأثّرون بالأرسطوية (خاصة برلعام وأكندينوس والفكر الكاثوليكي بشكل عام) رأوا أن التميّز بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية في الله هو انتقاصٌ من بساطة الله، ورأوا أن ما ليس هو جوهر الله لا ينتمي إلى الله وليس هو الله. هكذا، بحسب برلعام وأكندينوس، بما أن القوى الإلهية (أو النعمة الإلهية) هي ليست الجوهر الإلهي فهي إذن حقائق وأعمال مخلوقة.

جواباً على خصومه طرح بالاماس على خصومه المعضلة التالية: في حال لم يعترفوا بالتميّز بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية، فهذا يعني:

إما أن يكون مجد الله ونعمة الله ونور الله (نور التجلّي مثلاً) هي جوهر الله نفسه (بحسب أوغسطينوس) وبالتالي غير قابلة للمشاركة من قبل الإنسان؛

وإما أن يكون مجد الله ونعمة الله ونور الله (نور التجلّي مثلاً) هي أمور مخلوقة ولا تنتمي إلى جوهر الله.

في كلتا الحالتين يكون التألّه الحقيقي مستحيلاً. إذاً هذا الدفاع عن البساطة الإلهية، بدءاً من مفهوم فلسفي للجوهر، يؤدي بالنهاية إلى استنتاجات مخالفة للاهوت الكنيسة الأرثوذكسية وتقليد الآباء القديسين الذين ذكرهم بالاماس.

رغم هذا التميّز في الله بين الطبيعة والقوى إلا أن اللاهوت الأرثوذكسي لا يعترف بأي نوعٍ من "التركيب" في الله. فالقوى الإلهية (مثل الأقانيم) هي ليست عناصر في أو من الكيان الإلهي يمكن تخيّلها على حدة، منفصلة عن الثالوث القدوس. وهي ليست عوارض للطبيعة الإلهية، ولا هي كائنات أقنومية على غرار الأقانيم.

بعد هذه اللمحة السريعة عن موضوع التميّز بين الطبيعة الإلهية والقوى الإلهية في الله، لا بد من الحديث عن النتائج العملية والحياتية لهذا التميّز في حياة المسيحي:

١– هذا التميّز هو أساس كل خبرة صوفية مسيحية. فالله غير القابل للإدراك بجوهره هو نفسه حاضرٌ في قواه الإلهية "كما في مرآة، وباقياً غير منظور فيما هو عليه.

٢– هذه العقيدة تمكّننا من فهم كيف يبقى الثالوث القدوس غير قابل للمشاركة بالجوهر وبالوقت نفسه يأتي ويسكن فينا بحسب وعد المسيح (يو١٤: ٢٣). هذا الحضور الإلهي في القوى ليس حضوراً عرضياً مثل الحضور الإلهي الكلي في الخليقة (الحاضر في كل مكان والمالىء الكل)؛ وليس حضوراً بحسب الجوهر الذي هو بالتعريف غير قابل للشركة؛ إنما هو نمطٌ يسكن بحسبه الثالوث القدوس فينا بواسطة قواه أو النعمة غير المخلوقة.

٣– هذا التميّز بين الجوهر والقوى هو الذي يمكّننا من فهم كلمات القديس بطرس "شركاء الطبيعة الإلهية". هذا الاتحاد بالله ليس اتحاداً أقنومياً (خاصاً بين لاهوت المسيح وناسوته)، ولا بحسب الجوهر (خاصاً بالأقانيم الإلهية)، بل هو اتحادٌ بحسب القوى الإلهية أو النعمة التي تجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية بدون أن يستحيل جوهرنا البشري إلى شيء آخر وبدون أن يتغيّر جوهر الله. هذا

الاتحاد بين الإنسان والقوى أو النعمة الإلهية غير المخلوقة هو الذي يدعوه آباء الكنيسة التألّه. فيصير الإنسان بالتألّه بالنعمة غير المخلوقة كل ما هو الله عليه بالطبيعة بحسب ما هو ممكن للإنسان.

٤- بالطبع لو لم تكن النعمة الإلهية غير مخلوقة لما استطاع الإنسان أن يتألّه أو حتى أن يدّعي التألّه. لأن الإنسان لا يتألّه بأي شيء مخلوق مهما عظم. الخالق وحده هو الذي يؤلّه. من هنا ضرورة التأكيد على أن هذه القوى الإلهية أو النعمة الإلهية هي غير مخلوقة من جهة، وعلى الحضور الإلهي الكامل في نعمته أو قواه من جهة أخرى.

التجسّد الإلهي هو ضمّ الطبيعة البشرية إلى الأقنوم الإلهي. ابن الله أقنوم الطبيعتين. في لاهوت المجامع المسكونية ٤ و٥ و٦ الاتحاد كامل وأبدي بين الطبيعتين. اتّحد ابن الله بالإنسان ليستطيع كل إنسان أن يتحد بالله. قال الذهبي الفم بلسان يسوع: "صرتُ إياك لتصير إياي". منذ إيريناوس أسقف ليون وأثناسيوس الإسكندري حتى اليوم نكرّر: "صار الإله إنساناً ليصير الإنسان إلهاً". حتماً لا نستطيع أن نصير ذوي طبيعة إلهية وإلا صرنا أقانيم إلهية. ولا معنى لاتحاد الإله والإنسان في يسوع إلا إذا كان هذا الاتحاد سيشملني. أنا عضو في جسد يسوع. لكني لا اتحد أقنومياً بيسوع. كيف؟ بالنعمة الإلهية غير المخلوقة. لا اتحد بالله بالتأمل الطبيعي كما قال خصوم بالاماس. اتّحدُ به بالنعمة الإلهية، فيصير شخصي مؤلَّفاً – بحسب بالاماس – من النعمة الإلهية غير المخلوقة وروحي وجسدي. هذه النعمة تبلغ الذروة بعد الموت حين أتجلّى روحاً وجسداً متلألئاً بالنور الإلهي. في الأرثوذكسية الخلاص هو التألّه[٨٠]، والتقديس والتبنّي والفداء الأخير والمعرفة الإلهية والاتحاد بالله والاستنارة بالنعمة الإلهية. هذه أمور فوق العقلانية وفوق العقل والذهن. إنها قيامنا في الغمام الإلهي بعد تجاوز العقل والفهم. هي قيامنا في الله بصورة سرية خارقة الطبيعة. هذا هو عمل الله.

اللاهوت الغربي لم يستطع بسهولة قبول هذا التميّز في الله بين الجوهر والقوى. وبالوقت نفسه وضع تميّزات غريبة عن اللاهوت الأرثوذكسي، مثل التميّز بين نور المجد ونور النعمة (هذا النوران مخلوقان)، وبين عناصر أخرى مما يسميه "النظام الفائق الطبيعة" كعطايا الروح القدس. لا يعترف اللاهوت الأرثوذكسي بـ"نظام فائق الطبيعة" بين الله

(٨٠) راجع الدراسة عن مفهوم الخلاص بين الشرق والغرب في قسم الملاحق في نهاية هذا الكتاب.

والعالم المخلوق، كما لو كان يضيف على العالم المخلوق خليقة جديدة. النعمة للفكر الغربي تعني فكرة العلّة والنتيجة. فالنعمة، لدى اللاهوت الغربي هي نتيجة للعلّة الإلهية، تماماً كما أن خلق العالم هو نتيجة للعلة الإلهية. لهذا تكون النعمة الإلهية مخلوقة بالنسبة للاهوت الغربي. بينما بالنسبة للاهوت الأرثوذكسي كما رأينا، إن النعمة الإلهية هي قوة أو قوى إلهية تنبثق من الجوهر الإلهي وتفيض منه سرمداً. فالله في الخلق حصراً يعمل كعلّة، في إحداث شيء جديد مدعوٍ أن يشارك في الملء الإلهي. أما في القوى الإلهية، فالله هو حاضر وموجود وكائن، ويُظهر نفسه سرمدياً. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ١٨٣ – هل الخلاص محصور في المسيحيين؟ ما ذنب الذين لم تصلهم البشارة المسيحية؟ وما ذنب الذين عاشوا قبل المسيح وحتى قبل اليهودية؟ وما ذنب الذين يعيشون في عصرنا الحالي حياة تقية فاضلة وهم غير مسيحيين؟

ج ١٨٣ – الفصل ٢ من رسالة رومية ذكر أن الذين يعيشون وفق الشريعة الإلهية وهم لا يعرفونها يصير ضميرهم قاضياً عليهم. ويسوع قال: "في بيت أبي منازلٌ كثيرة" (يو ١٤). وفي توبيخه لمدن الجليل ذكر أن نينوى وصور وصيدا وسدوم وعمورة ستكون في يوم الدينونة في حالة أفضل من حالتها. فهناك درجات. وأهل الشريعة في خطر الدينونة أكثر من سواهم. الآباء القديسون قالوا على ضوء رسالة بطرس (٣: ١٩ و٤: ٦) بأن المسيح نزل إلى الجحيم بعد وفاته على الصليب وبشّرت روحه الذين فيه. فالذين آمنوا أدخلهم معه إلى الفردوس (الدمشقي). أبيفانيوس في عظة ترجمها سيادة الأسقف يوحنا يازجي ذكر إن يسوع وجد في الجحيم إبراهيم واسحق ويعقوب....وداود.... والمعمدان. في التريودي جاء أن لعازر قضى الأيام الثلاثة في الجحيم. والله أعلم بمصير كل من البشر فهو الذي يدين الذين من الخارج (بولس). **(اسبيرو جبور)**

س ١٨٤ – إن كانت أجرة الخطيئة هي الموت وإن كان إيليا النبي لم يمت فهل يحتاج إلى فداء؟

ج ١٨٤ – في الترجمة السبعينية جاء أنه صعد كأنه إلى السماء. في الفصل ١١ من سفر الرؤيا جاء أنه سيعود ويُقتل. الفداء شمل كل الناس من آدم فما دونه بما فيه العذراء مريم التي أنشدت: "تعظّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلّصي". **(اسبيرو جبور)**

الفصل السابع:

أسئلة روحيّة

"لأنه يوجد خصيانٌ وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم؛ ويوجد خصيانٌ خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. مَن استطاع أن يقبل فليقبل" (متى ١٩: ١٢).

"ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسنٌ لهم إذا لبثوا كما أنا" (١كور ٧: ٨).

"فأقول هذا أيها الإخوة: الوقت منذ الآن مقصّر، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم" (١كور ٧: ٢٩).

"إذاً مَن زوّج فحسناً يفعل، ومَن لا يزوّج يفعل أحسن" (١كور ٧: ٣٨)

"فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشرّ الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير" (أفسس ٦: ١٢-١٣)

'إني أنصح بالبتولية لا لأني أعتبر الزواج شراً، بل لأني أعتبر البتولية أثمن" **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

'إنك ترتكب خطأ كبيراً إن كنت تظن أن المطلوب من أناس العالم أمر مختلف عما هو مطلوب من الرهبان. الفرق الوحيد هو هذا: أن الواحد يتخذ زوجة أما الآخر فلا يتخذ زوجة؛ في كل الأشياء الأخرى فإن الحساب نفسه سيكون مطلوباً من كل واحد" **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"الرهبنة بحد ذاتها هي تعبٌ متواصلٌ من أجل قهر الأهواء واجتثاثها لكي يحفظ الإنسان نفسه أمام وجه الله وهو في حالة طاهرة وغير مدنَّسة. هذا هو واجبك إذن! أولِه انتباهك، ووجِّه قواك نحوه" **(القديس ثيوفانس الحبيس)**

"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيّة" (عبر ١٢: ٤). هذا ما يقوله الرسول لجميع المسيحيين، رهباناً راهبات أو علمانيين. ليست المسيحية فلسفة، أخلاقيات أو نظريات. إنها جهاد، حرب روحية شعواء ضد الخطيئة بكل أشكالها وألوانها. ليست ناموساً أخلاقياً فيه وبه يتبرّر الإنسان فحسب. إنها خلق جديد وعجن جديد لآدم جديد في كل واحد منّا. مسيحية بدون رهبنة هي صحراء بدون ماء.

س ١٨٥ – مَن أسّس الرهبنة المسيحية؟

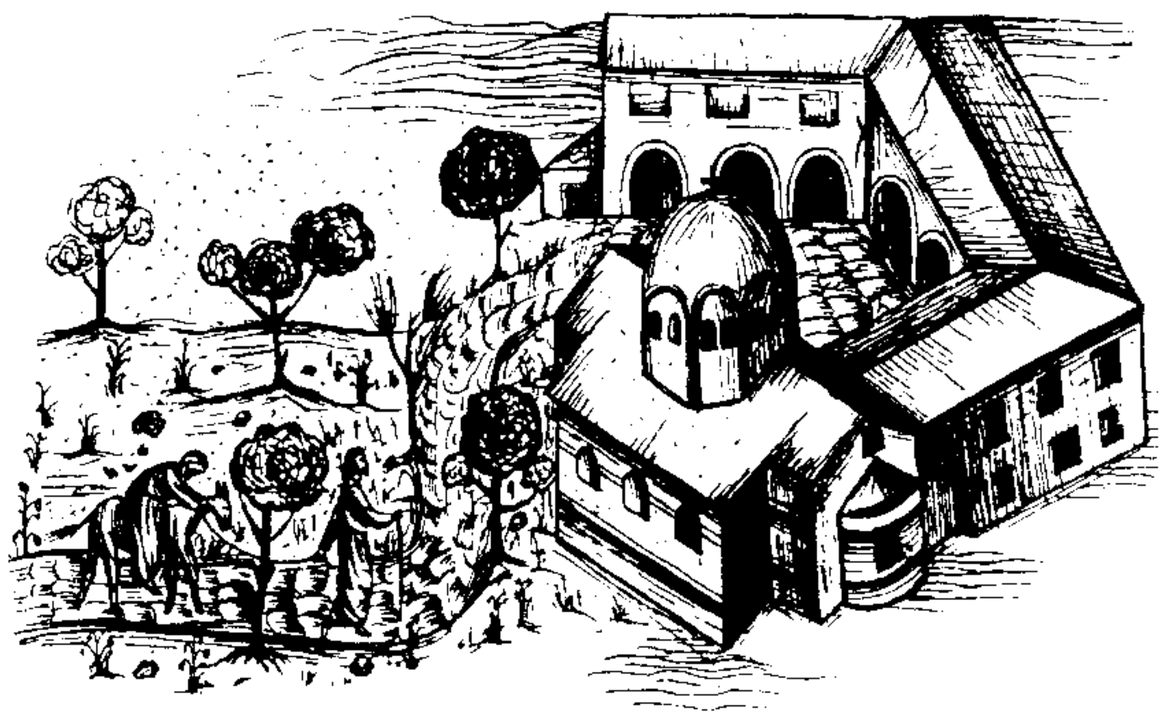

ج ١٨٥ – يمكن القول إن القديس أنطونيوس الكبير هو الذي أسّس الرهبنة المسيحية، وذلك في القرنين الثالث الرابع (٢٥١–٣٥٦)، لأنه أول مَن تتلمذ له آخرون بعد أن زهد وترك العالم، وعاش متوحّداً، مجاهداً، طالباً وجه المسيح. فكانت الرهبنة المسيحية ذات طابع توحّدي. لكن، لا شك أنه كان قبله مَن زهد أيضاً في العالم وعاش منفرداً حباً بالمسيح. وقد عُرف منهم القديس باولا مثلاً[١].

ثم بعد أنطونيوس جاء القديس باخوميوس (توفي العام ٣٤٨)، وأسّس الرهبنة ذات الحياة المشتركة. وكذلك القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩–٣٧٩)، الذي وضع قوانين الحياة الرهبانية المشتركة، والتي امتازت بالاعتدال وأصبحت بمثابة شرعة لتلك الحياة. وقد استند عليها القديس بنديكتوس (٤٨٠–٥٤٣) في تأسيسه للرهبنة البنديكتية في الغرب. **(الأب الياس مرقس)**

---

(١) وبولس البسيط.

س١٨٦- هل الرهبنة هروب من هذا العصر ومشكلاته أم هي تحدٍ؟ الكثيرون يرونها أسهل من البقاء في العالم ومن محاربة الجنس والعنف والسلطة؟

ج ١٨٦ - "... تركهم وصعد إلى الجبل ليصلّي" (متى١٤: ٢٣). هكذا فعل الرب يسوع المسيح عدة مرات، عندما كان على الأرض مع تلاميذه يبشرّهم ويدلّهم على الخلاص. وسابق المسيح، يوحنا المعمدان، عاش في البراري ضارباً الصحارى برفش الصلاة. وكان يأكل جراداً وعسلاً برياً.. ووالدة الإله أُدخلت إلى الهيكل؛ وتقول القصة إنها بقيت في الهيكل تتعبّد بأصوام وصلوات حتى حان زمن استحقاق ولادة المسيح من أحشائها[٢]

وإذ ننتقل إلى سيرة الأب أنطونيوس الكبير، كوكب البرية ومعلّم الرهبان، فإننا نجده سامعاً لقول المسيح: "مَن أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني" (مر٨: ٣٤). فخرج من العالم وتبع الرب في البرية.

في الرهبنة هناك حركتان: حركة خروج وحركة دخول. خروج من مكان ودخول إلى مكان آخر.. خروج من العالم والاهتمامات الدنيوية ودخول في حقل الله... سماع صوته أولاً واتباعه. "حبيبي يزمّر بمزماره وأنا أتبعه". "حبيبي": هذه هي الدعوة الأولى؛ هذا هو الحسّ: حسّ القلب التائق إلى تحقيق ذاته بالحب.. هذا "الشعور"، بل هذه الحركة الداخلية القلبية، تجعل الإنسان منذ ولادته متّجهاً صوب الآخر. والآخر الأول هو الأم، ثم الأب وكل ما يحيط بالطفل. وتكبر الدائرة وتتسع وتوزّع أشعة القلب حولها فيغذو منها كل الموجودين في دائرة ذاك الانعكاس. فكلما شعّ النور خارجاً كلما ازداد لمعانه، وكلما تداخل إلى ذاته كلما خفت وبهت. هذه هي أيضاً حركة الخروج والدخول، العبور من الأنا إلى الآخر، وإلى كل الذين في إطار ذاك الشعاع...

(٢) وحنّة النبية عاشت في الهيكل عمراً مديداً في الصوم والصلاة. أما قصة العذراء في الهيكل حتى تاريخ ولادتها فتناقض نص الإنجيل: غادرت الناصرة إلى اليصابات (عين كارم في جبال اليهودية) ثم عادت إلى الناصرة، ثم سافرت ويوسف إلى بيت لحم (اسبيرو جبور).

الابن شعاع الآب؛ وكل مَن يحمل "كلمة" الابن فهو شعاعه أيضاً.. هذه هي الرهبنة. تمتمة اسم الحبيب نهاراً وليلاً.. في كل خلجة حسّ وفي كل حركة فكر وفي كل هوى... ليصبح الهوى الوحيد المالك على الكيان، هوى حب المسيح.. لذلك يترك الإنسان أباه وأمه، وزوجه وزوجته وأولاده ليتبع المسيح، ويصير وإياه جسداً وروحاً واحدة.

الرهبنة هي خروج من العالم للقاء العالم في ملء هذا الكيان. فالراهب يحمل في عمق أعماقه كل البشرية. آدم الأول في الفردوس وحتى سقطته ومن ثم سعيه إلى الخلاص بالمسيح. فإذ يسعى الراهب لأن يُعجَن كل لحظة بالمسيح وبكلمته ووصاياه، فإنه يتطهّر – بالجسد والدم الكريمين وبمعرفة خطاياه – من خطاياه. وإذ يدرك أن المسيح هو المخلّص الوحيد لسقطة آدم وللجنس البشري، فالراهب في سعيه لتحقيق اتحاده بمسيحه، يصير هو أيضاً على مثال سيّده "مخلِّصاً" أيضاً بالنعمة، وليس بالفعل؛ والنعمة هي الصلاة.

أجرؤ وأقول إن الصلاة هي أصعب علمٍ. فهي علم الأرض وتحقيق الفردوس. وهي النعمة في حياة المؤمن. الصلاة هي السلّم الذي يُصعد المؤمن للوصول إلى الله والاتحاد به. والصلاة لا تُقنى في ملئها، في صفائها البلّوري المشعّ، إلا بالخلوة مع الله... العالم مضطرب ومشوّش. فمَن أراد أن يقتني الصلاة عليه أن يصعد، كما صعد المسيح، إلى الجبل ليصلّي.

الراهب في ديره، أو في خلوته، حين يكشف عن أغوار نفسه، فإنه يرى فيها كل الخطايا والأهواء والأدناس الجسدية والنفسية والروحية. عندها يبدأ بعملية النزول إلى الجحيم ليلقى الربَ هناك. فيرفعه الرب ويطهّره والكونَ الذي يحمل في عمق كيانه.

الجنس قائم في كل إنسان مخلوق عل وجه الأرض. كذلك العنف والسلطة وحب المال والكبرياء والأنانية، الخ من الأهواء... وإذ يلامس المؤمن وجه ربّه وحنانه فإنه يشتاق إليه، إذ يتغذّى بذاك الرحيق الإلهي فإنه يسعى أن لا يضيّعه مهما كان وصار ومهما قُدِّم له... لذلك يسعى سعياً دؤوباً لأن يتخلّص من جرح السقوط في نفسه بالابتعاد عن العالم ليتطهّر هو أولاً – وذاك عمل العمر – ويطهّر من ثم العالم الذي يصلّي له حباً بالمسيح وإرضاءً له

في العالم نواجه بعضاً من الشياطين المحيطة بنا، ولكن في الخلوة مع الله يفتح الجحيم شدقيه ساعياً لابتلاعنا. الحرب الحرب هي أن لا نبقى مأكلاً لقوى الظلمة، بل أن نمتلئ من الإله فنصبح شوكة لفم الشيطان وحلقه، عدو البشر وقاتلهم.

الرهبنة هي حركة خروج من الذات الأنانية، للدخول في علاقة مع الذات فوق الكونية الإلهية. الرهبنة هي لزوم صليب المسيح طوعاً كل يومٍ. الرهبنة هي الافتقار الإرادي لكسب الغنى، فيصبح نور المسيح مضيئاً للجميع ومشعّاً بالحب والخلاص لكل العالم. **(الأم مريم زكّا)**

س١٨٧– لماذا لا توجد في الكنيسة الأرثوذكسية رهبنات عاملة على الطريقة الكاثوليكية (اليسوعيون، الفرنسيسكان الخ..)؟

ج ١٨٧ – إن غاية الحياة الرهبانية الأساسية هي الاختلاء في سبيل التوبة، والتطهّر من الأهواء، وتسبيح الله الدائم، والصلاة من أجل العالم. ولكن هذا لا يمنعها من تأدية خدمات عملية حين الضرورة وعند الاقتضاء. إن دير "الذين لا ينامون" قد قام، مثلاً، (في القرن الخامس) بتنظيم جولات تبشيرية فيما بين النهرين. فخرج من الدير حوالي سبعين راهباً (ومرة أخرى حوالي مائة وخمسين) ليبشروا السكان مكلّمين إياهم. غير أن مثل هذه الحالات العملية ليست الغاية الأساسية للحياة الرهبانية. علماً بأنه يمكن للمسيحيين الأتقياء غير الرهبان أن يقوموا بتأسيس مدارس أو مستشفيات أو مياتم أو غيرها بواسطة جمعيات مخصَّصة لذلك. أما الرهبان فيبقون منكبين على الصلاة والتوبة واستقبال المحتاجين إلى الإرشاد. **(الأب الياس مرقس)**

س ١٨٨– هل يوجد أكثر من شكل واحد للرهبنة الأرثوذكسية؟ وما هي هذه الأشكال؟

ج١٨٨ – بدأ تحّدد الأنماط الرهبانية بادئ ذي بدء، يوم دخل القديس أنطونيوس الكبير عمق الصحراء في برية شيهيت في مصر في القرن الرابع الميلادي. بدأ الأب أنطونيوس وحده، وجاهد وحده، متعلّماً النفس البشرية واحتيالات الشيطان عليها حتى يُخرجها من جهادها في معرفة سقطتها والخلاص بالله. ثم تبعه الأب القديس الراهب

باخوميوس، فوضع أسساً للحياة الرهبانية المشتركة حيث يجتمع عدة رهبان في مكان واحد، تحت قيادة رئيسٍ يدبّر حياتهم اليومية والروحية؛ وهكذا تطوّرت الخبرة فصار لها عدة أشكالٍ...

النسك المنفرد هو آخر المطاف في الحياة الرهبانية، حيث ارتأى الآباء أن لا يخوض غمار هذه التجربة أي راهب أو راهبة، إلا بعد سنوات عديدة من الحياة المشتركة تصل إلى الثلاثين سنة على الأقل أو أكثر.. قبلها، وبالاحتكاك اليومي بالآخرين، يكتشف الراهب ذاته في عمقها، من خلال علاقته بمَن حوله. وإذ يوضع في أتون الشركة تظهر دمّل نفسه الخفية، ويتفجّر القيح فيأتي الأب الرئيس أو الأم الرئيسة ويداويان جراح تلك النفس وقروحها، بالحب والتمييز والخبرة، وخاصة بالنعمة الإلهية النازلة عليهما من فوق، حين تظهر أمانتهما في رعاية ذلك القطيع الذي جعله الله عليهما رعاة.

هكذا أيضاً يكون حالهما في الحياة المشتركة، في دير يجتمع فيه كل أفراده في الكنيسة للصلاة سوياً، أو لتناول الطعام على مائدة الدير المشتركة، ويكون هناك مسؤول واحد عنهم، رئيساً أو رئيسة أو مدبّراً واحداً للمال والأرزاق.. ويكون كل شيء بين تلك الجماعة مشتركاً، لأجل عملهم المشترك وإيداع كل المداخيل في صندوق واحد.. أيضاً بالإمكان أن يجتمع الأخوة في مكان واحد، ويكون لكل واحد مصروفه الخاص، ويكون كل واحد مسؤولاً عن معيشته الخاصة، يُنفق على ذاته من عمل يديه. وهذا نمط ما زال معمولاً به حتى يومنا هذا في بعض الأديار في منطقتنا في الشرق الأوسط.. لكن الخبرة الروحية كشفت أن هذا النمط ربما يعيق التقدّم الروحي للفرد، إذ يبقى الراهب منشغلاً بتحصيل ما هو بحاجة إليه كي يقتات ويحيا، فيغلب العمل اليدوي على الصلاة والتأمل والجهاد الروحي.

هناك أيضاً "إسقيطات" (مفردها إسقيط) أو أديار صغيرة يسكن فيها الأخوة بمفردهم،

كل اثنين أو كل ثلاثة، أو حتى كل واحد ثم يلتقون آخر الأسبوع، أي السبت والأحد في الدير العام لتناول القدسات وسماع الكلمة والاعتراف. ويكون الدير مسؤولاً عنهم وعن معيشتهم.

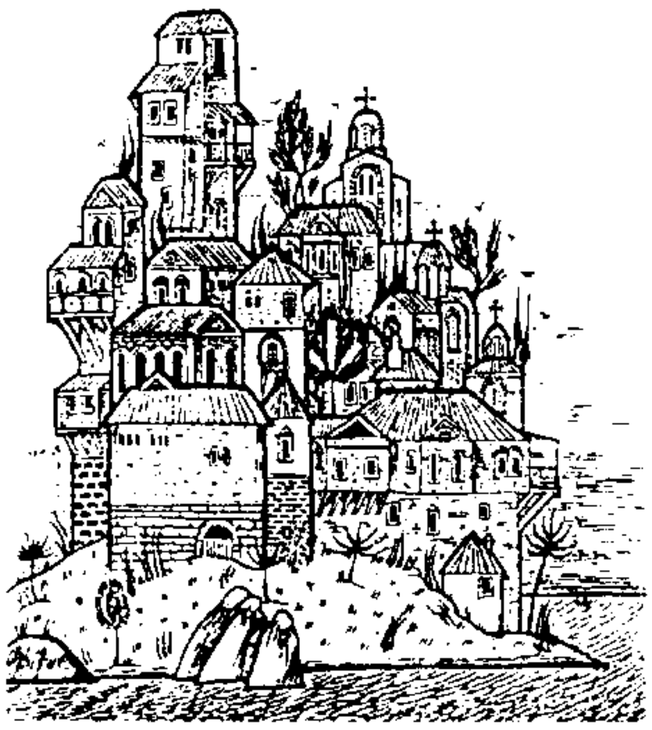

وهناك أيضاً قلالي يجتمع فيها شيخ راهب كاهن مع تلميذ له، ويكون في القلاية كنيسة صغيرة يُقيمان فيها الخدم والقداس الإلهي.. عادة تكون هذه القلالي الصغيرة أو "الإسقيطات" مرتبطة أو معتمدة على دير كبير يعينها على حياتها وفي مصاريفها أو ما شابه.

أما التجمعات الرهبانية، أو أديار الشركة فهي في الغالب مشتملة على رهبان ورئيس أو مدبّر لهم، أو راهبات مع رئيسة لهن. ويزورهن أب راهب كاهن لكي يتقبّل اعترافاتهن ويشدّدهن ويرشدهن إلى الحياة الملائكية بعمقها الإنجيلي، لا الشكلي الخارجي فقط. وهذا هو دور الأم الرئيسة في الدير أيضاً. عملها الأساسي هو الأمومة على مثال السيد ووالدة الإله، والرعاية على مثال راعي الخراف الوحيد، الرب يسوع المسيح. وهناك أديار نسائية يكون عندها كاهن يُقيم الأسرار ولا يكون هو الأب الروحي، بل كاهن الاعتراف فقط، ويزورهن الأب الروحي مرتين في السنة.. بينما هناك أديار نسائية يسكن فيها الأب الروحي في الدير ذاته مع الراهبات مقيماً لهن الخدمات الليتورجية. وهذه الأنماط معمولٌ بها في الشرق والغرب.

كما ظهر في السنوات الثلاثين الأخيرة، استعادة لتراث رهباني قد وُجد في القرون الثانية عشر والثالثة عشر وهي "الأديار الثنائية"، حيث فيها مبانٍ منفصلة لرهبان وراهبات، يجتمعون في الكنيسة معاً وعلى مائدة الطعام في غرفة واحدة لكنهم يعملون على انفراد.. ولقد استرجع هذا النمط، بعد القرون السالفة، المغبوط الأب صفروني (سخاروف) مؤسّس دير السابق يوحنا المعمدان في إسكس في إنكلترا العام ١٩٥٩، وأطلق بعد نجاح خبرته أديارا أخرى تحيا هذا النمط الرهباني[٣].

(٣) ولكن في سوريا اتخذ النسك شكلين جديدين: ١– الحبساء. يُعتبر القديس مارون أبا هذه الطريقة. ٢– العموديون: أبو الطريقة هو سمعان العمودي الشهير. عرفت الطريقتان نجاحاً باهراً في سوريا وامتدتا إلى سواها (اسبيرو جبور).

هكذا أيضا وأيضاً، يسري التوق إلى الله في النفس العطشى إلى الحب الحقيقي، وتكبر الجهادات وتنمو الصلوات وترتفع لخلاص العالم في الأديار. ولقد قال الأباء: الحياة الرهبانية هي ملح الكنيسة واستمراريتها، ونفَسها ونورها. (**الأم مريم زكا**)

س ١٨٩ – نقول عادة بالأبوة الروحية. أيعني هذا أنه لا توجد أمومة روحية وأمّهات روحيات، أم أن الأبوّة الروحية محصورة في الرجال؟

ج ١٨٩ – لا أودّ الدخول في الإجابة عن هذا السؤال بمفارقات الأزمنة والأوقات والنواميس التي وضعها البشر من تسييد الرجل على المرأة منذ أول التاريخ بسبب أمومة المرأة الجسدية التي ربطتها بالطفل والاهتمام به وتكريس حياتها بالكلية له حتى ينمو ويترعرع وينطلق على دروب الحياة. وذاك ما جعل الرجل يأخذ المبادرات خارج البيت، أي في المجتمع وخدمته في حقول الإنجازات المتعددة من علم وتطوّر. والمرأة في جميع قطاعات المجتمع واجهت المشكلات نفسها، حتى في الكنيسة. وهي إذ وجدت نفسها عبر الأجيال موضوعة في بوتقة معينة، في جو خاص وكأنها أُطِّرت في إطار الإنجاب والجسد، وبما أنها هي أيضاً حاملة آثار سقطة آدم وحواء، فإنها دخلت في أحابيل الشيطان وبدأت بالعمل على جسدها حتى يبقى ويستمر ويحلو، وذاك أخضع نفسها أيضاً للتغييرات التي يواجهها جسدها... حلقة مفرغة، والرجل إذ نما في ترتيب المعيشة، نما أيضاً في السلطوية وترجيح العقل وأخذ القرار والإنجازية؛ والمرأة إذ رأت بوجهها صخور الإرادات غير الإلهية والقسوة، خضعت عاجزة واستخدمت كل طاقاتها في مواجهة مدّ الغبن الذي لحق بها، بوسائل كثيراً ما كانت غير إلهية، كما الرجل أيضاً.

أما في المسيح فالأمر يختلف بالكلية. الرب هو الكل بالكل. فيه كل الجنس البشري. فيه الخليقة وجميع الموجودات. فيه الرجل والمرأة.

فكل مَن يريد أن يصبح رجلاً، عليه الدنو من الرب يسوع المسيح وأخذ رجولته من السيّد، كذلك المرأة إن أرادت أن تأخذ كيانها فمن الرب يسوع أيضاً وأيضاً. "لا رجل ولا امرأة في المسيح، بل كلكم واحد" (غلا٣: ٢٨).

أما المرأة فلها الرب خالقها حياة ولها أيضاً والدة الإله "منارة وجرّة ذهبية"، تدفن فيها كل أحزانها وأشواقها وآلامها ومعاناتها، طالبة من عروس الله أن تصيّرها هي أيضاً أمّاً

للإله المولود من أحشائها على صورة الإله القدوس وحده؛ تصيّرها أمّاً على مثالها، في الجسد وأمّاً في الروح.

الأمومة الروحية كما الأبوّة الروحية هي عملية إعادة "خلق" الإنسان من معين الكلمة الإلهية. لذا على الآباء الروحيين والأمهات الروحيات أن يولدوا هم أولاً من الكلمة الرب يسوع المسيح، بالوصايا الإنجيلية وحياة الكنيسة والآباء. كل ذلك يأتي بهم رويداً رويداً إلى اقتناء أسرار الحياة المسيحية، وأوّلها المحبة والتواضع والصبر ومن ثم كل ما يتبع ذلك من بركات يعطيها الإنجيل وروح الرب الساكن في خليقته وفي حياة الكنيسة.

الذي يملك روح الإنجيل، أي روح الرب، لا يعود ينظر إلى الأجناس والأعراق والوجوه، بل يرى وجه الرب في كل مخلوق حوله.

الأب الروحي هو الإنسان الذي نذر نفسه للرب. والأبوّة الروحية ليست بالضرورة مرتبطة بالكهنوت. فكثيرون من الآباء الروحيين كانوا رهباناً في أديارهم أو في الصحاري، بعيدين عن العالم، لكن قريبين منه وحاملين إياه في كيانهم وفي صلواتهم. الأب الروحي هو الإنسان الذي كرّس كل طاقاته في ذكر اسم يسوع على شفتيه وفي قلبه ونفسه وعقله وكيانه.. وبالذكر الكلي المبارك ذاك، يصير حضور الرب همّه الوحيد في حياته. ويسير بالاسم القدوس والحضرة الإلهية في دروب النزول إلى جحيم نفسه ليرى فيها الحيّات والعقارب والصخور والأهواء والرذائل. فيبدأ بتنقية بيدره بمعونة والدة الإله وشفاعاتها وشفاعات القديسين وآباء البراري والأبرار الذين كانوا قبله، أو ما زالوا على قيد الحياة معه في هذا الكون.

هذه المسيرة هي مسيرة المرأة أيضاً... هكذا يصير الرجل أبّاً روحياً بالنعمة الإلهية وبالعشق الإلهي وبالجهاد، وكذلك المرأة أيضاً تصير أمّاً روحية بالنعمة والجهاد.

روح الرب وحده يمحق الرجولة المريضة والأنوثة الكاذبة.

إن كل إنسان يحيا في كنيسة المسيح مقدِّماً ذاته قرباناً عن الآخرين، في التعليم والإرشاد والمسيرة الصالحة والصلاة، هو بدايات مباركة لأبوّة وأمومة روحيتين.

المرأة هي مربيّة الأجيال، لأنها حاضنة الأطفال في أحشائها وحتى تفلّتهم من أحضانها وانطلاقهم على دروب الحياة.

فكيف لها وهي الأم بالجسد أن لا تصير أماً بالروح للمسيح؟..

تاريخ البشرية مملوءٌ بأمّهات وكثيرات ذُكرن في معرض الحديث عن هذا الموضوع.. وفي غياب الأمهات الروحيات، صار الآباء الروحيون آباء وأمهات لأولادهم الروحيين.. لأن حضور الروح القدس يعلّم الرجل الحنان.. والآن، إذ تنامت المرأة، في وعيها لدورها الإنجيلي على مثال والدة الإله، فهي أيضاً بالإنجيل وبنعمة الروح القدس صارت أمّاً روحية متلّقنة الرجولة في الرب، وذلك بالعنف مع نفسها، لتخليصها من آثار سقطة حواء ولبسها قرار التفاني والصمت والقبول كما والدة الإله. دورها هو أن تصبح أمّاً وأمَة للسيد، مصلوبة على حبه، قبل صلبه هو على الخشبة لخلاص الكون..

والدة الإله هي حاضنة خالق السموات الأرض.. حاضنة الملء الإلهي. هي الكون المادي الذي أفرع من أحشائه زهرة الحياة وشجرة المعرفة، المدعوين كلنا أن نأكل منها فنصير آدم الجديد، مسحاء لا يموتون، بل يحيون مع إلههم في القيامة، ولكن بعد موت الصليب. كذلك كل امرأة تروم لبس والدة الإله وحياتها.

لننظر بعين الرب، فلا بدّ لنا أن نرى وجه الأم الروحية حولنا في الأديار والرعايا والكنيسة وفي تاريخها وحاضرها. **(الأم مريم زكا)**

س ١٩٠– كيف نتوب عملياً؟ هل توجد أعمال معينة ينبغي أن ترافق التوبة؟

ج ١٩٠ – "توبوا فقد اقترب ملكوت السموات" (متى ٣: ٢). هذه كانت صرخة يوحنا

المعمدان في نهاية بشارته، إذ دعا الناس إلى المعمودية بالماء، وهذه الدعوة كانت أيضاً بداية بشارة الرب يسوع المسيح في حياته على الأرض..

ما هي التوبة؟... هي الرجوع عن؛ والامتداد إلى؛ الرجوع عن الخطيئة والامتداد إلى الله.. حفظ وصاياه وتطبيقها.

التوبة هي سرّ محبة الإنسان لإلهه وهي العربون والخاتم الذي يلبسه الله للإنسان علامة خطبته له إلى الأبد.

التوبة هي السلّم التي يرتقي عليها وبها الإنسان، فيصعد من فساد طبيعته التي تدّنست بالسقوط وبالابتعاد عن الله والعودة إلى الأحضان الأبوية.

التوبة هي الـ "نَعَم" التي نطقت بها مريم الفتاة البتول لله، لتحبل بالروح القدس وتلد الرب مخلِّص العالم.

التوبة هي وعي خطيئة آدم الأوّل وسقوطه مبتعداً عن الرب إلهه ومخلِّصه، وارتداده إلى مُعطي الحياة، طالباً غفرانه وعيش كلمته بكل كيانه.

التوبة هي دخولنا في سرّ الفداء الأبدي الذي ارتضى الرب أن يأخذه على نفسه فصار هو الفدية والذبيحة عن معاصينا لخلاصنا.

التوبة هي قطع المشيئة الذاتية وليس مشيئة الله في "آمين" الحياة معه. والتوبة هي خلع جلدنا الميت ولبس نور المسيح ورقّته وعذوبته وحنانه وفدائه.

التوبة هي "قوس قزح" الخلاص الذي يُعلنه الله لنا في أنه لن يُدخلنا بعد في طوفان جديد لمحق خطايانا ومعاصينا.

التوبة هي الخلاص.. وهي بداية حياتنا مع الله، مسيرتها اليومية وقمّتها.

أما التوبة "عملياً" فهي تغيير القلب.. وتغيير القلب يعني تحوّله من قلب صخري إلى قلب لحمي.. من القسوة إلى الحنان، من العصيان إلى الموافقة والرضى.. من الابتعاد إلى القُربى، من الشكّ إلى التسليم، من اللا إلى "النَّعَم".. التوبة هي طلب الغفران..

وهذا التغيير لا يحصل إلا بتغيير نمط حياتنا والتجائنا إلى الرب باحثين فيه عن الخلاص وبكلمته عن الأبدية.

إن الكنيسة والآباء الذين سبقونا علّمونا أن أساس التوبة هو حفظ الوصايا وتطبيقها.. وتطبيق الوصايا يعني الارتداد عن الخطيئة التي كنّا نقترفها بالفكر أو بالقول أو بالفعل، بمعرفة وبغير معرفة، بالليل والنهار.. إذ ذاك ورويداً رويداً نجد أن عتمات الفكر والقلب والنيّة بدأت تنقشع وأن الظلمة تتحوّل إلى نور يفعّل إيماننا الصغير، و"الرب لا يُطفئ فتيلاً مدخّناً" (متى ١٢: ٢٠)؛ فقط على الإنسان أن يسعى وأن يعرف أنه كان على خطأ وفي الضلال، وأنه يريد أن يتحوّل إلى إنسان جديد، بالإنجيل والأسرار والكنيسة والآباء والصلاة والحياة اليومية واليقظة والابتعاد عن مناخ الخطيئة الذي نعيش فيه.

التوبة هي التزام الرب وحبّه من كل القلب والفكر والكيان لنصل به إلى الاتضاع. أما الأعمال التي عليها أن ترافق التوبة وتغيير القلب كما ذكرنا فهي:

أولاً: اتخاذ مرشد روحي يدلّنا على خفايا نفسنا ودواخلها وزواريب عتماتها. والمرشد الروحي بإمكانه أن يكون أباً روحياً أو أمّاً روحية، متمرِّسين بالصلاة والحياة الروحية، مشهوداً لهما – أي الأب الروحي أو الأم الروحية – بالتقوى؛ والروح يدلّ على ذاته في الناس فتعرف سيرتهم وتتبع فوح عطرها[٤].

ثانياً: تطبيق ما يقولانه لنا بحرفية الطاعة والحب الإلهي؛ والأولى أن نعترف أمام الله وأنفسنا أن هؤلاء الأشخاص بالنسبة لنا هم أيقونة المسيح ووالدته وأن أمام الله وأن الروح القدس قد اتخذهما مسكناً له، وهو ينطق فيهما ومن خلالهما لإرشادنا إلى الخلاص إن نحن دخلنا معهما في علاقة حب وثقة وطاعة. إن طاعة هؤلاء الأشخاص هي طاعة موجَّهة للإله الرب يسوع المسيح.. أما إذا لم يتوفّر لنا هؤلاء الأشخاص، فعلينا بالصلاة يومياً، صبحاً ومساءً، وقراءة الكتاب المقدس بفهمٍ وروح خشوعٍ واتضاع، ساعين إلى تطبيق كلمة الإنجيل، واتّباع أصوام الكنيسة المقرَّرة وسؤال كاهن الرعية عن شيئيات حياتنا.

---

(٤) هناك موهبة تمييز الأرواح. المرشدون الروحيون الكبار موهوبون: لهم موهبة روح التمييز يميّزون بها أفكار أبنائهم الروحيين. غريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصصي طالبا بالاختصاص إذ المهمة تقتضي علماً وفنّاً. فالمرشد صاحب علم روحي وفن روحي. تدرّب عملياً كما يتدرب الأطباء والمحامون. والنوح على الخطايا باب مهم في الكتابات النسكية. فلا بد من مرشد خبير يقود نوح التائبين من مثل رجال المقالة ٥ من السلّم إلى الله. فقد يبالغ في التذلّل أمام الله وفي نخس القلب فيدنو من اليأس من نفسه (اسبيرو جبور).

ثالثاً: محبة الفقير وعمل الإحسان.

رابعاً: الصمت وعدم إدانة الآخرين علانية أو في الفكر، وردع المدينين حولنا لأخوتهم أو للغرباء.

خامساً: قبول أية مهانة توجَّه إلينا والقول إننا نستحقها.

سادساً: الانخراط والعيش قدر المستطاع مع جماعة المؤمنين في الرعية أو الحركة.

هذه المواقف مجتمعة تجعلنا نسلك في معرفة ذواتنا وهذه المعرفة تجعلنا أقرب إلى التوبة.. فنتخلّى شيئاً فشيئاً بإرشاد مرشدنا، عن خطايانا وخصالنا الرديئة ونتمسّك بالصلاة والصوم والاعتراف وأعمال البرّ لإرضاء الله، فيصبح بمقدورنا التخلّي عن سيّئاتنا. المهم الإجابة عن سؤال الرب لنا: "أتريد أن تُشفى؟" (يو ٥: ٦). إذا أردنا من كل القلب والنفس والفكر والنيّة صرخنا إلى ربّ القوات طالبين منه المساعدة، وهو سينجدنا على ضعفنا فنخلص لا من خطايانا فقط، ولكنه يُدخلنا معه إلى الحياة الأبدية.
(الأم مريم زكّا)

س ١٩١ – كيف يستطيع المسيحي أن يتوب عن خطيئة معينة إن كان لا يستطيع التوقف عن ارتكابها؟

ج ١٩١ – التوبة هي معرفة يقينية وإقرار بالخطيئة وطلب الرجوع عنها. هي مسيرة واعية وحثيثة صوب البر. هي إرادة لا تتزعزع في القيام بعد السقوط. هي طلب العون الإلهي في كل لحظة. "اللهم أسْرِعْ إليّ. معيني ومنقذي أنت يا رب فلا تُبطئ" (مز ٧٠: ٥).

لن يستطيع أي إنسان مسيحي أن يتوب عن خطيئة معينة – كما سميتها – إن لم يقرّ بضعفه أولاً، ثم يستجير بالرب يسوع فيهرع إلى طلب العون من الكاهن أو الأب الروحي أو الأم الروحية أو حتى من الشيوخ في مجموعة الكنيسة. ونقصد بالشيوخ هنا أولئك الذين كرّسوا حياتهم للرب في مجتمع كنيستهم في العالم من رجال ونساء.

والمسيرة تلك ليست سهلة. فإن الإنسان أصبح منقسم الإرادة بعد السقوط. فهو يسعى إلى الخطيئة وكأنها صارت حاجة كيانية له. وهي بعد أن تغلّفه تمنع عنه الرؤية الصحيحة، رؤية النور والحق.. تحيك الخطيئة رُبُطها حول قلب الإنسان فتشدّه إليها، وتشلّ إرادته الصالحة وتخلق له مع الوقت إرادة الوقوع في الخطيئة والتعلّق بها، بل الاتكاء عليها، كأنها صارت هي خلاصه. لذلك على المؤمن الخاطئ أن يلجأ إلى معين يساعده على "ذاته" في عمل استئصال لتلك الخطيئة.

لكن علينا أن لا نجزع أو نتراجع إذا عدنا وسقطنا. المهم في كل مرة نقع فيها، أن نعود ونقوم، نافضين الغبار عن ثيابنا وأجسادنا ونفوسنا. وأن نعود ونأخذ جرعة الدواء الواقية، من الصلاة والاعتراف والدموع والقرار على إعادة الكرّة وختم قلوبنا ببدايات جديدة.

...اكشفْ قلبك يا حبيبي، بصدقٍ وأمانة وحب لمرشدك الروحي. لا تخف أو تقنط من نفسك، فمسيحك تجسّد ليخلّصكَ من سقطتك. إنه الإله الرحيم واليد الماسحة كل ظلمة عن قلبك وعقلك وكيانك. إنه مجدِّدك بالتوبة والدموع والصلاة والاعتراف والمناولة. فقط سلِّم نفسك كالأطفال له وهو يعيد تربيتك بحبّه ووصاياه. فقط قل: أنت ربي وإلهي، لتكن مشيئتك فيّ...

ولا تنسى أن تبتعد عن أرض الخطيئة وما يذكّرك بها من بشر وأشياء. ارحل إلى أرض جديدة لكي تتجدّد أنت بكل كيانك، ولا تعود بفكرك إلى ماضي خطيئتك. لا تفكّر بما اقترفته من آثام، ولا تسترجع تفاصيل فعلتك. ادفن كل شيء في قلبك التائب، المصلّي الصائم.. قدّم ذبائح للتوبة؛ وهي القلب المتخشّع المتواضع المنسحق. لا تعود إلى الاستكبار والثقة بالنفس، فهذان هما النزعة الأولى إلى السقوط. لا تعاند تعاليم الكنيسة وإرشادات مَن تلجأ إليهم ليغيثوك. هكذا سيتنقّى قلبك رويداً رويداً وستسمع صوته في قلبك بعد حين قائلاً لك: ابصر؛ اذهب وأرِ نفسك للكاهن.. لكن لا تنسى أن تعود شاكراً ليُطلقك فتصير أنت معلِّماً للعفّة الإلهية. **(الأم مريم زكا)**

س ١٩٢ – هل يكفي المعترف أن يعترف بشكل عام عن خطاياه (لقد زنيتُ، لقد كذبتُ الخ..) أم هل يجب أن يسرد بالتفصيل خطاياه؟

ج ١٩٢ – ليس من الضرورة أن يسرد المعترف خطاياه بالتفصيل، ولا سيما الخطايا

المنافية للعفة. أما إذا رأى الأب المعرِّف أن يستفسر عن ظروف بقية الخطايا بغية تكوين ما يساعده على الارشاد، فحينئذ يجيبه المعترف بما يلزم دون تطويل أو إسهاب. **(الأب الياس مرقس)**

س ١٩٣ – ماذا يفعل المسيحي إذا اختلف مع أبيه الروحي في أمر ما؟ ألا يمكن أن يخطئ الأب الروحي أو يسيء التقدير وهو إنسان؟

ج ١٩٣ – لا شك أن الأب الروحي يمكن أن يخطئ أو يسيء التقدير، فهو إنسان، ولكن الأمر يجب أن يُطرح لا على صعيد العقل ولا على صعيد الملائمة الفعلية، بل على صعيد الروح والملائمة الروحية. من حق الابن الروحي أن يبيّن لأبيه رأيه ويستوضحه في الأمر، ولا سيما إذا كان الأمر مهمّاً ذا شأن، ولكن لا على سبيل الجدل أو العناد.. وإذا بقي الأب الروحي على رأيه فالأفضل أن يعمد الابن إلى طاعته. وقد تكون في ذلك فائدة روحية، وقد يؤول ذلك "إلى الخير للذين يحبون الله" (رو٨: ٢٨). أما إذا لم يكن لدى الابن الروحي هذا الاستعداد للطاعة والتسليم بتواضع، والإيمان بعناية الله فلا مجال حينذاك لبقاء الأبوّة الروحية. **(الأب الياس مرقس)**

س ١٩٤ – هل يستطيع المسيحي أن يغيّر أباه الروحي؟

ج ١٩٤ – وهل يغيّر الإنسان أباه المولود من صُلبه؟.. هل يغيّر الإنسان أباه في الجسد؟.. المولود منه؟ فكيف بإمكان الإنسان إذاً أن يغيّر أباه الروحي؟

الأب الروحي لا يُغيَّر إلا إذا هرطق؛ أي إذا بثَّ لنا تعليماً مناقضاً لتعليم الكنيسة والتزم هرطقة أو تعليماً مخالفاً لتعليم المجامع.

المزاج لا يدخل في اختيار الأب الروحي، ويجب أن لا يتدخّل في تغييره إذا تبدّلت الظروف أو تغيّرت شخصيتنا أو لأي سبب آخر..

أما اختيار الأب الروحي فيكون هكذا.. وإننا بالطبع نتكلّم عن الأم الروحية أيضاً في هذا المجال.. أما الاعتراف فبإمكان أي كاهن يحمل "الدرع" أو رتبة الأبوة الروحية

أن يعرّف المؤمن الآتي إليه. ليتخلّص من خطاياه دون أن يرشده، قسراً، إلى كيفية السلوك الروحي أو إلى حياة الصلاة، إلا إذا طلبها ذاك المؤمن منه..

إبّان حياتنا الروحية، نبدأ بسماع الخبر.. ثم ندخل الكنيسة ونصير جزءاً من جماعة المؤمنين الذين يسعون إلى عيش الإنجيل في حياتهم الخاصة؛ ومن خلال الجماعة ومعها يبدأ السماع، فيدلّنا الروح من خلال الأخوة إلى الأديار، حيث تتواجد هناك، وبشكل مميَّز، الأبوّة أو الأمومة الروحية، وذاك لا يلغي أيضاً وجود مثل هؤلاء الأشخاص في المدينة وفي الرعايا.. ولكن التقليد دلّنا أن خبرة الآباء الروحية موجودة بشكل أوفر في الديار حيث يتفرّغ الراهب أو الراهبة إلى حياة الصلاة العميقة؛ إلى حياة التوحّد والغوص في أعماق النفس البشرية حيث يسكن الإله: "ملكوت السموات في داخلكم.." (لو ١٧: ٢١)، فيسعيان لتنظيف وتنقية ذاك الهيكل الحامل الإله والولوج في حبّ الرب الخالص وفي الصلاة النقيّة. في الدير ينصرف الإنسان بكل طاقاته وكيانه إلى البحث عن كيفية اقتناء النعمة الإلهية وإرضاء الرب، وعدم التخلّي عن الإله من ذاته بسبب فكر أو عمل سيء يقوم به. وإذ يبحث عن مرشدين، يستدل إلى تراث الآباء والرهبان الذين سبقوه في ذاك السعي، فيبدأ بالدراسة والتمحيص والقراءة والبحث والعيش من خدمة كنيسته إلى خدمة المؤمنين طالباً وجه السيد في القريب والبعيد والصلاة لأجلهم.

هذا كله يجعل نفس الراهب أو الراهبة حسّاسة أكثر وعارفة تالياً مداخيل السرّ المخفي فيها. إن الوقت الطويل المكرَّس للصلاة والخلوة مع الرب هما عنصران أساسيان في السعي الرهباني للتعرّف على الإلهيات وعلى ذاته الخفيّة.

يبدأ الراهب أو الراهبة عيش الإلهيات فيخرج عطرٌ سماوي من سيرة نسكهما وتقشّفهما وحياتهما، فيضيء نورهما في الكنيسة فيعرف الناس بالإنباء أنهما حاملا اللاهوت المُعاش..

وإذ يقصد الطالب الحياة والعيش الروحيين، يلتقي هؤلاء الأشخاص بالصلاة، وبروح الرب يستدلّ على الآباء أو الأمهات، فيقترب ويصافحهم بالروح وينتظر إعلانات الرب له

إن كان هذا الأب، أو تلك الأم، هو مَن يسعى إليه.. وتتكرّر الزيارات، والجلوس للسماع، والصلاة حتى تنقّدح شرارة الحب الإلهي بين الطالب الرب وحامله ليعلنه في حياة قدوسة لا عيب فيها. ورويداً رويداً تبدأ مسيرة الحب الإلهي بين المريد والأب الروحي أو الأم الروحية، وتتوثّق العُرى وإذ يدخل الاثنان في سرّ المعرفة الإلهية، والتعرّف والحب يتثبّت الطالب من أن هذا الإنسان هو المرسَل إليه من الله، فيتبنّى الواحد منهما الآخر إلى الحياة، إلى الأبد..

هنا ندخل في سرّ الحب الإلهي الذي إذا تنزّل بين البشر لا يعود ينقطع أو يُقتلع، ولا يتغيّر لأي سبب من الأسباب إلا لسبب هرطقة كما ذكرنا آنفاً.. ويتبنّى الأبُ الابنَ والابنُ الأبَ أو الأمَ إلى الأبد، حاملين بعضهما بعضاً بالفرح والحزن والضيق والتخلّي والمرض والجوع والعطش والفقر والغنى والضعف البشري الذي بإمكانه أن يطرأ على كل منهما.. فالأب أو الأم مهما أخطأ ابنهما عليهما أن يحملانه وينظّفا أوساخه ليعود لامعاً كالشمس أمام عرش الملك السماوي. كذلك إذا ظهر أي ضعف من أبيهما أو أمهما الروحيين، فعلى الابن أو الابنة أن يقبلا بعضهما بعضاً بالحب.. فالحب يستر جمّاً من العيوب بل كل العيوب. وإذ يعرف الجميع أنهم يسعون إلى الله لأجل القداسة يعبران فوق ضعفاتهما، فيصبحان كواكب تدور في فلك الإله ليستقيا نوراً من نوره وحياة من حياته.. يدخلان في سرّ الحب الثالوثي الذي لا ينفصم إلى الأبد.. الأب الروحي أو الأم الروحية هما اللذان يحملان ابنهما أمام العرش الإلهي في يوم الدينونة.

فكيف، وإصبع الرب بينهما، بالإمكان للواحد أن يتخلّى عن الآخر؟!...

الابن يختار الأبَ والأبُ يلد الابنَ من أحشائه، بل من أحشاء الرب فيه وإلى الأبدي وحتى يثبت هذا الحب وهذه الأبدية، على الابن الروحي أن يطيع أباه الروحي كما أطاع الابنُ الكلمةُ الآبَ السماوي..

والطاعة تالياً تكون متبادلة بين الأب والابن ولا طاعة إلا في الحب، والحب يولِّد التبنّي بين الاثنين، فلا يتخلّى أحدهما عن الآخر ولا في أي ظرف أو تحت أية ضائقة. يحملان بعضهما بعضاً في السرّ وفي العلن، يحتضنان بعضهما بعضاً، فيصبحان واحداً، يتداخلان إلى الأعماق فلا يخفي الابن أية خلجة من خلجات نفسه أو روحه أو جسده

أو عقله قدام أبيه.. وهذا الكشف هو ما يجعل السرّ مسمَّراً على الآخر وفي أحشاء الآخر، تالياً في أحشاء الله.

والأب لا يمنع أية معرفة لديه عن ابنه. يحمله في سرّه ويُطلقه إلى أحشاء الرب. يدربّه، يعلّمه، يلقّنه العلم الإلهي والصلاة، والحب الذي عاشه وخبره. يسمع منه ويُسمعه السرّ، وهذا السماع يجعلهما يقولان سوية: "تكلّم يا رب فإنَّ عبدك يسمع" (١صمو ٣: ١٠). وإذ يسمع يتكلّم الرب فيلقنهما سرّ حبّه للبشرية، فيأخذان ويرشفان من معين النعمة الإلهية والكنيسة والآباء والتقليد، فيُخرج الأصل فرعاً وهكذا حتى تكتمل سلسلة الآباء والأبناء في كنيسة المسيح وتستمر. **(الأم مريم زكّا)**

س ١٩٥- ما هي أهمية أن يكون لكل مسيحي أب روحي؟ وما هي حقوق وواجبات الأب الروحي والابن الروحي؟

ج ١٩٥ - كل إنسان يولد من أب - وأم - والابن سرّ أبيه، كما البنت سرّ أمها. وكل مولود من صلب إنسان يقذف فيه حياته، يعطيه ما ورثه من آبائه وأجداده؛ يعلّمه طرق الحياة، ويودعه مسيرته حتى نهاياتها. هكذا هي السلالة والسلسلة المتوارثة البشرية، الجسدية منها والروحية.

هناك صراع الأجيال أيضاً. فالأب هو مالك الجميع، كل أفراد عائلته، خاصة أولاده. لذلك فهو يقرّر غالباً عنهم فكرهم ومسيرتهم ومستقبلهم في أكثر الأحيان، فيوجّههم ويغيّر ما في نفوسهم، ليجعل منهم غالباً نسخة عنه، صورة له، تحكيه متجدّداً وشاباً، لا يموت، لأنه هكذا يظن أنه يحيا بأولاده ويستمر.

أفرغ الآب السماوي ذاته في ابنه، ابن الله الوحيد: "مَن رآني فقد رأى الآب" (يو ١٤: ٩). ويصيران واحداً.

هذا هو الاتحاد الروحي الحقيقي وهذا هو عرس النفس البشرية، أن تصير وأباها الروحي واحداً، مالكة بالصبر وببذل الذات حتى الموت عن الآخر، صورة وحدة الآب مع الابن بالروح القدس..

كل علاقة بين الأب الروحي – أو الأم الروحية – مع أولادهم لا تعيش سرّ الحب الثالوثي فذاك ليس حياة في الروح القدس وليس أبوّة أو أمومة روحية.

وإن لم يتعلّم الأب الروحي ،أو الأم الروحية، من الروح القدس كل معرفتهما، فإنهما يعطيان إرثاً لا يرضى عنه الرب يسوع المسيح.

"أنا ولدتكم في المسيح" يقول بولس الرسول.. لأن المسيح عرفه من البطن واختاره إناء له، أفرغ فيه ذاته، بالصليب اليومي. فحمل المسيح ودفعه للناس حتى يؤمنوا.

نحن أولاد متبَنِّين بالدم المُراق من جنب السيد ولسنا أولاداً من الحجارة والأحرف. لذلك فالأبوّة الروحية معناها أن نكون أولاداً لله بالتبنّي من قبل الذين اختارهم الرب فقالوا له: "نعم. ها أنذا أمَة للرب"...

نعم، نحن بحاجة إلى يدٍ تُمسك بيدنا لتقودنا إلى سرّ معرفة الثالوث بالروح القدس، ومعرفة طبيعتنا الساقطة التي احتالت عليها المعرفة – الحيّة بسمّها – فألقتها خارج الفردوس الأبوي.. نحن بحاجة لَمَن يدلّنا على فخاخ العدو ويحملنا فوق منكبيه ليطلع بنا مرّ الأشراك... نحن بحاجة لَمَن يعلّمنا بحبه وحنانه وصبره ودموعه كيف نفتح مخازن أنفسنا، لنُخرج منها الغث والثمين، فنرمي المستَقبح ونُبقي على البركات فننميّها بالأعراق والأصوام والصلوات والحب الذي يمنحنا الطاعة لكلمة الرب في مرشدنا الروحي.. نحن بحاجة لَمَن يعلّمنا الصلاة ويكشف لنا وجه الرب. نعم، فكل مؤمن بحاجة إلى أب أو أم روحية، حتى يتعلّم منهما علم العلوم، وهو الحياة الروحية الحقيقية في المسيح، كما نحن بحاجة إلى معلّم يعلّمنا القراءة والكتابة، الروح أحق.

ليس من واجبات وحقوق بين الذين يحبّون الرب. ناهيك عن الآباء والأبناء.. الحق المطلوب هو حق الحب، وثمنه الصليب والمصلوب عليه.. لأن الأب الروحي أو الأم الروحية عاشا ذاك الصليب في جهادات سنواتهما الطويلة في القربى مع الله...

أما أن نغيّر أبانا الروحي أو أمنا الروحية فالأمر كأننا نغيّر جلدنا.. نسلخه لنلبس جلداً جديداً.. من الممكن ألا نتفق على موقف، على فكرة، على مسلك. الصلاة والحب والحوار هي التي ستجعلنا نتخطّى هذا المشكل..

وأنا مؤمنة جداً بالصراحة والوضوح؛ قل لأبيك أو لأمك ما يُعيقك من تصرّفهم أو

أقوالهم، مسيرتك الروحية.. الأب الروحي أو الأم الروحية يكبران مع أولادهما وبأولادهما. يتعلّمان منهم سرّ النفس البشرية، أيضاً وأيضاً.. كل إنسان مرسَل إلينا للاسترشاد بإمكانه أن يكون حاملاً كلمة الرب لنا. فإذا انفتحنا هكذا بالحب والحنان وإخلاء الذات، لنتعلّم من الآخرين، فإننا سنسير بتأييد الرب إلى مرافقه..

نحن طلاّب قداسة الله، وهمّنا أن نبحث عن قديس يدلّنا على طريق الرب، ويسير معنا عليها. أيها الأبناء، إن واجهتكم صعوبة صلّوا واسجدوا لأجلها والرب سيغيّر كل شيء لخيركم. ويا أيها الآباء، أفسحوا مطرحاً حتى يكبر أولادكم ويطالوكم ويتخطوكم في بعض الأحيان بعطية ونعمة من لدن أبي الأنوار. ولنتخلّى عن أنفسنا في كل فعل وقول وفكر ولنحيا ولنقل في كل شيء: "إن عشنا فللرب نحيا، وإن متنا فللرب نموت" (رو١٤: ٨).
(الأم مريم زكا)

س ١٩٦ – هل يجب على كل مسيحي أن يكون له قانون يومي من الصلاة؟ وكيف يبدأ المسيحي أول قانون له؟

ج ١٩٦ – "أقف قدامك وتراني" (مز٥: ٣). هذا هو فعل الصلاة الأول: أن نقف قدام الرب. أن نعرف أن هناك إلهاً، خالقاً السماوات والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وأنه خالقنا نحن أيضاً، وأننا بحاجة إليه كي يحفظنا ويحمينا من غوائل العدو والشرير. والموت هو عدو الإنسان الأول، و"بالخطيئة دخل الموت إلى العالم" (رو٥: ١٢ بتصرّف).

الخطيئة هي الابتعاد عن الله. إذاً، الخطيئة الأولى هي عدم الصلاة. لهذا فالإنسان مدعو إلى الصلاة، كي يبقى تحت عين خالقه محفوظاً من الموت.. لكن كل إنسان يموت. والموت الحقيقي هو موت الروح. لأنه بموت الروح يكون الإله قد مات فينا وعنّا.. لأن "الروح هو الذي يحيي" (يو٦: ٦٣).

الإنسان يقتني الروح الإلهي بالمعمودية والميرون والقربان، إنما ينمو فيه إلى ملء قامة المسيح بالصلاة أولاً والفضائل. بعدها يتدرّج، بل الروح نفسه هو الذي يدرجه على "طريق الحق والحياة" الذي هو يسوع المسيح.

قانون الصلاة هو أن نضبط نوازع هذه النفس التائقة إلى التفلّت الدائم من الرب؛ إليه.

حاجتنا إلى الصلاة هي كحاجتنا إلى الماء والغذاء، والرب أظهر لنا ذاته تحت علامة نفهمها: "خذوا كلوا" "واشربوا منه كلكم".. (القداس الإلهي) المأكل والمشرب... هاتان هما حاجتا الإنسان كي يحيا.. والحياة الحق هي بأكل وشرب جسد ودم الرب يسوع المسيح.

وضعت الكنيسة للمؤمنين "قانون" صلاة يومي. فهي قسّمت النهار إلى سبع محطات صلاتية: النهوض من النوم، السحر، الساعات الأولى، والثالثة والسادسة والتاسعة، صلاة الغروب، وصلاة النوم ونصف الليل، وقمّتها القداس الإلهي.

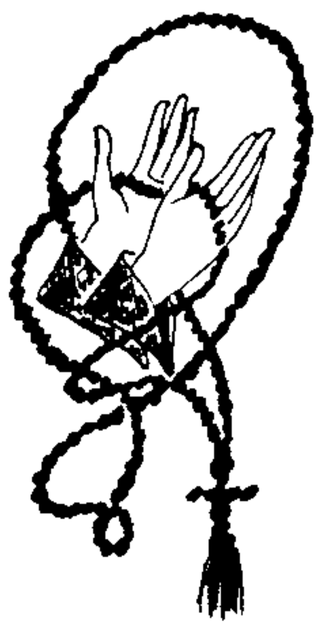

نحن نصلّي، كي نتعلّم الحب ونصير على صورة الثالوث متّحدين، متّجهين باتجاه بعضنا بعضاً، صوب النور الإلهي المنبعث من الآب المشعّ في الابن بواسطة الروح القدس.

الصلاة، أو قانون الصلاة، هي عملية استنشاق النّفَس حتى لا يختنق الإنسان. فأول قانون أو أول صلاة للمؤمن هي معرفة أنه هناك خالق، وأننا بحاجة إليه، لذلك فنحن نرفع الشكر أولاً والتمجيد، ثم وبعد أن نبدأ بالدعاء تنشدّ النفس إلى أكثر، بتحريك الروح الإلهي لها...

ما أحلى أن يقف كل إنسان أول صحوته صباحاً أمام أيقونته، يضيء شمعة ويبدأ بالصلاة، ينظر مصدر النور ليأخذ منه نور النهار، فتستضيء روحه بالحب الإلهي... ليس المطلوب صلوات طويلة.. هذا خبز الرهبان وقوّتهم. ولأهل العالم إذا أرادوا، وكان لديهم الوقت فليأخذوا جرعة من نبع المياه الحي، فيطفئوا عطش أرواحهم... ابدأوا نهاركم بصلاة النهوض من النوم؛ بضع سجدات؛ مزامير السحر إذا أمكن، وقراءة الكتاب المقدس... وبإمكانكم أن تقرأوا رسالة وإنجيل النهار المرتّبة في كتب خاصة.. ثم وبحملكم هذه "الزوّادة" اليومية انطلقوا إلى حياتكم.. لكن بإمكانكم إن

تلهجوا باسم الرب يسوع في كل لحظة.. يا يسوع ارحمني، يا يسوع احفظني، يا يسوع توّبني، يا يسوع احمني، يا يسوع ارحمني.. وهكذا حتى المساء، حتى يجيء وقت النوم.. هناك اكشفوا نهاركم للرب ودعوه يدخل فيه، وهو العارف به بكل تفاصيله، واستغفروا عن خطايا القول أو الفكر أو الفعل، ثم اخلدوا بصلاة النوم إلى نوم هادئ حاملين اسمه القدوس أيضاً وأيضاً، فيضبط أرواح الليل والأشباح المظلمة والخيالات والأوهام فيحوّلها إلى سلام وسكون.

هكذا نزنّر حقوينا وحياتنا بالزنّار الإلهي، ولا تنسوا أن تطلبوا شفاعة والدة الإله، فهي مدخلنا إلى المسيح. نحن ندق الباب وحين يسمع الرب صوتها حاملة اسمنا، فإنه يفتح لنا، كي ندخل إليه، ونسجد عند قدميه طالبين معونته وساكبين القلب والوجع أمامه. صلّوا، صلّوا ولا تملّوا (لو١٨: ١). **(الأم مريم زكا)**

س ١٩٧ – أحياناً أخاف أن أصلّي لأني أشعر بخطاياي أمام الله وبأني لستُ مستحقاً أن أقف أمامه وأرفع صلاتي إليه. ماذا يجب أن افعل في مثل هذه الحالة؟

ج ١٩٧ – بالصلاة يُعبَر عن وضعنا كما هو، وعن حاجتنا. والحقيقة أننا كلنا غير مستحقين أن نقف أمام الله. ولكن نعرف أن رحمته لا حد لها، وأنه إنما جاء ليخلّص الخطاة. لهذا نلجأ إليه ساجدين وباكين (إن استطعنا) بتواضع كلي وبإيمان بمحبة لله التي لا توصف، شرط أن نكون تائبين وعازمين بمعونته على عدم العودة إلى خطايانا. ويحسن الاستعداد بمقاصَّة أنفسنا، وبالصوم والسجدات والصمت وغيرها، وباستشارة الأب الروحي في ذلك. مساعدة الأب الروحي ضرورية لكشف الأرواح الشريرة التي تعوق عودتنا إلى الله. فكل المشاعر السلبية لها دوافع شيطانية نقاومها بالبسالة الروحية. **(الأب الياس مرقس)**

س ١٩٨– كيف نعالج حالة الإحساس بتخلّي الله عنا؟

ج ١٩٨ – "ها أنذا معكم كل الأيام وإلى منتهى الدهر" (مت٢٨: ٢٠).

هكذا وعدنا إلهنا. إنه يبقى معنا بالروح القدس.. أنا ذاهب وأرسل لكم المعزّي روح الحق الذي يبقى معك إلى الأبد (راجع يو١٤: ١٦– ١٧).

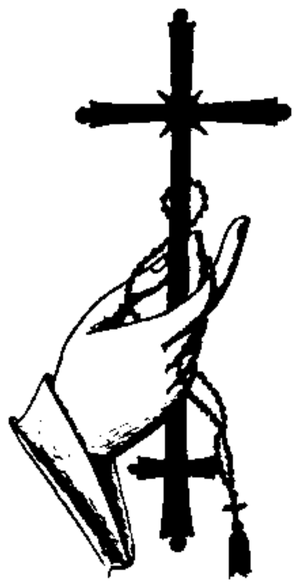

الله لا يتخلّى عن جبلته، عن أعمال يديه. هو خلقنا ليحيا معنا، ونحن وإياه في فردوس نعيمه، في هذه الحياة.. أعطانا الأرض امتداداً لملكه السماوي؛ أعطانا حضوره معنا في هذا العمر. تجسّد مالكاً كل خلية من خلايانا، قبل أن يسكن في بيت جسدنا، الأهوائي العتيق الضعيف... عُلِّق مرة بالجسد على الصليب ومازال كل يوم يُعلَّق على جسد خطيئتنا.. ولم يبرح عنا ولا قنط من حمل لعنة سقوطنا. وقال لنا: "افرحوا وأقول دوماً افرحوا"... هذه هي دعوة الرب: أن نفرح به.. لأن نفسنا مغمورة بالموت والأنانية والحزن والشقاء والألم والمرض والكره والحسد وحب القنية والاستكبار والزنى... كل الإنسان مريض، من قمة الرأس إلى أخمص القدمين.. وليس من فرح إلا به وحده، بالرب القدوس.

بهذه الأهواء ننجرّ مبتعدين عن الله.. وإذ ننغمس في هوى ما، أو في فعل خطيئة، نبتعد تلقائياً عن الحق، ونتبنّى الباطل فتحزن نفوسنا، أو ننجرف في بحر أهوائنا تلك، في إتمام مشيئتنا، فنسقط شيئاً فشيئاً مبتعدين عن مصدر النور الحقيقي، عن الله.

الله لا يتخلّى عنا؛ نحن نتخلّى عنه.

الشعور بالتخلّي الإلهي ينقسم إلى قسمين: أولاً، عندما لا يتمم الرب لنا مشيئتنا، وعندما لا يفعل لنا ما نريده، نقول: لقد تخلّى الله عنا.. عندما يحرمنا من شيء نحبه أو من إنسان عزيز، نقول أيضاً: لقد تخلّى الله عنا. وغالباً ما نطلب من الله أن يكون "خادماً" لنا، لأهوائنا، لمطالبنا، لرغباتنا، لاحتياجاتنا. وإلا نعاديه، فنتّهمه بالتقصير والابتعاد عنا.

ثانياً، الإحساس الروحي بالتخلّي الإلهي، وهذا الإحساس له قصة أخرى.. إنها حكاية النفس التائقة إلى الاتحاد الدائم بالإله، وعدم الابتعاد عنه ولو للحظة واحدة.

في هذا المجال، لا يتخلّى الله عنا، لكنه يبتعد، ابتعاداً تدبيرياً تربوياً حتى نعرف، ونرى وتنمو نفوسنا وأحاسيسنا في حبّه وطلبه للالتصاق بنا. نعم، في بعض الأحيان يبتعد الله عنا حتى نسعى وراءه. نقترب منه، لنلتصق به ولا نعود نغادره من بعد.

لندخل هنا ولو قليلاً في واقع انشداد النفس البشرية إلى خالقها.

هي تولد منه؛ وفي سعيها تتوق دوماً إليه، لتعود فتتحد به.. هذه هي قمة المعرفة

البشرية. طلبنا الإطلاق، أي الانعتاق من رباطات الجسد، حتى نعود إلى خالقنا.. وفي هذا المجال يدخل الإنسان في عملية كرّ وفرّ مع الله. وهذه العملية هي عملية تربوية للنمو.. الله يُمسك يدنا كالأم لطفلها، حتى يعلّمنا الخطى الأولى. ثم يفلت اليدَ حتى نمشي وحدنا.. حتى نتعلّم المشي إليه. والسرّ هو: أن تبقى أنظارنا معلَّقة على وجهه. ضياء وجهه يأسرنا، يشدنا إليه فلا نعود نسقط أبداً.. لكن إذا أزحنا النظر، فذاك يعني أننا أُلهينا عنه بشيء آخر، صار أهم من الرب يسوع، وذاك الشيء يكون له في بعض الأحيان الاقتدار لكي يجذبنا إليه، يسرق انتباهنا واهتمامنا، يشدّنا لكي نتبعه.. وغالباً ما يكون حب هذا العالم والانغماس فيه هو الفخ. والرب قال لأحبائه: "أنتم لستم من هذا العالم" (يو ١٥: ١٩).

هذه هي المعرفة التي علينا أن نأخذها، نتبنّاها ونتعلّمها: أننا لسنا من هذا العالم.. إذاً نحن من عالم ثان، من عالم آخر.. والعالم الآخر هو عالم الله. هو الفردوس والملكوت والحياة الأبدية. وتدريب الله لنا يشتمل على هذه المعرفة، أن نكون لله بكليتنا.. لذلك فهو يقرّبنا إليه. وحين يحسّ بأن نفسنا تعبت أو اشتاقت إلى غيره، يتركنا نذهب إلى ذلك الآخر، حتى نعود بحريتنا وإرادتنا إليه"... أنتم لستم عبيداً بعد، بل أبناء الله تدعون" (راجع يو ١٥: ١٥ بتصرّف). هذه هي إطلاقية حبّ الله لنا، التبنّي.. إذاً علينا أن نختار أن نكون له، أبناءه وليس عبيداً مشدودين إلى مصلحتنا، لما نأخذ ونربح معه...

وفي قصدنا وقرار تبنّينا له، لأبينا وإلهنا، لحقيقة كياننا، نقبل راضين بالحب فنتحد به ونحيا معه ما عاشه هو لأجلنا؛ أي الألم والصليب لخلاصنا والآخر في حياتنا.

عندما يمرض الطفل أو يقع أو يتألم، فإنه يركض إلى حضن أمه وأبيه. وهذه هي الحال مع الله.. نتوجّع روحياً، نحسّ بوحدتنا وبأننا نخبط وحدنا في بحر هذا العمر، فلنركض إليه صارخين: "يا ربّي يسوع، ارحمني... نجّني، أسرع إليّ".. والمشكلة هنا، أن الإنسان الساقط إذ يقع يحاول القيام بقدرته الذاتية، فيبتعد عن الله... والمطلوب هو الله أولاً وأخيراً.. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧: ٢٨). فلنصرخ إلى الله، ونشدّد الصراخ ونكرر القرع وهو سيفتح لنا ولن يتخلّى عنا.. لأنه يقف وراء كل باب

بقلبٍ واجف محب ينتظر عودتنا، كالابن الضال إليه، ليأخذنا إلى خاصته ويُتكئنا معه ويركعٍ ويغسل أرجلنا ويرفعنا ليُجلسنا عن يمينه في هذا العمر وفي الدهر الآتي. (**الأم مريم زكا**)

س ١٩٩– كيف نفهم إماتة الجسد إن كانت الحياة الروحية هي حياة ما قبل الموت؟ وكيف تتوافق هذه الحياة مع متطلباتنا المادية وخاصة أننا نعيش في العالم ولنا واجبات اجتماعية معينة؟

ج ١٩٩ – "مَن يخلّصني من جسد الموت هذا؟" (رو٧: ٢٤). هذا ما قاله الرسول بولس وما تعرفه الكنيسة في حياتها الروحية منذ القديم. فالجسد يشتهي ضد الروح، والروح تودّ الانعتاق من سجن الجسد، لتعود إلى حضن إلهها من حيث خرجت. والجسد يعيق انطلاقتها تلك لأنه يأسرها بمتطلباته وبأحكامه وبنواميسه.

لذلك فسعي المسيحية هو أن يتوحّد الإنسان فيصبح كياناً قابلاً للإله.

الجسد يسعى إلى عبادة ذاته. هذا ما أولده له انشطار النفس عن حب الإله.. موت الفادي على الصليب هو الدواء للعدو أي لزوغان النفس والجسد. في تلك العدائية سقط الإنسان، في عشق ذاته، فصار يخاف الموت، لذا بنى أبراجاً وهمية وآلهة وثنية ليبقى على خلوده بعد الموت. فعبَد ما عَبَد من جسده ومشيئته وأفكاره واحتيالات حسّه.

الحياة الروحية ليست حياة ما قبل الموت، بل تصحيح وإعادة بنيان ما بدا يتهدم بالسقوط وبالابتعاد عن الرب الإله. في سعينا إلى حياة روحية نهتّم بإخراج الجسد من حركة زوغانه وراء إشباع حسّه ومتطلباته "الجسد–نفسية"، وإدراجه في أحكام الروح.

إذا أطلقنا العنان لرغبات الجسد والحس الجسدي، فإننا نسقط في الحيوانية التي تحاول أن تتفلّت من أي ضابط يمنع عنها ما تهواه وتودّ عيشه. والحرب اليوم هي في أن الجسد يرى جواباً له على كل ما يطلب، في كل ما حوله. المجتمع الاستهلاكي يُطفئ لهيب الروح بإطعام الجسد. وإسكات الروح يودي بالجسد إلى الدوران في دائرة مفرغة، حتى صارت حاجات الجسد أضعاف أضعاف ما طلبه أو عرفه آباؤنا. والجواب السريع

السطحي لدى الغالبية هو أننا بحاجة إلى أكثر. والحقيقة هي أننا فرغنا من الروح رويداً رويداً بخلقنا بنوكاً نرصد فيها كل طاقاتنا لإسكات حاجات الجسد. إنها حلقة مفرغة تُغني الجسدَ على حساب الروح.

إذا نظرنا حياتنا نجد أننا لسنا بحاجة إلى معظم ما نقتنيه من حاجات. لقد دفنّا أجسادنا ونفوسنا وعقولنا في التخمة، ثم صرخنا لماذا تتكاثر الأمراض ويتآكلنا السرطان الجسدي والنفسي والروحي.

فلنعد إلى فردوس النعيم الإلهي حيث نلقى الحياة الحق في ضبط الأهواء و"إماتة" رغبات الجسد والحدّ من سيطرتها على مسار حياتنا البشرية، وذلك بتقنين وتأطير الرغبات والأحاسيس والحاجات ودفع القلب باتجاه النور، نور المسيح ووصاياه في الإنجيل.

ويبقى الصوم هو الجواب. صوم الروح والنفس والجسد، لندخل في دائرة الحياة الإلهية، السماوية على الأرض، حياة الرب يسوع المسيح عندما قال للآب: "لتكن مشيئتك لا مشيئتي". هنا تدخل خبرة الكنيسة والآباء عبر الأجيال التي وضعت لنا ضوابط تحرّرنا من التفلّت والتعقيد. الإنسان بسيط بطبيعته، خُلق على صورة الله، فعليه أن يسعى إلى اقتناء المثال، أن يخرج من المجتمع الاستهلاكي الذي بناه فخاً وقبراً له؛ إلى مجتمع إنساني مسيحي بسيط يطلب فيه وجه ربه. على الإنسان المسيحي المؤمن أن يختار نمط عيشٍ إنجيليٍ يجعله يعيش في المجتمع ولكن يبقى بالحقيقة حرّاً من المجتمع. هكذا تحيا الروح وتتنقّى فتهذّب النفسَ وتخلّصها من تعقيداتها فيستنير الجسد ويتمسحن.

الإنسان المؤمن يفرض ناموس الإيمان على كل ما ومَن حوله. لذا فإنه يطيع ما تعلّمه إياه الكنيسة وما عاشه الآباء قبله. هكذا يخلص. وهذا ليس بسيط في أيامنا هذه، لكن الرب قال: "أنتم لستم من هذا العالم" (يو١٥: ١٩)، و"لا تخف أيها القطيع الصغير" (لو١٢: ٣٢).

بموتنا عن كثير من المجتمع حولنا، نحيا بالروح ونُحيي الروحَ بالإله الحق. **(الأم مريم زكا)**

س ٢٠٠ – للجسد معانٍ عديدة في الكتاب المقدس. ما هي هذه المعاني، خاصة فيما يتعلق بالحياة الروحية للمسيحي؟

ج ٢٠٠ – في الكتاب المقدس للجسد ٣ معانٍ:

١– الجسد المادي.

٢– البشر: "والكلمة صار جسداً" (يو ١: ١٤)

٣– عالم الخطايا كما في رومية ٧ وسواها.

في المعنى الأول قال يسوع: "الجسد لا يجدي نفعاً. الروح هو الذي يُحيي الجسد" (يو ٦: ٦٣). الآباء القديسون قالوا إن الجسد هو أداة الروح. والجسد بدون روح هو جيفة. وربطوا الخطيئة بالنفس والإرادة.

المعنى الثاني واضح في يو ١: ١٤ وسواه.

المعنى الثالث: قال بولس الرسول: "اسلكوا سبيل الروح ولا تقضوا شهوة الجسد، لأن الجسد يشتهي ما يخالف الروح، والروح يشتهي ما يخالف الجسد. كلاهما يقاوم الآخر... أعمال الجسد هي الزنى والدعارة والفجور وعبادة الأوثان، والسحر والعداوات والشقاق...." (غلاطية ٥: ١٧– ٢١؛ رومية ٨: ١٢– ١٦).

ليست كل هذه الخطايا جسدية بالمعنى الحرفي لكلمة "جسد". في كورنثوس الأولى يحدّد بولس الرسول بوضوح إن الزنى وحده جسدي (٦: ١٨). وفي هذا الفصل السادس نفسه نرى أن أجسادنا هي أعضاء المسيح وهياكل الله.

بولس قال إنه يقمع جسده. وبالفعل قمعه بالأصوام وسواها. فما نميته هو الشهوات لا الجسد؛ هو أعمال الجسد كما في غلاطية ورومية أعلاه. ورأينا إن أعمال الجسد تشمل الزنى وكل الخطايا. طلب بولس أن نميتها بالروح القدس الساكن فينا (رو ٨: ١٣). فالقمع إذاً روحي – جسدي. أقمع الغضب والحقد والحسد، والغيرة، والكبرياء، والمجد الباطل، والطمع، والعجب بالذات، والأنانية، والكسل، والخيانة، والكذب، والتلّون، وو..... وفي جملة الرذائل نجاسات الجسد من زنى وشذوذ وشراهة. أقمع الشراهة بالأصوام والحرمان، فألجم جسدي وينقلب طمعي وشراهتي بفضل الصلاة إلى عشق إلهي. وهكذا دواليك.

ومن جهة التحليل النفسي، لا تخلو خطايا الجسد من العنصر النفسي. فالشهوة نفسية. الإفراط في الطعام هوس (phagomania باليونانية واللغات الأوروبية). والشبق الجنسي هوس. وحتى العنجهية هوس. والمخدرات وما إليها هوس. فضعف الإنسان في هذه المواد وسواها ناتج عما في الهوس من تسلّط ديكتاتوري مختلط باللذة. والرجوع يحتاج إلى نعمة الله وقوة الإرادة ونخس الضمير الجارح الحاد. بالنتيجة: ثورة روحية على الذات المتمرّغة. **(اسبيرو جبور).**

س ٢٠١ – في مجتمع يسوده الاضطراب والضجيج والسرعة كيف يعيش المؤمن في هدوء روحي وفي استقرار داخلي؟

ج ٢٠١ – المهم أولاً أن يكون ضميره مرتاحاً ولا يعكره حقدٌ ولا بغضٌ ولا غضب، بل ينعم بالسلام والمحبة والعفة والقناعة وما إلى ذلك. وإذا ما تعكر، كان عليه أن يزيل هذا العكر بأسرع ما يمكن بالاعتراف أو باللجوء إلى الأب الروحي. ثم إن صلاة يسوع – صلاة القلب الدائمة – تساعده كثيراً في هذا المضمار. ثم عليه أن يكون واقعياً، صبوراً، لا يطلب من الآخرين أكثر من طاقتهم وواقعهم، وأن لا يدينهم. هذا وإن ارتياد الأديرة من وقت لآخر من شأنه أن يثبّت الهدوء والاستقرار الداخليين. **(الأب الياس مرقس)**

س ٢٠٢– ما هي أفضل وأضمن طريقة لكي يعرف فيها المسيحي دعوته (للرهبنة، للكهنوت الخ)؟ ماذا إذا كان يصلي ولم يعرف دعوته؟ بأي شكل سيعرفها بالصلاة؟ هل ستأتيه بشكل إلهام أو إيحاء معين؟ ألا يمكن أن يخدعه إلهامه وشعوره؟

ج ٢٠٢ – هناك طرق مختلفة لكي يعرف فيها المسيحي دعوته (للرهبنة، للكهنوت الخ..)، وذلك باختلاف الشخص وظروفه وقامته الروحية.. بولس الرسول كلّمه الرب يسوع مباشرة على طريق دمشق، والقديس أنطونيوس الكبير تيقّن من دعوته عند سماعه الإنجيل في الكنيسة.. ولكن هذا سبقه طبعاً استعدادٌ نفسي ورغبة كبيرة في إرضاء الله. فضلاً عن أن هذه حالات استثنائية. أما في الحالات العادية فيحسن أن يستعد المسيحي بحبه لله حباً صادقاً وبحفظ وصاياه، واتخاذه أباً روحياً يساعده على معرفة ذاته، وبأن

يصلّي بإلحاح وتواضع إلى أن يمنحه الله يقيناً ثابتاً بشأن دعوته. وإذا كانت الدعوة رهبانية، فلكي لا ينخدع، يحسن أن يتردد على الأديار ليختبر السيرة الرهبانية ومدى استعداده لها. أما إذا كانت الدعوة كهنوتية، فليتصل بمطران الأبرشية الذي يوجهه ويختبره ويقرر. هذا وقد يختار المرء دعوته في الكنيسة نظراً لحاجة الكنيسة الملحة إلى مَن يخدم الرب فيها فيعزم ويُقدم. **(الأب الياس مرقس)**

س ٢٠٣– في عصر الاتصالات هل يمكن أن نستعيض عن الخدم الكنسية بحضورها على شاشة التلفزيون أو الكمبيوتر أو الراديو مثلاً؟

ج ٢٠٣ – في الخدم الكنسية نجتمع لنصلّي معاً ونؤلّف معاً. وفي القداس الإلهي نتناول جسد الرب ودمه معاً. وفي الأعياد نفرح ونسبّح الرب معاً، ونتناول من الماء أو العنب أو البيض، أو الخبز والخمر في الخدمة الكنسية المختصَّة بذلك. هذا كله لا يتمّ بحضورنا الخدم على الشاشة(٥). نحن أعضاءٌ في جسد المسيح الواحد (الذي هو الكنيسة المقدسة)، فنلتئم لنؤلّف هذا الجسد بروح الشركة والمحبة. الله محبة وبشركة روحه القدوس نحن مسيحيون. **(الأب الياس مرقس)**

س ٢٠٤ – كيف يحلّ المؤمن في هذا العصر وبشكل عملي مشكلة الفراغ الروحي واللامبالاة وأشباه اليأس والدعوة للجنس والعنف واللذات الناجمة من استخدام المخدرات والتدخين وما شابه؟

ج ٢٠٤ – ليس لهذه المشكلة حلٌّ عملي سحري، بل سيبقى الإنسان طيلة حياته معرّضاً لمثل هذه التجارب. فعلى المؤمن أن يكون مجاهداً جدياً وعلى الدوام وبمساعدة النعمة الإلهية، لكي يتغلب على هذه التجارب، وذلك بممارسته أصول الحياة الروحية والنسكية، من صلاة وصوم وسجدات ومطالعة الكتاب المقدس، والاعتراف والمناولة والتواضع. وهذا كله قد لا يتم اللهم إلا إذا لبّى المرء دعوة الرب يسوع إلى أن لا نكون من هذا العالم وإن كنا في هذا العالم. **(الأب الياس مرقس)**

---

(٥) وهل هذا حضور؟ هذا فيلم (اسبيرو جبور).

س ٢٠٥– هل من خطأ في البحث عن حلٍّ لمشكلاتنا بصورة علمية؟ أهو تحد أو رفض للإرادة الإلهية إن فتشنا عن حلٍّ لمسألة العقم عند الزوجين مثلاً بالطرق العلميًة؟

ج ٢٠٥ – بعد سقوط الإنسان، لم يعد الجسد في طاعة للرب ولا النفس أيضاً. فنتج عن ذلك البُعد والموتُ والأمراض، الخ.. لذلك سمح الرب فأوجد أطباء لكي يُعينوا الإنسان في مسيرة هذا العمر على حلٍّ لمشاكله ودرءٍ لأوجاعه. فالطب عطية محبة من الخالق ليعين الإنسان في ضعفه.

لكن الإنسان في توقه إلى التقدم، صار يتقدم في الاكتشافات والاختراعات على حساب الوصايا الإلهية في بعض الأحيان. لذا تدخلّت الكنيسة كأمٍّ للمؤمنين ووضعت بعض الضوابط والممنوعات حتى لا تجعل حاجة الإنسان بعيدة عن المشيئة الإلهية...

أولاً، على المؤمن أن يلجأ إلى الصلاة والتضرّع وتقديم القربان والحسنات وتوزيع البركات وإقامة القداديس الخاصة وطلب الصلوات من الكاهن والأديار، إذا وُجدت قريبة منه، لكي يحلّ الرب عقمه. وبعد ذلك إن لم يستجب الرب، فليذهب الثنائي ويُري نفسه للطبيب، وأرجوه أن يكون طبيباً مؤمناً – إذا أمكن – حتى يفهم بالروح سعي المؤمن المريض إلى حلّ مشكلته بطريقة إيمانية. وليسأل الكاهن في كل ذلك لأنه يكون عارفاً بأحكام الشريعة الكنسية ونواميسها، وليقبل بشكر ورضى وتسليم بما سمحت وبما لم تسمح به الكنيسة. وإذ ينفتح المؤمن بقلبه وتضرعاته على الرب، فهو سيفهّمه قصده، إما من إنجاب أو من عقم[٦].

المسيحي لا يتزوج لأجل الإنجاب فقط، بل ليتمّم سعيه إلى القداسة مع شريك له، يقاسمه أتعاب هذا العمر وجهاداته للوصول إلى الرب. **(الأم مريم زكا)**

---

(٦) الرب يسوع من على منبر الصليب أصدر حكماً بالتبنّي: صارت مريم العذراء أمّ يوحنا الإنجيلي ويوحنا ابنها. التبني مؤسسة اجتماعية–دينية لدى السومريين القدامى والمصريين القدامي وكل الشعوب السامية القديمة وفي كل العالم المسيحي. ابنة فرعون تبنّت موسى النبي. التبني عمل عظيم كرسه يسوع نفسه. فحين فشل الطب بأساليبه المشروعة – لا المحرّمة – كان التبنّي حلاً ممتازاً. لدى الأطباء اليوم أساليب مشروعة ذكرها في الكتاب الدكتور عدنان. أما غير المشروعة فحرام ثم حرام ثم حرام (اسبيرو جبور)

س ٢٠٦ – هل أنا بحاجة إلى الله فعلاً وأنا في عصر العلم والتكنولوجيا؟ فالذي يحصل على عناية طبية أفضل يعيش أفضل من الذي لا يحصل عليها. فأين هو الله؟

ج ٢٠٦ – إن طَرْح هذا السؤال يُدخلنا في مدار النفعية المادية التي يعيشها الإنسان اليوم مع الله، ومع ذاته، ومع كل ما خلقته يداه من علم وتكنولوجيا.

والصراع الحقيقي هو بين الإنسان والموت. فكل ما يحياه الإنسان هو لكي يتخلّص من سطوة الموت عليه، من سطوة الفناء، من سطوة المحدودية والحدودية... الإنسان خُلق تائقاً إلى الأبدية، والأبدية هي الحياة التي لا انتهاء فيها ولا فناء.. ولكن!... تبقى المشكلة مطروحة، مشكلة الإلزامية والحرية...

ويقول الإنسان، أو بعض البشر، أنْ ليس الله هو الذي خلق الإنسان وهذا الكون.. فما نراه حولنا، هذا العالم، ما هو إلا تفاعلات بيولوجية مادية للطبيعة التي في حركتها أوجدت هذه الكون وكل ما فيه... هؤلاء أيضاً، الذين ينكرون وجود الله، يصطدمون، وقد اصطدموا أيضاً بالموت وبالنهايات.. بالمرض والعجز، بالضعف وبكل المشكلات البيولوجية والاجتماعية الطارئة والتي ما زالت تطرأ على الإنسان.. فأين الجواب؟!... لا جواب إلا النقض والرفض والتحدّي... واستمرار الإبداع والبحوث.. ولا من جواب... وحين يطرح المؤمنون عليهم الجواب: "الله".. يثورون أكثر ويعنّفون ويستمرون في حالة النقض والتحدي. لكن يبقى الموت، ذلك السيف المسلَّط على رؤوسهم، أمام أعينهم وفي كيانهم وفي حياتهم اليومية، قائماً...

والجواب أن المشكلة ليست في الله أو عند الله أو بسبب الله؛ المشكلة هي عند الإنسان أولاً، عند آدم، بدء الخليقة، وتالياً عند الإنسان الجديد منتهى خليقة الله وتجسّده، ليخلّص ما جبلته يداه..

عقيمٌ هو الدخول في معاندة مع المعاندين.. لأننا بالتالي نكون قد دخلنا في مشادّة وجدال عقيم مع السلبية والنقض ومع المعاند الأول الذي هو الشرّ والشيطان.

أنت حرٌ يا أخي؛ خلقك الله على صورته ومثاله.. إذاً لك أن تؤمن ولك أن ترفض الإيمان.. لكن إلهنا الحنون المحب القدير قال إنه: "يريد أنَّ جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون" (١ تيمو ٢: ٤)؛ وإذ تكون هذه إرادته فهذا أيضاً هو فعْله.. لذلك،

وبعد سقوط آدم من فردوس الحب الإلهي واختياره مشيئته الذاتية، لا مشيئة الذي خلقه، انفصل، بل بالتالي فصل نفسه، عن الله، عن النعيم، عن الملكوت، عن الحياة الخالدة.

خلق اللهُ الإنسانَ كاملاً، في حالة الغبطة، في الألوهة، أبداً في فردوس النعيم. وطلب منه واحدة: أن لا تمسّ "المعرفة المطلقة"، حتى أبقى أنا إلهك وأنت ابني.. بالحب.. لكن الإنسان أُغْوي من الذي سقط قبله، إذ أراد أن يكون هو الله... أو على مثال الله في المعرفة.. لا واحداً مع الله في سرّ الحب والرضى وشركة النَعَمْ والطاعة.

أنا بحاجة إلى الله، لأني سقطتُ إلى الموت. فآتي راجعاً إلى الله كالابن الضال الذي انشطر عن أبيه، فتمرّغ في الحمأة والضياع، ولما جاع عاد إلى الحضن الأبوي الذي يمدّه بالبركة والحب والنعَم وحتى بالخلاص من الموت، إلى حياة أبدية، إذ يُغذّيه بالروح، فتصير الروح هي المُشتهَى لا الجسد، والروحانيات هي الحياة الخالصة. وإذ نبدأ بولوج الحياة الروحية، نبدأ مسلكيةً بالمسيح ووصاياه، كالمسيح... فلا نعود نظلم أحداً أو نشتهي مال أحد أو رزق أحد. نمتلئ رويداً رويداً من معين الحب الإلهي، فنعطي كل ما أعطانا الرب إلى الآخر، فيصير الآخر حياتنا كما جعلنا الله حياةً له على الأرض... يكبر الحب، بل يصير الحب هو المعنى لوجودنا في الكون، وحركة خلاصنا، إذ عندما نعطي الآخر يُغدق علينا الرب من إنعاماته عطاءً أكبر، وهكذا نخرج من دائرة الغرق في موت الأنا إلى الحياة في أنا الله والآخر.

ونشارك بكل شيء لنا؛ بالمال والغنى المادي والغنى الروحي،..." نمسح جراح المضنوكين، نُطعم الجياع، نؤاسي المحزونين، نردّ الضالّين إلى حضن الخالق، ولا نعود نفرح إلا إذا شاركنا واشتركنا مع الآخرين في الحياة الوقتية، على رجاء الأبديات... فيأتي العلم لي وللآخر، نتصالح مع أنفسنا في الآخر، فتسود بالمسيح العدالةُ على هذه الأرض.. نملأ الكونَ بالعدالة الإلهية لا بالفكر البشري للعدالة.. نُخرج الإنسان من دائرة العدد إلى دائرة الغنى الذي لا يخبو والحب المبذول المبسوط... فلا يعود من فقير بعد إلا ويغتني بغنى الأغنياء، ولا من مريض إلا والميسورون والكنيسة مسؤولون عنه أمام الله، ولا من ضال إلا والجماعة المؤمنة بيتاً وملجأً له...

هذا هو سرّ الله؛ هذا هو فعل الله في حياة الإنسان على الأرض، وهذه هي الحياة الأبدية التي لا تفنى ولا تنقطع ولا نهاية لها وفيها يموت الموت؛ وفيها أبديات وفرح ومحبة وخدمة وعشق إلهي وحب للآخر، في كل محدوديته وتعبه واستنباط النور من نور المسيح له. ولكن كل ذلك يتحقق بصبر وصلاة واتضاع وانتظار حتى يأتي في مجيئه الثاني فلا نعود نعاني من معاندة الشرّ لكل خير يسعى إليه أحباء الله.

الله ليس المشكلة؛ نحن، أي الإنسان، هو المشكلة؛ ليبقَ الله هو الحل الوحيد الثابت لكل تعدٍ ومعصية سقط فيها الإنسان. كونوا مع الله في تطبيق وصاياه فتدخلوا إلى سر العدالة الإلهية البشرية. فلا يعود من مريض وإلا وتداوونه، ولا من جائع إلا وتطعمونه، ولا من مشرَّد إلا وتصيرون أنتم ملجأ له.. حاولتم الحلّ منذ عقود بأنفسكم ففشلتم، حاولوا الآن بالله، بوصاياه، فتجدوا راحةً لنفوسكم وفرحاً وسلاماً وصحة للعالمين.
(الأم مريم زكّا)

س ٢٠٧– لماذا يعتري الخمول المسيحيين، فيضعف الإيمان وتظهر الهرطقات ؟

ج ٢٠٧ – الرب يسوع علّمنا أنّ الشيطان يزرع الزؤان ليلاً في حقل قمحه (متى ١٣: ٢٤). يستفيد الشيطان من غفلة المسيحيين. وفي مثل الزارع (متى ١٣: ١) يوزّع يسوع الناس إلى فئات. حتى الأخيار هم فئات إحداها تعطي مائة ضعف والثانية ستين والثالثة ثلاثين. فالناس معادن. وفي أمكنة أخرى لفت يسوع نظرنا إلى ارتباك الناس بالمال والأملاك، والهموم المعاشيّة، والشهوات الجسديّة وسائر مفاسد البشر. ولفت نظرنا أيضاً إلى ظهور الأنبياء الكذبة والمعلمين الكذبة الآتين بثياب الحملان وهم ذئاب خاطفة. وفي الفصل العاشر من إنجيل البشير يوحنّا علّمنا أنّ هناك رعاة صالحين يبذلون أنفسهم من أجل الرعيّة بينما هناك أجراء لا يهتمون بالرعية. و سبق لحزقيال النبي أنْ فضح أعمالهم.

ولبولس الرسول في الفصل العشرين من أعمال الرسل خطبة في قسوس أفسس ينبئ فيها بظهور مُضلِّين من بين صفوفهم. ويهوذا الإسخريوطي نفسه كان أحد الرسل الإثني عشر، فعلَّم وأجرى العجائب، وطرد الشياطين، وشفى المرضى، وأقام الموتى (فم الذهب)، ومع ذلك سقط وشنق نفسه.

من جهة أخرى علينا أنْ لا ننسى أنّ الشيطان يشنّ الحرب على رجال الكهنوت ليعطّل عملهم الرسولي في التبشير وتقديس الناس. فمتى عملوا بوصيّة بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس وأذكوا نار الموهبة كووا الشيطان بنار الروح القدس. ومن جهة ثالثة الشعب عندنا غير مثقف دينياً. لذلك يجهل واجباته الكنسيّة:

١- تقديم خيرة العناصر للكهنوت.

٢- البذل بسخاء على تثقيفهم.

٣- البذل على المطبوعات الدينيّة الجيدة وترويجها.

٤- العناية بالعناصر الإكليريكيّة الخيّرة ومعاقبة سواهم بالشكوى للسلطة الدينيّة والحرمان المالي ومقاطعة خدمهم (١٠٠٪) حتى يتوبوا.

٥- الأغنياء عندنا لا يؤمنون بأنّهم وأموالهم ليسوع. ينفقون على التوافه ويبخلون على الكنيسة.....

فكرنا مادي لا روحي. نجهل أن ظهور لاهوتي مثل يوحنّا فم الذهب أفضل من المدارس والجامعات. فله وحده الخلود في الكنيسة لا للمؤسسات.

بولس الرسول عرض في الفصل السابع من رسالته إلى أهل رومية و الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية الصراع القائم في داخلنا بين ما تشتهي الروح وما يشتهي الجسد. هذا الصراع ينتهي إمّا بنصر الروح أو نصر الجسد.

بولس الرسول في الفصل الحادي عشر من كورنثوس الثانية يعلّمنا أنّ الشيطان يرتدي زيّ ملاك نور ليخدعنا. وكل المعلمين والأنبياء الكذبة ورؤساء الهرطقات تلاميذه.

المسيحيّة صراع مع الشيطان والأهواء. في حرب روحيّة حامية الوطيس. ما كلّ الناس فرسان..... **(اسبيرو جبور)**

س ٢٠٨- نسمع عن "صلاة يسوع". ما هي هذه الصلاة، وما هي أهميتها في حياة المسيحي؟ وهل تستطيع صلاة يسوع أن تحلّ محلّ بقية الصلوات الكنسية؟

ج ٢٠٨ - "يا ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله الحي، ارحمني، أنا عبدك الخاطئ"...

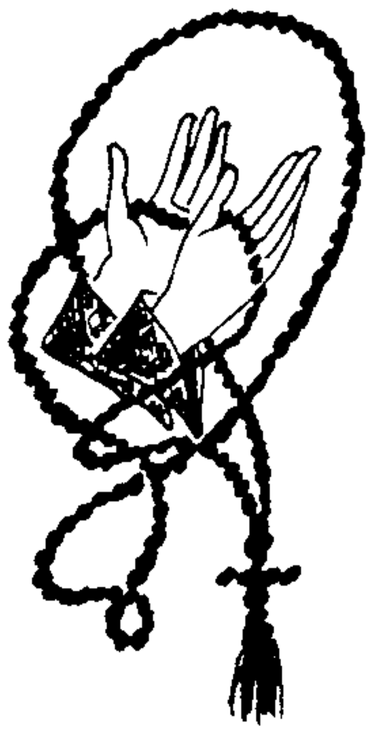

ونقولها أيضاً هكذا: "يا ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني"، أو "يا ربّي يسوع المسيح، ارحمني"..

إنها صلاة التوبة، صلاة القلب الواقف أمام عرش الإله، الطالب الغفران. هي صلاة العشّار في الإنجيل، الذي دخل إلى الهيكل وقرع صدره طالباً رحمة ربّه.. الكثير الكثير قد كُتب في الأدب الروحي حول صلاة يسوع منذ أول تاريخ الكنيسة.. كل مَن مارسها، كانت له معها خبرة وحياة وحديثاً خاصاً به وربما طريقة... جلوساً، وقوفاً، سجوداً، بضبط نَفَس أو إطلاقه، بحركة يدَين، بعتمة غرفة، أو في أي مكان يعمل فيه الإنسان... إنها الصلاة...

نطلب بها الدخول إلى رحمة الله، إلى رَحِمه لكي يلدنا جديداً منه.

في سقوط الإنسان الأول آدم، من فردوس نعيم الإله، غاب عن قلبه ذكر الاسم القدوس. نسي الإنسانُ اللهَ، ونسي اسمه. وحين عاد المخلّص وتجسّد لاستعادة الجنس البشري إلى مجد مُلكه، عرفه قلبُ الإنسان الخاطئ إلهاً وربّاً، فناداه لينتشله من جحيم سقطته ويخلّصه، فصرخ إليه: "ربّي يسوع ارحمني". عاد إلى حضن أبيه.

الاسم هو الحضرة، ومناداة الاسم هو الإقرار بالحاجة إليه لنكلّمه. والكلمة هي بدء النطق، بدء الحوار، هي التعبير عن الذات، هي الذات.

وإذ أقول وأكرر اسم يسوع، يصير يسوع حاجتي، ذاتي التي لا تودّ أن تنفصل عنه. وفي هذا التكرار الدائم للاسم القدوس يأتي هو ويسكن فيّ، وإذ يستمر النطق باسمه، يصير هو علّتي ووجودي وحياتي. "بنورك نعاين النور" (المجدلية). باسم يسوع وبالنور المشعّ المنبعث من ذاك الاسم نعاين النور المنسكب على العالم.

فالعالم، كما يقول القديس غريغوريوس بالاماس (القرن ١٤)، يسبح في نور إلهي لا يخفت ولا يخبو.

كل مبتغى الإنسان أن يعاين الإله، النوري وهذا هو فعل اسم الرب القدوس على شفاهنا وفي قلوبنا وحياتنا.. نسبّح باسم الرب، يسكب ذاته فينا، يسكب نوره في أحشائنا. فتخرج الظلمة منا؛ تتفتّت قساوة وحجرية القلب، يبدأ موت الأنا رويداً

رويداً حتى نصرخ: "لستُ أنا أحيا بعد، بل المسيح يحيا فيّ" (غلا٢: ٢٠).

هذه هو المعنى لولادة الإنسان وعيشه هذه الحياة. هذا هو المعنى لاستمرار هذه السلالة البشرية؛ أن نستعيد بعد سقطتنا الحياة القدوسة التي غادرناها في الفردوس، نستعيد النقاوة الأولى، نستعيد اكتشاف كنز الألوهة الذي أضعناه، اللؤلؤة الثمينة. أن نستعيد لنقتني القلب، قلب الله في داخلنا.

أي شيء أنت أيها الإنسان؟!... تراب ورماد.. وقلب يصرخ اسم خالقه، يستجير به ليعود ويلتصق بالله ليخلص من موته، موت جسده وروحه، ومن الشر الكوني المحيط به والذي يسعى إلى تدميره بشدّه بعيداً عن الإله، إلهه.

كل هدف الشرير قتل الإله، بقتل الروح... لذلك فإنه ما زال يسعى لكي يخلق من خلال العقل البشري كل تلك الاختراعات والإنجازات والاهتمامات الدنيوية، حتى يغذّي موت الروح بالأشياء المائتة. الكون المادي حولنا مائت ويموت كل يوم وهو إلى زوال؛ "باطل الأباطيل وقبض الريح، كل ما في هذا الكون باطل" (جا١: ١٤).

وحده الله قدوس، وحده خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وحده المعطي الحياة، وحده المنقذ من الموت، وحده هو الحياة والحب والحنان، والرفق والمسامحة، وحده تجسّد ليخلّص بموته موت الإنسان ويرفعه إلى عظيم ملكه.. وملكه هو اسمه. نناديه فيحملنا إليه ويُدخلنا رحابه، يعلّمنا، يوصينا، يعود فيخلقنا بشراً جدداً من أحشاء رحماته. "يا ربّي ارحمني"، بهذه الصرخة يعود بنا الرب إلى البنوّة التي أضعناها بعبوديتنا للشرير.

صلاة يسوع هي حضور الرب في قلب الإنسان[٧].

أما أن نستعيض بصلاة يسوع عن بقية الصلوات الكنسية فذاك يعني أن نلغي صلاة يسوع ذاتها. فكل الصلوات والخدم تحكي الرب الإله وتطلب التوبة والغفران وتسأله العفو والرحمة للعودة إلى حضنه.. كل الصلوات، في الخدم الكنسية المتنوعة هي توسيع لصلاة يسوع.. وهناك مَن يقولون صلاة يسوع حتى أثناء القداس الإلهي. قلبهم ينطق الاسم القدوس بينما يكون فكرهم يتابع الخدم الإلهية.

---

(٧) هيسيخيوس العليقة (سيناء) اعتبرها مناولة (المئوية الأولى ٩٧) (اسبيرو جبور).

صلاة يسوع هي الرب وهي الإنسان في حركة لقاء وانكفاء وتوحّد لا تتوقّف. هي لقاء الحب بين الخالق والمخلوق، بين الأم ووليدها. صلاة يسوع هي أمومة الله لنا. هي الوقفة بين العاشق والمشوق إليه. هي العتق من الموت، موت الخطيئة. هي الشفاء من سمّ الحية. هي الإله متجسّداً في قلب وحياة الإنسان. هي ذوق الحياة الأبدية بعد الموت. هي الشفاء من أنانا المريض المهترىء. هي إعادة توحّد الكيان بعد انشطاره. هي استعادة فردوس النعيم الإلهي. هي الإله فينا، ونحن في الإله. هي الحياة التي لا موت فيها من بعد. هي هي الإله. هي عربون التبنّي. هي هي القيامة على هذه الأرض.

فيا ربي يسوع المسيح، ارحمني، ارحمنا، وارحم عالمك. **(الأم مريم زكا)**

س ٢٠٩– كيف يستطيع المؤمن أن يعيش حياة فرح على الأرض أو في الملكوت إن مات أحد أفراد عائلته غير مؤمن؟

ج ٢٠٩ – بإيمان واحد يخلص جميع أهل البيت. هذا ما ورد في الكتب الإلهية.. وهذا اليقين يُدخلنا في سرّ تطبيق الكلمة الإنجيلية والوصية التي أعطانا إياها الله منذ البدء.

الإيمان نعمة وعطية من الله، وهو أيضاً جهد شخصي بعد لمسة إصبع الله لنا.. الإيمان إرثٌ تتناقله الأجيال، أبّاً عن جد، وتورثه العائلات لأبنائها.. الإيمان شفاء من مرض السقوط والمعصية والتعدّي للخلاص بالله..

هناك فرحٌ تحياه العائلات المؤمنة، إن كان كل أفرادها يرتعون في إيمان قويم. وهناك فرحٌ آخر يحلّ على العائلة برجوع مولود جديد إليها، أي بأحد أفراد عائلتها الذي كان ضالاً فوُجد.. وهناك فرحٌ بالعمل والجهاد لتعليم الصغار وتثبيتهم وإدخالهم إلى سرّ العائلة الجديدة، عائلة الثالوث على الأرض، بالكتاب المقدس والكنيسة والأسرار وتعليم الآباء...

ولكن مَن يعرف سرّ القلب؟ مَن يعرف مقدار إيمان الإنسان؟ مَن وكيف نقرّر أن إنساناً ما مؤمن أو غير مؤمن؟!.. فربما مَن نظنه مؤمناً يفقد إيمانه عند تجربة قاسية يمرّ بها؟ أو إنسان ما من أفراد عائلتنا يدّعي عدم الإيمان، يقف لمساعدة مظلوم أو إطعام فقير أو

تخليص ضال، ليأتي بهم إلى الشكر والإيمان من حيث لا يدري، فيأتي له الله بركة وشكراً في حياته..

يقول الآباء في كنيستنا: إن الصلاة لذلك الذي يدّعي عدم الإيمان هو المدخل به إلى الإيمان.. هذا هو فعل حقيقي يمكن لكل واحد منا أن يحياه إذا وجد شخصاً من عائلته غير مؤمن أو إذا لم يوجد.. الإنسان بحاجة إلى الصلاة: حتى يعرف الرب أولاً، حتى يثبت ويثبِّت في إيمانه ثانياً، وحتى يحيا ذاك الإيمان بجدّته لا في شكليته العقيمة ثالثاً. وأودُّ أن أفتح معترضة هنا: إن بعض الذين يؤمنون يحيون في الضلالة بحسب إيمانهم؛ أي إنهم يحوّلون الله إلى خادم لرغباتهم وشهواتهم، والكنيسة إلى مكان يأتون إليه ليضيئوا شمعة أو يضعوا قرشاً في الصينية حتى يتمّم لهم الرب مآربهم.. وهم يبقون خارج فعل الإيمان الحقيقي أي خارج الحب والتوبة.

الإيمان سرّ الحب بين الخالق والمخلوق.. فلماذا يقول الكتاب إنه بإيمان واحد يخلص جميع أهل البيت؟ لأن الإيمان وفعله ينيران الإنسان المؤمن ومَن حوله بالنور المنسكب في قلب المؤمن من العلى والذي يستضيء به كل أهل البيت من خلال المؤمن. الإيمان ليس فعلاً متقوقعاً على ذاته، مجمَّداً ومعلَّباً في أشكال وأُطر.. الإيمان أولاً فعل نور ينبعث من المؤمن؛ فعل سلام، فعل رقّة، فعل حنان، فعل خدمة وبذل، فعل تضحية.. وإذ يحيا ذاك الإيمان في الإنسان فإنه، أي الإنسان، ينير كل مَن حوله بذاك السرّ الإلهي النازل عليه من فوق... فيرتشف كل أهل البيت ذاك السرّ دون أن يدروا ويدركوا، فيتفاعل فيهم ولو ببطء زمناً حتى يأتي بهم إلى الحياة الحية في المسيح.

"فليُضئ نوركم هكذا قدام الناس.." (متى ٥: ١٦)، وأيضاً: "لا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيُضيء لجميع الذين في البيت" (متى ٥: ١٥).

هذا هو فعل الإيمان... فلا تخافوا.. فقط صلّوا يا أيها المؤمنون للرب كي يقوّيكم لتكونوا قدوة صالحة بأعمالكم وحياتكم المسيحية الحقة، أمام كل مَن معكم وحولكم فتحوّلوا بنعمة الرب كل الناس الذين هم في إطار نور إيمانكم، إلى مؤمنين.

إن إيمانكم والفرح بالله سيجعلان مَن حولكم يتساءلون عن سرّكم، سرّ محبتكم وفرحكم وبرّكم ورويداً رويداً يأتي بهم الروح القدس الساكن والعامل فيكم إلى الإقرار بأن ذاك السرّ الذي تمتلكون هم أيضاً بحاجة إليه.. الإيمان الذي تحيون بعمق وخدمة وإمّحاء وفرح واتضاع، هو سيأتي بكل مَن حولكم إلى ذوق ذاك السرّ. إن الإيمان هو كالعسل الذي تحوم حوله الفراشات لتغتذي منه.. فقط اصبروا وثابروا ولا تقنطوا من رحمة ربكم... فإنه يسمعكم وسيجيبكم على كل ما تطلبون لمجد اسمه القدوس.

أما في الملكوت... فهناك الكل يسكنون في المحبة وفي الحضرة الإلهية وفي الغبطة.. والقديس يوحنا الذهبي الفم يقول: "إن مات خاطئ فبإمكانكم أن تقدّموا لراحة نفسه وتوبته وغفران خطاياه قرباناً وصلوات وعطايا للفقراء... وعوض أن تبكوا الذين فقدتموهم أنجدوهم بصلواتكم، بإحسانكم، بالقرابين المقدسة.. لا ليس عبثاً أن نذكرهم في القداس الإلهي... نحن واثقون أنهم سينالون من هذه الذكرى بعض العزاء. نحن وإياهم نشكّل جسداً واحداً، وبالتالي بإمكاننا أن نحظى لمَن تركوا هذه الحياة قبلنا معرفة كاملة لزّلاتهم بواسطة تضرّعاتنا وقرابيننا من أجلهم، والقديسين الذين نذكرهم معهم" (العظة ٤١ على ١ كورنثوس). وأيضاً اعرفوا أن هتاك بشراً نذروا أنفسهم وحياتهم للصلاة اليومية لأجل خلاص كل العالم والرب يستجيب لهم لأنه قال: "اطلبوا تجدوا؛ اقرعوا يُفتَح لكم.." (متى ٧: ٧). **(الأم مريم زكّا)**

س ٢١٠ – كيف نحارب الفتور والتشتت في الصلاة؟ إن كانت الصلاة هي سلاح ضد الفتور فكيف يمكننا أن نستعمل هذا السلاح عندما نكون عاجزين عن استعماله بصورة صحيحة؟

ج ٢١٠ – يقول الآباء إن الصلاة هي الجهاد الأصعب، فلا نستغربنّ أولاً حصول الفتور والتشتت فيها، إذ لسنا ملائكة. ولكن علينا أن نبذل كل جهدنا في هذا المضمار. فنسعى أولاً لتنشيط أنفسنا وإيقاظ الحرارة في قلبنا بالصلاة صلاة شخصية عفوية نطلب فيها بتواضع أن يهبنا الله تلك الحرارة. وقد قال: "كل ما تطلبونه حينما تصلّون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم" (مر ١١: ٢٤). ثم إلى جانب ذلك ينبغي لمحاربة التشتت في الصلاة أن نربط عقلنا بكلمات الصلاة لتصعد صلاتنا إلى الله من خلال عقلنا وفهمنا.. أما إذا

كان هناك أسباب للفتور والتشتت كالغرق في اهتمامات شتى أو الخصام مع أحد ما أو الخيلاء وغيرها، فينبغي إزالة هذه الأسباب بالصلاة بروح التوبة والاستغفار. **(الأب الياس مرقس)**

س ٢١١- كيف ينبغي أن نتهيأ للمناولة المقدسة؟

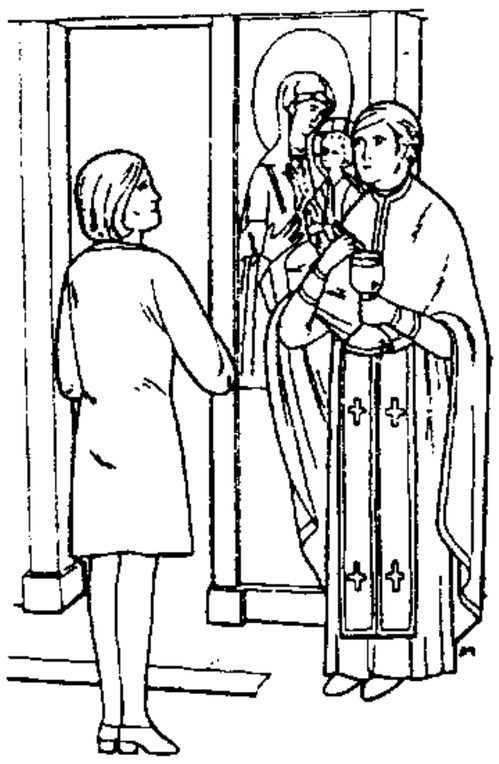

ج ٢١١ - نتهيأ للمناولة المقدسة بفحص الضمير بدقة والاعتراف بتوبة، وبالصوم خلال اليوم السابق للمناولة، وبتلاوة صلاة ما قبل المناولة (المعروفة أيضاً بصلاة المطالبسي)، وبالتصافي مع الآخرين. أيضاً نتهيأ للمناولة بالانقطاع عن الطعام والشراب بدءاً من نصف الليل (أو خلال بضع ساعات قبل المناولة إذا وُجدت بعد الظهر)، وبحضور القداس الإلهي بكامله.

أما إذا كنا نتناول باستمرار (وليس فقط في الأعياد) وليس على ضميرنا شيء، فيمكن حينئذ - بموافقة الكاهن الأب الروحي - أن نُعفَى من الاعتراف ونستبدل بالصوم الانقطاع. **(الأب الياس مرقس)**

س ٢١٢- كم ينبغي أن نتناول المقدّسات الإلهية: يومياً، أسبوعياً، شهرياً أم سنوياً؟

ج ٢١٢ - لا يُطرح هذا الموضوع على هذه الصورة، إذ يختلف بحسب الحاجة والظرف وحسب الشخص.. لقد قال الرب يسوع: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم" (يو٦: ٥٣).

فالقاعدة إذاً هي أن نتناول القدسات ما استطعنا، لكن بشرط أن نستعد لها. ويحسن أن نستعد لها خصيصاً في الأعياد السيدية، وأعياد شفعائنا، والظروف المهمة في حياتنا (كذكرى ميلادنا أو زواجنا، أو مناسبة إقدامنا على سفر أو ارتباط ما، أو عمل جديد وما إلى ذلك). **(الأب الياس مرقس)**

س ٢١٣- كيف نفسر الانسجام ما بين مؤمن يسعى للرب وله اشتياق نحو الجنس الآخر؟ هل يعيق الجنس التقدم الروحي؟

ج ٢١٣ - "وجهك يا رب أنا التمس" (مز٢٧: ٨). هذا هو المطلب الأساسي في حياة الإنسان. وإذ يسعى الفرد إلى تثبيت إيمانه بالله مخلّصه وبخليقته حوله، فإنه في عيشه حياته على هذه الأرض، عليه أن يسعى أولاً وبادئ ذي بدء إلى إرضاء ربّه بالعيش حسب وصاياه في كتابه المقدس... وفي مسيرته تلك، من الممكن له أن يشتاق إلى معين له، "خلقهما ذكراً وأنثى" (متى ١٩: ٤). فالاتجاه صوب الآخر أمر طبيعي جداً. ولكن علينا أن نعي أن الآخر هو حياتنا في المسيح، وأن على الإنسان أن يتحد والآخر بالمسيح، وأن تكون الحياة المشتركة حياة هدفها الأول والأخير السير على جسر هذا العمر للوصول إلى الملكوت، وإنشاء بيتٍ للرب، نقدّم له فيه أنفسنا ذبيحة يومية على مذبحه، لإرضائه. ومن هكذا بيت يطلع المسيحي بأولاد وبتربية لهم مسيحية حافظة التقليد المتوارث في كنيستنا. هكذا يقدّس المؤمن الحب والآخر والزواج والإنجاب.

في حياة الثنائي، ليس هناك من جنس منفصل عن حب في المسيح والتوق إلى حياة قدوسة تنبع من القدوس وحده. حياة الثنائي المشتركة في المسيح لا بد لها من أن تلطّف نوازع الجسد وجموحه ورغباته. "الجنس" هكذا في معناه المنفصل عن مجمل المسيرة الزوجية الكلية صوب المسيح، هو فعل "حيواني animalistic". بينما لقاء الرجل والمرأة في الزواج المسيحي هو لقاء كياني، يسعى فيه الزوجان إلى ربط جسديهما بعرس قانا الجليل. فيحوّل العريس الوحيد – الرب يسوع المسيح – توقهما إلى الاتحاد، اتحاداً به، فيجمّل لهما الخدر، ويزيّن لهما غرفة العرس بوصاياه وبنعمته. وإذ يصبح هو العريس يمتد الزوجان إليه في طلبٍ لمجده السماوي على الأرض.. فتحلو النفوس وتتلّطف ويهدأ الجسد من جموحه، فتدخل في الزواج لغة الحنان والرقة بدل الصخب. ويصير الآخر مطلاً على الإله.

دخلتُ مرة منزلَ صديقة لي روسية، فإذ بي أجدها تلمّع أيقونة لوالدة الإله لتضعها فوق سرير عرس ابنتها. وإذ أبديت تساؤلاً، نظرتني برفق قائلة: هي ستعلّمهما الحنان الإلهي وتقودهما على دروب العفة في الزواج والإنجاب.

على حياة الثنائي المشتركة أن تصير حياة روحية يسعى فيها الواحد إلى دفع الآخر صوب الإله لكي يشتركا التطلّع في الاتجاه عينه، إلى وجه الإله والتسابق لتطبيق وصاياه

والعيش بحسب إنجيله في كل يوم من أيام حياتهما. هكذا يصبح الزواج دافعاً إلى حياة روحية أرقى وأسلم، وإلى زواج مسيحي حقيقي مبارك بالروح القدس والنعمة. (**الأم مريم زكا**)

س ٢١٤ – هل العفة الجنسية ضرورة للمؤمن بمعنى الانقطاع التام؟ ألا يستطيع المؤمن أن يلبّي حاجته الجنسية مثل بقية الحاجات الجسدية الأخرى بطريقة مقبولة اجتماعياً؟

ج ٢١٤ – العفة هي أن يستغني الإنسان بالله عن كل آخر. هناك صلاة للقديس أفرام السوري اسمها صلاة التوبة، يرد في القسم الثاني منها: "وأنعم عليّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفة.."... روح العفة هي الروح التي لا يطلب فيها الإنسان شيئاً من لذات هذا العمر لنفسه. روح العفة هي أن يستغني الإنسان عن كل مرجوات هذا العالم المادي، وحين تعفّ النفس عن المرجوات ينبع منها ضابط أكيد للجسد. والكنيسة قد عرّفت الإنسان بالروح القدس النازل عليها من فوق، فوضعت له تلك الضوابط لتلجم هيجان وجموح جسده. عقّلته بالصوم والصلاة والفقر والطاعة لأحكام الرب ولوصاياه. أرته جمال الروح التائق إلى خالقه وإلهه. كشفت عن الجوهرة الثمينة الساكنة فيه والمخبوءة تحت قش الأهواء والرغبات.

وهنا يمكننا أن نطرح السؤال: لماذا يعفّ الناس إرادياً؟ هل باستطاعة البعض ما لا يقدر عليه الآخرون؟ من الجائز أن نقبل هذا كجواب، ولكن الأهم أن نركن كمؤمنين ونركض باتجاه بيتنا ونختبئ فيه، فهو حمايتنا من الذئاب العقلية التي تسعى إلى نهشنا.. وبيتنا هو الكنيسة، وسطها الإنجيل، والقداس الإلهي قمتها. فحين نغتني ونأكل ونشبع من مائدة الرب ومن كل موجوداتها، فإننا بالطبع سنشبع.. نستعيض رويداً رويداً عما يقدمه العالم – وخاصة في هذا العصر – من مغريات مادية؛ نحيا بالروحيات وبسِيَر القديسين الذين سبقونا. هذا سعي ليس ببسيط ولا سهل، لكنه السعي المبارك المطلوب من كل واحد منا، حتى نتكلّل بإكليل الظفر وبالغلبة على الموت اليومي الذي يقدّمه لنا العالم اليوم. لا يحب الرب مَن هو ليس بعفيف ولن يعرف الحب البشري الصادق أيضاً مَن لم يسلك على درب الأمانة للروح الإلهي الساكن فيه.

نعم، نعم، نعم. العفة هي صفاء ينبوع المياه المتدفقة من جنب السيد. العفة شهادة، بل هي الشهادة لوجود روح الرب فاعلاً في العالم.. العفة مبدأ كل الفضائل الإنجيلية، لأنها تعفّ عن كل هوى، ولا تطلب إلا وجه ربها وخدمة الآخر وحبه والسيد معه، للوصول إلى فردوس النعيم والحياة الأبدية. المؤمن لا يعرف الآخر إلا في إطار سرّ الزواج الذي رسمته الكنيسة لأبنائها[٨]. لذا فطرح السؤال بالطريقة الواردة هو طرح غير سليم، على الأقل بالنسبة للذين يسعون إلى حياة قداسة وطاعة لكنيستهم وإنجيلهم ولوصايا السيد.

"كل الأشياء تحلّ لي لكن ليس كل الأشياء توافق" (١ كور٦: ١٢). هكذا علينا أن نحيا، رافعين قلوبنا وعقولنا إلى النور المثلث الأقانيم ليعيننا إرادياً لا إكراهاً بحبه. **(الأم مريم زكا)**

س ٢١٥ – هل توجد أيام أو مناسبات معينة ينبغي فيها على الزوجين أن يمتنعا عن ممارسة العلاقات الزوجية الجنسية بينهما ولماذا؟

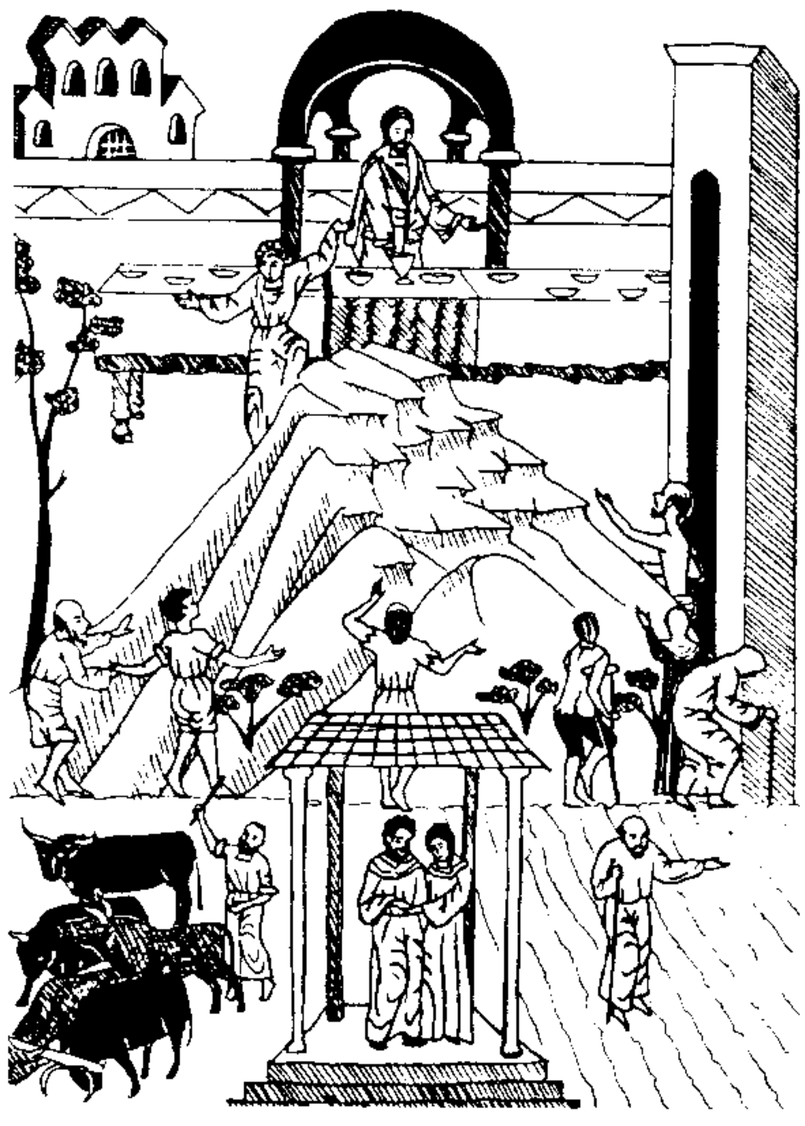

ج ٢١٥ – الزوجان المسيحيان جمعتهما الكنيسة في سرّ ووحّدتهما إلى الأبد في مسيرة الحياة الزوجية وهما يمشيان ويحييان سرّهما سوية ليبقى نظرهما معلّقاً على وجه السيد الرب يسوع المسيح الذي هو رأس الكنيسة ومبدأ حياتها وكينونتها؛ والسعي لتطبيق وصاياه الإنجيلية في حياتهما اليومية، في أحاديثهما وفي تربية أولادهما إذا منّ الرب عليهما بثمرة البطن.

هذا العيش يفترض وصالاً في الجسد وفي الروح ليصير الاثنان كياناً واحداً، أي جسداً واحداً، يعني روحاً واحدة.

(٨) أمهات القديسين وآباؤهم مارسوا الجنس فولدوا أبناءهم القديسين. بولس الرسول قال في كورنثوس الأولى (٧): لكل واحد دعوته. دُعي البعض إلى البتولية، ولكن لا يحتملها كل الناس كما قال الرب يسوع (متى ١٩). وفي الفصل ٧ المذكور سمح بولس للزوجين بممارسة الجنس ونصح بالانقطاع حيناً للصوم والصلاة. الممنوع هو الزنى، هو الخيانة الزوجية، هو الشبق، هو الشذوذ الجنسي، هو العادة السريّة، هو زنى الحواس والفكر والكلام. يوحنا السلّمي لفت النظر إلى أن الصور الذهنية أخطر من الصور المرئية. هذه عابرة. تلك تدغدغ الخيال بتكرارٍ (اسبيرو جبور).

وهذا الهدف لبنيان الكيان الواحد يفترض أيضاً تلاقياً وابتعاداً، حتى يعرف الإنسان ماهية الآخر وسرّه، بل أقنوميته وتميّزه عن ذاته فلا يبتلعه ويقذفه في أتون "الأنا" المختصة به، ويصيّره أناه هو، والحاجة هي أن يحفظ ويحافظ له على خاصيّته وفرادته..

هذه المعجزة في التلاقي والابتعاد، في القرب وفي البعد ضرورية وأساسية في نموّ شخصيتي الثنائي المسيحي..

يلتقي الزوجان في الصلاة والاتحاد – أمام الله – في الكأس المقدسة المشتركة الواحدة، وفي سرّ تطبيق الوصية الإنجيلية في حياتهما اليومية والعيش مع الجماعة المؤمنة في كنيسة المسيح... كل هذا يفترض اتّباع وصية الآباء القديسين في عيش حياتهما المشتركة، وذلك يعني تطبيق وصايا الحياة المسيحية بينهما. ولقد فرضت الكنيسة حبّاً بالمؤمنين "قوانين" لهم تساعدهم على سلوك دروب الحياة في المسيح والنمو في الجهاد وفي التنقية وفي الصلاة للوصول إلى الكمال الإنجيلي.

والصوم هو الضرورة الأولى لتحقيق الهدف؛ والصوم يعني ضبط الحواس بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.

وإذ نلتزم الأصوام التي وضعتها الكنيسة، فذاك لا يعني الصوم عن الأكل فقط، بل الصوم مع الآخر وعن الآخر، حتى يتفرّغ الاثنان للعبادة والاتحاد بالله. وفي السعي للاتحاد بالإله، يزداد وسع القلب فنبدأ بحب الآخر أكثر وأعمق وأصفى... لا يعود الآخر ملكيّتنا أو موضعاً نرمي فيه وعليه انفعالاتنا الجسدية والأهوائية والنفسانية.. ففي اتّباع طريق المسيح فقط، يجعلنا حبّه حاملين الآخر بحنان ووسع وتجرّد.. والبعد يجعل الرؤيا أوضح وأجلى...

نعم نصوم عن الطعام والشراب واللقاء الجسدي والاجتماعيات والإسراف في اللهو وشراء الحاجيات واللقاءات المملوءة بالثرثرة وما إلى ذلك...

الصوم يعني بالدرجة الأولى الصمت.. والتوجّه إلى الله ليملأ ذاك الصمت بملئه الإلهي...

نُصمت الجسد الحيواني التائق إلى اللذات ليحلَّ محله الجسد الروحاني التائق إلى الإلهيات. لذا نلتزم:

١- الصوم في أوان الأصوام الكنسية... والتشديد على الصوم الأربعيني المقدس كله... وهذا يفترض الالتزام بالصوم عن الطعام وعن الجسد أيضاً.

٢- الصوم عن اللقاءات الجسدية قبل كل قداس إلهي، وطيلة صوم الميلاد والصوم الأربعيني الكبير وصوم السيدة.

٣- الصوم في أوقات الشدّة والأزمات والأمراض لكي تُستجاب صلواتنا وتضرّعاتنا أمام الله.

هكذا يصبح الزوجان رهباناً للمسيح في زواجهما، فيتعلّمان العفّة من والدة الإله ومن القديسين ويعلّمان أولادهما سلوك ذاك الدرب الملوكي، فيولد في الكنيسة جيل قديسين يمجدّون اسم الرب القدوس في جميع مرافق حياتهما. **(الأم مريم زكّا)**

س ٢١٦ – ما معنى اللاهوى؟ هل يمكن أن تتلاشى الأهواء من الإنسان؟ لماذا نحاربها؟

ج ٢١٦ – اللاهوى يعني عدم التأثّر بالأهواء. والأهواء وُجدت في الإنسان بعد خطيئة آدم وحواء وطردهما من الفردوس. إن الأهواء الرئيسية هي: الشراهة، الزنى، وحب المال والقنيّة، والغضب، الكسل، الضجر، الغرور والكبرياء. وهي الميول التي تؤدي إلى الخطيئة إذا عمل المرء بموجبها. وجهاد المسيحي الأولي هو محاربة أهوائه للتحرر منها والبلوغ إلى اللاهوى، أي إلى حالة من النقاوة والصفاء والسلام. الأهواء لا تتلاشى كلياً. فالقديسون يشعرون بها، ولكنهم لا يستجيبون لها، فيبقون غير متأثّرين بها. الله خلق الإنسان حرّاً فاستعمل الإنسان هذه الحرية ليخطئ، فلا يكون الله قد سمح بها. ولكن رحمته تتبع الإنسان لتخلّصه. **(الأب الياس مرقس)**

س ٢١٧– "الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون". مثل يهودي عتيق. فما حكمه؟ هل صحيح أن الله يعاقب الإنسان على خطاياه بأولاده، كأن يولد له أولاد مشوّهون أو غير ناجحين في الحياة؟

ج ٢١٧ – و"خُلق الإنسان على صورته وعلى مثاله خلقه" (تكو ١: ٢٧).

فكيف يمكن للكامل أن يكون مشوَّهاً؟... كيف يمكن للإله الرحيم الذي أرسل ابنه الوحيد وكلمته، الرب يسوع المسيح، كي يفتدينا بدمه الكريم، أن يعاقب وهو الذي رفع العقاب عن العالم وأخذه على ذاته، على الصليب؟... على الصليب، صلب الرب خطايانا ماحقاً الشر، وعلى الصليب قام رافعاً معه طبيعة آدم الساقطة إلى إنسانٍ جديد، إلى ملء قامة المسيح...

ولكن لماذا يبقى التشويه في الحياة؟.. بسقوط آدم من حضن الله والفردوس، أُبتليت خلية الإنسان بالسقوط وبالموت.. وإذ تشوّهت الخليّة وتآكلت بالموت، صارت تتكاثر وتتوالد تشوّهاً وتآكلاً وموتاً.

خطايا الإنسان وأهواء ابتعاده عن الله ولدا الموت والتشوّه... وباقتراب الإنسان من الله ورجوعه إليه يشفى...

في إنجيل ميلاد الرب يسوع المسيح تقرأ الكنيسة أن الرب أتى وليد أربعة عشر جيلاً مثلّثاً من البشر الذي وجد بينهم الزناة والقتلة والسرّاق وما شاكل.. ومن ثم "أرسل الله ابنه الوحيد، مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس.." (غلا٤: ٤). أتى الرب ليفتدي الأجيال كلها من آدم الأول بذاته، بحياته بدمه؛ وعلى الصليب كما ذكرنا، محق الرب لعنة آدم الأولى... فتحوّل الموت إلى حياة وصار الموت ربحاً للمؤمن كما ذكر الرسول بولس: "فالموت صار لي ربحاً" (فيليبي ١: ٢١)، لأن بالموت يشاكل الإنسان موت ربّه؛ "لأننا إن عشنا فللرب نعيش، وإن متنا فللرب نموت، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن" ... (رو ١٤: ٨).

إذا أراد الإنسان أن يفتدي الآخرين فليفتدهم بدمه وبحياته التي تماثل حياة الرب يسوع... هذا هو الفداء وهذه هي البركة. وحين يحضر الرب في أوصالنا وخلايانا فإنه يحييها إلى حياة أبدية... يموت الجسد الترابي الحامل الضعف و"التشوّه" وتحيا الروح حاملة الحياة، وحين يحيا الإنسان حياة قدوسة، فإن جسده أيضاً يحمل الروح القدس، فيتقدّس بجسده وروحه أيضاً، ونحن نعرف أن بعض أجساد ورفات القديسين حملت، بعد رقادهم، الحياة لكثير من المؤمنين وشفوا الكثيرين من أدوائهم....

الله لا يقتص. الله يحب وقد افتدانا بحبّه لنخلص به من الموت. الإنسان يحمل الموت والله يحمل لنا الحياة.. كل يوم يدعونا لنخلص، وكل يوم نرفض الدعوة لنغرق في فسادنا وفي أهوائنا، وفي لعنة آدم الأول علينا وفي الاستغراق في صنع مشيئتنا.

"تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعَدّ لكم.." (متى ٢٥: ٣٤): هذا هو نداء الرب لنا وهذا هو وعده بل هديته لنا. **(الأم مريم زكّا)**

س ٢١٨– ما هو أصل الشر ولماذا يسمح الله به إن كان الخالق عادلاً ورحيماً؟

ج ٢١٨ – أصل الشرّ، فيما يختصّ بنا نحن الآدميين، كامن في الحرّية التي خلقنا الرب الإله عليها. ليس أن الله بذر فينا بذرة الشرّ، لا سمح الله، بل الحرّية التي من دونها لا يقدر الإنسان أن يدخل في علاقة حبّ أصيلة مع الله تنطوي، في آن معاً، على إمكانية نبذ الله ورفض محبّته. فالشرّ، تحديداً، هو رفض الإنسان لمحبّة الله كما هو معبّر عنها من خلال الكشف الإلهي والوصايا الإلهية وعمل الله بيننا وشهادة الكنيسة... ليس الله، إذاً، مَن يلد الشرّ بل خيار الإنسان. طبعاً إذا لم يختر الإنسان الله فإنه يدخل في دائرة الشيطان لأن الشيطان هو الذي يخطأ من البدء. إذ ذاك يوجد المرء، عن معرفة أو عن غير معرفة، مستأسراً للشيطان أمير هذا العالم. ما يختاره الإنسان، إذ ذاك، يصير فخّاً له فيجني ما اقترفته يداه. فإنه بالخطيئة دخل الموت إلى العالم وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (رو ٥: ١٢).

لا تضارب البتّة بين خطيئة العالم من ناحية وكون الله عادلاً رحيماً من ناحية أخرى. بل الحقّ أن سماح الله بوجود الشرّ هو تعبير عن رحمة الله اللامتناهية بإزاء البشريّة. فإن الله يترك للإنسان أن يختار ما يشاء. ومع ذلك لم يتخلّ الرب الإله عن البشريّة بل كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة". وبعدما فعل ذلك "كلّمنا، في هذه الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين" (عب ١: ١–٢). يسوع هو المخلّص من الشرّ والموت والشيطان. ولكن على الناس أن يُقبلوا إليه بالإيمان، بملء إرادتهم. على الصليب استبانت محبّة الله على أعظم ما يمكن لمحبّة الله أن تستبين بين الناس. ولكن صليب المسيح لا يُفرض فرضاً. "مَن أراد أن يتبعني فليحمل صليبه ويأتي ورائي". المحبّة لا تكون قصراً. "مَن فتح لي أدخل إليه وأتعشّى معه". كلمة الله يعطيناها روحاً وحياة (يو ٦: ٦٣). أما الذين ينصرفون عنه فهي تدينهم في اليوم الأخير. **(الأب توما بيطار)**

س ٢١٩– ما هي أهمية جبل آثوس الروحية وأين يقع وما هو تاريخه؟

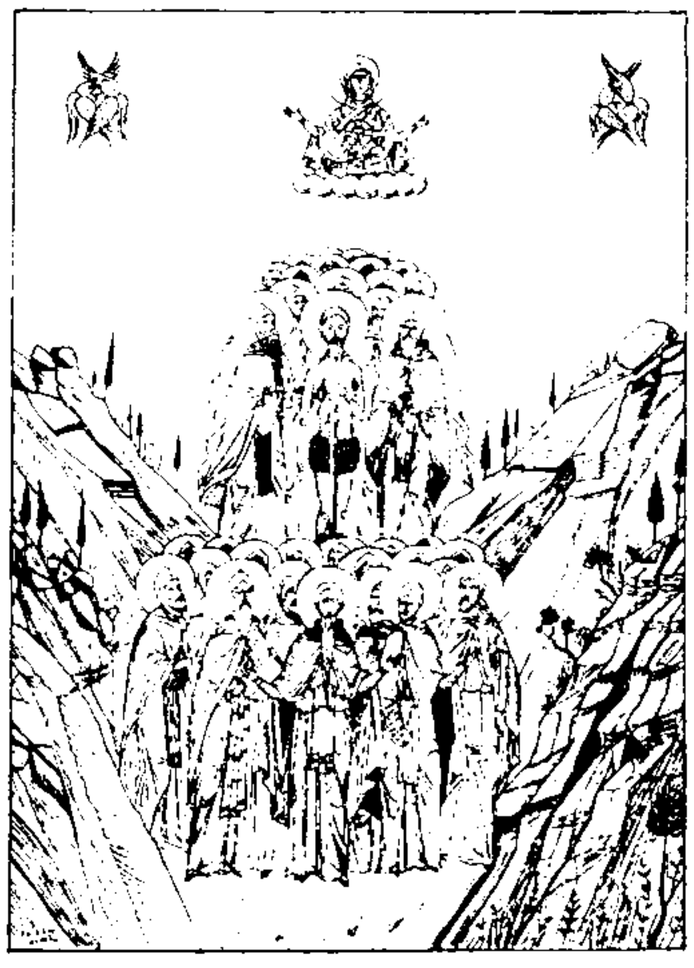

ج ٢١٩ – لقد انفتح العالم الروحي، كما انفتح العالم المادي، بعضاً على بعض. في القرون السابقة كنا نتحدث كثيراً في مجتمعنا الكنسي عن برية مصر ووادي النطرون، أيام بدايات الرهبنة الأرثوذكسية منذ زمان القديس أنطونيوس الكبير، في القرن الرابع الميلادي، والقديس باخوميوس وصيصوي وغيرهم، وبعدما كتب الأدب النسكي جهادات صحراء فلسطين ورهبان دير القديس سابا وبرية الأردن وتوبة القديسة مريم المصرية. ومنذ القرن الحادي عشر حين تفجّرت أصقاع وغابات روسيا عن جهادات قديسين مثل أنطونيوس وثيؤدوسيوس أهل كهوف كييف، وسيرافيم ساروفسكي وسيرجيوس رادونيج وبائيسي وفيلتشكوفسكي. واليوم نذكر خصوصاً جبل آثوس، جبل العذراء القديسة حيث تبقى هي المرأة – السيدة – الوحيدة التي دخلت الجبل ولا تدخله قدم امرأة أخرى من بعدها، في بلاد اليونان.

لن أدخل في تاريخ أو موقع الجبل؛ هذه معلومات يأخذها كل إنسان من شبكة الانترنت. الأهم هو أن نعرف موقع هذا الجبل المقدس وعبر ما يزيد عن الألف سنة في حياة الكنيسة وفي ضمير المؤمنين التائقين والساعين إلى حياة القداسة.

كلنا بحاجة إلى مثال. فالطفل إذ يفتح عينيه يرى وجه أمه وقامة أبيه فيبدأ يتعلّم منهما المشي والكلام والتصرّف، فيصيران مثاله الأعلى. والابن الروحي ينظر إلى كاهنه كمثال أعلى له. واليوم إذ فقدنا المجتمع الذي يتحلّق حول الكنيسة، ترانا بحاجة إلى محاجٍّ صلاتية روحية، فصارت الأديار قبلتنا، والرهبان والراهبات مثالنا.

تاريخ وواقع جبل آثوس هو تاريخ جهاد الإنسان من يوم أصعد الربُ إبراهيمَ إلى أعلى الجبل آخذاً ابنه اسحق

ليقدّمه قرباناً وذبيحة لإلهه. وبعد تجسّد الرب يسوع واقتباله الصلب لخلاص العالم، صار بعض المؤمنين به ينذرون أنفسهم لسلوك الدرب نفسه، درب المحرقة وتقدمة الذبيحة عن أنفسهم وجهالات الشعب. يمدّون المسيح إلى العالم في أجسادهم وأعراقهم وأتعابهم وأصوامهم وصلواتهم ودموعهم، لاستئصال أهوائهم وتنقية قلوبهم حتى تصير مسكناً للرب القدوس.

بعد السقوط صار الكون بحاجة إلى فداء؛ وبعد فدية السيد صار هذا عمل كل مَن يكرّس نفسه لخدمة الرب وخصوصاً الرهبان.

"وجهك يا رب أنا ألتمس" (مز٢٧: ٨). بعيداً عن ضجيج العالم يصعد الراهب إلى ديره حاملاً معه خطيئته وخطيئة العالم ليغسلها بدم الحمل على جبل ثابور قلبه، بالدموع والأصوام والصلوات والسجدات وإماتات الأهواء، حتى ينقّي ما في الصحفة والقلب ليستقبل النور ويصير هو نوراً من نور الرب...

جبل آثوس جبل الشهادة والنور والصلاة. إنه سلالة وادي النطرون وصحراء نيتريا. إليه يحجّ كل مَن تشتاق نفسه إلى ديار الرب، إلى الخلوة مع حبيبه، في الخدر المزيّن بنباتات جهاداته وأعراقه ونِعَم وتعزيات إلهه... هناك عمل الفداء يستمر يومياً. إنه المثال والمحجّة الروحية. إنه أرض القداسة حيث نصلّي أن يصعد إليها الأبكار ليتعلّموا كلمات الصلاة والحب والبذل والفداء. هناك يتواصل الليل بالنهار. فليل الرهبان يلمع بنور الشموس المضاءة في تمتمات اسم يسوع وفي تراتيل وخدم أبقت على تراث الكنيسة الأرثوذكسية حتى يومنا هذا. هناك تُطبّق الوصية الإنجيلية في الحب والموت والقيامة. هناك ينزل الراهب إلى جحيم سقوطه ليرفعه الرب إلى قيامته والعالم حوله.. كل دير أرثوذكسي هو جبل آثوس، وجبل آثوس هو في معظم الأديار حيث تستقر الذخائر المقدسة من الأحياء والراقدين والحياة التي لا نهاية لها، حياة التماس وحضور الرب يسوع.

إذا نظرت الجبل من بعيد أو درت حوله في باخرة، وهذا وحده المسموح به للنساء أو للغرباء – والدخول إلى الجبل يكون في بعض الأحيان سهلاً وفي الأوقات الأخرى صعباً – ترى مئات الأديار والمناسك مغطّاة بالغمام والأشجار والصخور والمزالق الوعرة وبالثلوج في الشتاء، وتكلّل قمته كنيسة التجلّي. هذه الجبال هي للنسور وللذين يعرفون الصبر والقسوة على هذا الجسد الضعيف والنفس الرخوة التائقة إلى الراحة والتلذذ

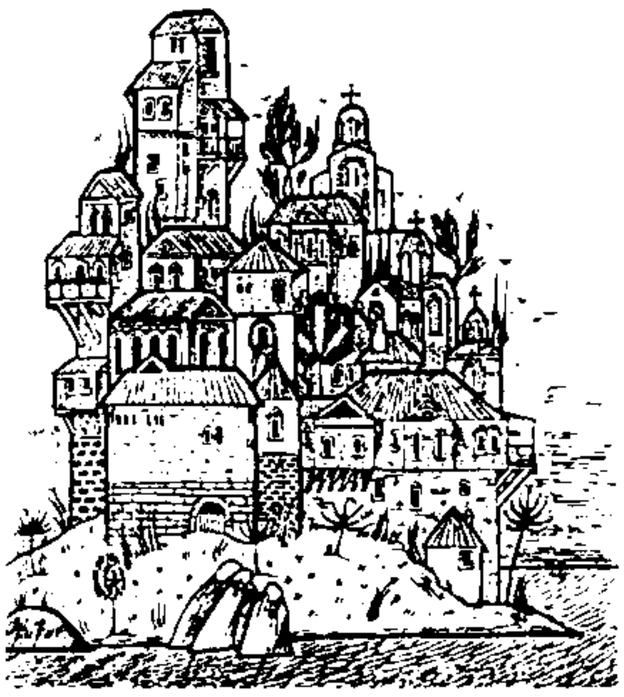

بأنماط المعيشة السهلة. طرقات الجبل التي توصل الأديار أو المناسك بعضها ببعض، ترابية مشقوقة بالأرجل والمعاول والرفوش... ومازالت، إذ يغطيها الثلج في الشتاء، تضيع إلا تحت أقدام العارفين الطريق، فلا يضلّون. وعندما تصل إلى منسك أو دير يلقاك وجه معروق بالدموع والغربة عن مقاييسك واهتماماتك الدنيوية؛ ربما يبتسم لك أو يقدّم لك كأس ماء بارد أتى به من خارج حائط الغرفة، من بئر أو "حنفية"، من الحديقة القريبة مع قطعة حلوى. وإذ تدخل ترى حولك الضروري الضروري من الأثاث الخشبي المشغول مع القش. وكل الأديار أو غالبيتها مبنيّة من الخشب، حيطانها العالية أو القليلة العلو مكتوب عليها آثار حريق ابتلعت نيرانه جزءاً منها أو أبقت على القليل، فأعادت بنيانها الأيدي الخشنة المشققة بالعمل في زراعة الحبوب البسيطة أو الخضار حول الدير، أو حفر علب خشبية للبخور، أو صنع صلبان للبركة أو مسابح لصلاة يسوع يشتريها الزوّار فتكون هذه مساعدة للرهبان في عيشهم.

الضيافة في جبل آثوس هي أن تصل إلى المكان وتدخل في صمتك الداخلي العميق حتى تلقى جحيم نفسك مكشوفاً أمامك، فإما تردمه بالزيارة السريعة أو تبقى مكانك كاشفاً عري خطيئتك أمام شيخ القلاية وبالصلاة التي تبدأ في نصف الليل وتستمر حتى ظهر اليوم الثاني في بعض الأحيان. وبالرجوع إلى شظف وبساطة العيش تعرف أنك لست بحاجة إلى حضارة هذا القرن، الذي همّه أن يلهيك عن الحقيقة، حقيقة الإله وابتعادك عنه فتعود إلى بساطة الخليقة الأولى.

جبل آثوس دينونة للذين لا يريدون سلوك الطريق للوصول إلى الحق والحياة. ربما تلقى أحد الرهبان المتهاونين، لكنك في الغالبية تجد جلاميد صخر يسعون إلى الجلجلة الإلهية، جالسين غالبية أيامهم ولياليهم في حديقة الجثسمانية مع السيد.

كل نهار وليل الرهبان هناك سعي لصلب هيرودس الخطيئة، في الجسد والنفس التي على صورة خالقه ومسيح. فالراهب هناك يبقى مصلوباً حتى لو نزل إليك في استقبال أو إرشاد أو اعتراف، أو مشى معك دالاً إياك إلى كيفية العيش مع الرب بالحقيقة الكلية. هناك تقرأ جملة واحدة محفورة على وجه وأخاديد الدموع فوق المحيا؛ هناك نطق وحيد

لا يُسمع، لكنه يُرى في تحدّب ظهر وطرقة عصا على وعورة الطريق؛ هناك قولة تُسمع صداها في نفسك إذا رقّت وسلكت في عمق عيش الحياة الرهبانية: "مَن يخلّصني من جسد الموت هذا؟" (رو٧: ٢٤).

هذه هي معركة الراهب الأساسية. وعيه سقطته في عمق أعماق روحه ونفسه وجسده وكيانه. هناك يصرخ عقله به أن يهرب من جحيم النيران المستعرة بوجهه لالتهامه. هناك انتظار وصبر وصمت وثبات روح والتماسة رجاء: الرب قام!

ليس جبل آثوس خبراً عن مدينة فاضلة، أو مزار سياحي مسيحي رهباني، يسعى الإنسان الذي يحب المعرفة أن يذهب ليكتشفه ويحدّث عنه وعن انطباعاته حوله، من منطلقه هو ونظرته الخاصة. أنت لا تذهب إلى جبل آثوس لترى شيئاً بإمكانك أن تحدّث عنه. فإما أن تذهب لتلقى ما تبحث عنه روحك وتوقك إلى الكمال الإلهي في الرهبنة والصلاة وفي الاختلاء العميق مع ذاتك، أو تبقى سائحاً تعود لتضع فوق رفوف مكتبك صوراً ومناظر وعلب بخور ومسابح وكتباً وما تكون قد لملمته من زيارتك للقلالي أو المناسك أو الأديار. فجبل آثوس أو بستان العذراء هذا، هو دخولك العليّة، حيث يجتمع التلاميذ حول المعلّم للعشاء وكسر الخبز قبل الإطلاق الكلي للحياة على الصليب. وجبل آثوس هو اقتبالك الدفن لثلاثة أيام ونزولك إلى الجحيم، ورجاء كل نفس ملتاعة على سقوط الكون والإنسانية والمتشوّقة إلى نور القيامة.

جبل آثوس اليوم هو كثابور كل نفس ارتهنت بكليتها للرب خالقها. هو انفجار العشق في النفس للإله... هو الغيرة النارية التي تأكل الروح، فلا تعود ترى علّة لوجودها إلا بالعيش ليل نهار مع خالقها... إنه سلالة الحب الإلهي المفروز في أرض الأحياء منذ أول البشرية. إنه الأنا المصلوبة طوعاً على المخلّص الرب يسوع المسيح لتقول له: "تعال، تعال يا ربي، ولا تُبطئ".. **(الأم مريم زكا)**

الفصل الثامن:

أسئلة كنسيّة عامة - تاريخيّة - فن كنسي

"لكنكم ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال ١ : ٨).

"وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة" (أعمال ١٤ : ٢٣)

"لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة" (أعمال ١٥ : ٢٨)

"لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (أفسس ٥ : ٣٠)

'فكما أن الجسد والرأس هما إنسانٌ واحد، هكذا أيضاً المسيح والكنيسة هما واحدٌ. وكما يشكّل جسدنا وحدةً واحدة، رغم أنه مؤلَّف من أعضاء كثيرين، هكذا نشكلّ كلنا معاً وحدةً في الكنيسة". **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"إنما هناك طريقتان لشقّ جسد الكنيسة. الأولى: إن بردنا في محبتنا؛ الثانية: إذا ارتكبنا آثاماً تجعلنا غير مستحقين لهذه الشركة. في كلتا الطريقتين فإننا ننشق عن بقية أعضاء الكنيسة" **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"ستُحارَب الكنيسة دائماً وستنتصر دائماً. ستثير عداوةً دائماً، لكنها ستنتصر عليها دائماً" **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

"في الكنيسة، إن مصاحبات الآلات الموسيقية للترتيل، والمظاهر الطفولية الأخرى، مثل الرقص والدبكات الإيقاعية، محظورة، ويُسمح فقط بالترتيل... لأن الترتيل يثير النفسَ إلى توقٍ مضطرمٍ إلى ما هو موضوع الترتيلة؛ إنه يلطّف الأهواء الجسدية؛ إنه يردّ الأفكار الشريرة التي يوحي بها إلينا الأعداء غير المنظورين؛ إنه يمنح ندى للنفس، فتصير قادرة على إنجاب كل أنواع الثمار الصالحة؛ إنه يمنح الرياضيين الأتقياء قوةً حتى يتحمّلوا الشرّ برجولة، ويصير للتقي وسيلة لخلاصٍ ضد كل آلام الحياة" **(مخطوط من القرن الخامس الميلادي)**

"هذه الآلات الموسيقية (القانون، والطبلة، والبوق) كانت مسموحةً مرةً لليهود، لتلائم ضعفهم، لتثيرهم إلى المحبة والانسجام.، ولتجعلهم راغبين بصنع ما كان لمنفعتهم" **(القديس يوحنا الذهبي الفم)**

الكنيسة عالم جديد مزروع في عالم قديم. إنها قلب هذا العالم ونبضه وحياته. منها تخرج إشعاعات إلهية غير مخلوقة لتنتشر في الطبيعة والأشخاص فتجددّهم وتباركهم وتقدس حياتهم. إنها الجوهرة النفيسة الوحيدة المخفية في هذا العالم، المنظورة وغير المعروفة. بدون الكنيسة وصلواتها ونِعَمها وقديسيها المعجونين بالروح القدس لما استمر العالم حتى عصرنا الحالي.

أسئلة كنسية

س ٢٢٠ – ما هو التسلسل الرسولي؟

ج ٢٢٠ – في البدء لا بدّ من التفريق بين "الاثني عشر" تلميذاً وبين "الرسول". الاثنا عشر تلميذاً هم مجموعة أو جوقة من الناس اختارهم الرب بنفسه ويدلّون على إسرائيل الجديد أي الكنيسة التي حلّت محل إسرائيل القديم الزاني والخائن (متى ١٩: ٢٨ ولو٢٢: ٣٠). هؤلاء التلاميذ هم شخصيات لا يتكرر دورهم ولا يحل محلهم سواهم. فقط يهوذا الخائن خرج من هذه المجموعة فحلّ محله متيّاس. أما كلمة "رسول" فذات معانٍ متعددة في العهد الجديد. ومجموعة الرسل أوسع من مجموعة الاثني عشر (١كور ١٥: ٥ و٧). بالنسبة لبولس الرسول صفة "الرسول" هي لَمن شاهد ربنا يسوع المسيح الناهض وصار مبشِّراً به. التسلسل الرسولي في الكنيسة الأرثوذكسية يدل على حقيقة أن أساقفة اليوم هم جزء من سلسلة غير منقطعة تتصل مباشرة بالرسل الاثني عشر. هذه العقيدة لا تعني أن الأساقفة هم خلفاء مباشرون للاثني عشر. فلا يوجد سوى اثنا عشر تلميذاً يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. بما أن وظيفة الرسول هي التبشير فلا بد من تعيين أساقفة في الكنائس التي أسّسها الاثني عشر أو الرسل بتبشيرهم لإدراة الشؤون الرعوية. بهذا المعنى يكون الأساقفة خلفاء الرسل. فبولس وبرنابا (في الأربعينات) مثلاً عيّنا شيوخاً في كل كنيسة في آسيا الصغرى (أع ١٤: ٢٣). في وثائق كنسية تاريخية مبكرة (١ كلمندس ٤٢: ٤

ووثيقة الرسل الاثني عشر ١٥: ١) نجد معلومات مماثلة. في الكنائس القديمة جداولٌ تُثبت أن الأساقفة يتصلون كابراً عن كابر بالرسل. ذكر كتاب أعمال الرسل أن الرسل رسموا الشمامسة السبعة، وأن بولس رسم البعض. وفي رسائل بولس جاء أنه رسم تيموثاوس وترك تيطس في كريت ليرسم شيوخاً. وهكذا دواليك. هذا الخط الأسقفي غير المنقطع يُعتبر من أهم العناصر المؤلِّفة لأصالة الإيمان الأرثوذكسي المسيحي. بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية فإن التسلسل الرسولي هو شرط لا غنى عنه qua non sine لأصالة حياتهما الليتورجية والكنسية.

بعد العنصرة بفترة قصيرة، بدأ الرسل بتشكيل كنائس مسيحية محلية كانوا فيها آباء وقادة. وبدورهم ومع انتشار الكنيسة، انتخب الرسل آخرين عيّنوهم على منصبهم الرسولي بعد رسامتهم بوضع الأيدي والصلاة للروح القدس لتزويدهم بقوة خاصة لمواصلة المهمة المقدسة بنجاح. فكان يوجد مشرفون (episcopoi) overseers في ذلك الوقت، وهم الذين يُعرفون الآن بالأساقفة. من البداية ذاتها كان يُعتقد أن الرسامة الرسولية تحمل معها نقلاً لنعمة خاصة معينة تمنح قوة بها يتدبّر الأسقف مهامه الروحية والكنسية والقانونية ضمن القانونية.

هكذا، بين أسقف كنيسة محلية صغيرة اليوم والرسل توجد سلسلة من الأساقفة تتالى واحدهم تلو الآخر عبر رسامات قانونية غير منقطعة رجوعاً إلى الرسل أنفسهم. من ملامح التسلسل الرسولي نجد ما يلي: ١– أساقفة اليوم يؤدون المهمّات نفسها التي كان رسل الماضي يؤدونها. ٢– الوكالة الممنوحة لأساقفة اليوم تنبع من سلسلة أسقفية قانونية تعود إلى الرسل أنفسهم. ٣– يتتالى الأساقفة، الواحد وراء الآخر، بالرسامة الرسولية بقوة الروح القدس الممنوحة بوضع الأيدي.

إن حقيقة التسلسل الرسولي من الرسل وتسلسل الرسل من المسيح أكّدها القديس كلمندس أسقف روما قبل نهاية القرن الأول. ضرورة المحافظة على التسلسل الرسولي ضمن الكنيسة هي أمر غير قابل للمساومة عليه في الكنيسة المسيحية التاريخية

(الأرثوذكسية والكاثوليكية). بما أن الفئات البروتستانتية المختلفة قد انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية بصورة غير نظامية بدون المحافظة على أي تسلسل من الرسامات القانونية، عدا عن أن كل هذه الفئات البروتستانتية قد رفضت الأسرار الكنسية، فإن الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية لا تقرّ بوجود أي تسلسل رسولي في هذه الكنائس ولا بوجود نِعَمٍ تنتقل بالأسرار الكنسية إلى المؤمنين (حتى هذه الفئات البروتستانتية لا تعترف بضرورة التسلسل الرسولي أو وجوده في كنائسها). غياب التسلسل الرسولي في الفئات البروتستانتية يعني غياب أية رابطة عضوية كنسية لهذه الفئات مع كنيسة العهد الجديد التي أسسّها السيد المسيح. هذا لا يعني أن أتباع هذه الفئات هم غير مسيحيين، لكن مسيحيتهم ناقصة (مختلفة) بالقياس لمسيحية الكنيسة الأولى. بعض الكنائس الأرثوذكسية، مع الأسف، تعترف للكنيسة الأنكليكانية بوجود تسلسل رسولي فيها. لكن عدة كنائس أرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية لا تقرّ لها بذلك. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٢١ – ما هو معنى التقليد والتقليد غير الكتابي؟

ج ٢٢١ – في بولس الرسول جاء مراراً أنه سلّم التقليدات ووديعة الإيمان، وأوصى بالمحافظة عليها. ويسوع أرسل تلاميذه يعلّمون ويعمّدون. البشارة الشفوية سبقت البشارة الكتابية. الروح القدس يحفظ الوديعة (٢تيمو١: ١٤). الروح القدس يرشد الرسل ويعلّمهم ويذكّرهم (يوحنا ١٤ و١٥ و١٦). ويسوع وعَدَ بالبقاء إلى نهاية الدهر معنا (متى٢٨: ٢٠).

الكنيسة قبلت الأناجيل وكل العهد الجديد لأنه يؤيّد ما تسلّمته شفوياً. ورفضت الكتبَ الباطنية (الأبوكريفا) لأنها تناقض الكتب القانونية. وهكذا يكون العهد الجديد قطعة من تقليد الكنيسة. إلى جانب ذلك هناك عوائد طقسية كالاتجاه نحو الشرق في الصلوات، واستعمال التغطيس في المعمودية، والخبز المختمر في القربان وسوى ذلك، فتدخل في باب الاستعمال اليومي. فالعهد الجديد لم يطرق مواضيع الطقوس

والاستعمالات الكنسية. ولكن هناك حتماً أصول لإجراء المعمودية وإقامة سرّ الافخارستيا (الشكر الإلهي). ولذلك فالتغطيس والخبز المختمر استعمالان رسوليان تقليديان، وكذلك إشارة الصليب. هذا التقليد الحي كان درع الكنيسة ضد جميع الهرطقات. بولس نفسه قال لأهل غلاطية أن يرفضوه ويرفضوا الملائكة إن بشّروهم بخلاف ما بشّرهم هو به (١: ٨ و٩). الكنيسة اعتبرت دوماً كل تجديد هرطقة تخالف تقليد الكنيسة. رفضت الكنيسة آريوس لأنه أتى بتعليم جديد مخالف إذ أنكر الثالوث القدوس بينما الكنيسة تؤمن به وتعتمد باسمه منذ البداية. دانه المجمع المسكوني الأول (٣٢٥). ودانت في المجمع المسكوني الثاني (٣٨١) مكدونيوس الذي أنكر ألوهية الابن. وزادت على دستور الإيمان لفظة "وتأنّس" أي صار إنساناً ضد أبوليناريوس الذي أنكر وجود الروح nous (ذهن) في ناسوت يسوع. وفي المجمع الثالث (٤٣١) دانت نسطوريوس الذي رفض عبارة "والدة الإله" المتداولة في الكنيسة منذ القدم، وقال إن الطبيعتين في يسوع متحدتين اتحاد مجاورة. ودانت افتيخيوس (أوطيخا) الذي قال بابتلاع الطبيعة الإلهية في يسوع لطبيعته البشرية. ودانت سرجيوس وسويروس وكل القائلين بالمشيئة الواحدة وذلك في المجمع السادس (٦٨١) لأن الآباء قالوا بالمشيئتين والفعلين. ودانت محاربي الأيقونات وذلك في المجمع السابع (٧٨٧) لأن إكرامها قديم ومرتبط بتقديس المادة والكون بفضل تجسّد إلهنا، وهكذا دواليك. لا يستطيع أحد أن يقول إن العقيدة الأرثوذكسية الفلانية حدثت بتاريخ كذا[١]. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٢٢ – كيف صار الأساقفة خلفاء الرسل في الكنيسة؟

ج ٢٢٢ – في العهد الجديد نرى الرسل يقيمون القسوس والشمامسة. وبولس أقام تيموثيئوس وتيطس ليقيموا قسوساً. وهكذا خلفاء الرسل أقاموا سواهم وهؤلاء أقاموا التابعين فالتابعين إلى يومنا هذا. **(اسبيرو جبور)**

---

(١) بالنسبة للتقليد الكنسي راجع السؤال عن الفرق بين الأرثوذكسية والبروتستانتية (س ١٦١) وعن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" (س ١٦٢) في الفصل السادس من هذا الكتاب.

س ٢٢٣ الكنيسة أمجمعية هي أم رئاسية؟ هل الرأي للمجامع أم للأسقف أم للأكثرية؟

ج ٢٢٣ أجيب جواباً لاهوتياً مسكونياً بغض النظر عن الفوضى عندنا.

الكنيسة مجمعية بمعنى أنها في أعماقها كنيسة واحدة مقدسة رسولية، حين يظهر فيها أساقفة يمثلون مجامع محلية أو مسكونية. مجمع الإنطاكي جمع ثلاث مرات على مقر بطريركيته في وقت كان المسيحيون فيه أقلية. مجامع مسكونية حرمت فيه طائفة من الكنيسة وقطعت الباقين.

مجمعي قسطنطين الخرب على هرطقة سفطريوس فسفط. في مسائل الإيمان لكل مؤمن حق في إبداء رأيه على أنظار الأساقفة والكهنة. مجلات الأرثوذكسية تنشر نظرات مسكونية وسبق أن كتب في خمسينات محمد يوناني مقالة ضد رئيس أساقفة أثينا وسفطس.

من مسائل الإدارية فيما هو خاص بكل برشية ومنها ما هو خاص بالكنيسة بأكملها. مقر رئيس أساقفة برشية يستعين بأعوان كثيرين وخاصين. حين يعقد برشية نظرات وخصوصاً نظرات وبدون عقد نصدر قرارات إدارية بالأكثرية وحين تساوي يرجح صوت بطريركها خمسة في وقت معين في الانتخابات يرجح جمع، وتنتخب النظرات في المسائل العقائدية حتى لا تنقسم ولا بالأكثرية بل بصوت الحق لأن عيار المسيحيين الجمع لحق كلمة معاونة وتحجيد وعدد كان وهو عدم من النظرات. ففي العقائد الكلمة العليا للعقيدة التي تبرئ كل واحد وخاصين بها حق في معارضة الجمع كلما إن ضل. وهذا ما أعلن في الكنيسة من عهد عظمى.

يوحنا صفرونيوس الدمشقي ومكسيموس المعترف (خسفين الجولان السورية) قادوا الأرثوذكس من أنطاكية وسوريا وفلسطين والنظرات والشعب والمجمع. وانتصر بعد أن دام الأول في ٦٣٨ والثاني في ٦٦٢). نعقد مجمع السادس مسكوني (٦٨٠ - ٦٨١) فسحب حكم منهم لهرطقة وكرس تعليمهما: يسوع الله واحد في طبيعتين ومشيئتين وفعلين.

حرب الأيقونات استمرت مائة عام. فشل الأباطرة وزلمهم من البطاركة والمطارنة والحكام وانتصر الراهب يوحنا الدمشقي بعد رقاده في ٧٤٩ في المجمع المسكوني السابع (٧٨٧). هناك مجامع عديدة عقدها الهراطقة فرفضتها الكنيسة الأرثوذكسية. المعصوم هو المنادي بالإيمان الأرثوذكسي القويم التقليدي ولو وقف الكون كله ضده. والنصر يوماً له، مهما صخبت الدنيا. يغربل الله الأمور ويعلّي شمس القمح ضد الزؤان. (**اسبيرو جبور**)

س ٢٢٤ – الكنيسة أمحلية هي أم عالمية؟ هل كنيسة "الحي" جزء أم كل؟

ج ٢٢٤ – في العهد الجديد الجماعات التي أسّسها الرسل اسمها كنائس. إنما الكنيسة كجسد المسيح تضم المؤمنين الأحياء والأموات والملائكة (أفسس، كولوسي، العبرانيين). حيثما وُجد الأسقف قامت الكنيسة (القديس إغناطيوس الأنطاكي). إلاّ انه في الأوائل اتفق أن بشّر أناس قبل قيام أساقفة. فالشماس فيلبس بشّر السامرة ووزير ملكة الحبشة. والذين هربوا من أورشليم بعد اغتيال استيفانوس بشروا السواحل الفينيقيّة وقبرص وأنطاكية. الاّ انه كان بينهم غالباً بعض القساوسة، أو كانوا من حاشية الرسل الاثني عشر (الرسل السبعون مثلاً وسواهم). فبيروت مثلاً منسوبة إلى كدراتوس واللاذقية إلى لوكيوس. لا يتجزّأ جسد المسيح. قال الذهبي الفم: المسيحي في الهند أخونا. (**اسبيرو جبور**)

س ٢٢٥ – أين هي الديمقراطية في إدارة الكنيسة الأرثوذكسية؟

ج ٢٢٥ – بالمعنى السياسي الغربي لا ديمقراطية في إدارة الكنيسة. ولكن هناك معاهد اللاهوت والمجالس المليّة وعمداء الكنائس والمدارس والمشافي والمياتم ومآوي العجزة والجمعيات الخيرية وما إلى ذلك. ولا تصحّ رسامة رجال الدين بدون رضى الشعب الذي يهتف حين الرسامة: "مستحق". ولكل مؤمن – كما يرى فلاديمير لوسكي – أن يعترض على المخالفات وأن يقاوم البدع. يفسّر البعض ديمقراطية الكنيسة بحرية الرأي لكل مؤمن. هذا ضلال مبين. كل رأي مخالف لتقليد الكنيسة بدعة. فلسنا كنيسة محلية متقوقعة. نحن منتشرون في كل الدنيا ولنا إيمان واحد. لا تنوّع في الإيمان، وإلا صرنا مثل الفرق التي لا تُحصى في أميركا.

وفي الكنائس الحسنة التنظيم يستعين الأساقفة بالخبراء الماليين والمهندسين والحقوقيين وبأهل الخبرة من كل الألوان. وبواسطة الكهنة الجيدين والمجلات والنشرات يقف المؤمنون على مجرى الأمور. السلطة في الكنيسة خدمة لا تسلّط واستبداد. وفي التاريخ القديم كان الشعب ينتخب الأساقفة. في أبرشية طرابلس أتى أهل قرية المطران ثيوذوسيوس يطالبون بأحدهم كاهناً. سألهم عن امرأة تعارض. استدعاها. سمع اعتراضها فرفضه. المسألة مسألة حسن استعمال. مبدئياً الأسقف والرعية واحد. وفي المجامع المسكونية يشهد كل أسقف بإيمان رعيته التقليدي. (**اسبيرو جبور**)

س ٢٢٦ – ما معنى "أرثوذكسية"، "كاثوليكية"، "بروتستانتية" ولماذا دُعيت هذه الكنائس هكذا؟

ج ٢٢٦ – اللفظتان يونانيتان؛ "الأرثوذكسية" تعني استقامة الرأي، المستقيم، غير الهرطوقي، أو الحسن التمجيد، و"الكاثوليكية" تعني الجامعة وتعني "أرثوذكسية" أيضاً. غلبت التسمية الأولى في الشرق، والثانية في الغرب. في العام ١٥١٦، انشقّ لوثر عن البابا ونادى بإصلاح المفاسد. سُمِّي أتباعه محتجِّين أي بروتستانت. دستور الإيمان لديهم جميعاً نصّ باليونانية: "وبكنيسة واحدة، قدوسة، كاثوليكية" (جامعة). الكنيسة الكاثوليكية لدى إغناطيوس الأنطاكي (١٠٧) وبوليكاربوس (١٥٦) هي الكنيسة الأرثوذكسية تجاه الكنائس الهرطوقية. لذلك مازلنا نستعمل في الكتب: "الكنيسة الكاثوليكية الأرثوذكسية". ما تخلينا عن اللفظة للغرب تماماً. (**اسبيرو جبور**)

س ٢٢٧ – هل يوجد بابا في الكنيسة الأرثوذكسية على غرار بابا روما؟ وما هي علاقة الكنيسة الأرثوذكسية حالياً مع بابا روما؟

ج ٢٢٧ – لفظة "بابا" معناها "أب": تُطلق على الكهنة في اليونان. واسم أول الكهنة بروتوباباس. هو أعلى من الباباس أي من البابا. في اليونان ليس لها أي هالة كما تطبّل روما. بطريرك الإسكندرية يحمل لقب بابا.

العلاقات مع روما نوعان: زيارات وحوار لاهوتي بطيء، ينقصه دفعة من اللاهوتيين الأرثوذكس العمالقة مثل ثيوفانس الحبيس الروسي لكي يتحقق التفاهم.

المسائل العقائدية تحتاج إلى لاهوتيين قديسين من الطرفين. اللاهوتيون الغربيون النبلاء أدركوا أن لدى أسلافهم أخطاء. أقلعوا عن ذكر المطهر. غيّبوا التمسّك بانبثاق الروح القدس من الابن. تراخوا في عدة بنود. في العام ١٩٩٣ وسط حديث طال ٣ ساعات ونصف اعترف لي سيادة المطران الكاثوليكي الياس الزغبي: كل اللاهوتيين الكاثوليك الكبار قلبهم أرثوذكسي: الكردينال دانييلو، مارو، لوغيتو، هنري دي لوباك....

طبعاً بدون التواضع العميق الجمّ والخضوع العميق للحقيقة الذي أوصى به الرسول بولس (٢ كور ١٣: ٨) كل حوار يبقى ذا مفعول نسبي. متى صارت الحقيقة الكاملة معشوق الناس اهتدوا إلى الحق بنعمة الإله الحق. لا تعصّب إلا التعصّب للحقيقة المطلقة. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٢٨ – إلى أي مدى يجب على الكنيسة أن تنغمس في النشاط السياسي؟

ج ٢٢٨ – نحن مواطنون في مملكة الله وفي مملكة آدم: "أعطوا ما لله لله، وما لقيصر لقيصر". في السياسة دجل. المطلوب أن تكون الكنيسة مخلصة للوطن بشرف دون تلوّث بالسياسة وأحابيلها. هي الفئة الوطنية التي تجسّد قيم الإنجيل. المصيبة في السياسة هي: الغاية تبرّر الوسيلة. السياسي يعتمد مبدأ "المصلحة". يتلوّن تبعاً للمصلحة. في شرقنا الكذب ملح الرجال. السياسة فيها كذب[٢]. ولكن الكنيسة موجودة في قلب هذه الجحيم. تحتاج إلى رجال أفذاذ لتسلم من نار الجحيم. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٢٩ – ما هو الفرق بين التقويم الكنسي القديم والجديد وأيهما أصح؟

ج ٢٢٩ – انعقد المجمع المسكوني الأول في نيقية (٣٢٥) لمناقشة أمرين رئيسيين مهمين: الأول هو هرطقة آريوس والثاني هو وضع تقويم كنسي موحَّد لتعييد عيد الفصح المجيد في كل مكان في التاريخ نفسه من قبل كل الكنائس. قرّر مجمع نيقية تعييد عيد الفصح

(٢) الكذب في الغرب أخطر لأنه أذكى ومتقن لذلك أفحش (المحرّر).

في يوم الأحد الواقع بعد أول بدر من الاعتدال الربيعي. أدخلت الكنيسة مفهومي الاعتدال الربيعي الكنسي والبدر الفصحي الكنسي بصورة غير مرتبطة بعلم الفلك بصورة صارمة، وذلك بغية الاحتفال بعيد الفصح من قبل كل الكنائس في كل الأماكن في يوم الأحد نفسه.

في وقت استعمالهما للمرة الأولى لم يختلف الاعتدال والبدر الكنسيان عن نظيريهما الفلكيين بأكثر من يوم أو اثنين. هكذا ضمنت الكنيسة التعييد لعيد الفصح في كل الكنائس وفي كل المناطق بحسب جدول يحدّد سلفاً يوم العيد.

عبر العصور، زادت الهوة الفاصلة بين البدر الفصحي الكنسي والاعتدال الربيعي الكنسي (المحسوبَين بحسب الجدول) عن نظيريهما الفلكيين[٣]. وبالتالي بدا واضحاً أن التقويم الجولياني الكنسي لم يكن دقيقاً جداً فلكياً في حساب موعد الاعتدال الربيعي. في العام ١٥٨٢، أدخل البابا غريغوريوس الثالث عشر إصلاحاً على التقويم هدفه استعادة الاتفاق الشبه التام الأصلي بين الحوادث الفلكية والحوادث الكنسية. أدى الإصلاح الغريغوري إلى استحداث جداول جديدة لحساب الفصح بدل الجداول الجوليانية القديمة. هكذا صار يوجد فارق بين تاريخ الفصحين الشرقي والغربي قد يبلغ ٥ أسابيع في بعض السنوات (كما في العام ٢٠٠٢). كانت النتيجة أن الفصح في التقويم الجديد كان يتزامن في سنوات معينة مع الفصح اليهودي، وهذا ما حرّمه المجمع المسكوني الأول.

في القرون اللاحقة تبنّت أوروبا الغربية وأمريكا التقويم الغريغوري كتقويم رسمي مدني وكنسي معاً، بعد أن تبنّت كل الكنائس الكاثوليكية التقويم الغريغوري الجديد

(٣) إن سبب كون التقويم الجولياني انزلق بعيداً عن الحدث الفلكي للاعتدال الربيعي هو لأن التقويم الجولياني يفترض أن السنة مؤلّفة من ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات، أي ٣٦٥.٢٥ يوماً. بينما الطول الفعلي للسنة المدارية هو ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية، أي ٣٦٥.٢٤٢٢. بالتالي، فإن السنة الجوليانية هي أطول من السنة الطبيعية (المدارية) بـ ١١ دقيقة و١٤ ثانية، أي بـ يوم واحد تقريباً كل ١٢٦.٣١٦ عاماً. لهذا السبب سنَّ التعديل الغريغوري أنه فقط مرة كل ٤ قرون (القابلة للقسمة على ٤٠٠) يجب أن تكون سنوات كبيسة، جاعلة السنة التقويمية دقيقة بيوم واحد كل ٣٣٠٠ عاماً.

الذي فُرض عليها من الفاتيكان[٤]. أما في العالم الأرثوذكسي، فبالإضافة إلى ثلاثة مجامع دانت هذا التقويم، دعت سلسلة من المجامع اللاحقة إلى رفض التقويم البابوي (الغريغوري) ووضعت عقوبة الفصل من الكنيسة لكل مَن يتبع التقويم البابوي.

لكن التقويم الجولياني المعدَّل قد فُرض بالقوة (على طريقة الانقلاب العسكري الدموية) على الكنيسة الأرثوذكسية في اليونان العام ١٩٢٤، مما أدى إلى شق الكنيسة إلى فريقين متحاربين: فريق التقويم الجديد الذي تؤيده الحكومة العسكرية الثورية اليونانية، وفريق التقويم القديم الذي رفض هذا التغيير. مع الأسف، أدى هذا التغير إلى مصادمات دموية بين الفريقين، وإلى سقوط قتلى وعشرات الجرحى بين صفوف أتباع التقويم القديم وإلى انتهاك حرمة كنائسهم وإهانة كهنتهم.

دخل التقويم الجولياني المعدَّل إلى جميع الكراسي الأرثوذكسية تباعاً في القرن العشرين، فصارت تعيّد جميع الأعياد الثابتة بحسب التقويم الغريغوري (عيد رقاد السيدة، عيد الميلاد مثلاً)، بينما حافظت على التقويم الجولياني في تعييد الأعياد المتبدلة المرتبطة بعيد الفصح (عيد الفصح والعنصرة، الخ).

ما هو تقويمنا للتقويم الكنسي قديمه وحديثه؟ أرجو من القارىء الكريم أن يتحلّى بموضوعية وأمانة قبل أن ينبري إلى اتخاذ موقف معين ضد آخر. فأنا هنا لا أدعو إلى تبنّي التقويم القديم ضد الحديث ولا إلى ذمّ التقويم الغريغوري بالكلية. لكني سأحاول عرض بضعة نقاط لتساعد القارىء على استجلاء الموقف.

١– التقويم الجولياني غير دقيق فلكياً، أما التقويم الغريغوري فأدق وإنما لا يخلو من الأخطاء. كلاهما يحتاج إلى إعادة نظر.

٢– الدقة الفلكية ذات أهمية ثانوية. الأهمية الأولى في التقويم الكنسي هو تعييد عيد الفصح والأعياد المسيحية الأخرى من قبل كل المسيحيين في التارخ نفسه في كل مكان. هذه كانت الغاية الرئيسية من وضع التقويم الجولياني من قبل المجمع المسكوني الأول.

(٤) التقويم الغريغوري ليس دقيقاً أيضاً. ففي العام ٢٠١٩ سيكون الفصح المحسوب علمياً في تلك السنة واقعاً في ٢٤ آذار، لكن التقويم الغريغوري سيضع الفصح في تلك السنة في ٢١ نيسان، بينما سيكون بحسب التقويم الجولياني في ٢٨ نيسان.

٣- لا يمكن للكنيسة الأرثوذكسية أن تقبل التقويم الغريغوري الجديد لأنه يخالف المجمع المسكوني الأول في مسألة وجوب تعييد عيد الفصح المسيحي بعد عيد الفصح اليهودي. ففي التقويم البابوي يمكن للفصح المسيحي أن يقع مع الفصح اليهودي. هذا بالطبع يخالف المجمع المسكوني الأول لأنه يخالف الكتاب المقدس.

٤- فرض التقويم الجولياني المعدَّل على الكنائس الأرثوذكسية كان بطريقة هي أشبه بوصمة عار، فضلاً عن أن غاية هذا الفرض لم تكن الدقة الفلكية بل تسهيل اشتراك الكنائس الأرثوذكسية في الحركة المسكونية. لهذا فتعديل التقويم الجولياني يجب أن يكون عبر مجمع أرثوذكسي شامل، بحيث يحافظ على وجوب تعييد الفصح المقدس بعد الفصح اليهودي دائماً. هذا لا يمنع اشتراك الكنيسة الكاثوليكية في وضع هذا التعديل ليُنتج تقويماً كنسياً واحداً يتفق عليه الأرثوذكس والكاثوليك ويستوفي شروطهما معاً. اشتراك الكنيسة الكاثوليكية هو أمر هام ومطلوب.

٥- إذاً: مسألة التقويم الكنسي لم تُحسم بعد، وطريقة حسمها لا تأتي عن طريق اجتماعات هامشية ثانوية جانبية أبعد ما تكون عن الدقة اللاهوتية والتاريخية والعلمية والكنسية المفترض وجودها في مثل هذه الاجتماعات. مسألة الحسم هذه تتطلب أولاً التوقف عن المهاترات والتضليلات للمؤمنين من كلا الطرفين.

٦- أخيراً، على الكنيسة الأرثوذكسية واجب أمام الله وهو إعادة شمل الأخوة الأرثوذكس من أتباع التقويم القديم واشتراكهم في حسم مسألة التقويم، بحيث يعود الجميع إلى شركة الكأس الواحدة، بدلاً من تبادل الاتهامات والغلوّ في التطرّف الكنسي كما نشهد مؤخراً.

مسألة التقويم الكنسي هي سمة لانشقاق الكنائس. وإن كان تركيز جمهور المؤمنين من كلا الطرفين على وجوب تعييد الفصح المقدس في التاريخ نفسه (وهو أمر مهم)، إلا أن جذور الانشقاق أعمق من هذا مع الأسف. ونحن نصلّي لرب المجد أن يُلهم كنيسته المباركة ليكون الجميع واحداً في كل شيء لمجد اسمه القدوس[٥]. **(د. عدنان طرابلسي)**

---

(٥) راجع: د. عدنان طرابلسي: "الحوار المسكوني بين الكنائس".

س ٢٣٠ – ما هو مجلس الكنائس والحركة المسكونية؟ وهل يجب أن تكون الكنيسة الأرثوذكسية مشتركة فيه؟

ج ٢٣٠ – لا يوجد مسيحيان يختلفان حول ضرورة الحوار بين الكنائس المتنوعة وضرورة التعاون المشترك لخدمة المجتمع الإنساني الذي عاش فيه الرب يسوع متجسداً ومات من أجله فباركه وقدّسه ودعاه ليكون شريكاً في ملكوت السموات. فالحوار بين الكنائس والتعاون وتبادل الخبرات والمعونات والشهادة لغير المسيحيين هيْ أمورٌ متّفقٌ عليها وضرورية جداً. هذه العلاقات بين الكنائس المتنوعة تستدعي الاحترام المتبادل والمحبة المسيحية ولا تتطلب اتفاقاً إيمانياً تاماً.

السؤال هنا لا يتعلق بما ذكرنا أعلاه. السؤال هنا يتعلق بمجلس الكنائس العالمي وباشتراك الكنيسة الأرثوذكسية فيه. مجلس الكنائس هيئة ذات أهداف ونظام ورئاسة ونشاطات معينة. لهذا تقويم اشتراك الكنيسة الأرثوذكسية بمجلس الكنائس يستدعي تقويم مجلس الكنائس نفسه أولاً. قبل الحديث لا بد من الانتباه إلى أن غايات الأعضاء المشاركين في مجلس الكنائس هي غايات مختلفة. فالأعضاء غير الأرثوذكس ربما راضون عن اشتراكهم لأنه يحقق غاياتهم ولا يتفقون مع الأعضاء الأرثوذكس في تقويمهم.

بما أن هذا الموضوع قد ذُكر بإسهاب في كتاب آخر[٦]، أودّ هنا أن أذكر بعض النقاط المعينة لتساعد القارىء على الإجابة بنفسه على السؤال أعلاه.

١– مجلس الكنائس ابتعد عن أهدافه الأصلية في التقريب بين الكنائس. صار حلبة لقاء لديانات أخرى غير مسيحية، لا بل شهدت بعض نشاطاته ممارسات وطقوس وثنية (شامانية) مخجلة.

٢– طبيعة مجلس الكنائس في إدارته واتخاذ القرار فيه لا تسمح للكنائس الأرثوذكسية بالاشتراك الفعّال فيه بحيث تشهد بنشاط لأرثوذكسية إيمانها بالمقارنة مع بنود إيمان بقية الأعضاء. هذا أحال الأعضاء الأرثوذكس في مجلس الكنائس إلى أعضاء غير فعّالين بدلاً من أعضاء مبشِّرين.

---

(٦) راجع: د. عدنان طرابلسي: "الحوار المسكوني بين الكنائس".

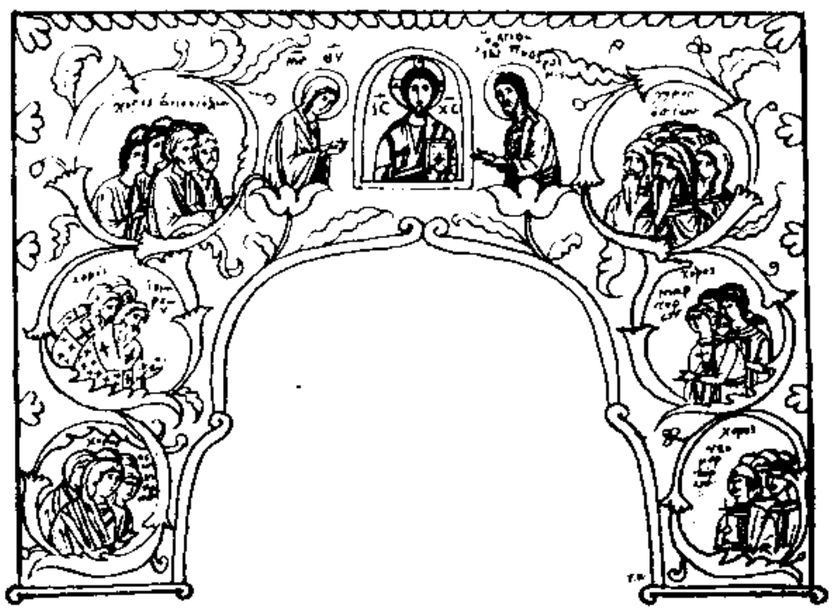

٣- توجد نظريات في أجواء مجلس الكنائس تتنافى مع الإيمان الأرثوذكسي. منها: نظرية الفروع المسيحية، نظرية النسبية ونظرية الاستصغار العقائدي. هذه الفروق ناجمة من عدم اتفاق أعضاء مجلس الكنائس حول مفهوم الكنيسة وطبيعة الانقسامات بين الكنائس وطبيعة الوحدة المنشودة وسبل تحقيقها.

٤- بالنسبة للأرثوذكس إن الغاية البعيدة من الحركة المسكونية التي يجب أن تواجهها هي مشكلة الانقسام، أي الانفصال عن الكنيسة الأم، الكنيسة الأرثوذكسية. أتباع الحركة المسكونية غير الأرثوذكس يتكلمون عن رغبتهم باتحاد الكنائس المسيحية المختلفة. إنهم يتكلمون عن اتحاد unity للكنائس بدون وحدة union كخطوة أولى. لكن الاتحاد الأساسي غير ممكن بدون وحدة. عندما يتكلمون عن اتحاد فإنهم يعنون بالدرجة الأولى تعاون على المستوى العملي الاجتماعي. لكن هذا التعاون cooperation لم ولن يؤدي إلى الوحدة. فبالمفهوم الأرثوذكسي يأتي الاتفاق العقائدي أولاً لإعادة الوحدة.

٥- المعيار العقائدي للكنيسة الأرثوذكسية هو دستور الإيمان مع قرارات المجامع المسكونية السبعة مع التقليد المقدس غير المنقطع منذ أيام العهد الجديد. هذا بالضبط ما يتم تجاهله من قبل الأعضاء غير الأرثوذكس في مجلس الكنائس.

٦- الأعضاء الأرثوذكس المشاركون في مجلس الكنائس لا تتوفر فيهم الشروط المطلوبة ليكونوا مبشِّرين، أنبياء، لاهوتيين، رسلاً، الخ. نوعية الأعضاء المشاركين ونوعية النشاطات المشتركة تُفضي إلى طبيعة إيمان وممارسة هي أبعد ما تكون عن الإيمان الأرثوذكسي. فما حاجة الكنائس الأرثوذكسية لمجلس لا يبني الحياة الروحية والإيمانية لأعضائه الأرثوذكس بما يتفق وتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية؟

نحن أحوج ما نكون اليوم للوقوف معاً كمسيحيين في وجه التحديات التي تواجه الكنيسة وتواجه خلاصنا ونحن على عتبة الساعة الثانية عشرة الأخيرة. لهذا لا بد أولاً من تحطيم أصنام العلاقات المزيّفة بين الكنائس وأصنام المراءاة والمحاباة والتملّق و.. و... الخ. لا بد من العمل معاً لخلاص البشرية بقدر ما يسمح إله المجد. وإذ نحمل أمانة غالية

كأرثوذكس هي أمانة التقليد الآبائي المقدس يجب أن تشهد أعمالنا وحياتنا على إيماننا وعلى محبتنا وعلى أمانتنا للوديعة الصالحة الساكنة فينا بالروح القدس المُعطى لنا. **(د. عدنان طرابلسي)**

أسئلة تاريخية

س ٢٣١ – متى بدأت الكنيسة: قبل العهد الجديد أم بعده؟ أو بمعنى آخر: ما هي العلاقة بين الكنيسة والكتاب المقدس؟

ج ٢٣١ – مَن يسأل سؤالاً كهذا يفتش عادة عن حجة لتفوّق الكتاب المقدس على الكنيسة المقدسة ليقوّي موقف الجماعات البروتستانتية في التركيز على فردانية المسيحيَ إزاء الكتاب المقدس وتمييع مفهوم الكنيسة ولاهوتها.

بعد قيامة سيد المجد وعد تلاميذه أن يُرسل إليهم موعد أبيه عندما سيلبسون قوة من الأعالي (لو٢٤: ٤٩، أع ١: ٤). موعد الآب هذا هو عندما سيحلّ الروح القدس على المؤمنين كما سبق ووعد الله بيوئيل النبي وكما شرح القديس بطرس الرسول يوم العنصرة المجيدة (أع ٢: ١٤– ٣٦). حلول الروح القدس على التلاميذ والنسوة وأم الرب في وسطهم كان معموديةً لهم بالروح القدس (أع ١: ٥)، والروح القدس يعلّمهم كل شيء. فكان أمرٌ. ووُلِدت الكنيسة المسيحية يوم العنصرة أو يوم حلول الروح القدس لأول مرة على التلاميذ المجتمعين في العلية، بعد خمسين يوم من القيامة (أع ٢).

كتبة العهد الجديد يكرّرون في كل مناسبة الفروق بين العهد القديم (الذي شاخ وقرب من الاضمحلال) والعهد الجديد (الأبدي)؛ بين ناموس العهد القديم المكتوب على ألواح حجرية وناموس العهد الجديد المكتوب على ألواح القلب اللحمية إلى الأبد؛ بين زمان العهد القديم المحدود وزمان الناموس وعهد نعمة العهد الجديد الأبدية غير المحدودة، بين

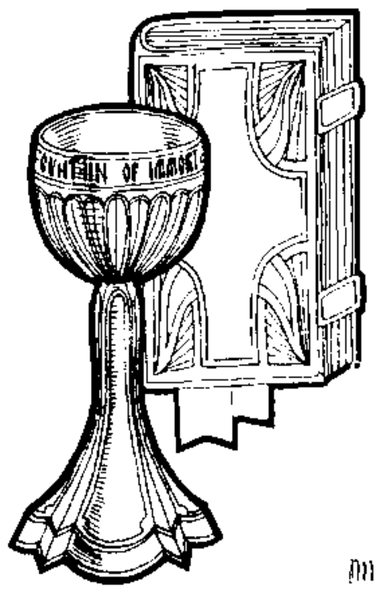

كهنوت العهد القديم الناقص والمحدود وكهنوت العهد الجديد الكامل والذي يخلِّص، الخ. لهذا فالروح القدس له المجد الذي كان يُلهم أحباءه في العهد القديم سكن فينا في العهد الجديد بعدما صار ذلك ممكناً بذبيحة المسيح الخلاصية. الروح القدس هذا هو الذي أسّس الكنيسة من المؤمنين كأعضاء لجسدٍ رأسه هو المسيح. وهو الذي يعلّم المؤمنين ويُرشدهم ويقويّهم ويعزّيهم ويقدّسهم وبالنهاية يخلّصهم.

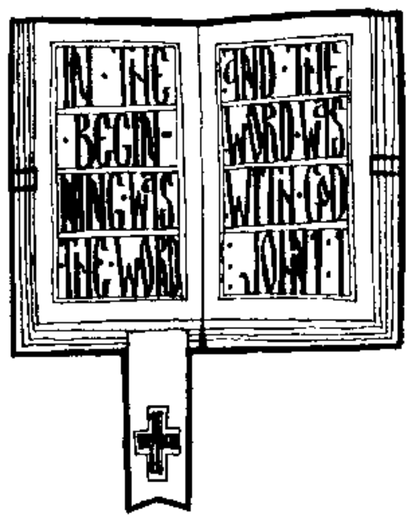

الروح القدس الذي أسّس الكنيسة يوم العنصرة وجعل المعتمدين باسمه رسلاً وشهوداً يشهدون بقيامة المسيح والخلاص، هو الذي صار يضمّ إلى الكنيسة يومياً المؤمنين المعتمدين باسم الثالوث القدوس. الروح القدس هو الذي علّم المؤمنين أن المعمودية هي طريق الانضمام إلى الكنيسة. الإيمان الشخصي بيسوع المسيح رباً وإلهاً ومخلِّصاً والإيمان بتجسّده وصلبه وموته وقيامته كان شرطاً ضرورياً لهذه المعمودية وللصيرورة مسيحياً عضواً في الكنيسة جسد المسيح.

مع انتشار المسيحية واجهت صعوبات واضطهادات وتعاليم غريبة. كان على المؤمنين بإرشاد الروح القدس أن يجاهدوا ضد التعاليم الغريبة بأنواعها. ومع اتّساع رقعة البشارة ومع انتشار كل أنواع التعاليم الشيطانية بين التعاليم المسيحية، رأت الكنيسة وجوب تدوين التعاليم المسيحية كتابةً بدلاً من حفظها شفاهةً فقط. لكنها وجدت نفسها أمام سيل غزير من الكتابات المختلفة المتفاوتة في التعليم والمستوى الروحي والأخلاقي. فكان لابد من استعمال "التمييز" بين الكتابات المسيحية الصحيحة (وهي التي دُعيت "قانونية") وغير الصحيحة (أو "غير القانونية"). هذا التمييز هو موهبة الروح القدس المُعطاة للكنيسة. فبدون الروح القدس لم يمكن معرفة أو تمييز الكتابات "القانونية" المكتوبة بإلهامٍ من الروح القدس نفسه. الروح القدس الساكن في الكنيسة هو الذي عرّف الكنيسة بالكتابات التي ألهم كتابتها. استغرقت كتابة أسفار العهد الجديد عشرات السنين بدءاً من إنجيل متّى الآرامي وإنجيل يوحنا (العام ١٠٠). واستغرق قبول الكنيسة لها جميعاً بعض الوقت. فأقدم جدول هو الجدول العائد إلى العام ١٧٠–١٧٥ بحسب اختلاف آراء العلماء. ومع ذلك بقي بعض الاختلاف. وظهرت الكتب الباطنية فاستغرق أمر تمييزها من الكتب القانونية بعض الوقت حتى القرن الثالث–الرابع من

الميلاد. عاش المسيحيون قبل ذلك بدون بشارة مكتوبة (بدون أسفار العهد الجديد)، يعلّمهم الروح القدس الساكن فيهم الذي نقش تعاليمه على ألواح قلب لحمية.

عندما جمعت الكنيسة أسفار العهد الجديد الحالية وأقرّت بها بعد أن ميّزتها بأنها "قانونية" صار للمسيحيين ما يُدعى اليوم العهد الجديد مقارنة مع الكتابات اليهودية التي دعتها الكنيسة العهد القديم. فتدوين أسفار العهد الجديد وتمييزها والإقرار بقانونيتها كلها قد تمّت ضمن الكنيسة (جسد المسيح) التي ولدت يوم العنصرة وبإلهامٍ من الروح القدس الساكن في هذه الكنيسة. لهذا فالكنيسة ولدت قبل العهد الجديد، والعهد الجديد وُلد في الكنيسة، فهو كتاب الكنيسة وهي التي تشهد له، وهي التي قامت بغربلة الكتب الكثيرة التي كُتبت عن المسيح والمسيحية، فقبلت ما هو مُلهَم به من الله ودعته الأسفار القانونية. لهذا بدون الكنيسة أولاً لم يمكننا أن نحصل على العهد الجديد. وبدون الكنيسة لما أمكن حفظ العهد الجديد طوال ٢٠ قرناً حتى يومنا الحالي.

الكنيسة أيضاً اعتبرت أن العهدِ القديم هو كتابها مذ أن رفض اليهود الإيمان بيسوع الناصري مسيحاً وإلهاً متجسّداً. هو كتابها بمعنى أنه يحوي النبوات والإشارات إلى المسيح والكنيسة، وبالتالي يشهد للمسيحية. لهذا جمعت الكنيسة العهدين، قديمه وجديده، في كتاب واحد أسمته الكتاب المقدس، وإن كان الفرق بين العهدين كالفرق بين موسى والمسيح، بين المخلوق والخالق، الخ[٧].

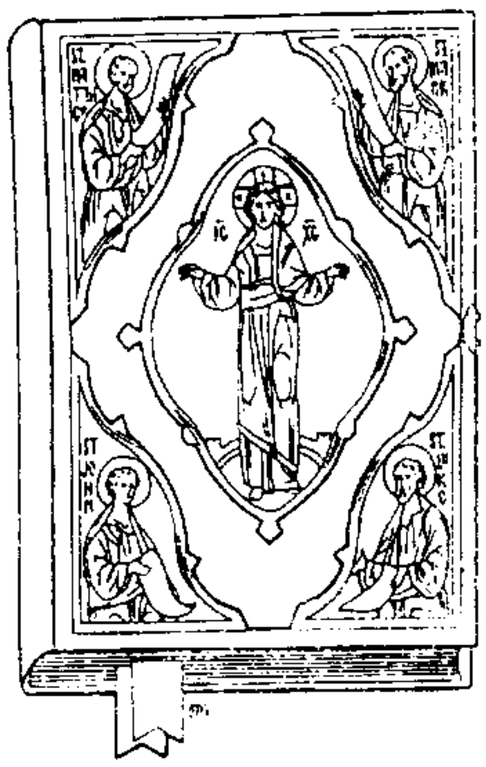

بما أن الكنيسة هي صاحبة الكتاب المقدس والمؤتمنة عليه، فلها الحق وحدها بتفسيره واستعماله بإلهام الروح القدس. فأي إنسانٍ يستطيع أن يقرأه وأن يفسّره، لكن ليس كل تفسيرٍ مقبول لدى الكنيسة إلا التفسير بإلهامٍ الروح القدس. إذاً:

لا يمكن المقارنة بين الكنيسة والكتاب ولا تصح، لأن الكنيسة هي جسد المسيح الساكن فيه الروح القدس، بينما الكتاب المقدس هو كتاب أقوال المسيح وأفعاله وأقوال الكنيسة وأفعالها.

---

(٧) راجع "العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد" في الجزء الثاني من شرح متى للذهبي الفم، والسؤال المتعلق بهذا الموضوع في هذا الكتاب.

لا يوجد كتاب مقدسٌ خارج الكنيسة (جسد المسيح)، بينما كانت الكنيسة موجودة بدون العهد الجديد في أول قرون للمسيحية.

دستور الإيمان المسيحي يذكر الكنيسة بنداً من بنود الإيمان ولا يذكر الكتاب المقدس بحد ذاته بندَ إيمان، لأن الكنيسة تؤمن بالإلهام الإلهي في الكتاب المقدس وبمحتواه وبشهادته لا بالكتاب بحد ذاته[٨].

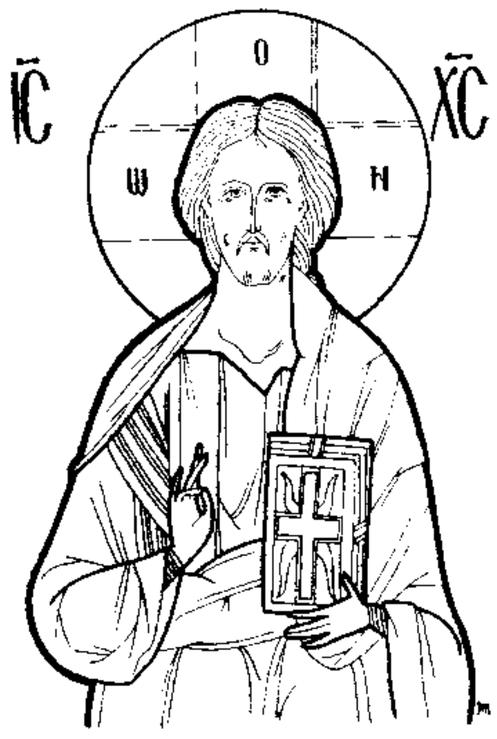

الخلاص لا يأتي من قراءة الكتاب المقدس. قراءة الكتاب المقدس قد تهدي بمعونة الروح القدس إلى الإيمان بالمسيح مخلّصاً وإلهاً، والإيمان بالمسيح يُفضي إلى المعمودية المسيحية التي تُدخل المعتمد بدورها إلى جسد المسيح أي يصير عضواً في الكنيسة.

المسيحية هي ديانة الإيمان بشخص هو شخص المسيح، الله المتجسد، الله–الإنسان. بدون شخص المسيح لا توجد مسيحية. لأنه هو وحده الإله المتجسد. لهذا لا يمكن استبداله أو تكراره. لذا فالمسيحية ليست ديانة كتاب. فالكتاب المقدس (رغم عظمته وأهميته) لم يُنقص من المسيحية شيئاً و لم يزد عليها شيئاً. فالمسيحية الأولى قبل كتابة وجمع العهد الجديد لم تكن بحال أسوأ من المسيحية اللاحقة بعد ظهور العهد الجديد (العكس هو الصحيح).

الرب يسوع له المجد لم يَعِد تلاميذه بكتابة كتاب مقدس لهم أو بإرسال هكذا كتاب. وعدهم بشيء واحد فقط: إرسال المعزّي الروح القدس الذي يعلّمهم كل شيء. هذا الروح القدس له المجد هو الذي ألهم كتبة العهد الجديد تدوين البشارة المسيحية عندما كان هذا ضرورياً. الأصل هو الروح القدس الساكن في الكنيسة. العهد الجديد هو نتاج عمل الروح في الكنيسة[٩].

---

(٨) راجع السؤال عن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً".

(٩) عندما وقع الخلاف مع المتهودين في أنطاكيا لم يقبل الناس بحكم بولس وبرنابا، بل رَفع الأمر إلى الكنيسة في أورشليم، فاجتمع الرسل وكل الكنيسة، فأصدروا القرار بالروح القدس (أعمال ١٥: ٢٨). واستمر العمل بذلك في الكنيسة فعُقدت المجامع المسكونية التي دانت – باسم الروح القدس – الهرطقات. واستمرت الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة مجمعية حتى اليوم محافظة على تعليم المجامع المسكونية والآباء القديسين جيلاً بعد جيل. الكنيسة مجمعية لا حبات رمل متناثرة... هي ملء التاريخ. حذفت كل انحراف عن الإيمان عن خطها التاريخي الثابت (اسبيرو جبور).

الكتاب المقدس ليس حجر الزاوية في المسيحية. حجر الزاوية هو شخص يسوع المسيح. بالنسبة للمسيحي الاتحاد بيسوع لا يكون بقراءة الكتاب المقدس. الاتحاد بيسوع يكون بتناول جسد الرب ودمه في الليتورجيا الكنسية. القداس الإلهي صورة بليغة عن هذا: فقراءة العهد الجديد تكون تهيئة وتقدمة ليكون المؤمن مستعداً لتناول القرابين الإلهية المحيية. لهذا فذروة القداس الإلهي لا تكون عند قراءة الكتاب المقدس بل عند تناول القرابين الإلهية. أيضاً، تناول القرابين الإلهية ينتمي إلى جزء القداس الخاص بالمؤمنين، بينما قراءة الكتاب المقدس تنتمي إلى جزء القداس الخاص بالموعوظين والمؤمنين على حد سواء.

يسوع هو الألف والياء، البداية والنهاية، ملك الملوك ورب الأرباب، أما العهد الجديد فلا يضم كل التعاليم المسيحية، بل هو عيّنة منها تكفي للبلوغ إلى الطريق والحق والحياة والتي هي يسوع، المسيح الرب، فله المجد والقدرة إلى الأبد. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٣٢- هل كانت الكنيسة الأرثوذكسية موجودة أيام المسيح والرسل؟

ج ٢٣٢ - الكنيسة هي بالتعريف جسد المسيح (أفسس ١: ٢٢-٢٣)، الذي ينضم إلى عضويته المؤمنون، بالمعمودية الإلهية المقدسة. كل كنيسة، وأية كنيسة، هي هذا الجسد بالكامل إذا كانت تحمل الإيمان الواحد نفسه الذي كان للكنيسة الأولى، لأن "المسيح هو هو أمسِ واليوم وغداً". وبما أن الكنيسة مؤسسة افخارستية (متمركزة حول سر الشكر الإلهي بالمفهوم الأرثوذكسي) فيجب على كل كنيسة، إن كانت هي جسد المسيح، مثل الكنيسة الأولى، أن تحافظ على التسلسل الرسولي-الكهنوتي منذ أيام الرسل وحتى يومنا الحالي. هذان الشرطان متوفران في الكنيسة التي ندعوها اليوم الكنيسة الأرثوذكسية: شرط وحدة الإيمان الواحد نفسه مع الكنيسة الأولى (المتمثّل بقرارت المجامع المسكونية السبعة)، وشرط الوحدة الافخارستية الرسولية مع الكنيسة الأولى. إذا غاب أحد هذين الشرطين، صارت هذه الفئة "الكنسية" متغرّبة عن الكنيسة التي أسسها السيد المسيح.

الكنيسة الأرثوذكسية اليوم لها مآخذ على الكنائس الأخرى يجدها القارىء في الأسئلة المتعلقة بالفروق بين الكنائس. فأي رفض لتعليم الكنيسة المسيحية طوال ٢٠ قرناً، وأي رفض للإجماع الكنسي طوال هذه المدة، وأي تعليم غريب يناقض أو يخالف الإجماع الكنسي الآبائي منذ أيام المسيح إلى يومنا الحالي، وأي انقطاع في التسلسل الرسولي يجعل الفئة الكنسية متغرّبة عن الكنيسة الأم، الكنيسة الأولى، كنيسة العهد الجديد. أما تسميات أرثوذكسية وكاثوليكية وسواها فهي مستحدثة نسبياً. فالكنيسة الحقيقية هي أرثوذكسية (أي مستقيمة الرأي)، وكاثوليكية (أي جامعة)، وواحدة قدوسة (لأنها بالتعريف جسد المسيح الواحد المقدس).

في كتاب "Becoming Orthodox" الذي ألّفه الأب Peter Guillquest يذكر خبرة أوائل البروتستانت الذين اهتدوا إلى الأرثوذكسية حتى قبل أن يعرفوا شيئاً يُذكر عن الكنيسة الأرثوذكسية. لقد توصّلوا بالدراسة الجادّة إلى شيئين مهمّين. الأول: أنهم بعيدون جداً عن الكنيسة الأولى في التعاليم والعبادة و..و... والثاني: أن ما يُدعى اليوم بالكنيسة الأرثوذكسية هو هو الكنيسة المسيحية الأولى نفسها من حيث التعاليم والعبادة والممارسة. لهذا عاد ألوف المؤمنين البروتستانت إلى الكنيسة الأرثوذكسية، الكنيسة الأم، إلى أحضان الوطن المنشود الذي طالما تاقت إليه النفوس الجائعة للرب. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٣٣– هل كان بطرس أول أسقف على روما؟

ج ٢٣٣ – راجع دراسة "أولوية روما وبابا روما" في قسم الملاحق بنهاية هذا الكتاب. **(د. عدنان طرابلسي)**

س ٢٣٤ – هل صحيح أن غالبية سكان سوريا الطبيعية أيام السيد المسيح كانوا من السريان الحاليين؟ وما هي اللغة أو اللغات في ذلك العصر؟

ج ٢٣٤ – قبل الاحتلال اليوناني على يد إسكندر الكبير (٣٣٣ قبل الميلاد) وفي أيام ربنا يسوع المسيح كانت فلسطين يهودية إنما تتكلّم اللغة الآرامية. إنما كان فيها يهود

عائدون يتكلمون اليونانية. وغزت اليونانية بعض يهود فلسطين. وكانت اليونانية لغة الجاليات اليهودية الهامة في الإسكندرية وكل حوض المتوسط. والأمر واضح في سفر أعمال الرسل. وكانت المدن العشر (أي دمشق– عمّان شرقاً ونهر الأردن غرباً وبيسان غرباً) متيوننة. وكانت المدن الساحلية متيوننة. وأسَّس اليونان أنطاكية وسلوقية (السويدية) واللاذقية وأفاميا. وكانت في سوريا جاليات يونانية منذ احتلالها من قبل الإسكندر الكبير. وصارت أنطاكية عاصمتها. في العام ٢٧٠ قبل الميلاد كانت أفغانستان تابعة لملك أنطاكية. لكن كانت المملكة تتقلّص وتمتد تبعاً للظروف العسكرية والسياسية. المدن الداخلية متيوننة عدا الرها ونصيبين.

لمّا وُلد يسوع كان كيرينوس والي سوريا. وكانت خاضعة لحكم الرومان. في القرن الثاني قبل الميلاد حلَّت سوريا محل أثينا في الآداب والفنون الجميلة. زنوبيا تدمر عربية. ومع ذلك فحضارتها ميتوننة. وكان لونجينوس الفيلسوف في قصرها. وكانت بيروت تدرّس الحقوق باللاتينية ثم باليونانية. واعتلى عرش روما أباطرة سوريون اهتمّوا بها. فلم تكن في الإمبراطورية الرومانية مشكلة قومية سوى المشكلة اليهودية لأن اليهود رفضوا الاندماج. وخرّجت سوريا الفلاسفة والآدباء الناطقين باليونانية. ولكن أكثرية سكان سوريا آرامية–فينيقية–كنعانية.

السريانية هي لغة السوريين. هي الآرامية المسيحية (ليست الآرامية ١٠٠٪). اسم "السريان" يشمل الناطقين بالسريانية في بلاد الشام والعراق والخليج. فاسحق السوري من قطر. وفي أيام المسيح كان السوريون وثنيين. ثم صاروا مسيحيين. وكانوا فئتين: فئة تتكلم اليونانية في المدن، وفئة تتكلم الآرامية في القرى. ثم تدفقت الهجرات العربية إلى بادية الشام تنطق بالعربية. وبعد الفتح العربي جرى التعريب. فصارت العربية اللغة الشائعة. وبقيت فئات في سوريا والعراق تتكلّم السريانية. كلنا سوريون. وبسبب رقعة الفتح اليوناني والروماني اختلطت شعوب الإمبراطورية. كلهم رومانيون.

كلمة "سرياني" تُطلق على اللغة السريانية. كلنا سوريون سواء مَن نطق منا باليونانية أو بالسريانية. ولكن لمَّا انحصر النطق بالسريانية باليعاقبة عُرفوا وحدهم باسم "سريان". الأرثوذكس سوريون. تسمية "روم" دخيلة أتتنا من القسطنطينية التي سمَّى محمد الفاتح بطريركها "بطريرك الروم" أي الرومان. أُسيء قصداً ترجمتها إلى الفرنسية Grec والإنكليزية Greek بدلاً من Romain و Roman، فتنزع منهم الاسم الإمبراطوري: روماني.

المؤرّخ البريطاني تاونبي قال في محاضرة له في ١٩٥٧/٥/٨ في الندوة اللبنانية: كانت سوريا في القرن السادس قلب الإمبراطورية الرومانية تجارياً واقتصادياً تمسك بيديها الاقتصاد العالمي من اليابان والباسيفيكي حتى أوروبا. أكانت بذلك مستعمرة لروما أم كانت تستعمر روما الجديدة أي القسطنطينية كما استعمرت روما القديمة وإمبراطوريتها؟ (اسبيرو جبور)

س ٢٣٥ – هل صحيح أن معلولا في سوريا تتكلم لغة المسيح الأصلية وهل هي الآرامية؟ ولماذا معلولا في سوريا وليس إحدى قرى فلسطين حيث عاش المسيح؟

ج ٢٣٥ – هناك ٣ قرى[١٠] في جبال القلمون تتكلّم الآرامية. بما أنها غير مكتوبة طرأ عليها عبر الزمن تشويهٌ. درسها عالم ألماني. الأهالي ينطقون بها ولا يكتبونها. الأسباب التاريخية لذلك غير مدوَّنة. ربما بسبب عزلة هذه الجبال الشاهقة. فلسطين استعربت. ولكن بقيت فئات في سوريا ولبنان والعراق تتكلّم السريانية. مازال الآشوريون يتكلّمون السريانية الشرقية. وجبال لبنان ما استعربت إلا في القرون المتأخرة. هذه مسائل تابعة لتفاعل إجتماعي غير مؤرَّخ بدقة. (اسبيرو جبور)

س ٢٣٦ – هل زار السيد المسيح أية أراضٍ سورية أو لبنانية ؟ وأين هي؟

ج ٢٣٦ – زار المسيح الضفة الشرقية من بحيرة طبريا. وطرد فيها الشياطين من ممسوسين خطيرين. المنطقة اسمها جدرة إحدى مناطق المدن العشر. وبيت صيدا موطن الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيليبس تقع في الضفة الشرقية من نهر الأردن التابعة لربع فيلبس وقاعدته قيصرية (بانياس جبل الشيخ). فأجرى فيها عجائب عديدة وكثَّر الخبزات الخمس وربما أيضاً السبع (لوقا ٩: ١٠–١٧؛ متى ١٥: ٢٩ ؛ ومرقس ٧: ٣١). وفي منطقة بانياس هذه قال له بطرس: "أنت المسيح ابن الله الحي". والعلماء يميلون اليوم إلى أن التجلّي الإلهي جرى في جبل الشيخ لا في ثابور، في موقعٍ هو غالباً "تل أبو

(١٠) معلولا، بخعا (صرخة)، وجبعدين.

الندى". وخرج يسوع من منطقة جنيساريت (شمال غربي البحيرة) إلى صور وصيدا، فشفى ابنة الكنعانية. واجتاز البقاع إلى منطقة دمشق، فاجتاز في وسط المدن العشر: أي إلى الجنوب فتلّ الجوخدار، فشاطىء البحيرة الشرقي، فبيت صيدا، فجبل مجاور حيث كثَّر الخبزات السبع. (اسبيرو جبور)

س ٢٣٧– ما هو الأصل التاريخي للروم الكاثوليك في بلادنا؟

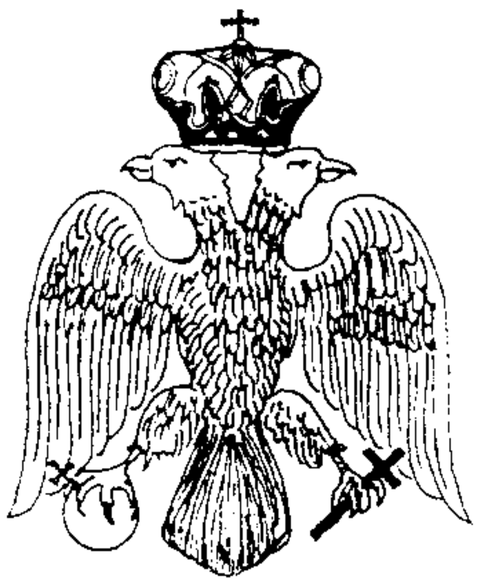

ج ٢٣٧ – في العام ١٥٣٥ عقد السلطان سليمان الثاني العثماني معاهدة مع فرانسوا الأول ملك فرنسا أطلق بها يد الملك في شرقنا. فاستفاد رسل الفاتيكان من أوضاع الجهل والفقر والاضطهاد للتغلغل بين الأرثوذكس وجذب نفرٍ منهم إلى الرخاء والحماية والمدارس والمصحّات وسواها من المنافع. في النهاية قام انشقاقٌ نهائي في ١٧٢٤ وصاروا تابعين لروما. رفضوا أن يستمروا في حمل صليبنا. الصليب هو الأرثوذكسية. لذلك ترفض الرخاوة والميوعة والنفعية، والانتهازية، والمساومات وأنصاف الحلول: الأرثوذكسي الصحيح يفضّل المشنقة على خيانة حرف واحد من أرثوذكسيته.

الخلاف بيننا هو أنهم كاثوليك على مذهب روما. أبقوا على صلواتنا وطقوسنا. هذا الأمر لا يعقد قرابة ما بيننا ما دام تعليمهم كاثوليكياً رومانياً وما داموا خاضعين لسلطة البابا لا لسلطة بطريركنا.

موقفنا الأرثوذكسي المكسيموسي الثابت هو الدعوة إلى العودة. انفصلوا هم وسواهم في ظروف تاريخية معلومة. فليعودوا إلى قلوبنا. الأرثوذكسية لا تسمح لا بالتنازلات ولا بالتسويات. كل تنازلٍ أو تسوية هو خيانة للمسيح وللحقيقة. الحقيقة لا تتجزّأ. (اسبيرو جبور)

س ٢٣٨ – من أين أتت الكنائس الآشورية والكلدانية؟

ج ٢٣٨ – البشارة المسيحية دخلت مملكة فارس الشاسعة. العنصر العراقي الآشوري الأصل تقبّلها، ومدَّ جذوره في الإمبراطورية حتى وصل الصين. ليست لديّ خريطة

Duval لنشرها. هي تبيّن هذا الانتشار. في كتاب "المسيحية..." خريطة غير واضحة تماماً. الأب جان سعادة الماروني نشر خريطة دوفال. ولم يتمددوا فقط نحو الشرق الأقصى بل تمدّدوا شمالاً. ففيهم العرق الأسمر السامي العراقي الأصلي وفيهم العرق الآرامي الأبيض – الأشقر. ولما وقعوا في القرن التاسع عشر تحت الاضطهاد المرير، فسقط منهم مليون نسمة، طلبت أمريكا من روسيا التدخل لحمايتهم، فحمتهم، وهاجر قسمٌ منهم إلى روسيا حيث صار بعضهم أرثوذكسياً، فعاد بعض هؤلاء إلى العراق. وهم الآن رعية أرثوذكسية.

الآشوريون تبنّوا تعليم ثيئوذوروس أسقف المصيصة (موبسويسته) في كيليكيا. كان العنصر الفارسي يتّهمهم بالتعاطف مع بيزنطيا، فاضطهدهم شرَّ اضطهاد، إلا في ظروف الهدنة والسلام. في العام ٤١٠ سافر وفد بطريركي أنطاكي نظّم كنيستهم وشؤونهم. في العام ٥٥٥ طلب الإمبراطور جوستنيانوس وفداً، فوجدهم أرثوذكسيين، إنما اختلفوا معه على الحرم الذي أوقعه على معلّمهم. هرقل الظافر استدعى الكاثوليكوس وصحبه إلى حلب. وجدهم أرثوذكسيين. فسمح لهم بإقامة القداس وتناول على يدهم. الدراسات الأخيرة تقول إن فئة منهم وصلت في العام ٦٨٠ إلى الصيغة الإيمانية الأرثوذكسية. إلا أن الفتح العربي قطع الأوصال بيننا. ويحتاج الحوار إلى أعلامٍ من الطرفين، يتضلّعون من مصادر بعضهما بعضاً. هذا رأي ملحق ترجمة نسكيات اسحق على يد دير التجلي الارثوذكسي في أميركا.

الشرق الاوسط ورد أنهم نساطرة. الاب جان FIEG الاختصاصي الكبير بهم يعتبرهم كذلك.

أما الكلدان ففئة من الآشوريين هداها المرسلون – كالعادة – إلى الكثلكة. روما تركت أتباعها الشرقيين يحافظون على طقوسهم وبعض استقلالهم. ولكن الإيمان كاثوليكي والولاء روماني. يبقى موقفنا منهم هو موقفنا من روما. إن انعقدت الوحدة مع روما التحقوا هم بها عفواً. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٣٩ – ما هو أصل الكنيسة القبطية؟

ج ٢٣٩ – كلمة قبطي تعني "مصري". المجمع الرابع المسكوني قرّر العقيدة الأرثوذكسيّة

التالية: يسوع اقنوم واحد في طبيعتين. وزاد عليها المجمع السادس: " في مشيئتين وفعلين". الكنائس القبطية والسريانية والأرمنية والحبشية رفضت ذلك وقالت: يسوع اقنوم من اقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين وفعل من فعلين بدون امتزاج. فاقنومان أي شخصان لا يصيران شخصاً واحداً. رفضوا المجامع ٤ و٥ و٦ و٧. إلاّ أنّهم يوقِّرون الإيقونات[١١].

فشلت عبر التاريخ كل محاولات الصلح. ومحاولات القرن العشرين باءت عملياً بالفشل. فقد عادوا والسريان إلى التمسّك بالقديم والطعن في خلقيدونيا والبابا لاون والإمبراطورة بلخاريا وو.... واستغربت حديثاً ما جاء في كراسة البطريرك شنودة: يرفض استعمال عبارة "إله وإنسان" ليسوع. هو ملكي أكثر من الملك. بولس الرسول استعمل كلمة "يسوع الإنسان" (رو ٦: ١٦ و١ تيمو ٢: ٥-٦). وهل هو إنسان بدون طبيعة إنسانية؟ دستور الإيمان قال فيه: "تجسَّد وتأنَّس" أي صار إنساناً. ويتّهمنا بالقول بثلاث طبائع. ما لم يدركوه من إيماننا هو أن يسوع أخذ طبيعة بشرية لا شخصاً بشرياً على ما قال كيرللس (راجع السؤالَ ١٦٣). ضمَّ إلى شخصه الإلهي طبيعة بشرية. اتحاد النفس والجسد لا يؤلّف فقط الطبيعة البشرية بل هو موجود في الشخص البشري. هناك في الثالوث القدوس الأقانيم والطبيعة الواحدة. وفي يسوع الأقنوم الواحد والطبيعتان وكيرللس وقّع رسالة المصالحة معترفاً بالطبيعتين والفعلين فقبلها العالم المسيحي، فسجَّل بذلك تراجعاً مسكونياً عن الطبيعة الواحدة التي أثبت العلماء أنها لأبوليناريوس لا للقديس أثناسيوس. فأنا حقوقي ممارس أصيل. لا أستطيع أن أرى في رسالة المصالحة إلا اهتداء القديس كيرللس إلى القول بالطبيعتين. القانون الجديد يلغي القانون القديم.

من جهة أخرى مقارنة رسالة المصالحة برسالة غريغوريوس اللاهوتي إلى كليدونيوس ورسالة ثيؤذوريتوس المستقاة بدورها من رسالة غريغوريوس: في يسوع طبيعتان وفعلان وهو مساوٍ للآب في لاهوته وللبشر في ناسوته.

ونص خلقيدونيا مستقىً من غريغوريوس: "شخص واحد في طبيعتين".

وغريغوريوس أبو لاهوت الثالوث علّمنا أن الله واحد في ٣ وأن يسوع واحد في طبيعتين. ركّز على الأقنوم لا على الجوهر فأنقذنا من ضلال الفلسفة اليونانية (فلسفة

---

(١١) راجع السؤال المتعلق بالفروق بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس اللاخلقيدونية (الفصل السادس، السؤال ١٦٣).

الماهيات). لاهوته شخصاني. ركّز على شخصانية الأقانيم وعلى شخصانية يسوع. الشخص يملك الطبيعة الإلهية. شخص يسوع يملك الطبيعتين. شخصه هو مسند الطبيعتين وقلب اتحادهما الأقنومي. هذا ما يجب أن يفهمه العالم المسيحي ليفهمنا. ركزت خلقيدونيا ٨ مرات على وحدة شخص يسوع. كتابي "سرّ التدبير الإلهي" جسّد فكر سيد اللاهوتيين غريغوريوس. كيرللس تلميذه في كتاباته الثالوثية وفي رسالة المصالحة.

نقول إن للآب والابن والروح القدس طبيعة إلهية واحدة. ونقول إن الألوهة تجسّدت في أقنوم الابن (الدمشقي ٣: ٣ و٦ و١١). فالآب والروح القدس لم يتجسّدا. فكيف يكون يسوع ذا طبيعة واحدة معهما وهو ذو جسد؟ هذا مستحيل. وكيف تكون له كل خواص اللاهوت والناسوت ولا تكون له طبيعتان؟ فطبيعته الإلهية هي طبيعة الآب والروح القدس. لا يمكن أن تكون خواصه اللاهوتية إلا خواص طبيعته الإلهية. خواصه الناسوتية أين تقع؟ هذا تحجيم لطبيعته البشرية.

يذكر البابا شنودة صلاة في الساعة التاسعة نصلّيها نحن: "يا مَن ذاق الموت بالجسد في الساعة التاسعة من أجلنا....". فكيف يتوّهم البعض أننا نفصل الطبيعتين؟ المطلوب هو الارتقاء إلى اللاهوت الشخصاني الغريغوريوسي في الثالوث والخريستولوجيا. هذا هو معجزة المسيحية التي حطّمت الفلسفة. (**اسبيرو جبور**)

س ٢٤٠– أين هو اليوم الصليب الذي صُلب عليه السيد المسيح والذي وجدته القديسة هيلانة؟

ج ٢٤٠ – الصليب المقدس موزَّع. مازال قسمٌ منه في أورشليم القدس. وربما كان قسمٌ منه في القسطنطينية. (**اسبيرو جبور**)

س ٢٤١ – متى بدأت الكنيسة باستعمال الأيقونات في العبادة؟

ج ٢٤١ – المؤرِّخ أفسابيوس قيصرية فلسطين يروي أنه شاهد تمثالاً للرب يسوع في بانياس جبل الشيخ، وأنه شاهد أيقونات حقيقية للرسل. وهناك صورة الرب يسوع

المرسَلة إلى ملك الرها الأبجر. وفي الدياميس رسومٌ عديدة. وهناك المنديل الشريف في تورينو إيطاليا الذي مازال العلماء يكبّون على دراسته. وما يظهر من كنائس قديمة لا يخلو من رسوم. ولكن ليست لدينا كل الرسوم القديمة. إنما هناك شهادة الكنيسة الدائمة وتمسّكها بالأيقونات رغم أنف الأباطرة.

أما فن رسم الأيقونات فقد تطوّر وقامت مدارس فيه.

(اسبيرو جبور)

أسئلة حول الفن الكنسي

س ٢٤٢ – ما هو الفرق بين الأيقونة والصورة العادية "الفوتوغرافية أو المرسومة"؟

ج ٢٤٢ – الأيقونة صورة لكنها مختلفة عن سواها من الصور بموضوعها والغاية منها وبطريقة رسمها وبرسّامها. تمثّل الأيقونة موضوعاً لاهوتياً روحياً، تنقله إلى المؤمن دون سواه، وتنقل معه بركة خاصة. الأيقونة مسرح لقاء بين الله والإنسان، هي مكان انسجام بين ما هو بشري وما هو إلهي. إنها تفاعل ونتاج تفاعل بين مؤمن ينظر إلى نافذة سماوية أمامه فيرى ما لا يراه الإنسان العادي، وبين الله الذي يخاطب هذا المؤمن عبر الأيقونة. من هنا نرى فرقاً بل فروقاً بين الأيقونة واللوحة الفنية.

اللوحة الفنية ترسم منظراً أو شخصاً أو موضوعاً، وبه تنقل فكرة إلى كل إنسان يستذوقها. موضوع اللوحة مستوحى من الحياة البشرية أو الفكر البشري. أما الأيقونة فترسم شيئاً غير طبيعي وغير معقول بالمقاييس البشرية، لأنها تقدّم للمؤمن موضوعاً يتعالى عن الأرض وساكنيها وعن أفكارهم وأهوائهم.

بما ان الأيقونة لوحة دينية، لهذا فرسّامها يجب أن يكون مؤمناً بتعاليم الكنيسة، يصوم ويصلّي ويلتزم في حياته. أما رسّام أي لوحة فنية فقد يكون إنساناً عادياً، أو سكّيراً، أو غريب الأطوار، أو مهووساً، أو مبدعاً، ملحداً أو كافراً. كل هذا لا يؤثّر على عمله الفني. بينما يمزج رسّام الأيقونة عمله بالصلاة والصوم مستلهماً نعمة الروح

القدس لكي تُرشده وتبارك عمله، ويحافظ في الوقت نفسه على شروط رسم الأيقونة من الناحية اللاهوتية والفنية كما ذكر الأستاذ زيات في أجوبته.

اللوحة الفنية ترسم شخصاً أو منظراً أو تجريداً كما يراه الفنان. لا توجد ضوابط أو معايير صارمة. فإما أن يستحليها المرء أو يمجّها. أما الأيقونة فترسم شخصاً متجلّياً، متقدسّاً بنعمة الروح القدس، أي شخصاً ذا خصائص غير طبيعية بالنسبة للعالم، لأنه قديس والقديس هو في هذا العالم إنما لا ينتمي إليه. فأحجام الأشخاص مثلاً في الأيقونة قد تكون متباينة، والشخص قد يكون مرتفعاً عن الأرض، أو مزيّناً بجناحين، أو يحمل بيده هامته المقطوعة (أيقونة المعمدان مثلاً). رسّام الأيقونة يرسم الشخص كما تراه الكنيسة أو كما تفهمه أو كما تؤمن به. إنه يضع لاهوت الكنيسة وتعاليمها في ألوانٍ وأشكالٍ. فليست قيمة الأيقونة في المطابقة الفوتوغرافية بل في المعاني الروحية واللاهوتية والكتابية. لهذا التزام رسّام الأيقونة أمرٌ مهمٌ وإلا فلن تقبل الكنيسة رسمه ولن تستعمله. وإن كان رسم الأيقونة فناً إلا أنه علمٌ أيضاً ولاهوت.

أخيراً استعمال الأيقونة يختلف عن استعمال اللوحة الفنية. فاللوحة الفنية هي عملٌ يعلّقه المرء لأنه يراه جميلاً أو ممتعاً أو لأنه يجمّل مكان وجوده. أما الأيقونة فلوحة فنية دينية؛ إنها لوحة للصلاة والعبادة والتأمّل والمناجاة. لا نستعمل الأيقونة كلوحة فنية؛ هذا يُنقص من الاكرام الواجب لها. إنها مكان لقاء كما وجدنا ومكان صلاة وتأمّل، ونبع بركة ونعمٍ إلهية، لهذا نسمع الكثير عن الأيقونات العجائبية التي تفيض بالأشفية والمواهب والبركة لجميع المؤمنين كما تشاء الإرادة الإلهية. لهذا، للأيقونة حقٌ علينا من حيث احترامها وطريقة استعمالها وتكريمها وتبخيرها[١٢]. **(د. عدنان طرابلسي)**

(١٢) لا بد لي هنا من ذكر نقطة هامة أخرى تتعلق بالأيقونة وتسبّب بعض الالتباس. الأيقونة (والصليب أيضاً) ذات بركة ونعمة خاصة بسبب ما هو مرسوم عليها لا بسبب صلاة تكريس لها لا تحتاجها. المجمع المسكوني السابع استعمل هذه النقطة للردّ على محاربي الأيقونات. صلاة تكريس الأيقونة هي أمر دخيل دخل متأخراً على كتب الأفخولوجي بتأثير غربي.

س ٢٤٣ – متى تكون الأيقونة أيقونة؟ أي هل الأيقونة التي على شاشة الكمبيوتر هي أيقونة؟ هل الصورة المرسومة على الزجاج أو المحفورة على الخشب هي أيقونة؟

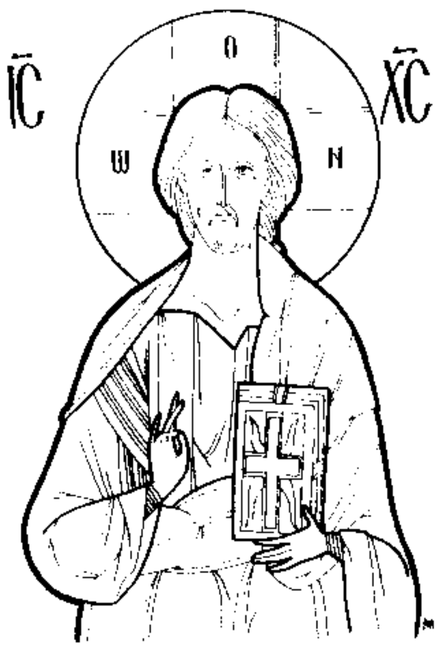

ج ٢٤٣ – إذا حملت الصورة المرسومة على الزجاج أو المحفورة على الخشب السمةَ الروحية واحتوت على الشرط اللازم الذي يؤهّلها أن تكون مقدسة فهي أيقونة حقيقية. وأما الصورة على شاشة الكمبيوتر فأعتقد أن هذه الصورة إذا كانت مرافقة لنصٍ لاهوتي أو ليتورجي وتساعد على توضيح هذا النص فهي أيقونة مثلها مثل الصور في الكتب الكنسية. **(الأستاذ الياس زيّات)**

س ٢٤٤ – مَن يستطيع أن يرسم الأيقونة وما هي الشروط التي يجب أن تتوفّر فيه؟

ج ٢٤٤ – يستطيع كل مَن يحمل موهبةً في فن الرسم والتلوين أن يرسم الأيقونة (نقول رَسَم الأيقونة ونقول صوَّر الأيقونة ونقول كتب الأيقونة)، شريطة أن يكون هذا الإنسان مضطلعاً بمسؤولية عمل الأيقونة، أي إذا كان عارفاً بالشروط الروحية المطلوبة لعمل الأيقونة وهي أن يصوم ويصلّي ويقرأ حول الموضوع الذي يصوّره ويتأمّل فيه. كذلك يكون عارفاً بالشروط المادية وهي كيفية تحضير اللوح الخشبي وطلائه بالجص ومعرفة الألوان والأصماغ (ومنها صفار البيض) التي تُمزج بها والمواد العازلة التي تُطلى بها الأيقونة بعد الانتهاء من تصويرها. لذلك كان مصورو الأيقونات المهمّون في تاريخ الفن على الأرجح رهباناً متوحِّدين أو رجالاً أتقياء أو راهبات متبتّلات. **(الأستاذ الياس زيّات)**

س ٢٤٥ – هل للألوان معنى أو لغة معينة في فن رسم الأيقونات؟

ج ٢٤٥ – عندما نقول إن العالم الأرضي عو عالم مادي، نقصد جميع أنواع المواد التي تتشكّل منها الأرض وما تحتها وما فوقها. وتفترق هذه المواد إحداها عن الأخرى بعددٍ من الخواص منها "اللون".

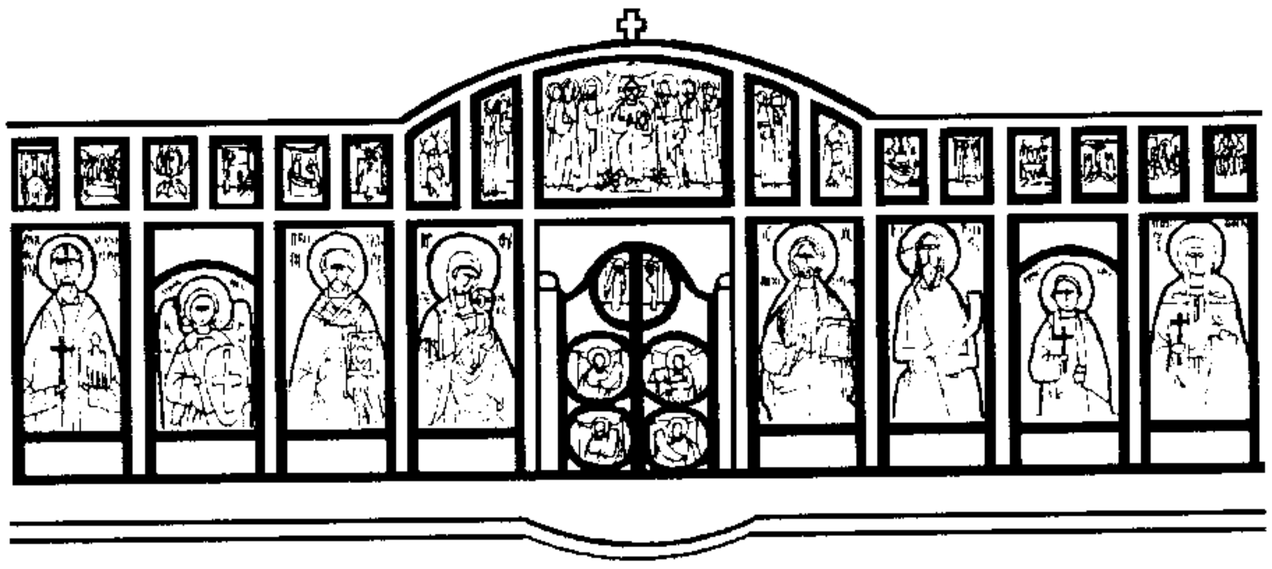

إن الضوء الذي يسقط على المادة هو ما يساعد عين الإنسان على رؤية اللون. والضوء مادي بطبيعته ويأتي من العالم المحيط بالأرض. وفي الحديث المتعلّق بالروحانيات نعبّر عن الضوء بالنور ونقصد بذلك النور الإلهي الذي ينير كل المخلوقات ويومض في داخل النفس البشرية إذا ما طلبت الاستنارة به.

فإذا كان الضوء شرطاً لرؤية اللون في المادة فالنور يحوّل معنى اللون المادي إلى معنى روحاني، مثال ذلك اللون الأحمر بحرارته وعلى اختلاف درجاته يصبح معبِّراً عن الألوهة أو اللاهوت؛ واللون الأخضر ببرودته وعلى اختلاف درجاته يصبح معبِّراً عن الإنسان أو الناسوت؛ واللون الأزرق يشبه اللون الأخضر في صفته هذه.

لذلك نصوّر يسوع المسيح في الأيقونة لابساً قميصاً أحمر وعباءة خضراء للدلالة على أن الطبيعة الإلهية تسربلت الطبيعة البشرية. كذلك نصوّر العذراء في الأيقونة لابسة قميصاً أخضر أو أزرق وعباءة حمراء للدلالة على أن العذراء قد وهبت طبيعة بشرية للطبيعة الإلهية عندما صارت أمّاً للإله. وهناك اجتهادات أخرى كاعتبار اللون الذهبي أو الفضي معبِّراً عن النور الإلهي واعتبار اللون البني المائل إلى الخضرة معبِّراً عن الطبيعة الإنسانية. وبناءً على ذلك نصوّر الوجه في الأيقونة بدايةً باللون البني المائل إلى الخضرة ثم نضع فوقه تدريجياً الألوان المضيئة في المناطق المضيئة من الوجه، من الأحمر إلى الأصفر إلى الزهري، وأخيراً نضع اللون الأبيض الذهبي في المناطق الأشد إضاءة. وهكذا يُبنى الوجه المقدّس في الأيقونة أولاً بالألوان المادية ثم يُضاء بالأنوار الإلهية.

هذا في الأصل، وقد تعددت الاجتهادات في الألوان ورموزها في الأيقونة، فذهب البعض إلى تخصيص ألوان تناسب مصاف الملائكة وألوان للأنبياء وألوان لمصاف القديسين وألوان للشهداء والشهيدات وللأرض وللمغارة والقبر الحامل الحياة، وكل هذه الدلالات اللونية تعبّر عن معنى مبدئي وهو الخليقة المتقدّسة بالنور الإلهي. **(الأستاذ الياس زيّات)**

س ٢٤٦ – أتوجد مواد معينة يستعملها رسّام الأيقونات لرسم الأيقونة أم هي مواد رسم اللوحات العادية نفسها؟

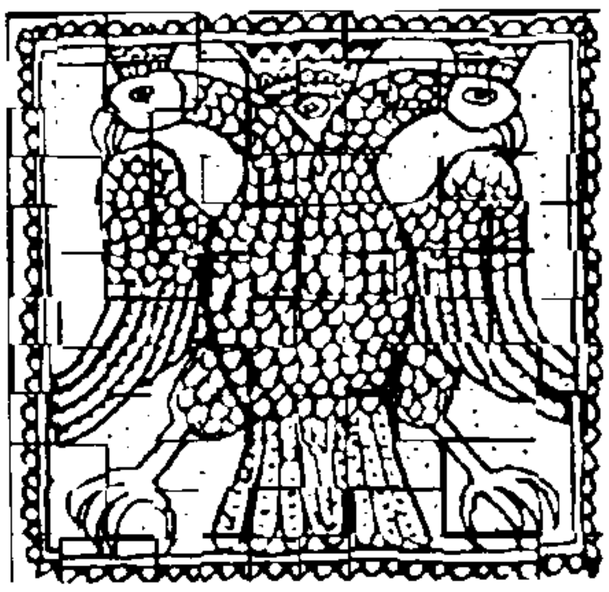

ج ٢٤٦ – أرى أن كل المواد التي تُستعمل في تصوير اللوحات العادية تصلح لاستعمال مصوِّر الأيقونات إذا كان عارفاً بخواصها وبطريقة استعمالها. ولكن يُنصح بالابتعاد عن استعمال الألوان الزيتية في تصوير الأيقونة والاكتفاء بكل ما هو محلول مائي لأن أنواع الألوان المائية وخاصة الكتيمة منها تساعد أكثر من الزيتية في أداء "المسطّحات" اللونية في الأيقونة. أما المواد التقليدية التي يستعملها مصورو الأيقونات الخشبية فهي المساحيق اللونية ممزوجة بصفار البيض وموضوعة على أساس جصّي يغطّي الخشب، وبعدها يتم عزل سطح الأيقونة بالفرنيش. **(الأستاذ الياس زيّات)**

س ٢٤٧ – هل يُعتبر الفسيفساء Fresco أيقونة؟ يقول البعض إن طريقة رسم الفسيفساء بصورة مجزّئة لا يجعلها أيقونة لأن ذلك يفقدها الوحدة التي يجب أن تتوفر في الأيقونة.

ج ٢٤٧ – علينا أن نعرف أولاً أن التصوير بالفسيفساء يُصنع بأحجار ملوّنة مقطّعة بشكل مكعبات صغيرة من الرخام أو الحجر الطبيعي بألوانهما المختلفة أو من الزجاج الملوَّن بأكاسيد معدنية، وتُرصف هذه المكعبات حسب تصميم مسبق الصنع لتشكّل صورة ذات موضوع معين أو ذات أشكال هندسية رمزية. وتُصمَّم اللوحات الفسيفسائية لتوضع على أرض الكنيسة أو على قبتها وجدرانها وأعمدتها.

وعلينا أن نعرف أيضاً أن التصوير الجداري (ومنه المسمَّى فريسكو) يكون على قبة الكنيسة وعلى الجدران والأعمدة، ويُصنع بمساحيق لونية تأتي من أتربة طبيعية أو أكاسيد معدنية. وتتوزّع المشاهد الجدارية في الكنيسة حسب برنامج متعارف عليه، وهذه المشاهد تتضمن حياة السيد والسيدة وطغمات الملائكة ومصاف الرسل والقديسين وأحداث الكتاب المقدس.

ولا أرى فرقاً، من حيث المضمون الروحي، بين التصوير على جدران الكنيسة والتصوير على لوحٍ خشبي، وكذلك التصوير في الكتب الكنسية وعلى الأدوات المستخدمة في الطقوس والألبسة، لذا علينا أن نسمّي هذه وتلك كلها أيقونات.

وإذا كانت الصور الجدارية تُصنع بشكل أجزاء متتابعة لتشكّل مشاهد متكاملة كبيرة على الجدران فهذا لا يفقدها الوحدة لأن الوحدة تكون في المشاهد المتعددة مجتمعةً ككلٍ واحد لتلعب دوراً تقوياً لدى مَن يشاهدها منسجماً مع الدور الذي تلعبه الأيقونات في الأيقونسطاس. **(الأستاذ الياس زيّات)**

س ٢٤٨ – لماذا لم نعد نصوّر المسيح بصورة حَمَلٍ في الأيقونات؟

ج ٢٤٨ – الأيقونة تمثل الشخص المرموز إليه. الحمل حيوان لا شخص. في اللاهوت يسوع المسيح له المجد هو الأساس للتصوير الأيقونوغرافي لأنه الإلهِ المتجسد. كونه الإله المتجسد يسمح لنا بتصويره كشخص لا كحيوان أو سوى ذلك[١٣]. ولذلك فالرؤية اللاهوتية أثّرت في الفن الأيقونوغرافي فصار يهتم بإبراز الوجه. في اليونانية الوجه والشخص اسمهما Prosopon. بصورة طبيعية تمّ الانتقال من عقيدة الشخص إلى الوجه. فوجه الإنسان يعبّر عن شخصه. ولذلك التركيز في الأيقونات هو على الوجه بالدرجة الأولى. فالثياب تخفي باقي الجسد. يبقى لنا من الأيقونة الوجه الناصع الذي يحسن التعبير عن معاني الشخص المرموز إليه. **(اسبيرو جبور)**

س ٢٤٩ – ما رأيك في الخلاف القائم حول رسم أيقونة الثالوث القدوس الذي يصوّر الآب بصورة شيخ أبيض الشعر؟ هل هذه الأيقونة أرثوذكسية رغم وجودها في بعض الكنائس الأرثوذكسية؟

ج ٢٤٩ – "الله لم يره أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر" (يو ١: ١٨". والابن لم يره أحد قط قبل تجسّده. لكن "الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا" (يو ١:

(١٣) في كتابنا "دمشق ولاهوت الأيقونة" ذكرنا أن ذلك ممنوع بنص مجمعي القانون ٨٢ من المجمع الخامس – السادس.

١٤). لهذا فالتجسّد الإلهي هو الذي سمح لنا أن نرسم الابن في الأيقونات لأننا نرسم شخصه المجيد المتجسّد. قبل التجسّد لم يكن باستطاعتنا أن نرسم الآب أو الابن أو الروح القدس. أي رسمٍ لله قبل التجسد الإلهي سيكون وثناً يفصلنا عن الله.

هذا من جهة، أما من جهة أخرى، بما أن المتجسّد هو ابن الله، الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس، فلا يمكننا أن نرسم إلا إياه متجسّداً بصورة إنسانٍ وقد حلَّ فيه ملء اللاهوت جسدياً (كول ٢: ٩). بما أن الآب لم يتجسّد وبما أن الروح القدس لم يتجسّد فلا يمكن رسمهما بهيئة بشرية. يقول القديس الدمشقي: "الآب هو الآب وليس الابن؛ والابن هو الابن وليس الآب؛ الروح القدس هو الروح وليس الآب أو الابن..."[١٤]. فتجسّد الابن لا يسمح لنا بأي صورة من الصور أن نرسم الآب أو الروح القدس بهيئة بشرية. التجسد خاص بالابن، ورسم الله المتجسّد خاص برسم الابن فقط. أي رسمٍ بشري للآب أو للروح القدس يعني خلط الأقانيم الثلاثة والمزج بينهم مما يُفضي إلى هرطقة سابيليوس.

بعد هذه المقدمة لنعدْ إلى موضوع السؤال. إن تصوير يسوع وبقربه الله الآب (بصورة شيخ أبيض اللحية) وبينهما حمامة صار الرسم الكلاسيكي، إن صح التعبير، للثالوث في الغرب. هذا التأليف الآتي من عصر النهضة الأوروبية قد جاء أولاً من روسيا القرن الخامس عشر، ومنها دخل إلى جبل آثوس واليونان حوالي القرن السادس عشر ومن هناك تغلغل إلى بقية الأراضي الأرثوذكسية بما فيها الأنطاكية.

في الشرق في القرن الحادي عشر، ظهرت أولى الرسوم التي تصوّر يسوع "القديم الأيام" الملتحي بشعر أبيض. لم تكن غاية هذه الرسوم تصوير الثالوث بل تصوير تدبير يسوع الكلمة الأزلي، القديم الأيام الذي صار طفلاً من أجلنا. توجد رسوم فريسكو أخرى[١٥] تصوّر المسيح "القديم الأيام" بلحية بيضاء حاملاً منمنماً صغيراً ليسوع البالغ في حضنه والذي بدوره يحمل قرصاً عليه حمامة. لم تكن الغاية هنا رسم الثالوث بل تدبير

(١٤) هرطقة سابيليوس قالت بأن الله شخصٌ واحد ذو ثلاثة وجوه. رسم الآب أو الروح القدس بهيئة بشرية يعني عزو التجسد لشخصيهما وبالتالي الوقوع في هرطقة سابيليوس.

(١٥) فريسكو Kastoria في شمال اليونان.

الابن القديم الأيام والذي صار جسداً وتعمَّد وعرَّف عنه الروح القدس النازل بشكل حمامة. يحمل هذا الفريسكو لقب "يسوع المسيح القديم الأيام". لذا لا يمكن القول إن هذه الرسوم القديمة الشرقية كانت رسوماً للثالوث، وإن كانت مجال التباس كبير والتخلّي عنها أفضل من وجودها. لكن رسّامي الغرب في فترة لاحقة أخذوا هذه الرسوم وأعادوا تفسيرها وعنونوها "الثالوث القدوس". هذا أعطاها تفسيراً جديداً على أنها الولادة الأزلية للابن من حضن الآب، وهي وجهة نظر تخلط حضن الآب برحم العذراء. لأن رسم الابن مولوداً أزلياً في الجسد من الآب قبل الدهور هو خطأ خريستولوجي فاحش. فولادة الابن من الآب هي أزلية، بينما تجسده وبالتالي ولادته من أمّه العذراء فحادثان صارا في ملء الزمان. أيضاً، كان هؤلاء الرسّامون جاهلين أن الكنيسة كانت تخاطب العذراء منذ القرن السابع في الليتورجيا على أنها أمّ القديم الأيام[١٦].

المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) لم يحرّم تصوير الآب أو الثالوث بصورة خاصة بالاسم بل بالمبدأ اللاهوتي (كما ذكرنا في بداية هذا الجواب). ولأن مثل هذه الأيقونات لم تكن موجودة آنئذ لهذا لم يذكرها المجمع صراحة. لكن المجمع السابع يعتبر رسم الله غير المنظور وغير المحدود، الذي لا شكل له ولا جسد أمراً غير ممكن (الدمشقي). عندما تغلغلت رسوم الثالوث في الكنيسة لاحقاً في كل مكان، خاصة في روسيا، أعلن مجمعان أرثوذكسيان ادانتهما الكاملة لمثل هذه الرسوم المحرَّمة[١٧].

تصوير الرب بلحية بيضاء احياناً وشاباً أحياناً أخرى:

من الممكن اقتباس بعض الشواهد الآبائية التي تُظهر أن "القديم الأيام" هو الله الآب.

---

(١٦) أيضاً، حافظ هؤلاء الرسامون على رسم الصليب في هالة الآب متغاضين عن النتائج السابيلانية للآب الحامل الصليب. وأحياناً كان يُستبدل هذا الصليب بمثلث وهو رسم مُستقى من الفن الغربي.

(١٧) المجمع الأرثوذكسي الشامل في موسكو العام ١٦٦٦ ومجمع القسطنطينية العام ١٧٨٠: "نعلن مجمعياً أن ما يُدعى بأيقونة الثالوث القدوس، وهي بدعة جديدة، وهي غريبة وغير مقبولة للكنيسة الأرثوذكسية الرسولية الجامعة".

لكن الإجماع الآبائي هو أن المسيح يسوع هو "القديم الأيام الذي يصير طفلاً من أجلنا" (كاثسما ٣، سحر دخول الرب إلى الهيكل). أيضاً، تعرّف الكنيسة "شبه ابن الإنسان" في رؤية دانيال (دانيال ٧: ١٣) على أنه الأقنوم الثاني، ربنا يسوع المسيح، القديم الأيام والمتجسد في ملء الزمان. بما أن شخص الله الآب هو غير متجسّد وبالتالي دائماً غير منظور، فليس هو واحداً من شخصي رؤية دانيال النبي.

دانيال رأى شخصاً واحداً في شكلين. فقد رأى ابن الله "القديم" وقد صار "شبه الإنسان" أي ابناً للإنسان (دانيال ٧: ١٣)، بينما ما يزال الشخص الواحد نفسه. هذا الشخص يُدعى ابن الإنسان ويُفهم بشكل عام من الأباء على أنه الشخص الإلهي المتجسد نفسه الذي يظهر كقديم الأيام بلحية بيضاء. دانيال دعاه "قديماً" لأنه أقدم من الأيام والدهور أي أزلياً. الأنبياء والآباء يستعملون كلمة "قديم" بمعنى "أزلي". أيضاً ليس فقط قديماً وأزلياً بل شاباً وأزلياً. القديس مكسيموس المعترف يعبّر عن إجماع الكنيسة وتعليمها بأن المسيح ظهر للأنبياء بشكل شاب وبشكل كهل أبيض الشعر:

"من جهة ظهر الله بشعر أبيض لدانيال، وله رأس أبيض كالصوف، ودُعي القديم الأيام بسبب هذا. من جهة أخرى عندما ظهر مع الملائكة أمام إبراهيم كشاب أصغر من الرجل الكهل الأبيض الشعر، فإنه ظهر كشابٍ وأطلق الأشياء التي أتى لفعلها... لكن لكونه الله فإنه أقدم من كل الأشياء. من هنا، كل الأشياء هي أصغر منه. وهو شاب أيضاً، لأنه غير فاسد وفي أوج الغبطة اللاعمر لها، غير المتبدّلة. إن قلتُ إنه كلاهما معاً، أي متقدم وشاب بالوقت نفسه، فهذا يعني أنه، من البداية إلى النهاية، يخدم ويفعل في الزمان بينما يتعالى عن الدهور... لماذا يُصوَّر الرب أحياناً كشخصٍ بشعر أبيض وأحياناً كشابٍ؟ لأن يسوع المسيح هو هو، أمسِ واليوم وإلى الأبد (عبر ١٣: ٨)"[١٨]. يقول مكسيموس هنا إنه بسبب السر الأنتولوجي والأزلي للتدبير الإلهي فإن أقنوم الرب المتجسد غير المنقسم يُدعى "شاباً" و"قديماً" معاً بدون تقسيم طبيعتَيه أو خلطهما.

(١٨) Scholia on Dionysius the Areopagite's "On the Divine Names", ch. 10, MPG 4, 385A, B

إن كانت إرادة الله الآب أن يبقى غير منظور، فرسم الآب غير المنظور هو على عكس مشيئة الآب وبالتالي خطيئة كما يقول الدمشقي: "لو حاولنا أن نصنع صورة لله غير المنظور، فسنكون مخطئين حقاً، لأنه من المستحيل لله اللاجسد له، اللاشكل له، غير المنظور وغير المحدود أن يُرسَم" (الموعظة الثانية على الصور، فصل ٥، جزء ٨).

إذاً، أيقونة الثالوث التي تصوّر الآب ككهلٍ أبيض الشعر واللحية هي أيقونة هرطوقية وعلى خلاف مع تعليم المجامع المسكونية والآباء القديسين. مثل هذه الأيقونة يجب إزالتها من أية كنيسة إن وجدت فيها. الأيقونة الوحيدة التي تعبّر عن الثالوث القدوس وترمز إليه هي أيقونة الرسّام الروسي المشهور روبلوف "مضافة إبراهيم". (**د. عدنان طرابلسي**)

س ٢٥٠ – هل يوجد نموذج معين في بناء الكنائس الأرثوذكسية وماذا يعني هذا النموذج؟

ج ٢٥٠ – وإن تعددت الأشكال في العالم الأرثوذكسي إلا أن هناك بنية أساسية. المهم هو توزيع الصوت. في بلادنا خسرنا هذه الميزة. لا نستوحي نماذج البلاد الأرثوذكسية. المهندسون خرّيجو مدارس الغرب بدون فهم لاهوتي.

الكنيسة صورة عن السماء. القبة عنصر رئيس. الشكل مصلَّب. التناسب في الأبعاد مهم. الأيقونسطاس روعة هذه السماء. الارتفاع معتدل. الأيقونات بيد لاهوتي لا بيد المقلِّدين والمعتدين على الفن. الأعمدة متناسقة.

في أثينا الكنائس متشابهة وفقاً لمخطط عام. في بلادنا الأمر فوضى. الذوق يتجلّى في الكنيسة الأرثوذكسية. في الواقع كنائسنا خالية من الذوق. فكنيسة الصليب في دمشق وكنيسة مارجرجس في اللاذقية: ضخامة فارغة وصدى بغيض رغم مكبرات الصوت. بعض كنائسنا في الخارج مثل المنمنمات. على جبل الزيتون كنيسة صغيرة أجمل من المتاحف. كنائس روسيا متاحف. أنصح بالإتيان بالخرائط من أثينا دون تعديل. ما نجح أي تعديل. البعض يفكّر في استعادة الفن السوري الكنسي القديم. ولكن لا بد من عقول جبارة تجعله معاصراً لفن أثينا وموسكو، ضمن إطار موحَّد بدلاً من الفوضى الراهنة. فكنيسة قلب لوزة (محافظة إدلب، سوريا) تشبه المنمنمات بفنها الرائع وجمالها. كان

المرحوم جبرائيل سعاده مفتوناً بدير مار سمعان. في ١٩٥٠ اقتنع برأيي في جمال قلب لوزه فتبنّاه نهائياً. انها روعة الروعات. في ١٩٩٧/٣/٣١ قالت لي عالمة آثار أمريكية جابت الدنيا، إثر زيارتها في ٣/٣٠ لدير مارسمعان العمودي، وكلها إعجاب وهي في الـ ٧٥ من العمر: "عندما بُني دير مار سمعان (أي في ٤٩٢) كان أجمل كنيسة في العالم وأجمل من كنيسة القديس بطرس في روما. سوريا هي أغنى بلد في العالم بالآثار" وقد سبقها عالم آثار فرنسي إلى هذا الرأي. (اسبيرو جبور)

دراسات ملحقة وموسَّعة

تعليم الكنيسة الأرثوذكسية في موانع الحمل[1]

د. عدنان طرابلسي

موضوع موانع الحمل يستلزم حتماً تقويم موضوع الجنس ودوره في الزواج. لهذا لا نستغرب أن يكون الرأي حول استعمال موانع الحمل في الزواج غير موحَّد. إنما توجد دائماً خطوط عامة متَّفق عليها. سأستفيض في الجواب لكي أغطّي معظم جوانب هذا الموضوع.

غاية الزواج: كان إنجاب الأطفال في اليهودية هدفاً رئيسياً للزواج إن لم يكن الهدف الأول. ففكرة القيامة في اليهودية ظهرت متأخرة، وبالتالي كان إنجاب الأولاد تعزية مهمة وضرورية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

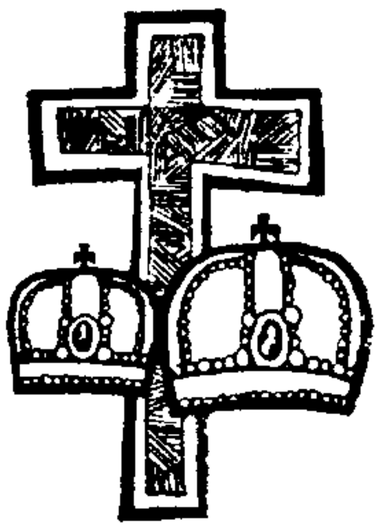

"في البدء، كان إنجاب الأولاد أمراً مرغوباً به، بحيث يترك كلُ شخص ذكرى حياته. بما أنه لم يكن بعد، آنذاك، أيُ رجاء بالقيامة، بل كان الموت مسيطراً، والذين ماتوا كانوا يظنّون أنهم سيفنون بعد هذه الحياة، أعطى الله تعزية الأولاد، بحيث يتركون صوراً حية للمتوفين ويُحفَظ نسلنا. بالنسبة للذين كانوا على شفا الموت وبالنسبة لأقاربهم، كانت ذريتهم أعظم تعزية. هذا كان السبب الرئيسي للرغبة بالأولاد. أما الآن والقيامة على أبوابنا، فإننا لا نتكلم عن الموت بل نتقدّم نحو حياة أخرى أفضل من الحالية، فالرغبة بالذرية أمر غير ضروري.. إذاً يبقى هناك سببٌ واحدٌ للزواج: تجنّب الفسق ويُقدَّم الدواء لهذه الغاية"[2].

أما الرسول بولس فلا يرى أن هدف الزواج هو إنجاب الأطفال بل إطفاء "التحرّق". ولدى القديس يوحنا الذهبي الفم يأتي هدف إنجاب الأطفال في المرتبة الثانية بعد هدف

---

(١) راجع السؤال ٢٥ في الفصل الأول

(٢) الموعظة الأولى على الزواج

الاتحاد المنشود والعيش المشترك بين الزوج والزوجة. لهذا لم يكن العقم قط مبرِّراً في الكنيسة الأرثوذكسية للطلاق لأنه لا يطعن في قدسية سرّ الزواج ولو أن الكنيسة تصلّي أثناء خدمة سر الزواج من أجل مباركة ذرية المتزوجين.

ومن جهة أخرى فالكنيسة قد رفعت الزواج إلى مرتبة سرٍّ على صورة اتحاد المسيح بالكنيسة. لهذا دانت مجامع كنسية عديدة جميع الذين يحطّون من قدر سر الزواج المقدس ومن الجنس في الزواج، رغم ظهور بعض التيارات ضمن الكنيسة التي حاولت الحطّ من قدسية الزواج والجنس فيه. ومع ذلك، ما زال التعليم الكنسي واضحاً على مر العصور: البتولية المكرَّسة أرفع رتبة من الزواج، لكنها دعوة، ولا يحتملها أيٌّ كان، بينما الزواج هو سرٌّ مبارك لَمن لا يستطيع قبول البتولية المكرَّسة. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

"إذاً، أُعطي الزواج لنا من أجل التكاثر أيضاً، إنما بالأكثر جداً لغاية إطفاء طبيعتنا المحترقة. وبولس شاهدٌ على هذا، قائلاً: 'ولكن لسبب الزنى ليكنْ لكل واحد امرأته' (١كور٧: ٢)، وليس لغاية التكاثر. ويوصي أيضاً أن تجتمعوا معاً ثانية، لا لتصيروا أنتم آباء أولاد كثيرين. بل لأية غاية أن تجتمعوا معاً ثانية ؟ يقول: 'لكي لا يجرّبكم الشيطان' (١كور٧: ٥). ويواصل دون أن يقول 'اجتمعوا معاً إن رغبتم بالأولاد.' لكنه ماذا يقول؟ 'ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا' (١كور٧: ٩)، لأنه من البدء، كما قيل، كان للزواج غايتان. أما فيما بعد، بعدما أن امتلأت الأرض والبحر والعالم كله، يبقى سبب واحد فقط: لإقصاء الإغواء والفسق"[٣].

"ما هي إذاً غاية الزواج، ولماذا أعطاه الله؟ أصغوا إلى بولس الذي يقول: 'ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته.' هكذا كي نتجنب الزنى، على كل واحد أن يكون له امرأته. لهذا، يوجد سبب واحد فقط من أجله يجب علينا أن نأخذ زوجة: لكي نتجنّب الخطية وأن نتحرّر من كل زنى. لهذه الغاية أُعطي الزواج بحيث تعمل كل الأشياء فيه لمصلحة اعتدالنا"[٤].

---

(٣) في البتولية

(٤) Econium to Maximus

إذاً ما يقصده القديس يوحنا الذهبي الفم هنا هو أنه يمكن للزوج والزوجة أن يمتنعا لفترة عن علاقتهما باتفاق الطرفين من أجل الصوم والصلاة، ومن ثم يجتمعان معاً ثانية من أجل الزواج. أي أنهما لا يحتاجان إلى الإنجاب كحجّة للاجتماع معاً. لأن الإنجاب ليس السبب الرئيسي للزواج. وإنجاب الأولاد الكثيرين ليس سبباً لاجتماعهما لأن الكثيرين من المتزوجين يكتفون بعدد قليل من الأولاد. كان الذهبي الفم يتكلم بلغة مفهومة لمستمعيه. ففي زمانه كان منع الحمل وتحريض الإجهاض معروفين لقرون عديدة. لكن الكنيسة دانت الإجهاض وليس منع الحمل. على بعض الأرثوذكس يختلط الأمر بين منع الحمل وبين الإجهاض، ويظنون أن القانون الذي يحرّم الإجهاض ينطبق أيضاً على منع الحمل. لكن منع الحمل ومنع الحياة قبل تشكلها أمرٌ، ومنع الحمل من الاستمرار بعد تشكّل البيضة الملقَّحة أي بعد تشكّل الحياة أمرٌ آخر.

يجب لفت النظر هنا إلى أنه في بعض المصادر الآبائية يمكننا أن نجد أحياناً نصاً أو أكثر يشير إلى التكاثر كغاية للزواج، إنما لم يُقصد من هذا قط أن يكون قانوناً أو قاعدة. لأنه إن نظرنا إلى هؤلاء الآباء فإننا سنجد أنه في أماكن أخرى أيضاً قد تكلموا عن أن الزواج هو من أجل الاعتدال والعفة ضد الزنى. الذهبي الفم وحده وضع الأمر كله دفعة واحدة معاً وكتب بطريقة مسهبة ومنظمة عن هذا الموضوع. لهذا من المهم أن نفهم روح الآباء في إطار فكرهم وعملهم.

التعليم الكاثوليكي: الفكر الغربي الخاص بالجنس والزواج معتمدٌ تماماً على وجهة نظر أوغسطينوس (رقد ٤٣٠). كان أوغسطينوس يعتبر أن الجنس والغريزة الجنسية هما القناة التي بواسطتها قد انتقل ذنب "الخطية الأصلية"، إلى ذرية آدم. وبالتالي فالزواج هو بحد ذاته خاطئ بمقدار ما يفترض الجنس، ولا يمكن تبريره إلا "بولادة الأولاد". وبالتالي، إذا تمَّ منع ولادة الأولاد بصورة اصطناعية فإن العلاقة الجنسية – حتى في الزواج الشرعي – هي بصورة أساسية خاطئة.

رغم أن الكنيسة الأرثوذكسية تميّز قداسة أوغسطينوس إلا أنها لا تشاطره الكثير من آرائه[٥]. والكنيسة الأرثوذكسية تتبع قرارات مجمع غانغرا التي رفضت الفكر الذي دان

(٥) بعض اللاهوتيين الأرثوذكس يتحدّون لاهوت أوغسطينوس وفكره ويجدونه يحمل بذور الكثير من البدع التي ظهرت لاحقاً في الكنيسة الغربية والفكر الغربي.

الزواج. وبالتأكيد إن كانت الغريزة الجنسية – بشكلها المنحرف و"الساقط" – مرتبطة كثيراً بالخطيئة، لكنها بالتأكيد ليست القناة الوحيدة التي بها تنتشر حالة الفساد عبر الأجيال البشرية. لكن الزواج نفسه سرٌ. أي في العلاقات بين الرجل والمرأة تمّ افتداء الزواج بصليب المسيح وتجلّى بنعمة الروح القدس، وتحوّل بالحب إلى رباط أبدي.

وإذا تبنّى المرء وجهة نظر أوغسطينوس فإن العلاقات الجنسية التي لا تُثمر أولاداً هي خاطئة عندئذ.

بسبب تعاليم أوغسطينوس، صاغت الكنيسة اللاتينية مفهومها للزواج. إنها نظرة ترى الزواج والحب الزوجي كوسيلة مبتذلة (عامية، سوقية) لخير أعلى، أي التكاثر أو الإنجاب، وليس كسرٍّ شافٍ بحد ذاته. وبكلمات أخرى، ليس الحب الزوجي صالحاً بحد ذاته؛ فقط عندما يباشر الزوجان العمل الزوجي بنيّة واعية بهدف الإنجاب، عندئذ فقط يصير معفياً من الإدانة. فبالنسبة لأوغسطينوس وللكنيسة الغربية اليوم، إن الغريزة الجنسية هي جزء من رغبة شريرة، واللذة الجنسية ملومة. في اللاهوت اللاتيني الأخلاقي، إن العمل الزوجي إذن مقبولٌ فقط بنيّة التكاثر. وفي الواقع عندئذ يوجد الزواج إذن ويُعرَّف بالتكاثر.

لقد حرّم المنشور البابوي *Humanae vitae* استعمال موانع الحمل، وقد أثّر جداً في توطيد فكرة كون الجنس خطيئة في الفكر الكاثوليكي. لكن هذا لا يعني أن هذا المنشور لا يضع نبرة إيجابية حول مفهوم الأسرة.

يوجد رأيان حول دور الجنس في الزواج. رأيٌ يرى أن الدور البيولوجي للجنس هو إنجاب الأطفال فقط، وبالتالي فالجنس في الزواج مسموح به فقط إذا كان يخدم هذا الدور. من هنا يستنتج أصحاب هذا الرأي أن موانع الحمل غير مسموح بها لأنها تحرف الجنس في الزواج عن دوره الحقيقي. رأي الكنيسة الكاثوليكية يقع ضمن إطار هذا الرأي. لكن توجد اعتراضات مهمة على هذا الرأي. فأولاً، لا يوجد في العهد الجديد ما يدعم هذا الرأي. ففي المرات القليلة التي ذُكر فيها الزواج والجنس لم يكن لإنجاب الأطفال الأولوية في أهداف الزواج أو الجنس. ثانياً، لو كان إنجاب الأطفال هو الهدف الرئيس من الزواج لكان الطلاق مشروعاً في حالة العقم. ثالثاً: إن فكرة السماح بالجنس فقط من أجل الإنجاب ضمن إطار الزواج قد تجعل الجنس في الزواج "زنى مشروعاً"

برّرته الغاية وهي الإنجاب. أما الرأي الثاني فيرى أن للجنس دوراً مهماً في علاقة الحب بين الزوجين. إنجاب الأطفال هنا هو جزء من علاقة الحب المتبادلة عندما يشترك الزوج والزوجة في عملية الحَبَل التي هي صورة عن عملية الخلق. لهذا فموانع الحمل تلعب دوراً مهماً في تنظيم الأسرة مما يسمح للجنس بأن يتخذ بُعده الأصيل الذي هو صهر الزوجين في وحدة جسدية–روحية واحدة. لكن الجنس بحد ذاته ليس ضرورياً في هذه الوحدة الزوجية، لأننا نعرف عدداً من المتزوجين في تاريخ الكنيسة الذين اختاروا طوعاً أن يتجاوزوا دور الجنس الجسدي في علاقاتهم الزوجية بدون المسّ بسرّ زواجهم (كالقديس يوحنا كرونشتادت مثلاً). وبالمقابل لا يكون إنجاب الأولاد شرطاً ضرورياً لسلامة العلاقة الزفافية. وبالطبع لا يوجد دور لموانع الحمل خارج إطار الزواج لأن الجنس خارج الزواج مُدانٌ في الكنيسة.

الله خلق الجنسانية[٦] وانجذاب الجنسين: يجب أن يُقال من البداية تماماً أن الله خلق كل الأشياء و لم يخلق أشياء معينة. لا يوجد روح أو خالق أدنى قد خلق الجنسانية. فكرة كهذه هي وثنية تذمّ اللهَ وخليقته. يقول الكتاب إن الله خلق الجنسانية البشرية. لقد خلق جنسين متممين لبعضهما بعضاً منذ البدء، عندئذ دعا ما خلقه "حسناً"، "حسناً جداً" (تك١: ٢٧، ٣١). يعيد المسيح ويؤكّد أن الله نفسه كان الذي "خلق من البدء، خلقهما ذكراً وأنثى" (مت١٩: ٥). لقد خلق الله الانجذاب بين الجنسين لكي يجد الرجل تمامية طبيعته لا في نفسه وحدها بل في شخص آخر. هذا هو معنى نص: "ليس جيداً أن يكون آدم وحده" (تك٢: ١٨). يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

"من البدء خطّط الله بعنايته لهذا الاتحاد بين الرجل والمرأة، وتكلّم عن الاثنين كواحد (تك٢: ٢٤). لا توجد علاقة بين الكائنات البشرية حميمية جداً مثل العلاقة التي بين الزوج والزوجة.. قوة هذه المحبة هي أقوى من أي هوى آخر. هذا العشق (eros) مغروس عميقاً في كياننا. إنه يجذب أجساد الذكور والإناث، الواحد إلى الآخر، لأنه من البدء أتت المرأة من الرجل. أترون كم هو وثيقٌ هذا الاتحاد، وكيف خلقه الله من طبيعة واحدة؟ لقد سمح لآدم أن يتزوج حواء، التي كانت له أكثر من أخت أو ابنة؛ لقد كانت من لحمه هو ومن عظامه.. لقد جعل (الله) من المستحيل للرجال والنساء أن يكونوا ذاتيي الاكتفاء"[٧].

---

(٦) الانقسام إلى جنسين

(٧) الموعظة ٢٠ على الرسالة إلى أهل أفسس

إن الشهوة الجنسية مغروسة إذاً عميقاً في كل واحد منا وبالتالي فهي ليست شراً. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "الشهوة ليست شراً. لكن عندما تسقط في الإفراط ولا تبقى ضمن قوانين الزواج، وتتعدى إلى زوجات الآخرين، عندئذ تصير زنى، ليس بسبب الشهوة بل عدم الإشباع"(٨).

يقول الذهبي الفم الذي كان يتحدث عن "اللذة الغنية" التي للحب الزوجي الذي يجعل الزوج والزوجة جسداً واحداً: "إن جماعهما يتمّم اتحاد جسديهما، ويُصيّران واحداً، كما عندما يُمزَج العطر بالطيب". وعندما لاحظ ارتباك مستمعيه أضاف: "كلماتي تربك الكثيرين منكم، وسبب خجلكم هو في انحلالكم (فسقكم). وإلا لماذا تخجلون مما هو مكرَّم، أو تحمرّون مما هو غير نجس؟ أريدُ أن أُعيد للزواج كرامته اللائقة وأن أُسكت أولئك الهراطقة الذين يدعونه شراً. البعض منكم يدعون كلماتي غير محتشمة لأني أتكلّم عن طبيعة الزواج، التي هي مكرَّمة. بدعوة كلماتي غير محتشمة فإنكم تدينون الله، خالق الزواج!"(٩).

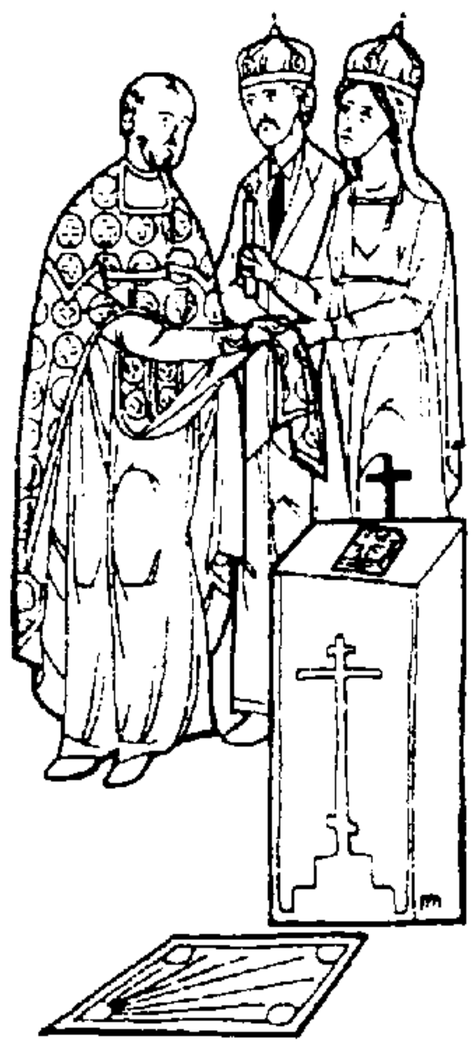

القيامة مصوَّرة بالحب الزوجي: لا يتردد الكتاب في استعمال صور غنية عن الخطية وحتى عن الحب الزوجي الحميمي كرمز للحب المتبادل الكامل بين المسيح وعروسه الكنيسة: "لأني خطبتكم لرجلٍ واحد لأقدّم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كور ١١: ٢). "أيها الرجال احبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها.. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم... فإنه لم يبغض أحدٌ قط جسده، بل يقويه ويربّيه كما الرب أيضاً للكنيسة، لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (افس٥: ٢٥، ٢٨-٣٢). إن سفر نشيد الأناشيد هو عشق مجازي للمسيح العريس نحو عروسه الكنيسة. تُظهر صلاة قبل المناولة المقدسة حميمية أعضاء جسد المسيح مع العريس: "لقد شغفني شوقُك أيها المسيح، ونقلتني بعشقك (eros) الإلهي..".

(٨) الموعظة ٢٠ على الرسالة إلى أهل أفسس
(٩) الموعظة ١٢ على الرسالة إلى أهل كولوسي

يقول الذهبي الفم: "لقد جمع بولس تصويرين: الجسد الطبيعي وجسد المسيح.. حتماً يُظهر الله في سفر التكوين أنه سرٌ عظيم ورائع أن يصير الاثنان جسداً واحداً، لأن (الابن) ترك الآب ونزل إلينا وتزوّج عروسه الكنيسة.. يقول بولس: 'هذا السر عظيمٌ.' كما لو كان يقول: مع ذلك فالمعنى المجازي لا يُبطل الحب الزوجي. انظروا كيف لا ينبذ بولس الاتحاد الجسدي، بل يستعمل الاتحاد الروحي لتصويره. يا لهم من حمقى أولئك الذين يقللّون من قدر الزواج. إن كان الزواج شيئاً يجب أن يُدان لما كان بولس قط قد دعا المسيح عريساً والكنيسةَ عروساً، ومن ثم قال إن هذا تصوير إنسان يترك أباه وأمه، ويشير ثانية إلى المسيح"(١٠).

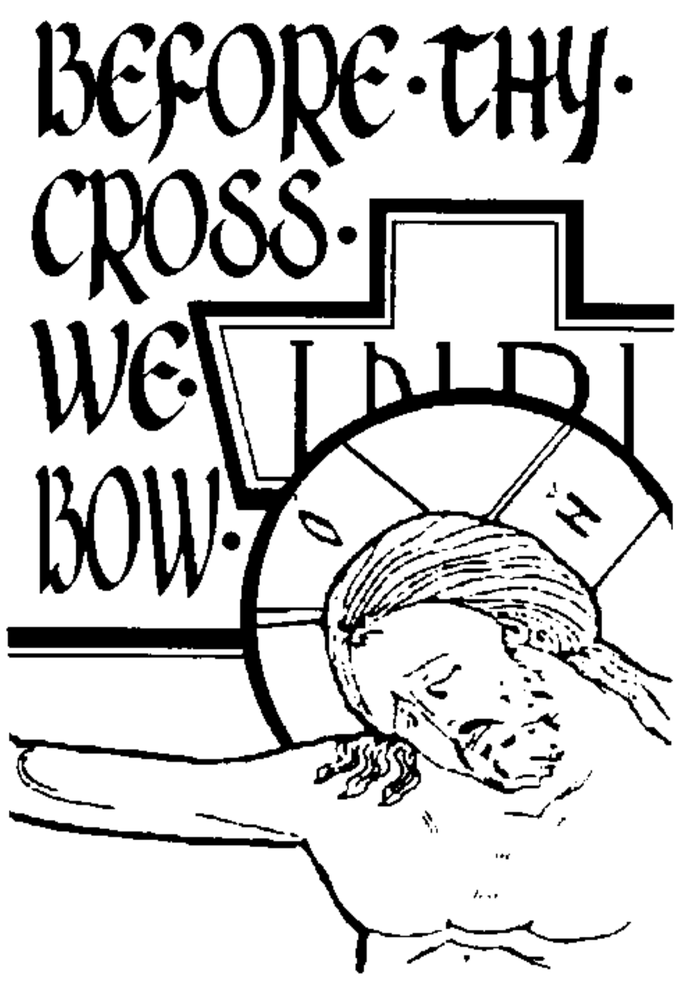

المسيح كعريس يذهب إلى الصليب من أجل عروسه الكنيسة. هذا موضوع رئيسي في أسبوع الآلام. فموضوع العريس يستمر حتى أسبوع الفصح، حيث فيه يكون المخلّص الناهض من الموت، البازغ من القبر ساطعاً غير مائت بالجسد، مشبَّه بـ"عريسٍ بازغٍ من الخدر"، و"لأن المسيح قد بزغ اليوم من القبر كالبازغ من الخدر". في المجاز الزفافي، يموت المسيح عنها ويأتي إليها في الموت حيث هي مقيَّدة برباط أبدي. هناك في القبر يقضي على الموت ويحرّرها ويأخذها إليه، موحِّداً إياها مع جسده المنتصر بحيث تشارك حياته الأبدية ومحبته. إن ذروة أعمال المسيح الخلاصية هي القضاء على الموت بقيامته، وأكثر فترة ليتورجية خشوعية في السنة الكنسية تمجّد القيامة من خلال تصوير أو استعارة metaphor الحب الزوجي.

الروح القدس يتكلم من خلال الكتاب والآباء ويخزي مواقفنا غير الطاهرة تجاه الحب الزوجي. قد يكون للرجال وجهة نظر غير إيجابية نحو الحب الزوجي، لكن الله لا يشاركهم هذا أبداً. يقول الذهبي الفم: "يشرّع بولس ما يتعلّق بالزواج بدون أن يكون خجلاً أو متورِّداً، ولسبب صالح. لقد كرّم سيده الزواج، وحاشا له أن يكون خجلاً منه، بل قد زيّن المناسبة بحضوره وعطيته. بالفعل، لقد قدّم تقدمة زفافية أعظم من أية عطية

(١٠) الموعظة ١٢ على الرسالة إلى أهل كولوسي؛ الموعظة ٢٠ على الرسالة إلى أهل أفسس

أخرى، عندما حوّل الماء إلى خمر. كيف أمكن إذاً لخادمه أن يخجل من التشريع المتعلّق بالزواج؟". بحضور عرس قانا مع أمه الدائمة البتولية وبابتهاجه أظهر السيد أن الزواج ليس شكلاً قانونياً أو أخلاقياً مشكوكاً به من الزنى. وحتى لا يترك شكاً في أذهاننا حوّل الماء إلى خمر كوعد بالافخارستيا المقدسة. وفي سر الشكر المقدس إن الزواج وكل الأسرار تُكمَل وتصير فاعلة في شفاء كامل الإنسان.

من بين البركات الكثيرة التي يتم طلبها في خدمة الزواج بركة ثمرة الرحم والفرح بأولاد صالحين. لكن من غير المناسب أن نفهم طلبة خدمة الزواج من أجل ثمرة الرحم كوصية إلهية. ليس كل قرينين تزوّجهما الكنيسة يمكنهما أو يجب أن يكون لهما أولادٌ. فالبعض عاقر والبعض مريض، والبعض مسنٌ، لكن كل المتزوجين مشمولون بعناية الله نفسها نحوهم: "وقال الرب الإله: ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً" (تك٢: ١٨ و٢٣-٢٤). ويقول القديس بولس: "ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها. ليوفِ الرجلُ المرأةَ حقها الواجب، وكذلك المرأةُ أيضاً الرجلَ. ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن الزواج أصلح من التحرّق" (١كور ٧: ٢-٣، ٩).

لو كان إنجاب الأولاد شرطاً أساسياً للزواج أو عنصراً من صميم لاهوته، لما أمكن للكنيسة عندئذ أن تزوّج إلا الذين سينجبون أولاداً حتماً، ولكان طلاق العاقرين أمراً مشروعاً. بالطبع هذا أمر مرفوض. فبعض المتزوجين سيكتشفون بعد زواجهم أنهم لن يستطيعوا الإنجاب. والبعض الآخر يعرف حتى قبل الزواج باستحالة الإنجاب لسبب مرضي غير قابل للشفاء. والكنيسة لم تتبنَّ قط أي قانون يحرّم تزويج هؤلاء أو يمنعهم من ممارسة العلاقات الزوجية فيما بينهم. ولم تحرّم الكنيسة العلاقات الزوجية بين الذين أنجبوا العدد المرغوب به من الأولاد أو الذين تقدّم العمر بهم. هذا النوع من التحريم ينتهك حرمة روح الإنجيل وتعليم السيد نفسه الذي قال: "إذاً ليسا بعد اثنين بل جسدٌ واحدٌ، فالذي جمعه الله لا يفرّقه إنسانٌ" (مت١٩: ٦).

يقول الذهبي الفم: "لا يؤدّي الزواج دائماً إلى إنجاب الأولاد. لدينا كشهادة على هذا الزيجات الكثيرة التي لا تُنجب أولاداً. هكذا إن غاية الاعتدال (ضبط النفس) تنال

الأولوية خاصة الآن بعد أن امتلأ العالم كله بالجنس البشري"[١١]. (هذا كان في القرن الرابع فما بالك في القرن الحادي والعشرين!). إن طلبات إنجاب الأولاد تُقدَّم بروح ما هو "ملائم" ومناسب لكل حالة فريدة من الزواج. وإلا فسيكون إنجاب الأولاد أمراً مستقلاً ويكون الله يقمع وينتهك إرادة الإنسان الحرّة وسيادته.

"اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٨)

إن وصية الله المعطاة لكل الناس "اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٨) لا تشير حصراً إلى التكاثر الجنسي، وإلا كم كبيرة ستكون خطية الذين يمضون حياتهم بعناد رافضين حفظ هذه الوصية، بما في ذلك المتزوجين الذين لا أولاد لهم، والرهبان والراهبات والأساقفة والذين قد نذروا البتولية.

لكن الآباء يقولون إن الكائنات العاقلة قد أُعطيت طرقاً أخرى للتكاثر، ولا تتحقق هذه الوصية بالإنجاب فقط. يقول القديس غريغوريوس النيصصي: "وباركهما الله قائلاً: 'اثمروا واكثروا واملأوا الأرض.' لهذا اثمروا بالنمو الذي هو الكمال في الله، كمال الإنسان الداخلي. واكثروا في بركات الكنيسة. لا تحدّدوا المعرفة التي بحسب الله بشخص واحد فقط. بالأجدر، ليُعلَن إنجيل الخلاص لكل الأرض. مَن يجب أن لايكثر'؟ أولئك الذين ولدوا في الإنجيل. 'واملأوا الأرض'؟ املأوا الجسد المعطى لكم بالأعمال الصالحة... لأن هذه الكلمات نفسها قد قيلت أيضاً للكائنات غير العاقلة (تك١: ٢٢). وتتحقق الكلمات عندما نسلك بحسب تلك الصورة التي بها كُرِّمنا. على الكائنات غير العاقلة أن تزداد بالأعداد الجسدية، بينما علينا أن نزداد روحياً. وبينما تملأ هي الأرض بأعدادها نملأها نحن بالأعمال الصالحة. 'املأوا الأرض' لا باحتلالها مرتبكين بالتالي فيما إذا كانت الأرض كافية لأعدادنا، بل املأوها بالسيادة التي نفرزها بعقولنا"[١٢].

---

(١١) الموعظة الأولى على الزواج

(١٢) الموعظة الأولى والثانية على تكوين ١: ٢٨

يقول القديس يوحنا الدمشقي: "إن وصية 'انموا واكثروا' لا تشير بالتأكيد حصراً إلى التكاثر بواسطة الاتحاد الزوجي.. من الضروري أن نفهم الوصية الناموسية بصورة روحية أكثر. لأنه يوجد زرعٌ روحي وحَبَلٌ يحدث في الرحم الروحية بخوف الله ومحبته، وتتمخض وتنجب روحَ خلاص"(١٣).

الذهبي الفم يلخّص لنا جواباً تنزيهياً إنما جامعاً بخصوص الأمر الإلهي "انموا واكثروا واملأوا الأرض" بقوله: "سواء بهذه الطريقة أو بأخرى فإني عاجز عن القول. ما يجب ملاحظته هنا الآن هو أن الزواج لم يكن ضرورياً لله لكي يكثر البشر على الأرض.. والآن ليست قوة الزواج هي التي تحفظ نسلنا موجوداً، بل كلمة الرب الذي قال في البدء: 'انموا واكثروا واملأوا الأرض.'(١٤)"

العفة مطلوبة من الناس جميعاً

يقول أحدهم: قصَّ جناحي الملاك يصير راهباً؛ ضع جناحين للراهب يصير ملاكاً. الرهبنة هي دعوة خاصة مطلوبة من الذين دُعوا إليها. أما العفة فهي وصية إلهية مطلوبة من كل مسيحي سواء أكان راهباً أم علمانياً، متزوجاً أم غير متزوج، ذكراً أم أنثى. موضوع العفة في الزواج مهم لموضوعنا الحالي. لأن العفة في الزواج لا تعني الانقطاع عن العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة، ولو أن مثل هذه الزيجات موجودة. ولا تعني عفة الامتناع الدوري عن الجنس الزوجي ولو أن هذا موجود أيضاً. إن العفة في الزواج – وخارجه – هي موقف داخلي وخارجي للقلب والعقل والجسد ولكامل الشخص البشري. فالعفة في الزواج مطلوبة حتى أثناء العلاقات الزوجية، الجنسية وغير الجنسية. وطالما الرسول يوصي: "ليكن الزواج مكرَّماً عند كل واحد والمضجع غير نجس" (عبر١٣: ٤)، فالمضجع الزوجي قد يكون بدون عفة حتى أثناء الزواج. فبركة الزواج بحد ذاتها ليست بركة تمنح أي نوع من العلاقات الجنسية بين المتزوجين عفة آلية تلقائية مشروعة. ومن ناحية أخرى، يمكن للزنى أن يحدث حتى بدون جنس. فالرب له المجد علّمنا قائلاً: "إن كل مَن ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت٥: ٢٨).

---

(١٣) الإيمان الأرثوذكسي ٤: ٢٤

(١٤) في البتولية ١٤–١٧، PG 48, 544-6.

والقديس يوحنا السلمي يقول: "الفسق ممكن بدون علاقة مع جسدٍ آخر"[١٥]. فالعفة الحقيقية هي عفة القلب.

هذا هو قانون العفة التي يريدنا الله أن نتبنّى في حياتنا، سواء كنا رهباناً أم علمانيين، متزوجين أم غير متزوجين، شباناً أم شيباً، ذكوراً أم إناثاً. عندما يحفظ الزوج والزوجة هذا فإنهما يتممّان معنى التكليل الذي نالاه في خدمة الزواج.

فالعفة هي عفة الموقف، عفة القلب وليس الجسد وحده. لأن الزنى قد يُرتكب بدون جسد على الإطلاق. لهذا فالانقطاع عن العلاقات الزوجية في الزواج لا يعني بالضرورة عفة، كما أن العلاقات الجنسية في الزواج لا تعني زنى.

من هنا تختلف الكنيسة الأرثوذكسية عن الكاثوليكية في موضوع زواج الكهنة. فعفة الكاهن هي التزام داخلي قلبي. فلا الكاهن الأعزب عفيف بالضرورة ولا الكاهن المتزوج معصوم عن الزنى. والكنيسة في قوانينها دانت أي إنسان، سواء من سلك الكهنوت أو من العلمانيين، يمتنع عن الزواج أو اللحم أو الخمر بدافع المقت، ودانت أي إنسان من سلك الكهنوت يطلّق زوجته بذريعة التقوى. (راجع القوانين الرسولية ٥ و٥١).

ومن جهة أخرى كل قوانين الكنيسة المتعلقة بالزواج لا تحوي أي مفهوم بأن المضجع الزوجي مقبول من قبل الكنيسة بسبب الإنجاب فحسب.

في القرن السابع كانت الكنيسة ضد اللاهوت الأوغسطيني للزواج في الغرب. إذ بدأت روما آنذاك بنبذ الكهنة المتزوجين واشترطت العزوبية. وبينما كانت الكنيسة الأرثوذكسية تشترط العفة، فقد عملت لتحمي سر الزواج وشرّعت أن الكهنة المتزوجين يجب بالتأكيد ألا يتخلّوا أو يهجروا علاقاتهم الزوجية، وأكّدت على أن زواجهم يجب أن يصير أقوى بهذه الوسيلة. في القانون التالي (القانون ١٣ من المجمع المسكوني السادس، جلسة ترولو ٦٩٢)، كان شرط تأجيل العلاقة الجنسية هو "في الوقت الملائم"، مما يدل فقط على أوقات الامتناع التقليدية والاستعداد للقيام بخدمة القداس الإلهي والمناولة، والتي هي الحالة نفسها بالنسبة للعلمانيين والكهنة على حد سواء.

---

(١٥) سلّم الفضائل، الدرجة ١٥

"**ها أنذا بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني أمي**" (مز ٥١: ٥): يوجد بعض الكتبة اللاتين الذين يعارضون عقيدة الحبل بلا دنس الكاثوليكية. لكن معارضتهم تنطلق من موقف لاهوتي مختلف تماماً عن لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية، وبالتالي لا يتوافق معها. من هؤلاء القديس الكاثوليكي برنارد الذي عارض إعفاء مريم من ذنب الخطيئة الأصلية الموروث. لكنه كان من المدافعين عن التعاليم الأوغسطينية وهي التعاليم التي تتجنبها عقيدة الحبل بلا دنس. شارك برنارد وجهة نظر أوغسطينوس بأن الشهوة هي دائماً شريرة وبالفعل كل الشهوات البشرية هي خطايا، وخاصة عمل الإنجاب. "هذه شهوة بنظر أوغسطينوس. الاتحاد الجنسي وإنجاب الأولاد يشملان بصورة ثابتة شهوة جامحة جداً"[١٦]. بينما يتكلم القديس الذهبي الفم باسم الآباء الأرثوذكس قائلاً: "الشهوة ليست شراً. لكن عندما تسقط في الإفراط ولا تبقى ضمن قوانين الزواج، وتتعدى إلى زوجات الآخرين، عندئذ تصير زنى، ليس بسبب الشهوة بل عدم الإشباع".

يقول برنارد إن الاتحاد الجنسي بين يواكيم وحنّة "أتى بعد شهوة"[١٧]، وبالتالي كان شراً، عملاً ملوماً، وليس مجرد خطية بالمعنى العام لطبيعة الإنسان الساقطة وحالته في العالم. وقد اقتبس صرخة داود واعترافه بطبيعته الخاطئة: "ها أنذا بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١: ٥). وقد فسّر برنارد، مثل أوغسطينوس، هذه الآية بصورة لا تقل أبداً عن إدانة العلاقات الزوجية بشكل عام، وعن العلاقات الزوجية بين والدَي داود بشكل خاص. فاستعمل هذا النص ليؤيّد رأيه غير الصحيح عن الحبل الطبيعي بمريم. تقول الموسوعة الكاثوليكية الجديدة: "حاجَّ برنارد أن الروح القدس لم يستطع أن يتورط بأي شيء شريرٍ جداً بشكل موروث مثل الحبل بطفل"[١٨].

---

(١٦) H. Brown: Heresies (Garden City, NY: Doubleday, 1984). P. 201

(١٧) Epistle 174, to the Canons of the Cathedral of Lyons

(١٨) New Catholic Encyclopedia, vol. 7, p. 380

من جهة أخرى، يقول التقليد الأرثوذكسي الآبائي إن العناية الإلهية كانت تعمل بوضوح في الحبل بوالدة الإله وفي إنجاب أسلافها. يقول الآباء إن قداسة و"الصعود المتعاقب لأجيال أسلاف والدة الإله المختارين والمتطهرِّين كانا تهيئة" وتهذيباً قد أديا إلى الحبل بوالدة الإله وأفضيا إليها. أيضاً، لم ينتقص التقليد المقدس قط من قيمة الاتحاد الجنسي بين يواكيم وحنّة (والدَي العذراء مريم) ولم يعتبره خطية أو تعدياً أخلاقياً. وبالفعل إن زرع يواكيم قد سُميّ "طاهراً"[١٩] "spotless من قبل القديس يوحنا الدمشقي. وعن اتحادهما وعن جميع الاتحادات يتكلّم القديس مكسيموس المعترف عن اتفاق الآباء قائلاً: "بعد السقوط، كان للطبيعة البشرية كمصدر لولادتها الذاتية حبلاً باللذة الحسية والزرع، وولادةً إلى حالة من الفساد، وفي النهاية ألماً وموتاً من خلال الفسادية"[٢٠]. ليس هذه دينونة أخلاقية ضد تعدٍ مزعومٍ وإنما تأكيد صريح للحبل الطبيعي لكل إنسان بشكل معاكس للحبل بالرب: "الذي لم يكن له هذا الأصل لولادته في الجسد والذي، أي في الموت، لم يُهزَم".

والكتاب المقدس والآباء يتكلمون عن النعمة التي زُرعت في أرحام نساء معينات، مثل حنّة، اليصابات، أم حزقيال وأخريات، اللاتي حبلن بطريقة هي بالنسبة لبرنارد شرٌ. إن الموقف السلبي المتطرف لبرنارد نحو العمل الزوجي والإنجاب يتجاوز حتى نظرة أوغسطين العقابية والنظرة الكاثوليكية بشكل عام، التي على الأقل تؤمن بأن الإنجاب هو العقوبة التي تفدي العلاقات الزوجية.

إن الكنيسة تسبّح قداسة "أصل يسّى" والد داود والعلاقات الزوجية المباركة للأجيال التي أثمرت من ذلك الأصل والتي أدت إلى "زرع بغير فساد " spotless seed وإلى أقدس حبل طبيعي: الحبل بوالدة الإله. ومثل كل حالات الحبل الطبيعية، كان الحبل بوالدة الإله تحت قوة اللذة والألم، والفساد والموت. وكما قال داود، كلنا بالآثام قد حُبل بنا، لكن الحبل بالآثام (بالتعديات) هو ليس مثل الحبَل "بواسطة" الآثام. كما عندما نقول: "نحن بالخطايا نعيش" أي في عالم من الخطايا وليس بواسطة الخطايا نعيش. لم يكن داود يدلي هنا بمقولة أخلاقية ولم يكن يتّهم والديه. وبالتأكيد يمكن القول إن كل حياتنا

(١٩) يوحنا الدمشقي: الموعظة في ولادة والدة الإله الفصل الثاني. يشير هذا إلى الزواج الطاهر والعفيف لوالدَي العذراء.

(٢٠) St. Maximus the Confessor, Theological and Dispensational Chapters, Migne, PG. 90,1325B

الحالية هي "في الآثام". والمخلّص نفسه قد اختبر هذا عندما أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، معتنقاً آلامنا وأهواءنا، وصار "خطية"، وهو الذي لم يعرف خطية، لكي يخلّصنا. كان داود يعلّق على الحالة التي شارك بها البشرية المولودة في الخطايا والتعديات والآثام، أي المولودة تحت سلطان الشر والفساد والموت.

الآباء الأرثوذكس لا يشيرون إلى المزمور ٥٠/٥١: ٥ بروح أوغسطينوس وبرنارد. فالآية ليست حكماً أخلاقياً بل ملاحظة لحالة الإنسان الساقطة في هذا العالم. لهذا، استعمل الآباء هذه الآية في إطار المثال النسكي. لكن الالتباس ينشأ عندما نحاول فهم الأدب الآبائي النسكي والرهباني خارج إطاره الصحيح وبروح الأخلاق الغربية.

شروط موانع الحمل: أن تمنع الإلقاح قبل حدوثه، وليس تعشيش البيضة الملقحة في بطانة الرحم (الأجهزة داخل الرحم IUD غير منصوح بها)؛ أن تكون برضى الطرفين وبإرادتهما الحرة؛ أن لا تكون بسبب الأنانية وكراهية تربية الأولاد، بل بغية تنظيم الأسرة؛ أن لا تكون غير عكوسة؛ أن لا تكون بهدف الممارسة الجنسية غير المشروطة وغير الواعية وغير العفيفة؛ وأن تكون بمشورة الأب الروحي.

أخيراً، الجنس شهوة. وبما أن الحياة المسيحية هي حرب ضد تملّك الشهوات على الإنسان لهذا يجب أن لا يكون الإنسان أسير شهوة الجنس، بل أن يكون للجنس بُعدٌ روحي ممارَسٌ ضمن إطار الزواج حصراً. لهذا لا يعني استعمال موانع الحمل أن يصير الجنس شهوة آسرة للإنسان وأن يصير الإنسان عبداً للجنس طالما لا يوجد خوف من إنجاب الأولاد. فكما يمكن إساءة استعمال الجنس يمكن أيضاً إساءة استعمال موانع الحمل. **(د. عدنان طرابلسي)**

رأي لاهوتي في الاستنساخ (التنسيل)[٢١]

د. عدنان طرابلسي

العصر الحديث بتطوراته العلمية السريعة والمتنوعة يطرح على الكنيسة وأبنائها المؤمنين تحديات وأسئلة إيمانية وحياتية لا يمكن الهروب منها. لا تتعلّق هذه التحديات بالضرورة ببنود الإيمان المسيحي بشكل مباشر، ولكنها تمسّ جوانب مهمة من حياة المؤمن بشكل خاص وحياة الإنسان بشكل عام لدرجة صار على الكنيسة أن تُبدي المعايير العامة التي يجب أن نتبعها في تقويم هذه التطورات. وبما أن الكثير من جوانب التقدم العلمي هي قيد التطوّر يومياً، ولمّا تتضح كل أبعاده وملامحه بعد، فإن الكنيسة لا تستطيع أن تبتّ بصورة قاطعة في موقفها حيال الكثير من هذه المستحدثات. لهذا تحرص الكنيسة على اتخاذ موقف متحفّظ نوعاً ما وتترك الباب مفتوحاً بدون تشنّج في الرأي والموقف طالما لا يمسّ أي تطوّر جوهر الإيمان الأرثوذكسي أو ينتهكه.

والاستنساخ تطوّر في علم الحياة والوراثة لـمّا تُستكمل أبعاده بعد ولا تجاربه ولا ممارساته، لهذا لا تستطيع الكنيسة هنا سوى ذكر المعايير والمقاييس العامة التي بموجبها يجب أن نقّوم علماً تجريبياً كهذا. المبدأ نفسه ينطبق على الهندسة الوراثية Genetic Engineering ، وعلم تحسين النسل Eugenics، والمعالجة الوراثية.

طالما، مع الأسف، لا توجد مرجعية أرثوذكسية كنسية عليا تستطيع البتّ في مثل هذه القضايا وسواها، لهذا لا نستطيع الادعاء أن مناقشتنا هنا لمثل هذا الموضوع هو جواب الكنيسة الأرثوذكسية على الاستنساخ[٢٢]. كل ما نستطيع قوله هنا هو أن الكاتب يحاول أن يسلّط للمؤمنين بعض النور على الجوانب العلمية واللاهوتية للموضوع فحسب، مع

---

(٢١) راجع السؤال المتعلق بالاستنساخ في الفصل الأول

(٢٢) الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا الشمالية عبّرت عن رأيها بالإجماع حيال الاستنساخ وبقية التجارب الوراثية في تصريح أدلت به كما سنرى نصه في نهاية هذه الدراسة.

ذكر رأيه الشخصي فيها والذي يؤمن أنه بداية لحوار مفتوح حول علم ربما لن ينغلق أبداً في المستقبل.

تعريف الاستنساخ (التنسيل cloning): هو تكوّن كائن حي كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي آخر، كفردَي توأم البيضة الواحدة مثلاً. الاستنساخ هو توالد لا جنسي، لا يحدث فيه إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر. الاستنساخ شائع في النباتات وليس في الحيوانات. فالاستنساخ ليس خلقاً من عدم، ولا يطابق ولادة التوائم الحقيقية.

في ٢٧ شباط ١٩٩٧ نشرت مجلة "الطبيعة Nature" تقريراً لفريق اسكتلندي يعلن عن ولادة أول كائن حي من الثدييات (الحيوانات اللبونة) بالاستنساخ. تجربة استنساخ دولي نجحت بعد ٢٧٧ تجربة اندماج خلايا ضرعية (٠.٣٦٪).

دولي كانت أول نعجة (بل أول كائن حي ثديي، أو فقاري) تمّ استنساخها بدءاً من نواة خلية جسمية متمايزة، لكن الفريق الإسكتلندي (فريق معهد روزلين) استنسخ قبل عام ١٩٩٦ نعجتين (موراغ وميغان) من نواة أُخذت من خلايا القرص الجنيني لمرحلة الأرومة (عمر الجنين ستة أيام).

الاستنساخ لا يساوي التوائم المتماثلة (الآتية من البيضة الملقَّحة الواحدة نفسها)، لأن الكوندريات mitochondria في الإخصاب الطبيعي تأتي من الخلية البيضية، أي من الأم نفسها. أما في الاستنساخ فكوندريات الفرد تأتي من الخلية البيضية أيضا، لكن ليس من "الأم" التي زوّدت الخلية الجسمية (الضرعية). فدولي تختلف عن أحد أفراد توأم البيضة الواحدة في أن كوندرياتها ليست طبيعية (لأن دولي أتت كنسخة مثيلة تماماً للنعجة التي زوّدت الخلية الضرعية). صحيح أن الخلية البيضية هنا لعبت دور "الحاضنة المغذية" إلا أنها أسهمت أيضاً إسهاماً أساسياً في تكوين دولي بمنحها كوندرياتها. كل كوندرية تحوي ذخيرتها الوراثية الخاصة بها (مع أمراضها الوراثية).

دوافع الاستنساخ:

الدوافع العلمية: كان الدافع العلمي الأساسي للاستنساخ هو الإجابة على السؤال التالي: هل قدرة نواة الخلية المتمايزة وظيفياً تساوي قدرة نواة البيضة المخصبة وبوسعها،

إذا وضعت في وسط ملائم، أن تكوّن فرداً سوياً؟ التجارب أوضحت أن جينات الخلية المتمايزة وظيفياً لها القدرة نفسها للبيضة المخصبة وأن كل ما حدث لهذه الجينات أثناء مراحل تكوّن نسج وأعضاء الفرد إنما هو عكوس كلياً ولا ينطوي على أي حدث غير عكوس.

من الدوافع العلمية الأخرى: دراسة وظائف الجينات، تطوير الهندسة الوراثية، اكتشاف الخريطة الوراثية للإنسان..الخ.

الدوافع الاقتصادية: الحصول على نخبة من حيوانات المزرعة ذات خصائص وراثية متميزة؛ استخراج بروتينات معينة بالهندسة الوراثية (هرمون الأنسولين، هرمون النمو، الخ)؛ معالجة الأمراض الوراثية، الخ..

ينقسم العلماء إلى فريقين: فريق يؤيّد الاستنساخ على البشر وفريق يحرّمه.

الفريق المؤيّد: يقول هذا الفريق إنه بالاستنساخ يمكن الحصول على أفراد مستنسَخة تمتلك خطوطاً خلوية تُنتج أعضاء يمكن استعمالها كقطع غيار في حالات المرض، أو الحصول على أفراد ذوي خصائص فائقة (نخبة). أيضاً قد يؤدي الاستنساخ في المستقبل إلى الحصول على مواد بيولوجية (كالهرمونات وسواها) يمكن استعمالها في المعالجات الطبية.

الفريق المعارض: لدى هذا الفريق فإن الاستنساخ يناقض القيم البشرية والحضارية، فقد يحوّل الإنسان إلى مجرد سلعة للمتاجرة بها. فضلاً عن أن الأولويات في استنساخ الإنسان وإنتاج "نخبة" منه هي ليست موضع اتفاق بين العلماء أنفسهم. لأن صفات هذه النخبة هي موضع جدل. نستطيع ذكر الملاحظات التالية للفريق العلمي المعارض للاستنساخ باختصارٍ:

١- ولدت دولي بعد ٢٧٧ تجربة اندماج (٠.٣٦٪)، لكن نسبة نجاح التجربة هو ١ بالألف (تمّ استعمال ألف خلية بيضة). هذا الاحتمال الصغير جداً غير مقبول أبداً في التجارب على الخلايا البشرية. بالطبع إن تقدّم التكنولوجيا الطبية والمخبرية والوراثية في المستقبل قد يُنقص هذه النسبة، لكن مبدأ تطبيق علمٍ تجريبي، ما زال في مهده، كالاستنساخ على الخلايا البشرية هو أمر مرفوض تماماً.

٢- الاستنساخ توالد لا جنسي يخلو من التنوّع الحيوي، وبالتالي إذا تمّ إنتاج قطيع من الأبقار مثلاً بالاستنساخ فإن ردود فعل القطيع بكامله تجاه تأثير ما (عوامل البيئة) سيكون واحداً. وإذا كان رد الفعل سلبياً فقد يهددّ سائر القطيع بالانقراض. لهذا فدور الجنس (تمازج المواد الوراثية من مصدرين مختلفين) في الإنجاب هو أمر فائق الأهمية. وهذا ما يلغيه الاستنساخ.

٣- اختيار مَن يجب استنساخه أمرٌ لا يمكن حلّه. فالناس منقسمون فيما بينهم بخصوص أية خصائص هي المرغوبة والمطلوب استمرارها والحفاظ عليها في النسل. هذا الخصائص الحميدة تخضع لكثير من العوامل البشرية التي تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان والأخلاق والفلسفة..الخ.

٤- حتى لو افترضنا أننا متفقون على الخصائص الحميدة للنسل البشري، فإنه لا يمكننا أن نضمن أفضل بيئة قبل الولادة وخلالها وبعدها لكي نحصل على هذه الخصائص الحميدة، لأن للبيئة دور مهم في ظهور الخصائص. فالنمط الظاهري phenotype أي جملة الخصائص التي يتمتع بها الفرد البشري لا تتوقف فقط على النمط الوراثي genotype، أي على مجموعة الخصائص الوراثية المحمولة على المورثات، بل أيضاً على تداخل البيئة في ظهور هذه الخصائص الوراثية. لكن التحكّم بالبيئة أصعب من التحكم بالخصائص الوراثية في كثير من الأحيان، وبالتالي ضمان ظهور خصائص وراثية معينة في فرد معين أو نسل معين هو أمر بالغ الصعوبة.

٥- وإذا افترضنا جدلاً أنه أتى اليوم عندما يمكننا فيه أن نتحكّم في البيئة وبالتالي في ظهور الخصائص المرغوب بها، فإن الصفات الوراثية الحميدة اليوم قد تصبح خصائص ضارّة في الغد، والشخص الخّلاق اليوم قد يصبح عاجزاً في المستقبل. فمفهومنا عن نوعية الخصائص الحميدة خاضع للبيئة التي نعيش فيها اليوم. لهذا تغيّر البيئة في المستقبل قد يحوّل الخصائص المفيدة اليوم إلى خصائص ضارة في المستقبل. هكذا نجد أنه كلما يحاول الإنسان أن يلعب دور الله فإنه يجد نفسه في ورطات لا يمكن التنبؤ بها.

٦- تأثيرات البيئة بعد الولادة على الدماغ البشري: تستحق هذه الملاحظة المهمة فقرة منفصلة عن سابقتها نظراً لأن الدماغ البشري له الدور الأكبر في حياة الإنسان. فلو افترضنا أننا استطعنا التحكم بالمواد الوراثية بالاستنساخ والتحكم بكل العوامل البيئية

قبل وأثناء الولادة لضمان استنساخ فرد بشري هو نسخة طبق الأصل عن مصدره، لصادفتنا العوامل البيئية بعد الولادة والتي تتحكم بنمو الدماغ البشري. فالنوع البشري معروف بتطور نمو الدماغ بعد الولادة. فدماغ الحيوانات الرئيسات Primates (كالقردة مثلاً) ينمو منذ الولادة وحتى البلوغ بنسبة ٢ إلى ٢ ونصف، بينما يزداد الدماغ البشري بعد الولادة بنسبة ٣ ونصف إلى ٤. هذه الزيادة معقدة وتشمل زيادة في كمية المادة الدماغية وفي نوعية الوصلات العصبية (يزداد القشر الدماغي البشري بنسبة ٤ أضعاف). إن بنية الدماغ البشري ووظائفه ينشأان من التفاعل ما بين النضوج والخبرة. إن نوعية العصبونات (الخلايا العصبية) neurons التي تحيا والأخرى التي تموت تتقرر بكمية واستمرارية التحريض التي تتلقاه. إن التفاعل بين العضوية والبيئة يؤدي إلى نشاط عصبوني نمطي يقرّر أية وصلات عصبية ستستمر. الخبرة تصوغ الدماغ بحدثية تستمر طوال الحياة. وهكذا لن يؤدي الاستنساخ إلى خلق فرد نسخة طبق الأصل عن مصدره. هذا فضلاً عن أن التمثيل القشري (على قشر الدماغ) سواء الحسي أو الحركي هو أمر يتغيّر بتغيّر درجة الاستعمال والخبرة. فلا يوجد تمثيل قشري متماثل تماماً حتى بين التوأمين الحقيقيين لأنهما يخضعان لدرجات مختلفة من التحريض والخبرة والتفاعل مع البيئة.

٧– أيضاً، لو استنسخنا امرأة من خلاياها البيضية ذاتها، وعمرها مثلاً ٤٠ عاماً، فإن عمر جينات genes (أو DNA) المرأة المستنسَخة سيبلغ ٨٠ عاماً عندما يصبح عمرها ٤٠ عاماً. ومن المعروف أن الصبغيات تُصاب بتكسر مع تقدم العمر مما قد يؤدي إلى أمراض. هكذا من المستحيل تقليد دور الطبيعة التي صمّمها الخالق بأفضل وأجمل طريقة.

الموقف اللاهوتي من الاستنساخ: مفهوم الأخلاق مفهوم مرن جداً. إنه يتعلّق بالأوليات في حياة الإنسان ويصنّف أهميتها. ومفهوم الأخلاق والأولويات في حياة الإنسان يتعلقان بالتالي بمفهومنا للإنسان وتعريفنا له. ألعلَّ الغنى والثروة والرفاهية والصحة الجسدية هي أولويات في حياة الإنسان، سواء المعاصر أو القديم؟ أم هي علاقته بالله وخلاصه وتألّهه وصحته الروحية وسلامة كيانه اللاهوتي وبُعده الآخر، مع المطلق، التي كثيراً ما يتم التغاضي عنها خاصة في العصر الحديث؟ هل الأمراض، خاصة الوراثية منها، هي عدو الإنسان اللدود التي يجب أن نهدف إلى التخلّص منها حتى نقول إن

الإنسان في أحسن حال، أم أن رفع مستواه الروحي والأخلاقي هو ما يجب أن يكون الغاية النهائية لأي علمٍ يدّعي أنه يهدف إلى تحسين حياة الإنسان؟ وماذا يعني "تحسين" حياة الإنسان وما هي "الأولويات" في حياته؟ هل هي رفاهية حياته المادية، بكل أبعادها، إذا نظرنا إلى الإنسان ككائن اجتماعي بيولوجي صرف، أم أنها حياته الروحية إذا ما نظرنا إليه ككائن لاهوتي روحي؟ ما هو الخير والشر، الصحيح والخاطئ في حياة الإنسان، ما هي "الفضائل" البشرية، وأي سلّم من المعايير تتبع؟ هل الإنسان بحد ذاته، كل إنسان وأي إنسان، غاية أم يمكن أن يكون وسيلة؟ أي هل يمكن التضحية بحياة إنسان واحد في سبيل "رفاهية" جملة من البشر أو حتى واحد منهم فقط، بدون المسّ بكرامة الإنسان كإنسان؟

كل هذه الأسئلة تفرض نفسها عند الحديث عن موضوع مثل الاستنساخ. وباختصار شديد: مَن هو الإنسان؟ جواب هذا السؤال يوجّه أية مناقشة تتعلّق بالإنسان.

مَن هو الإنسان؟: تعريف الإنسان مهم جداً في مناقشة أي بحث يتعلق به مباشرة. فإن فهمنا الإنسان، أصله، حياته، الغاية من وجوده، معناه، نستطيع أن نناقش أي موضوع يتعلق به بصورة تقترب أكثر من الحقيقة. وإذا بدأنا بصورة مغلوطة عن ماهية الإنسان، كانت نتيجة أية دراسة نتيجة مغلوطة.

لن نتحدث هنا عن الإنسان ككائن بيولوجي اجتماعي. لأن حديثاً كهذا معروفٌ للجميع بغض النظر عن خلفياتهم الإيمانية والأخلاقية. ولأنه يطمس الأبعاد الأكثر أهمية في حياة الإنسان. فالإنسان كائن لاهوتي لا بيولوجي بحت. لاهوتي تعني أن له علاقة مميزة خاصة وفريدة مع الله. كائن لاهوتي تعني أيضاً أنه متميّز من سواه من الخلائق في خلقه وحياته ومصيره. فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، وبالتالي لا يمكن فهم الإنسان بدون الله وعلاقته معه. ففصل الإنسان عن أصله ومصدر خلقه وعن الغاية من خلقه وانحداره إلى مستوى الكائنات البيولوجية الأخرى (كالحيوان والنبات) يعني إنقاصه إلى مستوى دون مستواه الأصلي، إلى مجرد خلايا وأنسجة وأعضاء. بهذا يفقد ماهيته الإنسانية لأنه قد جُرِّد من معناه اللاهوتي.

في ولادة كل إنسان توجد عملية خلق من عدم، عملية يخلق فيها الله فرداً بشرياً جديداً، إنما يعطي الله للوالدين شرف المشاركة بهذه العملية. لا يوجد إنسان لم يخلقه

الله. فلا النطفة الذكرية ولا البيضة الأنثوية هما اللتان تخلقان الإنسان. متى حاول الإنسان أن يخلق فرداً بمعزل عن الله سيجد نفسه أمام نظام يخلّ بالتوازن الإلهي في الطبيعة.

دعوة الإنسان في المسيحية هي أن يكون مشاركاً في حياة الطبيعة الإلهية، أي متألِّهاً بالتعبير الآبائي، أي أن يبلغ إلى المثال الإلهي الذي هو مدعوٌ إليه منذ لحظة خلقه. فليست دعوة الإنسان في المسيحية أن يكون متفوقاً بدون حدود في التكنولوجيا والعلوم والسلطة وسواها. وليست دعوته أن يكون ثرياً مرفَّهاً مترفاً متخماً.

ما هي الحياة البشرية؟ كان اكتشاف المادة الوراثية (الذي نال جائزة نوبل) من أعظم اكتشافات القرن العشرين. فمعظم المادة الوراثية التي تحدد الخصائص البشرية محصورة في المادة الوراثية المعروفة بالـ DNA، (أو الدنا). بيولوجياً، الإنسان يُعرَّف كفرد متمايز عن غيره بنوعية الدنا في نوى خلاياه. هذا أيضاً ما يميزه بيولوجياً من بقية الكائنات الحية الأخرى (كالحيوانات) التي تمتلك دنا متمايز.

أما لاهوتياً، فتعريف الإنسان هو تعريف تنزيهي apophatical، الإنسان هو الدنا [illegible] ولكنه يتعالى عن هذا الدنا. هو ما تحويه نوى خلاياه من خصائص وراثية، ومع ذلك يتعالى عن هذه الخصائص. فلا يوجد إنسان بدون هذا الدنا ومع ذلك لا يمكن حصر الإنسان بهذا الدنا وحده. على نحو مماثل، نستطيع القول، إن الإنسان لا يستطيع العيش بدون أوكسجين (الخبز البيولوجي) أو بدون خبز الجسد المصنوع من القمح (الخبز المادي)، ومع ذلك "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". فلا الخبز وحده (البيولوجي أو المادي) يقوت الإنسان ويقوم بأوده، بل "بكل كلمة تخرج من فم الله". كلام الرب هنا يعني أن الخبز ضروري وإنما غير كافٍ. لأن الإنسان ليس مجرد كائن بيولوجي مثل الحيوان والنبات. فالحيوان أو النبات لا يحتاجان إلى كلام الله ليعيشا. من هنا نفهم أن إنقاص الإنسان من كائن لاهوتي يعيش على كلمة الله، إلى مجرد كائن بيولوجي يعيش على الخبز المادي، إلى مجرد حيوان، وإلغاء البعد اللاهوتي فيه، الذي يربطه بالله، هذا الإنقاص هو طعن في هوية الإنسان وتشويه لهذه الهوية في الصميم. ففقدان ما هو إلهي في حياة الإنسان يعني فقدان ما هو بشري. فالبُعدان البشري والإلهي في حياة الإنسان هما صنوان لا يفترقان.

الأخلاق المسيحية

لسنا هنا في صدد الحديث عن علم الأخلاق المسيحية إن جاز هذا التعبير. لكننا لا يمكن الحديث عن موضوع أو مواضيع مثل الاستنساخ والهندسة الوراثية، وهي مواضيع تمس الإنسان في الصميم، بدون تعريف هذا الكائن الذي يتم الحديث عنه وحوله. فتعريفنا للإنسان مهم جداً كما رأينا. تعريفنا ورؤيتنا لهذا الكائن تحددان وتوجّهان رؤيتنا وتقويمنا (تقييمنا) لمسائل مثل الاستنساخ والهندسة الوراثية.

مناقبية اليوم هي عصا مقياس موضوعية لتقويم الشخصية الفردية أو السلوك الفردي. وقد صارت مرتبطة في عقولنا بالتصانيف الاجتماعية للخير والشر، وتمثّل الدرجة التي بها يتجاوب الفرد مع واجب موضوعي، أو "التزام أخلاقي"، مُدرَّج إلى "فضائل" معينة.

هذه السلّم من الفضائل الموضوعية التي تعيّن مناقب الفرد هي نتيجة تفسير "علمي، علماني" ديني أو فلسفي أو عقلاني لتفسير المشاكل المتعلقة بسلوك الفرد في المجتمع.

الأخلاق المسيحية Christian Ethics هي تصنيف غربي. الأرثوذكسية تركّز على "اللاهوت الأخلاقي Moral Theology"، الذي هو لاهوت نسكي–صوفي بصورة أساسية، فيه ينكشف الصراع الداخلي نحو القداسة من خلال النعمة والقوة المحوِّلة للروح القدس الساكن داخلاً.

الأخلاق بصورة عامة، ومنها "الأخلاق المسيحية"، بالتصنيف الغربي هي الأخلاق التي تدرس السلوك البشري وهي عادة علم وصفي descriptive، يحاول أن ينقّب ويحلّل المبادئ والقيم الداخلية التي تحكم السلوك البشري. أما "اللاهوت الأخلاقي" فهو عادة فَرْضي، أمْري prescriptive، ويفترض "الواجبات" التي تحكم الحياة الأخلاقية استجابة لوصايا الله كما كُشفت في الإنجيل والتقليد. من هنا نفهم أن معايير علم الأخلاق هي معايير تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان، الخ. بينما معايير اللاهوت الأخلاقي تتبع قيماً مطلقة تحافظ عليها ولا يمكن إنقاصها إلى قيم نسبية متغيّرة. أيضاً، في علم الأخلاق نجد أن حرية الإنسان هي أمر يتحدد بضوابط متغيّرة بتغيّر الزمان والمكان أيضاً.

فالأخلاق المسيحية في الكنيسة تختلف في مفهومها عن الأخلاق التي يفهمها العالم، لأن مفهوم الإنسان مختلف كما وجدنا بين الطرفين. الإنسان ككائن لاهوتي مخلوق على صورة الله ومثاله، هو الكائن الذي مات المسيح من أجله وقام، والذي وُلِد إنساناً جديداً

بالمعمودية فلبس المسيح، والذي صار لا هو الذي يحيا بل المسيح مَن يحيا فيه (غلا٢: ٢٠). لهذا فالإنسان الذي صار هيكل الروح القدس والذي قنّم في شخصه البشري نعمة إلهية غير مخلوقة هو كائن أخلاقه هي ثمار الروح القدس العامل فيه ومعه. هذه الأخلاق هي أخلاق نسكية صوفية لا اجتماعية عقلانية، لأنها ثمرة تفاعل النعمة الإلهية والإرادة البشرية بغية المحافظة على الصورة الإلهية المتجدِّدة في الشخص البشري لتقوده نحو القداسة.

لهذا، فأي مسألة تتعلّق بحياة الإنسان ومصيره تقوَّم بناء على ماهيته ودعوته. فلا نستغربنَّ أن تكون مصادر الأخلاق المسيحية هي المصادر الآبائية والرهبانية، وليست المصادر الدنيوية.

أيضاً مفهوم "الحرية" مختلف بين اللاهوت الأخلاقي المسيحي وعلم الأخلاق العلماني. فحرية الإنسان لا يمكن أن تُفهم بدون حدود كحرية أي كائن بيولوجي، بل هي حرية كائن لاهوتي تتحدد أبعادها بمقدار ما تخدم وتحترم دعوته ككائن لاهوتي مدعو إلى تحقيق المثال الإلهي والتألّه. فلا يمكن إعطاء حرية مطلقة في السماح بالإجهاض والطلاق..الخ، كما يفعل المجتمع الغربي اليوم في سن تشريعاته الاجتماعية. فللكنيسة الدور الأول في حياة أعضائها وفي صون حقوقهم. وبالتالي فما هو مسموح في عرف القانون المدني قد يكون ممنوعاً أو خطيئة في نظر الكنيسة. حرية الإنسان في الكنيسة هي فقط في الرب: "فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حرّرنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية" (غلا٥: ١). هذه الحرية التي للمسيحيين في المسيح هي مثار غيرة (غلا٢: ٤)، ولا تبرّر للمسيحي أن يفعل السيئات لكي تأتي الخيرات (رو٣: ٨).

مخاطر الاستنساخ:

يحمل الاستنساخ في طياته الكثير من المخاطر الظاهرية والباطنية. بعض هذه المخاطر لم تتضح كل أبعاده بعد، وبالتالي يصعب الحكم عليها تماماً في الوقت الحاضر. من هذه المخاطر الرئيسة التي يقدّمها الاستنساخ:

١- تقويض العائلة: مَن هو الأب ومَن هي الأم في الاستنساخ؟ مفهوم العائلة يضمحل تماماً في حدثية الاستنساخ مما يهدّد سلامة المجتمع البشري ويُعيدِه إلى مستوى أدنى من مستوى المجتمعات الحيوانية التي تحافظ على بنية العائلة بصورة غريزية. فالتعريف البيولوجي للعائلة يزول، سواء في الاستنساخ أو سواه (كاستعمال الأم الحاضنة لنمو جنين لا علاقة لها به)، مما يجعل العائلة، ككنيسة مصغَّرة تفقد دورها في حياة المؤمن. أيضاً، التوالد الجنسي مهم جداً في حياة الإنسان لأن الشخص المخلوق إنما هو طفل المرأة والرجل بالتساوي مما يقوّي اللحمة بينهم. أما الاستنساخ كتوالد لا جنسي فهو خطير، لأنه يُضعف العلاقة بين الناس إذ لا يوجد بعد آباء وأمهات بل مجرد أفراد من البشر بدون سمات شخصية فريدة تميّزهم عن سواهم.

٢- أيضاً التوالد الجنسي يُغني المولود بتنوّع في الخصائص الوراثية يساعده على التغلّب على التغيّرات البيئية. (كلما اختزلنا الفروق الوراثية كلما عرّضنا النسل للخطر كما في زواج الأقارب). هذه الملاحظة أدركها العلماء المعارضون للاستنساخ. لا ننسى هنا أيضاً، أن الزواج والتوالد الجنسي وبالتالي تمازج وتنوّع المادة الوراثية البشرية بين الأجيال هي من خصائص الأقمصة الجلدية التي دخلت بنعمة الله إلى حياة الإنسان بعد السقوط لكي تضمن للبشرية الاستمرار بأفضل طريقة ممكنة اختارها الله له المجد للإنسان. هذا الخلل الجوهري في توازن حياة الإنسان بعد السقوط سيؤدي إلى خلل في كل جوانب حياته الاجتماعية والروحية.

عند تقويم احتمالات الهندسة الوراثية والمخاطر الحيوية الناتجة عنها والمتعلقة بالهندسة الوراثية البشرية، يجب التمييز بين التقنيات العلاجية والتقنيات التحسينية، لأن التقنيات العلاجية أمر مرغوب به ويجب تشجيعه كجزء من دور الإنسان الكهنوتي الملوكي في العالم. ففي التقنيات العلاجية يمكن للهندسة الوراثية إنتاج مواد حيوية مثل الأنسولين البشري والانترفيرون الخ.. فالمعالجة الجينية تسعى لكشف وتصحيح الأخطاء الجينية في الرحم، قبل أن يؤثر هذا الخلل على الجنين، وبالتالي للهندسة الوراثية دور مهم في مكافحة أمراض وراثية معينة كالناعور Hemophilia، والحثل العضلي Myodystrophy، وفقر الدم المنجلي Sickle Cell Anemia، والتليف الكيسي Cystic Fibrosis، وسواها. لكن الفصل الدقيق بين التقنيات العلاجية والتحسينية أمر بالغ الصعوبة، ويبقى تحدياً أمام الإنسان المعاصر.

٣- الاستنساخ يهدف إلى إيجاد إنسان "متفوق" بالمقاييس البشرية، أي إلى إيجاد إنسان آخر على صورة الإنسان ومثاله وليس على صورة الله ومثاله. أي إن الاستنساخ يوجد إنساناً وفق مثالٍ بشري لا إلهي. هذا المثال البشري هو من وضع الإنسان وفق معايير بشرية يسعى وفقها الباحثون إلى تحسين الدنا DNA البشري لإنتاج إنسان أو جينوم بشري متفوق. السؤال هنا: ما هي هذه المعايير البشرية التي يعتبرها الباحثون المثال البشري، وهل ما خلقه واختاره الله هو أقل قداسة وأنقص كمالاً مما يحاول الإنسان أن يحسنه ويطوّره؟ هل الاستنساخ هو تصحيح للأخطاء المرتَكبة خلال الخلق من قبل الخالق!؟

من الواضح هنا أنه في الاستنساخ يفقد الإنسان دعوته للصيرورة وفق المثال الإلهي وبالتالي دعوته للتألّه، أي يفقد الإنسان بُعده اللاهوتي ويتحوّل من كائن لاهوتي إلى مجرد كائن بيولوجي.

٤- الاستنساخ يتعامل مع الإنسان كفرد، كنسيج، كمخزن لقطع الغيار وليس كشخص مخلوق على صورة الله ومثاله قد مات المسيح من أجله. حتى نفهم كيف ينتهك الاستنساخ الإنسان كشخص، يجب أولاً أن نتحدث ولو قليلاً عن الإنسان كشخص.

بما أن الإنسان صورة الله فشخص الإنسان فريدٌ، نادر، له طابع شخصاني خاص به. كل إنسان شخصٌ، ولكل شخص بُعد خاص به يستحق احترامنا بدون تمييز. لماذا؟ لأن لكل إنسان شخصاً ثميناً بدون حدود، لا يمكن تكراره، أو نسخه أو استبداله بأي شيء آخر، حتى ولا بأي شخصٍ آخر. لا نستطيع أن نفترض أن شخصاً ما هو أكبر من شخصٍ آخر، أو أن عشرة أشخاص هم أكثر أو أكبر أو أفضل من شخصٍ واحد على أساس أن عشرة أكثر من واحد. كل شخص غير قابل للاستبدال. لأن كل شخص هو نهايةٌ بحد ذاته. هو بُعدٌ متّجهٌ نحو الأبدية، نحو الله، لا ينتهي في العدم. إذاً لكل إنسان منا شخصٌ متميّز، ولا يوجد شخص مماثل له في أشخاص غيره، ولا يمكن استبدال شخصه بسواه ولا يمكن أن نساوي بين شخصين، بمعنى أن نستبدل شخصاً بشخص آخر. القديس باسيليوس الكبير أشار إلى أنه حريٌ بنا ألا نحصي الأشخاص بل أن نسمّيها. لماذا؟ لأن الوحدات، عندما

نقول مثلاً عشرة أفراد أو عشرة من العناصر، لا تدل على أمور شخصية، بينما تعبّر الأسماء الشخصية على التميّز الفريد لكل شخصٍ منا. نحن لا يمكننا أن نخلط بين الآب والابن والروح القدس حتى لو كان لهم الطبيعة الإلهية الواحدة نفسها. هكذا بين البشر لا يمكننا أن نستبدل أي إنسان بإنسانٍ آخر بحجة أن لهما العمر نفسه، اللون نفسه، الجنس نفسه، الكفاءات نفسها أو ماً شابه. بولس شخصٌ، يوحنا شخصٌ، بطرس شخصٌ آخر وهكذا. لكل واحد منهم وجود شخصانيٌ خاص به لا يتكرر قط. فبولس الرسول مثلاً هو بولس الرسول ولا يوجد إنسانٌ آخر هو بولس الرسول نفسه حتى لو كان يحمل الاسم نفسه. الله سيدعو كل واحد منا باسمه الجديد الذي يعطيه. يقول في سفر الرؤيا: "وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسمٌ جديد مكتوبٌ لا يعرفه أحدٌ غير الذي يأخذ". إذاً لكل إنسان عند الله اسمٌ خاص به. أي أن علاقة الله مع كل شخص منا هي علاقة فريدة شخصانية، خاصة في نوعها كما لو كان هو الوحيد، كما يقول أحد الآباء، الذي يقيم هذه العلاقة مع الله. إذاً لكل إنسان كما قلنا اسمٌ خاص به عند الله لا يُستبدل باسم آخر. لكل إنسان بُعد شخصي في الأبدية يميزه. لا يمكننا أن نحصي البشر كأفراد، كعناصر، كأرقام، مثلما نحصي قطيع غنمٍ مثلاً. ولا يمكننا أن نتعامل معهم إلا على الأساس الشخصاني لكل واحد منهم. في الاستنساخ نلغي التمايز الشخصاني لعدة أسباب. فالاستنساخ يتعامل مع الإنسان كفرد يمكن استبداله، كلياً أو جزئياً، بفرد بشري آخر. إنه يلغي فرادة الإنسان عندما يتكلم عن تأمين "قطع غيار" بشرية. وهو يلغي بُعد الإنسان مع الله وعلاقته الفريدة به لأنه يتعامل مع الإنسان كمجرد كائن بيولوجي حي، وليس ككائن لاهوتي فريد في أصله وحياته ومصيره عن بقية الكائنات الحية.

المزيد من أسئلة: من الأسئلة الأخلاقية التي تثيرها عمليات الاستنساخ والهندسة الوراثية والتي تتطلب من الكنيسة الإجابة عليها في المستقبل:

١– الكلفة العالية لهذه التقنيات: فكيف نستطيع أن نقرر مَن يستفيد من التقنيات الجديدة؟ إذ يمكن لهذه التقنيات أن تصير خاضعة للمتاجرة بدون رحمة. فهل تصير نوعية الحياة والموت خاضعين لمقدرة الإنسان على الدفع؟ هل يصير الإنسان، أي إنسان

وكل إنسان، والذي مات المسيح من أجله، دمية تتقاذفها شروط المتاجرة والثراء؟

٢– مَن يضع المقاييس والحدود على التجارب ومَن يقرر المعايير المستعملة وأخلاقياتها؟ فبسهولة يمكن لهذه المعايير أن تصير خاضعة لمبدأ النفع ولإساءة الاستعمال.

٣– إن التقنيات الوراثية تتطور بسرعة لدرجة قد تصير معها في المستقبل قادرة على كشف كل الأعطاب الجينية genetic الوراثية في الجنين البشري قبل ولادته. هذا يطرح بدوره عدة أسئلة مهمة لا يمكن التنصّل منها. من هذه الأسئلة:

٤– هل يجب إجبار طالبي الزواج، قبل زواجهم، على إجراء مسح عليهم بصورة إجبارية بغية كشف كل عطب وراثي؟ وهل يجب إجبار الأم في هذه الحالة على الإجهاض في حال عدم توفّر علاج لأي عطب أو خلل وراثي تم كشفه؟ أم يجب تعطيل هذا الزواج أو تعطيل الإنجاب، حتى نضمن الحصول على مجرد "النخبة" البشرية في الذريات المولودة وحتى نُنقص عدد الأمراض الوراثية في الحوض pool الوراثي البشري؟

٥– هل يجوز فرض العقم الإجباري على الزوجين في حال كشف أمراض وراثية في ذريتهما القادمة؟ هنا يجب ألا ننسى أنه في الحالة "الطبيعية" يحمل كل فرد بشري ستة مورثات معطوبة. بالطبع لا بد لنا هنا من وضع سلّم بأولويات الأعطاب الوراثية حتى يتم الحكم عليها فيما إذا كان ظهورها في الذريات القادمة أمراً مسموحاً به أم لا. ومَن يضع هذه الأولويات وبناء على أي مقاييس أو معايير؟

٦– هل يجب السماح للطفل المولود بالموت في حال إصابته بأعطاب وراثية لا شفاء لها بدلاً من تركه يعيش ويتألم؟ هذا قد يؤدي إلى السماح بتشريع الموت الرحيم لحاملي الأمراض الوراثية العضالة. من الواضح هنا أن الباب سيُفتح على مصراعيه أمام لا التحكم بنوعية الحياة "المقبولة" في الذرية القادمة فحسب، بل أيضاً التحكم بموت هذه الذرية على أساس أنها "غير صالحة" للحياة بشروطنا نحن.

٧– مَن يتخذ على عاتقه مسؤولية الكوارث البيئية والأوبئة، وبشكل عام مسؤولية كل منتجات الهندسة الوراثية المستقبلية ذات التأثير السلبي على الفرد أو المجتمع؟ ففي عصر الإجهاض المشرَّع، فإن شركات التأمين الصحي ستتردد في تغطية نفقات الاهتمام بطفل مصاب بعطب وراثي قد تم كشفه في الرحم بحجة أنه كان يمكن إجهاض هذا

الطفل قبل ولادته. أيضاً، إن الفحوص التشخيصية التي تكشف الأعطاب الوراثية في العاملين قد تؤدي إلى إلغاء بوليصات تأمينهم الصحية أو قد تجعلهم يخسرون وظائفهم وأعمالهم.

بناء على ما سبق، يمكن اقتراح وضع الحدود التالية على التجارب الوراثية:

١- يجب على الكنيسة الأرثوذكسية فرض حظرٍ على كل التجارب على الخلايا التناسلية البشرية (كما يرد في نص التصريح الكنسي أدناه). الاستثناء الوحيد المقبول هو التجارب على خلايا متنكسة (غير طبيعية) سلفاً وعاجزة عن التطور الطبيعي. أما الوسائل العلاجية لتصحيح الأعطاب الجينية في الخلايا الجسمية somatic (أي غير الجنسية) فيجب تشجيعها. أما التجارب على الخلايا الجنسية فيجب حظرها لأنها تحمل في طياتها خطراً (غير مقبول أخلاقياً) من حيث توريث الأجيال اللاحقة أية نتائج غير مقبولة.

٢- يجب حظر كل التجارب البشرية التي تنتهك حرمة وكرامة وسلامة الشخص البشري. من هذه التجارب على سبيل المثال لا الحصر: المتاجرة بالأجنة البشرية، خلط مواد جينية بشرية مع أخرى غير بشرية (إلا للأهداف العلاجية البحتة)، وكل أنواع الاستنساخ البشري.

٣- يجب حظر كل الممارسات التي تنتهك حرمة وتعريف العائلة. من الأمثلة: "الأم الحاضنة"، التلقيح الاصطناعي بنطاف طرف ثالث، الخ.. فهذه الممارسات تُدخل طرفاً ثالثاً في حدثية الإنجاب وتكون خاضعة للاستغلال التجاري (مثل بنوك النطاف للمتفوقين والنخبة وحملة جوائز نوبل، ومثل تأجير الرحم لحضن جنين زوج آخر).

أخيراً، جواباً على طلب البيت الأبيض في نيسان ١٩٩٨، أرسلت الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا OCA إلى الرئيس الأمريكي تصريحاً تدين فيه كل التجارب العلمية التي تؤدي إلى استنساخ الكائنات البشرية. إليكم نص هذا التصريح:

"إن الاستنساخ الحديث لغنمة[٢٣] من خلية بالغة مفردة يفتح الطريق لاستنساخ أنواع أخرى، بما فيها الكائنات البشرية. ولو أنه لا يستطيع أي إنسان أن يمنع البحث العلمي

(٢٣) جمعها غَنَم. لا يوجد لها مفرد بعد في القاموس العربي!

والتجربة من التوغل في هذا الاتجاه، فإن السؤال المطروح هو فيما إذا يجب على حكومة الولايات المتحدة أن تحرّم أو تنظّم هذا النشاط، وتزوّده بالتمويل العام".

"إن جسد الكنائس الأرثوذكسية على نطاق العالم يلتصق بصرامة بوجهة النظر القائلة إن الحياة البشرية هي مقدسة: إن كل كائن بشري مخلوق كشخصٍ فريدٍ ،على صورة الله'، وبالتالي فإن الغالبية العظمى لعلماء الأخلاق الأرثوذكس سيصرّونَ على أن كل أشكال علم تحسين النسل eugenics، التي تشمل التلاعب بالمادة الوراثية البشرية لأغراض غير علاجية هي أخلاقياً ممقوتة وتشوّه الحياة والمصلحة البشريتين".

'لقد تم تطوير تقنيات استنساخية متنوعة باستعمال الحيوانات في السنوات العشر الأخيرة، وهي تَعِد بتحسين الحياة البشرية عبر ابتكار أدوية جديدة، وبروتينات ومنتجات أخرى مفيدة. محاولات كهذه تستحق الدعم والتمويل العامين. على كل حال، إن ازدهار الاستنساخ البشري يثير شبح "الانحدار المنزلق" بطريقة غاية في الشؤم والصراحة. وفي عالم ساقط حيث الحقوق ترجح على المسؤوليات، فإن أساليب الاستنساخ التي تستعمل خلايا بشرية ستؤدي حتماً إلى إساءة الاستعمال: المتاجرة ،بنخبة' الدنا DNA، إنتاج أولاد بهدف تزويد ،قطع غيار'، والحركة نحو خلق صنف ،متفوّق' من الكائنات البشرية. علاوة على هذا، فإن العلماء في الوقت الحالي عاجزون عن تقرير فيما إذا كانت خلية مصطفاة تحتوي على طفرات أو أعطاب أخرى قد تنتج تشوّهات معطِّلة أو تخلفاً عقلياً في الطفل المستَنسخ".

"على ضوء هذه الحقائق، فإن الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا تحثّ بصورة مؤكِّدة أن يتم فرض حظر حكومي على كل أشكال التجارب لإنتاج نسخ بشرية وأن يُرفض التمويل الحكومي لنشاط كهذا. تعطيل هذا النشاط هو مطلب مُلحّ"[٢٤]. **(د. عدنان طرابلسي)**

---

٢٤) John Breck: The Sacred Gift Of Life; Orthodox Christianity and Bioethics; SVSP 1998; p. 251.

عقيدة "الكتاب المقدس حصراً Sola Scriptura"

مناقشة لاهوتيّة

د. عدنان طرابلسي

ليس من المبالغة القول إن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً"[٢٥] هي حجر الزاوية أو العمود الفقري للاهوت البروتستانتي. فكل إنسان يؤمن بتعاليم الإصلاح البروتستانتي (سواء أكان يدعو نفسه بروتستانتياً أو لا) قد بنى فكره اللاهوتي على هذا المبدأ. وأكثر من أية عقيدة أخرى، فإن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي التي تعرّف البروتستانتية. ومثل العقائد البروتستانتية الأخرى، فإن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" تعني أشياء مختلفة لجماعات كنسية بروتستانتية مختلفة. لهذا من المستحيل أن نحدّد فهمنا لهذه العقيدة التي يقبلها بشكل شامل جميع البروتستانت في كل مكان. فمن جهة لدينا الإصلاحيون من مثل لوثر وكالفن الذين علّموا أن الأسفار المقدسة هي المصدر الكافي للمعرفة الخلاصية؛ ومن جهة أخرى يوجد إصلاحيون متطرّفون يصرّون على أن الأسفار المقدسة لا تؤلّف فقط المصدر الكافي للتعليم ولكنها أيضاً المرشد الأوحد للعبادة ولحياة الشركة.

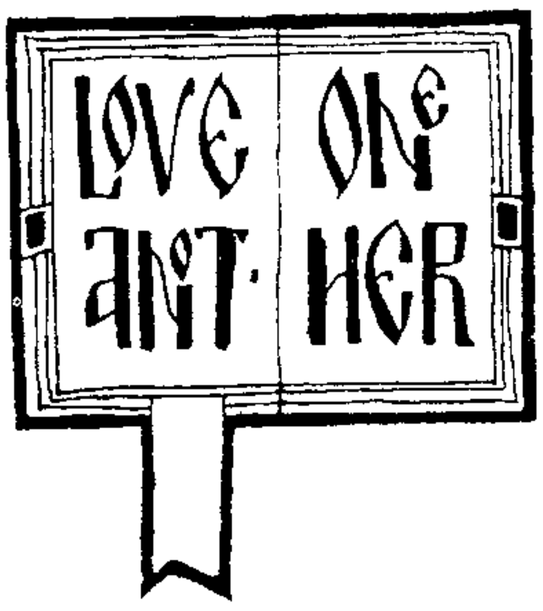

هكذا حسب هذا النوع من تعليم أو تعريف عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" فإن الكتاب لا يحتوي فقط على كل شيء نودّ أن نعرفه أو يمكن أن نعرف عنه، بل على كل شيء نحتاج أن نعرف عنه.

مهما يكن تعريف عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" لدى البروتستانت فإنه يمكننا القول إن كلا التعريفين يعارضان عزوَ أية سلطة للتقليد الكنسي. وهكذا فإن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" ليست مجرد تأكيد على الكتاب المقدس بقدر ما هي مجرد تأكيد على رفض التقليد الكنسي وحياة الروح القدس وشهادته في الكنيسة. بمعنى آخر، بما أن

(٢٥) سأستعمل هذه الترجمة الاصطلاحية لكلمتي Sola Scriptura

عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي وليدة الحركة المدعوة بالحركة الإصلاحية التي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية، وبما أن هذه الحركة كانت تهدف إلى قطع أية علاقة أو صلة لها بالكنيسة الكاثوليكية من حيث الشكل والمضمون والتعليم، ومن حيث العبادة والعقائد واللاهوت والتنظيمات الكنسية الإدارية المختلفة، لهذا رفضت هذه الحركة الإصلاحية كل ما يمت بأية صلة من الصلات إلى الكنيسة الكاثوليكية، و لم تقبل سوى بالكتاب المقدس كمصدر أوحد للتعليم.

لقد ظن الإصلاحيون أنه بعملهم هذا، بالعودة إلى الكتاب المقدس وحده وقبوله كمصدر أوحد، أنهم يعودون إلى أصل المسيحية وأصل الكنيسة الأولى. ربما كانت غيرتهم صادقة لكن نتيجتها كانت وخيمة. فالشيء المضحك والمثير للسخرية هنا هو أن هذا المبدأ الذي استعمله الإصلاحيون للعودة إلى نقاوة الكنيسة الأولى لم يكن (هذا المبدأ نفسه) معروفاً في الكنيسة الأولى! فعقيدة أو فكرة "الكتاب المقدس حصراً" هي من اختراع حركة الإصلاح في القرن السادس عشر و لم يذكر أو يؤكد أي أب من آباء الكنيسة أو أي مجمع من مجامع الكنيسة الأولى أن الأسفار المقدسة بحد ذاتها وبدون أية مرجعية للكنيسة هي قاعدة كافية للعقيدة والإيمان. حتى الكتاب المقدس نفسه ينقض عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" كما سنرى. إذاً، إن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" الإصلاحية كانت اختراع الإصلاحيين أنفسهم. هذا يعني أنه منذ يوم العنصرة المجيدة وحتى ٣١ تشرين الأول ١٥١٧ أي حوالي ١٤٨٨ سنة، فإن هذا النوع من اللاهوت الذي يتبجّح به البروتستانت على أنه لاهوت أصيل، لم يوجد قط. بمعنى آخر، إن الكنيسة الأولى التي كان يريد البروتستانت أن يعودوا إليها، كان لها لاهوتٌ مختلف تماماً عن اللاهوت الذي تبنّاه أو اخترعه البروتستانت.

وحتى نفهم عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" بشكل صحيح يجب أن نفهم الافتراضات التي تطرحها هذه العقيدة والرد عليها.

١- الافتراض الأول: الأسفار الإلهية تشهد بنفسها على صحتها : self-authenticating

إن القول بأن الكتاب المقدس هو المصدر الكافي للتعليم يفترض أن يعرف المرء تماماً ما يؤلّف الكتاب المقدس وما لا يؤلّفه. هذا الافتراض يتجاهل كلياً حقيقة أن حدثية تعريف قانون العهد الجديد قد استغرقت عقوداً طويلة. لم يوجد قانون للعهد الجديد في كنيسة

القرون الثلاثة الأولى، وهي الفترة التي تُعتبر عصر المسيحية الأولى. يقول الإصلاحيون إن الكنيسة لم تؤسّس قانوناً للكتاب المقدس ولكنها شهدت له.

الرد: إن قانونية كتب العهد الجديد تُعرَّف بواسطة استعمالها ضمن الكنيسة خاصة القراءة العلنية في كل مكان ومن قبل كل الكنائس. كانت الوظيفة القانونية للأسفار المقدسة في الكنيسة الأولى وظيفة ليتورجية. ففي الإجتماعات الافخارستية، كانت الأسفار المقدسة تُقرأ وتُشرح. ويصف القديس يوستينيانوس الشهيد ليتورجيا يوم الأحد في منتصف القرن الثاني الميلادي ذاكراً أن كتابات الرسل والأنبياء كانت تُقرأ ثم يلي ذلك موعظة لحضّ المستمعين. تمّ جمع كتابات العهد الجديد من قبل كنائس محلية لاستعمالها في الخدم العبادية وليس لدراسة الكتاب المقدس الخاصة (بالمفهوم البروتستانتي). لهذا، فضمن الكنيسة كجماعة متعبّدة، كانت تُقرأ الأسفار المقدسة وتُفسَّر. كانت توجد مجموعات مختلفة من الأسفار المقدسة في كنائس مختلفة، وذلك بسبب صعوبة تداول وتبادل هذه الأسفار بين الجماعات الكنسية الأولى، بسبب البعد الجغرافي. ويظن بعض الناس حالياً بصورة ساذجة أنه كانت توجد آنئذ أسفار العهد الجديد الحالية (٢٧ سفراً)، وما كان على الكنيسة أو الكنائس الأولى سوى أن تجمع هذه الأسفار في مجموعة واحدة تسميّها العهد الجديد. لكن الحقيقة أنه كانت توجد عشرات وعشرات الكتب أو الأسفار في القرنين الأولين للمسيحية، يحمل بعضها أسماء رسل معروفين لكي تعطيها صفة قانونية أو قبولاً لدى جماعات المؤمنين. لهذا لم يكن من السهل على الكنائس أن تميّز الأسفار المُلهمَة من الأسفار الأخرى غير الملهمة. وفي القرنين الثاني والثالث الميلاديين يقول القديسان إيريناوس وكلمندس الإسكندري وأوريجنس معهما صراحة أنه توجد فقط أربعة أناجيل قانونية أو مقبولة هي متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، لأنه كان يوجد عدد أكبر من الكتب التي كانت تسمّى أناجيل في ذلك الوقت. إن أول قائمة من أسفار العهد الجديد تطابق القائمة الموجودة لدينا حالياً هي الموجودة في الرسالة الفصحية للقديس أثناسيوس الإسكندري (٣٦٧). أما في الغرب، فإن قانون العهد الجديد لم يتم البت فيه إلا في مجمع قرطاجة (٣٧٩ م). هكذا إذن، في القرون الثلاثة الأولى من المسيحية، لا يمكن للمرء أن يشير إلى قانون واحد مقبول في كل مكان، سواء للعهد القديم أو للعهد

الجديد. فإذا كانت الأسفار هي حقاً ذاتية الشرعية أو الأصالة وتشهد لنفسها بنفسها، فلماذا استغرقت الكنيسة الأولى ثلاثة قرون لتعرّف أسفاراً هي، بحسب الإصلاحيين، تشهد عن صحتها بنفسها، وتعرّف عن نفسها بنفسها وذاتية الوضوح؟ أيضاً، مَن قال للإصلاحيين في القرن السادس عشر إن الكتاب المقدس الذي كان بين أيديهم هو الكتاب المقدس؟ ومَن حفظه طيلة ١٦ قرناً آنئذ وما يزال يحفظه الآن وإلى الأبد؟ أليست هي الكنيسة التي يحاربون تقليدها وآبائها وقديسيها وشهدائها ورسلها؟[٢٦]

٢- الافتراض الثاني: الأسفار المقدسة تفسّر ذاتها بذاتها: الافتراض الثاني لعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي أن الأسفار المقدسة تفسّر ذاتها بذاتها. يقول لوثر إن النص المشكوك به هو سيء بسوء غياب النص تماماً. أي بكلمات أخرى، لا يوجد معنى من وجود نص مُلهَم ذاتي الاكتفاء إذا كان معنى هذا النص غير واضح.

الرد: لقد أظهر أينشتاين أن المراقب هو جزء لا يتجزأ (أو موروث) من أية ملاحظة علمية. ولا يوجد شيء على الإطلاق هو موضوعي ١٠٠٪. إن كانت هذه حقيقة بالنسبة للعالم الطبيعي فكم بالحري هي حقيقة أكثر بالنسبة لتفسير نصوص الكتاب المقدس. فالنصوص لا توجد في المطلق. ومع ذلك فهذا ما تفترضه عقيدة "الكتاب المقدس حصراً": النص المجرد أو العاري يجب أن يفرض معناه على القارىء بطريقة ما.

إن سخافة هذا الادعاء واضحة تماماً بوجود عدد لا محدود من التفسيرات المتناقضة لآلاف الجماعات البروتستانتية المختلفة التي تفسّر النص الكتابي الواحد نفسه بطرق مختلفة. ورغم أن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" تفترض أن النص يفسّر ذاته بذاته، إلا أن البروتستانت عملياً لا يؤمنون بأن النص هو ذاتي التفسير[٢٧]. ففي أمريكا وحدها توجد آلاف الفئات البروتستانتية التي تدّعي الإيمان بالكتاب المقدس حصراً. ومع ذلك

---

(٢٦) أيضاً، لماذا استغرق الأمر ١١٠٠ سنة أخرى قبل أن تأتي جماعة من المسيحيين (الإصلاحيين) وتقرّر بأن الكتب اليونانية للعهد القديم لم تكن كتباً مُلهَمة؟ (أي الكتب السبعينية اليونانية التي لم تكن موجودة في القانون العبراني والتي لم يقبل بها يهود مجمع Jamnia سنة ٩٠ م، والتي يشير إليها الاصلاحيون بأنها قانونية ثانوية).

(٢٧) خلال حياة مارتن لوثر نفسه ظهرت ما لا يقل عن ١٢ فئة مختلفة فيما بينها تدعي الإيمان "بالكتاب المقدس حصراً". "ناكروا المعمودية" تحدّوا لوثر بناء على "الكتاب المقدس" فحاربهم اللوثريون وقتلوا الآلاف منهم.

فالفروق العقائدية والعبادية والأخلاقية والتفسيرية فيما بينها هي أمرٌ يدعو للأسف والحزن عليها وعلى سذاجتها ووقوعها في شرك الشيطان. وإن سألت أحد رعاة هذه الفرق قال لك: "نحن نؤمن بما جاء في الكتاب حصراً. فنحن على صواب وسوانا على خطأ"!. ونظرة واحدة إلى المكتبات البروتستانتية في العالم تُرينا كم من كتب تفاسير الكتاب المقدس موجودة بصورة مختلفة ويتجاوز حجمها حجم الكتاب المقدس نفسه بمئات إلى آلاف الأضعاف. فلو كان الكتاب المقدس يفسِّر نفسه بنفسه (كما يقول البروتستانت) فلماذا كتب المفسِّرون البروتستانت آلاف الصفحات تفسيراً لعدة صفحات من الكتاب المقدس، ولماذا تتناقض هذه التفاسير البروتستانتية فيما بينها؟ ولماذا يوجد العديد من المفسِّرين المختلفين ضمن التقليد البروتستانتي الواحد والذين يكتبون تفاسير تختلف فيما بينها؟ إن كلمة "تقليد" مهمة هنا، لأن كل تفسير أو تعليق على الكتاب المقدس هو مكتوب ضمن تقليد ما. السؤال الحقيقي هو ليس فيما إذا كان الكتاب المقدس يتضمّن تقليداً، ولكن فيما إذا كان التقليد يفسّر الكتاب المقدس بصورة صحيحة. ففي أعمال ٨: ٢٦–٣٩، نجد أن القديس فيليبس قد صادف خصياً أثيوبياً كان يقرأ من نبوة أشعيا بدون أن يفهم. فسأله القديس فيليبس: "ألعلّك تفهم ما أنت تقرأ؟ فقال: كيف يمكنني إن لم يرشدني أحدٌ؟". هنا لم يُخبر فيليبس الخصيَ أن يصلّي كي يستنير ويُلهمه الروح القدس ليفهم ما يقرأ، وأن النص يفسّر نفسه بنفسه وأنه لا يحتاج إلى معونة بشر لفهم معنى النص الكتابي (كما يقول البروتستانت). لكن نص أعمال الرسل يقول: "ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فبشّره بيسوع". هنا فيلبس، كرسولٍ ليسوع المسيح، فسّر الكتاب المقدس للخصي الحبشي. بالتأكيد كان الخصي سينال تفسيراً مختلفاً لسفر إشعيا لو كان الذي يفسّر له نص أشعيا هذا هو حاخام يهودي.

مؤيدو عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" كثيراً ما يشيرون إلى أن آباء الكنيسة الأولى كانوا يلجأون إلى الأسفار المقدسة لدعم مواقفهم في المناقشات العقائدية في القرون الأولى، أي إن مصدر تعليم الآباء هو الكتاب المقدس. ولكن ما يتناساه هؤلاء المؤيدون هو أن الهراطقة أيضاً كانوا يلجأون إلى الكتاب المقدس لدعم هرطقاتهم. المثال الكلاسيكي الذي سأورده هنا هو هرطقة آريوس التي انتهت في النهاية بتحديدات عقائدية بخصوص الثالوث القدوس. فهرطقة آريوس بدأت من تفسيره لأمثال ٨: ٢٢، وقد استنتج آريوس من تفسيره أن اللوغوس أو الكلمة كان مخلوقاً، ولو كان أعلى وأفضل

من كل الخلائق. بينما كانت ومازالت الكنيسة الأرثوذكسية تعلّم أن اللوغوس أو الكلمة، ربنا يسوع المسيح هو الخالق والإله المتجسد. هنا توجد لدينا فئتان من المفسِّرين: فئة هرطقة آريوس التي توصلّت من تفسيرها لهذه الآية إلى أن المسيح الكلمة هو مخلوق وليس خالقاً؛ ومن جهة أخرى، نجد الكنيسة التي تؤمن بأن الآية نفسها تشير إلى المسيح ولكنه الخالق وليس خليقة. طبعاً لم يكن النص يشرح نفسه بنفسه هنا. ولكن السؤال يبقى: كيف قرّر هؤلاء المفسِّرون أي تفسير هو الأصح؟ يوجد مبدأ بروتستانتي شائع جداً هو تفسير النصوص الغامضة بنصوص أخرى أوضح منها. ولكنه لم يكن من الواضح دائماً أي نصوص هي الواضحة وأي نصوص هي الغامضة. فهل نفسّر النصوص التي تشير إلى لاهوت المسيح بالنصوص التي تشير إلى ناسوته أم العكس بالعكس؟ على كل حال، كان تفسير آريوس مبنياً على الوحدة العددية لله. وبكلمات أخرى، فقد افترض آريوس ومن مبدأ فلسفي أن الله لا يمكن أن يكون ثلاثة أشخاص وبالتالي لا يمكن للمسيح إلا أن يكون مخلوقاً. بينما افترض القديس أثناسيوس من جهة أخرى أن الخلاص لا يمكن أن يأتي إلا من الله، وبالتالي لا يمكن للمسيح، كمخلِّص، إلا أن يكون إلهاً متجسداً، وبالتالي فهو خالق. وأن الله صار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً. إذاً، التفسير الأرثوذكسي لأمثال ٨: ٢٢ مبني على إيمان سابق (موجود ضمن تقليد الكنيسة) بأن الله وحده هو الذي يمكنه أن يخلّص الإنسان. إذاً لم يكن النص نفسه أو بحد ذاته هو الأداة لمعرفة المعنى، و لم توجد نصوص كتابية أخرى يمكنها أن توضح معنى هذا النص بالذات، ولكن كان لا بد من اللجوء لحياة الكنيسة وتقليدها لتفسير هذا النص. إن هرطقة آريوس أدت إلى انعقاد المجمع المسكوني الأول في نيقية ٣٢٥ وإلى ادخال تعبير فلسفي جديد لأول مرة إلى اللغة اليونانية هو " homoousios والذي له وللآب الطبيعة الواحدة ذاتها" وذلك بما يتعلق بتعليم الكنيسة عن المسيح. طبعاً، كان آباء المجمع المسكوني الأول يفضلّون أن يستعملوا فقط الكلمات أو التعابير التي وردت في الكتاب المقدس، لكن استعمال الكتاب المقدس بالذات من قبل آريوس هو الذي أجبرهم على استحداث كلمة لم تأتِ في الكتاب المقدس لكي يحافظوا على التفسير الصحيح للكتاب المقدس. إن تاريخ الكنيسة المسيحية مملوء من هذه الأمثلة وسواها. وأشهر مثال معاصر على مثل هذه الهرطقات هو هرطقة شهود يهوه الذين يستعملون الكتاب المقدس للوصول إلى تعاليم مخالفة لتعاليم الكنيسة ولتفسيرات مخالفة

لتفسيرات الكنيسة. فلو كان النص الكتابي يفسّر ذاته بذاته لما بدأ ظهور الهرطقات والبدع منذ القرون الأولى للمسيحية و لم ينقطع حتى يومنا الحالي. و لم تنجح الكنيسة في دحض هذه الهرطقات والبدع فقط بناءً على تفسير أصحّ للنصوص الكتابية أو على تفسير النصوص الغامضة بنصوص أوضح، ولكن بسبب أنها كانت تتعبّد للمسيح، وأنها كانت تعرف أن الذي كانت تتعبّد له هو الله المتجسّد. إذاً في كل مناقشة أو مسألة لاهوتية في الكنيسة الأولى، لم تُحَلْ القضية بالرجوع إلى مجرد نصوص عارية أو مجرّدة للكتاب المقدس وبتفسيرها بطريقة أو بأخرى، ولكن بالرجوع إلى حياة الكنيسة الحية أو إلى تقليد هذه الكنيسة. لم يُطرَح أبداً سؤال: "ماذا يقول الكتاب المقدس؟"، بل "ماذا يعني الكتاب المقدس؟". الرب يسوع نفسه سأل الناموسي[٢٨] الذي جاء ليجرّب الربَ: "ما هو مكتوبٌ في الناموس؟ كيف تقرأ؟" (لو ١٠: ٢٦). تقليد الكنيسة الأرثوذكسية في هذه النقطة واضح: تقليد الرسل هو اللُحمة المفسِّرة ذات السلطة التي ضمنها يجب أن تُفهَم الأسفار المقدسة بصورة صحيحة. إن أسفار العهد القديم والعهد الجديد هي العنصر البدئي المكتوب للتقليد الرسولي. فإن أُخذت هذه النصوص خارجَ التقليد الرسولي أو خارج حياة الكنيسة لتحوّلت إلى نصوص عتيقة عُرضة لتفسيرات لا حصر لها بحسب تخيّلات الذين يقرأونها. وفي الحقيقة، لم يحذف الإصلاحيون منذ القرن السادس عشر تقليدَ الكنيسة فحسب، لكنهم ألغوا قيمة الكتاب المقدس منذ أن نزعوا الكتاب المقدس من لحمته الطبيعية أو الوسط الذي يحيا فيه وهو الكنيسة وتقليد الكنيسة الرسولي[٢٩].

قبل ختام هذه الفقرة، أودّ أن أذكر أساليب التفسير البروتستانتي للكتاب المقدس باختصارٍ.

الأسلوب الأول : اقرأ الكتاب حرفياً، فالمعنى واضح. هذا هو أول أسلوب استعمله الإصلاحيون المنشقّون عن الكنيسة. لكنهم سرعان ما اكتشفوا نواقص هذا الأسلوب. ومع ذلك ما زال الأسلوب الشعبي الساذج الأول بين البروتستانت: "الكتاب يقول ما

---

(٢٨) وهو الذي يتمسّك بحرفية الناموس.

(٢٩) دحضت الكنيسة كل الهرطقات بكونها مخالفة لما هو ساري المفعول فيها. الهرطقة إحداث طارىء شاذ مخالف لقانون الإيمان. قبل ظهور العهد الجديد آمنت الكنيسة بفضل بشارة الرسل الشفوية. قَبِلَت العهد الجديد لأنه موافقٌ لإيمانها. رفضت المزوّرات لأنها مخالفة له. هي القاضي. هي مالكة الكتاب المقدس الذي تحفظه بالروح القدس (٢تيمو ١: ١٤).

يعني ويعني ما يقول". طبعاً هذا الأسلوب جذاب وبسيط لهذا فهو شعبي. أما عندما يقرأ البروتستانت بعض النصوص التي يختلفون فيها عن سواهم، فتراهم فجأة يثبون قائلين: "ليس المقصود هنا هكذا. لا يمكنك الأخذ بهذا النص بصورة حرفية"!. مثلاً: إعطاء سلطان الحلّ والربط للرسل (يو٢٠: ٢٢-٢٣)؛ جسد المسيح مأكل حقيقي ودمه مشرب حقيقي (يو٦: ٥٥)؛ الخ.

الأسلوب الثاني: الروح القدس يمنح الفهم الحقيقي للنص: كل فئة بروتستانتية تدّعي أن الروح القدس يُلهم أعضاءها الأتقياء بالتفسير الصحيح والفهم القويم للنص الكتابي. وبالتالي، كل فئة بروتستانتية أو غير بروتستانتية أخرى تخالف تفسير فئة معينة هي غير مُلهَمة. بالطبع لو كان هذا الأسلوب صحيحاً، لما كان لدينا آلاف الفئات البروتستانتية المختلفة فيما بينها، وكلها تدّعي أن الكتاب المقدس هو مصدر تعاليمها الأوحد. فإما أن يكون الكتاب المقدس مخطئاً (حاشا)، وإما أن تكون هذه التفاسير مخطئة. كل بروتستانتي عالم من علماء التفسير. ولكن إن جمعنا بقدرة الروح القدس وحده تفاسيرهم لوجدناها متضاربة أو غير متّفقة. الروح القدس يجمع. فمَن فرَّقهم حتى صار كل واحد منهم مذهباً؟! هذا التمزّق البروتستانتي ليس من الله. فليعودوا جميعاً إلى لوثر لنستطيع أن نرى فيهم شيئاً من الكنيسة.

الأسلوب الثالث: النصوص السهلة تفسّر النصوص الصعبة: أي إن الكتاب المقدس يفسّر نفسه بنفسه. الصعوبة هنا أمام هذا الأسلوب الجذّاب ظاهرياً هي: أي نصوص هي الصعبة وأي نصوص هي السهلة؟ هذا بالإضافة إلى ما سبق ذكره.

الأسلوب الرابع: التفسير النقدي-التاريخي: هذا الأسلوب "العلمي" ظاهرياً وجد قبولاً واسعاً له في القرن الماضي، قرن الاكتشافات والاختراعات العلمية. فعلماء الكتاب المقدس البروتستانت فحصوا النواحي العلمية المتعلقة بالكتاب المقدس: التاريخية، الجغرافية، اللغوية، الخ. سلّطت بعض هذه الدراسات الضوء على بعض الجوانب المهمة في الأدب الكتابي، لكنها فشلت في الوصول إلى الغاية التي تدّعي الوصول إليها، وهي الفهم الموضوعي للكتاب المقدس وبصورة حيادية نزيهة. أسباب هذا الفشل كثيرة وخارج إطار هذا الجواب. لكننا نذكر هنا النقاط التالية المتعلقة بهذا الأسلوب بدون تعليق:

لو كان هذا الأسلوب أسلوباً علمياً، أي حيادياً موضوعياً، لكان قد توصّل إلى النتائج نفسها دائماً مهما كان الذي يطبّق هذا الأسلوب (صفة الموضوعية وصفة الثباتية والتكرارية). ولكن ويا للأسف ليس الحال هكذا، لأن النتائج مختلفة باختلاف الذين يطبّقون هذا الأسلوب وباختلاف طرق التطبيق. فالوضع البروتستانتي الممزَّق ما زال على حاله. والخلافات التفسيرية موجودة بين علماء الكتاب المقدس البروتستانت أنفسهم حتى بين الذين يدَّعون النزاهة العلمية. والسبب هو أن هذا الأسلوب هو أسلوب علمي في مجالات مختلفة إلا في مجال الكتاب المقدس، وأيضاً لأن كل عالم بروتستانتي (أو غير بروتستانتي) كتابي يمارس علمه ضمن إطار من التقليد الكنسي أو الفكري أو الفلسفي الذي ينتمي إليه (المراقب جزء من الحدث). لهذا، فكل عالم كتابي يقدم دراسته إنطلاقاً من بديهيات وفرضيات في خلفيته الفكرية والثقافية والروحية. أوضح مثال على هذا هو ما ذكرته في جوابي على السؤال المتعلق بمعاني المعمودية للمسيحيين الأولين (السؤال رقم١٠٦). يوجد أمامي كتابان كل منها معنونَ "المعمودية في العهد الجديد". مؤلّف الكتاب الأول عالم كتاب مقدس مرموق جداً وبروتستانتي، وهو أوسكار كولمان[٣٠]. مؤلّف الكتاب الثاني[٣١] عالم كتاب مقدس مرموق جداً وبروتستانتي (معمداني)، وهو .G.R.Beasley-Murray إذاً يتساوى الأول والثاني من حيث التصنيف العلمي والإيماني مبدئياً. لكن مَن يقرأ الكتابين يستنتج بسهولة أن معمودية الأطفال، بحسب العهد الجديد، كانت تُمارس أيام العهد الجديد بحسب دراسة الأستاذ كولمان، ولم تكن تُمارس أيام العهد الجديد بحسب دراسة المؤلِّف الثاني! الدراستان مبنيتان على الكتاب المقدس، فأين هي الحقيقة إذاً؟ من الواضح أن الأستاذ الإنكليزي أخضع دراسته "العلمية" ليدعم وجهة نظر كنيسته (المعمدانية) من معمودية الأطفال. من هنا نستنتج أن نصوص الكتاب المقدس وحدها لا تكفي في كثير من الأحيان بحسب ادّعاء الطريقة "العلمية"، ولا بد من الاحتكام إلى تعليم الكنيسة على مر العصور. البروفسور المشهور J. Jeremias، وهو عالم كتابي بروتستانتي أثبت أن الكنيسة كانت تعمّد الأطفال في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية وذلك بناء على

---

(٣٠) Oscar Cullmann: Baptism in the New Testament, The Westminster Press, Philadelphia, 1950

(٣١) G.R. Beasley-Murray: Baptism in the New Testament, Eerdmans Publication Co,. Michigan, USA, 1990

شهادات غير مباشرة من العهد الجديد ومباشرة من تاريخ الكنيسة الأولى[٣٢]. لهذا فالاحتكام إلى تقليد الكنيسة (في مثال معمودية الأطفال هذا) كان الوسيلة الوحيدة لتفسير موقف العهد الجديد والكنيسة الأولى من معمودية الأطفال.

٣- الافتراض الثالث: الكتاب المقدس هو جواب لكل شيء: الافتراض الثالث لعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هو التعليم أن الأسفار المقدسة مكتوبة بطريقة يجب أن تكون معها المرشد الكامل والكافي للمسيحيين. فكل شيء يجب أن يتم وبدقة "بحسب الكتاب".

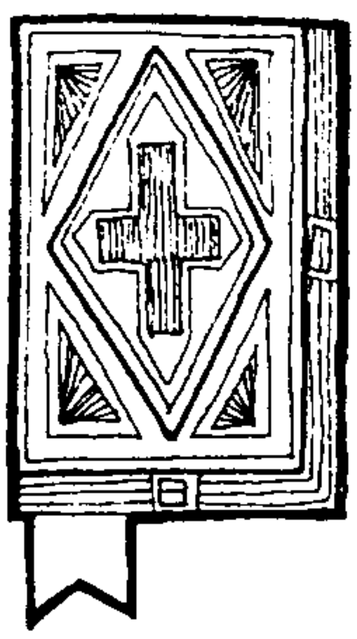

الرد: يفترض هذا التعليم أن الكتاب يحتوي على كل التعليمات الضرورية للمسيحي. لكن نظرة واحدة مُقارِنة بين العهد القديم والعهد الجديد تُظهر لنا أن أسفار العهد القديم كانت أسفار عبادية تصف بصورة دقيقة أموراً طقسية متعلقة بأماكن العبادة وبطرق ممارستها، الخ؛ بينما لا يوجد شيء من مثل هذا في العهد الجديد على الإطلاق. مثلاً، لا توجد تعليمات خاصة بالعبادة في العهد الجديد، وإنما توجد تلميحات كيف أن المسيحيين الأولين كانوا يجتمعون "في أول الأسبوع" للعبادة (أع ٢٠: ٧) بدون تفاصيل أخرى. وأيضاً لا توجد تفاصيل عن كيفية الاحتفال بسر الشكر الإلهي (الافخارستيا). قال الرب يسوع "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩). لكن لا كتبة الأناجيل ولا القديس بولس يسجّلون معلومات إضافية أخرى عن كيفية ممارسة الافخارستيا. لقد أُخبرنا في أعمال ٢٠: ٧ أن المسيحيين الأوائل كانوا يجتمعون في أول أيام الأسبوع ليكسروا الخبز، ولهذا فمعظم الإصلاحيين الحاليين يأخذون هذه المقولة على أنها فرض. فمعظمهم يحتفل بما يشبه سر الشكر الإلهي ظاهرياً (أو عشاء الرب) مرة كل شهر أو مرة كل سنة بحسب الفئة البروتستانتية! أيضاً ما يُخبرنا به القديس بولس في ١كورنثوس عن الافخارستيا إنما عبارة عن تصحيح لما كانت تمارسه كنيسة كورنثوس بدون أن يُخبرنا عن أية تفاصيل أخرى. كانت رسائل القديس بولس في معظم الأحيان رسائل ظرفية مكتوبة لأشخاص معينين أو لكنائس معينة في أوقات معينة ولأسباب معينة. إن غياب التفاصيل بما يتعلق بالافخارستيا والأمور الأخرى (كالصوم والصلاة)

(٣٢) Joachim Jeremias: Infant Baptism in the First Four Centuries. The Westminster Press, 1960.

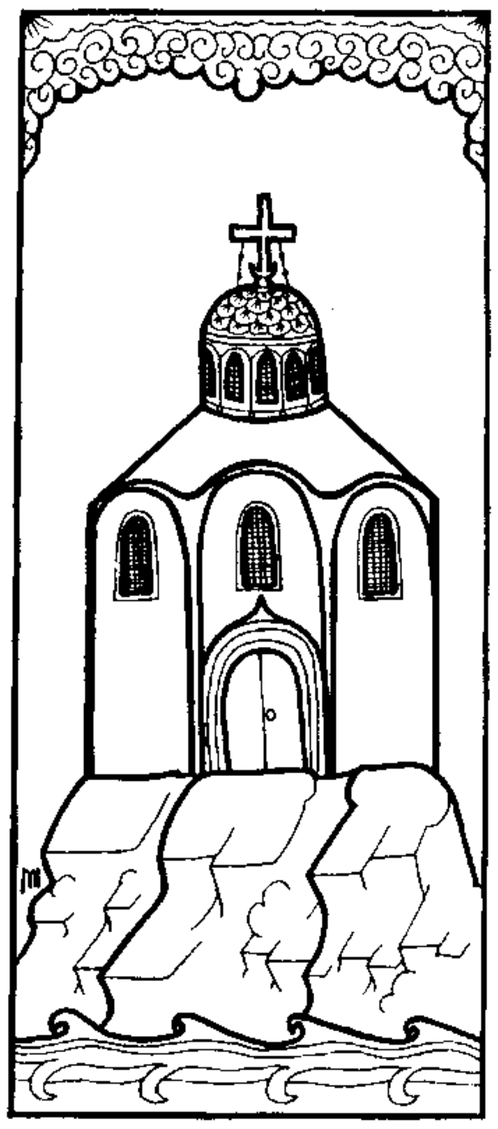

هو بالضبط ما نتوقّعه في رسائل ظرفية كهذه. وبالطبع ليس هذا ما كنا سنتوقّعه لو كنا نعتبر العهد الجديد هو المرشد الشامل والوافي للحياة المسيحية بكل جوانبها، أو لو كان كتبة أسفار العهد الجديد أنفسهم قد وضعوا نصب أعينهم هذا الهدف من كتابتهم لهذه الأسفار. لنأخذ مثالاً موضحاً عن المعمودية. فالفئات البروتستانتية المختلفة بأنواعها كلها تأخذ بالكتاب المقدس على أنه المصدر الوحيد والكافي للتعليم لديها. لكن نظرة واحدة على تعاليم هذه الفئات عن المعمودية تُرينا اختلافات جذرية فيما بينها. فالبعض يؤمن بالمعمودية كمجرد رمز والآخر كمجرد طقس يمكن الاستغناء عنه. البعض يمارس المعمودية بالرش، والبعض الآخر بالتغطيس والبعض الآخر بسكب المياه على المعتمد. البعض يقول بمعمودية البالغين حصراً، والآخر بمعمودية الناس من كل الأعمار بما في ذلك الأطفال. البعض يمارس المعمودية باسم الثالوث القدوس والآخر باسم يسوع المسيح. البعض يؤمن بالمعمودية لمغفرة الخطايا والآخرون بمعمودية للتوبة لا تغفر الخطايا. كل فئة من هذه الفئات البروتستانتية تحاول جاهدة أن تستشهد بالكتاب المقدس لتدل على صحة تعاليمها المتعلقة بالمعمودية. ألعلَّ سبب هذه الخلافات الجذرية حول المعمودية بين الفئات البروتستانتية هو في الكتاب المقدس نفسه، أم في طريقة تفسيره من قبل هذه الفئات التي لم تلجأ إلى تقليد الكنيسة وممارستها وفهمها للمعمودية منذ القرون الأولى المسيحية؟ بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية، إن أي مفهوم للمعمودية (على سبيل المثال هنا) لا يمكن أن يؤخذ بصورة حصرية من الكتاب المقدس ما لم يُقارَن هذا اللاهوت مع ما فهمته ومارسته الكنيسة المسيحية عبر العصور الأولى وحتى يومنا الحالي. (يمكن مراجعة السؤالين المتعلقين بمعاني المعمودية للمسيحيين الأولين وبمعمودية الأطفال). يمكننا القول هنا: إن كانت الكنيسة المسيحية منذ الأيام الأولى للمسيحية وحتى يومنا الحالي تؤمن بأن المعمودية هي الولادة الجديدة وهي دفن مع المسيح وقيامة معه لحياة جديدة، وأنها تتم بالتغطيس باسم الثالوث القدوس لمغفرة الخطايا، وأن الأطفال وجميع أهل البيت كانوا يُعمَّدون مع أهاليهم عندما كان رب (أو ربة) البيت يعتنق المسيحية، فإن أي لاهوت مخالف لهذا اللاهوت وأية ممارسة مخالفة لهذه الممارسة هما غير مقبولين حتى لو حاول المؤمنون بهما أن يستشهدوا على موقفهم من الكتاب المقدس. لأن

إيمانهم قد انحرف عن إيمان الكنيسة، وفهمهم للكتاب المقدس هو مختلف عن فهم الكنيسة الرسولية له عبر العصور وفي كل مكان ومن قبل الكل. إذاً، إن فكرة أن أي إنسان كان يستطيع أن يستنتج أو يستنبط تعاليم لاهوتية من الكتاب المقدس وحده فقط بدون الرجوع إلى تقليد الكنيسة، هو مفهوم يعطي الضوء الأخضر لظهور هرطقات وتعاليم تخالف الكتاب نفسه والتقليد معاً.

٤- الافتراض الرابع: المسيحية كفكرة: إن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" تفترض أيضاً أن المسيحية بحد ذاتها أو بطبيعتها هي مجرد فكرة أو إيديولوجية. فالقول إن الأسفار المقدسة تحتوي على كل ما هو ضروري للإيمان المسيحي والممارسة المسيحية يعني أنه يمكن للكتاب المقدس أن يستوعب كل ما هو ضروري. وهكذا فإن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" تفترض أن المسيحية هي مجرد فكرة أو إيديولوجية. بحسب هذه الفكرة فإن الإنجيل يحتوي على أفكار وجملة من التعاليم، وهكذا يمكن لأي إنسان أن يلتقط الكتاب، ولأن الكتاب ذاتي التفسير، يمكن لهذا الإنسان أن يقتطف منه أي شيء يحتاجه للإيمان والممارسة المسيحية. ولأن الكتاب المقدس يحتوي على كل شيء ضروري لخلاص المسيحي، فإنه يمكن للمسيحي الاستغناء عن الكنيسة وتقليدها ولاهوتها وتفسيرها وحياتها وشهادتها، الخ. وهكذا تستحيل المسيحية إلى جملة من العقائد والتعاليم والأفكار.

الرد: المسيحية بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية هي حياة جديدة وليست مجرد ديانة جديدة، لأن المسيحية هي الحياة في المسيح، وهو الذي يعيش في المعتمدين باسمه. إذاً ليست المسيحية جملة تفاسير وتعاليم وعقائد، بل هي وحدة عضوية بالمسيح يسوع من خلال جسده الكنيسة المقدسة(٣٣).

الافتراض الخامس: الإيمان بالكتاب المقدس بحد ذاته: اعتراف Westminster الإيماني، وهو الوثيقة العقائدية الرئيسية لأتباع كالفن الناطقين بالإنكليزية، تبدأ بالتأكيد على السلطان المنفرد للأسفار المقدسة. أيضاً، اعترافات لندن، وكل اعترافات المعمدانيين الإيمانية اللاحقة تبدأ بالتأكيد على الإيمان بسلطان الكتاب المقدس. وحقاً، مع استثناءات

(٣٣) أخطر ما في البروتستانتية هو الفردية، بينما الكنيسة هي جسد المسيح الواحد والمؤمنون هم أعضاؤه. هي تفكّك هذا الجسم ليصبح كل بروتستانتي كنيسة مستقلة. ولكنه كنيسة اسماً لا فعلاً. يحذف نفسه من الوحدة.

بسيطة، فإن الاعترافات البروتستانتية ودساتير إيمانها المختلفة دائماً تقريباً تبدأ بمقولة تؤكّد سلطان الكتاب المقدس. لهذا ليس من المبالغة القول إنه بالنسبة للبروتستانت الكتاب المقدس هو موضوع إيمان. أي، إن البروتستانت لا يؤمنون فقط بما كُتب بالكتاب المقدس وبالوحي الذي به كُتب الكتاب المقدس، ولكنهم يؤمنون أيضاً بالكتاب المقدس بحد ذاته. هذه بديهية بالنسبة للبروتستانت.

الرد: سنناقش هذا الموضوع من خلال مناقشة عدة نقاط موضحة. نقول بشكل عام: الكنيسة هي جسد المسيح والكتاب كلامها. يجعلون كلامها سيّدها. في النهاية وضعوا العجلة أمام الحصان، فضلّوا سواء السبيل. يسوع أسّس كنيسة. الروح القدس أقامها يوم العنصرة وأقام فيها. هل يُقيم في الكتاب المقدس؟ هل يستطيع الكتاب المقدس أن يعمِّد بالروح القدس ويصنع الخبز والخمر جسد الرب ودمه؟ الكنيسة تصنع ذلك لا الكتاب.

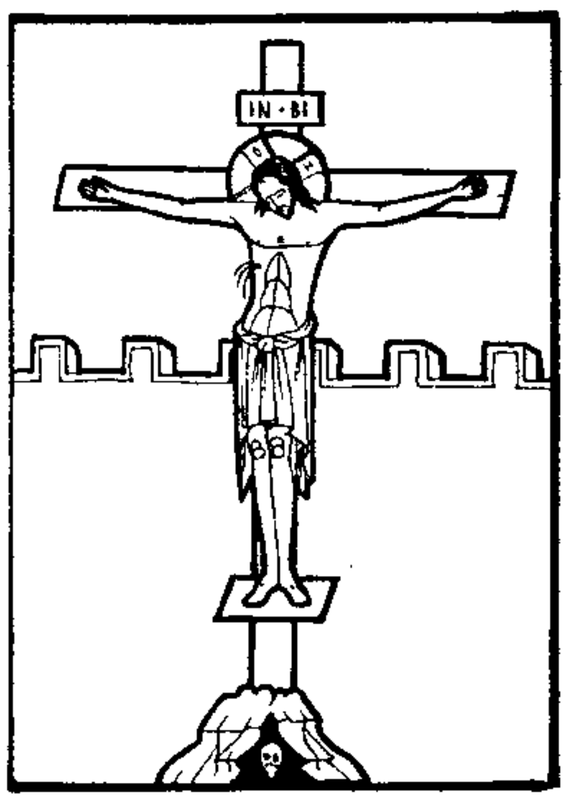

"على ما في الكتب": إن الإيمان بالكتاب المقدس كموضوع إيمان، وكخاضع لدستور الإيمان العقائدي يمثّل انحرافاً جذرياً عن إيمان الكنيسة الأولى. فلا يوجد أي من دساتير الإيمان الأولى للكنيسة يبدأ بمقولة متعلقة بالكتاب المقدس؛ كل دساتير الإيمان هذه تبدأ بالتأكيد على الإيمان بالله الواحد، الآب. هذا أيضاً صحيح بالنسبة لدستور الإيمان النيقاوي (القرن الرابع) وسواه. على كل حال، تحتوي دساتير الإيمان القديمة هذه على تأكيد إيماني لا يوجد في دساتير إيمان البروتستانت الحديثة: وهو الإيمان بالكنيسة. في دستور الإيمان النيقاوي تعترف الكنيسة بإيمانها بالله الواحد الآب الضابط الكل، وبالرب الواحد يسوع المسيح، وبالروح القدس، وبالكنيسة الواحدة الجامعة القدوسة الرسولية. بالنسبة للكنيسة القديمة، فإن الكنيسة نفسها كانت موضوع إيمان وبند إيمان من بنود دستور الإيمان. فالكنيسة الأولى اعترفت بالإيمان بالكنيسة نفسها كاعترافها بالله.

إذاً، لا يذكر دستور الإيمان الأسفار المقدسة، وهذه الإشارة هي المفتاح لفهم كيف رأت الكنيسةُ الأولى الكتابَ المقدس وكيف استعملته. فعند الحديث عن تجسّد المسيح وعمله على الأرض، يؤكّد دستور الإيمان النيقاوي "تألّم وقُبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب". "على ما في الكتب" تفترض سلطان الأسفار المقدسة. هذا يعني أن المسيح

قد تجسّد وعاش وتألّم وصُلب ومات وقام في اليوم الثالث كما تشهد الكتب بذلك. أي إن الأسفار المقدسة هي شهادة على ما فعله الله للإنسان بيسوع المسيح. إن تعبير "على ما في الكتب" هو اقتباس مباشر من ١كور ١٥: ٣-٤ "فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا على ما في الكتب، وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث على ما في الكتب". كان القديس بولس هنا يشير إلى نبوات العهد القديم المتعلقة بالمسيّا. ففي كل مكان كان يحاجّ اليهودَ "من الكتب، موضحاً ومبيّناً أنه كان ينبغي أن المسيح يتألّم ويقوم من الأموات" (أع ١٧: ٢-٣). بالطبع لم توجد كتب العهد الجديد آنئذ بعد. قصص شهود العيان، وهم الرسل، عن حياة المسيح كانت متداولة ومنتشرة شفوياً. هذه القصص الشاهدة قد تم اختبار صدقها بالشهادة التي أعطاها الأنبياء أنفسهم عن المسيّا. إن المفهوم الرئيسي هنا هو الشهادة. فأنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد كانوا شهوداً للمسيح: "هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حقٌ" (يو ٢١: ٢٤). إن شهادة الأسفار المقدسة هي صحيحة والكنيسة لم تشك بذلك أبداً. لكن الموضوع الذي يُبنى عليه الإيمان كان، وهو أبداً، موضوع الشهادة وليس الشهادة نفسها. هكذا تؤمن الكنيسة بدون شك بشهادة الأسفار المقدسة ولكن الكنيسة لا تؤمن بالكتاب المقدس لأن الكتاب المقدس ليس هو الله. إنها تؤمن بالوحي الذي كتبه وتؤمن بمحتواه وبشهادته ولكنها لا تؤمن بالكتاب بحد ذاته كبند إيمان.

"**كسر الخبز**": بعد قيامة يسوع ظهر للوقا ورفيقه في الطريق إلى عمّاوص، فلم يعرفاه: "ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤: ٢٣-٢٧). حتى عندما كان الرب يقرأ ويشرح أسفار العهد القديم لهما لم يعرفاه أنه الرب الناهض من الأموات. ولم يعرفاه إلا بعدما كسر الخبز معهما: "فلما اتكأ معهما أخذ خبزاً وبارك وكسّر وناولهما. فانفتحت أعينهما وعرفاه" (لو ٢٤: ٣٠-٣١). إذاً، كان قلبهما ملتهباً عندما كان المسيح يشرح الأسفار ولكنهما لم يعرفاه رغم ذلك، إلا عند كسر الخبز. أيضاً، يستعمل القديس لوقا تعبير "كسر الخبز" مرة ثانية في أعمال الرسل (أع٢: ٤٢). إذاً، الأسفار المقدسة تشهد للمسيح. قلوبنا تلتهب فينا عندما تُقرأ الأسفار المقدسة، أي عندما

يُبشَّر بالمسيح. على كل حال، ليست الأسفار المقدسة هي المسيح. الافخارستيا (سر الشكر الإلهي) هو الحدث الذي به تعبّر الكنيسة عن جوهر حياتها بصورة خاصة. في الافخارستيا فقط نحن نعرف يسوع المسيح بعد أن تنفتح أعيننا، وتكون لنا شركة حيّة معه. إذ يقول له المجد: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٤-٥٦).

إن وصف القديس لوقا للقاء على الطريق إلى عمّاوص يعطينا صورة واضحة عن كيفية فهم الكنيسة الأولى لشركتها مع المسيح الناهض من الأموات. فكل ليتورجيا قديمة للكنيسة تتبع النمط الواحد نفسه كما هو مذكور في وصف القديس لوقا: قراءة الأسفار المقدسة وشرحها، ثم يلي ذلك كسر الخبز الإفخارستي والشركة مع الناهض من الأموات. وكما رأينا في آباء الكنيسة توجد علاقة جوهرية بين الإفخارستيا وبين التجسد. فالشركة مع ابن الله الذي صار إنساناً لا تشمل مشاركة فكرية فقط، لكن مشاركة حرفية بتجسده. نحن متحدون بجسده بالمعمودية، فكل عضو من أعضاء الكنيسة يدخل في شركة حية وحقيقية مع المتجسد والمصلوب والناهض من الأموات من خلال المشاركة بالإفخارستيا.

"ها أنا معكم كل الأيام": المرة الوحيدة التي كتب فيها الرب يسوع في الأناجيل هي في يوحنا ٨:٦، ولم نرَه أبداً يكتب كتاباً أو يترك تعليماً مكتوباً أو مدرسة أو أكاديمية (مثل أفلاطون)، بل على العكس: الشيء الوحيد الذي خلّفه يسوع المسيح وراءه هو الكنيسة. فقبل صعوده يَعِد تلاميذه بوجوده الدائم معهم: "ها أنا معكم كلَ الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). ويعدهم بإرسال الروح القدس على التلاميذ: "وأما المعزّي الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي فهم يعلّمكم كلَ شيء" (يو١٤: ٢٦). إذاً وعدهم بالروح القدس، روح الحق الذي يرشدهم إلى جميع الحق (يو١٦: ١٣). الله خلق العالم بالكلمة والروح القدس (مز٣٣: ٦). في بشارة

العذراء، حلّ الروح القدس عليها فحبلت بالكلمة الإلهي (لو١: ٣٥). وفي معمودية المسيح في نهر الأردن حلَّ الروح القدس عليه بشكل حمامة بعد صعوده من المياه، متمِّماً نبوءة أشعيا (٦١: ١؛ لو٣: ٢١-٢٢؛ ٤: ١٧). أيضاً، عندما نزل الروح القدس يوم العنصرة على التلاميذ والرسل مسحهم ليكونوا الكنيسة، جسد المسيح نفسه (أع ٢).

ليس المقصود هنا الحطّ من قيمة الكتاب المقدس، لا سمح الله. "كل الكتاب هو موحَى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ" (٢تيمو ٣: ١٦). لكن النقطة الرئيسية هنا هي أن الكنيسة، لا الكتاب المقدس، هي جسد المسيح. فالأسفار الإلهية كُتبت في الكنيسة وبإلهام الروح القدس له المجد. وهكذا، من شهادة الأسفار المقدسة يأتي الناس إلى معرفة الحقيقة وقبولها (١تيمو ٢: ٤)، ويتحدون بالمسيح في الكنيسة. فالكنيسة، وليس الكتاب المقدس، هي "عمود الحق وقاعدته" (١تيمو ٣: ١٥). والكنيسة القدوسة، وليس الكتاب المقدس، هي "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ٢٣).

لهذا نجد أن البروتستانتية قد استبدلت بالكنيسة القدوسة الكتاب المقدس واستبدلت بجسد المسيح الحي، وهو الكنيسة، نصاً حرفياً، ولو أنه موحَى به بالروح القدس. هكذا نجد أن الفروق بين إيمان البروتستانت وإيمان الكنيسة الأولى هي فروق كبيرة جداً.

"الكنيسة موضوع الإيمان": تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأن الأسفار المقدسة ليست المسيح ويجب ألا تكون موضوع إيمان بحد ذاتها. من جهة أخرى، تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية (والكاثوليكية) بأن الكنيسة (كجسد المسيح بالتعريف الكتابي) هي موضوع إيمان وبند من بنود دساتير الإيمان. هذا ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية وتردّده في دستور إيمانها. إنه أمر شائع بالنسبة للمفسِّرين البروتستانت المعاصرين أنه يجب ألا نأخذ حرفياً القول بالإيمان بالكنيسة. إنهم يقولون إن الكنيسة ليست الله، وبالتالي موضوع الإيمان يجب ألا يكون الكنيسة بل الله، لهذا الإيمان بالكنيسة لديهم يجب ألا يؤخَذ بصورة حرفية حقيقية بل مجازية في أفضل الأحوال. يقول الكثيرون إنه يجب أن نؤمن بالروح القدس العامل بالكنيسة لا بالكنيسة نفسها[٣٤].

---

(٣٤) مرة أخرى نقول إن هذه عملية بتر جديدة. يسوع هو رأس الكنيسة. بتروا الرأس فبقيت الكنيسة جيفة. منطقهم الأعوج يهودي: الله لا يتجلّى في التاريخ والبشر. يبقى قابعاً في عليائه. بتروا سر التجسد الإلهي بينما نؤمن نحن أن العنصرة هي استمراره فينا إلى الأبد. البروتستانتية تنفي يسوع إلى السماء بينما نحن نستقر فيه كما قال هو في إنجيل يوحنا. الكنيسة هي مسكن الله على الأرض ومكان إنجيله. حذفوها فحذفوه من وجودهم. لذلك الخلاف الكبير هو قرب الله وبعده. المسيحية قربته. هم عادوا إلى اليهودية وخوفها من يهوه. يجب تطهيرهم من اليهودية.

فالقول إنه يجب ألا نؤمن بالكنيسة لأن الكنيسة ليست الله يبدو قولاً منطقياً ظاهرياً، وهو يبدو وكأننا نقي أنفسنا من خطر التشويش الوثني بين الخالق والخليقة. لكن هذا الهوس بحماية الكرامة اللائقة بالله (أو الغيرة التي ليست بحسب المعرفة) هو بالضبط كان الدافع وراء هرطقة آريوس وهرطقة نسطوريوس. كان لدى آريوس مفهومٌ عقلاني عن الله لا يفسح المجال لفكرة ثلاثة أشخاص (أو أقانيم) لهم الجوهر الواحد الإلهي عينه. وبالتالي لا يمكن لله أن يصير إنساناً، لهذا استنتج أن كلمة الله لا بد أن يكون مخلوقاً. نسطوريوس من جهة أخرى استنتج لسبب عقلاني أنه لا بد من وجود شخصين في المسيح: شخص إلهي وشخص بشري، وبالتالي فيسوع البشري هو الذي وُلد من العذراء وصُلب ومات وقام. لأنه بالنسبة لنسطوريوس لا يمكن لله أن يولد من عذراء وأن يتألّم ويُصلب. فوقع كلاهما في الهرطقة. لكن يجب أن نعرف أن ناسوت المسيح لا يمكن أن يوجد بدون لاهوته ولم يوجد بدونه. فالكلمة الإلهي (الأقنوم الإلهي الثاني) اتخذ طبيعة بشرية من العذراء مريم يوم البشارة وصار شخصه الإلهي شخصاً لهذه الطبيعة البشرية التي لم يمكن لها أن توجد بدون هذا الشخص. إذاً الطبيعة البشرية للمسيح لم توجد ولا يمكن لها أن توجد بدون أن تكون متحدة، منذ وجودها، بالطبيعة الإلهية في شخص الابن الإلهي. لهذا لا يوجد يسوع البشري بدون أن يكون إلهاً متجسداً. لهذا فرض مجمع أفسس (٤٣١) الإيمان بأن العذراء هي "أم الله"، لأن المولود منها لم يكن سوى الله المتجسد نفسه وليس إنساناً قد اتحد بالله.

بحسب القديس بولس إن الكنيسة هي جسد المسيح "ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أفسس ١: ٢٣). وأيضاً يقول: "لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه" (أفسس ٥: ٣٠). والمسيح نفسه يقول: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٦). لم يستطع نسطوريوس أن يقبل اتحاداً حقيقياً بين الله والإنسان لهذا نكر أنه يمكن لابن الله أن يولد من امرأة. رفض نسطوريوس القول بأن مريم هي "أم الله" إلا بمعنى مجازي غير حقيقي. على غرار هذا، إن الذين ينكرون بأن تكون الكنيسة الموضوع الحق للإيمان، فإنهم مجبَرون على تفسير كلمات بولس الرسول بصورة مجازية غير واقعية. فإن كان يوجد في المسيح اتحادٌ حقيقي وثيق بين الله والإنسان، فإن جسد المسيح، أي الكنيسة، مستحقٌ المجد نفسه اللائق بالابن كلمة الله. لهذا، كل مَن ينكر أن تكون الكنيسة موضوع إيمان – بحجة أن "الكنيسة ليست الله" –

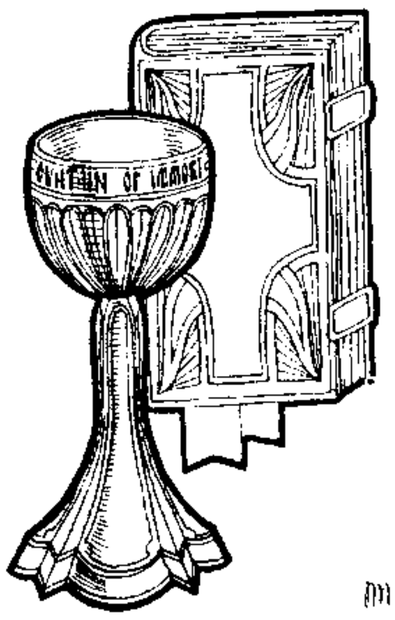

يقول بأن الكنيسة ليست جسد المسيح بأي معنى حقيقي للكلمة، وبالتالي يضع نفسه مخالفاً لتعليم بولس الرسول.

لقد رأينا أنه في القرنين الأولين للمسيحية كانت توجد، بالنسبة للكنيسة، علاقة وثيقة لا تنفصم بين عقيدة التجسد والحضور الحقيقي للمسيح في الافخارستيا. فنكران أحدهما يعني نكران الآخر. لهذه الحقيقة تطبيقات كنسية بالغة الأهمية، لأن الافخارستيا تُظهر بصورة واضحة وبالغة طبيعةَ الكنيسة. لهذا، فالتجسد والافخارستيا وعقيدة الكنيسة مرتبطة كلها ببعضها بعضاً. أو بالحري هي ثلاثة أوجه لعقيدة واحدة: الاتحاد الحقيقي لله والإنسان في يسوع المسيح. لهذا بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية، إن الخريستولوجيا (علم المسيح) وعلم الكنيسة ecclesiology لا ينفصلان. فالمسيح يعني الكنيسة، والرب المتجسد لا يمكن أن يكون بدون جسده الكنيسة. لهذا فالقول بأننا نؤمن لا بالكنيسة بل بالروح القدس الفاعل في الكنيسة لهو مفارقة عقائدية. مع ملاحظة مهمة هنا: إنه عندما نقول "الكنيسة" فلا نعني البطريرك أو المطران أو الكاهن أو القسيس أو الواعظ أو البناء أو مجالس الرعية وما إلى ذلك. إننا نتكلم عن الكنيسة، جسد المسيح القدوس. الفرق واسع جداً بين المفهومين. فالكنيسة بالمعنى اللاهوتي هي جسد المسيح المقدِّس والمؤلِّه. أما العناصر البشرية في الكنيسة فمنها الصالح ومنها الطالح. لهذا نتفق مع البروتستانت في النفور من كل شيء طالح في الكنيسة ولا نتفق معهم في رفض الكنيسة كجسد المسيح الحي أبداً.(٣٥)

النصوص الكتابية التي تبرهن على عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" بحسب البروتستانت: سنناقش هنا وبصورة سريعة أكثر النصوص الكتابية شيوعاً والتي تستعملها الفئات البروتستانتية للبرهان على صحة عقيدة "الكتاب المقدس حصراً":

١- "كل الكتاب هو موحَى به من الله ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر. لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عملٍ صالحٍ" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦- ١٧). الملاحظة الأولى أن كلمة "الكتاب" التي يستعملها بولس الرسول هنا تشير إلى أسفار العهد القديم.

---

(٣٥) البروتستانت نفروا من سلطات البابا غير المعقولة وامتيازاته الخيالية فرفضوا الكنيسة جملة وتفصيلاً. نفروا من المبالغة في تكريم العذراء مريم فرفضوا لقبها "والدة الإله" وبتوليتها الدائمة وشفاعتها. نفروا من رجال الدين فرفضوا الأسرار الكنسية بما فيها سر الكهنوت. نفروا من صكوك الغفران والاستحقاقات و..و.. فرفضوا الإيمان العامل بالمحبة ونادوا بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" و"الإيمان حصراً". رفضهم للكنيسة وللقب "والدة الإله" يعني رفضهم للتجسد الإلهي (وهم لم يقصدوا ذلك لا سمح الله).

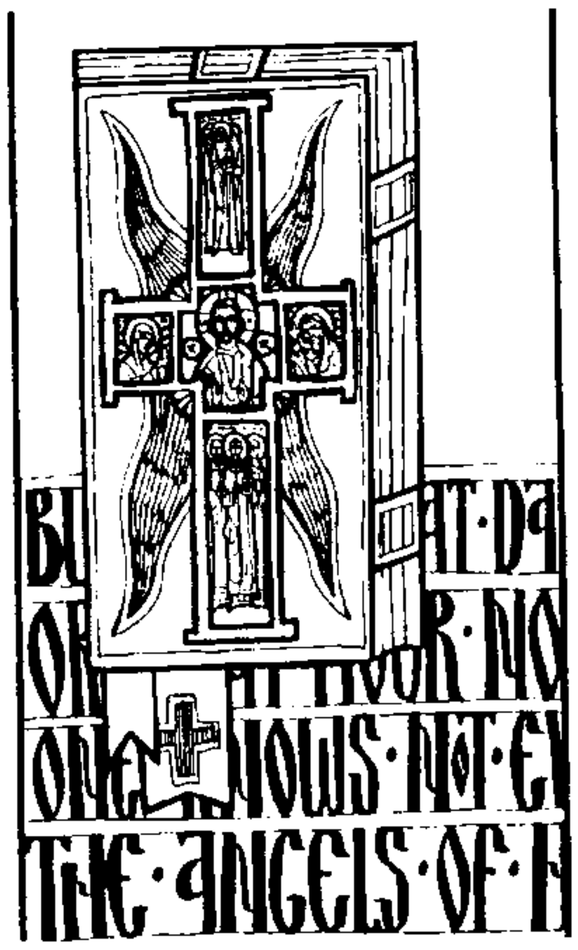

فالكتب المقدسة التي كانت متوفرة لدى طفولة تيموثاوس كانت بالطبع أسفار العهد القديم. ثانياً، تطبق الكنيسة الأرثوذكسية كلام بولس الرسول على العهد الجديد أيضاً ولكن قانون العهد الجديد لم يوجد قبل القرن الثالث الميلادي كما أشرنا سلفاً. لهذا لو كان بولس الرسول يقصد هنا أن الكتاب وحده كاف (أي العهد القديم) لكان هذا يلغي ضرورة وجود العهد الجديد. ثالثاً، بولس يؤكد بطريقة غير مباشرة على أن العهد القديم غير كافٍ وحده. فالآية الثامنة من النص نفسه تذكر اسمين هما "ينيس ويمبريس" (٢تيمو ٣: ٨)، هذا بالإشارة إلى خروج ٧: ١١-١٢. لكن سفر الخروج لا يذكر أسماء هذين الساحرين؛ أي إن بولس يستعمل اسمين أخذهما من التقليد اليهودي وليس من أسفار العهد القديم. مما يعني بالنسبة لبولس أنه باستشهاده من تقليد شفوي كتابي يؤكد على أن الكتاب المقدس (العهد القديم في أيامه، والعهدين القديم والجديد في أيامنا) لا يلغي ضرورة الحاجة لوجود تقليد كتابي شفوي مُعترَف به ويُؤخذ به. في هذا النص نفسه يقول بولس لتيموثاوس "وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري، الخ.." (٢تيمو٣: ١٠). ويقول له في الآية ١٤: "وأما أنت فاثبت على ما تعلّمت وأيقنت عارفاً ممَّن تعلّمت". إذاً يحضّ بولس تيموثاوس هنا على حفظ التعليم الذي استلمه تيموثاوس من بولس ومن معلِّمين آخرين. عندئذ يقول بولس لتيموثاوس: "وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع" (٢تيمو٣: ١٥). هنا الخلاص يأتي من الإيمان بالمسيح يسوع وليس من الأسفار المقدسة بحد ذاتها. فالكتب المقدسة ترشد إلى الإيمان بالمسيح يسوع، وهذا الإيمان بالمسيح هو الذي يخلّص. وهذا ما يؤكدّه بولس في الآية ١٦ عندما يقول: "كل الكتاب هو موحَى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، الخ... ". أي، إن العهد القديم في أيام بولس، والكتاب المقدس بعهديه فيما بعد، هو موحَى به من الله، وينفع لتعليم وتوبيخ المؤمن بالمسيح والذي صار له هذا الكتاب كتاباً موحَى به. أما بالنسبة لغير المؤمن بالمسيح، فالكتاب المقدس لا يعني له شيئاً أكثر من مجرد عمل أدبي أو تاريخي. لذلك المهمِ هو الإيمان المسيحي وهو الذي يجعل المسيحي مؤمناً بأن الكتاب المقدس هو موحَى به من الله وهو الذي يجعل الكتاب نافعاً للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي

في البر، وهذا ما يكشفه بولس في الآية ١٧ عندما يقول: "لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهّباً لكل عمل صالح". أي يقول بولس إن الكتاب المقدس نافعٌ للتعليم والتوبيخ،... لإنسان الله، فلو لم يكن هذا الإنسان هو إنسان الله لما كان هذا الكتاب هو كتاب الله، كتاباً مقدساً ونافعاً؛ أي الكتاب المقدس بحد ذاته لا يخلّص إنساناً حتى ولو كان يحفظه عن ظهر قلب. فيمكن للوثني أن يحفظ الكتاب المقدس بصورة أفضل من المسيحي، ومع ذلك لا يخلص إلا إذا آمن بالمسيح واعتمد. الإيمان بيسوع هو الذي يخلّص الإنسان، وهذا الإيمان يقود المسيحي إلى المعمودية ليولد من المسيح ثانية، وهو الذي يقود المسيحي إلى الاعتراف بأن الكتاب المقدس كتاباً مقدساً ونافعاً، الخ. إن تأكيد بولس على أن العهد القديم في أيام تيموثاوس هو موحى به من الله ونافع إنما ناجمٌ عن وجود تيارات فكرية وغنوصية كانت تطعن بالعهد القديم في تلك الأيام، وهذا واضح من رسائل بولس (١تيمو ٦: ٢٠؛ ١تيمو ١: ٤ و٤: ٧؛ و٢تيمو ٤: ٤). لهذا يقول بولس لتيموثاوس إن تعليمي لك لا يحلّ محل الفائدة الناجمة من معرفة الكتاب المقدس (العهد القديم في هذه الحالة). إذاً، يسأل بولس تلميذه تيموثاوس أن يحفظ الوديعة (١تيمو ٦: ٢٠)، وأن يثبت على ما تعلّمه، واثقاً وعارفاً مصدر تعليمه (٢تيمو ٣: ١٤)؛ ومعظم ما تعلّمه كان شفهياً غير مكتوب. وضد التيارات الغنوصية التي كانت تطعن بالعهد القديم، فإن بولس الرسول كان يؤكّد لتلميذه تيموثاوس أن الكتاب المقدس (العهد القديم هنا)، والذي درسه تيموثاوس منذ طفوليته، هو حقاً موحَى به من الله ونافعٌ.

٢- النص الثاني الكتابي الذي يستعمله مناصرو عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هو: "...**أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب كي لا ينتفخ أحدٌ لأجل الواحد على الآخر**" (١كورنثوس ٤: ٦). من القراءة الأولى لهذا النص وظاهرياً يبدو أنه على المسيحيين أن يلتصقوا بالكتاب المقدس فقط وحتماً. لكن نظرة متمعنة إلى هذا النص تُظهر أن لا علاقة له أبداً بمسألة سلطة الكنيسة. فأولاً، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الإطار الذي كُتبت فيه رسالة كورنثوس الأولى، حيث يناقش بولس الرسول المشاكل التي كانت في هذه الكنيسة. ففي ١كور١: ١٢، يقول بولس إن بعض الكورنثيين يتبعون بولس وبعضهم أبلوس، الخ. أي كانت توجد انشقاقات فيما بينهم. والسؤال هنا مطروح على الفئات البروتستانتية المنقسمة على بعضها بعضاً: هل المسيح منقسمٌ؟ ومن الواضح أن الانقسام في كنيسة

كورنثوس وصل إلى نقطة كان الناس فيها يقارنون الرسل بعضهم ببعض ويحكمون على أن بعض الرسل أفضل من البعض الآخر. إجابة على هذه النقطة، يؤكد بولس الرسول بأن القضاء أو الدينونة هي لله وحده ويجب على أهل كورنثوس أن لايفتكروا فوق ما هو مكتوب، قائلاً: كي لا ينتفخ أحدٌ لأجل الواحد على الآخر. إذاً لا علاقة لهذه النص بالأفكار التي تطرحها عقيدة "الكتاب المقدس حصراً".

ومن جهة أخرى، يبقى السؤال هنا بخصوص هذه الآية: ما المقصود من كلمة "ما هو مكتوب" في ذهن بولس؟ لو نظرنا إلى مقاطع سابقة من الرسالة نفسها في ١كور١: ١٩ الخ، و١كور ١: ٣١، الخ، و١كور٣: ١٩–٢٠، الخ، نجد أن كلمة ما هو مكتوب تشير إلى هذه الاقتباسات السابق ذكرها. فبولس الرسول يذكّر أهل كورنثوس بأن الله وحده هو الذي يدين وهو الذي يمجّد وأن الحكمة البشرية والدينونة البشرية لا تؤخذان بعين الاعتبار عند الله. وهكذا نرى أن قول بولس في هذه الآية "أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب" لا علاقة له بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً".

٣– **"وأما الأخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية، وهما لما وصلا مضيا إلى مجمع اليهود. وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط، فاحصين الكتب كلَّ يومٍ هل هذه الأمور هكذا" (أعمال ١٧: ١٠–١١)**. هذا هو المقطع الإنجيلي الثالث الذي يستعمله أتباع عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" للدلالة على صحة تعليمهم. لا يقول هذا النص بشكل مباشر إن الكتاب وحده كافٍ للإيمان والممارسة، ولكن قيمته لدى البروتستانت تأتي من وجوب أن يكون المسيحيون على مثال أهل بيرية، متفحّصين كل الأشياء بحسب الكتب. هنا سمع أهل بيرية في المجمع اليهودي من بولس الرسول أن يسوع الناصري هو المسيح الموعود. قارن أهل بيرية ما قاله بولس الرسول بالنبوات الواردة في العهد القديم، وآمن الكثيرون منهم إذ وجدوا أن يسوع الناصري هو حتماً المسيح الموعود المنتَظر، متمِّماً كل ما قاله الأنبياء في الكتب. الكتب المذكورة هنا والتي تفحّصها أهل بيرية هنا هي أسفار العهد القديم. لو كان أتباع عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" مصيبين في رأيهم في استعمالهم لهذه الآية، لكان على المسيحيين أن لا يستعملوا سوى أسفار العهد القديم حصراً لأنها كانت التي استعملها أهل بيرية. من اللافت للانتباه هنا هو أن أهل بيرية كانوا أشرف من الذين في تسالونيكي لا لأنهم كانوا يتفحّصون الكتب، بل لأنهم قبلوا الكلمة بكل نشاط.

٤-: "لأني أشهد لكل مَن يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب، إن كان أحدٌ يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب. وإن كان أحدٌ يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب في هذا الكتاب" (رؤيا **٢٢: ١٨-١٩**). ظاهرياً، تبدو هذه الآيات وكأنها تؤيد المدافعين عن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً". لكن لننظر إلى الإطار الذي كُتبت فيه هذه الآيات. يقول المفسر المشهور البروتستانتي وليم باركلي إن مقولات كهذه هي شائعة في الأدب القديم. فأمثال هذه التحذيرات موجودة في تثنية ٤: ٢ وتثنية ١٢: ٢وأمثال ٣٠: ٥و٦. أيضاً إن سفر أخنوخ (وهو من الأدب المنحول في العهد القديم) يحذّر ضد تغيير النص أيضاً. وبحسب باركلي فإن الغاية من هذه التحذيرات هي ضمان نقل هذه الكتب بصورة دقيقة بدون أي تغيير من قبل الكتبة الذين كانوا ينسخونها. وفي نص يوحنا السابق ذكره فإن يوحنا يشير بصورة خاصة إلى أن نبوة هذا الكتاب (أي سفر رؤيا يوحنا) هي المقصودة، ولا يوجد شيء يشير إلى كل الأسفار المقدسة أو الكتب المقدسة ككل. حتى لو عمّمنا كلام يوحنا هنا وجعلناه يشمل أسفار العهدين القديم والجديد لاستنتجنا أن قانون الكتاب المقدس هو مُعطَى من الله ولا يمكن تغييره، وهذا بالضبط ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية إذ أقفلت قانون الكتاب المقدس إلى الأبد. فلو وُجد أي سفر لم يُعرَف سابقاً في الكنيسة وتم اكتشافه حديثاً، لما أدخلته الكنيسة في الكتاب المقدس، حتى ولو كان سفراً أصيلاً وصحيحاً، لأنه لم يكن قيد الاستعمال من قبل الكنيسة في كل مكان وفي كل عصر، ومن قبل جميع المؤمنين.

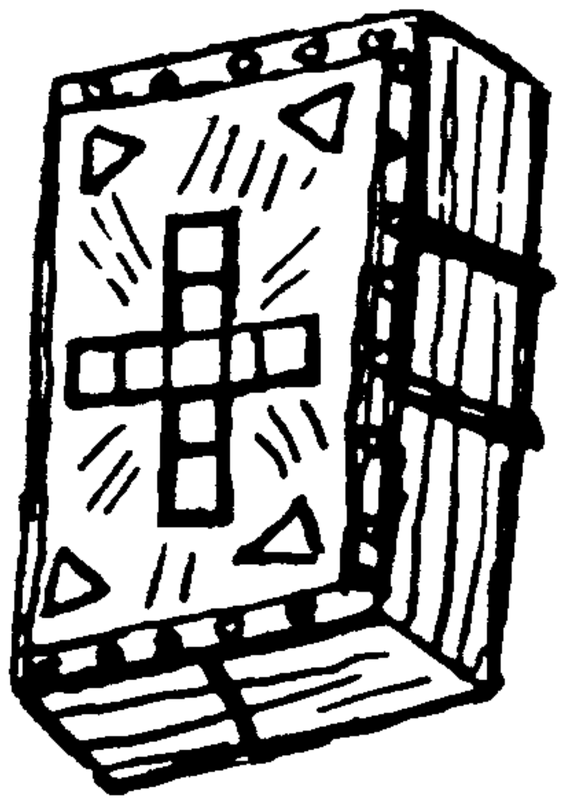

طبيعة التقليد: في الدفاع عن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً"، يدّعي البروتستانت أن الكنيسة الكاثوليكية تقبل بمصدرين للتعليم هما الكتاب المقدس والتقليد، وأن هذا التقليد قد جُعل مساوياً للكتاب المقدس. ويقولون إن اعتماد الكنيسة الكاثوليكية على التقليد قد أدى إلى عقائد مستحدثة مثل الحبل بلا دنس، وعصمة البابا، لهذا يستنتج البروتستانت أن عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" هي الوحيدة التي تضمن عدم تطوّر عقائد مخالفة للكتاب المقدس.

بادء ذي بدء، الكنيسة الأرثوذكسية ترفض العقائد الكاثوليكية السابق ذكرها (الحبل بلا دنس، عصمة البابا وأولويته، المطهر، الخ) لأنها لا تنتمي إلى التقليد الكنسي الأرثوذكسي. أيضاً، الكنيسة الأرثوذكسية لم تقبل بمصدرين للسلطة في الكنيسة. فالكنيسة الأرثوذكسية تميّز مصدراً واحداً للسلطة ألا وهو التقليد الرسولي الذي يشمل في قدس أقداسه التقليد الرسولي الكتابي أي الكتاب المقدس (وهو المصدر المكتوب للوحي الإلهي الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل عبر العصور)، والتقليد الرسولي غير الكتابي (وهو مكتوب وشفوي).

لننظر ماذا يقول العهد الجديد في التقليد أو التقاليد. لنبدأ بمثال موضح من الترجمة الإنكليزية "الترجمة العالمية الجديدة" NIV للعهد الجديد وهي من أكثر الترجمات المستعملة لدى البروتستانت (وهي من أشهر الترجمات الإنكليزية بعد ترجمة James King) حيث نجد عشرة أماكن عن "التقليد" وهي: متى ١٥: ٢، ٣، ٦؛ مر٧: ٣، ٥، ٨، ٩، ١٣؛ وغلا١: ١٤ وكول٢: ٨. في كل حالة من هذه الحالات يُقدَّم التقليد على أنه شيء سلبي ويعاكس الحقيقة الإلهية. الأمر نفسه حاصلٌ تماماً في ترجمة فان دايك البروتستانتية العربية المشهورة. مثلاً في مر٧: ٨: "لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس". على ضوء هذا ليس من المستغرب أن نجد أن البروتستانت يجدون صعوبة في إيجاد أي شيء إيجابي يمكن أن يقولوه في التقليد. لكنهم يجهلون أو يتجاهلون أنه بالإضافة إلى النصوص السابقة توجد ثلاثة نصوص أخرى في العهد الجديد (تغفلها الترجمات البروتستانتية) تذكر التقليد على أنه شيء إيجابي. وبالحري فإن هذه النصوص الثلاثة تأمرنا أن نحفظ التقاليد الشفوية التي استلمناها من الرسل. البروتستانت يجهلون هذه الآيات، جزئياً لأنهم يعيرون انتباهاً كبيراً للآيات الأخرى، وجزئياً لأنهم يستعملون ترجمات بروتستانتية تحرّف الآيات التي تعاكس التعاليم البروتستانتية كما سنُظهر في هذا المثال الموضح. لو عدنا إلى العهد الجديد اليوناني، لوجدنا أن كلمة التقليد اليونانية هي paradosis وتأتي ١٣ مرة في العهد الجديد وليس ١٠ مرات! ومن اللافت للنظر أن ترجمة NIV تترجم كلمة paradosis اليونانية بكلمة "تقليد" في كل مرة إلا في ثلاث آيات هي: ٢تسالونيكي ٢: ١٥، ٢تسالونيكي ٣: ٦ و١كورنثوس ١١: ٢. فالمثال الأول هنا جاء في النص العربي (ترجمة فان دايك البروتستانتية) والنص الإنكليزي (الترجمة العالمية الجديدة): "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتعاليم** التي

تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا". بينما في النص اليوناني لم ترد كلمة "تعاليم" بل كلمة "تقاليد paradoseis"، وهذا ما نجده في ترجمة King James الإنكليزية المشهورة أيضاً. فتصير الآية: "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتقاليد** التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا". كلمة "تقاليد paradoseis" اليونانية هنا مشتقة من فعل paradidomi اليوناني الذي يعني "يسلّم، أو ينقل، أو يتناقل"[٣٦]. من السهل لأي إنسان عارف باللغة اليونانية معرفة عادية أن يدرك أنه يوجد تحريف في الترجمة هنا لتغيير المعنى ولإبعاد أي معنى إيجابي في ذهن القارىء مرتبط بكلمة "تقليد" أو "تقاليد".

فالمترجمون البروتستانت هنا حرّفوا النص اليوناني لكي يطابق عقائدهم و لم يغيّروا من عقائدهم لتتوافق مع النص الإلهي المكتوب. من الواضح أن الترجمة العالمية الجديدة NIV قد حرصت على إبقاء كلمة "تقليد" أو "تقاليد" في النص الإنكليزي في كل مرة تأتي هذه الكلمة بالمعنى السلبي، ولكنها تحرص في الوقت نفسه على استبدال الكلمة اليونانية نفسها paradosis بكلمة أخرى غير "تقليد" أو "تقاليد" بل بكلمة قريبة منها مثل "تعليم" أو "تعاليم" في كل مرة تأتي هذه الكلمة اليونانية بالمعنى الإيجابي[٣٧]! لو كان الكتاب المقدس فعلاً يفسّر نفسه بنفسه وكاف بحد ذاته فلماذا يلجأ البروتستانت إلى تحريف بعض النصوص الإنجيلية في ترجماتهم لتوافق هواهم ولاهوتهم؟ أو هل يفهم البروتستانت تعليم القديس بولس عن السلطة بصورة أفضل منه؟ هذا المثال هنا عن كلمة "تقليد" وترجمتها تعطينا نقطة مهمة جداً: لا بد لكل إنسان يقترب من الأسفار أو من الكتاب المقدس أن يقترب منه ضمن تقليد معين، وكل ترجمة للكتاب المقدس لا تتم إلا ضمن تقليد معين وتعكس جوانب هذا التقليد. فتوجد ترجمة بروتستانتية وأخرى كاثوليكية وأخرى أرثوذكسية وهكذا. أيضاً، كل تفسير للكتاب المقدس يُقدَّم ضمن إطار

---

(٣٦) كلمة "تقليد" أفضل من "تسليم". يُقال: قلَّده الوسام، والمنصب والقضاء والسيف. والقلادة....

(٣٧) في ٢تسالونيكي ٣: ٦ كلمة "تقليد" اليونانية تم استبدالها بكلمة "تعليم" في ترجمة فان دايك البروتستانتية العربية وترجمة NIV الإنكليزية. الأمر نفسه نراه في ١كور ١١: ٢، حيث أستبدلت كلمة "تقاليد" اليونانية" بكلمة "تعاليم". النصان يحضّان القارىء على التمسّك بالتقليد أو التقاليد التي سلّمها بولس للمؤمنين والتي أخذوها منه.

أو تقليد معين ويختلف هذا التفسير عن غيره بحسب خلفية التقليد الذي ينطلق منه هذا التفسير[٣٨]. لنتذكّر هنا: المراقب هو جزء من الحدث.

٢ تسالونيكي ٢: ١٥ يقول: "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتقاليد** التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا"، و٢ تسالونيكي ٣: ٦ يقول: "ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنّبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس حسب **التقليد** الذي أخذه منا". وفي ١كورنثوس ١١: ٢ يقول: "فأمدحكم أيها الأخوة على أنكم تذكرونني في كل شيء وتحفظون **التقاليد** كما سلّمتها إليكم". هذه الآيات تناقض **ظاهرياً** ما قاله بولس في كولوسي ٢: ٨ "انظروا أن لا يكون أحدٌ يسبيكم بالفلسفة وبغرورٍ باطلٍ حسب **تقليد** الناس، حسب أركان العالم وليس حسب المسيح". هذا يعني أنه يوجد نوعان من **التقليد** بالنسبة لبولس الرسول. النوع الأول هو تقليد أو تقاليد الناس، والثاني هو تقليد أو **تقاليد** الكنيسة أو الرسل. فعلى المسيحيين أن يبتعدوا عن تقاليد الناس وأن يلتصقوا بتقاليد الرسل كما استلموها. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في مواعظه (٤: ٢) على الرسالة الثانية لتسالونيكي: "فاثبتوا إذاً أيها الأخوة وتمسّكوا **بالتقاليد** التي تعلّمتموها، سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا. هنا، من الواضح أنهم لم يسلّموا كل شيء بالرسالة بل كان يوجد الأكثر أيضاً، الذي لم يُكتب. وعلى نسق ما قد كُتب، فإن ما لم يُكتب يستحق التصديق أيضاً. لنعتبر تقليد الكنيسة أيضاً مستحق التصديق. أهو تقليد؟ لا تسأل أكثر".

المسألة أو المشكلة هنا هي أنه يوجد تباين كبير بين البروتستانت من جهة وآباء الكنيسة من جهة أخرى بخصوص مفهوم وطبيعة المسيحية. فالمسيحية بالنسبة للبروتستانت هي "جملة من الحقيقة" محفوظة "بدون عيب" في الكتاب المقدس حصراً. أما بالنسبة لآباء الكنيسة الأرثوذكسية، ليست المسيحية "جملة" أو "نظاماً"، بل هي "الحياة في المسيح". هذه الحياة لا يمكن أن تُحال أو تُحوَّل إلى مجموعة مُثُل أو أفكار مكتوبة أو إيديولوجية نظرية. القديس بولس نفسه يوضح هذا قائلاً في ٢ تسالونيكي ٣: ٦: "ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنّبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس

(٣٨) هذه قاعدة عامة تنطبق على الحياة بجوانبها المختلفة. فالمراقب جزء من الحدث وينقله بصورة مختلفة عن غيره. هذا ما نراه بأجلى بيان في تباين الأخبار المنقولة عبر مراسلين تختلف تقاليدهم بعضها عن بعضٍ.

حسب التقليد الذي أخذه منا". ومن ثم يشرح ماذا يعني بوصفه طريقته في الحياة معهم، وكيف عمل بحيث لا يكون عبئاً عليهم، حتى ولو كان يحق له كرسول أن يعيش على نفقتهم. لقد أعطى هذا الرسول العظيم مثالاً حياً لأهل تسالونيكي عليهم أن يعيشوا وفقه وهذا المثال صار جزءاً من التقليد الحي الرسولي. هذا هو ما تعنيه الكنيسة بالتقليد. فالتقليد ليس جملة من العقائد تسير بصورة متوازية للعقائد المذكورة في الكتاب المقدس. لكنه الحياة التي سلّمها المسيح لرسله، وهم بدورهم سلّموها للكنائس التي أسسوها. فقط ضمن هذه الحياة (أو التقليد) يمكن للمرء وبصورة صحيحة أن يفهم ما هو مكتوب في الأسفار الإلهية. لهذا السبب كان الرسول بولس ملحّاً في أن يحفظ أهل تسالونيكي التقاليد، أي الحياة التي سلّمها لهم. فقط بهذه الطريقة يمكنهم أن يفصلوا الرسائل الصحيحة عن الدخيلة. فقط بهذه الطريقة يمكنهم أن يفهموا بحقٍ ما قد كتبه الرسول بولس لهم.

القديس باسيليوس الكبير (القرن الرابع) في مقالته "في الروح القدس" يُظهر بوضوح حقيقة كون التقليد المقدس هو أكثر من كونه مجموعة من الأفكار أو المُثُل. رداً على هرطقة محاربي الروح القدس القائلين بأن المجدلة: "المجد للآب والابن والروح القدس" ليست كتابية، يجيب القديس باسيليوس أنه إذا كان شيءٌ لم يُكتب فلا يعني أنه ليس عنصراً أصيلاً من التقليد الرسولي:

"بالنسبة لتعاليم الكنيسة، سواء المُعلنة علناً (البشارة) أو المحفوظة لأعضاء بيت الإيمان (العقائد)، فإننا تسلّمنا بعضها من مصادر مكتوبة، بينما أُعطيت المصادر الأخرى لنا سرّاً، بالتقليد الرسولي. للمصدرين معاً قوة متساوية في الديانة الحقة. فلا أحد ينكر أي مصدر، لا أحد بأي حال إن كان متآلفاً ولو قليلاً مع قوانين الكنيسة. إذا هاجمنا العادات غير المكتوبة، مدّعين بأنها ذات أهمية قليلة، فسوف نشوّه الإنجيل بصورة مميتة، مهما كانت نيّاتنا أو بالحري، سوف نُنقص تعاليم الإنجيل إلى كلمات عارية". الرسل بنوا الكنائس عقائدياً وروحياً فأوصى بولس بالحفاظ على ما وضع من بنية (غلا ١: ٨–٩). في هذه البنية نزل الكتاب المقدس كقلادة. ليس هو البنية. البناء قام قبله وبدونه. هو ثريا في المنزل ولكنه ليس المنزل. المنزل هو ما بناه الرسل شفوياً. لهذا، فالمسيحية هي الحياة في المسيح، وليست جملة من العقائد والتعاليم. إنها المسيح في المسيحي والمسيحي في جسد المسيح أو الكنيسة. لهذا ليست المسيحية ديانة كتاب، بمعنى أنها ليست ديانة

مرتبطة ومعرَّفة بتعاليم محتواة في كتاب ما، بل هي المسيح في المسيحيين. لهذا إنقاص المسيحية إلى مجرد ديانة كتاب هو نحر المسيحية ونحر الإنجيل نفسه الذي يتعارض لاهوته مع القول إن المسيحية هي ديانة كتاب، لأن "الحرف يقتل لكن الروح يُحيي" (٢كور٣: ٦). المسيحية ليست الكتاب المقدس. الكتاب يتكلّم عن المسيح والمسيحية. المسيحية هي في الكنيسة. ففي الكنيسة (لا في الكتاب) يعتمد المرء ويُمسَح بالميرون ويتناول جسد الرب ودمه، ويجاهد ضد الأهواء والخطية حتى الموت. ويشرح القديس باسيليوس لماذا بقيت هذه الممارسات الكنسية غير مكتوبة حتى يومنا الحالي:

"أليست هذه الأمور كلها موجودة في تعاليم غير منشورة وغير مكتوبة، والتي حرسها آباؤنا بصمتٍ، آمنة من التطفل والفضول التافه؟ لقد تعلمّوا درسهم جيداً؛ فأفضل طريقة لتشجيعٍ توقير الأسرار هي الصمت. فلم يكن يُسمح للمبتدئين بحضور الأسرار؛ فكيف يمكنك أن تتوقّع أن يتم استعراض هذه التعاليم في وثائق عامة؟". هذا يذكّرنا اليوم بقاعدة أنه لا يجوز إلا للمؤمنين (أعضاء الكنيسة المعتمدين) بحضور الجزء من القداس الإلهي الذي يُدعى "قداس المؤمنين".

في النهاية، عقيدة "الكتاب المقدس حصراً" أو Sola Scriptura كانت وليدة غيرة ولكن ليس بحسب المعرفة تجاه التجاوزات البابوية. ربما لا يقصد البروتستانت (أو معظمهم) أن ينتهي الأمر بهم إلى هذه النتائج الوخيمة، لكن الحقيقة لا يمكن كبتها أو تغطيتها. المطلوب اليوم هو العودة إلى إيمان الكنيسة الأولى، كنيسة العهد الجديد، كنيسة الرسل والشهداء والآباء المدافعين والمعلمين والنسّاك، الخ... وليس العودة إلى الاجترارات الفكرية الفلسفية بغية الربح بعلم باطل. كل البروتستانت الذين تحوّلوا إلى الأرثوذكسية في الولايات المتحدة (وسواها)، وعددهم الآلاف، تجمعهم خبرة واحدة مشتركة: لقد وجدوا في الكنيسة الأرثوذكسية اللؤلؤة الضائعة، حبة الخردل، الخميرة الدفينة في العجين، النور الساطع للعالم. وعندما أقول في الكنيسة الأرثوذكسية لا أقصد فلاناً من المطارنة أو البطاركة أو الكهنة. حاشا! وإنما أقصد أو يقصدون بالحري الكنيسة الأرثوذكسية كجسد المسيح الحي الذي حفظ عبر العصور السابقة وبدون تبدّل الإيمان الرسولي الذي سلّمه إلينا رسل المسيح يسوع له المجد والسجود إلى الأبد. آمين. **(د. عدنان طرابلسي)**

تفسير ألفاظ ليتورجية

(إعداد الأب منيف حمصي)

١- **الاينوس: Ainos**: أي التسابيح، وسُميَت كذلك لأنها ترتل أمام كل آية من المزمور ١٥٠ والتي تبدأ بلفظة "سبحوا" وترتل في نهاية صلاة السحر إذا كانت مطلوبة بعد المزمور ١٥٠.

٢- **الأنافثمي : Anavathmi** : تعني مراقي أو مدارج. هي في الأصل المزامير ١١٩- ١٣٣ التي كانت ترتل على الدرج الذي يقود من الساحة إلى هيكل سليمان. وتُرتَّل هذه القطع في سحر الأحد قبل الإنجيل. تدل على ارتقاء النفس إلى هيكل الله الذي في السماوات وموضوعها الأساسي هو الروح القدس. وكل مجموعة أنافثمي من كل لحن تتألف دوماً من ثلاث أنديفونات، وكل أنديفونة تؤلف مجموعة طروباريات تكون عادة ثلاث.

٣- **أنكساندريا: Anixandaria**: تشتق هذه الكلمة من فعل يوناني ويعني "أفتح". وهي تشير إلى المقطع الأخير من مزمور الغروب ابتداءً من "تفتح" والتي تُرتَّل عادة في الأعياد الكبيرة والسيدية والوالدية .

٤- **أنديفونا: Andifona**: تعني بدل الصوت. وهي جزء من ترتيلة تعاد كلازمة بعد استيخون معين وترتل بالتناوب. تُرتل في مواضع مختلفة من السحر والغروب وأحياناً القداس الإلهي.

٥- **أبوليتيكيا: Apolitikia**: اللفظة مشتقة من فعل معناه "أحُلْ-أطلق". هي الطروبارية التي تُقال قبل الحل أو الختم في نهاية صلاة المساء وفي نهاية صلاة السحر والساعات.

٦- **أبوستيخا: Apostikha**: مفردها أبوستيخون وهي قطعة تأتي بعد الستيخن وهو آية من المزامير أو فقرة قصيرة من الكتاب المقدس. مثلا:"الرب قد ملك والجمال لبس؛

لبس الرب القوة وتمنطق بها." تُقال الأبوستيخا في نهاية صلاة الغروب وتكون عادة من ثلاث قطع وثيوطوكية.

٧- **أبوستولوس: Apostolos** هي كلمة تعني رسول وهو الكتاب الذي يحوي الرسائل التي تُقرأ في القداس الإلهي على مدار السنة الطقسية.

٨- **بروصومية: Prossomia**: هي القطعة التي ترتل على وزن قطعة أخرى تعرف باسم أفتوميلون. ونجد البروصوميات في خدم صلاة الغروب وصلاة السحر.

٩- **الأكاثسطس: Akathistos**: أي"الذي لا يجلس فيه" وهو يشير إلى مديح والدة الإله.

١٠- **ذكصاستيكون:Doxastikon**: وهي قطعة يسبقها ذكصا أي المجد للآب والابن، ونجدها في كل أنحاء الكتب الطقسية وفي كل الخدم الكنسية.

١١- **ذوكصولوجيا :Doxologia**: تأتي من لفظة ذكصا أي المجد. وهي القطعة التي ترتل في آخر صلاة السحر وتبدأ بعبارة "المجد لك يا مظهر النور". وهناك ذوكصولوجيا أخرى تحوي نفس الكلمات مع فارق طفيف في بعض الفقرات وهي تقرأ وتبدأ عادة بعبارة "لك ينبغي المجد". أما الذكصولوجيا الأولى فتعرف باسم الذكصولوجيا الكبيرة أو ذكصولوجيا ميغالي نسبة إلى كلمة مجد التي تبدأ بها.

١٢- **ذيناميس: Dynamis** كلمة تعني قوة. تُقال خلال التريصاجيون في القداس الإلهي.

١٣- **إيرينيكا: Erenika**: أي السلاميات. وهي اسم يطلق على الطلبات التي تبدأ بعبارة "بسلام"وخاصة على السينابتي الكبير أو الطلبة السلامية الكبرى"بسلام إلى الرب نطلب".

١٤- **إرمس: Irmos**: الكلمة تعني رابط-وزن-نظام. تشير إلى القطعة الأولى من كل أودية في القانون والتي على أساسها نرتل القطع اللاحقة التي تدعى طروباريات.

١٥- **القانون: Kanon**: وتعني مقياس. وتشير إلى مجموعة من القطع المرتلة. ينقسم القانون إلى تسع أقسام يدعى كل قسم أودية وتتألف الأودية من قطعة أساسية تدعى الأرمس ومجموعة من الطروباريات تتبع الأرمس لحناً ووزناً: قانون المطالبسي، قانون

السحر، قانون البراكليسي الصغير. وقد أُلِّفت القوانين على أساس التسابيح التسع الموجودة في كتاب السواعي والمأخوذة من الكتاب المقدس.

١٦- الأودية:Odhy: تعني التسبحة وهي الجزء من القانون الذي ينقسم عادة إلى تسع أوديات كل واحدة منها مؤلفة من إرمس وطروباريات. أما الأودية الثانية فلا تُقام إلا في الصوم لأن مضمونها يتعلق بالنوح والبكاء على الخطيئة.

١٧- الإيصودون : Isodhon: كلمة تعني الدخول سواء بالقرابين أو المبخرة أو بالإنجيل في الغروب والقداس الإلهي.

١٨- الإيصوذيكون: Issodhikon: هي الترنيمة التي ترتل في الإيصودون الصغير في القداس الإلهي. مثلاً: هلمَّ لنسجد للمسيح ملكنا وإلهنا.

١٩- أكتاني:Aktanis : أي الطلبة الإلحاحية : "ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك".

٢٠- أكسابوستيلاريون: Exapostelarion: تعني قطعة الإرسال من فعل أرسل.

٢١- الأكسابسلموس: Exapsalmos: هي مزامير السحرية الستة التي تقرأ في مطلع كل صلاة سحر.

٢٢- الإنجيل: Evangelion: هو الإنجيل الطقسي المستعمل بحسب ترتيب الخدم الكنسية في السنة الليتورجية.

٢٣- الإيوثينا: Eothena: هي قطعة طويلة ترتل في صلاة الأحد على شكل ستيشيراري ومحتواها يطابق محتوى إنجيل السحر.

٢٤- أفشين: Efchy: أي صلاة وابتهال.

٢٥- إيخوس:Ichos : أي لحن. كتاب المعزي يدعى أوكتو إيخوس أي كتاب الألحان الثمانية.

٢٦- ثيوطوكاريون: Theotokarion: يشتق من كلمة والدة الإله. هو الكتاب الذي يحوي قوانين لوالدة الإله بحسب الألحان الثمانية وأيام الأسبوع على نسق المعزي ويرتل عادة بعد صلاة الغروب في الأديار.

٢٧- ثيوطوكيون: Theotokion: نسبة إلى والدة الإله.والكلمة تعني قطعة والدية متعلقة بوالدة الإله.

٢٨- ثيوس كيريوس: Theos kirios: "قطعة الله الرب ظهر لنا" التي ترتل قبل الطروبارية في مطلع السحرية.

٢٩- أيذيوميلا: Idiomela: هي كل قطعة ترتل بدون أن تتبع وزناً من الأوزان الموسيقية المعروفة. اللفظة اليونانية تعني القطعة التي هي مرجع لذاتها. هي ليست شعراً منظوماً على عكس الأفتوميلون الذي يكون شعراً منظوماً.

٣٠- كاطافسيات: Katavassia: هي أراميس قوانين الأعياد السيدية وتقال في صلاة السحر بعد القنداق وتدعى قطع النـزول بحسب اللفظة اليونانية. سُمِّيت هكذا لأنها ترتل عند نزول المرتلين من مقاعدهم الخشبية عند صعود الأسقف على الكرسي.

٣١- كانين: kenyn: تعني: "والآن".

٣٢- كيرية إككركصا: kirie ekekraxa: أي: "يا رب إليك صرخت".

٣٣- كليفصن : Kelefson: فعل أمر يوناني يعني "ارسم".

٣٤-كينونيكون: Kinonion: من اللفظة التي تعني شركة. وهي ترتيلة مطولة ترتل قبل مناولة المؤمنين وأثناء مناولة الإكليروس وتكون في الآحاد العادية : "سبّحوا الرب من السماوات هللويا" وفي الأعياد الأخرى آية من المزامير.

٣٥- قنداق: Kondakion: هذه اللفظة تعني العصا التي كان يلف عليها ورق البردي. والقنداق يلخّص ويظهر معنى المناسبة التي نعيد لها ويقال في السحر بعد الأودية السادسة إذا تلي القانون أو بعد المزمور الخمسين إذا لم يُقرأ القانون. كما يُشار إلى كتاب الكاهن بقنداق الكاهن .

٣٦ - ليتين:Lity : وهي تعني الزياح. يُقام الليتين أثناء صلاة الغروب في الأعياد الكبرى وهو زياح "طواف" بأيقونة القديس يرافقه ترتيل قطع للمناسبة كما يقرأ الكاهن طلبات خاصة بها.

٣٧- المارتريكا: Martirika: هي الطروباريات التي تتكلم عن الشهداء وتعرف بالشهوديات. وتُرتَّل عادة نهار السبت وفي أعياد الشهداء لأنها تمدح الشهداء.

٣٨ – المغالناريا: Megalinaria: تعني التعظيمات. هي قطع تبدأ بكلمة "عظّمي" وعادة توجد في الأعياد السيدية وترتل مع طروباريات الأودية التاسعة.

٣٩– المكارزمي: Makarismi: هي التطويبات المأخوذة من العظة على الجبل. ويُقال المكارزمي مع التيبيكا في الساعة السادسة ويُقال في القداس بدل الأنديفونات.

٤٠– مطانية: Metania: تعني حرفياً تغيير الذهن أو التوبة وتستعمل ليتورجياً للإشارة إلى الركعة أو السجدة.

٤١– إيكوس: Ikos: أي "بيت". هو القطعة التي تلي القنداق في الأعياد السيدية والوالدية والأعياد الممتازة. تُدعى هذه القطعة بيتاً لأنها رمزياً كناية عن بناء يحتوي فضائل القديس المعيد له.

٤٢– بوليئيليون: polyeleos: كلمة يونانية تعني كثير المراحم وهي تشير إلى قطعة تتألف من آيات من المزامير. سُميت هكذا لأنها تستدعي رحمة الله. تأتي من المزمور ١٣٥ "اعترفوا للرب فان إلى الأبد رحمته". يُقال في صلاة السحر بعد الكاثسما الثانية. هذه القطع موجودة في كتاب الإيكلوغاريون.

٤٣– باراكليسي: Paraklisi: أي رجاء، تضرع، تعزية. يُطلق هذا الاسم على قوانين تضرعية لوالدة الإله ولبعض القديسين.

٤٤– بروتي: Proty: أي أولى. هي قطعة خبز التقدمة التي يوزعها الكاهن على الشعب.

دراسة كتابية لاهوتية عن معمودية الأطفال في الكنيسة الأولى

د. عدنان طرابلسي

معمودية الأطفال مسألة كانت وما زالت تستأسر بالكثير من النقاش والجدل والدراسة، وبخاصة أن الكثير من الفئات البروتستانية (وعلى رأسها المعمدانيون) ترفض معمودية الأطفال وتعتبرها باطلة وتعيدها. لهذا نرى كل فريق يحاول جاهداً أن يُثبت صحة رأيه وموقفه انطلاقاً من العهد الجديد أولاً ومن افتراضات لاهوتية ثانياً. والحقيقة أن الخلاف الرئيسي الأول بين مؤيدي معمودية الأطفال ورافضيها هو في طبيعة إيمانهم في المعمودية ولاهوتها بصورة عامة. فإن آمن المرء (كما هي الحال في الإيمان الأرثوذكسي–الكاثوليكي) بأن المعمودية هي الولادة الثانية الروحية، وأنها استنارة وغفرانٌ للخطايا ولبسٌ للمسيح وانتماءٌ إلى جسد المسيح، أي الكنيسة، فسيجد رفض معمودية الأطفال أمراً يتنافى مع لاهوت المعمودية هذا وجريمة بحق الأطفال. أما إن كان المرء يؤمن (كما هي الحال في الإيمان البروتستانتي) بأن المعمودية هي مجرد رمزٍ لقبول المسيح مخلِّصاً شخصياً وللانضمام العلني إلى جماعة المؤمنين، وأنها ليست الولادة الثانية الجديدة ولا تمنح غفران الخطايا ولا يتوسطها الروح القدس، بل هي مجرد شعيرة كنسية تُمارس فقط لأن السيد في نص إنجيلي صريح أمر بإقامتها، فلن يجد معمودية الأطفال أمراً ضرورياً أو حتى منطقياً.

بما أن جميع أعداء معمودية الأطفال مغرمون بالاقتباس من العهد الجديد في دحضهم لمعمودية الأطفال، فيجب علينا منذ البداية أن نلاحظ الملاحظات التالية المتعلقة باستعمال العهد الجديد في نقاش معمودية الأطفال:

١– العهد الجديد كُتب في حالة البشارة المسيحية، لهذا ليس مستغرباً أن نلاحظ منذ البداية أن كل مقولات العهد الجديد في المعمودية بدون استثناء هي مقولات تتعلق بالمعمودية المقامة أثناء البشارة المسيحية أي معمودية اليهود واليونانيين المنضمين إلى الكنيسة المسيحية. لهذا فمقولات العهد الجديد المتعلقة بالمعمودية واهتداء البالغين

ومعموديتهم هي قائمة في وسط هذه الصورة. لهذا فالبالغون المنضمون إلى الكنيسة هم الذين ينالون الاهتمام لدى ذكرهم وليس الأطفال الذين– إن صح التعبير– يختفون في حضن العائلة المنضمة إلى الكنيسة المسيحية. هذا يجعل اكثر صعوبة الإجابة على السؤال: أكان أطفال البالغين المهتدين إلى المسيحية يُعمَّدون مع والديهم أم لا؟

٢– العهد الجديد كُتب لغاية معينة وبطريقة معينة يقول عنها القديس يوحنا الإنجيلي: "وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو ٢٠: ٣٠–٣١). لهذا لم تكن معمودية الأطفال موضع جدل ونقاش أثناء كتابة أسفار العهد الجديد، وبالتالي لا نجد إلا إشارات غير مباشرة عنها في العهد الجديد. هذه الإشارات لا تدل على أنها لم تكن قيد الممارسة في أزمنة العهد الجديد. على العكس تماماً، لو كانت معمودية الأطفال موضع جدل ونقاش وشك لكان كتبة العهد الجديد (خاصة رسائل بولس) قد ذكروا شيئاً عنها أسوة بالأمور الأخرى التي سبّبت خلافات في الكنيسة الأولى. عدم ذكرهم لها معناه أنها كانت ممارسة عادية روتينية في الكنيسة الأولى.

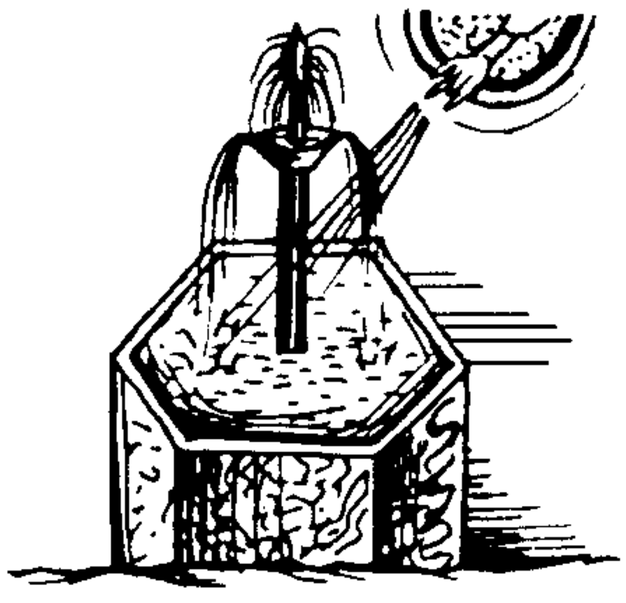

٣– لم يكن العهد الجديد كتاب طقوس وشعائر مثل بعض أسفار العهد القديم. لهذا، لم يهتم كتبة العهد الجديد بذكر تفاصيل العبادة المسيحية والطقوس والصلوات، الخ. مثلاً، العهد الجديد ذكر أن المعمودية تتم "باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أع ٢: ٣٨)، وأنها تتم باسم الثالوث القدوس (متى ٢٨: ١٩). كيف نمارس المعمودية إذن؟ طالما لم يوضح العهد الجديد هذه النقطة فلا بد من العودة إلى الكنيسة الرسولية الأولى، أي كنيسة العهد الجديد نفسها، ونشاهد كيف مارست الكنيسة المعمودية. هذه القاعدة تنطبق على كل تعليم مسيحي وممارسة مسيحية. إذا كان هذا التعليم (أو هذه الممارسة) غير واضح في العهد الجديد، فلا بد من الاحتكام إلى الكنيسة الرسولية. إما إذا أتينا لاحقاً بتعليم أو لاهوت أو رأي معين، وكان هذا التعليم أو اللاهوت مخالفاً لتعليم الكنيسة الأولى وللاهوتها، فنكون على ضلالٍ ونشق أنفسنا عن جسد المسيح، أي عن الكنيسة الرسولية الواحدة الجامعة القدوسة. الأمر نفسه بالطبع ينطبق على معمودية

الأطفال: إن كان البعض يعتقد بأن معمودية الأطفال أمرٌ غير صحيح لأي سبب من الأسباب، وإن كان العهد الجديد لم يذكر هذه النقطة صراحة وبصورة مباشرة، فلا بد من الاحتكام إلى الكنيسة. فإذا كانت الكنيسة الأولى قد آمنت بضرورة تعميد الأطفال بغض النظر عن عمرهم، وإن كانت قد مارست هذا الإيمان منذ الأزمنة الرسولية، وإن كانت الكتابات الآبائية والشواهد التاريخية كلها تدل على ذلك، فإن أعداء معمودية الأطفال يضعون أنفسهم على خلاف مع الكنيسة الرسولية وينشقون عنها. فكل مَن يخرج عن تعليم الكنيسة هو ضالٌّ ولو كان ملاكاً من السماء أو بولس الرسول نفسه (غلا١: ٨-٩).

٤- علماء الكتاب المقدس حاولوا دراسة معمودية الأطفال في الكتاب المقدس فتوصّلوا إلى نتائج مختلفة رغم ادعاءاتهم باستعمال أسلوب "علمي موضوعي". لهذا، عند التدقيق في دراسات علماء الكتاب المقدس في المعمودية، يجب أن نميّز الخلفية الكنسية لكلٍ منهم ونقارن نتائج دراسته مع لاهوت المعمودية في الكنيسة الأولى. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أذكر المثال الذي ذكرته في السؤال السابق المتعلق بمعاني المعمودية. يوجد كتابان كل منها معنوَن "المعمودية في العهد الجديد". مؤلّف الكتاب الأول عالم كتاب مقدس مرموق جداً وبروتستانتي، وهو أوسكار كولمان[٣٩]. مؤلّف الكتاب الثاني[٤٠] عالم كتاب مقدس مرموق جداً وبروتستانتي (معمداني)، وهو .Murray-G.R.Beasley إذاً يتساوى الأول والثاني من حيث التصنيف العلمي والإيماني مبدئياً. لكن مَن يقرأ الكتابين يستنتج بسهولة أن معمودية الأطفال، بحسب العهد الجديد، كانت تُمارس أيام العهد الجديد بحسب دراسة الأستاذ كولمان، ولم تكن تُمارس أيام العهد الجديد بحسب دراسة المؤلِّف الثاني! الدراستان مبنيتان على الكتاب المقدس. من هنا نستنتج أن نصوص الكتاب المقدس وحدها لا تكفي في كثير من الأحيان، ولا بد من الاحتكام إلى تعليم الكنيسة على مر العصور. أخيراً، للمزيد من التوسع في هذا الموضوع، أحيل القارىء الكريم هنا إلى المراجع السابق ذكرها بالإضافة إلى دراستين

---

(٣٩) Oscar Cullmann: Baptism in the New Testament, The Westminster Press, Philadelphia, 1950

(٤٠) G.R. Beasley-Murray: Baptism in the New Testament, Eerdmans Publication Co,. Michigan, USA, 1990

أخريتين في معمودية الأطفال[٤١]. إذاً، العلم الكتابي الصرف Scholasticism Biblical لا يكفي في كثير من الأحيان للإجابة على الكثير من الأسئلة اللاهوتية[٤٢]. يبقى ضرورياً أن نعود إلى اللاهوت العقائدي المبني على الآباء وخبرة الكنيسة وممارستها وعلى الإجماع الكنسي عبر العصور في كل زمان ومكان.

هذه المقدمة الضرورية تعني أن الإجابة على سؤال معمودية الأطفال أمرٌ صعبٌ. فلا بد من دمج الشواهد الكتابية (غير المباشرة) بالشواهد الكنسية الأولى والشواهد التاريخية والآبائية (كلها شواهد مباشرة)، وذلك حتى نجيب على السؤال هنا: هل كانت الكنيسة الأولى تعمّد الأطفال؟ وبالتالي أمعمودية الأطفال ضرورية أم لا؟

قبل مناقشة العهدين القديم والجديد، يجب أن نناقش عدة نقاط تاريخية وكتابية متعلقة بمعمودية الأطفال. سأختصر قدر الإمكان هنا، إلا أنني مضطر للتوسّع أحياناً حتى نغطي معظم النقاط المتعلقة بهذا الموضوع ويمكن مراجعة مصادر البحث.

أولاً- صيغة "أهل البيت": هنا يجب أن نلاحظ النصوص التي تتكلم عن اهتداء ومعمودية "كل البيت" (١كور١: ١٦؛ أع١١: ١٤؛ أع ١٦: ١٥، ١٦: ٣٣، ١٨: ٨؛ ١كو ١: ١٦). من المتعارف عليه أن صيغة "أهل البيت" هي كما يُظهرها القديس إغناطيوس الأنطاكي في رسالته إلى أهل إزمير: "أصافح بيوت إخوتي مع نسائهم وأولادهم" (١٣: ١)[٤٣]. أي الأب والأم من أهل البيت والأطفال من كل الأعمار. هذا يشمل أيضاً الأقارب الذين يعيشون في البيت نفسه مع جميع الخدم لأنهم ينتمون إلى أهل البيت. بما أن صيغة "أهل

---

(٤١) Joachim Jeremias: Infant Baptism in the First Four Centuries, The Westminster Press, 1960 & Kurt Aland: Did the Early Church Baptize Infants?, The Westminster Press, 1963.

(٤٢) مثلاً: مسألة رؤية الله وجهاً لوجه وعدم قابليته للمعاينة، مسألة الله الواحد بالطبيعة والثلاثي الأقانيم، مسألة التجسد والتقنيم، الخ.

(٤٣) الآباء الرسوليون: ترجمة البطريرك الياس الرابع؛ منشورات النور ١٩٧٠، ص ١٣٧. انظر أيضاً: الرسالة إلى بوليكاربوس: ٨: ٢.، ص ١٤١.

البيت" في المجتمعات القديمة تشمل جميع أهل البيت مع الأطفال من جميع الأعمار، هذا يعني أنه من غير الممكن تعميد أهل بيت أي إنسان ينضم إلى الكنيسة بدون تعميد أي طفل من أهل البيت مهما كان عمره (مثل كرنيليوس وحارس السجن في فيليبي وليديا وكريسبس رئيس المجمع واستفانوس). إن تعابير العهد القديم تؤكد هذا الاستنتاج. ففي العهد القديم صيغة "وأهل بيته" بشكل أو بآخر ودراسة هذه الصيغة أدت بالباحث ستاوفر Stauffer إلى استنتاج أنه منذ الأزمنة الأولى كانت توجد صيغة كتابية ثابتة "أهل البيت oikos" التي "لم تشر فقط إلى الأطفال بالإضافة إلى البالغين ولكن كان لها إشارة خاصة جداً للأطفال، وحتى لأصغر الأطفال الذين كانوا ربما موجودين" . من الأمثلة البارزة في العهد القديم مثلاً ١صمو ٢٢: ١٦، (راجع الآية ١٩ التي تشير إلى الأطفال والرضَّع)، وأيضاً تكوين ٤٥: ١٨ (راجع الآية ١٩). وأيضاً ١صمو ١: ٢١ (راجع بشكل خاص الآية ٢٢ التي تشير إلى رضيع غير مفطوم بعد). من هنا نرى بوضوح وبصورة خاصة مثلاً التعليمات المعطاة في شأن الختان كيف أن صيغة "أهل البيت" تؤكد أو تضع نبرة خاصة على شمل أصغر الأطفال: "كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وخُتن لحم غرلتهم"(تك ١٧: ٢٣). أي كل الأعضاء الذكور من أهل البيت وحتى الرضع الذكور من عمر ٨ أيام.

إذا عدنا إلى العهد الجديد يجب أن نتذكر أولاً أن صيغة "أهل البيت" هي صيغة مبكرة جداً في العهد الجديد وتحدث في سنة ٥٤ م من قبل بولس في ١كور ١: ١٦ وتوجد بصورة مستقلة عن بولس في لوقا وبالتالي تُعتبر هذه الصيغة صيغة ما قبل بولس. وهكذا تأتي هذه الصيغة في زمان حيث غالبية أعضاء الكنائس كانوا من المجامع. إذا فهمنا هذا نتفق مع ستاوفر بأن صيغة "أهل البيت" في العهد الجديد هي مستقاة من لغة العهد القديم الطقسية وبصورة خاصة من التعابير المتعلقة بالختان التي أُدخلت في اللغة الرسمية المستعملة في الطقس المسيحي البدئي للمعمودية، ولها شكل ومعنى الصيغة الكتابية القديمة أي إنها تشمل الأولاد الصغار بالإضافة إلى الآخرين. هذا لا يعني وجود أطفال صغار في كل حالة من حالات معمودية أهل البيت ، لكن يعني أنه: إن كان يوجد أطفال (مهما كان عمرهم) في بيت دخل فيه الوالدان في المسيحية، فإن كل الأطفال في هذا

البيت كانوا يُعمَّدون (بغض النظر عن عمرهم) مع الكبار البالغين في الوقت نفسه. وأيضاً، تعني أن بولس ولوقا لم يمكنهما بأي ظرف من الظروف استعمال أو تطبيق صيغة "أهل البيت" في كتاباتهما لو رغبا القول إن البالغين فقط هم الذين كانوا يُعمَّدون.

هذا الاستنتاج يتفق مع مفهوم العائلة كوحدة متماسكة في مجتمع العالم القديم. فالقرارات المهمة يأخذها رب العائلة وهو الرجل عادة وجميع أفراد العائلة ملتزمون بها. وخاصة بالنسبة لعلاقة العائلة بالله، كانت العائلة تتصرف كوحدة واحدة "أما أنا وأهل بيتي فنعبد الرب". لهذا كان من الطبيعي بالنسبة لعقلية العالم القديم أن يُعتبر إيمان والد أهل البيت هو العامل الحاسم في توجيه إيمان جميع أهل البيت. فإذا اعتنق رب العائلة المسيحية فالمعهود أن تتبعه العائلة. أعمال ١٦: ٣٠–٣٤ يُعطينا مثالاً موضحاً عن الدور الذي كان يلعبه والد أهل البيت عندما كانت العائلة تغيّر دينها. فمثلاً: إن حارس السجن يسأل بولس وسيلا: "يا سيديَّ، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟. فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك... الخ". فاهتداء رب البيت إلى المسيحية يعني خلاص أهل البيت وعلة الفرح لجميع أعضاء أهل البيت. الأمر نفسه في أعمال ١٦: ١٤ بحالة ليديا التي كانت أرملة وكانت هي ربة أهل بيتها ورأسه. وإذا أخذنا بعين الاعتبار تماسك العائلة نجد مع كولمان أن لوقا في ذكره لقصة ليديا واعتمادها مع أهل بيتها يشير إلى أن المهم هو تماسك العائلة في المعمودية وليس القرار الفردي لعضو واحد في العائلة هو المهم في تقرير معمودية أهل البيت. لهذا من غير المنطقي أن نتصوّر أن معمودية أهل البيت لم تكن تشمل كل أعضاء أهل البيت بما فيهم الأطفال من كل الأعمار.

نستنتج إذاً: المعمودية في الكنيسة الأولى كانت سراً أخروياً وكان يعني أن الشخص المعتمد يُختطف أو يُفرز من العالم (يُقدَّس) ويُسلَّم إلى دينونة الله الوشيكة الحدوث (أعمال ٢: ٣٨؛ كولوسي ١: ١٣) وكان يُدخَل في شركة المفتدين بعمل المسيح الخلاصي. لذلك من غير المحتمل على الإطلاق انقسام العائلات التي تنضم إلى الكنيسة بسبب الاختلاف في الأعمار بين أفرادها. لاهوتياً إن قبول فكرة كون الأطفال يُعمَّدون كأعضاء في العائلة التي تنضم إلى الكنيسة هي فكرة مهمة جداً، لأن الأطفال لم يكونوا يُعتبرون في الكنيسة الأولى كوحدات منعزلة بل كان البيت بشكل عام يُعتبر وحدة واحدة في عين الله. إيمان رب أهل البيت هو إيمان أهل البيت (إيمان الأم والأطفال).

ثانياً- معمودية الدخلاء والمعمودية المسيحية الأولى: معمودية الدخلاء إلى اليهودية هي معمودية الوثنيين الداخلين على اليهودية. بما أنه توجد تشابهات كبيرة في طقس وطريقة ممارسة معمودية الدخلاء إلى اليهودية وبين المعمودية المسيحية الأولى، لذلك من المهم أن نعرف ماذا كان يحدث للأطفال في معمودية الدخلاء. إن مناقشة تاريخ إدخال معمودية الدخلاء هو خارج نطاق هذه الدراسة، ويمكن للقارىء مراجعة كتاب جيريمايا (ص: ٢٤-٢٨). يتفق جميع الدارسين على أن تاريخ إدخال معمودية الدخلاء يعود إلى الفترة ما قبل المسيحية.

يوجد تشابه كبير بين المعموديتين خاصة من حيث استعمال الألفاظ، ففعل "يعمّد" ومشتقاته مأخوذ من اليهود المتكلمين اليونانية. أيضاً عند ممارسة المعمودية توجد تشابهات في تعليمات المعمودية. يمكن مراجعة هذه التشابهات في دراسة جيريمايا في كتابه الخاص بمعمودية الأطفال السابق الذكر. إن التشابهات بين المعموديتين هي في الألفاظ، والتعليمات المعطاة للمعتمد قبل المعمودية وبعدها، والمفهوم المتعلق بالمعمودية بحد ذاتها[٤٤]. مع وجود هذه التشابهات بين المعموديتين، يبرز السؤال فيما إذا عمّدت الكنيسة الأولى الأطفال بالإضافة إلى البالغين عند تغيير دينهم. هذه النقطة متعلقة بموضوع معمودية أطفال الدخلاء. جيريمايا أوضح أنه بالنسبة لمعمودية الأطفال في الكنيسة الأولى إن كل الدلائل تشير إلى أنه في حالة الأمم الداخلين إلى المسيحية، فإن الأطفال من كل الأعمار (بما فيهم الرضَّع) كانوا يُعمَّدون. بولس الرسول في كولوسي ٢: ١١ يؤكّد هذه النقطة. فبولس هنا يسمّي المعمودية "الختانة المسيحية" ويصفها بأنها السر المسيحي الذي يحلّ محل الختانة اليهودية ويُستَبدل بها. وفي ٢كور ١: ٢٢ (أيضاً أفسس ١: ١٣ و٤: ٣٠) فإنه ينقل صفة الختانة كـ"ختم" (رو٤: ١١) إلى المعمودية. وبما أن الختانة كانت تتم على كل الأطفال في عمر الثمانية أيام، الذين هم أعضاء في البيت الوثني الذي كان يدخل إلى اليهودية، فإن وصف المعمودية على أنها "الختانة المسيحية" يدلّ على أن الأسلوب المتبع في المعمودية كان نفسه المتّبع في الختانة، أي أن كل الأطفال من كل الأعمار كانوا يُعَّمدون عندما كان والدوهم يقبلون الإيمان المسيحي.

---

(٤٤) معمودية الدخلاء هي ولادة جديدة وبداية حياة جديدة وفيها يُعطى اسمٌ جديد للمعتمد. هذا كله نراه في المعمودية المسيحية

ثالثاً- معمودية أطفال الأهالي اليهود الداخلين إلى الكنيسة: في أعمال الرسل ٢: ٣٨- ٣٩ في عظة بطرس يوم العنصرة: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هم لكم ولأولادكم...". يناقش جيريمايا هذه الآية ويتساءل: مَن هم "الأولاد" المقصودون هنا؟ أهم أولاد الأجيال اللاحقة أم أولاد الجيل الذي كان يسمع لبطرس؟ وإذا أخذنا بعين الاعتبار توقّع الجيل المسيحي الأول لنهاية العالم بسرعة، نجد أن المقصود من "الأولاد" هنا هو أولاد الجيل الذي كان يصغي لبطرس، وبخاصة وأن الموعد المذكور في الآية ٣٩ هو الموعد المُعطى بيوئيل النبي القائل: "ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى" (يو٢: ٢٨). إذاً "الأولاد" المذكورون في عظة بطرس ليسوا أولاد الأجيال اللاحقة بل أولاد الجيل الحالي المعاصر الذي كان يصغي لبطرس. وبما أن عطية الروح القدس (٢: ٣٨) مرتبطة بالمعمودية فإن أعمال ٢: ٣٩ تدلّ بصورة غير مباشرة على معمودية الأطفال. يستنتج جيريمايا أنه في أعمال ٢: ٣٨ فما بعده لدينا شهادة على ممارسة الكنيسة الأولى لمعمودية الأطفال في الأزمنة الرسولية. ولكنه يقول: تحدّى البعض هذا الاستنتاج بالقول على الأولاد أن يكونوا بالغين أو قادرين على التوبة (المذكورة في أع ٢: ٣٨) وعلى التنبؤ (أع ٢: ١٧). يقول جيريمايا إن هذا التحديد غير محتمل لأن الخلاص من الدينونة النهائية الحادث بالمعمودية (٢: ٤٠ و٢: ٢١) يستثني أي تحديد للعمر. إذاً، أعمال ٢: ٣٨- ٣٩ تدل بصورة غير مباشرة على معمودية أطفال أهالي اليهود الداخلين إلى المسيحية.

رابعاً- معمودية أطفال الأهالي الوثنيين الداخلين إلى الكنيسة: سنرى لاحقاً أنه توجد شهادات لا يُرقى إليها شك على معمودية أطفال العائلات التي تتقبل الإيمان المسيحي. هذه الشهادات الآبائية تؤكّد النقطة الإنجيلية المتعلقة بمعمودية "أهل البيت" بكامله (كما في أعمال ١١: ١٤و ١٦: ١٥ و ١٦: ٣٣ و١٨: ٨ و١كور ١: ١٦). هذه الشهادات من الشرق والغرب تشمل هيبوليتوس الذي يذكر أن معمودية الأطفال تعود إلى عهد أقدم من عهده (حتى القرن ٢ م)، وأن العائلات كانت تُعمَّد في عيد الفصح، الأولاد أولاً بما فيهم الرضّع الذين لا يستطيعون الكلام (للإجابة على أسئلة المعمودية) ومن ثم البالغين (الذكور أولاً). وأيضاً تشمل ترتليانوس في أفريقيا في القرن الثاني الذي يذكر معمودية الأطفال وكان أولَ مَن ذكر دور العرابين واشتراكهم في طقس المعمودية.

وأخيراً كتابات كلمندس المنحولة في سوريا التي تحمل شهادة غير مباشرة على أن العائلات لم تكن تنشطر بمعمودية بعض أفرادها دون سواهم، بل كان كل أعضاء العائلة بكاملها يُعمَّدون بغض النظر عن عمرهم.

خامساً– معمودية أطفال الأهالي المسيحيين: ماذا فعلت الكنيسة الأولى عند ولادة طفل لوالدين مسيحيين؟ هل كان هذا الطفل يُعمَّد مباشرة أو كانت المعمودية تؤجَّل؟ هل كانت تُلغى؟ في دراسة هذا الموضوع يقول جيريمايا إن الممارسة كانت مختلفة في الأوساط المسيحية من أصل يهودي عنها في الأوساط المسيحية من أصل أممي، لأن الممارسة كانت مختلفة بالنسبة للختان. فالمتهوّدون الذين كانوا يطالبون المسيحيين الأممين بالختانة أولاً (غلا ٥: ٢ وأع ١٥: ١) بدون شك كانوا يختنون أطفالهم الذكور. السؤال هل كانوا يعمدّونهم بالإضافة إلى الختانة؟ هل كانوا راضين بالختانة فقط؟ كانت الأمور مختلفة في الوسط المسيحي الأممي. ففي مناطق بشارة بولس: الأولاد المولودين من زواج مسيحي لم يكونوا يُختتنون. وفي حالة أولاد الوالدين من أصل أممي فإننا نتعلّم هذا من غلا ٥: ٢، وفي حالة الأولاد من أصل مسيحي يهودي فإن هذا مؤكَّد في أعمال ٢١: ٢١. السؤال هنا هل كانت المعمودية – ختانة المسيحي كول٢: ١١ – هنا طقساً بديلاً للختانة؟ توجد أسئلة عديدة هنا وبدون شك توجد ثلاثة نصوص من العهد الجديد تلقي ضوءاً على ما كان يُمارس بخصوص المعمودية في حالة الأولاد المولودين لوالدين مسيحيين. هذه النصوص الثلاثة هي ١كور ٧: ١٤، أعمال ٢١: ٢١ ومرقس ١٠: ١٣–١٦ (وموازياته).

١– ١كور ٧: ١٤: "لأن الرجل غير المؤمن مقدَّس في المرأة، والمرأة غير المؤمنة مقدَّسة في الرجل، وإلا فأولادكم نجسون، وأما الآن فهم مقدَّسون". هذا النص يأخذنا إلى مناطق بشارة بولس. بولس هنا يتكلم عن الزواجات المختلطة ويقول إنه على الطرف المسيحي من هذا الزواج ألا يحلّ هذا الزواج (٧: ١٢–١٣). ويبرّر هذا الأمر بكلماته السابق ذكرها. يقول بولس هنا إن كان أحد الوالدين مسيحياً فهذا يقدّس كل البيت. يستنتج جيريمايا

هنا أن المقصود هو أن قداسة الأولاد لا تعتمد على المعمودية بل على الانحدار من أب مسيحي أو من أم مسيحية.

الاستنتاج الثاني لجيريمايا هو: لو كان الاستنتاج الأول صحيحاً فلا بد أن بولس وجميع مَن كان في كورنثوس كانوا يؤمنون بأن جميع الأولاد في الكنيسة والمولودين لوالدين مسيحيين هم مقدَّسون لأنهم ينحدرون من والدين مسيحيين. فما هو أصل مفهوم القداسة هذا الذي ينحرف عن استعمال بولس الاعتيادي؟ إن الإجابة عن هذا السؤال يمكن أن تُكتشف من النص بكامله (١كور٧: ١٤). كلمة "نجسون" هنا مأخوذة من تعابير الطقس اليهودي ومن لغة شعائر التطهير اللاوي. والأمر نفسه نشاهده بالنسبة لاستعمال كلمة "مقدَّسون"، وهي لغة الطقس اليهودي. فاليهودية تميّز أولاد المولودين في غير القداسة (أي قبل تحوّل أهاليهم إلى اليهودية) من جهة، والأولاد المولودين في القداسة (أي بعد التحوّل إلى اليهودية) من جهة أخرى. الأولاد غير المولودين في القداسة، أو "النجسون"، كانوا يُعمَّدون عندما كان يتحوّل والديهم إلى اليهودية. أما الأولاد المولودون لوالدين يهوديين (بعد تحوّل الوالدين إلى اليهودية) فيُعتبرون مقدَّسين أو طاهرين ولا يُعمَّدون[٤٥]. كل الأولاد المولودين بعد تحوّل أمّهم إلى اليهودية لا يحتاجون إلى معمودية الدخلاء، ووضعهم هو وضع الأولاد اليهود أنفسهم. فأي واحد يولَد "في القداسة" لم يكن يحتاج إلى معمودية الدخلاء. هذا الاستعمال للألفاظ بالنسبة للشريعة المتعلقة بالدخلاء هو ما استعمله بولس في ١كور ٧: ١٤، عندما يقول إن أولاد الوالدين المسيحيين هم غير نجسين بل مقدَّسون. هذا يذكّرنا بالقاعدة التي ذكرها بولس نفسه في رومية ١١: ١٦ عندما قال: "إن كان الأصل مقدَّساً فكذلك الأغصان".

لكن ما علاقة ما ذُكر بمعمودية أولاد الزواجات المسيحية؟ في البداية يبدو أمراً مُقنعاً الاستنتاج أنه إذا كان أولاد اليهود المولودون في القداسة لم يكونوا يُعمدون فيجب أن نفترض أن الكنيسة المسيحية لم تعمّد أيضاً أولاد الوالدين المسيحيين. في هذه الحالة فإن الأولاد المولودين قبل انضمام أهاليهم إلى الكنيسة كانوا يُعمَّدون، أما الأولاد المولودون

(٤٥) هذا نعرفه من السؤال الذي أُثير عما يجب فعله في الحالة الحدودية التي تفترض أن حاملاً أممية قد تحوّلت إلى اليهودية. هل كان يُعتبر المولود منها مقدَّساً أم نجساً. الجواب هو أن الولادة كانت اللحظة الحاسمة، وليس وقت الحبل.

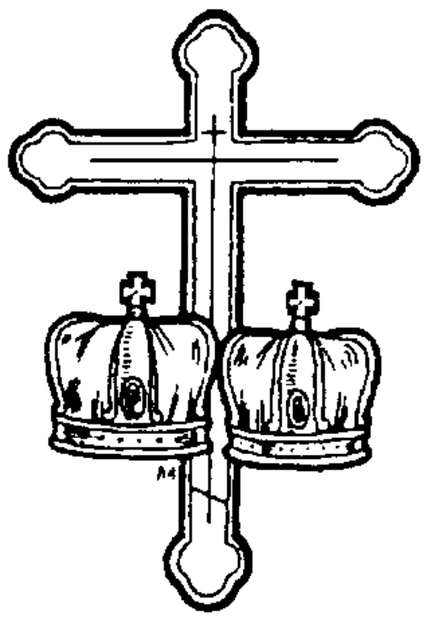

بعد انضمام أهاليهم إلى الكنيسة فلم يُعمَّدوا لأنهم كانوا مولودين في القداسة. ولكن هذا الرأي تحّداه جيريمايا لأنه يرى أنه يغض النظر عن الحقيقة المهمة أنه في اليهودية كل الذكور، سواء أكانوا مولودين "في القداسة" أم لا، كانوا يُختَنون في اليوم الثامن. وبما أن كولوسي ٢: ١١ تذكر أنه في الكنيسة المسيحية كانت المعمودية هي الطقس الذي حلّ محل الختانة اليهودية، فيجب أن نستنتج أن الأولاد المذكورين في ١كور ٧: ١٤ كانوا مقدَّسين منذ ولادتهم
ولكن هذه القداسة لم تكن تحول دون تعميدهم. حتى في حالة وجود طرف غير مؤمن في حالة الزواجات المختلطة، فإن حقيقة كونه جُعل مقدَّساً بزواجه من إمرأة مسيحية لم تلغِ الحاجة إلى أن يصير مسيحياً وأن يُعمَّد. لهذا يقول جيريما يجب بالتالي أن نكون مقتنعين باستنتاج أن ١كور٧: ١٤ لا تحمل أية إشارة إلى المعمودية، وأنه من المحتمل جداً أن يكون قول بولس "وأما الآن فهم مقدَّسون" لا يستثني معمودية الأولاد في اليوم الثامن بدل الختان، كما أن قوله إن الرجل غير المؤمن مقدَّس في المرأة لا يستثني حاجة هذا الرجل إلى اهتدائه إلى المسيحية ومعموديته.

٢- "وقد أُخبر عنك أنك تعلّم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً: أن لا يختتنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد" (أعمال ٢١: ٢١). هذا هو النص الثاني الذي قد يعطينا معلومات عن كيفية تعامل الكنيسة الأولى مع الأولاد المولودين في الزواجات المسيحية، ويأخذنا إلى أورشليم. فيوم وصوله في عيد الفصح العام ٥٥، يُخبر بولس بوجود شكوك كبيرة قد نمت بين المسيحيين من أصل يهودي في أورشليم والذين يحفظون الناموس بسبب أنه قد نُقل بأن بولس يحرّم على الوالدين المسيحيين من أصل يهودي أن يختتنوا أولادهم بعد ولادتهم. من هذا النص نتعلّم أنه في سنة ٥٥ م كان الرضع الذكور المولودون في كنيسة أورشليم يُختتنون. هل كانوا يُعمَّدون أيضاً؟ وفي الوقت نفسه نتعلّم من أعمال ٢١: ٢١ أنه في مناطق بشارة بولس إن جميع الوالدين من أصل أممي لم يختتنوا أولادهم في اليوم الثامن. وبما أن بولس قد جعل المعمودية الطقسَ الذي يحلّ محل الختان كما في كولوسي ٢: ١١ فمن المحتمل جداً أن هؤلاء الأطفال كانوا يُعمَّدون.

٣- "وقدّموا إليه أطفالاً لكي يلمسهم. وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدّموهم. فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم: دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحق أقول

لكم، مَن لا يقبل ملكوت الله مثل طفلٍ فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم" (مرقس ١٠: ١٣– ١٦).

الاستنتاج السابق يدعمه النص الحالي وهو بركة الأطفال من قبل يسوع[٤٦]. القصة بحد ذاتها لا علاقة لها بالمعمودية، ولكنها قصة "قبل أسرارية". وهي تصف حادثة خلال بشارة يسوع لا بد أنها حدثت عشية يوم الغفران. فقد كان الأهالي يجلبون أولادهم إلى يسوع كي يلمسهم (مر ١٠: ١٣). لكن ماذا كان الدافع الذي دعا الأهالي كي يطلبوا هذا الطلب من يسوع؟ وما كان معناه؟ نرى الجواب في التلمود البابلي الذي يُطلعنا عليه البروفسور جيريمايا: كانت توجد عادة في أورشليم تحثّ الأطفال الذين بلغوا السنة من عمرهم أو تعدّوها على الصوم يوم الغفران، ومن ثم يُحضر الأطفال إلى الشيوخ (الكتبة) للبركة والحض الخ. رغم أن الأطفال لم يحتاجوا للصوم يوم الغفران إلا أنهم كانوا يُدفعون للصوم في العائلات التقية. هنا يأتي بعض الأهالي بأطفالهم إلى يسوع. انتهرهم التلاميذ لأنهم رفضوا معاملة يسوع على مستوى الكتبة. امتعاض يسوع من هذا كان عظيماً. يقول جيريمايا إن كل حادثة في الأناجيل الإزائية ذات بعد تاريخي مزدوج. الأول هو الوضع الواقعي الفريد في حياة يسوع، والثاني هو بشارة الكنيسة الأولى وتعليمها. السؤال هنا: لماذا سلّمت الكنيسة الأولى هذه القصة، وماذا رأت فيها من ضرورة وفائدة؟ الجواب الظاهري الذي يمكن أن يُقال هنا هو أن الكنيسة رأت أن تُظهر كيف كان يسوع ينظر إلى الزواج والأولاد والمقتنيات. يقول جيريمايا إنه بالإضافة إلى حضّ الكنيسة للأهالي على إحضار أولادهم إلى يسوع لنيل البركة، فإن الكنيسة قد رأت في هذه القصة أمراً بإحضار الأولاد إلى يسوع في المعمودية. أول مكان يظهر فيه هذا النص في الأدب المسيحي الأول هو في ترتليانوس[٤٧] (حوالي سنة ٢٠٠). هذا الموضع يُظهر أن كلمات يسوع السابقة قد فُهمت بصورة عامة على أنها فرضٌ بمعمودية الأطفال. وحتى ترتليانوس الذي كان يعارض العمر المبكر جداً للمعمودية فإنه رغم ذلك لم يحاول أن يهرب من هذا التفسير لهذا النص الذي يقول إنه

---

(٤٦) راجع أيضاً: متى ١٩: ١٣– ١٥، لو ١٨: ١٥– ١٧.

(٤٧) De Baptismo 18: 5

يعني المعمودية. وأيضاً "الفرائض الرسولية" تبني ادعاءها أنه على الأولاد الصغار أن يُعمَّدوا على كلمات "ولا تمنعوهم". إن تطبيق هذا النص المتعلق ببركة الأولاد على المعمودية لم يتم أولاً في نهاية القرن الثاني ولكن قبل ذلك. جيريمايا يُظهر – في مناقشة استعمال هذا النص الإنجيلي في كتابات الآباء الأولين وعلاقته بالمعمودية – كيف أن الكنيسة الأولى قد استعملت هذا النص كفرض على تعميد الأطفال. باختصار: يمكن القول إن صيغة مرقس ١٠: ١٣–١٦ تحتوي في أماكن عديدة على إشارات غير مباشرة إلى المعمودية. هذا يدل على أن نص بركة الأولاد كان أمراً هاماً بالنسبة للكنيسة الأولى وليس فقط بالنسبة للاعتبارات الأخرى ولكن بسبب أن الكنيسة الأولى قد أخذت هذا النص واستعملته على أنه فرض وسلطان لممارسة معمودية الأطفال. يستنتج جيريمايا أنه في وقت كتابة إنجيل مرقس كان أطفال الأهالي المسيحيين يُعمَّدون. أما تعميد الأطفال فكان يُنظر إليه على أنه اقتداء بيسوع وطاعة لأمره وكلماته "دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله".

العهد القديم:

من المفيد أولاً أن ننظر إلى العهد القديم لمعرفة كيف كان الأطفال ينضّمون إلى شعب الله. كانت أبرز علامة على العهد بين الله وشعبه هي الختان. فالله نفسه أمر بختان كل طفل ذكر عمره ثمانية أيام (تك١٧: ١٢). بالطبع لم يكن طفل الثمانية أيام هذا يُسأل عمَّا إذا كان يريد الانضمام إلى شعب الله، بل كان إيمان الوالدين هو شرط ختانة الطفل وانضمامه. من جهة أخرى، من السهل ملاحظة العلاقة بين الختان من جهة والمعمودية المسيحية من جهة أخرى.

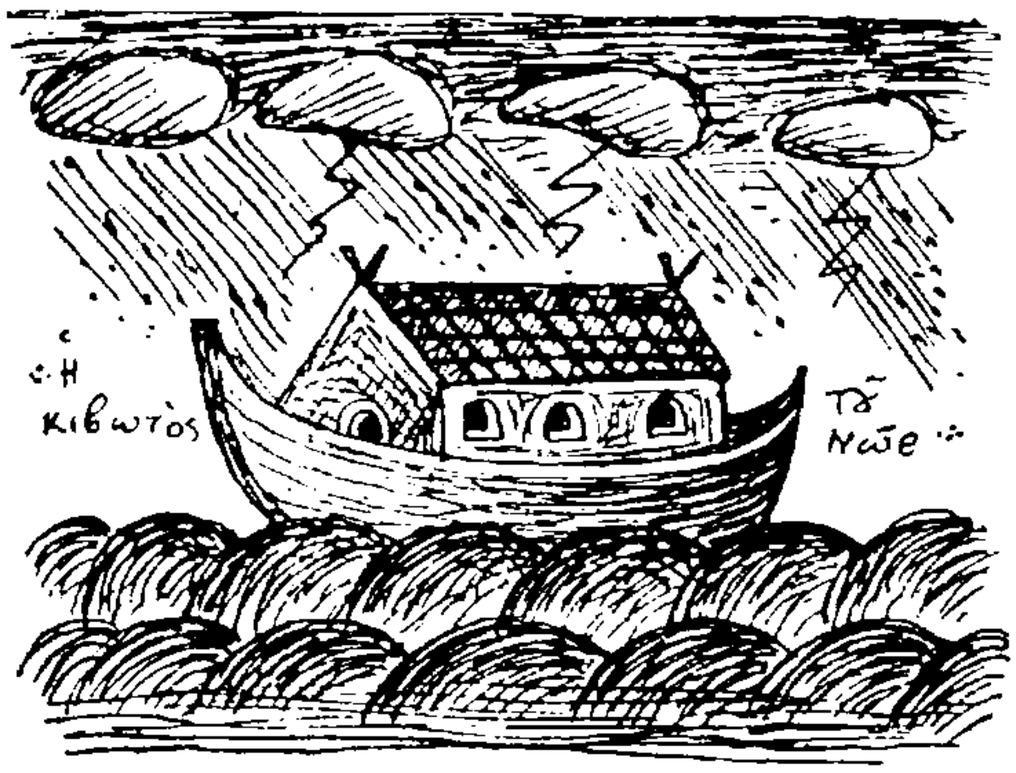

فالقديس بولس الرسول يقول: "وبه (بالمسيح) أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوعٍ بيدٍ بخلع جسم (خطايا) البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه" (كول٢: ١١–١٢). إذاً، بالنسبة للمسيحي، إن المعمودية هي تحقيق ختان العهد القديم. فالله في العهد القديم كان يضمّ جميع اليهود بما فيهم الأطفال إلى العهد. يقول الكتاب في العبرانيين عند هروبهم من مصر نحو صحراء سيناء: "جميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر" (١كور١٠: ٢). بالطبع "جميعهم" تشمل الأطفال أيضاً، الذين حتى ولو لم يستطيعوا اتخاذ أي قرار إيماني، إلا أنهم كانوا مشمولين بعهد الله مع شعبه. إذاً: البالغون والأطفال كانوا مشمولين بالمعمودية في السحابة وفي البحر وذلك برحمة الله. يقول العهد الجديد: "فإني لستُ أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً ، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (١كور١٠: ١–٤). من رموز الخلاص الأخرى في العهد القديم والتي كانت تشمل العائلة كلها هي فلك نوح. فالرب قال لنوح: "ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك" (تك٧: ١). الرسول بطرس يشير إلى فلك نوح قائلاً: ".. إذ كان الفلك يُبنى الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء. الذي مثاله يخلّصنا نحن الآن أي المعمودية" (١بطر٣: ٢٠–٢١). أيضاً، لا يمكن تصوّر استثناء الأطفال من فلك نوح وتركهم يهلكون بالطوفان فقط لأنهم أطفال غير قادرين على فهم ما يحصل.

العهد الجديد:

معظم هذه الاقتباسات مذكورة سابقاً. يقول القديس بطرس في عظته يوم العنصرة المجيدة: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس، لأن الموعد هم لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعدٍ كل مَن يدعوه الرب إلهنا" (أع٢: ٣٨–٣٩). يسوع علّم تلاميذه أن للأطفال الفرصة نفسها التي للبالغين لدخول ملكوت السموات: "دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات. الحق أقول لكم" مَن لا يقبل ملكوت الله مثل طفلٍ فلن يدخله" (لو١٨: ١٦–١٧). لم يوجد أي عمر معين يجب بلوغه لدخول ملكوت السموات.

هكذا فهمت الكنيسة وهكذا مارست معمودية الأطفال. لهذا كانت الكنيسة تعمّد "أهل بيت" الذين يؤمنون بالمسيح بما فيهم الأطفال. بالطبع لم يُذكر الأطفال بصورة خاصة في هذه المعموديات، لأن الأطفال جزء لا يتجزأ من العائلة، حجر الزاوية في المجتمع الشرقي. من هذه الأمثلة:

"هو يكلّمك كلاماً به تخلص أنت وكل بيتك" (أع ١١: ١٤)، "فلما اعتمدت (ليدية) هي وأهل بيتها" (أع ١٦: ١٥)، "فأخذهما الحارس في تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجراحات واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون" (أع ١٦: ٣٣)، "وكريسبس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع أهل بيته.." (أع ١٨: ٨)، "وعمّدتُ أيضاً بيت استفانوس" ١كور ١: ١٦).

توجد نقاط أخرى متعلقة بالعهدين سأذكرها لاحقاً عند مناقشة الموضوع لاهوتياً. من جهة أخرى لا يمكن لدارس موضوع معمودية الأطفال أن يتجاهل إيمان الكنيسة الأولى الرسولية وممارستها وتقليدها ولاهوتها فيما يخص معمودية الأطفال (أسوة ببقية المواضيع). لهذا لا بد من ذكر ممارسة الكنيسة الأولى لهذه المعمودية وذلك في القرون الثلاثة الأولى للمسيحية، أما بعد ذلك فالشواهد الآبائية الكنسية والتاريخية أكثر مما يسع المجال هنا لذكرها.

تطوّر معمودية الأطفال حتى نهاية القرن الثالث:

آسيا الصغرى: أولى المعلومات المتعلقة بمعمودية الأطفال خارج العهد الجديد تأتي من آسيا الصغرى. وهي غير مباشرة. أقدمها تعود إلى العهد الرسولي، ربما إلى زمن كتابة إنجيلي متّى ولوقا.

في قصة استشهاد **القديس بوليكاربوس**، أسقف إزمير، نجد أن مضطهدي هذا القديس قد تحدّوه أن يشتم المسيح فقال لهم: "لقد خدمته طوال ٨٦ سنة، ولم يُخطىء إليّ قط. فكيف أجدّف على ملكي الذي خلّصني؟". أستشهد هذا القديس بين الأعوام ١٦٧–١٦٨. لهذا فولادته كانت تقريباً حوالي العام ٨٠ م. إذا كان بوليكاربوس قد خدم المسيح ٨٦ سنة قبيل استشهاده فهذا يعني أن معموديته كانت حوالي العام ٨١–٨٢ (كان عمره ١–٢ سنة). إذاً، لدينا هنا في قصة استشهاد بوليكاربوس (٩: ٣) تأكيداً غير

مباشر على أن ممارسة معمودية الأطفال كانت موجودة قبل العام ٨٠ م[٤٨]. أيضاً توجد شهادات أخرى لمسيحيين قد صرّحوا بأنهم خدموا الرب منذ شبابهم. هكذا تدل الشهادات من آسيا الصغرى (وهي غير مباشرة) على أن الكنيسة الأولى كانت تمارس معمودية الأطفال من قبل العام ٨٠ م.

مصر: شهادة **العلاّمة أوريجنس** من أقوى الشهادات. فهو يذكر ثلاث مرات على أن معمودية الأطفال هي عادة الكنيسة. في مواعظه على لوقا (١٤ على ٢: ٢٢) يقول: "لهذا يُعمَّد الأطفال أيضاً". والمواعظ على اللاويين (٨: ٣ على ١٢: ٢) يقول: تُمنح المعمودية "بحسب عادة الكنيسة، للرضّع أيضاً". وفي شرحه لرسالة رومية (٥: ٩ على ٦: ٥–٧) يقول: "لهذا السبب أيضاً، استلمت الكنيسة من الرسل تقليد تعميد الرضّع أيضاً". يوجد نصٌ رابع أيضاً لأوريجنس يذكر فيه معمودية الأطفال أيضاً. هذه النصوص قد كُتبت بين ٢٣٣–٢٥١ م، مما يدلّ على أن معمودية الأطفال كانت عادة منذ أيام الرسل.

بالإضافة إلى أوريجنس، توجد **مومياء لطفلة مصرية** في المتحف البريطاني، يعود تاريخها إلى أيام أوريجنس. في يدها البسرى تحمل الطفلة زهرة لوتس، رمز القيامة، وفي يدها اليمنى تحمل صليباً. عمر الطفلة تقريباً كان ٤ سنوات أو أقل. علم المصريات أكّد للعالم جيريمايا (الذي شاهد المومياء بنفسه) أن الصليب كان إشارة مسيحية لا مصرية وثنية، وأن المومياءات الوثنية كانت تحمل في يدها اليمنى رمز الحياة. هذه المومياء (التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي) تدل على أن وجود طفلة مصرية ماتت في الرابعة من عمرها أو أقل كانت تحمل في يدها اليمنى صليباً مما يدل على معموديتها قبل موتها.

فلسطين: شهادات أوريجنس الأربعة الشهيرة على أن معمودية الأطفال كانت عادة متأسّسة في الكنيسة، قد كُتبت في فلسطين.

سوريا: أوريجنس يذكر أن معمودية الأطفال كانت الممارسة العامة للكنيسة في سوريا الغربية، وشهادته ذات أهمية كبيرة جداً، لأنه وُلد لعائلة مصرية وعاش أولاً في الإسكندرية، ومن ثم في فلسطين (قيصرية)، وزار سوريا واليونان وروما وكبادوكية، وبالتالي ما كان ليذكر أن عادة الكنيسة ecclesiae observantia كانت أن تعمّد

(٤٨) راجع المناقشة المفصّلة في كتاب جيريمايا، الفصل الثالث.

الأطفال لو كانت هذه الممارسة انحرافاً عن الإجماع الكنسي في كل مكان[٤٩]. وتوجد وثائق أخرى[٥٠] تذكر معمودية الأطفال في حالة تحوّل العائلات الوثنية إلى المسيحية، وتعود هذه الوثائق إلى ٢٢٠–٢٣٠ م. أول برهان مباشر على ممارسة معمودية الأطفال في سوريا يعطيه Asterius the Sophist (مات بعد ٣٤١ م)، والدساتير الرسولية (٣٧٠–٣٨٠).

اليونان: توجد إشارة غير مباشرة إلى معمودية الأطفال تعود إلى ١١٧–١٣٨ م.

إيطاليا وفرنسا: القديس يوستينيانوس الشهيد يذكر رجالاً ونساء قد تعمَّدوا منذ طفولتهم في ما بين ٨٠–٩٥ م. القديس إيريناوس أسقف ليون (وُلد بين ١٣٠–١٤٠) يشهد لمعمودية الأطفال على أنها كانت "الممارسة الراسخة للكنيسة" ويكتب مباشرة بعيد ١٨٠: "لأن (يسوع) قد أتى ليخلّص جميعهم بنفسه: أقول، كل أولئك الذين وُلدوا ثانية به لله، الرضّع، صغار الأطفال، الصبيان، الناضجون والكبار سنّاً"[٥١]. هيبوليتوس في كتابه "التقليد الرسولي" المكتوب العام ٢١٥ تقريباً، (لكن مواده هي أقدم) يذكر طقس معمودية الأطفال والبالغين، معلِّماً أنه على المرء أن يعمّد أولاً الصغار. إن كانوا يستطيعون الكلام عن أنفسهم، فليفعلوا هكذا، وإلا على والديهم أو أقاربهم التكلم نيابة عنهم.

أفريقيا: لم يبدأ تاريخ كنيسة شمال أفريقيا قبل العام ١٨٠ مع أن بدايات المسيحية في أفريقيا كانت أبكر من هذا. مع ترتليانوس نرى ظاهرة جديدة لأول مرة ألا وهي تأجيل الانضمام للكنيسة بسبب الاعتقاد بأنه يمكن للمرء أن يُخطىء حتى معموديته (عند الانضمام للكنيسة). ترتليانوس عارض هذا الميل. وفي كتابه "المعمودية" (المكتوب

---

(٤٩) "هل يمكن للطفل الذي ولد للتو أن يرتكب خطيئة؟ ومع ذلك فله خطيئة هي التي أُمر أن يُقدَّم عنها ذبيحة بحسب ما يظهر أيوب ١٤: ٤ ومز ٥١: ٥–٧. لهذا السبب استلمت الكنيسة من الرسل تقليد القيام بمعمودية الأطفال أيضاً. لأن الناس الذين لهم قد عُهد بخفايا الأسرار الإلهية يعرفون أنه في كل واحد توجد نجاسات خاطئة أصلية، لابد أن تُغسل بالماء والروح" (على رسالة رومية ٥: ١٩). وكتب أوريجنس بصورة خاصة أكثر عن معمودية الأطفال: "يُعمد الرضّع لغفران الخطايا. أية خطايا؟ متى أخطأوا؟ بالحقيقة، أبداً بالطبع. ومع ذلك: 'مَن يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد' (أيوب ١٤: ٤). لكن النجاسة قد أُقصيت بسر المعمودية فقط. لهذا السبب يُعمد الرضّع أيضاً". (الموعظة على لوقا ١٥).

(٥٠) مثلاً: *Pseudo-Clementines* وأيضاً توجد إشارتان عن معمودية الأطفال في رسائل يوحنا الناسك السوري (بداية القرن الخامس).

(٥١) ضد الهراطقة: ٢: ٢٢: ٤

٢٠٠–٢٠٦) كان ينصح بتأجيل المعمودية في حالات خاصة لأسباب مختلفة عما ذُكر، كما في حالات الأطفال والبالغين غير المتزوجين. اعترف ترتليانوس بأن كلام الرب: "دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم" (متى ١٩: ١٤) كان يعني أمراً ليسوع بتعميد الأطفال، إلا أن شكوكاً كانت تراوده بخصوص الأعمار المبكرة جداً. فمعمودية الأطفال الصغار جداً، إلا بحالة الضرورات (المرض الشديد والاحتضار)، كانت تُلقي بالعبء الكبير على كاهل العرّابين الذين قد يموتون بدون أن يلبّوا مسؤولياتهم المطلوبة. جيريمايا يناقش نصيحة ترتليانوس هذه بأن كتاب هذا الأخير De Baptismo قد كُتب تلبية لمناسبة خاصة تتعلّق بالموعوظين في قرطاجة، مما يعني بأن ترتليانوس كان بشكل عام يقصد (في كتابه) معمودية المهتدين إلى المسيحية[٥٢]. فترتليانوس لم يكن يقصد عدم شرعية معمودية الأطفال الصغار بل ملاءمة هذه المعمودية في الحالات الخاصة المذكورة. هذا واضح من أن ترتليانوس كان يحضّ على تعميد الأطفال المحتضرين وعلى تعميد الأطفال المولودين لأهالٍ مسيحيين. النقطة المهمة هنا والمتعلقة بموضوعنا (معمودية الأطفال في الكنيسة الأولى) هي: من شهادة وتحفظات ترتليانوس نستنتج أن معمودية صغار أطفال الوثنيين المهتدين إلى المسيحية ووجود عرّابين لهم كانا ممارسة راسخة سلفاً في الكنيسة الأولى. هذا أيضاً يلقي الضوء على دور العرّابين وعلى مسؤوليتهم وعلى طقس معمودية الأطفال. أيضاً من أفريقيا توجد شهادة هامة جداً عن معمودية الأطفال آتية من مجمع عُقد في قرطاجة العام ٢٥١ أو ٢٥٣ (اشترك به ٦٧ أسقفاً يمثّلون المسيحية في أفريقيا) الذي أوصى بعدم تأخير معمودية الأطفال حتى اليوم الثامن (كالختانة) بل أوصى بتعميد الأطفال بعيد ولادتهم (وعمرهم ٢–٣ أيام). كبريانوس أسقف قرطاجة يذكر أيضاً في إحدى أعماله (العام ٢٥١) أنه كان من المعتاد أن يُقدَّم الأطفال الصغار للمناولة مما يدلّ على أنهم كانوا سلفاً معمَّدين. ويكتب هذا القديس نيابة عن مجمع كنسي إلى شخص اسمه فيدوس، الذي أرسل إلى القديس رسالة يقول فيها على معمودية الأطفال أن تؤجَّل حتى تتم الختانة في اليوم

(٥٢) راجع المناقشة مفصلّة في كتاب Jeremias السابق الذكر.

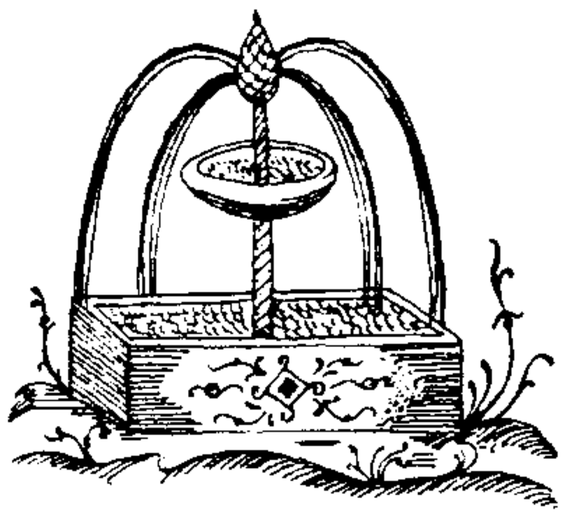

الثامن. فيجيب القديس: "لهذا إذاً، يا أخي العزيز، هذا كان رأينا في المجمع، أنه يجب ألا يُعاق أي واحد عن المعمودية وعن نعمة الله، الذي هو رحيم ورؤوف ومحب للجميع. وبما أنه يجب أن يُحافظ عليها بالنسبة للجميع، فإننا نعتقد أنه يجب أن تُطبَّق أكثر بالنسبة للرضَّع والمولودين حديثاً، الذين بحسب هذا يستحقون أكثر من سواهم مساعدتنا والرحمة الإلهية" (الرسالة ١٨).

مما سبق نستنتج: من شهادات الشرق والغرب أن معمودية الأطفال كانت ممارسَة راسخة ومتوطدة وقديمة في الكنيسة منذ القرن الثاني ويتفق الجميع أن هذه الممارسة تعود إلى الأزمنة الرسولية الأولى. ولم توجد أية إشارات أو أدلة كنسية أو تاريخية تشير إلى وجوب تأجيل معمودية الأطفال المولودين من والدين مسيحيين. بل على العكس، نجد أن الشرق والغرب متفقان بالإجماع على أن تحديد عمر المعمودية بفترة الرضاعة (إيريناوس)، وبصورة خاصة أكثر في الأيام الأولى بعد الولادة (أوريجنس وكبريانوس). والمنقوشات التي بدأت في الغرب في السنة ٢٠٠ تؤكّد ما أكدته المصادر الأدبية.

براهين من شواهد القبور على معمودية الأطفال:

يذكر جيريمايا عدة أمثلة من شواهد قبور أطفال معمَّدين مما يدل على معمودية الأطفال في القرون الأولى المسيحية[٥٣]. من هذه شاهدة من القرن الثالث الميلادي لحالة طفل عمره حوالي ٢١ شهراً قد عُمِّد معمودية اسعافية قبل وفاته لهذا "رقد كمؤمن". وقد طلبت معموديته جدّته مما يدل على أنه من والدين وثنيين. يذكر جيريمايا أيضاً شاهدةً لطفل اسمه زوسيموس مات وعمره سنتين ويعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي. وتدل الشاهدة على أن الطفل كان معمَّداً. وتوجد شاهدة أخرى تعطينا معلومات عن دين الوالدين لثلاثة أطفال عمرهم ١٢ سنة توفوا وهم معمَّدون. الشرق والغرب متفقان على أن معمودية الأطفال كانت شائعة وقيد الممارسة في القرن الثاني الميلادي وأن الأولاد كانوا يُعمَّدون وهم رضّع، وربما في الأيام الأولى من عمرهم، إذ اُستبدلت بعادة الختان المعمودية المسيحية والتي كانت تتم في العمر نفسه تقريباً، وكان تأخير معمودية

(٥٣) لا توجد شواهد لقبور مسيحية قبل السنة ٢٠٠ م. عندما بدأ عصر الشواهد المسيحية في بدايات القرن الثالث الميلادي، نجد شواهد لقبور أطفال مسيحيين معمَّدين.

الأطفال المسيحيين غير معروفٍ في الكنيسة الأولى بحسب جيريمايا. ولا توجد حالة مذكورة عن رقاد أطفال لأهالٍ مسيحيين بدون معمودية قبل السنة ٣٢٩–٣٣٠. في القرن الثالث الميلادي توجد عدة رموز وإشارات في نقوش الشواهد لأطفال صغار تساعدنا على الاستنتاج أننا نتعامل مع قبور أطفال معمَّدين. أيضاً، يذكر جيريمايا شاهدة لقبر طفل عمره سنة وقد مات وهو "عبد الله" أي معمَّد. تعود هذه الشاهدة للسنة ٢٠٠ م. وتوجد شاهدة لقبر رضيع اسمه كيرياكوس، ويُدعى "عبد المسيح" وقيل إنه طفل "قديس" مما يدل على معموديته، ويعود إلى القرن ٣ م. أيضاً، يوجد جزء من نقش قبر يذكر صراحة المعمودية ويعود للقرن ٣ م، وهو يخص طفلاً رقد بعمر مبكر جداً. أيضاً، يوجد نقش آخر "لرضيع بريء" اسمه ديونيسيوس وُصف بأنه معمَّد بعبارة "هنا يرقد مع القديسين". أيضاً يذكر البروفسور جيريمايا عدة أمثلة من شواهد أطفال معمَّدين في أعمار مختلفة (من عمر سنة فما فوق) ماتوا بعد معموديتهم. معظم هذه النقوش تعود للقرن الثالث الميلادي. بعض هذه النقوش تدل على معمودية إسعافية أو ملحّة بسبب احتضار الطفل. بما أن المصادر الآبائية من القرن الثالث، خاصة أوريجنس وكبريانوس، تشير إلى أن أطفال الأهالي المسيحيين كانوا يُعمَّدون في عمر مبكر ولم يكن يُسمح بأي تأجيل في معمودية أطفال الأهالي المسيحيين إلا بعد العام ٣٢٩–٣٣٠، لهذا نستنتج أن جميع حالات المعمودية الإسعافبة الملحّة والتي ذُكرت في بعض هذه النقوش، إنما تعود إلى أطفال أهالي غير مسيحيين.

في القرن الرابع فما بعد صارت معمودية الأطفال أمراً شائعاً في الكنيسة الجامعة، والأمثلة الآبائية والتاريخية على هذا كثيرة جداً، ولا يتسع المجال هنا لذكرها.

يستنتج جيرمايا في نهاية كتابه، أنه بعد الفحص الكامل للمصادر يصبح من الواضح أنه في القرون الأولى المسيحية كان يوجد لاهوتيان اثنان فقط قد نصحا بتأجيل معمودية الأطفال، وذلك ضمن تحفظات معينة، هذان هما ترتليانوس والقديس غريغوريوس اللاهوتي. ترتليانوس نصح بتأجيل معمودية أطفال الأهالي الوثنيين فقط (إلا في حالات الإسعاف). بينما القديس غريغوريوس اللاهوتي نصح بتأجيل المعمودية حتى ٣ سنوات من العمر. لكن يجب ملاحظة أن أياً من هذين اللاهوتيين لم ينصح بتأجيل معمودية الأطفال لأسباب لاهوتية.

إذاً يستنتج جيريمايا أنه في الكنيسة من أصل أممي كان الأطفال المولودون لأهالٍ مسيحيين يُعمَّدون منذ القرن الأول الميلادي. الأدلة التي يوردها البروفسور جيريمايا يمكن تلخيصها على الشكل التالي:

١– لم نسمع في تاريخ الكنيسة الأولى بوجود نوعين من المسيحيين: معمَّدين وغير معمَّدين، ولو كانت المعمودية قد مُنعت عن الأطفال المولودين لأهالي مسيحيين فإنه سيكون لدينا لاحقاً خليطٌ من المسيحيين معمَّدين وغير معمَّدين يعيشون جنباً إلى جنب. هذا بالطبع لم يحدث و لم يكن موجوداً.

٢– ليس لدينا معلومات عن إدخال أية ممارسة منحرفة عن الممارسة السابقة (أي عن معمودية الأطفال). وبشكل خصوصي لا نجد أبداً في أدب الكنيسة الأولى أية مناقشات في مسألة فيما إذا كان يجب تعميد أطفال الأهالي المسيحيين أم لا. فلو كانت عادة معمودية الأطفال متأخرة حتى القرن الثاني أو ما بعده، لكان لدينا على الأقل أثرٌ في الأدب المسيحي عن إدخال عادة جديدة ظهرت لأول مرة لاحقاً وهي عادة معمودية الأطفال، وبالطبع هذا لم يحدث.

٣– لم يوجَد أي طقس خاص بمعمودية الأطفال لاحقاً. هذا يعني أن معمودية أطفال الأهالي المسيحيين كانت ممارسة شائعة جداً في الكنيسة الأولى. فلو كانت هذه الممارسة لم تُدخل إلا في زمن متأخر بعد تطور طقس معمودية البالغين بصورة كبيرة فإن الكنيسة بذلك الوقت لكانت قد اضطرت على استحداث طقس خاص بمعمودية الأطفال، وهذا لم يحدث.

٤– لا يظهر في أي مكان في الأدب المسيحي المبكر أن عادة معمودية الأطفال لم تكن عادة الكنيسة الرسولية الجامعة، أو أنها كانت عادة طائفة أو فئة كنسية منشقّة. ولكن ما أمامنا من أدلة وبيانات هو بالحري استعمال من استعمالات الكنيسة والتي كانت منتشرة بصورة شائعة في كل مكان في الكنيسة الجامعة. يشهد على هذا الإجماع على معمودية الأطفال يشهد له حتى ترتليانوس الذي كان يفضّل تأجيل معمودية أطفال الأهالي الوثنيين ولكنه لم ينصح أبداً بتأجيل معمودية أطفال الأهالي المسيحيين.

إذاً، نستنتج أن الشرق والغرب يتفقان على أن معمودية الأطفال تعود إلى الأزمنة الرسولية وإلى التقليد الرسولي.

مناقشة لاهوتية:

من السؤال السابق تعرّفنا على معاني المعمودية ولاهوتها في العهد الجديد أولاً ولدى الكنيسة الأولى (الواحدة الجامعة القدوسة الرسولية) ثانياً. وكما ذكرنا في بداية هذا البحث فإن الخلاف في موقف الكثيرين تجاه معمودية الأطفال مردّه إلى خلافهم في مفهوم المعمودية ولاهوتها فيما بينهم. وحتى لا نكرّر ما سبق ذكره من معاني المعمودية ولاهوتها، سنذكر هنا فقط النقاط المتعلقة بمعمودية الأطفال.

الروح القدس يحلّ على الأجنّة والأطفال: دعا الله أشعيا من بطن أمّه (أشع٤٩: ١–٢). قدّس الله إرميا وأقامه نبيّاً قبل خروجه من بطن أمه (إرم١: ٤–٦). يوحنا المعمدان امتلأ من الروح القدس وارتكض ابتهاجاً وهو بعد جنين في بطن أمه (لو١: ١٥ و ٤١ و٤٤). صموئيل تنبّأ وهو بعد طفلٌ (١ صمو ١–٣). إن كان الروح القدس له المجد قد حلّ ويحلّ على الأجنّة والأطفال وهم بعد قاصرون غير واعين، ويباركهم ويقدّسهم ويكرّسهم، فهل يعجز عن الحلول على الأطفال أثناء تعميدهم؟ على العكس تماماً، إن معمودية الأطفال لاهوتياً هي امتدادٌ لحلول الروح القدس على الأطفال في كل الأعمار.

الرب يسوع يبارك الأطفال: يسوع شفى غلام قائد المائة (متى ٨: ٥– ١٣)، وأقام ابنة رئيس المجمع من الأموات (متى ٩: ١٨–٢٦)، وشفى ابنة الفينيقية (متى ١٥: ٢٢–٢٨)، الخ. هذه الحوادث وسواها تُظهر لنا أموراً مهمة بما يتعلّق بموضوعنا. أولاً: لم يكن عمر الطفل أو الطفلة حاجزاً أو مانعاً لقبول نعمة المسيح. ثانياً: لم يكن للطفل (أو الطفلة) أي دور في قبول نعمة المسيح و لم يوجد وعيٌ من جهته ليقرّر فيما إذا كان سيقبل نعمة المسيح أم لا. ثالثاً: الرب يسوع شفى الطفل (أو الطفلة) بناء على طلب أحد أفراد عائلته أو المقرَّبين منه والذي أبدى إيماناً بالرب يسوع وبقدرته على الشفاء. إذاً، هنا أيضاً نجد أن لاهوت معمودية الأطفال هو لاهوت كتابي، بينما مَن ينكر صحّة هذه المعمودية فإنما يطعن بالكتاب المقدس نفسه عن جهل أو عن معرفة. ودور العرّابين في معمودية الأطفال إنما هو أمر كتابي أيضاً.

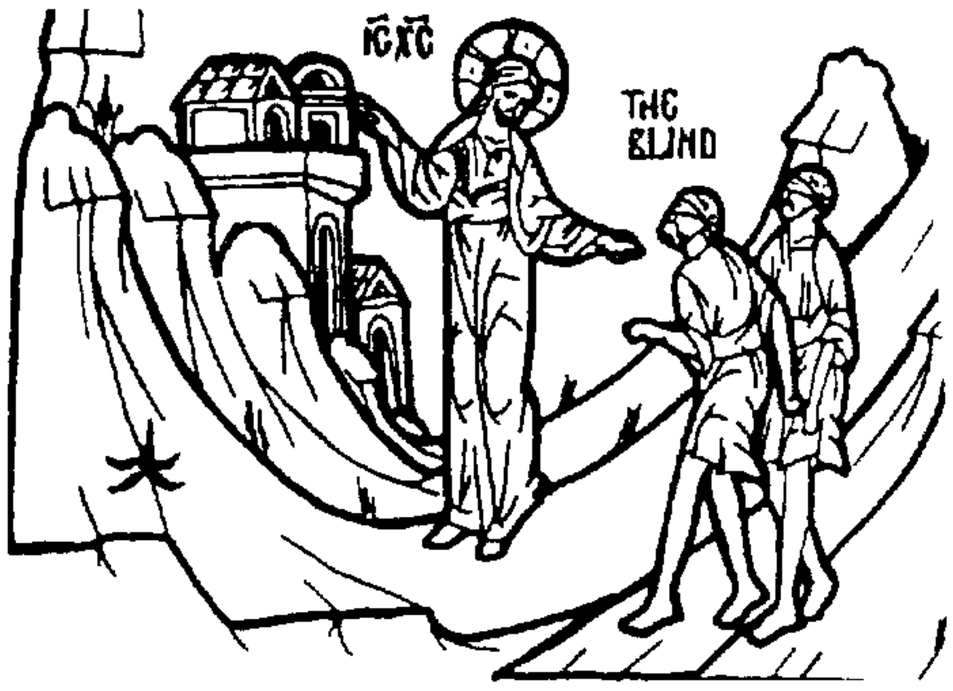

الرب يسوع يشفي المجانين: الرب يسوع شفى أخرساً ممسوساً (متى ٩: ٢٢-٢٣)، وممسوساً أعمى وأخرس (متى١٢: ٢٢)، وشفى الابن الممسوس المصروع (متى ١٧: ١٤-١٨)، الخ. الإنسان الممسوس (المجنون) لأي سببٍ هو إنسان غير متمالك لقواه العقلية. رغم ذلك، لم يمتنع الرب عن شفاء المجنون بحجة أنه لا يعي ولا يفهم ولا يعرف، الخ. الأطفال عند معموديتهم هم غير ناضجين عقلياً، ولا يعون أو يفهمون أو يعرفون، ومع ذلك يولدون ثانية بالمسيح ولادة روحية (كما ولدوا من أمهاتهم ولادة أولى جسدية بدون وعيهم وإدراكهم وموافقتهم). فلو كان غياب الإيمان الواعي والعقل الصحيح في الطفل سبباً للطعن بصحة معموديته، لما استطاع أن يخلص أي مختلٍّ عقلياً لأنه لن يُعمَّد بحسب أعداء معمودية الأطفال! خاصة وأن الرب يسوع نفسه هو القائل: "من أفواه الأطفال والرضّع هيّأتَ تسبيحاً" (متى ٢١: ١٦).

إذاً، الكلام عن ضرورة وجود الإيمان في الطفل والوعي والإدراك وضرورة تأجيل معمودية الأطفال بسبب هذه الحجة إنما هو كلام يخالف العهد الجديد والعهد القديم. وكما ذكرنا سابقاً: كانت الختانة تتم في اليوم الثامن على كل الذكور اليهود كعلامة على انضمامهم إلى شعب الله، وذلك بناء على إيمان أهلهم. فلا وعي هؤلاء الذكور وفهمهم لعب دوراً في ختانهم ولا كان عمرهم الغض سبباً لتأجيل هذا الختان. وبولس الرسول (كولوسي ٢: ١١-١٢) يقول إن المعمودية قد حلّت محل الختان، فصارت المعمودية هي "ختان المسيح"، وبالتالي صارت معمودية الأطفال ضرورة ملحّة للانضمام إلى كنيسة الله للخلاص بيسوع المسيح، بدون أن يكون لوعي الطفل أو فهمه أو إيمانه أو عمره دورٌ في ذلك. إذاً، جميع الذين يعارضون معمودية الأطفال يعارضون "ختان المسيح"، ويعارضون أن يلبس الطفلُ المسيحَ (غلا ٣: ٢٧). فليس الخلاص بالفهم أو العقل أو المعرفة أو بالذكاء أو بالتفوق العقلي أو سواه. الخلاص هو بيسوع المسيح المصلوب والذي أُعطي مجاناً للجميع إذا قبلوه وآمنوا به ودُفنوا مع المسيح بالمعمودية ليقوموا معه إلى حياة جديدة.

هل يحتاج الأطفال إلى المعمودية المسيحية؟ عادةً مناوئو معمودية الأطفال يقولون إن الطفل لا يحتاج إلى مغفرة الخطايا إذ لا خطايا لديه، وبالتالي لا يحتاج إلى معمودية مسيحية إلا بعدما يكبر ويخطىء. هذا الجهل باللاهوت المسيحي فاحش. إن كان الطفل لا يحتاج إلى معمودية، فهذا يعني أنه لا يحتاج إلى الروح القدس لأنه بالمعمودية المسيحية يُعطى الروح القدس (أع ١: ٨)، ولا يحتاج إلى الولادة من الماء والروح (يو٣: ٣ و٥)، وإلى الولادة من فوق وبالتالي لا يحتاج أن يرى ملكوت الله، لأنه بدونها لا يقدر أحدٌ أن يرى ملكوت الله (يو٣: ٥)، ولا يحتاج إلى دفن مع المسيح وقيامة معه (رو٦: ٣-٦؛ كول ٢: ١١-١٢)، ولا يحتاج إلى صلب إنسانه العتيق في المعمودية (رو٦: ٣-٦)، ولا يحتاج أن يلبس المسيح (غلا٣: ٢٧)، ولا يحتاج إلى الدخول إلى "جدّة الحياة" (رو٦: ٣-٦)، ولا يحتاج أن ينغرس في جسد المسيح، الكنيسة، ليصير عضواً فيه (١كور١٢: ١٣؛ أفسس٤: ٤)، ولا يحتاج إلى الخلاص (١بطر٣: ١٨). لاحظ أننا ذكرنا الكثير عن المعمودية و لم نذكر بعد غفران الخطايا. فإن كان الطفل جدلاً لا يحتاج إلى المعمودية لأنه لا يحتاج إلى غفران الخطايا، أفلا تكفي الأسباب السابق ذكرها لتجعل والديه يركضون به إلى جرن المعمودية "الرحم الثانية المولِّدة"؟! هل رأيتم كم يُخطىء الذين يحاربون معمودية الأطفال مهما كان سبب رفضهم هذا؟! رغم هذا كله، فالطفل يحتاج إلى مغفرة الخطايا. لا لأنه أخطأ[٥٤]، بل لأنه مولود من آدم العتيق، وقد ورث عنه كل نتائج الخطيئة الجدّية الأولى (من ألم وعذاب وأهواء وتجارب وضعفات وموت، الخ....)[٥٥]. فالخلاص ليس مسألة فطرية في الإنسان، والقداسة ليست مجرد امتناع عن ارتكاب الخطايا. هذا كان قبل المسيح. أما في المسيح فالإنسان مدعوٌ للقداسة والاتحاد بالثالوث القدوس، والتألّه ليصير "شريكاً للطبيعة الإلهية" (٢بطرس ١: ٤). هذا لن يحدث بدون ولادة جديدة وبدون اتحاد بجسد المسيح والغَرْف من النعمة الإلهية عبر الأسرار الإلهية المقدسة وأولها المعمودية الإلهية المقدسة.

إذاً: وجدنا أن معمودية الأطفال مذكورة في العهد الجديد بصورة غير مباشرة لأن الأطفال كانوا جزءاً من "أهل البيت"، وبالتالي كانوا يُعمَّدون مع "أهل البيت" عند دخول رب العائلة في الكنيسة، وأن المعمودية المسيحية قد حلّت محل الختانة اليهودية وبالتالي

(٥٤) الطفل يُخطأ، ولكن بدون معرفة. أما الملاك فلا يُخطأ لا عن جهل ولا عن معرفة.
(٥٥) راجع د. عدنان طرابلسي "وسقط آدم".

كان من الطبيعي والواجب أن يُعمَّد الأطفال أيام العهد الجديد وما بعده، وأن الكنيسة الأولى فهمت كلمات يسوع (لوقا ١٠: ١٣-١٦) عن ضرورة دعوة الأولاد إليه بأنها فرضٌ وواجبٌ وأمرٌ بمعمودية الأطفال، وأن اعتماد الشعب اليهودي بكافة أعماره في السحابة وفي البحر الأحمر وخلاصه بفلك نوح كانا رمزاً لمعمودية الأطفال، وأن المصادر الآبائية والتاريخية وسواها في القرون الثلاثة المسيحية الأولى تدل على أن الكنيسة الأولى كانت تمارس معمودية الأطفال بصورة روتينية، وأن لاهوت المعمودية يتنافى مع منع تعميد الأطفال بحجة العمر أو غياب الفهم أو المعرفة أو الإيمان أو، أو...، وأن معمودية الأطفال ليست أمراً اختيارياً طوعياً بل هو واجب وضرورة ملحّة ويجب أن تتم بأسرع وقت ممكن ومناسب وهذا ما يتناسب مع لاهوت الكنيسة الأولى ويفسّر الإلحاح الذي به كانت معمودية الأطفال تُمارس بعيد ولادة الطفل.

فالمجد للذي احتضن الأطفال ووضع يديه عليهم وباركهم. **(د. عدنان طرابلسي)**

الخلاص بين الشرق والغرب

د. عدنان طرابلسي

"هل أنتَ مخلَّص؟!" هذا السؤال هو تحدٍ متكررٍ يواجهه المسيحي الأرثوذكسي من قبل البروتستانت الغيورين على الإيمان ظاهرياً والذين يشعرون أنه من واجبهم أن يتحدّوا الجميع بسؤالهم لكل إنسانٍ: "هل أنتَ مخلَّص؟!". ومهما كان جواب الآخر ينبري البروتستانتي إلى التباهي بأنه من جماعة "المخلَّصين" و"المولودين ثانية"، وأنه إذا مات في هذه اللحظة فإنه سيطير إلى ملكوت السموات بضمانة لا تفوقها ضمانة! هنا ينظر البروتستانتي إلى الآخر بشفقة ورثاء ولسان حاله يقول: إن كنتَ لا تشعر بما أشعر وإن كنتَ لا تؤمن بما أؤمن فلستَ مسيحياً مؤمناً وتستحق الرثاء والعطف والشفقة.

هذا الموضوع قد يستهلك الصفحات تلو الصفحات لدراسة كل أبعاده وجوانبه، خاصة وأنه تأصلّه في الفكر المسيحي الغربي يعود إلى الأصول اللاهوتية لهذا الفكر من فلسفية وأوغسطينية.

من البديهي أن نتساءل أولاً ماذا يعني "الخلاص" في المسيحية؟ تعريف الكلمات والتعابير مهمٌ في كل نقاش وإلا لكان طرفا المناقشة في حديث طرشانٍ. لأن الخلاص في الأرثوذكسية مختلف عنه في المسيحية الغربية (الكاثوليكية)؛ ومن هذه الأخيرة يستعير الفكر البروتستانتي ما يحلو له ويطيب.

الخلاص بالنسبة للأرثوذكسية هو الاتحاد بالله. لأن الإنسان لم يستطع أن يصعد إلى الله قام الله "وطأطأ السموات ونزل" (مز ١٨: ٩) بابنه الوحيد إلى الأرض ليعانق الإنسان ويتحد به ويقدّسه ويخلّصه. توجد فروق في معالجة هذه المسألة بين الأرثوذكس من جهة والكاثوليك والبروتستانت من جهة أخرى. الغربيون يرون التعريف الأرثوذكسي للخلاص غريباً لأن نمط تفكيرهم مقولب على قوالب التفكير الغربي السكولاستيكي المتأثّر بأنسلموس ولوثر وكالفن.

خلق الإنسان وسقوطه: عقيدة الخلاص متأصلّة عميقاً في مسألة السقوط البشري. فالإنسان مخلوق على صورة الله ومدعوٌ أن يصير على مثاله. لكن سقوط الإنسان جعله يضيّع دعوته ليكون على مثال الله، وهشّم أو شوّه الصورة الإلهية فيه. مازالت موجودة إنما مريضة.

قبل السقوط لم يكن الإنسان كاملاً أي لم يصل إلى حيث كان الله يريده أن يصل. كان كاملاً بمعنى أن خلقه كان كاملاً وبدون عيب. لكنه وُضع في شركة مع الله. كان عليه أن ينمو في هذه الشركة ويقوّي هذه العلاقة مع الله حتى الكمال. هذا ما لم يحصل عليه. نحن اليوم لا نعود إلى الفردوس حيث كان آدم، بل نذهب إلى الملكوت السماوي الذي أعدّه المسيح بدمه على الصليب. الفكر البروتستانتي يؤمن، من جهة أخرى، أن آدم خُلق كاملاً وفي شركة كاملة مع الله. إنما لم يستطع هذا الفكر أن يجيب على تساؤل: إن كان آدم كاملاً وعلى شركة كاملة مع الله فكيف سقط؟

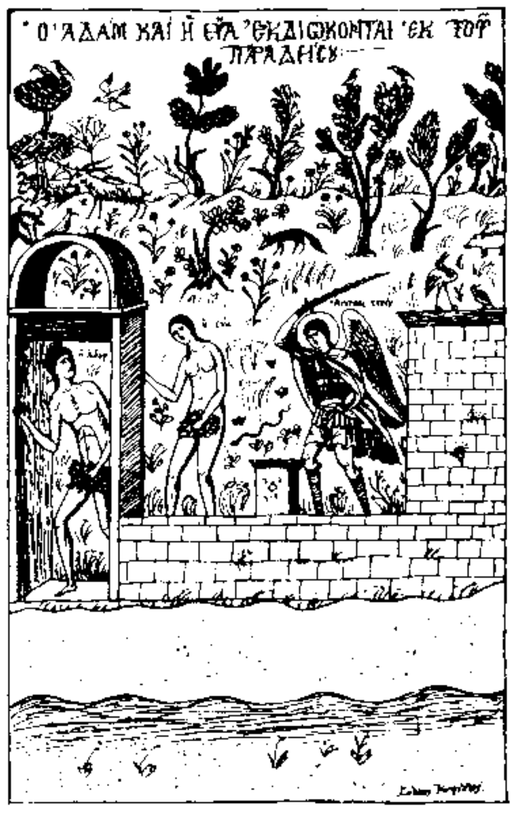

سقط الإنسان لأنه أراد أن يصير مثل الله بدون الله. خسر الإنسان الشركة مع الله، مصدر الحياة والحرية الحقة ومصدر الغبطة الأبدية. لقد ارتكب آدم وحواء انتحاراً لأنهما قطعا نفسيهما عن الله مصدر الحياة. لهذا بسبب خطيئتهما دخل الموت على الطبيعة البشرية. لم يخلق الله الموت أو الشر أو الخطيئة أو الفساد. خطيئة آدم وحواء سمحت لهذه كلها بالوجود. صارت طفيليات على الطبيعة البشرية. بهذا أعلن الله بعد سقوط آدم نتيجة هذا السقوط: "لأنك تراب وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩). في المسيحية الغربية (الكاثوليكية والبروتستانتية) الموت كان قصاصاً إلهياً أوجده الله عقاباً لآدم على خطيئته. آدم مات روحياً. موته الروحي جرّ عليه باقي الويلات.

"أجرة الخطيئة"

الذنب الموروث للخطيئة الأصلية غير موجود في الكتاب المقدس وفي الآباء الأرثوذكس[٥٦]. بدل ذلك يعلّمون أن البشرية قد ورثت الطبيعة الساقطة لآدم مع حالة

(٥٦) قام الأب LYONNET بدراسة لنصوص آباء الكنيسة الناطقين باليونانية في شرحهم لرومية ٥:١٢ . النتيجة أورثوذكسية. الترجمة اللاتينية VULGATE لرومية ٥:١٢ خاطئة. ضلّلت الغرب. الترجمة الفرنسية .B.J وترجمتها العربية (دار المشرق) صحّحتا الخطأ.

الفساد والموت والمرض الروحي والبُعد عن الله[٥٧]. "الخطيئة" تعني الفشل، الخروج عن الطريق القويم، وعدم إصابة الهدف. ولو أننا كثيراً ما نعرّف الخطيئة بأنها أعمال أو تعديات نوعية معينة، فهذه التعديات ما هي إلا أعراض لحالتنا المريضة الساقطة. الخطيئة هي رفض الشركة الشخصية مع الله. عندما ترى الديانة أن الخطيئة هي مجرد انتهاكات نوعية لناموس أو دستور أخلاقي، فإنها تتفّه وصايا الله وتخلّد الخطيئة نفسها والسقوط باعتبار الله شيئاً خارجياً واستبداله بناموس أو دستور أخلاقي مكان الشركة الشخصية مع الله. فمن الممكن للإنسان أن يكون أخلاقياً نقياً أي بدون تعديات بحسب الدستور وأن يكون روحياً ميتاً.

عندما قال بولس "لأن أجرة الخطية هي الموت" (رومية ٦: ٢٣) فإنه لا يعني أن الله يجازي أعمال الإنسان بالموت بل أن الخطية هي مرضنا القاتل. خطيئة آدم كانت بإعلانه أنه ذاتي الاكتفاء ومستقلٌ وبأن اختياره كان اللجوء إلى الطبيعة والحياة البيولوجية تلبية لمتطلبات وجوده. والحياة البيولوجية مرتبطة بالفساد والموت. وبفصل نفسه عن الله الذي له وحده عدم الموت (١ تيطس ٦: ١٦) والمصدر الوحيد للحياة، أضاع آدم الروحَ القدس، الحياة الحقة. لم يخلق الله الموتَ ولا يستلذ بموت الأحياء. لقد سمح باللعنة أن تعبر إلى الأرض: "ملعونة الأرض بسببك" (تك ٣: ١٧) تاركاً الإنسان للنتائج الطبيعية لطبيعته الأرضية: "لأنك تراب وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩).

الموت

عندما يشير الآباء إلى موت آدم كدينونة وعقاب، فإنهم لا يقصدون كون الله هو سبب الموت أو علّته أو بأنه أوجده وأعلن العقاب. الله "دان" آدم وكل البشر، لا بحكمه، لكن بوجوده كخالق الإنسان على صورة حريته الإلهية وعدم الموت، وهي صورة لا يمكنها أن توجد إلا بالشركة والنعمة. الآباء يرفضون عزو سبب الموت لله، الذي لم يرغب بهلاك الإنسان. هذا لا يعني أن الإشارات إلى أن حالة الفساد والموت كحكم أو دينونة هي غائبة من أدب الكنيسة. إنها موجودة لكن المقصود منها أن تعبّر عن خبرتنا البشرية التائبة تحت الموت وليس مشيئة الله أو عمل الله القضائي أو المُعاقب. (كثيراً ما

(٥٧) راجع د. عدنان طرابلسي "وسقط آدم".

تقول هذه الأعمال بأن الموت لم يكن أمراً من الله بل كان عدواً قد هُزم في المعركة بالرب المتجسد وليس أداةً قد أُلغيت بمجرد أمرٍ إلهيٍ.)

الله سمح بالموت كعمل رحمة حتى لا يكون الإنسان خالداً في الخطيئة. يقول ثيوفيلوس الأنطاكي: "هذا بالحقيقة إحسانٌ عظيمٌ: أن الإنسان غير مضطر للبقاء في الخطيئة إلى الأبد". وخدمة الجناز تردد قول غريغوريوس اللاهوتي: "لئلاّ يبقى الشر عادم الزوال."

الله خلق آدم لكي يكون خالداً وكاملاً في الحرية والمحبة مثل الله، لأنه مخلوق على صورته ومثاله. موت النفس (خسارة النعمة الإلهية والشركة مع الله) وفسادية الجسد جعلا هذه الغاية مستحيلة. فالفسادية والموت سينتقلان إلى الأبد كطفيليات في الطبيعة البشرية. وكنتيجة مباشرة، فإن سلطان إبليس "الذي له سلطان الموت" (عبر ٢: ١٤) سيقبض إلى الأبد نفوس الناس وسيكون مصدر الخطيئة.

رومية ٥: ١٢

آدم مات لأنه خطيءَ؛ نحن الآن نُخطيء لأننا نموت: "من أجل ذلك كأنما بإنسانٍ واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس؛ بسبب هذا أخطأ الجميع" (رو ٥ ١٢)[٥٨]. بكلمات أخرى: بسبب الموت خطيء الجميع. هذه هي القراءة الصحيحة للنص وليست كما تُرجمت إلى اللاتينية وفهمها أوغسطينوس والفكر الغربي من بعدها: الموت اجتاز إلى جميع الناس كعقاب لأن جميع الناس ورثوا طبيعة آدم الساقطة الفاسدة المائلة إلى الشرّ منذ حداثتها (تك ٨). هكذا يرثون الموت أيضاً، العقاب العادل. الترجمات الغربية تعكس سوء فهم هذا النص وتعتّم

(٥٨) الترجمة اليسوعية القديمة: " اجتاز الموت الى جميع الناس بالذي جميعهم خطئوا فيه". هذا يعني اننا نحمل عبء خطيئة آدم الشخصية. الترجمة اليسوعية الجديدة (دار المشرق) صحيحة: " سرى الموت الى جميع الناس لأنهم جميعاً خطئوا." ترجمة الكسليك المارونية :" ..بما ان الجميع.." ال B.J. " DU FAIT QUE" : وهكذا تراجعوا عن ضلال VULGATE (اسبيرو جبّور).

على أن ""ملكت الخطية بالموت" (رو ٥: ٢١) في فساديتنا، وأن "شوكة الموت فهي الخطية" (١كور ١٥: ٥٦)، وأن الموت هو الأصل وأن الخطية هي الشوكة التي تنبع منه.

"آخر عدو يُبطَل هو الموت" (١كور ١٥: ٢٦). المسيح حقّق هذا سلفاً بموته وقيامته، مُبطلاً دائرة الفساد والموت التي لا تنتهي، مطية الخطية. بدون قيامته لا يوجد خلاص. قيامته قتلت الشيطان والخطية بإبطال أصل قوتهما بالذات: الموت والفسادية. من هنا نردد أن المسيح تغلّب على الحواجز الثلاثة التي تفصل الإنسان عن الله: بتجسّده تغلّب على حاجز الطبيعة البشرية المريضة الخاطئة، فقدّسها بتجسده واتحدها بلاهوته، وتغلّب على حاجز الخطيئة بموته، وتغلب على حاجز الموت بقيامته.

تجسد المسيح: لأن المسيح هو الله المتجسد فهو وحده بقادرٍ أن يُظهر الله لنا، وهو وحده بقادرٍ أن يجدّد الصورة الإلهية في الإنسان لأن المسيح نفسه هو الصورة السرمدية لشخص الآب (كول ١: ١٥ وعبر ١: ٣). تجسد المسيح سمح لنا أن نصير "شركاء الطبيعة الإلهية" بتعبير بطرس الرسول (٢بطرس ١: ٤). يقول مكسيموس المعترف: "إذا صار كلمة الله وابن الله الآب ابناً للإنسان وإنساناً نفسه لهذا السبب، ليجعل الناس آلهة وأبناء لله، علينا أن نؤمن إذاً أننا سنكون حيث هو المسيح الآن كرأس لكامل الجسد وقد صار بطبيعته البشرية سابقاً نحو الآب من أجلنا. فالله سيكون في "وسط الآلهة" (مز ٨٢: ١)، أي أولئك المخلَّصين، واقفاً في وسطهم وموزِّعاً هناك صفوف الغبطة بدون أي مسافة حيزية تفصله عن المختارين" (الفصول في المعرفة ٢: ٢٥).

احتاجت البشرية إلى "ترياق ضد الموت" (إغناطيوس الأنطاكي). "طبيعتنا المريضة احتاجت إلى شافٍ. إنساننا الساقط احتاج إلى مَن يقوّمه. مَن فقد نعمة الحياة احتاج إلى مانح حياة" (غريغوريوس النيصصي). وكما يقول الدمشقي مَن هو بلا بدء ولا جسد تجسد من أجل خلاصنا لكي بالمثل يخلّص المثل. "الطبيعة الساقطة" تشير إلى كامل الإنسان الذي احتاج إلى إعادة ولادة من جديد في الجسد والروح، ليقوم ويعود إلى درب عدم الفساد وعدم الموت. عندما قال المخلّص بأن العلاج الوحيد لمرض البشرية هو إعادة الولادة كان يتكلم عن واقعٍ روحي نفسي جسدي في الإنسان وليس عن فكرة

حقوقية. إعادة الولادة تعني التحرّر من سيطرة الشيطان ومن عبودية النزوات والاهتمامات الذاتية والإشباع الذاتي والنهوض من حالة الفساد التي نحن فيها وأخيراً التحرر من الموت والفسادية.

ترياق هذه الحالة هو "ناسوت الله" (غريغوريوس اللاهوتي)، خميرة وتخمر استنارتنا وتقديسنا: التجسد الذي كان دائماً الخطة الإلهية حتى قبل الدهور[٥٩]. لهذا استعادتنا لم تحتاج إلى تبدّل في تدبير الله نحونا، والذي كان دائماً محبة غير منقطعة. أن نولد ثانية بالجسد والروح يعني أن نصير أولاد آدم الثاني والجديد، الإنسان الحقيقيِ الوحيد وصورة الله الحقيقية. لهذا، تخليص المثل بالمثل يعني أن يولد آدمُ الثاني الناسَ بالطبيعة البشرية التي أخذها من أمه ومجّدها بالقيامة.

إن جسد الكلمة المتجسد ودمه هما "الترياق ضد الموت، دواء عدم الموت" (إغناطيوس الأنطاكي). يقول المسيح: "مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٥٤). بهذه الكلمات لا يشير المسيح إلى حلٍ قانوني بل إلى ترياقٍ يشفي ويخلّص النفس من ذيفانات الخطيئة وتأثير الفساد الطفيلي على النفس. عندما يقدّم الرب جسده ودمه لغفران الخطايا فإنهما للشفاء المتواصل للجسد والنفس ولتقديسهما وتطهيرهما واستنارتهما وتأليهما. بالجسد والدم يشترك كامل الإنسان، جسداً وروحاً، بناسوت آدم الثاني الجديد لاستعادة وتجميع آدم الأول المهشَّم في كل إنسانٍ ممزَّق بناموسَي ذهنه وأعضائه المتحاربين.

هكذا تخلّص الإنسان من الفساد والموت، أي من مستقر الخطية، واستعادته إلى الحياة الأبدية تبدأ في الحياة الحاضرة ليكون له قيامة صالحة عندما يأتي الرب ثانية بمجد. يقول القديس إيريناوس: "لكننا ننال الآن حصة معينة من روحه، تعمل نحو الكمال وتجهيزنا لعدم الفساد، فنصير رويداً رويداً معتادين على نيل الله وحمله (استعداداً لذلك الوقت)... عندما، وقتما نقوم ثانية، نعاينه وجهاً لوجه..". لهذا فأسرار الإفخارستيا المقدسة المانحة الحياة هي بكل وضوح لا غنى عنها لنفس وجسد المؤمن لأنها وعد القيامة ومشاركتنا في القضاء على الشرير، والموت والفساد. هذا لم يُفهم قط في الغرب الذي ينظر إلى أن إرضاء العدالة الإلهية هو الحل الوحيد الممكن.

---

(٥٩) هل كان التجسد سيقع ولو لم يسقط آدم؟ في " التجليات في دستور الإيمان"، ناقشت الموضوع بصورة أدقّ منها في سر التدبير. الآباء الكبار يقولون ان التجسد حدث لإنقاذنا. سيمرّ معنا تأييد ذلك (ا.ج)

الغرب يفهم الفداء والفساد بمعنى قانوني حرفي، كجزء من حدثية شرعية. يعلّم أوغسطينوس والغرب بأن الفساد والخطايا الناجمة منه ما هي إلا نتائج الخطيئة الأصلية. يقول أوغسطينوس: "تنشأ الشهوة كنتيجة جزائية للخطيئة (الأصلية)". وعندما يشير إلى شفاء البشرية فإنه لا يعني شفاء المرض الأصلي بل رفع العقوبات. الخطيئة والفساد والموت هي، بالمفهوم الغربي، عقوبات فرضتها العدالة الإلهية. رفع العقوبات هو رفع لعنة، مما يسمح للمختارين أن يمارسوا مناقب خارجية .

موت المسيح وقيامته: تجسّد المسيح وأخذ الطبيعة البشرية بكل جوانبها. يقول غريغوريوس اللاهوتي: "ما لم يتّخذه لم يُشفَ". أي حتى يحرّرنا المسيح من سيطرة الخطيئة والموت، وحتى يعطينا حياة أبدية، كان عليه أن يشارك في موتنا كما في حياتنا. قال ذلك للردّ على ابولیناریوس الذي أنكر وجود النوس NOUS (باليونانية أي الذهن أو الروح). فيسوع أخذ NOUS بشرياً وإرادة بشرية وإلاّ فلا يكون قد خلّصهما.

لم يمت المسيح لأنه كان مضطراً أن يموت[٦٠]. لقد فعل كل شيء باختياره طوعاً. موت المسيح وقيامته أديا إلى: ١- غفران الخطايا والمصالحة مع الله. ٢- التحرر من سلطان الموت. ٣- الوعد بتجديد العالم كله. ٤- القيامة العامة. ٥- النصر على الشيطان. ٦- سحق الجحيم.

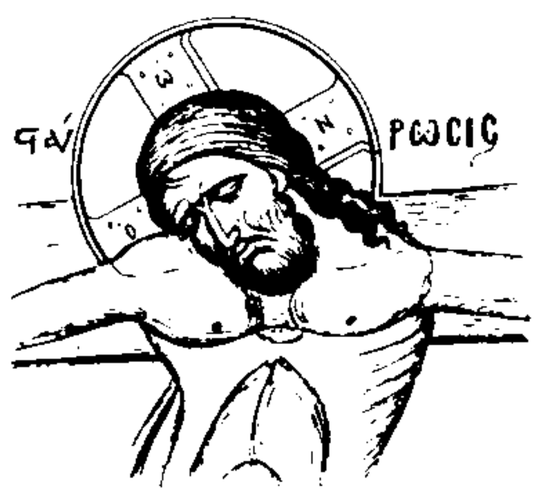

غفران الخطايا: يقول إيريناوس: "الخطيئة التي أتت بالشجرة (تك ٣: ٦) أُلغيت بشجرة الطاعة لله عندما سُمِّر ابن الله على الشجرة. هناك تغلّب هو على معرفة الشر وأحضر معرفة الخير. الشر هو عصيان الله، والخير هو الطاعة لله". إن كان عصياننا هو أقصى عمل للأثرة (محبة الذات والتمركز حول الذات)، فإن موت المسيح الطوعي على الصليب هو أقصى عمل من نكران الذات.

(٦٠) نظرياً – كما قلت في سر التدبير خلافاً للوسكي – كان يجب أنْ تكون طبيعة يسوع المسيح البشرية غير قابلة للألم والموت. لكنْ هو اختار أنْ لا تكون كذلك. أخذ طبيعة قابلة للألم والموت والفساد (ما عدا البلى في القبر، سر التدبير ١٥٣). لوسكي مولع بافتراض المخالفات: قضاء بين عدم قابليّة ناسوت يسوع للنساء وقابليته الطوعيّة له فنقضه Larchet في " التأليه بحسب مكسيموس، ص٥١٢ (ا. ج.)

التحرر من سلطان الموت: لم يقضِ يسوع فقط على سلطان الخطيئة وفتح الطريق لنا للعودة إلى بيت الآب، بل أيضاً قضى على سلاسل الموت التي تسبي الناس. لأن يسوع هو ابن الله، كان من المستحيل على الموت أن يُمسك به. كتب القديس باسيليوس: "إذ نزل من الصليب إلى الجحيم – ليملأ كل الأشياء بنفسه – حلّ وخزات الموت. قام في اليوم الثالث وقد جعل لكل ذي جسد طريقاً نحو القيامة من الأموات، لأنه لم يكن ممكناً لخالق الحياة أن يكون فريسة للفساد". بموته وقيامته أزال يسوع شوكة الموت. الآن يستمر الناس بالموت، ولكن لأن يسوع ملأ عالم الموت بحياته لم يعد الموت بعد نهاية الوجود البشري: لقد صار طريقاً للحياة الأبدية في الله. قيامة يسوع من الأموات هي ضمانتنا أنه يوماً ما سيقوم كل الناس من الأموات ويشاركون حياة الله الأبدية.

الفداء

الله لا يتغيّر. "يسوع المسيح هو هو أمسِ واليوم وإلى الأبد" (عبر ١٣: ٨). هذا مهم في مناقشة الخلاص، لأن الغرب والفكر الغربي يؤمنان بأن الله يتغيّر، وأن الإنسان يمكن أن يُحدث تغيّراً في الله.

الله غير مفهوم، لكنه كشف نفسه لنا: "الله الرب ظهر لنا، مباركٌ الآتي باسم الرب". الإله المسيحي ليس إلهاً مجهولاً، بل هو إله كشف نفسه لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. القديس أثناسيوس يقول إنه بدون معنى أن يُخلَق الإنسان ما لم يكشف الله نفسه له.

يقول بالاماس: "توجد ثلاثة حقائق في الله، أقصد، جوهر وقوة وثالوث من أقانيم إلهية". (١٥٠ فصلاً: ٧٥). أي نميّز في الله الطبيعة الإلهية عن القوى الإلهية، ونميّز الشخص عن الطبيعة.

التمييز بين الطبيعة والقوى كان للمحافظة على تعليم الكنيسة بأن الله خلق العالم من عدم ex nihilo . أوريجنس قال بأن الله خالق بالطبيعة، ولأن طبيعة الله لا يمكن أن تتغير، لهذا يجب على الله أن يكون خالقاً دائماً. هذا يعني أن العالم أبدي مثل الله. هذا بالضبط ما كان الفلاسفة الوثنيون واليونان يؤمنون به إنما ليس هذا إيمان الكتاب المقدس. لهذا رسم القديس أثناسيوس خطاً فاصلاً بين ما هو الله عليه وبين ما يصنعه الله.

أيضاً بدون هذا التمييز لا يمكن التمييز بين ابن الله "المولود من الآب قبل كل الدهور" والخليقة المادية التي خلقها الله من عدم.

التمييز الثاني بين الطبيعة والشخص يساعد لفهم الثالوث القدوس وتجسد الابن. فشخص الابن هو الذي تجسّد، مع ذلك بقي كما هو بدون تغيّر. فالله صار إنساناً وتألّم ومات وقام بدون أن يطرأ أي تغيّر على الطبيعة الإلهية.

التألّه: سوء فهم التألّه من قبل البروتستانت والكاثوليك هو وراء سوء فهم الخلاص في الأرثوذكسية. يقول القديس أثناسيوس بأن الله صار إنساناً ليصير الإنسان إلهاً. هذا شوّش الكثير الذين رأوا في هذا عودة إلى الوثنية وتمازج الآلهة والبشر.

توجد خطيئتان يرتكبهما الناس في مفهوم الخلاص: يظن البعض أن الناس هم جزء من الإله أو الألوهة. حتى يهرب البروتستانت من سوء الفهم هذا فإنهم يلجأون إلى الخطأ الثاني وهو الاستنتاج أنه لا يوجد اتحاد حقيقي بين الله والإنسان.

الكنيسة في إيمانها بالتأله تعتمد على تعريف مجمع خلقيدونية لخريستولوجيا المسيح الذي فيه طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية "بدون اختلاط أو تشويش أو فصل أو تقسيم". ليس الإنسان بطبعه إلهياً. إنه مخلوق وسيبقى هكذا دائماً.

الاتحاد بين الطبيعتين الإلهية والبشرية في شخص يسوع المسيح لا يكون بحسب الطبيعة بل بحسب الأقنوم، " الاتحاد الاقنومي" (كيرللس الاسكندري). هذا ما عالجه لاونديوس الاورشليمي: أقنوم الابن قنّم الطبيعة البشرية التي ضمّها إليه، فصار أقنوماً لها، وصارت جزءاً منه. الطبيعة الإلهية لا تقبل أن يطرأ عليها أي حادث زمني. ولكن الطبيعة البشرية المتحدة بها تقبل أن تمتلىء من أشعة اللاهوت، من القوى الإلهية الجوهرية. أما الاتحاد بين الله والإنسان لا يكون بحسب الطبيعة ولا بحسب الأقنوم، بل بحسب القوى. هذه القوى هي غير مخلوقة. هذا فرق مهم ورئيسي بين الكاثوليك والأرثوذكس. بالنسبة للكاثوليك قوى الله هي في الجوهر وبالتالي لا يصلها الإنسان. الإنسان يتّصل بالله عبر نعم مخلوقة[٦١]. لكن النعم المخلوقة لا يمكنها أن تؤلّه الإنسان.

---

(٦١) في قاموس الروحانية المسيحية الفرنسي وسواها تراجع المؤلفون وطرقوا مطولاً موضوع التأله لدى الاباء. وحديثاً اصدرت دار النشر الكاثوليكية LE CERF كتاب صديقي LARCHET الضخم: " تأليه الانسان بحسب مكسيموس المعترف" (ا.ج.)

بالنسبة للبروتستانت فنادراً ما يتم الكلام عن الطبيعة والقوى، لكنهم يفترضون أن النعم مخلوقة لهذا لا توجد وسيلة للإنسان أن يشارك الله بصورة مباشرة. لهذا بالنسبة لهم لا يبقى سوى التحسّن الأخلاقي. لكن الإنسان عطش إلى اتحاد بالله، إلى شركة مباشرة معه، وهذا مستحيل ما لم يجعل الله ذاته قابلاً للشركة مع الإنسان، ما لم يمنح ذاته عبر القوى الإلهية. هكذا يتألّه الإنسان ويبقى إنساناً، ويكون الله قابلاً للمشاركة معه ويبقى متعالياً في الجوهر. الميتافيزيقا الغربية السكولاستيكية عجزت عن التوفيق بين كلام بطرس (٢بط١: ٤) في الاشتراك في طبيعة الله وبين آيات أخرى تجعله بعيد المنال.

العدالة الإلهية:

العدالة الإلهية تعني شيئاً مختلفاً بين الأرثوذكس والكاثوليك. بالنسبة للآباء العدالة الإلهية هي القضاء على الشيطان والموت واستعادة كامل الإنسان جسداً وروحاً إلى عدم الموت وعدم الفساد وإلى معرفة الله في مجده. حتى يحدث هذا لم يوجد تبدّل في الله مطلوب ولا تكفير أو تعويض قضائي، فالناس "مبرّرون مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية ٣: ٢٤). العدالة الإلهية ليست برنامجاً أو مخططاً شرعياً أو قضائياً أو حقوقياً. عدالة الله ومحبة الله هما الأمر الواحد نفسه. إن فكرة التكفير ليست موجودة لدى الآباء لأنهم كانوا يعرفون بأن عدالة الله هي محبة لا تطلب بالمقابل شيئاً. يقول يوحنا الدمشقي: "وقد ظهر عدله بأن الإنسان لما كان مغلوباً لم يترك اللهُ لغيره أن يقهر الطاغيَ ولا انتشل الإنسانَ من الموت بالقوة. بل إن الصالح والعادل قد جعل ذاك نفسَه الذي كان الموت قديماً قد استعبده بالخطايا يعود اليوم من جديد فينتصر، فخلَّص المثْلَ بمثله" (الإيمان الأرثوذكسي كتاب ٣ فصل ١). إن موت خليقة الله وموت البار هو أمرٌ غير عادل، لأن الله لم يخلق الموت ولا يستلذ بموت خليقته. لكن الموت دخل إلى العالم بسبب الشرير، بسبب سقوط الإنسان وخطيئته. الغرب يساوي بين الموت والعدالة الإلهية أما في الشرق فالموت غير عادلٌ. الله جاء في الجسد ليلغي هذا الجور والشر وليحافظ على أبنائه فادياً إياهم من قبضة الشرير والموت. هكذا يعلن القديس بولس: "وأما الآن فقد ظهر برّ الله..." (رو ٣: ٢١). بهذا الإطار نجد معنى التبرير والبرّ.

الشيطان والموت كانا دائماً العدو وأبداً لم يكونا أداة أو شريكاً لله كما يفهم الغرب.

يؤمن الغرب بأن فهمه للعدالة الإلهية هو انعكاس لطبيعة الله العادل وهو فهم يحمل

تشابهاً هائلاً مع العدالة البشرية. يفكر الغرب هكذا بسبب أنه ورث أسلوب أوغسطين في المعرفة المبنية على وجود شبه بين الله والخليقة لأن الواقع المخلوق لديه هو نسخة عن الواقع غير المخلوق الذي هو أفكارٌ أبدية في جوهر الله تُدعى universals.

في العصور اللاحقة لأوغسطينوس، بدأ الغرب بفهم عمل الخلاص على أنه حصراً كفارة استرضائية لإله غاضبٍ منتقم، وهي وجهة نظر تعبّر عن بقايا إيمان وثني. قال أوغسطينوس: "الله هدّد آدم بعقاب الموت هذا إذا أخطأ". ومقيّداً بضروريات العدالة الإلهية، لا يمكن لله إلا أن يطلب دماً وثأراً كضريبة على تعديات الإنسان ضد القانون الإلهي. إن الحاجة الإلهية للثأر والجزاء ضد الإنسان هما السبب الرئيسي للموت. رغم ذلك كان موت كامل السلالة البشرية غير كافياً. كان لا بد من ولادة مَن كان دمه كافياً للدفع. هذه الضرورة كانت السبب الرئيسي للتجسد برأي الغرب: المسيح وُلد لأنه كان الوحيد القادر على صنع التكفير الضروري غير المحدود والذي سيغيّر موقف الله نحو الإنسان والذي سيمكّن الله من منح العفو القانوني أو حلّ الخطايا. إن تعليم الغرب عن الكفارة كان إعلاناً لا لبس فيه عن الضرورة في الله. بالطبع الضرورة في الله كانت بالأصل موروثة في تعليم الأفكار الإلهية في الجوهر الإلهي بحسب أوغسطينوس. الضرورة حلّت محل حرية الله ومحبته غير الأنانية في علاقاته مع أولاده وأمْلَت التجسّد.

من جهة الآباء عرّفوا العدالة الإلهية على أنها قضاء الكلمة المتجسد على الشر والموت، أعداء البشرية. ومن جهة أخرى، رأى أوغسطين الشيطان والموت شركاء وأدوات عقابية بيد الله، ورأى الخلاص على أنه مفرّ الإنسان من براثن الله. لهذا بالنسبة للغرب، كل الشر في العالم يأتي من المشيئة الإلهية المعاقبة. وعلى العكس، يشرح غريغوريوس اللاهوتي إجماع الآباء قائلاً:

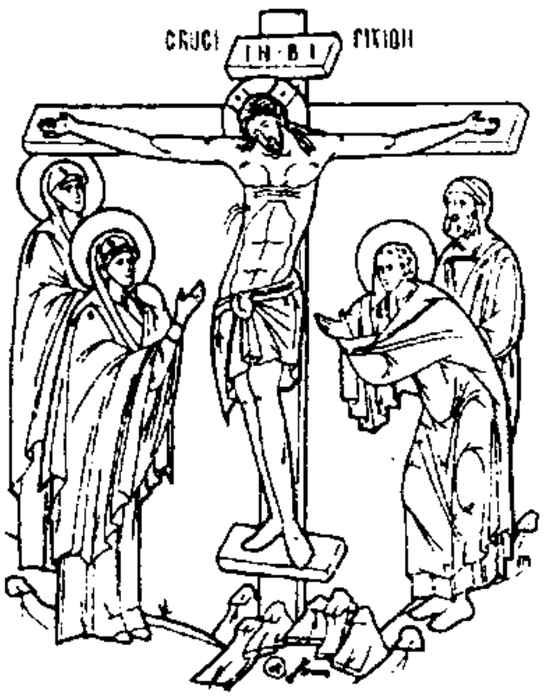

"لم يكن بواسطة الآب أننا ظُلمنا. على أي أساس أبهج دمُ ابنه الوحيد الآبَ، الذي لم يكن ليقبل حتى اسحق عندما قدّمه والده، بل غيّر الذبيحة، واضعاً كبشاً مكان الضحية البشرية؟ أليس من الواضح أن الآب يقبله (يقبل المسيح) لكنه لا يطلبه ولا يتطلبه، لكن بسبب تدبير (التجسد)، ولأنه على البشرية أن تتقدّس بناسوت الله، حتى يعطينا نفسه ويغلب الطاغية، ويجذبنا إليه بوساطة ابنه؟".

تشابهاً هائلاً مع العدالة البشرية. يفكر الغرب هكذا بسبب أنه ورث أسلوب أوغسطين في المعرفة المبنية على وجود شبه بين الله والخليقة لأن الواقع المخلوق لديه هو نسخة عن الواقع غير المخلوق الذي هو أفكارٌ أبدية في جوهر الله تُدعى universals.

في العصور اللاحقة لأوغسطينوس، بدأ الغرب بفهم عمل الخلاص على أنه حصراً كفارة استرضائية لإله غاضبٍ منتقم، وهي وجهة نظر تعبّر عن بقايا إيمان وثني. قال أوغسطينوس: "الله هدّد آدم بعقاب الموت هذا إذا أخطأ". ومقيّداً بضروريات العدالة الإلهية، لا يمكن لله إلا أن يطلب دماً وثأراً كضريبة على تعديات الإنسان ضد القانون الإلهي. إن الحاجة الإلهية للثأر والجزاء ضد الإنسان هما السبب الرئيسي للموت. رغم ذلك كان موت كامل السلالة البشرية غير كافياً. كان لا بد من ولادة مَن كان دمه كافياً للدفع. هذه الضرورة كانت السبب الرئيسي للتجسد برأي الغرب: المسيح وُلد لأنه كان الوحيد القادر على صنع التكفير الضروري غير المحدود والذي سيغيّر موقف الله نحو الإنسان والذي سيمكّن الله من منح العفو القانوني أو حلّ الخطايا. إن تعليم الغرب عن الكفارة كان إعلاناً لا لبس فيه عن الضرورة في الله. بالطبع الضرورة في الله كانت بالأصل موروثة في تعليم الأفكار الإلهية في الجوهر الإلهي بحسب أوغسطينوس. الضرورة حلّت محل حرية الله ومحبته غير الأنانية في علاقاته مع أولاده وأمْلَت التجسّد.

من جهة الآباء عرّفوا العدالة الإلهية على أنها قضاء الكلمة المتجسد على الشر والموت، أعداء البشرية. ومن جهة أخرى، رأى أوغسطين الشيطان والموت شركاء وأدوات عقابية بيد الله، ورأى الخلاص على أنه مفرّ الإنسان من براثن الله. لهذا بالنسبة للغرب، كل الشر في العالم يأتي من المشيئة الإلهية المعاقبة. وعلى العكس، يشرح غريغوريوس اللاهوتي إجماع الآباء قائلاً:

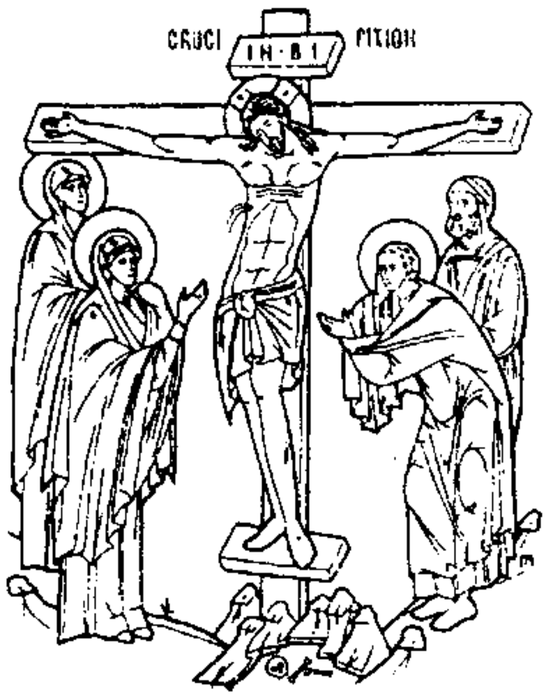

"لم يكن بواسطة الآب أننا ظُلمنا. على أي أساس أبهج دمُ ابنه الوحيد الآبَ، الذي لم يكن ليقبل حتى اسحق عندما قدّمه والده، بل غيّر الذبيحة، واضعاً كبشاً مكان الضحية البشرية؟ أليس من الواضح أن الآب يقبله (يقبل المسيح) لكنه لا يطلبه ولا يتطلبه، لكن بسبب تدبير (التجسد)، ولأنه على البشرية أن تتقدّس بناسوت الله، حتى يعطينا نفسه ويغلب الطاغية، ويجذبنا إليه بوساطة ابنه؟".

التكفير: الكتاب يُظهر الخلاص بأنه حقيقة ذات وجوه متعددة. في العصور الوسطى قام اللاهوتي أنسلموس Anselm رئيس أساقفة كانتربري (١٠٣٣–١١٠٩) باختراع نظرية التكفير التي سادت في الفكر الغربي حتى يومنا الحالي.

يقول أنسلموس بأن خطيئة الإنسان كانت إهانة لله (في العصور الوسطى لم تكن الجريمة ضد الشعب أو الدولة بل ضد شخص الملك مثل إنكلترا اليوم). بما أن الخطيئة كانت ضد الله فالذنب كان غير محدود لأن الله غير محدود. والإنسان لا يمكنه أن يكفّر عن ذنب غير محدود لأن الإنسان محدود. لهذا دعت الحاجة إلى إله–إنسانٍ أي إلى إله متجسد ليكفّر بآلامه و بموته عن خطايا البشرية.

وضع الناس نبرات مختلفة في نظرية أنسلموس: البعض قال إن العدالة الإلهية هي التي يجب أن تُرضَى. آخرون قالوا إنها كرامة الله المجروحة بخطيئة الإنسان. آخرون قالوا بأن غضب الله يجب أن يُطفأ.

البروتستانت قبلوا بنظرية أنسلموس. لم يكن الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت فيما إذا كانت العدالة الإلهية أو كرامة الله أو غضبه هي التي يجب أن تُرضى، بل كان الفرق الرئيسي بينهم هو فيما إذا كان الإنسان يستطيع أن يضيف أي شيء بواسطة التوبة على التكفير.

نظرية التكفير مهمة جداً ومؤثِّرة جداً في الفكر الغربي وقوية جداً أيضاً. فلو ارتكب إنسان مهم جريمة قتلٍ ومَثُل أمام القاضي الذي أمر إما بأن يدفع فدية أو يُقتل؛ وجاء المختار ودفع الفدية عن المجرم، عندئذ يعلن القاضي "براءته" ويطلق سراحه فيخرج مبرَّراً. فهل غيّر هذا من طبيعة الإنسان أو من أهوائه أو شرّه أو ....؟ بالطبع لا. هكذا أيضاً في نظرية التكفير: المسيح دفع الفدية عنا ليرضي كرامة الله المجروحة ويُطفىء غضبه ويُرضي العدالة الإلهية. كل المطلوب منا هو أن "نقبل" هذه الفدية فنخرج مبرَّرين!

هذا ما يفعله البروتستانت في مؤتمراتهم واجتماعاتهم: المسيح دفع الفدية عنك. أنت خاطىء. اقبل فدية المسيح تصر مبرَّراً. خلال ٦٠ دقيقة أو أقل يخرج الإنسان من خاطىء مصيره الجحيم إلى قديس قد ضمن الملكوت[٦٢]!

(٦٢) على الانترنت توجد مواقع يصير فيها أكبر الخطاة قديسين "مبرَّرين" خلال ثلاث دقائق!

توجد ثلاث مشكلات لاهوتية في هذه النظرية.

المشكلة الأولى: إنها مبنية على أن الله ذو خصائص بشرية: فهو يغضب، ويحقد، ويثأر، ويُهان، وتُجرح كرامته، الخ. لكننا وجدنا أن الله لا يتغيّر. لنفترض جدلاً أن خطيئة الإنسان تدفع الله للغضب. هذا يعني أن الله لم يكن غاضباً قبل خطيئة الإنسان. وبحسب هذه النظرية، زال غضب الله بعد أن أرضاه المسيح بفدائه على الصلب. هذا يعني أن الله يتغيّر، وأن هذا التغيّر سبّبته أعمال الإنسان!

لو تركنا جانباً كرامة الله المجروحة وغضبه وأخذنا العدالة الإلهية. الله عادلٌ. ولأنه لا يتغيّر فلا يمكنه أن يترك الإنسان يفلت ما لم تأخذ العدالة الإلهية مجراها. هذا يعني أن العدالة أعظم من الله لأن الله خاضع للعدالة! هذا ضد اللاهوت المسيحي. هذا ما يقوله الله عن نفسه: "لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب" (أشع ٥٥: ٨).

المشكلة الثانية: إنها تجعل الخطيئة مشكلة لله بالأحرى لا مشكلة الإنسان. إحدى أوجه هذه النظرية هو أن الله رحيم وعادل بالوقت نفسه. رحمة الله تريد أن تخلّص كل الناس. لكنه لا يستطيع أن ينتهك عدالته الإلهية. لهذا فالخطيئة هي مشكلة بالواقع لله. المشكلة هنا ليست ما تفعل الخطيئة للإنسان، بل ما تُحدث الخطيئة من تأثير على الله وعلى موقفه من الناس. في الشرق المسيحي الخطيئة تُرى على أنها مرض يصيب الإنسان. بحسب نظرية التكفير الغربية، هذا المرض يصيب الطبيب أكثر من المريض، والشفاء يعتمد على موقف الطبيب نحو المريض أكثر بالحري من صحة المريض.

المشكلة الثالثة: الخلاص في نظرية التكفير الغربية يبقى خارجياً عن الإنسان وبالتالي يبقى الإنسان بدون تغيّر. فالخلاص يعني أن ذنب الإنسان قد زال، وإذا كان هذا الذنب مجرد موقف قضائي قانوني أمام الله، فهذا يعني أن الإنسان يبقى بدون تغيير في طبيعته وبدون شفاء لأمراضه. بمعنى آخر: الإيمان بكفارة المسيح على الصليب، بحسب نظرية التكفير الغربية، لا يمحو خطايا المؤمن، بل لا يعد هذا المؤمن متّهماً بعد بهذه الخطايا. يبقى الإنسان في الجوهر خاطئاً بدون تغيير.

هذا يعني أن الله والإنسان يبقيان طوال حدثية الخلاص خارجيين أحدهما بالنسبة للآخر. فالإنسان لا يُغيَّر أو يُعَاد خلقه، بل يُعلَن أنه "غير مذنب" وحسب. هذا لأن نظرية

التكفير تفترض أن الله والإنسان لا يمكنهما أن يتحدا على أي مستوى سوى المستوى الطاعة الأخلاقية. هذا إنكار عمليٌ للتجسد الإلهي في الفكر الغربي.

بالنسبة للأرثوذكس الحالة هي العكس تماماً. ليست المسألة هي الموقف الأخلاقي للإنسان نحو الله، ولكن تغرّب الإنسان عن الهدف الذي خُلق من أجله وهو الشركة مع الله، أن يكون معه ويتحد به. المصير البشري الضائع قد اُستعيد في المسيح، آدم الجديد الثاني.. فما هو عليه بالطبيعة نصير نحن عليه بالنعمة.

لهذا ترفض الكنيسة الأرثوذكسية نظرية التكفير بالفداء لأنها تخالف أبسط مبادىء اللاهوت المسيحي ولأنها تترك الإنسان بدون تغيير. بالنسبة للأرثوذكس: أن تخلص يعني أن تستعيد صحتك الروحية. ليس هو موقف الله نحو الإنسان الذي بحاجة إلى تغيير، وإنما بالحري حالة الإنسان. الخلاص في اللاهوت الأرثوذكسي ليس هو حالة البرارة الغربية، بل التألّه (القديس اليوغوسلافي يوستينوس بوبوفيتش عن الآباء). نحصل على بذرته في المعمودية ونبلغ ذروته في الجهاد الروحي المرير المكلَّل في القيامة العامة بالتلألؤ كالمسيح على الجبل. البرارة في حد ذاتها ليست التألّه. وليست حالة ثابتة. هي مكتسبات متواصلة في الجهاد بنعمة الفداء. وفي أفسس (١: ٧) الفداء بدم المسيح هو مغفرة الخطايا.

الإيمان مقابل الأعمال

لا يوجد شيء أثار جدلاً شديداً مثل موضوع الإيمان والأعمال. بدأت المشكلة أيام العهد الجديد عندما افترض البعض أنه إذا كان لدينا الإيمان فلا حاجة للأعمال. على هذا الافتراض الخاطىء أجاب القديس يعقوب: "...الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمالٌ ميتٌ في ذاته..." (يعقوب ٢: راجع ١٤–٢٠). لا يختلف يعقوب هنا مع بولس كما افترض خطئاً لوثر وبروتستانت آخرون. بل يختلف يعقوب هنا مع سوء فهم بولس القائل: "إذاً نحسب أن الإنسان يتبرّر بالإيمان بدون أعمال الناموس" (رومية ٣: ٢٨). الأعمال هنا هي أعمال ناموس موسى اليهودي. أي يقول بولس إن الإنسان لا يستطيع أن يجعل نفسه مبرَّراً بأعمال الناموس وإلا لمات المسيح بدون سببٍ. وأعمال الناموس بلا قيمة خلاصية في نظر بولس، وزال حكمها في المسيحية.

البروتستانتية والكثلكة: البروتستانت يضعون هذه المسألة على مستوى ثنائية متعاكسة: إذا كان الإنسان يخلص بالأعمال فما حققه المسيح على الصليب لم يكن كافياً للخلاص. ولأن هذا مستحيل، لأن المسيح حقق على الصليب كل ما يكفي لخلاص الإنسان، فهذا يعني أن الخلاص يأتي بالإيمان حصراً، وبالتالي لا ضرورة للأعمال.

لكن إذا كان الإنسان لا يتبرّر بأعمال الناموس فهذا لا يعني أن الإنسان يخلص بالإيمان حصراً. هذا ما أراد قوله القديس يعقوب. أيضاً، إذا كانت الأعمال تُنقص من قيمة ما فعله المسيح فهذا يعني أن الخلاص هو خارجي لحالة الإنسان الروحية. أي إنها تفترض أن نظرية الخلاص هي نظرية التكفير.

إذا بدأنا بالافتراض أن الخطيئة هي إهانة لكرامة الله مما يقتضي تكفيراً لا محدوداً، وإذا افترضنا أيضاً أن الابن الوحيد هو وحده القادر على هذه الكفارة غير المحدودة بدلاً عن الإنسان، عندئذ كل ما يبقى هو كيف يمكن تطبيق هذه الكفارة على الناس كأفراد. كل فريق في زمان الإصلاح، البروتستانت والكاثوليك، أصرّ على ضرورة الإيمان بالمسيح. لكن السؤال: "هل يوجد أي شيء آخر ضروري؟"

بحسب اللاهوت الكاثوليكي: خطيئة الإنسان تسبب عقاباً أبدياً وزمنياً. المسيح كفّر عن العقاب الأبدي لا الزمني. لهذا فسرّ التوبة ضروري للتكفير عن العقاب الزمني. إذا مات المسيحي بدون التكفير هذا فإنه يذهب إلى المطهر حتى يكفّر هناك. "صكوك الغفران" تم اختراعها لتقليل فترة البقاء في المطهر!

كان رد الفعل البروتستانتي على هذا منطقياً: كيف لا يمكن لذبيحة المسيح أن تكون كافية لدفع كامل دين الخطيئة؟ رأينا سلفاً أن السؤال في نظرية التكفير بين الكثلكة والبروتستانتية كان هذا: هل يمكن للتوبة أن تضيف أي شيء على تكفير المسيح؟ البروتستانت أجابوا: كلا. الأرثوذكس سيوافقون على هذا فقط إذا قبلنا نظرية التكفير الغربية.

الخلاص بالمفهوم الأرثوذكسي:

كل التصورات البروتستانتية على أنواعها تفترض أن الخطيئة هي عمل قانوني يهين كرامة الله ويثير غضبه. لهذا يجب إرضاء كرامة الله وغضبه. عملياً لم يُقل شيء عن الإنسان سوى مثوله أمام الله.

الفهم الأرثوذكسي للخلاص ينطلق من بديهيات مختلفة جداً. كما رأينا إن فكرة أن أعمال الإنسان الخاطئة تُحدث تبدلاً في الله (تُثير غضبه وتجرح كرامته) هي أقرب ما تكون إلى التجديف. الله لا يتغيّر. لا يخضع الله لصراع داخلي بين عدالته ورحمته.

بالنسبة للأرثوذكسية: الخطيئة ليست جريمة ضد العدالة الإلهية، لكنها مرضٌ يتلف الإنسان. لم يأتِ المسيح لكي يشفي كرامة الله المجروحة، بل ليشفي الإنسان من مرضه. بسبب الخطيئة صار الإنسان أسير الموت والفساد. الله حياة، والإنسان قطع نفسه عن الله مصدر الحياة الأبدية. جاء المسيح ليُعيد هذه الحياة الضائعة للإنسان.

عند الحديث عن الخلاص فإننا نتكلم لا فقط عن استعادة الطبيعة البشرية المريضة بل أيضاً الشخص البشري المريض.

بسبب خطيئة آدم وحواء صارت الطبيعة البشرية منفسدة وأسيرة للموت. لم يرث الإنسان ذنب خطيئة آدم. هذا ذنب شخصي. بل ورث نتائج السقوط التي أصابت الطبيعة البشرية العامة ككل. أيضاً لم نرث طبيعة مائتة فحسب، بل أيضاً طبيعة أصاب الفساد ملكاتها. الإرادة البشرية صارت مشلولة بالخطيئة وتفضّل الشر على الخير.

المسيح بتجسده بدأ عملية شفاء طبيعتنا المريضة. طبيعته الإلهية اتحدت بطبيعتنا البشرية وإرادته الإلهية قدّست إرادتنا البشرية. بطاعته لله الآب شفى المسيحُ بدمه الإرادة البشرية وبموته وقيامته قضى على قوة الموت وحرّر الإنسان المسبي معيداً الطبيعة البشرية إلى الحياة الحقة.

هذا هو البعد الموضوعي للخلاص. المسيح خلّص الطبيعة البشرية ومنحها مجده وعدم الموت وألّهها. إنما يوجد بُعدٌ شخصي للخلاص. فحتى لو كان كل الناس سيقومون في اليوم الأخير من الأموات إلا أنه ليس كل الناس سيذوقون القيامة المغبوطة.

لو كان الخلاص مسألة موقف لله نحو الإنسان بالحري لا مشاركة حرة للإنسان في حياة الله، لكانت السماء مليئة بأناسٍ أُعلنوا أنهم "غير مذنبين" من قبل الله، ومع ذلك فنفوسهم ما تزال مفسودة بالخطيئة.

ليست الخطيئة مشكلة الله بل مشكلة الإنسان. المسيح فعل كل شيء ليستعيد الطبيعة البشرية ويفتح أبواب الملكوت للإنسان، أما دخولنا إلى الملكوت فهو متوقفٌ علينا[٦٣].

الله لا يُجبر الإنسان على شيء. الإنسان بحريته المطلقة عليه أن يقبل أو يرفض المسيح. المسيح أعاد الصورة الإلهية في الإنسان إلى ما كانت عليه. أما بلوغنا إلى المثال الإلهي فهو متوقف على اختيارنا الحرّ. بكلمات أخرى، يستطيع الله أن يجعلنا غير مائتين، لكنه لا يستطيع أن يجعلنا صالحين ومُحبين.

التأكيد الأرثوذكسي على التعاضد synergeia بين الله والإنسان، بين الإرادة البشرية والإرادة الإلهية، لا يعني الإنقاص من عمل المسيح لخلاص الإنسان: المسيح غلب قوة الخطيئة والموت وأعاد للطبيعة البشرية الصورة الإلهية. الأكثر من هذا، فقط في المسيح، أي فقط بالاتحاد بجسده يُشفى الإنسان، جسداً روحاً وشخصاً: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال ١٧: ٢٨).

أيضاً عقيدة التعاضد الأرثوذكسية لا تعني أن خلاص الإنسان شيء يمكن أن "يستحقه" الإنسان أو "يستأهله" أو "يكسبه". فكرة الاستحقاق بأكملها غريبة عن اللاهوت الأرثوذكسي. عندما يعود المسيح سيكون الكل بالكل، وسنختبر حضوره إما كنور وحياة أو كدينونة وظلمة. ليس الفرق كامن في موقف المسيح منا: لأنه محبة وسيظل هكذا يحب الكل. الفرق هو في موقفنا نحن تجاه المسيح: هذا هو الجانب الشخصي أو البعد الشخصي من الخلاص؛ هذا هو عالم الإيمان والأعمال[٦٤].

---

(٦٣) النقص الفاحش في الغرب هو إهمال دور الروح القدس. وقف عند الصليب ودم المسيح. هنالك العنصرة المجيدة. الروح القدس أعاد المسيح إلينا يوم العنصرة ليعيش فينا ونعيش فيه في الروح القدس هذا نفسه. ليس الخلاص عملية ثابتة بل هو عملية متحرّكة في الروح القدس الذي يتجلّى فينا حتى نبلغ ملء قامة المسيح. بولس أوصانا أن نمتلىء من الروح القدس. فليست المسألة تحليلاً فلسفياً حقوقياً بل حياة روحية في الروح القدس (ا.ج.).

(٦٤) للدمشقي قول لطيف اختصره بالاماس: يسوع تجسّد وصُلب ومات وقام ... قام برحلة خاصة به. ولكن في الأسرار عاد إلينا. البروتستانتية ألغت الأسرار والكثلكة تلاعبت بها، فخرجت عن بعض مقدماتها التقليدية. هذه العودة في الأسرار بفعل الروح القدس هي لبّ اللاهوت الأرثوذكسي. في الأسرار صرت يسوع وصار يسوع إياي. غريغوريوس اللاهوتي يعتبر كل تفاصيل حياة يسوع خاصة بشخصه كأن يسوع هو غريغوريوس، يمزج نفسه بكل حياة المسيح كأنها حياته الشخصية. هذه هي الأرثوذكسية : الحياة في المسيح (ا.ج.).

مرة خلصتَ، دائماً خلصت؟

الفرق بين الأرثوذكس والغرب ليس مجرد لاهوت تجريدي نظري. الفروق تطال حتى أوجه التقوى المسيحية. هذا يظهر عند مناقشة الخلاص. فالبروتستانتي يتباهى بأنه نال الخلاص مرة وإلى الأبد. أما الأرثوذكسي التقي فيعترف أنه خاطىء ولسان حاله يقول إن ما هو عليه إنما هو بنعمة الله. البروتستانتي يفسّر موقف الأرثوذكسي بأنه لا يعرف يسوع. في موقف البروتستانتي غباوة وكبرياء. بولس قال إنه أول الخطأة (١تيمو١: ١٥). البروتستانتي لا يقرع صدره مثل العشّار.

بالنسبة لمعظم البروتستانت: من الممكن أن يعرف المرء بكل تأكيد بأنه مخلَّص وبأنه يضمن الملكوت السماوي. تحتاج هذه الفكرة الهامة إلى نقاش.

التأكّد المغبوط من الخلاص:

"كتبتُ هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله" (١يو ٥: ١٣).

بالنسبة للبروتستانتي من البديهي أن يعرف المسيحي بأنه مخلَّص وأن يضمن خلاصه. فكيف يستطيع الأرثوذكسي أن ينكر ما قيل ببساطة في الكتاب المقدس؟

الجواب هو أن البروتستانتي والأرثوذكسي يستعملان كلمة "خلاص" بمعنيين مختلفين، لهذا يصلان إلى نتيجتين متناقضتين في نقاش هذه المسألة.

الفهم البروتستانتي متأصّل في إطار نظرية التكفير السابق ذكرها. فالفرق بين المخلَّص والهالك هو في موقف الله منهما، وليس في أية صفات فيهما. وأيضاً يفترض أن حالة الإنسان يمكن أن تتغيّر في لحظة من خاطىء كبير إلى قديس عظيم.

أن تكون "مخلَّصاً" بالنسبة للبروتستانتي يعني أن تُعلَن "غير مذنب" من قبل الله. هذا يعني أن الله عندما ينظر إليك فإنه يرى برَّ المسيح بدلاً من خطاياك وحالتك الساقطة الخاطئة. بفداء المسيح البديل على الصليب أرضى المسيح عدالة الآب وكرامته وأطفأ غضبه. ولأن الشخص "المخلَّص" يقف أمام الله "مبرَّراً"، أي بريئاً من كل تهم الخطيئة ضده، فإنه باستطاعته أن يدخل إلى الملكوت ويتمتع بالحياة الأبدية.

من جهة أخرى فإن الذي ينكر المسيح ولا يقبله رباً ومخلِّصاً شخصياً، يبقى في خطيئته. عندما ينظر الله إليه، فإنه لا يرى برَّ المسيح بل حالةَ هذا الإنسان الخاطئة، لهذا يُلقى هذا الإنسان في الجحيم.

ضمن هذا الإطار فإن عقيدة التأكّد المغبوط ذات معنى. إذا قبل المرءُ المسيحَ ووضع كل ثقته في عمل المسيح الفدائي، عندئذ يمكنه أن يكون واثقاً من أن الله سيحفظ وعده: "ويكون كل مَن يدعو باسم الرب يخلص" (أعمال ٢: ٢١). لقد قبلتُ المسيحَ، لهذا أنا مخلَّصٌ. لا شيء يمكن أن يكون أبسط من هذا.

بالنسبة للأرثوذكسي ليست مسألة الخلاص كيف يرى اللهُ الإنسانَ. الله دائماً ينظر إلى الإنسان بمحبة، بغض النظر عن تصرفات الإنسان: "فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار والظالمين" (متى ٥: ٤٥). إنها مقدرة الإنسان على الاتصال بالله وليست مقدرة الله على الاتصالِ بالإنسان.

بما أن الخلاص بالنسبة للأرثوذكسي يشير بالنهاية إلى الحالة الروحية الفعلية للمسيحي، لهذا نجد المسيحي الأرثوذكسي متحفّظاً عن التصريح بأنه مخلَّصٌ. القول بأنه مخلَّص يعني أنه يأخذ مكانة الله في الدينونة. عندما يقول البروتستانتي بأنه مخلَّص فإنه لا يصف حالة روحه، بل أن الله لا يعد يراه خاطئاً. أما القول بأنه مخلَّص بالنسبة للأرثوذكسي فهو يعني أنه وصل إلى حالة سامية من البر أمام الله. وهذا ما لا يتجاسر الأرثوذكسي على الانتفاخ ليلفظه. هو يعرف أن يوحنا السلمي قال إن حالة المرء الأخيرة مرتبطة بلحظة وفاته (٢٦: ١٠٧). وانطونيوس الكبير قال إن التجربة باقية حتى لحظة الموت. والذهبي الفم قال إن يسوع يكمل في اللحظة الأخيرة الذين هم للمجد. هذا كله يعني أن المجد مرتبط بالجهاد حتى الرمق الأخير. وذلك لا يكفي لأنه ليس شيء طاهراً أمام الله. بل هو أي الله يكملنا في اللحظة الأخيرة. في الفكر الغربي هي حالة ثابتة static بينما في الفكر الأرثوذكسي هي متحركة ديناميكية. فالتوبة ديناميكية متواصلة بحرارة .

إن جوهر سقوط الإنسان هو الكبرياء. ولبّ مرض الإنسان الروحي هو أثرته (محبته لذاته). فحتى يُشفى الإنسان يجب أن يكون متواضعاً وأن يعتنق الفقر الروحي "طوبى للفقراء بالروح، فإن لهم ملكوت السموات" (متى ٥: ٣ و٨). ملكوت السموات ليس للذين قد أُعلن أنهم "غير مذنبين"، بل لأولئك الفقراء بالروح والأنقياء القلب.

لهذا فالمسيحي الأرثوذكسي التقي يحجم عن تقويم ذاته وحياته الروحية. إنه يترك هذا لأبيه الروحي (البروتستانتي ليس لديه أبوّة روحية ولا يفهم معناها لهذا فهو بعيد جداً عن التقوى المسيحية بالمفهوم الأرثوذكسي). فكلما اقترب الإنسان من الله كلما شعر بعدم استحقاقه وأدرك مدى عظمة الله ومدى صغر نفس الإنسان. وبالعكس، كلما ابتعد الإنسان عن الله كلما رأى اللهَ صغيراً ورأى ذاته كبيراً وشعر بعظمة نفسه وبكبريائه. أعظم القديسين في الكنيسة وضعوا ثقتهم في نعمة الله لكنهم لم يتباهوا قط بأنهم مخلَّصين أو قديسين. لا يعني هذا فقدان الثقة بالله. حاشا، بل يعني تواضعاً عميقاً أمام الله. القديس يقول مع أشعياء: "..ويلٌ لي إني هلكتُ لأني إنسانٌ نجس الشفتين وأنا ساكنٌ بين شعبٍ نجس الشفتين" (أشع ٦: ٥).

بالنسبة للقديس اسحق السوري، التواضع هو أن يرى الإنسان نفسه دون كل المخلوقات[٦٥]. فالإنسان المتواضع حقاً لن يدين أو يحكم على أي إنسان. أما في اللحظة التي نظن فيها أننا وصلنا فإن الكبرياء تفصلنا عن الله.

ضمانة أبدية أم وهم مشكوك فيه؟

بالنسبة للآباء، لا بد للإنسان أن يكون متواضعاً لكي يصل إلى ملكوت السموات.

بالنسبة للبروتستانتي، لا يعرف فقط أنه مخلَّص بل أيضاً أنه لا يمكن أن يسقط ثانية[٦٦]. هذا التعليم بدون شك ذو جذور في تعاليم كالفن. مع ذلك فقوته ليست في الناحية العقائدية بل النفسية.

الضمانة الأبدية هي نتيجة تعليم كالفن في المثابرة. بحسب التعليم الأصلي، فالذين اختارهم الله للخلاص قبل بدء العالم سيُحفَظون حتى النهاية ولن يسقطوا أبداً من النعمة.

---

(٦٥) هذا رأي الذهبي والسلّمي وكثيرين سواهما. الكثلكة والبروتستانتية بحاجة إلى غسل في معمل القديس أفرام والمقالة الخامسة من كتاب " السلّم إلى الله " لتخلصا من الفلسفة والعقلانية. والبروتستانتية بحاجة إلى الخلاص من هوس التفسير الذي مزّقها إرباً إرباً للتركيز على فهم أرثوذكسي للكنيسة كجسد المسيح في التاريخ، الواحد غير المجزأ إلى أفراد. فكل بروتستانتي كنيسة فردية. وهي بحاجة إلى صلوات القديس أفرام والتريودي الأرثوذكسي، وإلاّ سيزداد تنسّخها (ا.ج.)

(٦٦) ليست كل الفئات البروتسانتية تؤمن بهذا. الميثوديست Methodists والمعمدانيون ذوو المشيئة الحرّة Free Will Baptists وأتباع كامبل Campbellites لا يؤمنون بالضمانة الأبدية.

تعليم المثابرة هذا هو نتيجة طبيعية لتعاليم كالفن الأخرى. فطالما المختارون قد تمَّ انتخابهم من الله بغض النظر عن أعمالهم، لا يوجد شيء نستطيع أنا أو أنت فعله للتأثير على اختيار الله. وبما أن نعمة الله لا يمكن مقاومتها بحسب كالفن، إذاً لا يمكن أن ترفضها حتى لو أردتَ ذلك: عندئذ من البديهي أن نصل إلى نظرية الضمانة الأبدية، لأنه لا يوجد شيء يمكنه أن يجعلك تخسر خلاصك. المثابرة لا علاقة لها بالمسيحي أو قواه بل بقوة إرادة الله.

الشيء الملفت للنظر هنا هو أن غالبية المؤمنين بنظرية الضمانة الأبدية ليسوا من أتباع كالفن. بالنسبة لأتباع كالفن إن نظرية الضمانة الأبدية ذات معنى لأنهم يؤمنون بأن الله قد سبق واختار المخلَّصين قبل بدء العالم بصورة مستقلة عن قواهم أو تقواهم أو إرادتهم الحرّة. وبما أن "خلاصهم" هذا لا علاقة له بإيمانهم، لهذا لا يمكنهم أن يخسروه. لهذا فالضمانة الأبدية لهم هي بديهية لتعليمهم هذا. أما أتباع يعقوب أرمينيوس Arminius Jacob فقد رأوا أن المسيحي بإمكانه أن يقبل أو يرفض المسيح. مع ذلك يؤمنون بالضمانة الأبدية! كيف يمكن للإنسان أن يختار خلاصه وكيف يمكن له أن لا يخسره إن اختار هكذا؟ المعمدانيون الجنوبيون (أكثرية البروتستانت في أمريكا) هم على هذا الرأي المتناقض: يختار الإنسان المسيح بإرادته الحرة، ومع ذلك متى خُلِّص، يضمن خلاصه ولا يستطيع أن يخسره!؟ أي: يستطيع الإنسان أن يختار المسيحَ بحرية ولكنه، متى اختاره، لا يستطيع أن يرفضه؟!

غالبية بروتستانت العالم حالياً على هذا المبدأ. لا يعيرون أهمية فيما إذا كان لاهوتهم متناقضاً مع نفسه أم لا[٦٧]. إن عقيدة الضمانة الأبدية –"تخلص مرة، تخلص للأبد" – ذات أبعاد نفسية هائلة جذابة سمحت بجذب الكثيرين من الناس إلى البروتستانتية. هذا التعليم يعني أن الخلاص عملية تحدث مرة واحدة في الزمان، وتعتمد على موقف الله من الإنسان.

(٦٧) في كتاب معمداني اسمه: "Witnessing to People of Eastern Orthodox Background" لمؤلّفه Matt Spann، يحاول المؤلّف استعراض الفروق بين الأرثوذكس والبروتستانت بغية تسهيل "تبشير" الأرثوذكس في البلاد الأرثوذكسية. تحت فقرة آدم قبل السقوط، يقول إن البروتستانت يؤمنون بأن آدم كان كاملاً وعلى شركة كاملة مع الله. لم ينتبه المؤلّف إلى أن آدم "بالمفهوم البروتستانتي" قد سقط لأنه رفض الله، رغم أن آدم كان كاملاً برأيه. واليوم البروتستانتي، وهو غير كامل مثل آدم، لا يمكنه أن يسقط أو يرفض الله، رغم أنه لا يملك شركة كاملة مع الله مثل آدم قبل السقوط (بالمفهوم البروتستانتي). هذه التناقضات في اللاهوت البروتستانتي ليست غريبة ولكنها مؤسفة وتستحق الرثاء.

طبعاً، الكنيسة الأرثوذكسية ترفض هذا التعليم الخاطىء عن الخلاص لأنها ترفض الإطار الذي فيه تمت صياغة هذا التعليم. فالخلاص حدثية حية من الشركة المتواصلة مع الله. ولا يمكن للخلاص أن يُقال بأنه تامٌ حتى يوم القيامة العامة، عندما يصير المسيح "الكل بالكل". طالما نحن نعيش بالجسد فإن خلاصنا يعتمد على اختيارنا الحر الذي يحترمه الله مهما يكن. القديس بولس يتكلم عن حياته الروحية قائلاً: "إذاً أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين؛ هكذا أُضارب كأني لا أضرب الهواء؛ بل أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١كور ٩: ٢٦-٢٧).

بكلمات أخرى كان بولس يعمل من أجل خلاصه حتى يصل إلى ما كان يرجو. مع ذلك كان يعرف بأنه لم يكن يعمل بقوته بل بقوة الله. هكذا كان يحثّ أهل فيليبي: "إذاً يا أحبائي، كما أطعتم كل حين ليس كما في حضوري فقط بل الآن بالأولى جداً في غيابي تمّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرّة" (فيليبي ٢: ١٢-١٣). لا يشك الأرثوذكس للحظة واحدة أن الله هو العامل فينا أن نرغب وأن نعمل من أجل خلاصنا، ولكن: ليس ضد مشيئتنا، وإلا لما عدنا بشراً بل حيوانات ذات غرائز بدون عقل وإرادة حرة. الخلاص يعني شركة حرة وإلا لا توجد شركة على الإطلاق.

في كل قداس إلهي نصلّي: "أن تكون أواخر حياتنا مسيحية سلامية بلا حزن ولا خزي وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهوب"، وذلك لأن خلاصنا يعتمد لا على موقف الله منا (الله محبة ويحبنا سواء قبلناه أو رفضناه) بل على موقفنا من الله قبيل موتنا. لا يجرؤ أرثوذكسي مهما بلغت قداسته القول بأنه وصل إلى ذروة الحياة الروحية وهو حيٌ بعد. لأن أقدس إنسان هو أكثر إنسان قدرة على رؤية حالته الخاطئة. لهذا يبقى المسيحي ساهراً يقظاً لئلا يسقط. وإذا سقط يؤمن بأن الله يقبله للحال متى تاب توبة صادقة.

مراجعة لآيات كتابية عن الخلاص

يستهوي الكثير من البروتستانت الاقتباس من آيات الكتاب المقدس للدلالة على أن الإنسان ينال الخلاص بمجرد قبوله الإيمان الشخصي بيسوع المسيح، وبأن هذا الخلاص

مضمون[٦٨]. بالطبع معظم الأرثوذكس قليلو الخبرة في التعامل مع آيات الكتاب ويا للأسف، فضلاً عن أن موضوع الخلاص لم يُطرح قط في الكنيسة الأرثوذكسية على هذا النحو. دراسة موضوع الخلاص دراسة كتابياً أمرٌ خارج على نطاق هذه العجالة، إنما لا بد لي من ذكر بعض الملاحظات العامة التي تساعد المسيحي على فهم الآيات الكتابية.

في البداية لا بد من تعريف الخلاص الذي نتكلم عنه خاصة لدى مناقشة الآيات الكتابية. إذا كان الإنسان قد خُلق بدون عيب وفي حالة شركة مع الله، وكانت هذه الشركة تتطور إلى أن سقط بسبب المضلِّل، فإن "الخلاص" بطبيعة الحال هو العودة، على الأقل، إلى حالة الإنسان قبل السقوط، أي الخلاص يعني التخلص من الفسادية والخطيئة والموت التي دخلت كلها على الطبيعة البشرية وعلى حياة الإنسان. بالطبع نحن في يسوع المسيح لا نصير مثل آدم قبل السقوط. نحن نصير أفضل منه بما لا يُقاس. بيسوع المسيح سنصل إلى ما كان آدم مدعواً إليه، لا مجرد حياة الشركة مع الله، بل الاتحاد بالله، التقدّس بنعمة الله غير المخلوقة، "شركاء الطبيعة الإلهية" أي التألّه. هذا في الأرثوذكسية. وكما وجدنا إن الله لا يتغيّر بسبب سقوطنا. فهو يحبنا دائماً ويريدنا أن نشاركه حياته. الأمر متوقف بالكلية علينا: "اليوم إن سمعتم صوته لا تقسّوا قلوبكم". هو دائماً يدعونا إليه. في الأرثوذكسية ليس الخلاص حكم الله القضائي علينا، سواء "مذنب" أم بريء". حكم الله لا يغيّر من طبيعتنا المريضة. الخلاص هو الولادة الجديدة بالروح القدس؛ هو استرجاع الصورة الإلهية المهشَّمة في الإنسان إلى رونقها وعافيتها. هو تقلّد أسلحة روحية بالروح القدس الساكن فينا عند مسحنا بالميرون المقدس. هو جهاد الإنسان الروحي، روحاً وجسداً، حتى الوصول إلى قياس قامة ملء المسيح. لهذا نلاحظ أن اللاهوت الغربي يتنكّر عملياً للتجسّد الإلهي ولمفاعيله في حياة الإنسان[٦٩]. لو كان الخلاص أمراً قضائياً يُصدره الله لما احتاج السيد أن يتجسّد ويُصلب ويقوم.

---

(٦٨) المعمدانيون في اميركا يدعمون إسرائيل المعتدية. وبروتستانت المانيا وبريطانيا واميركا غسلوا الدنيا بالدماء وهم أهل الاختراعات الحربية البارزون. فهل أعمالهم هذه جرائم معاقبة في الآخرة؟ فليعتدلوا. التاريخ المعاصر ضد حروبهم واستعمارهم وقهرهم للشعوب (ا..ج.).

(٦٩) التجسد رفع طبيعتنا فوق الملائكة (سر التدبير الإلهي ص ٦٤ و٦٦). الأرثوذكسية تقول بالنعمة الإلهية غير المخلوقة والتأله. هذا مبني على مجمع خلقيدونيا الرابع المسكوني والخامس والسادس المسكونيين: الطبيعة البشرية موجودة في أقنوم الابن.(ا.ج.)

لن نناقش هنا الآيات الكتابية الغزيرة التي تتكلم عن الخلاص. سوف نقسّم هذه الآيات الكتابية إلى عدة مجموعات كما يلي مما يساعد القارىء الأرثوذكسي والكاثوليكي على فهم كون الاستعمال المغلوط للآيات سيؤدي إلى نتيجة مغلوطة (بديهية فلسفية)، ومما يساعد القارىء البروتستانتي على معرفة أن "الحرف يقتل ولكن الروح يحيي". بالطبع سنذكر بعض الأمثلة عن كل مجموعة مع ملاحظة وجود تداخل بين بعض الآيات في المعاني.

أولاً – الآيات الكتابية الدالّة على أن الخلاص أمرٌ آني يتحقق للتو بالكلام:

"كل مَن يدعو باسم الرب يخلص" (أع ٢: ٢١ ورو ١٠: ١٣)

"وكان الرب كل يوم يضمّ إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع ٢: ٤٧)

"آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك" (أع ١٦: ٣١)

"إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو ١٠: ٩)

"إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرّر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح" (غلا٢: ١٦)

"بالنعمة أنتم مخلَّصون" (أف ٢: ٥)

"لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمالٍ كي لا يفتخر أحدٌ" (أف ٢: ٨–٩)

"ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم" (أف ٣: ١٧)

"بكلامك تتبرّر وبكلامك تُدان" مت ١٢: ٣٧)

نلاحظ هنا أن كتبة العهد الجديد يستعملون كلمة "الخلاص" بمعانٍ عديدة ومغايرة للمفهومٍ الغربيٍ (خاصة البروتستانتي). مثلاً: القديس بولس كان يستعمل كلمة "قديس" استعمالاً مغايراً لاستعمالها الحالي؛ كان يدعو جميع المؤمنين قديسين أي "مفروزين" لأن حياتهم قد تغيّرت بالمسيح فصاروا مغايرين لأهل العالم ومفروزين عنهم(٧٠). الأمر نفسه

(٧٠) في الأرثوذكسية: عمّدنا الروح القدس فولدنا في المسيح وسكن فينا وأخذناه في الميرون وتناولنا القربان المقدس وصرنا أعضاء في الكنيسة " القدوسة الجامعة ". بولس قال: قد اغتسلتم، قد تقدّستم، قد تبررتم (كورنثوس الأولى٢: ٩). فينا إذاً نواة القداسة.

في الخلاص: جميع المؤمنين الذين آمنوا بيسوع المسيح نالوا "خلاصاً"، صاروا "مخلَّصين" مثلما صاروا "مقدَّسين" و"قديسين" و"مفروزين". المؤمنون بيسوع نالوا شيئاً بل أشياء لم ينلها غير المؤمنين بيسوع. لهذا هم مخلَّصون. لكن هل كان كتبة الآيات السابقة يقصدون بالخلاص ما يقصده بروتستانت اليوم؟ هذا ما سنراه أدناه.

لكن قبل الانتقال إلى المجموعة الثانية من الآيات، يجب أن نلاحظ ما يلي فيما يخصّ الآيات السابقة:

١– عند الحديث عن الخلاص بالإيمان مقابل الأعمال، فإن المقصود حصراً هو أعمال ناموس موسى وليس أعمال الإيمان المسيحي على ما سنرى لاحقاً. ناموس موسى سبّب مشكلة كبيرة للمسيحية الأولى نرى صداها في آيات الكتاب التي تركّز على أن الخلاص هو حصراً بالإيمان لا بأعمال الناموس كيلا يفتخر أحدٌ.

٢– إن القول "كل مَن يدعو باسم الرب يخلِص" (أع ٢: ٢١ ورو ١٠: ١٣) لا يعني أن يلغي دور المعمودية وسواها في خلاص الإنسان. إنما المقصود أنه لا يوجد خلاصٌ سوى باسم الرب يسوع الذي "رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسانٌ أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب" (فيا ٢: ٩–١١).

البروتستانت مغرمون بالاقتباس من المجموعة الأولى من الآيات لإثبات صحة تعليمهم. لكن هل هو تعليم العهد الجديد أيضاً؟ هذا ما ستكشفه المجموعات التالية من الآيات[٧١].

ثانياً – آيات تدل على ضرورة جهاد المؤمنين "المخلَّصين" حتى بلوغ الخلاص المرتقب:

لو كنا "مخلَّصين" على الطريقة البروتستانتية لما احتجنا إلى الجهاد ضد الأهواء والشهوات والخ.... لو كان "المخلَّص" على الطريقة البروتستانتية قد ضمن خلاصه لكان

(٧١) الخطأ البروتستانتي الأكبر هو حلول الكتاب المقدس محل جسد المسيح (أي الكنيسة). فوجودهم التاريخي قام على الاقتطاع من جسم الكنيسة الكاثوليكية لتأسيس جماعة منفصلة من كل تاريخ سابق لها. الكنيسة رسولية قائمة على الرسل (رؤيا ٢١: ٢٢ وأفسس) منذ يوم العنصرة. ينتمي الإنسان إليها بمعمودية قانونية. فما علاقتهم بيوم العنصرة؟ هل ترك الروح القدس الكنيسة منذ العنصرة حتى لوثر في ١٥١٨؟ وهل قامت عنصرة جديدة في ١٥١٨؟ لا، لذلك البروتستانتية فرع نما خارج الكنيسة (ا.ج.).

في حالة خلاص من الأهواء والشهوات والتجارب والآلام وإمكانية السقوط، الخ. فهل هذا ما كان يقصده كتبة العهد الجديد؟ لنرَ:

"لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلستُ أجدُّ. لأني لستُ أفعل الصالح الذي أريده، بل الشرّ الذي لستُ أريده فإياه أفعل... فلستُ بعد أفعله أنا بل الخطيّة الساكنة فيَّ" (رو ٧: ١٨–٢٠) **حتى بعد "الخلاص" بولس يفعل الشر الذي لا يريده، بسبب الخطية الساكنة فيه.**

"إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموسَ الخطيّة" (رو٧: ٢٥)

'إذاً لا تملكنَّ الخطيّة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته، ولا تقدّموا أعضاءكم آلاتِ إثمٍ للخطية... " (رو٦: ١٢–١٣)

'جرّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم" (٢كور ١٣: ٥). **لماذا نمتحن أنفسنا إن كنا نظن أننا "مخلَّصون" على الطريقة البروتستانتية؟!**

"لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمّموا كل شيء أن تثبتوا" (أف ٦: ١٣) **يجب أن نقاوم وأن نتمّم وأن نثبت حتى ننال الخلاص!**

"ليس أني قد نلتُ أو صرتُ كاملاً، ولكني أسعى لعلّي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع" (فيل ٣: ١٢). "الخلاص" يعني "الكمال". لكن بولس لا يجرؤ على القول أنه وصل إلى الكمال، فهل هو مخلَّص على الطريقة البروتستانتية؟! بالطبع لا. بل هو مخلَّص على الطريقة المسيحية: لقد نال عربون الخلاص وهو يجاهد الآن حتى يصل إلى ملء الخلاص الذي يناله في اليوم الأخير عندما يرى الله وجهاً لوجه. هذا ما يكرّره سابقاً ولاحقاً كما نرى:

"أيها الأخوة، لستُ أحسبُ نفسي أني أدركتُ، ولكني أفعل شيئاً واحداً: إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام" (فيل ٣: ١٣)

"فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهرْ ونصح" (١تسا ٥: ٦)

"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" (عبر ١٢: ٤)

الضمانة الأبدية هي تعليم بروتستانتي مهم في "الخلاص" كما رأينا. فالمخلَّص لا يسقط لأن المسيح يُقيمه إن سقط ويخلِّصه. يردّد البروتستانت: " المسيح أمين ولا يترك أحباءه ولو سقطوا". السؤال هنا: ماذا لو سقط هؤلاء الأحباء و لم يتوبوا؟ ماذا لو رفض هؤلاء "الأحباء" المسيحَ حتى بعد قبولهم له؟ هذا ما تجيب عليه المجموعة الثالثة من الآيات:

ثالثاً – آيات تدل على أن "المخلَّصين" عرضة للتجارب والسقوط والهلاك"

قصة حنانيا وسفيرة (أع ٥: ١–١١) مثالٌ بليغ لنا: فحنانيا وسفيرة آمنا بالرب يسوع وصارا من "المخلَّصين". لكنهما كذبا على الروح القدس و لم يتوبا، فنالا قصاصاً إلهياً عادلاً بالطبع. لو كان حنانيا وسفيرة من البروتستانت المخلَّصين لكانا قد ضمنا الأبدية مهما حصل! لا نخدع أنفسنا أيها الأحباء.

"إن كان أحدٌ مدعوٌ أخاً زانياً أو طمّاعاً..." (١كور٥:١١). بولس يقول إنه من المحتمل لأحد الأخوة "المخلَّصين" أن يكون زانياً أو طماعاً. إن كانت الشهوة ما تزال حية في المخلَّص، وهذا واقع، فكيف يكون "مخلَّصاً" ومن ماذا مخلَّصاً؟ من الواضح إذاً أن المسيحي لا يصل إلى مرحلة الخلاص الكامل إلا في يوم القيامة العامة.

'إذاً أيٌّ مَن أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه" (١كور١١:٢٧). **الذين يتناولون هم بالطبع من "المخلَّصين" فكيف يكون المخلَّصون مجرمين في جسد الرب ودمه؟!**

"إني أتعجّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر" (غلا ١: ٦). "أبعد ما ابتدأتم بالروح تكمّلون الآن بالجسد؟!" (غلا٣: ٣. أيضاً راجع ٤: ٩). **ألم يكن أهل غلاطية "مخلَّصين" عندما قبلوا الإيمان؟ فكيف تخلّوا عن بشارة الإنجيل؟**

"لأن كثيرين يسيرون ممّن كنتُ أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك" (فيل ٣: ١٨–١٩). هل يصير "المخلَّصون" أعداء صليب المسيح ونهايتهم الهلاك؟! بولس يقول هذا ما حدث فعلاً. إذاً: لا توجد ضمانة من أن "المخلَّص" قد ضمن الملكوت لأنه قد يسقط في أي لحظة ويتخلّى عن المسيح. هذا ما تقصده الآية التالية:

'ولكن الروح يقول صريحاً أنه في الأزمنة الأخيرة يرتدّ قومٌ عن الإيمان" (١تيمو ٤: ١)

"...ملاحظين لئلا يخيب أحدٌ من نعمة الله" (عبر ١٢: ١٥). نعمة الله لا تتخلى عنك؛ بالحري أنتَ مَن قد يتخلّى عنها.

"تمسّك بما عندك لئلا يأخذ أحدٌ إكليلك" (رؤ ٣: ١٣) هذا ما قيل لملاك (راعي) كنيسة فيلادلفيا. هذا الإكليل هو مؤقت وليس أبدي. الإكليل الأبدي نناله عند الدينونة العامة. عندئذ لن يؤخذ منا. أما الإكليل المؤقت فهو زمني قد نخسره إن كنا لا نستحقه.

أين إذن المدّعون بأنهم صاروا "مخلَّصين" وأنهم إذا ماتوا الآن يطيرون إلى ملكوت السموات؟ كيف يحكم البروتستانت "المخلَّصون" على أنفسهم بأنهم صاروا حقاً "مخلَّصين" قبل أن يحكم الرب الديّان عليهم؟! هل هذا ما يعلّمه الكتاب المقدس؟ انظر إلى المجموعة الرابعة من الآيات:

رابعاً – الدينونة في اليوم الأخير هي التي ستقرّر مَن سيخلص:

"فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيدينه. لأنه بنارٍ يُستعلن وستمتحن النار عملَ كل واحد ما هو..." (١كور٣: ١٣.)

'إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١كور٤: ٥).

"ليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط لا من جهة غيره" (غلا٦: ٤)

"لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (٢كور٥: ١٠) **الخلاص والدينونة مرهونان بحكم المسيح في اليوم الأخير.**

"وأما مَن افتخر فليفتخر بالرب. لأنه ليس مَن مدح نفسه هو المزكَّى، بل مَن يمدحه الرب" (٢كور ١٠: ١٧–١٨) **ليس مَن يقول "أنا مخلَّص" هو المخلَّص بل مَن يعلنه الرب مخلَّصاً. من الواضح أن بولس لم يكن بروتستانتياً لأنه لم يفهم الخلاص على الطريقة البروتستانتية!**

"ليُحضركم قديسين وبلا لومٍ ولا شكوى أمامه إن ثبتم على الإيمان متأسّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل" (كول ١: ٢٣)

"صادقة هي الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه. إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه. إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا" (٢تيمو ٢: ١١–١٢). **لاحظ شيئاً هاماً هنا: " إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا". الرب سينكر مَن ينكره لأنه أمين. لهذا في أدب آباء البرية، معلّمي المسكونة، نجد أن أكبر النساك أكثرهم وعياً لخطاياه وخشية من يوم المسيح المرهوب، لا لأن المسيح غير أمين. بل على العكس: لأن أمانة المسيح هي التي ستحكم في هذا الشخص وهي التي ستقرر فيما إذا كان قد قبل المسيح بأمانة وإخلاص من كل قلبه ونفسه وعقله.**

"لكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (متى ٢٤: ١٣). آمين!

لعمري، هل لدى البروتستانت "المخلّصين"خطٌ هاتفي أحمر" مع المجد الإلهي يستطيعون به معرفة المخلَّصين حتى قبل يوم الدينونة العامة؟!

إذاً: لا يستطيع البروتستانت بعد أن يضللوا الأرثوذكس أو الكاثوليك بمسألة أن البروتستانتي قد نال الخلاص وضمن الملكوت وأنه بقبوله يسوع له المجد قد صار من كبار القديسين وهو لا يعرف بعد أبجدية الحياة الروحية المسيحية.

إذاً: بقبول المسيح مخلِّصاً شخصياً وبالولادة الجديدة الروحية بالمعمودية وبنيل الروح القدس له المجد بمسحة الزيت المقدس، وبمناولة جسد الرب ودمه والاتحاد به ينال الإنسان خلاصاً من حالته الساقطة، حالة الخطيئة التي كان يعيش فيها قبل أن يصير مسيحياً. "الخلاص" الحادث في المسيحي هو باختصار كل معاني المعمودية ومفاعيلها. لكنه عندما يولد المسيحي من جديد يولد طفلاً جديداً صغيراً عليه أن ينمو في المسيح إلى أن يصل إلى قياس ملء قامة المسيح. عندئذ: إن بقي المسيحي أميناً للمسيح و لم ينكره يحصل في اليوم الأخير وفي الدينونة العامة على ملء الخلاص: التألّه و"مشاركة الله طبيعته الإلهية" بتعبير الرسول بطرس. إذاً: خلاص المسيحي أمرٌ ديناميكي متحرك متطوّر؛ هو حدثية مستمرة لا تكتمل إلا بعد الموت عندما يميّز الرب الجداء من الخراف. لنقرأ المجموعة الخامسة من الآيات:

خامساً – آيات تدل على أن الخلاص لا يكتمل قبل الموت/ الخلاص حدثية مستمرة:

"الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألّم معه لكي نتمجّد معه" (رو٨: ١٦–١٧): **لم نتمجّد معه بعد. حتى لو دعانا بولس "ورثة"، إلا أننا لم ننل هذه الورثة بعد، بل نلنا "عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أفس ١: ١٤).**

"لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتَق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخّض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبنّي فداء أجسادنا" (رو ٨: ٢١– ٢٣): **لاحظوا هنا هذه الفكرة المهمة جداً: الخليقة مازالت تئن وتتمخّض حتى الآن. الخليقة لم تُعتق بعد من الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. نحن لم ننل التبّني بعد، بل نلنا عربون التبني. إذاً: كيف بعد هذا كله نستطيع القول أننا خلصنا بالمعنى الغربي؟ إننا بهذا القول نخدع أنفسنا: نحن نلنا عربون الخلاص وعربون التبنّي وعربون الملكوت السماوي. لن نصل إليهم إلا في اليوم الأخير بعد أن نُثبت أننا بقينا أمناء ليسوع. عندئذ تنعتق الخليقة من الفساد وينال المؤمنون التبنّي فيصيرون أولاد الله في الملكوت، وكالملائكة لا يعودون يخطئون بعد. عندئذ يستطيعون القول أنهم مخلَّصين.**

إذاً: إن كنا لم ننل ملء الخلاص بعد، بل نلنا عربونه، فلا بد القول أننا بالرجاء خلصنا. يقول الرسول العظيم:

"لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء. لأن ما ينظره أحدٌ كيف يرجوه أيضاً. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقّعه بالصبر" (رو ٨: ٢٤–٢٥). **خلاصنا غير منظور بعد بل نتوقّعه بالصبر:** "طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكّى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه" (يعقو ١: ١٢). لاحظ أنه قال "للذين يحبونه" أي يحبون الرب وليس "للذين يحبهم الرب"، لأن الرب يحب جميع الناس، الصالحين والأشرار. إذاً بناء على محبتنا للرب وثباتنا في هذه المحبة يقرر الرب خلاصنا.

قبل متابعة الآيات لا بد من الوقوف هنا عند ما قاله بولس: "لأننا بالرجاء خلصنا". ثم قال: " ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقّعه بالصبر". إن كنا لم نحصل على الخلاص بل نتوقّعه بالصبر فكيف يقول بولس "أننا بالرجاء خلصنا" بدلاً من القول: "أننا بالرجاء سنخلص"؟ كيف يستعمل بولس صيغة الماضي لحدث لن يتم إلا في المستقبل؟

الجواب بسيط: بولس يؤكّد أننا حتى ولو لم ننل ملء الخلاص بعد، فإننا نتذوّقه ونعيش شيئاً منه الآن. نحن لم نصل إلى الملكوت بعد، ولكننا نعرف أن الكثيرين من القديسين قد تذوّقوا هذا الملكوت قبل رحيلهم عن العالم. لهذا بولس يستعمل صيغة الماضي لحدث سيتم في المستقبل كما لو كان هذا الحدث قد تمَّ سلفاً. هذا يذكرنا يقول بولس نفسه: "وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع" (أفس ٢: ٦). من الواضح أن بولس لا يقصد أننا قمنا مع المسيح وجلسنا معه في السماويات (لأننا مازلنا على الأرض ننتظر يوم موتنا)، لكنه يقصد أننا نلنا عربون القيامة وعربون الجلوس مع المسيح في السماويات، لأننا نلنا بالروح القدس الساكن فينا "عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أفس ١: ١٤). رغم ذلك، بولس يحذّرنا من أن الله لا يجبرنا على خلاصنا إن كنا نرفضه. لهذا قال:

"...ليُحضركم قديسين وبلا لومٍ ولا شكوى أمامه، إن ثبتم على الإيمان متأسّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل..." (كول ١: ٢٢-٢٣).

"هذا وأنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعةٌ لنستيقظ من النوم فإن خلاصنا الآن أقرب ممّا كان حين آمنّا... فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور" (رو١٣: ١١-١٢). لاحظوا هنا هذا: لو قرأنا بولس القائل: "إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو ١٠: ٩) بدون قراءة أي شيء آخر لاستنتجنا أننا ننال الخلاص بمجرد الإيمان بالمسيح. لكن ليس هذا ما يقصده بولس ولو كره الكارهون. لأنه بولس نفسه هو القائل أعلاه: فإن خلاصنا الآن أقرب ممّا كان حين آمنّا.. هذا يعني أننا لم ننل الخلاص بعد. بولس يستعمل كلمة "الخلاص" بأكثر من معنى: إنها تعني الخلاص من حالة الخطية والظلمة التي كنا نعيش فيها قبل معرفة المسيح، وتعني عربون الخلاص الذي نناله الآن بناء على إيماننا بيسوع المسيح، وتعني الخلاص الذي سننال ملئه في اليوم الأخير إن بقينا أمناء للمسيح. كلما اقترب موتنا، يقول بولس، كلما اقترب خلاصنا. المعنى واضح.

"ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: أُبتلع الموت إلى غلبة" (١كور١٥: ٥٤).

"ومتى لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي" (١كور١٥: ٤٩). ما المقصود هنا؟ يقول بولس: كما لبسنا صورة آدم (الأول) الترابي هكذا سنلبس صورة آدم (الثاني) السماوي أي يسوع. أي أننا لم نلبس بعد عدم الفساد لكن: "عند البوق الأخير فإنه سيبوّق فيُقام الأموات وعديمي فساد ونحن نتغيّر، لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: أُبتلع الموت إلى غلبة....الخ" (١كور ١٥: ٥٢-٥٨). إذاً: لم نلبس بعد عدم فساد وعدم موت و لم نلبس بعد صورة آدم السماوي (يسوع المسيح) و لم تتحقق الكلمة المكتوبة (أو الوعد) بعد. هذا كله سيحدث في اليوم الأخير. عندما تُبطَل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة ويصير جميع الأعداء تحت قدميه، وآخر عدو يبطل هو الموت، عندئذ يخضع الكل له فيكون الله الكل في الكل، عندئذ فقط ننال الخلاص من الفساد، من الخطيئة ومن الموت؛ حينئذ فقط نستطيع القول أننا لن نخطىء بعد، ولن نفسد ولن نموت، فنصير مثل الملائكة في السموات.

"يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيحُ فيكم" (غلا٤: ١٩). **إن كان المسيح لم يتصوّر بعد في أهل غلاطية "المخلَّصين" فكيف كانوا "مخلَّصين" بالمفهوم البروتستانتي؟!**

"... إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسانٍ كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.. بل صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس، المسيح" (أف ٤: ١٣-١٥). المسيحي مدعوٌ **للنمو في الإيمان والمعرفة حتى الوصول إلى قياس قامة ملء المسيح.**

"حتى تميّزوا الأمور المتخالفة لكي تكونوا مخلَّصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح" (فيل ١: ١٠). إذا لم نميّز الأمور المتخالفة بل تبعناها لن نكون مخلَّصين يوم المسيح. من الواضح أن الخلاص غير مضمون ويعتمد على الإرادة البشرية لا الإلهية.

"تمّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرّة" (فيل ٢: ١٢). يصرخ الرسول: "**تمّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدة**". **خلاصكم غير كاملٍ بعد. تمّموه بخوفٍ ورعدةٍ. لا تدمدموا قائلين: نحن مخلَّصون! بئس هذا الفكر الباطل. بدلاً من أن نتمّم خلاصنا بخوفٍ ورعدةٍ ومحبة وتواضع، نشمخ برؤوسنا قائلين: "نحن مخلَّصون"؟!** من الواضح أن بولس لم يكن بروتستانتياً وإلا لما قال ما قاله.

هل يتبرّر الإنسان بالإيمان أم بالأعمال؟

الجواب يعتمد على المقصود بالإيمان وبالأعمال. لأن الإنسان يتبرّر بالإيمان وبالأعمال بدون أن يوجد تناقض بين القولين. كيف؟

في معظم مناقشات الإيمان والأعمال في رسائل بولس كان الحديث لا عن أعمال الإيمان المسيحي بل عن أعمال الناموس اليهودي كما ذكرنا. لهذا قال بولس: "وبه (بالإنجيل) أيضاً تخلصون" (١كور١٥: ٢) و"بالنعمة أنتم مخلَّصون" (أف٢: ٥) و"إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو١٠: ٩) و"إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرّر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح" (غلا٢: ١٦) و"لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمالٍ كي لا يفتخر أحدٌ" (أف ٢: ٨–٩). لو قرأنا هذه الآيات على حدة لاستنتجنا أن الإنسان لا يمكنه أن يتبرّر بأعمال الناموس اليهودي بل بالإيمان بيسوع المسيح له المجد. لكن هذه الآيات لا تعني أن التبرير بالإيمان يلغي دور الأعمال المسيحية. لأنه إن كان التبرير هو بالإيمان عند بولس فلا يعني هذا أن بولس يلغي دور الأعمال في حياة المسيحي ولا يضع بولس في موقف متعاكس مع يعقوب كما افترض خطأ لوثر وسواه. ماذا قال بولس عن الأعمال وعن الخلاص بالأعمال؟

"فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً" (غلا٦: ٧)

"تمّموا خلاصكم بخوفٍ ورعدة" (فيل ٢: ١٢)

"جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت" (١تيمو ٦: ١٢)

"إن كان أحدٌ يجاهد لا يُكلَّل إن لم يجاهد قانونياً" (٢تيمو ٢: ٥)

"فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيدينه. لأنه بنارٍ يُستعلن وستمتحن النار عملَ كل واحد ما هو..." (١كور٣: ١٣.)

"إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله" (١كور٤: ٥).

"ليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط لا من جهة غيره" (غلا٦: ٤)

"لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً" (٢كور٥: ١٠)

إذاً: سيُدان الإنسان بناء على أعماله في اليوم الأخير. هذه الأعمال ستعكس إيمانه بالمسيح. من هنا نجد أن الخلاص هو بالإيمان وبالأعمال معاً. هذا ما سبق للرب له المجد أن قاله: "... وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله" (متى ١٦: ٢٧). هذا المشهد قدّمه الرب في حديثه عن اليوم الأخير: ".. لأني جعتُ فأطعمتموني،....." (متى ٢٥: ١٤-٣١). بالطبع الأعمال بدون إيمان كحساب البنك بدون رصيد: ورق في ورق ولا تنفع شيئاً. لهذا لم يأتِ الرسول يعقوب بجديد عندما قال: "هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمالٌ ميتٌ في ذاته.." (يعقو ٢: ١٧) و"بالإعمال يتبرّر الإنسان لا بالإيمان وحده" (يعقو ٢: ٢٤).

الخلاص سرٌ عظيم. سمة المسيحي الحقيقي هي التواضع، تواضع العشّار الذي اعتبر نفسه غير مستحقٍ أن ينظر إلى السماء فخرج مبرَّراً. والسبح لله دائماً.

انبثاق الروح القدس

د. عدنان طرابلسي

هذه الدراسة تتطلب من القارئ سلاماً روحياً ونقاوة قلبية ويقظة ذهنية ليستطيع بالصلاة والتأمل أن يصل إلى أفكارها العميقة.

مقدمة:

إله الوحي المسيحي إله شخصاني. هو ليس إله الفلاسفة (مجرد جوهر بسيط أو طبيعة إلهية متعالية). إنه إله شخصاني يخاطب الناس كأشخاص بأسمائهم ويخاطبه الناس باسمه. هذا الإله الشخصي كان هكذا حتى في العهد القديم. لكن العهد الجديد كشف ملء الوحي الإلهي فعرفنا أن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب هو نفسه إله بطرس ويوحنا ويعقوب، وهو نفسه الآب والابن والروح القدس.

نؤمن بالثالوث القدوس لأنه هكذا أظهر نفسه للإنسان، كما مثلاً في معمودية الرب في نهر الأردن. يومها ترتّل الكنيسة المقدسة: "باعتمادك يا رب في نهر الأردن، أظهرت السجدة للثالوث" أو "السجود للثالوث". نؤمن بالثالوث القدوس لأنه هكذا علّم الكتاب والآباء. نؤمن بإله واحد، لأنه توجد طبيعة (جوهر) إلهية واحدة. ونؤمن بالآب والابن والروح القدس، لأن الله ثلاثة أقانيم أو أشخاص تمتلك هذه الطبيعة الواحدة نفسها. يقول القديس باسيليوس الكبير: "موطننا وحياتنا هو في الثالوث القدوس الواحد في الجوهر وغير المنقسم، الإله الوحيد". إذاً: في الله نميّز بين الطبيعة الإلهية الواحدة البسيطة من جهة وبين الأقانيم (الأشخاص) الإلهية من جهة أخرى والتي لها الطبيعة الإلهية الواحدة التي تكون واحدة للأقانيم بدون انفصال أو تجزئة أو انقسام فيما بينها.

أيضاً يوجد تمييز آخر في الله هو بين الطبيعة (أو الجوهر) الإلهية من جهة والقوى الإلهية أو النعمة الإلهية غير المخلوقة من جهة أخرى وهي تصدر عن الجوهر الإلهي[٧٢].

مسألة انبثاق الروح القدس له المجد ذات علاقة مباشرة بالتمييز الأول (بين الجوهر والأقانيم)، وعلاقة غير مباشرة بالتمييز الثاني (بين الطبيعة الإلهية والقوى الإلهية غير المخلوقة) كما سنرى.

لهذا فأي لاهوت يؤدي إلى إرجاع إله الوحي المسيحي الشخصاني إلى مجرد جوهر أو طبيعة إلهية غير شخصانية أو يخلّ بالتوازن بين الجوهر (الطبيعة) الإلهي والأقانيم الإلهية ويُضعف التمايز الأقنومي لصالح الجوهر إنما هو لاهوت مرفوض أرثوذكسياً لأنه يخالف وحي الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة وتعليم الآباء القديسين. هذا بالضبط ما تصنعه عقيدة الانبثاق من الآب والابن.

بالنسبة لعقيدة الثالوث القدوس، يأخذ الغرب الطبيعة الإلهية الواحدة كنقطة بداية، ومنها ينطلق إلى الأقانيم (الأشخاص)؛ أما الشرق فيأخذ الاتجاه المعاكس بادئاً من الأشخاص ومنها ينطلق إلى الطبيعة الإلهية. القديس غريغوريوس اللاهوتي يفضّل الطريقة الأخيرة (الشرقية) لأنها متوافقة أكثر مع الكتاب المقدس ومع صيغة المعمودية والتي تسمّي الآب والابن والروح القدس. والفكر البشري لا يتعرض لخطر الضلال إذا ما انطلق من الأقانيم إلى الطبيعة الإلهية الواحدة. مع ذلك، فالطريقتان مقبولتان طالما الطريقة الأولى لا تعزو للجوهر (الطبيعة) تفوقاً على الأقانيم، ولا تعزو الطريقة الثانية تفوقاً للأقانيم على الجوهر المشترك.

الآباء استعملوا لفظتين (الجوهر ousia والأقنوم Hypostasis) ليثبتوا التميّز بين الطبيعة والأشخاص، بدون المبالغة أو المغالاة في أحد الطرفين. فعندما نتكلم عن الأشخاص نتكلم عن الطبيعة والعكس بالعكس. فلا يمكن تصوّر الطبيعة بدون الأشخاص. إذا تمَّ الإخلال بهذا التوازن التضادي antinomy بين الطبيعة والأشخاص، لوجد خطر الوقوع إما في ضلال جعل الله مجرد طبيعة واحدة ذات وجوه متعددة وأسماء عديدة (أو ما ندعوه موحود سابيليوس: وهو الله– الجوهر الخاص بالفلاسفة)، أو في تعدد الآلهة.

---

(٧٢) راجع السؤال ١٨٢ المتعلق بالنعمة غير المخلوقة في الفصل السادس.، والدراسة الخاصة بهذا الموضوع في قسم الملاحق.

إن إدخال الانبثاق من الابن كان عاملاً حاسماً ساعد في الانشقاق الأرثوذكسي الكاثوليكي. حتى اليوم لا يستطيع الكثير من المسيحيين أن يفهموا لماذا كان لهذا العامل تلك الأهمية. فإذا كان كل من الأرثوذكس والكاثوليك يؤمنون بالآب والابن والروح القدس، فأي فرق كبير يوجد بين الانبثاق من الآب وحده أو من الآب والابن[٧٣]؟

الجواب يكمن في أن كلا الطرفين يؤمنان إيماناً مختلفاً بالثالوث القدوس؛ هذا الإيمان المختلف تعبّر عنه عقيدة الانبثاق من الآب والابن. فاستعمال الكنيستين للفظة "ثالوث" لا تعني أن لهما الإيمان الواحد عينه. لنبدأ بالخلفية التاريخية هنا فهي مهمّة لفهم هذا الموضوع.

التحدي الفلسفي

منذ البدايات كان على المسيحية أن تصوغ إيمانها وتعبّر عنه بألفاظ وطريقة مفهومة لعالمٍ نشأ وتغذّى من الثقافة اليونانية واستعمل الفلسفة اليونانية في طرق تفكيره.

في القرن الثاني ظهر "المدافعون" عن الإيمان المسيحي ضد الهجمات الوثنية. بشكل عام قام المدافعون إما برفض الفلسفة اليونانية جملة وتفصيلاً أو بمحاولة مجانسة الفلسفة اليونانية مع المسيحية.

في القرن الثالث ظهر تأثير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية. فلقرون عديدة كانت الإسكندرية مركزاً للثقافة الهيللينية. وهنا ظهر المؤرّخ اليهودي المشهور فيلون الذي جانس بين اليهودية والفكر اليوناني. وهنا تأسست أول مدرسة مسيحية رسمية هي المدرسة الإسكندرية.

وفي القرن الثالث يقف العملاقان كلمندس الإسكندري وأوريجنس. لكن محاولاتهما لمجانسة الفكر المسيحي مع اليوناني لم تكن ناجحة مع الأسف. ما يهمنا هنا هو أوريجنس بشكل خاص لأنه ساعد في وضع مرحلة من مراحل المناظرة حول عقيدة الثالوث، وهو ما سيساعد في صياغة هذه العقيدة في القرن الرابع. قال أوريجنس إنه إذا

(٧٣) مجرد الإيمان بالآب والابن والروح القدس وحده لا يكفي. فالمورمون يؤمنون بالآب والابن والروح القدس وإنما بصيغة كفرية وثنية مجبولة بضلال تعدد الآلهة. وشهود يهوه يستعملون الصيغة نفسها وإنما بمعنى يهودي كافر.

كان الله غير متبدّل وإذا دُعي عن حق أباً، لهذا فيجب دائماً أن يكون له ابنٌ، وإلا لكان قد بدأ بالصيرورة أباً في نقطة من الزمان، مما يعني تبدلاً في الألوهية. حتى الآن الكلام معقول. لكن أوريجنس واصل التفكير: بما أن الله يُدعى دائماً "خالقاً"، لهذا يجب على العالم دائماً أن يكون موجوداً، وإلا لكان الله قد خلق في لحظة معينة من الزمان، مما يعني تبدلاً في الألوهية. هذا المأزق الفلسفي الذي وضع أوريجنس نفسه فيه سيحلّه بطل الأرثوذكسية القديس أثناسيوس الإسكندري.

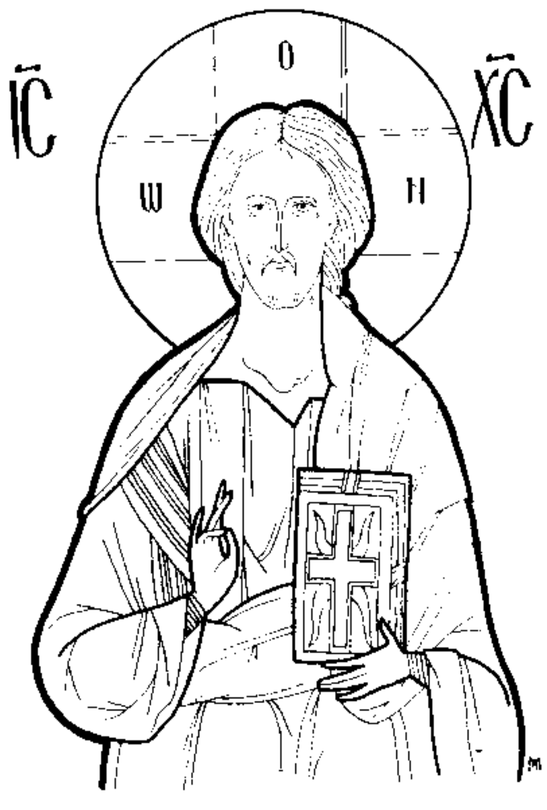

أثناسيوس ميّز بين ما هو الله في ذاته، وبين ما يفعله الله. فالله آب لأنه هذا ما هو عليه. من جهة أخرى، خلق اللهُ العالَم بمشيئته في لحظة من الزمان. كان ممكناً له أن يخلق أو لا يخلق. فليس العالم أزلياً ولا ضرورة. فالله خالق فقط لأنه يشاء أن يخلق.

هذا التمييز بين حياة الله الداخلية والطريقة التي بها يتصرف خارج نفسه ad extra، تسمح لنا أن نتأمل في كيان الله في ذاته (اللاهوت بالخاصة)، وفي أفعاله (التدبير) بصورة منفصلة (في الجوهر والقوى)[٧٤]. لا شك أن تمييزاً كهذا إنما هو ثورة في طرق التفكير اليونانية التقليدية وتحد للبساطة الإلهية. مع ذلك كان أثناسيوس يدرك أنه كان يتكلم عن الإله المسيحي وليس إله الفلاسفة؛ عن الله الذي خلق العالم من عدمٍ؛ عن الله الذي اتخذ جسداً وصار إنساناً.

هذا التمييز كان حاسماً لحلّ الجدل الذي يلي والمتعلق بعقيدة الثالوث. من المثير للاهتمام أن نعرف أن هذا التمييز بين حياة الله الداخلية وبين نشاطه (أو ما دُعي لاحقاً بين جوهره وقواه) قد تمّ نكرانه من قبل اللاهوتيين اللاتين في القرون الوسطى وحتى يومنا الحالي. إذاً: حلّ القديس أثناسيوس مأزق أوريجنس بالتمييز بين حياة الله الداخلية أو كيانه (جوهره) وبين نشاطه وأفعاله (أو قواه)[٧٥].

---

(٧٤) راجع السؤال ١٨٢ في الفصل السادس عن النعمة الإلهية والمتعلق بالجوهر الإلهي والقوى الإلهية. أيضاً الدراسة الملحقة الخاصة بهذا الموضوع.

(٧٥) أوريجنس أفلاطوني. دانه المجمع الخامس المسكوني. إنما هو مفسّر كبير. فيما عدا هرطقاته، هو جيّد.

الجدل الآريوسي:

أتى آريوس بالافتراضات الفلسفية نفسها التي أتى بها أوريجنس، ولكنه انتهى إلى نتيجة مغايرة تماماً. فبينما علّم أوريجنس أن العالم كان أزلياً، علّم آريوس أن ابن الله كان مخلوقاً. لم يكن أي منهما مستعداً لقبول التمييز بين الجوهر والقوى في الله.

كان آريوس مثل أوريجنس يدافع عن مفهوم فلسفي يوناني لله. فإذا كان لله ابنٌ أزلي، فإن هذا سيقضي على البساطة الإلهية بمفهوم آريوس، مما يؤدي إلى تعدد الآلهة. لهذا يجب أن يكون الابن مخلوقاً بحسب آريوس.

بسبب انتشار هرطقة آريوس ووجود مؤيدين لها، اضطرت الكنيسة إلى عقد مجمع مسكوني في نيقية العام ٣٢٥ وحضره ١١٨ أسقفاً و٣٧ مندوباً. في هذا المجمع تمَّ وضع دستور الإيمان النيقاوي الذي يقول بأن الابن "مولود غير مخلوق"، مما كان أيضاً انتصاراً لما قاله القديس أثناسيوس سابقاً في التمييز بين كيان الله وعمله(٧٦).

لكن آباء المجمع النيقاوي استعملوا لفظة يونانية كانت مثار جدل لفترة طويلة. لقد رأوا أن هذه اللفظة تعبّر عن الإيمان الأرثوذكسي في الثالوث، وتؤكد على وحدة الآب والابن في الطبيعة (أو الجوهر) الإلهية الواحدة. هذه اللفظة هي homoousious (لهما أو لهم الطبيعة الواحدة نفسها). هنا برزت عبقرية القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصصي في التأكيد على لاهوت المجمع النيقاوي.

الآباء الكبادوكيون:

كثيرون رفضوا تعليم آريوس واستعمال لفظة homoousious، وذلك لأنها لم ترد في الكتاب المقدس ولأنها ذات معنى مغاير في الفلسفة اليونانية. فهذه اللفظة اليونانية كانت تعني لآباء مجمع نيقية أن للآب والابن الجوهر الإلهي عينه. الذين رفضوا استعمالها كانوا يخشون، في سياق التأكيد على وحدة الطبيعة بين الآب والابن، أن

(٧٦) راجع الأب اسبيرو جبور "سرّ التدبير الإلهي".

يضيع التمايز بين أقنومَي الآب والابن. وبما أن للفظة "شخص" اليونانية آنذاك كانت تحمل مجرد معنى "وجه" أو "قناع"، فقد خشي الذين رفضوا استعمال لفظة homoousious اليونانية أن يسقطوا في هرطقة سابيليوس.

سابيليوس (في بداية القرن الثالث) كان يعتبر أشخاص أو أقانيم الثالوث القدوس مجرد أوجه لله. وأن الله أخذ دور الآب في فترة معينة من التاريخ (قبل التجسد)، وأخذ دور الابن في التجسد. لهذا فاستعمال لفظة homoousious بمعنى مسيحي جديد بالكلية، كان يدعو للخشية أن تختفي أشخاص الثالوث في الطبيعة الإلهية؛ أي أن يتم التأكيد على الطبيعة على حساب الأشخاص. هذا ما تؤدي إليه مع الأسف بدعة الانبثاق من الآب والابن كما سنرى، وإن كان المدافعون عنها لا يقصدون هذا(٧٧).

الوجه الآخر للمشكلة هو أن لفظة "شخص" اليونانية لم تكن تحمل معنى مسيحياً سابقاً، بينما في المسيحية صار "الشخص" هو الحاوي، والأساس، والمصدر والمبدأ والأصل(٧٨) (يوحنا الدمشقي: الإيمان الأرثوذكسي ١: ١٨). النقطة الجوهرية بالنسبة للآباء الكبادوكيين كانت إعطاء تعبير كاف لله الذي كشف عن نفسه للأنبياء والرسل. هذا الإله هو ليس إله الفلاسفة (مجرد جوهر بسيط مطلق)، بل هو إله شخصاني هو إله إبراهيم واسحق ويعقوب.

الآباء الكبادوكيون لم "يخترعوا" عقيدة الثالوث. بل كانوا يحاولون الإجابة على التحدي الذي فرضته الهرطقات المتتابعة التي ابتلت بها الكنيسة. فكل هذه الهرطقات (هرطقة سابيليوس وآريوس وأوريجنس وسواهم) كانت تُخضع إله الأناجيل لمفهوم فلسفي عما يُفترض أن يكون الله عليه. فالرؤية الإنجيلية لإله شخصاني كانت ضحية لحساب جوهر إلهي بسيط وثابت بصورة مطلقة.

---

(٧٧) بولس السمسياطي استعمل لفظة هومواوسيوس. إلاّ أنّ الآباء قصدوا معنىً آخر. الغرب استعمل لفظة شخص Personne المقابلة ل Prosopon اليونانية التي لا تعني "أقنوم". تفاهم الغرب والشرق على المضمون فقبل الكبادوكيون ترادف لفظتي شخص وأقنوم (اسبيرو جبور).

(٧٨) راجع اسبيرو جبور: "سر التدبير الإلهي" و"الله في اللاهوت المسيحي"، ود. عدنان طرابلسي: "الرؤية الأرثوذكسية للإنسان".

لاهوت الآباء الكبادوكيين صالح الأساقفة الذين رفضوا استعمال لفظة homoousious خشية من هرطقة سابيليوس. حدث هذا في المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية العام ٣٨١. عندئذ تمّ قبول إيمان نيقية ضمن الإطار الذي وضعه الكبادوكيون.

عندما قام اللاتين بإدخال عبارة "والابن" إلى دستور الإيمان النيقاوي، فإنهم لم يحرّفوا النص فقط، بل قاموا بوطء لاهوت الدستور ذاته. لهذا السبب كانت ردة فعل الكنيسة الأرثوذكسية تجاه هذا التغيير كبيراً وحاداً.

لاهوت الثالوث القدوس:

الأشخاص والطبيعة بين الأرثوذكس والكاثوليك:

اللاهوتيون الشرقيون الأرثوذكس يبدأون بأشخاص الثالوث ومن ثم ينتقلون إلى وحدة الطبيعة الإلهية. بينما يبدأ اللاهوتيون الغربيون عادة بالطبيعة الإلهية الواحدة وينتقلون إلى تعدد الأشخاص الإلهية. السؤال هنا هو: لماذا هذا الفرق في المعالجة بين الطريقتين؟ فإذا كان تأكيد الأرثوذكس على البدء بأشخاص الثالوث هو انعكاس لهمّهم بالمحافظة على وجهة نظر كتابية أساسية لله الشخصي (إله إبراهيم واسحق ويعقوب، إله بطرس وبولس ويوحنا)، فإن إصرار اللاتين على البدء بالطبيعة الإلهية يعكس اقتراباً فلسفياً أساسياً من اللاهوت وتأثّراً واضحاً بإله الفلاسفة الذي هو مجرد جوهر إلهي بسيط. الأمر نفسه ينطبق على نسطوريوس الذي بدأ بطبيعتين في المسيح وانتقل منهما إلى وحدة الفرد في المسيح، بينما بدأت الأرثوذكسية من وحدة الفرد وانتقلت منها إلى الطبيعتين. أيضاً السؤال هو لماذا؟ الجواب هو أن نسطوريوس كان يطبّق تعليماً فلسفياً عن المسيح بينما كان الأرثوذكس يستعملون وجهة نظر كتابية أصيلة والتي أكّدت على أن المولود والمصلوب والقائم من الأموات لم يكن أقل من ابن الله نفسه.

فالأرثوذكسية لا تعرف الله الثالوثي إلا كما كشف نفسه للإنسان: إله أشخاصٍ (إله إبراهيم واسحق ويعقوب، إله بطرس وبولس ويوحنا، إله مكسيموس وغريغوريوس وسيرافيم)، إلهاً شخصانياً، إلهاً ثالوثياً: هو آبٌ وابنٌ وروحٌ قدس. هذا الثالوث نختبره في حياتنا وفي صلاتنا وفي جهاداتنا كآبٍ خالق ومدبِّر، وكابنٍ مخلِّص وفادٍ، وكروحٍ

قدسٍ مقدِّس ومجدِّد الخليقة. هذا الثالوث هو إله واحدٌ في ثلاثة أشخاص. نعرف أشخاص الثالوث أولاً ومن ثم نؤمن وندرك بأن هذا الثالوث له جوهر إلهي واحد مشترك. وبما أننا لا نستطيع إدراك الجوهر الإلهي بدون معرفة الأقانيم الإلهية، لهذا لا يمكن أن نعرف الله إلا عبر أشخاص الثالوث المجيدة. وإن قلنا بأننا لا نستطيع الوصول إلى الجوهر الإلهي بل نعرف الله من خلال قواه ونعمه غير المخلوقة، فهذه القوى والنعم الإلهية هي "شخصانية" وليست قوى مجرّدة نظرية.

اللاهوت الغربي العقلاني المتأثِّر بالأرسطوية يحاول معرفة الله بالفكر، بالمنطق العقلاني والتأمّل الفلسفي. يؤمن بعض أقطاب هذا اللاهوت بأن الفلاسفة القدامى قد عرفوا (نوعاً ما) الثالوث حتى ولو كان خارج الوحي الإلهي المسيحي(٧٩). الفلسفة عرفت إذاً إلهاً بسيطاً واحداً هو موضوع تأمّلٍ عقلي. المسيحية الغربية أضافت على هذه الصورة أشخاص الثالوث. لم تكن هذه الإضافة موفقة بل سطحية وهامشية لأن مفهوم "الشخصانية" الأرثوذكسي لم يكن معروفاً في الغرب بصورة صحيحة، مما أدّى إلى اعتبار أشخاص الثالوث "مجرد علاقات" على ما سنرى.

المدافعون عن عقيدة الانبثاق من الابن كانوا، مثل آريوس وأوريجنس، عاجزين عن تصوّر تمييزات حقيقية شخصانية (كالأقانيم) ضمن الألوهة بسبب مغالاتهم في التأكيد على البساطة الإلهية. وبالفعل كان أوغسطينوس واضحاً جداً بخصوص بساطة الطبيعة الإلهية: "الله... بسيط، بحيث أن حكمته ومعرفته، صلاحه وقوته، هي جوهره(٨٠)، الذي بدون أعراض accidents(٨١)(٨٢)

(٧٩) هذه الفكرة منسوبة إلى أوغسطينوس وهو مُتَّهم بها، إلى درجة أنه يُعتقد بأن أوغسطينوس كان يؤمن بأن الأفلاطونيين القدامى قد عرفوا بصورة ما الثالوث. من هنا نشأة كتاب "أسطورة الملاك" من العصور الوسطى والذي فيه يقول ملاك (متخفٍ بشكل طفل) لأوغسطينوس: "من الأسهل لك أن تفعل هذا (تسكب ماء البحر كله في حفرة صغيرة) عن أن تُنهك نفسك بسر الثالوث العميق بواسطة موارد العقل البشري وحده".

(٨٠) هذا الفكر الأوغسطيني مخالف للاهوت الأرثوذكسي ولتعليم الآباء. فحكمة الله ومعرفته وصلاحه وقوته، الخ، هي قواه الإلهية غير المخلوقة وليست الجوهر الإلهي. بالطبع أوغسطينوس لم يكن يميّز بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية، وبسببه (كثيراً أو قليلاً) رفض اللاهوت الغربي هذا التمييز فضل.

(٨١) صفات غير جوهرية.

(٨٢) Frederick Copleston, SJ., A History of Philosophy , Vol. 2, Pt 1, Mediaeval Philosophy: Augustine to Bonaventure(Garden City, NY; Image Books, 1962) p. 87.

وبصورة مشابهة، فإن التأكيد الموضوع على البساطة المطلقة للطبيعة الإلهية من قبل المدافعين عن الانبثاق من الابن يمكن أن يؤدي إلى الحطّ والإنقاص من الأشخاص. وللإجابة على هذا النقد، فإن بعض اللاهوتيين اللاتين قد "حاولوا أن يموضعوا الانبثاق لا في الجوهر ousia، الذي هو واحد مشترك [لكل الأشخاص]، ولا في الشخص، الذي تمَّ الكلام عنه بحد ذاته، بل في العلاقة بين الأشخاص.[٨٣]" هكذا، إن الحياة الشخصية للثالوث تُنقَص إلى صنف من العلاقات. وبالفعل، من الشائع حتى اليوم بالنسبة للاهوتيين الكاثوليك أن ينكروا وجود فرق حقيقي (بالمقارنة مع الفرق اللفظي المجرد) بين الشخص والطبيعة.

هكذا، من وقت أوغسطينوس وحتى اليوم، فإن اللاهوتيين الغربيين قد تبنّوا اقتراباً فلسفياً بصورة أساسية من لاهوت الثالوث القدوس، فيه ساد التنظير حول الجوهر الإلهي. إن "الانبثاق من الابن" هي ثمرة هذا الأسلوب. بالطبع، فإن القديس أوغسطينوس لم تكن له نيّة أن يكون أكثر من ابن مخلص للكنيسة. ففي كتابه "اعترافات"، نرى إنساناً ذا إيمانٍ وتقوى حقيقيين. لكن في كتابه "الثالوث "De Trinitate، فإن أوغسطينوس اللاهوتي المنظِّر يأتي تحت الأنظار[٨٤]. على كل حال، فإن ما نتعامل معه هنا هو بصورة رئيسية تركة أوغسطينوس (أو ما يُنسب إليه)، بالحري أكثر من أوغسطينوس نفسه[٨٥]. فلو تمّ البرهان على أن أوغسطينوس هو فعلاً كاتب كل المقولات

---

(٨٣) Pelikan, Spirit, p. 195. The reference is to Anselm of Havellberg, Dialogues in Constantinople with Nicetas of Nicomedia, 2:10.

(٨٤) لمراجعة مزج أوغسطينوس بين فلسفة أرسطو والأفلاطونية الحديثة في كتابه "الثالوث"، ولمراجعة التناقضات الموروثة في ذلك المزيج، راجع:

A. C. Lloyd, "On Augustine's Concept of a Person" in Augustine: A Collection of Critical Essays, Ed. By R. A. Markus (Garden City, NY: Anchor Books, 1972), pp. 191-205.

(٨٥) سبب خطأ أوغسطين هو ترجمة ايرونيموس للعهد الجديد في يوحنا ١٥: ٢٦. ايرونيموس ترجم بلفظة واحدة انبثق وأرسِل. وفي رو ٥: ١٢ أخطأ ايرونيموس ففهم أوغسطين أنّ البشر مسؤولون عن خطيئة آدم الشخصية. اليوم تراجعت الترجمات الكاثوليكية. في الفرنسية .B.J وترجمتها لدار المشرق. رومية ٥: ١٢ صارت مثل الأرثوذكسية. في تعليقهما على يوحنا ١٥: ٢٦ فرّقتا بين الإرسال الزمني يوم العنصرة وبين الإنبثاق السرمدي. الجرمان اجتاحوا فرنسا واسبانيا وشمال إفريقيا وهم على المذهب الأريوسي. في ٥٨٩ نادوا في اسبانيا بانبثاق الروح القدس من الابن ضد الأريوسية لرفع مستوى الابن إلى مساواة الآب. في ٧٩٤ تبنّى مجمع فرانكفورت الشارلماني البدعة لأنّ شارلمان يريد الانفصال عن القسطنطينية.
طعن في المجمع السابع رئيسه طراسيوس ويوحنا الدمشقي الصرحاء ضد انبثاق الروح من الآب. في ٨٠٩ في مجمع Aix en Provence بفرنسا حضر رهبان شرقيون قاوموا ذلك. انتقلوا إلى روما فشجبها البابا لاون=

اللاهوتية المنسوبة إليه، لكان موقف آباء الكنيسة الذين أعلنوا قداسته معاكساً تماماً، وهم الذين اعتمدوا على ما تُرجم من كتاباته إلى اليونانية للتعرّف عليه وبالتالي تطويبه.

مصدر الوحدة في الثالوث:

اللاهوت الأرثوذكسي:

دائماً كان الأرثوذكس يؤكدون على أن مصدر الوحدة في الثالوث القدوس هو شخص الآب. فالآب، كمصدر لشخص الابن وشخص الروح القدس، هو بالوقت نفسه أيضاً مصدر العلاقات التي منها تتخذ الأقانيم خصائصها المميِّزة. فهو يتسبّب بصدور شخص الابن منه بالولادة وبصدور شخص الروح القدس منه بالانبثاق، ممّا يضع أساس علاقتهما الخاصة بصدورهما (الولادة والانبثاق) بالنسبة لأساس الألوهة الفريد. لهذا السبب كان الشرق دائماً يعارض عقيدة "الانبثاق من الابن" والتي تبدو وأنها تعيق أحديّة الأصل أي الآب (كون شخصه هو أساس وحدة الثالوث ومصدر شخصَي الابن والروح القدس): فإما أن يضطر المرء لتقويض الوحدة وذلك باعترافه بوجود مصدرين للألوهة (الآب والابن)، وإما أن يعتبر الطبيعة المشتركة هي مصدر الوحدة مما يعتّم على أشخاص الثالوث ويحوّلهم إلى مجرد علاقات ضمن وحدة الجوهر. بالنسبة للغرب، العلاقات نوّعت (شكّلت) الوحدة الأساسية. بالنسبة للشرق، إن العلاقات تمثّل بالوقت نفسه التنوّع والوحدة، لأنها تعود إلى الآب كمصدرٍ لها والذي هو أساس الثالوث. النبرة الشخصانية سدى الأرثوذكسية ولحمتها.

إذاً، بالنسبة للشرق يوجد إله واحد لأنه يوجد آب واحد. أما الأقانيم والطبيعة المشتركة فهي مُعطاة في الوقت نفسه وبدون أسبقية أحدهما على الآخر[٨٦]. فالآب،

=الثالث. انحصرت بالجرمان. في زمن الاضطرابات في إيطاليا فاز بالبابوية عضو في مجلس الشيوخ المائل إلى الجرمان فخرج لاستقبال الملك الجرماني الفاتح. هذا الملك فرضها في روما بسبب خزي البابا وخليفته أخيه (راجع مقالي في مجلة النور الغراء ١٩٧٤ عن معجم اللاهوت الكاثوليكي الشهير). فالبلاء كل البلاء في العرق الجرماني الذي غرق أولاً في الأريوسية ثم أغرق الكثلكة في الانشقاق ثم ابتلاها بالتمزق البروتستانتي.
ومن مخاطر الأمر أنّ الكثلكة أهملت الروح القدس في صلواتها وحياتها الروحية حتى صدر مؤخراً كتاب فرنسي كاثوليكي يقول إنّ الغائب الأكبر في الغرب هو الروح القدس وصار تركيزها على الإله الواحد يرعبني رغم كل محبتي. نحن ثالوثيون أولاً لا محصورون في الوحدة المخنوقة مثل اليهود (اسبيرو جبور).

(٨٦) الفلسفة الغربية السكولاستيكية لا تقول بأنّ الجوهر موجود قبل الأقانيم. بالنسبة لله الجوهر والأقانيم سرمديون. أسبقية الجوهر على الوجود أو الوجود على الجوهر مطروحة بالنسبة للخلق. إنما اللاتين يضعون في أبحاثهم النبرة على الجوهر بدلاً من وضعها على الأقانيم (اسبيرو جبور).

مصدر كل اللاهوت في الثالوث، يُصدر الابنَ والروحَ القدس بمنحهما طبيعته الواحدة، والتي تبقى فيهما طبيعة واحدة غير منقسمة وهي هي نفسها في الآب والابن والروح القدس. بالنسبة للأرثوذكس، إن الاعتراف بوحدة الطبيعة يعني الاعتراف بالآب كمصدر فريد للأشخاص التي تنال من الآب هذه الطبيعة نفسها. يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "برأيي، إن المرء يحرص على إلهٍ واحدٍ فقط بإرجاع الابن والروح إلى مصدرٍ وحيدٍ، بدون تركيبهما أو خلطهما؛... بالنسبةً لنا يوجد إلهٌ واحدٌ، لأن الألوهة واحدة، وكل ما يصدر منه إنما يشير إلى الواحد، ولو أننا نؤمن بثلاثة أشخاص... إذاً، عندما ننظر إلى الألوهة، أو إلى العلّة الأولى، أو إلى الأوحد، هذا الذي ندركه هو واحد؛ ولكن عندما ننظر إلى الأشخاص والتي فيها تسكن الألوهة، وإلى تلك التي سرمداً وبمجدٍ متساوٍ يكون كيانها من العلّة الأولى، فإنه يوجد ثلاثة وهي ما نعبد"(٨٧). لا توجد وحدة في الطبيعة الواحدة نفسها في الثالوث فقط ولكن توجد وحدة في الأقانيم الثلاثة ذات الطبيعة الواحدة نفسها. يقول القدس غريغوريوس اللاهوتي: "كل واحد مُعتبَر بحد ذاته الله الكلي، كما هو الآب هكذا الابن، كما هو الابن هكذا الروح القدس، لكن كل واحد يحتفظ بخصائصه؛ وإذا أُخذ الثلاثة معاً فإنهم الله؛ كل (مُعتبر بحد نفسه) إلهاً بسبب الجوهر الواحد المشترك, الثلاثة (مُعتبرون) الله بسبب الأحديّة Monad". بحسب القديس مكسيموس إن الله هو: "أحديّة وثالوث". هذا لا يعني أن مجرد ١=٣ و٣=١.

القديس يوحنا الدمشقي يقول: "نؤمن بآب واحد، مبدأ الجميع وعلّتهم. لم يلده أحدٌ، وهو وحده أيضاً غير معلولٍ ولا مولودٍ. صانع الكل وأبٌ بالطبيعة للوحيد الجنس وحده، ابنه ربنا يسوع المسيح إلهنا ومخلّصنا. وهو مصدر الروح القدس. ونؤمن بابن الله الواحد والوحيد الجنس، ربنا يسوع المسيح، المولود من الآب قبل كل الدهور". ويقول أيضاً: "أما الروح القدس فينبثق من الآب لا بالولادة بل بالانبثاق". "وإذا قلنا بأن الآب مبدأ الابن وأعظم منه، فلسنا نعني أنه يفوق الابن زمناً وطبيعة،... ولا أنه يفوقه بشيء آخر سوى العلّة، أي أن الابن مولود من الآب، لا الآب من الابن، وأن الآب علّة الابن بحسب الطبيعة". "وبالمثل نؤمن أيضاً بالروح القدس الواحد، الرب المحيي، المنبثق

(٨٧) Oratio XXXI (Theologica V), 14, PG., XXXVI, 148D-149A

من الآب والمستريح في الابن والمسجود له والممجَّد مع الآب والابن". "واعلمْ أننا لا نقول بأن الآب من أحد، بل نقول إنه أبو ابنه، ولا نقول إن الابن علّة أو آب، بل نقول إنه من الآب وإنه ابن الآب. ونقول أيضاً إن الروح القدس من الآب ونسمّيه روحَ الآب. ولا نقول إن الروح القدس من الابن، ونسمّيه روح الابن"(٨٨).

بحسب القديس مكسيموس المعترف، إن الآب هو الذي يميّز أقنومَي الابن والروح القدس "بحركة أبدية من المحبة". إنه يمنح طبيعته للابن وللروح القدس على حد سواء، والتي تبقى فيهما واحدة غير منقسمة وغير موزَّعة.

بالإصرار على أحديّة الآب – المصدر الفريد للألوهة ومبدأ وحدة أقانيم الثالوث – فإن اللاهوتيين الأرثوذكس كانوا يدافعون عن مفهوم الثالوث الذي اعتبروه أكثر متانة وشخصانية وأقرب إلى اللاهوت الكتابي. فأشخاص الثالوث تكشف بظهورها في الكتاب المقدس لاهوتاً أقرب إلى اللاهوت الثالوثي الأرثوذكسي الشخصاني حيث فيه الأقانيم الثلاثة إله واحد (١يو ٥: ٧)، رأسه الآب وهو مصدر الابن بالولادة (عبر ١: ٥) والروح القدس بالانبثاق (يو١٥: ٢٦): الآب يُدعى أعظم من الابن (يو ١٤: ٢٨) وبالوقت نفسه هو والابن واحد (يو١٠: ٣٠). فالابن خرج من الآب وإليه يعود (يو١٦: ٢٧–٢٨). الآب أرسل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به (يو٣: ١٦). الآب، وباسم الابن (يو١٤: ٢٦)، يرسل الروح القدس بالانبثاق (يو١٥: ٢٦). الابن يرسل إلى المؤمنين الروحَ القدس الصادر من الآب (يو١٤: ١٦)، الآب والابن والروح القدس يظهرون معاً عند معمودية الرب (متى ٣: ١٦–١٧)، لكن الآب هو الذي يتكلّم ويشهد للابن ومنه ينزل الروح القدس ليستقر في الابن. الابن يشهد للآب ويأخذ مما للآب. الروح القدس يعلّم تعليم الآب والابن ويشهد لهما.

هكذا نرى أن اللاهوت الثالوثي الأرثوذكسي هو لاهوت شخصاني لا لاهوت ماهية أو ماهيات. فنحن لا نعرف الله ولن نعرفه كجوهر، كماهية، أو كطبيعة، لا الآن ولا إلى أبد الآبدين؛ لا نحن ولا الملائكة. إلهنا إله شخصاني خلقنا على صورته أشخاصاً لتقيم شركة معه.

---

(٨٨) الإيمان الأرثوذكسي ١: ٨، ص ٦٥–٧٣، ترجمة أدريانوس شكور.

إن تكلم المرء عن الله في اللاهوت الأرثوذكسي، فهو دائماً يتكلم عن إله شخصاني، عن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أو إله بطرس ويوحنا ويعقوب، عن الثالوث القدوس: الآب والابن والروح القدس. وعلى العكس، عندما تتصدّر الطبيعة المشتركة المكانة الأولى في مفهومنا للعقيدة الثالوثية فإن حقيقة الله الشخصانية في الثالوث تُحجَب حتماً بمقدارٍ ما وتفسح المجال لفلسفة معينة من الجوهر. لا يوجد مكان في الكنيسة الأرثوذكسية للاهوت الماهيات الأفلاطونية أو الأرسطوية، أي الجوهر المجرد. في اللاهوت الأرثوذكسي الجوهر موجود فعلياً في الأقانيم. لكننا لا نستطيع معرفة أو فهم أو إدراك هذا الجوهر إلا عبر أشخاص الثالوث المجيدة وبمقدار ما يكشفه الله لنا. اللاهوت الأرثوذكسي واقعي: الأقانيم هي الله الموجود في الواقع. والجوهر هو مضمونها الموجود في الواقع، واقعها الحي. الله لم يكشف لنا ذاته في العهد القديم أو الجديد إلا كإله شخصاني، وليس كمجرد فكرة أو ماهية أو ألوهة ضبابية. هدف الروحانية الأرثوذكسية، غبطة ملكوت السموات، هو ليس معاينة الجوهر الذي لا يُعايَن، بل، قبل كل شيء، مشاركة في الحياة الإلهية للثالوث القدوس؛ هو الحالة المتألِّهة لشركاء الطبيعة الإلهية (بتعبير بطرس الرسول)، أي للقديسين أو للآلهة المخلوقة على صورة الله غير المخلوق، والذين يملكون بالنعمة غير المخلوقة ما يملك الله بالطبيعة. الكنيسة نفسها صورة الثالوث: كنيسة واحدة أفرادها عديدون. الشخص البشري صورة الثالوث القدوس. علاقة المسيحيين بعضهم بعضاً إن كملت صارت ثالوثية، فيصير الكثيرون بالمحبة واحداً. يصير الرجل والمرأة واحداً، واحداً في اثنين. كل عبادتنا ثالوثية: بالروح القدس ينطبع الابن الإلهي فينا. وبما أنّه صورة الآب فنرى صورة الآب فيه. الأرثوذكسية شخصانية ثالوثية. اليهودية ضيقة مختنقة في مفهوم الإله الواحد البعيد المنال.

لهذا فالثالوث القدوس هو، بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية، الأساس الراسخ لكل فكر ديني، لكل تقوى، لكل الحياة الروحية، لكل خبرة. فالثالوث (لا الطبيعة الإلهية) هو مَن نتوق إلى معاينته في سعينا نحو الله.

قد يوحي المفهوم الثالوثي الأرثوذكسي بأن للآب، كمصدر فريد أوحد للألوهة، نوعاً ما من الأسبقية والتفوق والأولوية. القديس غريغوريوس اللاهوتي سبق ورأى هذه الصعوبة فقال: "أودّ أن أدعو الآب الأعظم، إذ منه تنبع (تفيض) مساواة المتساويَين

وكيانهما... لكني أخشى استعمال كلمة مصدر، لئلا أجعله مصدر الأدنى، وبالتالي أهينه بأسبقيات الكرامة. لأن إحدار مَن هما منه ليس مجداً للمصدر"[٨٩].

هكذا، في صياغة عقيدة الثالوث القدوس، فإن الصفة التنزيهية (السلبية) للفكر الآبائي الأرثوذكسي كانت قادرة على حفظ المساواة العجيبة بين الأقانيم مع التمييز بين الطبيعة والأقانيم في الوقت نفسه. وبكلمات القديس مكسيموس: "الله هو أحديّة Monad وثالوث في الوقت نفسه".

اللاهوت الكاثوليكي:

إن الابن الكلمة والروح القدس هما شعاعان صادران من الشمس الواحدة، من الآب، بدون انفصال ومع ذلك متميّزان كشخصَين صادرَين من الآب نفسه. الصيغة اللاتينية تُدخل هنا علاقة منشأ جديدة، جاعلة الروح القدس منبثقاً من الآب ومن الابن؛ وبدلاً من أن يكون لدينا أحديّة الآب، أي شخصه الذي هو مصدر الله الواحد ومصدر الثالوث، يصير لدينا مفهوم آخر، هو مفهوم الجوهر الواحد الذي فيه تتدخل العلاقات لتوطّد تميّز الأشخاص، والذي فيه (في هذا المفهوم) فإن أقنوم الروح القدس لا يكون أكثر من مجرد علاقة تبادلية بين الآب والابن. المفهوم الغربيِ للثالوث يضع الطبيعة الجامعة لله فوق الأقانيم، مما يُضعف من الأقانيم ويخلط شخصيِ الآب والابن ويجعل الروح القدس مجرد علاقة أو صلة وصل بين الاثنين.

انبثاق الروح القدس

مسألة انبثاق الروح القدس هي أهم مسألة لاهوتية تفرّق بين الشرق والغرب، بين الأرثوذكس والكاثوليك، بين اليونان واللاتين.

يتفق الأرثوذكس والكاثوليك في أنه يوجد نوع من الغموض بخصوص الشخص الثالث من الأقانيم. تعبيرا "آب" و"ابن" يشيران

(٨٩) أي جعل الآب أعظم من الابن والروح هو إحدار للابن والروح وهو بالتالي إهانة للآب لأن الثلاثة أشخاص متساوون في كل شيء، إلا أن لكل واحد منهم خاصته الأقنومية المميِّزة.

بكل وضوح إلى تميّز شخصي، ولا يمكن استبدالهما، ولا يشيران إلى الطبيعة الإلهية المشتركة الواحدة التي للثالوث. أما تعبير "الروح القدس" فلا يشير بالضرورة إلى شخص مميَّزٍ معيَّن، بل قد يشير إلى الطبيعة الإلهية الواحدة التي هي طبيعة روحية وقدوسة. وبالفعل، فنحن نقول بصورة عامة: "الله روح" ونقول "الله قدوس"، مشيرين إلى الطبيعة المشتركة وإلى كل واحد من الثالوث القدوس على حدة. لهذا فتعبير "الروح القدس" يمكن أن ينطبق لا على تميّز شخصي فقط (أي لا على أقنوم معين)، بل على الطبيعة المشتركة للأقانيم الثلاثة أيضاً. بهذا المعنى، توما الأكويني على حق في قوله بأن الشخص الثالث من الثالوث ليس له اسمٌ خاص به وإن اسم "الروح القدس" قد أُعطي له على أساس استعمالٍ كتابي.

نواجه الصعوبة نفسها عندما نحاول تعريف وتحديد مصدر الروح القدس، مقارنين "الولادة" بـ "الانبثاق". وحتى تعبير "الانبثاق" لا يمكن أن يُعتبر بحد ذاته تعبيراً يصف الروح القدس حصراً. إنه تعبير عامٌ غير شخصاني. لهذا فتعبير "الانبثاق" لا يعطي مفهوماً خاصاً دقيقاً مثل تعبير "الولادة". فتعبير "الولادة" يحافظ على الصفة السرّية للأبوة والبنوّة الإلهيتين، ويصف بالوقت نفسه علاقة محددة ما بين شخصَي الآب والابن. لكن ليست هذه هي حالة "الانبثاق"، وهو تعبير غير محدَّد عن شخص الروح القدس الغامض بالنسبة لنا، والذي مصدره الأقنومي مقَّدم لنا بصورة سلبية (تنزيهية): إنه ليس الولادة، وليس هو نفسه مصدر أقنوم الابن.

في القرن التاسع مسألة الروح القدس بين اللاتين والأرثوذكس أثارت مسألة الثالوث بالعلاقة مع أقنوم الروح القدس. فاللاتين جاهدوا لتأسيس تنوعٍ شخصيٍ على أساس تعبير " homoousious" بادئين من هوية الطبيعة. أما اليونان، وهم أكثر وعياً للتضاد الثالوثي بين الجوهر (ousia) والاقنوم (Hypostasis)، وآخذين بعين الاعتبار الجوهر المشترك، فقد أكدوا على أحديّة[٩٠] Monarchy الآب، كضمانة ضد كل أشكال السابليانية الجديدة كما أشرنا سابقاً.

الانبثاق: اللاهوت اللاتيني:

إذا بدءنا من حقيقة أن الصفة الأقنومية للروح القدس تبقى غير معرَّفة و"مستورة"، فإن

(٩٠) الاسم من أحد. نفضّل هذه الترجمة لكلمة Monarchy العسيرة الترجمة والمركَّبة من جذرين "واحد" و"أصل". ركّز عليها كثيراً باسيليوس الكبير.

اللاهوت اللاتيني يسعى إلى رسم استنتاج إيجابي لنمط مصدر الروح القدس. وبما أن تعبير "الروح القدس" هو، بمعنى ما، مشترك بين الآب والابن (كلاهما روح وقدوس)، فإن تعبير "الروح القدس" يجب أن يشير إلى شخصٍ يتعلق بالآب والابن معاً بما لديهما من شيء مشترك. حتى لو كان موضوع بحثنا هنا هو الانبثاق، الذي يعالج نمط مصدر الشخص الثالث، فإن تعبير "الانبثاق" – والذي بحد ذاته لا يدلّ على نمط مصدر متميّز عن الولادة – يجب أن يشير إلى علاقة مع الآب ومع الابن معاً، ليخدم أساساً لشخص ثالث، متميّز عن الشخصين الأولين. بما أن "علاقة التضاد" يمكن لها أن تتوطّد فقط بين طرفين، فيجب على الروح القدس أن ينبثق من الآب والابن، بمقدار ما يمثّلان وحدة. هذا هو معنى الصيغة اللاتينية التي بحسبها قيل إن الروح القدس ينبثق من الآب والابن كما من مبدأ واحد.

لا يمكن للمرء أن ينكر منطق هذا النمط من التفكير، والذي يسعى إلى تنوعٍ أقنومي على مبدأ علاقات التضاد بحسب تعبير لوسكي. هذا الأساس الثالوثي، الذي صاغه توما الأكويني، يصير لا مفر منه في اللحظة التي يتمّ بها الاعتراف بعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن كمصدر واحد. هذه العقيدة تفترض ما يلي:

١– علاقات التضاد بين الأقانيم هي أساس هذه الأقانيم[٩١] والتي تعرّف نفسها بتضادها المتبادل، الأول تجاه الثاني، والأول والثاني تجاه الثالث؛

٢– إن شخصين يمثّلان وحدة غير شخصانية، في أنهما يفسحان المجال لبزوغ علاقة تضاد أخرى؛

٣– إن مصدر أشخاص الثالوث القدوس بشكل عام هو بالتالي غير شخصاني، إذ له أساسه الحقيقي في الجوهر الواحد. إن السمة العامة للاهوت الثالوث الغربي هذا هي أسبقية وحدة الطبيعة على الثالوث الشخصاني، أو أولوية وجودية (أونتولوجية) للجوهر على الأقانيم.

(٩١) توما الأكويني يتمادى أكثر قائلاً: إن أشخاص الثالوث هي علاقات: "الأشخاص هي علاقات" (persona est relatio, I, qu. 40, a. 2)

التوازن بين الأقانيم والجوهر في اللاهوت الأرثوذكسي:

إذا كان التنوّع الشخصي في الله يمثّل حقيقة أولوية لا يجب استنباطها من أي مبدأ آخر ولا هي مؤسَّسة على أية فكرة أخرى، فهذا لا يعني بأن التطابق الجوهري للأقانيم الثلاثة هو وجودياً (أنتولوجياً) أدنى من تنوعهم الأقنومي. فاللاهوت الثالوثي الأرثوذكسي ليس ردة فعل على عقيدة "الانبثاق من الابن"؛ إنه لا يسير نحو الطرف الأقصى المعاكس (كأن يبالغ مثلاً في التنوّع الأقنومي على حساب الوحدة في الجوهر). فكما قلنا إن علاقات المصدر[٩٢] تدل على التنوع الشخصي للثلاثة، لكنها تدل أيضاً على التطابق الجوهري (في الجوهر). فالابن والروح القدس يُميَّزان عن الآب، لكننا نعبد الأشخاص الثلاثة؛ هما واحد معه، ونعترف بجوهرهم المشترك. هكذا فإن أحديّة الآب تحافظ على التوازن التام بين الطبيعة والأشخاص، بدون الانحياز نحو أحد الطرفين. فلا يوجد جوهر غير شخصاني ولا أشخاص بدون جوهر واحد مشترك لهم. الطبيعة الواحدة والأقانيم الثلاثة تُقدَّم لفهمنا في الوقت نفسه، بدون أسبقية أحدهما على الأخر. إن أصل الأقانيم ليس أصلاً غير شخصاني، لأنه يُعاد إلى شخص الآب؛ لكن ليس من الممكن التفكير بمعزل عن ملكيتهم المشتركة للجوهر الواحد نفسه. وإلا لكان لدينا ثلاثة أفراد إلهية، ثلاثة آلهة مرتبطة ببعضها بعضاً بفكرة مجردة من الألوهة[٩٣]. ومن جهة أخرى، بما أن وحدة الجوهر هي التطابق (المساواة) غير الأقنومي للثلاثة، في أنهم يملكون جوهراً مشتركاً، هكذا فإن وحدة الأقانيم الثلاثة لا يمكن تصوّرها بمعزل عن أحديّة الآب، الذي هو أساس الملكية المشتركة لجوهر واحد بعينه. وإلا، لكنا نتعامل مع جوهر بسيط متميّز بعلاقات.

نقطة الضعف في اللاهوت الغربي هي القول إنّ الأقانيم هي تميزات ضمن الجوهر. فالجوهر واحد للثلاثة يملكه بتمامه كلٌّ من الأقانيم دون انقسام بينهم. فكيف تكون الأقانيم تميزات في الجوهر والجوهر مملوك برمته لكل منهم وللثلاثة؟ الجوهر لهم فلا

(٩٢) الأبّوة وعدم العلّة (للآب)، الولادة والعلّة (للابن) والانبثاق والعلّة (للروح القدس).
(٩٣) باسيليوس قال إنّ الله واحد لأنّ الجوهر واحد.

يمكن أن يكون مصدر وجودهم. هو موجود فيهم. لا يمكن تمييع الأقانيم في الجوهر لجعله مصدرهم. الآب مصدر الابن والروح القدس. من جهة أخرى، لماذا كل هذا التحايل على الآية ١٥: ٢٦ من يوحنا[٩٤]؟ في أشعيا ٤٨: ١٦ الروح أرسل الابن. في الإنجيل الآب أرسل الابن والابن أرسل الرسل. فمعنى كلمة أرسل مختلف إذاً عن معنى كلمة "انبثق". دبجت الكثلكة مكتبات للدفاع عن رأيها بينما نص يوحنا (١٥: ٢٦) واضح[٩٥].

في الدفاع عن الانبثاق الأقنومي للروح القدس من الآب وحده فإن الأرثوذكسية تعترف بإيمانها بالثالوث البسيط، بينما تشير علاقات المصدر إلى التنوّع المطلق للثلاثة، وبالوقت نفسه إلى وحدتهم كما هو ممثلٌ بالآب، الذي ليس هو أحديّة فقط – في أنه الآب – ولكن بكونه أيضاً مصدر الوحدة الثالوثية. هذا يعني أنه إذا كان الله إله الوحي الحي وليس جوهر الفلاسفة البسيط، فإنه فقط عندئذ يمكن أن يكون الله الثالوث القدوس. هذه حقيقة أولوية لا يمكن لها أن تكون مبنية على أية حدثية من التفكير مهما تكن. كل أنواع المنطق والتفكير تبرهن على أنها خلفية أو أدنى بالنسبة للثالوث أساس كل الكيان وكل المعرفة.

الانبثاق الأزلي والتدبير الزمني للروح

بسبب هذا الإصرار على البساطة الإلهية، نادراً ما ميّز اللاهوتيون اللاتين بين الانبثاق الأزلي الوجودي (الانتولوجي) للروح القدس من الآب وبين ظهوره الزمني (التدبيري) بواسطة الابن. المدافعون عن الانبثاق من الابن يقتبسون آيات مثل يوحنا ٢٠: ٢٢ (ولما

(٩٤) رغم إعجابي الشديد جداً بالعلاّمة العبقري الكاثوليكي المختص بالكتاب المقدس Raymond Brown، وإعجابي الشديد بدقته الكتابية والموضوعية (عندما لا يتعلّق الأمر بالتعاليم العقائدية البابوية) ، لا يمكنني إلا أن أُعجب أيضاً بولائه المطلق للتعاليم الكاثوليكية البابوية حتى ولو كانت تخالف الكتاب المقدس (كالانبثاق مثلاً) أو التي لا سند كتابي لها أبداً (انتقال العذراء إلى السماء دون موتها، الحبل بلا دنس، البابوية، الخ..). متى يتعلّم الأرثوذكس هذه الأمانة المطلقة لتعاليم كنيستهم وآبائهم القديسين؟ فقط عندما يكون الأسقف الأرثوذكسي "قاطعاً باستقامة كلمة حق" لا كلمة باطلٍ! (ع. ط.)

(٩٥) عدنان لم يطّلع على مجلدات الأب De Régnon ليراه بعرض وجهة نظر آبائنا بأمانة. ولم يطالع كتاب أبي الشخصانية الفرنسية المعاصر مونييه Le Personnalisme, p.12 ليراه يعترف بأنّ الشخصانية مستوحاة من تراثنا اليوناني. وأثبت Clement أنّ مونييه تأثّر بصديقه الروسي بردياييف الذي تعاون معه في مجلة Esprit (اسبيرو جبور).

قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس). ويقولون إن هذا هو برهان على أن الروح قد انبثق أزلياً من الابن ومن الآب أيضاً. لكن اللاهوتيون الأرثوذكس أشاروا إلى أنه في الإنجيل نفسه فإن المسيح نفسه يميّز بين مهمة الروح الزمنية وبين انبثاقه الأزلي: "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يوحنا ١٥: ٢٦).

لم ينكر الأرثوذكس قط أن الابن قد أرسل الروحَ إلى العالم أو أن الروح ينبثق بفضل الابن (بالإشارة إلى مهمته الزمنية). لكن المدافعون عن الانبثاق من الابن قد خلطوا بين المهمة الزمنية للروح وانبثاقه الأزلي. اللاهوتيون الغربيون مغرَمون بالاقتباس من أوغسطينوس لدعم موقفهم. فأوغسطينوس استعمل الآية ٢٠: ٢٢ من يوحنا للقول بالانبثاق المزدوج للروح القدس من الآب والابن. أحياناً يقول إن الروح القدس ينبثق منهما "كما من مصدر وحيد"(٩٦). هذا التعليم المخالف صراحة لتعليم الكنيسة الأرثوذكسية دفع بالكثيرين من الأرثوذكس – من بينهم القديس مرقس الأفسسي – إلى اعتبار أن هذا التعليم مُدخَل على كتابات أوغسطينوس من قبل كتبة لاحقين. وفي الواقع، إن الكثير من الكتابات الآبائية تعرّضت للتحوير عند نسخها أو ترجمتها في أوروبا العصور الوسطى عن جهلٍ أو عمداً، وكانت عبارة "والابن " filioque تُزاد. أدّى هذا إلى تضليل الكثير من اللاهوتيين الغربيين الذين اعتمدوا هذه الكتابات في دفاعهم عن هذه العقيدة من أمثال توما الأكويني في كتابه "ضد أخطاء اليونانيين". كشف هذه التحويرات وجمعها في كتاب واحد لوثري غيّور من القرن السابع عشر (اسمه Adam Zernikaw)، اهتدى إلى الأرثوذكسية بعد أن أمضى سنوات باحثاً في مكتبات أوروبا في الكتابات الآبائية الأصلية، مقارناً إياها مع المخطوطات المعاصرة، كاشفاً كل التحويرات التي تعرّضت لها والمختصة بانبثاق الروح القدس. نُذر آدم راهباً أرثوذكسياً في موسكو وقبل وفاته وضع هذا الكتاب عن انبثاق الابن.

---

(٩٦) De Trin., XV, 17,29.

نتائج عقيدة "الانبثاق من الآب والابن":

١- الروح القدس غير مساوٍ للآب والابن (عدم مساواة)

من المهم معرفة أن الأرثوذكس لم يرفضوا عبارة "والابن" لأنهم رفضوا سلطة البابا المزعومة على دستور الإيمان[٩٧]. فبينما لعب سلطان البابا المزعوم دوراً في المسألة، إلا أنه لم يكن السبب الرئيسي. لقد رفض الأرثوذكس هذا التغيير في دستور الإيمان لأن عبارة "والابن" كانت هرطوقية.

المجمع الثاني في ليون (العام ١٢٧٤)، والذي يعتبره الكاثوليك المجمع المسكوني الرابع عشر، يعرّف "والابن" كما يلي:

"نعترف بإيمان وإخلاص بأن الروح القدس ينبثق أزلياً من الآب والابن، ليس كما من مبدأين، بل كما من مبدأ واحد.[٩٨]".. عقيدة "والابن" تمَّ إعادة التأكيد عليها في مجمع فلورنس (١٤٨٣). هكذا أعلنت الكنيسة الكاثوليكية رسمياً أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن كما من مصدر واحد ab utroque.

بحسب اللاتين فإن الروح القدس ينبثق من الآب والابن. إن عزو خصائص كالولادة والانبثاق يجب أن يكون إما للطبيعة الإلهية، التي هي مشتركة بين الأشخاص (الأقانيم) الثلاثة، أو لأحد الأشخاص. لكن من غير المعقول أن تُعزى صفة معينة إلى شخصين من الأقانيم الثلاثة ولا تُعزى إلى الثالث، وإلا سيوجد عدم مساواة بينهم. هذا يعني أن صفة "إصدار" الروح القدس يجب أن تنتمي إما إلى الطبيعة الإلهية الواحدة أو إلى شخص واحد من الثالوث. لكن لا يمكنها أن تنتمي إلى شخصين إلا إذا كان الشخص الثالث غير مساوٍ لهما. فإذا كانت صفة إصدار الروح القدس خاصة بشخصَي الآب والابن حصراً، فهذا يعني أن شخص الروح القدس أدنى منهما. هذا ما ذكره أول دحض منهجي أرثوذكسي لهذه العقيدة والذي كتبه القديس فوتيوس الكبير، بطريرك القسطنطينية خلال القرن التاسع كما ورد في كتابه Mystagogy.

---

(٩٧) دخلت هذه الزيادة في إسبانيا أولاً ثم انتشرت حتى وصلت إلى رومة التي كانت هي والبابا فيها آخر مَن يعلم. إلا أن قبولها في دستور الإيمان من قبل الكرسي البابوي يجعلها تعليماً كاثوليكياً رسمياً قد وافق عليه بابا روما وبالتالي مسؤولاً عنه مسؤولية تامة.

(٩٨) Constitution II: 1. .(1274) Second Council of Lyons

فمهما أدرت الموقف يكون الروح القدس أدنى من أقنوم إلهي كامل. فإذا أكد المرء أن الولادة والانبثاق هما صادران عن الطبيعة، عندئذ يجب أن يؤكّد المرء أنهما ناجمان عن كل الأقانيم الإلهية[٩٩] (لأن للأقانيم الثلاثة الطبيعة الإلهية الواحدة نفسها). هكذا تقوم الأقانيم جميعاً بالولادة والانبثاق، كل واحد من الأقنومين الآخرين. أيضاً، إذا كان الروح القدس مماثلاً في الجوهر للآب والابن، فإنه يجب بالضرورة أن يُنتج شخصاً آخر (أو يُنتج الآب والابن).

"إذا كان الابن مولوداً من الآب والروح ينبثق من الابن، فبأي منطق لا تمنح الروحَ، الذي يوجد في الجوهر المماثل نفسه، كرامةَ انبثاقِ آخرٍ منه في الوقت نفسه؟ وإلا فإنك تحطّ من قدره وهو الذي يستحق كرامة مساوية"[١٠٠].

من جهة أخرى، إن كان الانبثاق هو خاصية للشخص، وليس للطبيعة، فكيف يمكن عندها أن يشرح المرء أن اثنين فقط من الأقانيم (الآب والابن) يشاركان الخاصية نفسها؟ هل يحتاج الآب إلى الابن لإنتاج الروح؟

'لكن الجوهر ليس هو علّة (سبب) الكلمة؛ إن الآب هو العلّة الشخصية لشخص الكلمة. لكن إذا كان الابن هو أيضاً علّة الروح كما تؤكد هذه العقيدة غير الصالحة، عندئذ فإن الصفة الشخصية للآب هي موزَّعة على الابن. وبالنهاية فإنك مجبَر على قول هذا، أو أن تقول إن الابن يكمّل شخص الآب. لكن أن تقول ذلك فهو أن تحاجّ بأن شخص الآب غير كامل، ويحتاج إلى إكمال، وأن الابن يتخذ دور الآب ولقبه. إن إنقاص سر الثالوث الهائل إلى مجرد ثنائي (زوج) لهو الأمر نفسه"[١٠١].

يجب أن نلاحظ أن أحد أسباب إدخال عبارة "والابن" كان لمحاربة هرطقة آريوس. فمعظم القبائل البربرية قد قبلت الآريوسية. ورغم أنها تحوّلت في النهاية إلى الكثلكة، فإن الآريوسية صارت تتغلغل في الغرب عبر هيئات متنوعة. كانت أسبانيا إحدى بقع الهرطقات الساخنة. فاللاهوتيون، مثل Paulinus of Aquileia ، استعملوا عبارة

---

(٩٩) من بين الكثيرين فإن Paulinus of Aquileia, Ratramnus and Peter Damian يؤيدون أن انبثاق الروح القدس كان من الطبيعة الإلهية، وليس من الأقنوم.

(١٠٠) Mystagogy, 8, pp.62-63

(١٠١) Mystagogy 15, pp. 65

"والابن" ضد الذين حاجّوا بأن ناسوت المسيح قد تمَّ "تبنّيه"، مؤكّدين بالتالي على المساواة الكاملة للابن مع الآب.

للوهلة الأولى، تبدو المحاجّة منطقية. فإذا كان المسيح إلهاً كاملاً مثل أبيه، إذاً يجب على الروح القدس أن ينبثق منه ومن الآب أيضاً. بينما يبدو هذا أنه قد "يساعد" على التأكيد على ألوهية الابن الكاملة، فإنه يترك الروح القدس خارجاً في العراء. فإذا كان الابن يحتاج إلى إنتاج الروح (مع الآب) لكي يكون مساوياً للآب، عندئذ يحتاج الروح أيضاً أن يُنتج شخصاً لكي يكون مساوياً للآب والابن! لهذا لا توجد طريقة للتأكيد على عبارة "والابن" بدون الحطّ من الروح القدس.

'أيضاً، إذا كان الابن مولوداً من الآب، والروح (بحسب هذه البدعة) ينبثق من الآب والابن، عندئذ للسبب نفسه يجب على شخص آخر أن ينبثق من الروح، وهكذا لا يكون لدينا ثلاثة بل أربعة أشخاص! وإذا كان الانبثاق الرابع ممكناً، عندئذ فإن انبثاقاً آخر ممكناً من ذلك، وهكذا دواليك إلى عدد غير محدود من الانبثاقات والأشخاص، حتى يتحوّل هذا التعليم في النهاية إلى تعدد يوناني للآلهة"[١٠٢].

لكن تعليم "والابن" لم يُستَنبط لمحاربة الآريوسية، لأنه كان موجوداً بشكل ما منذ القرن الخامس على الأقل. وقبوله من قبل اللاهوتيين الناطقين باللاتينية لم يكن نتيجة لضرورته اللاهوتية (في محاربة الآريوسية)، بل نتيجة لسلطة أغسطينوس في اللاهوت اللاتيني وللطريقة اللاهوتية التي ستصير العملة الشائعة للمسيحية الغربية. يقول : Pelikan[١٠٣].

"إن أكثر الأمثلة البارزة والمميتة مسكونياً لسلطة أوغسطينوس في اللاهوت الثالوثي اللاتيني كانت الطريقة الآلية تقريباً التي بها قَبِل اللاهوتيون الغربيون فكرة 'الانبثاق من الابن.[١٠٤]"،

٢- الأشخاص (الأقانيم) هي العلاقات التي تميّزها:

كما وجدنا، رأى تراثنا الأرثوذكسي في صيغة انبثاق الروح القدس من الآب والابن

---

(١٠٢) Mystagogy 37, p.77

(١٠٣) مؤرّخ كنسي مشهور ومعاصر وأستاذ في جامعة Yale في الولايات المتحدة. اهتدى إلى الأرثوذكسية مؤخّراً.

(١٠٤) Pelikan, Growth, p.21

ميلاً للتأكيد على وحدة الطبيعة على حساب إضعاف التميّز الحقيقي بين الأشخاص وجعله نسبياً، وعلى حساب الطعن بمفهوم الأقنوم. وبالفعل، فبحسب الفكر الغربي، إن الآب والابن يسبّبان انبثاق الروح القدس، بمقدار ما يمثّلان الطبيعة الواحدة؛ بينما الروح القدس، والذي بالنسبة للاهوت الغربي، يصير "الرباط بين الآب والابن"، فإنما يمثّل وحدة طبيعية بين الآب والابن. وبحسب أوغسطينوس والأكويني فإن البنوّة والابن هما الأمر الواحد نفسه: فالابن هو علاقة مع واحد هو الآب، والروح القدس هو علاقة مع اثنين هما الآب والابن. وبما أن الأقانيم (أو الأشخاص) ما هي إلا مجرد علاقات ضمن الألوهة، فإن الروح القدس يجب أن ينبثق من الآب والابن لكي يكون متميّزاً عن الابن.

إن الخصائص الأقنومية (الأبوة، الولادة، الانبثاق) تُبتلع تقريباً في الطبيعة أو الجوهر. وهكذا، فبدلاً من كون العلاقات خصائص للأقانيم، تصير متساوية ومتطابقة معهم. كما كتب توما الأكويني "الشخص هو العلاقة"، هو علاقة داخلية للجوهر الذي ينوّعه. هكذا فاللاتين يفكّرون في الشخصانية كنمط للطبيعة، بينما اليونان يفكرّون في الطبيعة كمحتوى للشخص.

الاقتراب الغربي من الطبيعة والشخص هو اقتراب خاطىء. فطبيعة أي كائن – مخلوقاً أو غير مخلوق – لا يمكن أن توجد خارج الشخص. فالشخص هو الحاوي والطبيعة هي المحتوى. لا توجد الطبيعة كطبيعة مجرّدة أو "هيولية" بدون شخص يحويها ويقدّمها إلى الآخر. فكما أنه لا يمكننا أن نعرف طبيعة بشرة مجردة هكذا لا يمكننا أن نعرف طبيعة إلهية مجردة. الطبيعة البشرية تقّدم ذاتها لي من خلال الشخص الذي يحويها: بطرس، بولس، يوحنا، الخ. هكذا الطبيعة الإلهية توجد في أشخاص الآب والابن والروح القدس وتجعل ذاتها معروفة، بحدود إمكانياتنا كبشرٍ، من خلال أشخاص الثالوث المجيد. فعندما يقول توما الأكويني إن الشخص علاقة، ينسف هذا مفهوم الشخص ومعناه ويذوّب أونتولوجيته (وجوديته) لأن "العلاقة" لا تملك كياناً وجودياً خاصاً بها. أيضاً، عندما يقول اللاهوت اللاتيني إن الشخصانية نمطٌ للطبيعة، يفضي هذا إلى النتيجة نفسها، لأن لاهوتاً كهذا يطعن في لاهوت الثالوث ويطيح به تماماً. فاللاهوت الغربي يرى طبيعة إلهية مجردة أولاً. بعد هذا يضيف على هذه الطبيعة علاقات تأخذ أسماء وصفات شخصية هي الآب والابن والروح القدس. لهذا في هذه الطبيعة الإلهية كل شيء مشترك بين هذه الثلاثة بدون أن يكون لأي منها خصائص شخصانية تميّز الآب عن

الابن عن الروح القدس. هذا يشبه تماماً هرطقة سابيليوس إن لم يكن أخطر منها، سواء قصد ذلك اللاتين أم لا.

في القرن الرابع عشر قام هدوئي أرثوذكسي ولاهوتي كبير وهو Callistos Angelikoudis بكتابة شرحٍ لأعمال الأكويني، يرى فيها إن الأكويني زاد على هرطقة سابيليوس شيئاً أخطر وهو تحليلات الأكويني العقلية التي أضافها على الحياة الداخلية للجوهر الإلهي والتي، بحسب آباء الكنيسة، غير مدركة أو معروفة لأي مخلوق. سبب ضلالات الأكويني هو أنه بدأ من العالم المحسوس ونتيجة تحليلاته الفلسفية وتأملاته العقلية حاول الوصول إلى الجوهر الإلهي بان طبّق نواميس العالم المخلوق على الجوهر الإلهي غير المخلوق. وبدلاً من أن ينال الإنسان الوحي الإلهي الذي يُلهمه لمعرفة الله، وبدلاً من الروح القدس الذي علّم الآباء وأرشد المجامع المسكونية، استعمل الأكويني الإمكانيات العقلية البشرية للوصول إلى جوهرٍ إلهي مجرد، إلى إلهٍ لا يتّصل بالإنسان بقوى إلهية غير مخلوقة.

من هنا نفهم علاقة هذا اللاهوت الثالوثي الغربي بعقيدة النعمة المخلوقة لدى الغرب. فهذا الإله المجرد يحتاج إلى خلق "وسائط" هي نِعَمه المخلوقة لكي يتّصل به الإنسان.

٣ – الأشخاص (الأقانيم) تصير مجرد علاقات تضاد (تعارض) في اللاهوت الغربي:

يرفض اللاهوت الأرثوذكسي، من جهة أخرى، أن يعترف بعلاقة مصدر تضع الروحَ القدس في تعارض مع الآب والابن، ومأخوذة كمبدأ وحيد. لو تمَّ الاعتراف بأن علاقات التضاد بين الأقانيم هي أساسها (كما في اللاهوت الغربي)، فإن التنوّع الشخصاني في الثالوث سيُصيِّر نسبياً: بمقدار ما الروح القدس هو أقنوم واحد، فالروح القدس يمثّل فقط وحدة الاثنين في طبيعتيهما المتماثلة (وبالتالي يضيع تمايزه الأقنومي وهويته الأقنومية). لهذا يرى اللاهوت الأرثوذكسي استحالة منطقية لأي علاقات تضاد بين الأطراف الثلاثة. بالحقيقة، إن التمايز المطلق[١٠٥] للثلاثة لا يمكن أن يُبنى على

(١٠٥) التمايز (أو التنوّع) المطلق لكل أقنوم هو هوية الأقنوم الشخصية والتي لا تُستبدل أو تُكرَّر. مفهوم الأقنوم مختلف بين اللاهوت الأرثوذكسي والكاثوليكي، لهذا نجد فرقاً في معالجة هذا الموضوع. فالأقنوم في اللاهوت الأرثوذكسي هو قائم بحد ذاته، هو مطلق وكلّ. لهذا لا يمكن تعريف الأقنوم بمصدره أو بعلاقة مصدره. بل على العكس، هويته الشخصية هي التي تعرّف علاقة مصدره وعلاقاته مع الأقانيم الأخرى. هذا ما لا يستطيع اللاهوت الغربي أن يستوعبه لأن مفهوم الأقنوم لديه مختلف ونسبي. لهذا كلام الأكويني (الشخص هو العلاقة) هو كلام مرفوض أرثوكسياً.

علاقات من التضاد بدون الاعتراف، ضمناً أو علناً، بأولوية الجوهر على الأقانيم، وبدون خلط الأقانيم الثلاثة بطريقة أو بأخرى مع الجوهر. هذا يفترض أساساً نسبياً (وبالتالي ثانوياً) للتنوّع الشخصاني بالمقارنة مع التطابق في الطبيعة. لكن هذا بالضبط ما لا يمكن للاهوت الأرثوذكسي أن يعترف به.

الأرثوذكس أكّدوا بأن الروح القدس ينبثق من الآب وحده. هذه الصيغة تمثّل بنبرتها العقائدية تأكيداً بسيطاً جداً للتعليم التقليدي عن "أصل الآب"، المصدر الفريد للأقانيم الإلهية. يمكن الاعتراض بأن هذه الصيغة لانبثاق الروح القدس من الآب وحده لا تفسح المجال لأية علاقة تضاد بين الشخص الثاني والشخص الثالث من الثالوث القدوس. لكن مبدأ علاقات التضاد بالذات هو غير مقبول للاهوت الثالوث الأرثوذكسي: لأن تعبير "علاقات المصدر" ذات معنى مختلف في اللاهوت الأرثوذكسي عنها بين المدافعين عن الانبثاق من الآب والابن.

عندما يقول اللاهوت الأرثوذكسي إن الانبثاق الأزلي للروح القدس من الآب هو متميّز بصورة غير موصوفة عن الولادة الأزلية للابن المولود من الآب، فإنه لا توجد محاولة لتأسيس علاقة تضاد بين الابن والروح القدس. ليس هذا فقط لأن الانبثاق هو غير موصوف (فالولادة أيضاً غير موصوفة)، بل أيضاً لأن علاقات المصدر في الثالوث – البنوّة والانبثاق – لا يمكن أن تُعتبر كأساس للأقانيم، بحيث تقرّر تنوّعها المطلق. فالأقنوم يأتي أولاً ووجوديته (أونتولوجيته) مستقلة عن أية علاقة له (سواء علاقة مصدره أو سواها). عندما نقول بأن انبثاق الروح القدس هو علاقة تختلف بصورة مطلقة عن ولادة الابن، فإننا نشير إلى الاختلاف بينهما بالنسبة لنمط علاقة كلٍ منهما مع ذلك المصدر الجامع (المشترك ألا وهو الآب) لكي نؤكّد بأن جامعية (وحدة) المصدر لا تؤثّر بأي شكل من الأشكال على التنوع المطلق بين الابن والروح.

يمكن القول هنا بأن العلاقات بين أشخاص الثالوث تخدم فقط لتعبّر عن التنوّع الأقنومي لأشخاص الثالوث؛ فهي ليست أساس الثالوث. إن التنوع المطلق للأقانيم الثلاثة هو الذي يقرّر علاقاتهم المختلفة الواحد بالآخر، وليس العكس بالعكس. هنا من المستحيل أن نعرّف وجوداً شخصانياً في اختلافه المطلق الواحد عن الآخر، لهذا لا بد من تبنّي مقاربة سلبية (تنزيهية) لفهم سرّ الثالوث المجيد وللإعلان بأن الآب – الذي بدون بداية – هو ليس الابن أو الروح القدس، وبأن الابن المولود هو ليس الروح القدس

ولا الآب، وبأن الروح القدس "المنبثق من الآب" هو ليس الآب ولا الابن[١٠٦]. هنا لا يمكننا أن نتكلم عن علاقات تضاد بل فقط عن علاقات تنوّع. عندما يعرّف اللاهوت الغربي الأقانيم الإلهية بعلاقات تضاد فيما بينها فإنه يتبنّى المقاربة الإيجابية لسرّ الثالوث. هذه المقاربة تثبّط الصفة المطلقة للتنوّع الشخصاني للأقانيم وتجعل الثالوث نسبياً وبمعنى ما تنزع شخصانيته[١٠٧].

المقاربة الإيجابية التي تطرحها عقيدة "الانبثاق من الابن" تُدخل نوعاً من النسبية في عقيدة الثالوث، لأن هذه الطريقة تجعل التضاد الأساسي بين الجوهر والأقانيم أمراً نسبياً، لأن مفهوم الأقنوم صار مفهوماً نسبياً في هذه الطريقة. وكما ذكرنا في الحاشية السابقة، إن فهمنا لله بالطريقة الإيجابية هو فهم محدود جداً وتدخل فيه الملكات العقلية والمحاجّات الفلسفية. هذا ما حدث للاهوت الغربي عندما بدأ بالعقل (على الطريقة الأرسطوية) لفهم طبيعة إلهية مجردة، ومن ثم أضاف على هذه الطبيعة أقانيم إلهية عرّفها بعلاقات مصدرها وبعلاقات التضاد فيما بينها. هذه الطريقة تعطي المرء الانطباع بأن قمم اللاهوت قد هُجرت لكي ننزل إلى مستوى الفلسفة الدينية. من جهة أخرى، إن المقاربة السلبية، والتي تضعنا وجهاً لوجه مع التضاد المبدئي للتطابق المطلق ومع التنوع المطلق في الله، لا تسعى أن تحجب هذا التضاد بل أن تعبّر عنه بصورة أكثر ملائمة، بحيث يجعلنا سرّ الثالوث نتجاوز النمط الفلسفي للتفكير ويحرّرنا من محدودياتنا العقلية البشرية بتغيير وسائل فهمنا وباستلهام الوحي الإلهي بالروح القدس الذي يعلّمنا أسرار الله بمقدار ما نستطيع كبشرٍ. فالإيمان في المقاربة الأولى (الإيجابية) هو الذي يطلب فهماً لكي ينقل الوحي إلى مستوى الفلسفة. أما في المقاربة الأخيرة (التنزيهية أو السلبية) فإن

---

(١٠٦) يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "أن لا يكون مولوداً، أن يكون مولوداً، وأن يكون منبثقاً هذه هي الخصائص التي تسم الآب والابن والذي ندعوه الروح القدس، بطريقة ما بحيث نصون تميّز الأقانيم الثلاثة في طبيعة واحدة وبهاء الألوهة؛ لأن الابن هو ليس الآب، لأنه يوجد آبٌ واحد فقط، لكنه على ما هو الآب عليه؛ الروح القدس، ولو أنه ينبثق من الله، فهو ليس الابن، فإنه يوجد ابنٌ مولود وحيد فقط، لكنه على ما هو الابن عليه. الثلاثة واحد في اللاهوت والواحد ثلاثة في الأشخاص. هكذا نتجنّب وحدة سابيليوس وثلاثية الهرطقة المعاصرة البغيضة". Or. 30, 9; PG. 36 col. 141D-144A

(١٠٧) لا يمكن تعريف الأقنوم لأنه مطلق. كما لا يمكن تعريف الله لأنه مطلق. التعريف الإيجابي لله (صالح، عادل، الخ...) هو تعريف ناقص ونسبي. التعريف التنزيهي (السلبي) لله هو أكملٍ (غير محدود، غير منظور، الخ). الأمر نفسه ينطبق على تعريف الأقنوم. التعريف الإيجابي للأقنوم يجعله نسبياً وهو ليس كذلك. لهذا فالتعريف الإيجابي (كما في اللاهوت الغربي) هو تعريف غير صحيح. فلا يمكن حصر مفهوم الأقنوم وتعريفه بنمط علاقة مصدره. حصر المطلق في قمقم يجعله نسبياً. التعريف التنزيهي هو أكمل (كما في اللاهوت الأرثوذكسي).

الفهم هو الذي يطلب حقائقَ الإيمان، لكي يتقدّس بالصيرورة أكثر انفتاحاً على حقائق الوحي. هكذا، في صياغة عقيدة الثالوث القدوس، فإن الصفة التنزيهية (السلبية) للفكر الآبائي الأرثوذكسي كانت قادرة على حفظ المساواة العجيبة بين الأقانيم مع التمييز بين الطبيعة والأقانيم في الوقت نفسه. وبما أن عقيدة الثالوث هي حجر الزاوية في الفكر اللاهوتي كله وتنتمي إلى عالمٍ يدعوه آباء تراثنا "اللاهوت Theologia" بالخاصة، فمن المفهوم بأن أي انحرافٍ عن اللاهوت الثالوثي الشخصاني الأرثوذكسي يمثّل أهمية حاسمة. فالفرق بين مفهومي الثالوث بين الشرق والغرب يقرّر السمة الكاملة للفكر اللاهوتي في كلتا الجهتين وما ينجم عن ذلك الفرق من نتائج على مستوى الخلاص.

٤- الروح القدس هو "رباط المحبة" بين الآب والابن:

بحسب أوغسطينوس وتوما الأكويني يُعرَّف الروح القدس بأنه "المحبة المشتركة" بين الآب والابن، وهو رباط الوحدة بينهما. هذا التعليم يطابق أقنوم الروح القدس بالمحبة الإلهية. فالروح القدس هو المحبة.

لكن المحبة الإلهية لدى آباء الكنيسة هي قوة إلهية غير مخلوقة مشتركة بين الأقانيم الثلاثة. لذا فهذا التعليم مرفوض قطعاً لأنه يخلط بين الأقنوم والمحبة، بين كيانٍ شخصي حاوٍ لطبيعة إلهية وبين قوة إلهية غير مخلوقة. فالقول إن الروح القدس هو محبة يعني تحويل أقنوم الروح القدس إلى قوة بها يحب الآب والابن بعضهما بعضاً. هذا يفضي إلى تشويش مطلق بين أقانيم الثالوث القدوس لأنه لا يعد لأقنوم الروح القدس فيه وجود شخصاني مستقل، بل يصير قوة غير شخصانية مشتركة بين الآب والابن.

أيضاً تحويل الروح القدس إلى مجرد محبة بين الآب والابن يجعل الروح أساس الثالوث، بينما أساس الثالوث وأصله في اللاهوت الأرثوذكسي الآبائي هو الآب.

قد لا يرى البعض أي خطأ في القول بأن الروح القدس هو المحبة المتبادلة بين الآب والابن. اللاهوت الأرثوذكسي يقبل هذا القول فقط إذا أرفقناه بالقول إن الابن أيضاً هو المحبة المتبادلة بين الآب والروح القدس وإن الآب هو المحبة المتبادلة بين الابن والروح القدس. فالمحبة الإلهية كما قلنا مشتركة بين الأقانيم الثلاثة. لكن ليس هذا ما عناه أوغسطينوس (أو كتاباته) وتوما الأكويني. لهذا رفضت الكنيسة الأرثوذكسية هذا التعليم في مجمع القسطنطينية العام ١٧٢٢ والذي أكّد بصراحة أن المحبة مشتركة بين

الأقانيم الثلاثة للثالوث القدوس وأن هذه المحبة ليست على الإطلاق خاصية للروح القدس حصراً. يقول البطريرك جيناديوس سكولاريوس: Gennadios Scholarios "أين كُتب بوضوح في الأسفار الإلهية بان الروح القدس هو المحبة المتبادلة بين الآب والابن؟ في أي كنزٍ دفين مخبوءة هذه العقيدة؟ وكيف أفلتت من بقية الآباء الذين، مع ذلك، يفحصون كل شيء بدقة؟".

كل اسم عدا اسم الآب والابن والروح القدس، هو غير مناسب لوصف خصائص الأقانيم الخاصة في وجود الثالوث غير القابل للمنال، حتى لو كان هذا الاسم هو الكلمة أو المعزّي، وأي اسم لا يشير إلا إلى الناحية الخارجية من الله أو ظهوره أو تدبيره. فعقيدة الثالوث هي ذروة اللاهوت حيث تقف أفكارنا صامتة ساكنة أمام السر الأولي لوجود الله الشخصي. وعدا عن الأسماء التي تشير إلى الأقانيم الثلاثة وعن الطبيعة الجامعة للثالوث فإن الأسماء الأخرى التي لا حصر والتي نستعملها لله (أي الأسماء الإلهية) إنما تشير إلى الله ليس في كيانه غير القابل للمنال وإنما إلى "ما يحيط بالجوهر" بحسب القديس غريغوريوس اللاهوتي، أي إلى ما يمكن معرفته من الله وعن الله.

إذاً: ليست عقيدة "الانبثاق من الابن" هي تلاعب بالألفاظ. وهذه العقيدة هي إضافة غير مشروعة على دستور الإيمان النيقاوي. وقد دانها البابا يوحنا الثامن العام ٨٧٩. وتُظهر هذه العقيدة رؤية مختلفة للثالوث واقتراباً للاهوت مختلفاً عن اقتراب الآباء الكبادوكيين منه، والذي يكمن لاهوتهم ما وراء الإقرار النهائي على الدستور في العام ٣٨١.

إن البابا يوحنا بولس الثاني، في مناسبتين، تلا دستور الإيمان بدون "الانبثاق من الابن". هذا لا يُرضي اعتراضات الأرثوذكس إذا وافقت الكنيسة الكاثوليكية على إزالة "ومن الابن" من دستور الإيمان النيقاوي. فالكنيسة الكاثوليكية قد أعلنت رسمياً أن الانبثاق من الابن هو عقيدة، ولا يمكن ببساطة أن تُسقَط من دستور الإيمان كما لو لم توجد. يجب أن تُعلن عقيدة "الانبثاق من الآب والابن" هرطقة وتُنبذ رسمياً. إن حلّ هذه المسألة يتطلّب توبة حقيقية وتغيّراً في الذهن والقلب. والسبح للثالوث القدوس غير المنقسم والمشترك في الجوهر الواحد كل حين وإلى دهر الداهرين. آمين.

النعمة الإلهية: مخلوقة أم غير مخلوقة؟

د. عدنان طرابلسي

يقول القديس بطرس الرسول: "لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بطر ١: ٤). هذه هي غاية المسيحية: أن نصير شركاء الطبيعة الإلهية، أن نتألّه بمقدار ما هو ممكن للإنسان، أن نصير آلهة بالنعمة كما أن الله هو إله بالطبيعة، مع بقاء الإنسان المتألِّه إنساناً بالطبيعة. إذاً، الخلاص في المسيحية ما هو إلا البداية للامتلاء من النور الإلهي والارتقاء من مجدٍ إلى مجدٍ.

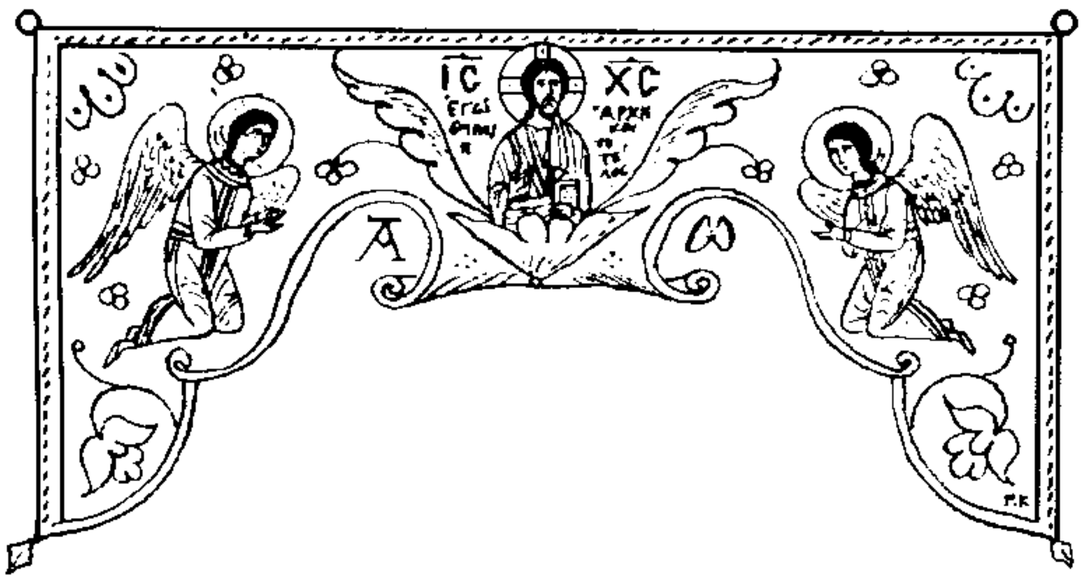

كلمات القديس بطرس هذه ليست كلمات مجازية أو رمزية أو تشبيهية، بل كلمات واقعية. لكن كيف يمكن للإنسان أن يكون شريك الطبيعة الإلهية والكتاب المقدس يقول: "الله لم يره أحدٌ قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو ١: ١٨)؟ ويقول عن الله: "ساكناً في نورٍ لا يُدنى منه، الذي لم يره أحدٌ من الناس، ولا يقدر أن يراه" (١تيمو٦: ١٦). فالله في الكتاب المقدس بشكل عام غير منظور (رو ١: ٢٠) وغير موصوف (٢كور٩: ١٥) ولا يُعبَّر عنه بلفظ (٢كور١٢: ٤) ولا تُسبَر أغواره (رو ١١: ٣٣)، ولا يُستقصى (رو ١١: ٣٣)، الخ. لهذا لا بد من حلّ الإشكال الناجم عن التناقض الظاهري بين كلمات القديس بطرس وبين عدم قابلية الله للشركة وللمعاينة. والقديس مكسيموس المعترف نفسه يقول من جهة عن الاتحاد بين الله والإنسان: "الواحد هو الله والآخر ليس الله؛ الواحد هو الرب والآخر هو عبد؛ الواحد هو خالق والآخر هو خليقة.. ولا يوجد شيء مشترك بين طبيعتيهما". ومن جهة أخرى يتكلم القديس نفسه عن "تغيّر النفس إلى الطبيعة الإلهية". هكذا فالله هو غير قابل للشركة معه وقابل للشركة معه فعلاً في الوقت ذاته.

القديس غريغوريوس بالاماس كان من أشهر الآباء الذين ناقشوا هذه المعضلة وبلوروا اللاهوت المتعلّق بها، وإن كان هذا اللاهوت أقدم من القديس بالاماس نفسه. يقول بالاماس إن قول القديس بطرس "شركاء الطبيعة الإلهية" يحمل طابعاً تناقضياً antinomic مما يذكّرنا بعقيدة الثالوث القدوس. فكما أن الله واحد في الطبيعة إلا أنه ثلاثي الأقانيم. هكذا أيضاً يمكن القول إن الطبيعة الإلهية غير القابلة للمشاركة بها وللبلوغ إليها، هي في الوقت نفسه قابلة للمشاركة بها. صفة التناقضية هذه هي صفة واجبة وصحيحة.

السؤال هنا هو: كيف يمكن للطبيعة الإلهية أن تكون غير قابلة للمشاركة بها وبالوقت نفسه قابلة للمشاركة بها؟ ما هي طبيعة الشركة التي بها ندخل في اتحاد بالثالوث القدوس؟ كيف يمكننا أن نعاين الله وجهاً لوجه وهو الذي لم يره أحدٌ قط؟

لو استطعنا الاتحاد بالطبيعة الإلهية (أي بالجوهر الإلهي) ذاتها لصرنا آلهة مثل الله وهذا بالطبع مستحيل. لهذا يبقى الجوهر الإلهي متعذر علينا وغير قابل للمشاركة به من قبلنا. إذاً لا يمكننا أن نشترك في الجوهر الإلهي ذاته ولا الاتحاد بأحد الأقانيم الإلهية اتحاداً أقنومياً (وهذا خاص باتحاد الطبيعة البشرية للمسيح بطبيعته الإلهية). لهذا لا بد من وجود نوعٍ آخر من الاتحاد بين الله والإنسان، اتحاداً يحفظ الخصائص الإلهية لله (غير القابل للمشاركة به ولمعاينة جوهره الذي لا يُدنى منه، الخ...) ويحفظ الخصائص البشرية للإنسان، وفي الوقت نفسه يجعل الإنسان "شريك الطبيعة الإلهية" بحسب الرسول بطرس. هذا النوع من الاتحاد بين الله والإنسان يفرض تميزاً معيناً في الله عدا عن التميّز بين الطبيعة الإلهية والأقانيم الإلهية. هذا التميّز هو بين جوهر الله (أو طبيعته) من جهة (وهو غير قابل للمعاينة أو للمشاركة به أو للفهم أو للوصول إليه) وبين قوى الله الخاصة بالجوهر الإلهي والصادرة عنه وغير المنفصلة عنه سرمداً. هذه القوى (أو القوة) الإلهية تصدر من الجوهر الإلهي بدون انقطاع سرمداً صدور أشعة الشمس من قرصها وفيها يمنح الله ذاته ويشترك مع الخليقة وتتحد به. هذه القوة أو النعمة الإلهية هي استنارة إلهية. يقول القديس بالاماس: "إن الاستنارة الإلهية والمؤلِّهة والنعمة هي ليست جوهر الله بل قوة الله". وهي "قوة إلهية مشتركة للطبيعة في الثلاثة أقانيم". هذا التميّز في الله بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية يشرح لنا قابلية الاتصال بالله والاتحاد به أي بقواه لا بجوهره.

إذاً، إن الحاجة إلى وضع أساس عقائدي سليم لاتحاد الله (غير القابل للشركة) بالإنسان هو الذي دعا الكنيسة الأرثوذكسية إلى صياغة تعليمها حول التميّز بين جوهر الله وقواه. القديس بالاماس أسهب في شرح هذه العقيدة وتطويرها ولكنه لم يكن أول مَن تكلّم بها. فهذا التميّز موجود لدى معظم الآباء الأرثوذكس الذين كتبوا باليونانية قبل بالاماس حتى في أوائل القرون المسيحية، وهو بالحقيقة جزءاً لا يتجزأ من تقليد الكنيسة الأرثوذكسية. من أقوال بعض الآباء قبل بالاماس نذكر هنا قول القديس باسيليوس الكبير: "بقواه نقول إننا نعرف إلهنا؛ لا نؤكد أننا نستطيع الاقتراب من الجوهر نفسه، لأن قواه تنزل إلينا، لكن جوهره يبقى غير مُقتَرب منه". ويقول القديس مكسيموس المعترف: "الله قابل للشركة معه بما يمنحه لنا؛ ولكنه غير قابل للشركة معه في لا شركية جوهره". ويقول القديس يوحنا الدمشقي: "كل ما نقوله عن الله إيجاباً لا يُظهر طبيعتَه بل الأشياء المتعلقة بطبيعته"(١٠٨).

إذاً، القوى الإلهية أو النعمة الإلهية تصدر من الجوهر الإلهي سرمداً بدون انقطاعٍ وهي مثل الجوهر الإلهي غير مخلوقة وسرمدية. فيها يكون الله حاضراً، لا حضوراً رمزياً أو مجازياً بل حضورياً كلياً وواقعياً؛ فالله حاضرٌ تماماً في قواه حضوره في جوهره. وهذه القوى لا تصدر من الجوهر الإلهي كصدور الأعمال الناتجة عن المشيئة الإلهية (مثل عمل خلق العالم). لأن هذه القوى أو النعمة ليست مخلوقة بل خالقة. يقول بالاماس: "الخليقة هي عمل القوى"، وهذه القوى هي انسكابات الطبيعة الإلهية، وفيها يوجد الله خارج جوهره إن صح التعبير وبها وفيها يمكننا أن نتحد بالله ونشترك في حياته وفي طبيعته الإلهية ونمتلىء من أنواره الإلهية.

إذاً، نميّز في الله الطبيعة (أو الجوهر) الإلهية، والأقانيم الإلهية، والقوى (أو النعمة) الإلهية، وهي كلها خالقة. هذه القوى الإلهية ستكون موجودة حتى لو لم توجد المخلوقات، فهي لا توجد بسبب وجود المخلوقات (بما فيها الإنسان). هي سرمدية. لكن هذه القوى تتغلغل في العالم المخلوق والمحدود بالزمان والمكان. ورغم هذا التغلغل الإلهي

(١٠٨) الإيمان الأرثوذكسي ١: ٤.

في العالم المخلوق إلا أن العالم المخلوق يظل مخلوقاً ومحدوداً. هذا الحضور الإلهي في العالم المخلوق هو حضور بشكل نور إلهي أو نعمة إلهية غير مخلوقة. هذا النور الذي يقول عنه القديس بولس الرسول: "الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نورٍ لا يُدنى منه، الذي لم يره أحدٌ من الناس" (١تيمو ٦: ١٦)، هو النور نفسه الذي كان يشعّ على أبرار العهد القديم إنما من خارجٍ، وهو نفسه الذي شعّ على التلاميذ الثلاثة على جبل التجلّي عبر ناسوت المسيح. وهو نفسه الذي يسكن في المسيحيين المعتمدين باسم الثالوث القدوس. إذاً، هذه القوى الإلهية أو النعمة الإلهية غير المخلوقة أو النور الإلهي غير المخلوق هي واقعٌ حقيقي وليس مجرد مفهومٍ فكري نظري.

أعداء بالاماس المتأثّرون بالأرسطوية (خاصة برلعام وأكندينوس والفكر الكاثوليكي بشكل عام) رأوا أن التميّز بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية في الله هو انتقاصٌ من بساطة الله، واتهموا بالاماس بعبادة إلهين أو بتعدّد الآلهة. رأوا أن جوهر الله البسيط بالكاد يسمح بالأقانيم الثلاثة فيه بالوجود، إلى درجة كانوا يعتبرون أن هذه الأقانيم الثلاثة هي عبارة عن مجرد علاقات ضمن الجوهر وليس كيانات شخصية متميّزة[١٠٩]. ورأوا أن ما ليس هو جوهر الله لا ينتمي إلى الله وليس هو الله. هكذا، بحسب برلعام وأكندينوس، بما أن القوى الإلهية (أو النعمة الإلهية) هي ليست الجوهر الإلهي فهي إذن حقائق وأعمال مخلوقة. خصوم بالاماس ميّزوا الجوهر الإلهي وميّزوا أيضاً الأعمال المخلوقة، ولكنهم لم يميّزوا القوى الإلهية. ومثل آريوس وأوريجنس، فإن المدافعين عن عقيدة الانبثاق من الابن كانوا عاجزين عن تصوّر تمييزات حقيقية ضمن الألوهة بسبب تأكيدهم على البساطة الإلهية. وبالفعل كان القديس أوغسطينوس واضحاً جداً بخصوص بساطة الطبيعة الإلهية: "الله.... بسيط، بحيث أن حكمته ومعرفته، صلاحه وقوته، هي جوهره، الذي بدون أعراض [١١٠]accidents."[١١١]

جواباً على خصومه طرح بالاماس على خصومه المعضلة التالية: في حال لم يعترفوا بالتميّز بين الجوهر الإلهي والقوى الإلهية، فهذا يعني:

---

(١٠٩) راجع الدراسة المتعلقة بانبثاق الروح القدس

(١١٠) صفات غير جوهرية.

(١١١) Frederick Copleston, SJ.,*A History of Philosophy*, Vol. 2, Pt 1,*Mediaeval Philosophy*: *Augustine to Bonaventure* (Garden City, NY; Image Books, 1962) p. 87.

إما أن يكون مجد الله ونعمة الله ونور الله (نور التجلّي مثلاً) هي جوهر الله نفسه (بحسب أوغسطينوس) وبالتالي غير قابلة للمشاركة من قبل الإنسان؛

وإما أن يكون مجد الله ونعمة الله ونور الله (نور التجلّي مثلاً) هي أمور مخلوقة ولا تنتمي إلى جوهر الله.

في كلتا الحالتين يكون التألّه الحقيقي مستحيلاً. إذاً هذا الدفاع عن البساطة الإلهية، بدءاً من مفهوم فلسفي للجوهر، يؤدي بالنهاية إلى استنتاجات مخالفة للاهوت الكنيسة الأرثوذكسية وتقليدها.

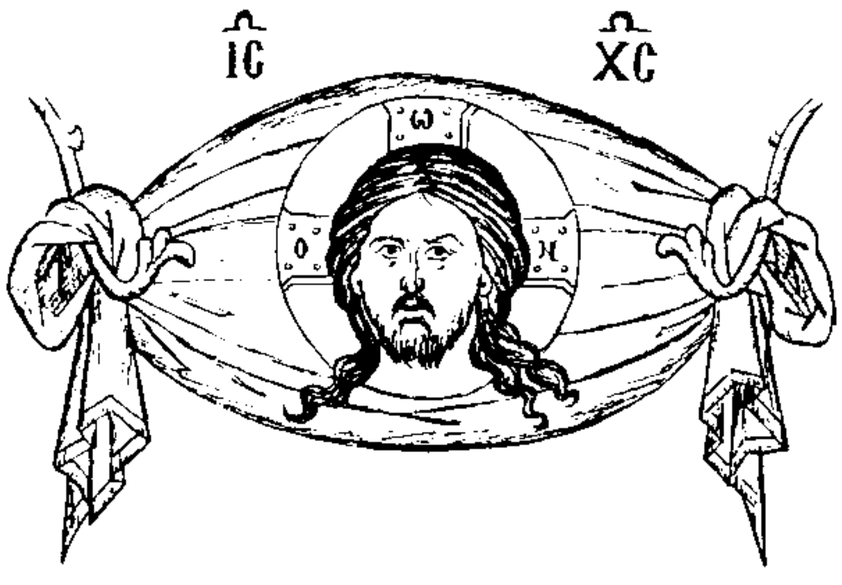

بما أن اللاهوت الأرثوذكسي لاهوت تنزيهي apophatic لهذا، من المستحيل أن نبني البساطة الإلهية على مفهوم بسيط للجوهر. إن البساطة البارزة التي للثالوث القدوس هي أساس فكر بالاماس اللاهوتي: بساطة لا تتأثّر بالتميّز بين الطبيعة والأشخاص من جهة، وبين الأشخاص أنفسهم من جهة أخرى. ومثل أية مقولة عقائدية عن الله: يمكن أن يتم التعبير عن هذه البساطة بتعابير تناقضية : antinomic إنها لا تستثني التميّز لكنها لا تفسح المجال لا للانفصال ولا للانقسام في الكيان الإلهي. هذا يذكّرنا بقول القديس غريغوريوس النيصصي من أن العقل البشري بسيطٌ رغم تنوّع ملكاته، ويصير متنوعاً في حدثية الخروج نحو المواضيع التي يعرفها، ورغم ذلك يبقى غير منقسمٍ، وبدون أن ينتقل في جوهره إلى جواهر أخرى. رغم هذا التميّز في الله بين الطبيعة والقوى إلا أن اللاهوت الأرثوذكسي لا يعترف بأي نوعٍ من "التركيب" في الله. فالقوى الإلهية (مثل الأقانيم) هي ليست عناصر في أو من الكيان الإلهي يمكن تخيّلها على حدة، منفصلة عن الثالوث القدوس. وهي ليست عوارض للطبيعة الإلهية، ولا هي كائنات أقنومية على غرار الأقانيم. وليس من الممكن أن نعزو أية قوة معينة إلى أقنوم إلهي معين دون سواه.

بعد هذه اللمحة السريعة عن موضوع التميّز بين الطبيعة الإلهية والقوى الإلهية في الله، لا بد من الحديث عن النتائج العملية والحياتية لهذا التميّز في حياة المسيحي:

١– هذا التميّز هو أساس كل خبرة صوفية مسيحية. فالله غير القابل للإدراك بجوهره هو نفسه حاضرٌ في قواه الإلهية "كما في مرآة، وباقياً غير منظور فيما هو عليه؛ بالطريقة

نفسها يمكننا أن نرى وجوهنا في المرآة ولو أنها هي نفسها غير منظورة لنا" كما يقول القديس بالاماس. فالله بكامله مجهولٌ لنا بجوهره وبكامله معروفٌ لنا بقواه. هذه القوى لا تقسم الجوهر الإلهي إلى قابل للمعرفة وغير قابل للمعرفة. الجوهر الإلهي بسيط. ولكن القوى تشير إلى وجود نمطين مختلفين من الوجود الإلهي: في الجوهر وخارج الجوهر.

٢- هذه العقيدة تمكّننا من فهم كيف يبقى الثالوث القدوس غير قابل للمشاركة بالجوهر وبالوقت نفسه يأتي ويسكن فينا بحسب وعد المسيح (يو١٤: ٢٣). هذا الحضور الإلهي في القوى ليس حضوراً عرضياً مثل الحضور الإلهي الكلي في الخليقة (الحاضر في كل مكان والمالىء الكل)؛ وليس حضوراً بحسب الجوهر الذي هو بالتعريف غير قابل للشركة؛ إنما هو نمطٌ يسكن بحسبه الثالوث القدوس فينا بواسطة قواه أو النعمة غير المخلوقة. وبما أن هذه القوى أو هذه النعمة مشتركة بين الأقانيم الإلهية المجيدة، فإن مَن له الروح القدس له الابن، ومَن له الروح والابن له الآب.

٣- هذا التميّز بين الجوهر والقوى هو الذي يمكّننا من فهم كلمات القديس بطرس "شركاء الطبيعة الإلهية". هذا الاتحاد بالله هو ليس اتحاداً أقنومياً (خاصاً بين لاهوت المسيح وناسوته)، ولا بحسب الجوهر (خاص بالأقانيم الإلهية)، بل هو اتحادٌ بحسب القوى الإلهية أو النعمة التي تجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية بدون أن يستحيل جوهرنا البشري إلى شيء آخر وبدون أن يتغيّر جوهر الله. هذا الاتحاد بين الإنسان والقوى أو النعمة الإلهية غير المخلوقة هو الذي يدعوه آباء الكنيسة التألّه. فيصير الإنسان بالتألّه بالنعمة غير المخلوقة كل ما هو الله عليه بالطبيعة (بحسب ما هو ممكن للإنسان) بحسب تعليم القديس مكسيموس المعترف. نظل مخلوقات ولكننا نملك في ذواتنا النعمة الإلهية غير المخلوقة التي بها نتحد بالله ونعاينه وجهاً لوجه. وكما صار المسيح الإله إنساناً وظل إلهاً في الوقت نفسه، هكذا يصير الإنسان المتألّه إلهاً (بالنعمة) ويستمر إنساناً. إذاً، تجسّد الله أدّى إلى تألّه الإنسان.

٤- بالطبع لو لم تكن النعمة الإلهية غير مخلوقة لما استطاع الإنسان أن يتألّه أو حتى أن يدّعي التألّه. لأن الإنسان لا يتألّه بأي شيء مخلوق مهما عظم. الخالق وحده هو الذي يؤلّه. من هنا ضرورة التأكيد على أن هذه القوى الإلهية أو النعمة الإلهية هي غير مخلوقة من جهة، وعلى الحضور الإلهي الكامل في نعمته أو قواه من جهة أخرى. فالإنسان

المسيحي (المعتمد) يضمّ في شخصه البشري المخلوق والمحدود نعمة الله غير المخلوقة وغير المحدودة، فيقنّمها في شخصه، أي يصير شخصه البشري حاوياً لنعمة الله غير المخلوقة في سرٍّ عجيب. فكما أن الرب يسوع له المجد في شخصه الإلهي قد ضمَّ الطبيعة البشرية المخلوقة، هكذا الإنسان المسيحي المتألِّه يضمّ في شخصه البشري النعمة الإلهية غير المخلوقة والتي فيها يكون الله هو هو حاضراً فيها، أي يضمّ اللهَ نفسه. يا لعظمة السر!

اللاهوت الغربي لم يستطع بسهولة قبول هذا التميّز في الله بين الجوهر والقوى. وبالوقت نفسه وضع تميّزات غريبة عن اللاهوت الأرثوذكسي، مثل التميّز بين نور المجد ونور النعمة (هذا النوران مخلوقان)، وبين عناصر أخرى مما يسميه "النظام الفائق الطبيعة" كعطايا الروح القدس. لا يعترف اللاهوت الأرثوذكسي بـ"نظام فائق الطبيعة" بين الله والعالم المخلوق، كما لو كان يضيف على العالم المخلوق خليقة جديدة. اللاهوت الأرثوذكسي يعترف بوجود الخالق والخليقة، الله والعالم المخلوق. ولا يوجد نظام آخر مخلوق سواء فائق الطبيعة أو لا. ما يدعوه اللاهوت الغربي بـ"الفائق الطبيعة" هو ما يدعوه اللاهوت الأرثوذكسي بالنعمة الإلهية غير المخلوقة. إنما يوجد بونٌ شاسع بينهما. النعمة للفكر الغربي تعني فكرة العلّة والنتيجة. فالنعمة، لدى اللاهوت الغربي هي نتيجة للعلّة الإلهية، تماماً كما أن خلق العالم هو نتيجة للعلة الإلهية. لهذا تكون النعمة الإلهية مخلوقة بالنسبة للاهوت الغربي. بينما بالنسبة للاهوت الأرثوذكسي كما رأينا، إن النعمة الإلهية هي قوة أو قوى إلهية تنبثق من الجوهر الإلهي وتفيض منه سرمداً. فالله في الخلق حصراً يعمل كعلّة، في إحداث شيء جديد مدعو أن يشارك في الملء الإلهي. أما في القوى الإلهية، فالله هو حاضر وموجود وكائنٌ، ويُظهر نفسه سرمدياً. وبالقوى الإلهية (النعمة أو النور الإلهي) خلق الله العالم، وهي تتغلغل في كل الخليقة. النور الإلهي "كان في العالم، وكُوِّن العالم به ولم يعرفه العالم" (يو ١: ١٠). بالطبع المشيئة الإلهية خلقت العالم بالقوى الإلهية وذلك لأن العالم لم يُخلَق لمجرد وجود قوى إلهية (وإلا لصار العالم سرمدياً). فالمشيئة الإلهية[١١٢] خلقت العالم بالقوى الإلهية

(١١٢) التي هي أيضاً قوة إلهية.

لكي تقبل الكائنات المخلوقة أن تدخل بحرية في اتحاد مع الله عبر هذه القوى الإلهية غير المخلوقة. يقول القديس مكسيموس المعترف: "خلقنا الله لكي نصير شركاء الطبيعة الإلهية، لكي ندخل في الأبدية، ولكي نبدو مثله، وقد تألّهنا بتلك النعمة التي بها أتى كل ما هو موجود، والتي توجِد كلَ شيء لم يكن له وجود قبلاً".

افنوميوس الآريوسي، متأثراً بالفلسفة اليونانية الأرسطوية الوثنية، اعتقد أن ابن الله هو قوة مخلوقة مشخصنة وأنه لا شيء مما هو غير مخلوق يمكن أن يكون مولوداً وغير مخلوق بآن واحد، وبالتالي لا توجد تعددية في الله. أما المغبوط أوغسطينوس فقد انطلق من الفلسفة اليونانية (الأفلاطونية الحديثة) القائلة إن الله هو قوة صرفة (actus purus) وطابق بين قوى الله غير المخلوقة (مثل المحبة، والخلق والعناية الإلهية، الخ...) وبين الجوهر الإلهي غير المخلوق... بعد هذا، أعلن أنه بما أن القوى الإلهية هي نفسها الجوهر الإلهي (أي إن المحبة مثلاً هي جوهر الله في اللاهوت الغربي بينما هي قوى إلهية في اللاهوت الأرثوذكسي)، لهذا لا يمكن لهذه القوى أن تكون لها شركة مع العالم المخلوق بصورة مباشرة؛ لهذا فعلاقة الله مع العالم المخلوق هي عبر وسطاء أو قوى مخلوقة. طبعاً كان هدف أوغسطينوس الدفاع عن البساطة الإلهية والدفاع عن ألوهة الابن ضد الآريوسية. لكن هذه المغالاة في الدفاع عن البساطة الإلهية التي ليست بحسب المعرفة قد مهّدت الطريق لاحقاً إلى اعتبار أن الأقانيم الإلهية الثلاثة هي مجرد علاقات ضمن الجوهر الإلهي الواحد أكثر من كونها كيانات شخصية متميزة، مما أدّى بالنهاية إلى ظهور عقيدة "الانبثاق من الابن"(١١٣).

فالمجد لله الذي سكب نفسه بالكلية في قواه الإلهية غير المخلوقة لنصل إليه ويصل إلينا فنصير من لحمه ومن عظامه(١١٤).

---

(١١٣) يعتبر الكثيرون أن أوغسطينوس كان مُخطئاً في بعض آرائه اللاهوتية. حياته كانت حياة تقوى وورع، لهذا طوّبته الكنيسة الأرثوذكسية، لكن لاهوته لم يكن خالياً من الهنات في كثير من الأحيان. دراسة أوغسطينوس لم تأخذ حقها بعد.

(١١٤) وأخيراً هذا المقطع الرائع من بالاماس عن مايندورف:
إنما الله الحي بكليته يظهر للمسيحي. "النعمة تكمل الإتحاد الممتنع النطق به .. الله بكليته يأتي ليسكن في الكائن بكليته. كائن الذين هم أهل له، والقديسون بكليتهم يقيمون بكلية كيانهم في الله بكليته، ممسكين بالله بكليته دون أن ينالوا أية مكافأة أخرى، لقاء الصعود الذي أنجزوه ليرتقوا إليه سوى الله وحده؛ يتعلق بهم كما النفس هي متعلّقة بالجسد، كما بأعضائها الخاصة". الأمر إذاً شركة مباشرة: "الله يدع نفسه يرى مواجهة لا بألغاز... يتحد بهم لدرجة مجيئه ليسكن بكليته فيهم بكليتهم...". يسكنون بكليتهم فيه حتى إنّ الروح القدس بالابن يحلّ بغزارة علينا" (تيطس ٣: ٥..٦) ... ؛ ومع هذا لا تعتبر أنّ الله يدع نفسه يرى في جوهره الفائق الجوهرية، بل بحسب الموهبة المؤلّهة، وبحسب قوته، بحسب نعمة التبني، التألّه غير المخلوق الضياء المباشر المقنم... إله بالاماس الحي (هو) إله جوهرياً غير مقترب إليه ووجودياً حاضر، بقدرته الكلية، في الكون المخلوق (ص ٢٩٣ من المدخل الفرنسي إلى بالاماس). إنّه نص رائع. (**اسبيرو جبور**)

أولوية روما وبابا روما

د. عدنان طرابلسي

أولوية روما ورئاسة البابا وسلطانه المطلق في الكنيسة الكاثوليكية هي من الأمور المتعلقة ببعضها بعضاً. نقطة البداية هي رؤية للكنسيّة ecclesiology (علم أو لاهوت الكنيسة) تبّنتها كنيسة روما بصورة مغايرة جداً لرؤية الكنيسة الأرثوذكسية بل لرؤية كل كراسي الكنائس الرسولية القديمة.

في هذه العجالة تستحيل تغطية كل جوانب المسألة. لهذا سأقتصر على ذكر النقاط الرئيسة باختصارٍ.

أولاً: الأولوية بحسب روما:

لم تنكر الكنيسة الأرثوذكسية أبداً أن كنيسة روما تمتلك أولوية معينة بين الكراسي الرئيسية في العالم. وسبب هذا قد قيل بوضوح في القانون ٢٨ من مجمع خلقيدونية المسكوني: "لأنها كانت المدينة الإمبراطورية". ولأن عاصمة الإمبراطورية قد انتقلت من روما إلى القسطنطينية، فإن آباء خلقيدونية قد منحوا القسطنطينية – روما الجديدة – امتيازات مساوية لامتيازات روما القديمة ومكانة ثانية في ترتيب الكنائس بعد روما، وقبل الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم.

إن كنيسة روما قد رفضت هذا القانون لأنه في ذلك الوقت (منتصف القرن الخامس) كانت روما قد توصلت إلى فهم مختلف لمكانتها في الكنيسة في العالم. فقد ادعت أن أولويتها لم تكن مجرد أولوية في الكرامة والامتيازات الخاصة المتعلقة بالعلاقات ما بين الكنائس، بل كانت أولوية في السلطة على الكنيسة المسكونية، بناء على منصب البابا كخليفة فريد للقديس بطرس. هذا الموقف يتضمن افتراضات عديدة:

١– إن الكنيسة المسكونية، أو على نطاق العالم، هي الكنيسة الكاملة (الكاثوليكية). إن الأبرشيات ذات علاقة بالكنيسة الكونية كعلاقة الأجزاء بالكل.

٢– إن أساقفة الكنائس المحلية هم خلفاء الرسل.

٣– كما أن بطرس كان "أمير الرسل" وقائد جوقة الرسل، هكذا خليفته هو رئيس الكنيسة الكونية. أي: بما أن بابا روما هو خليفة بطرس، وبما أن بطرس هو رأس الرسل، لهذا فبابا روما هو رأس كل الأساقفة على الأرض.

طالما تدّعي كنيسة روما أولوية كونية من السلطان على الكنيسة المسكونية لأن أسقفها هو الخليفة الوحيد للقديس بطرس بحسب رأيها، لهذا رفضت روما القانون ٢٨ من خلقيدونية ليس لمجرد أنها شعرت مهدَّدة من موقف القسطنطينية الجديد، بل لأن منح القسطنطينية مرتبة مساوية لها من قبل مجمع مسكوني قد بتر ادعاء روما الفريد بالسلطة الرسولية.

لنناقش كل نقطة من هذه النقاط على حدة.

بنية الكنيسة المحلية وطبيعتها:

هل كانت الكنيسة الأولى في بنيتها وطبيعتها مماثلة لادّعاءات كنيسة روما المعاصرة، أم يوجد فرق كبير بين هذين المفهومين؟ بحسب القديس بولس، ذهب الرسل من مكان إلى مكان، وهم يعيّنون ويرسمون قادة في الكنائس المحلية:

"من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمّل ترتيب الأمور الناقصة وتُقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك. إن كان أحد بلا لومٍ، بعل امرأة واحدة، له أولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين، "... (تيطس ١: ٥–٧).

يورد هذا النص نقطتين مهمتين لفهم كيف تم تنظيم الكنيسة الأولى. أولاً، إن لفظتي "شيخ" presbyter و"أسقف" bishop كانا يُستعملان كمترادفين. هذا لا ينطبق فقط على العهد الجديد، بل أيضاً على النصوص الآبائية من القرنين الأولين، باستثناء واحد هو

رسائل القديس إغناطيوس الأنطاكي. النقطة الثانية يوجد فرق واضح بين الرسل، الذين كانوا مبشِّرين متجوِّلين والشيوخ والأساقفة الذين تعيّنوا من الرسل والذين كانوا يديرون شؤون الكنائس المحلية.

إن ترادف تعبيرَي "أسقف" و"شيخ" قد أدى بالمؤرِّخين البروتستانت وبعض الروم الكاثوليك المتأثرين بهم إلى الافتراض بأنه كان للكنيسة الأولى نوع من الحاكم المائع وأن حكم أسقف واحد في أبرشية واحدة كان نتيجة لتطور تدريجي. هذا الاستنتاج يجب رفضه بناء على أسس تاريخية ولاهوتية.

الدراسة الدقيقة لوثائق الكنيسة الأولى تشير إلى أنه بالرغم من استعمال مؤلِّفي العهد الجديد والفترة ما بعد الرسل لكلمتي "أسقف" و"شيخ" بصورة مترادفة، إلا أنه كان للكنيسة الأولى منذ البداية تماماً بنية واضحة وهذه البنية قد تقررت بطبيعة الكنيسة كجماعة إفخارستية.

حوالي العام ٩٦ م، أرسل القديس كلمندس ثالث أسقف لروما رسالة إلى كنيسة كورنثوس. في هذه الرسالة يستعمل كلمتي "أسقف" و"شيخ" بصورة مترادفة. وفي نص مهم جداً، يصف بنية الكنيسة بتعابير كهنوت العهد القديم:

"لقد أوصانا أن نُقيم الذبائح والخدم، ويجب ألا يكون هذا بطيش أو فوضى، بل في أوقات وساعات ثابتة. لقد ثبّت هو نفسه بمشيئته الفائقة الأماكن والأشخاص الذين يرغب بهم لهذه الاحتفالات، بحيث تتم كل الأشياء بتقوى بحسب مسرّته الصالحة، وأن تكون مقبولة لمشيئته... الخ"[١١٦]

هذا النص يوضح بنية الكنيسة ذات الأبعاد الأربعة: رئيس الكهنة (الأسقف)، الكهنة (الشيوخ)، اللاويين (الشمامسة)، والعلمانيين. هذه المناصب الأربعة تقررها أدوارها الليتورجية في الكنيسة.

أيضاً القديس الشهيد يوستينيانوس[١١٧]، من منتصف القرن الثاني، يصف بنية مماثلة لوصف القديس كلمندس. ويشير القدس

---

(١١٦) First Epistle of Clement

(١١٧) First Apology I:65

يوستينيانوس إلى الأسقف على أنه "رئيس" الأخوة. ولا يمكن للمجموعة الواحدة أن يكون لها أكثر من رئيس واحد، والسبب في هذا مشتَق من الافخارستيا نفسها، لأنه يجب على واحد أن يترأس العشاء، مقدِّماً الشكر (الافخارستيا) لله.

يوجد سؤال هنا: هل شغل منصب الأسقف – أو الشيخ المترأس – شخص واحد حصراً، أم شغله أكثر من شيخ بصورة دورية؟ الشواهد التاريخية تدل على أن شخصاً واحداً فقط وحصراً قد شغل هذا المنصب. فلوائح التسلسل الرسولي من الكنيسة الأولى تتعقب تعاقب أسقف واحد في الكنيسة الأولى(١١٨).

من هذه الخلفية نستطيع أن نعرف بأن لاهوت الكنيسة للقديس إغناطيوس الأنطاكي (١٠٧) لم يكن استثنائياً، إذ يقول:

"اهتم جداً بالاحتفاظ بافخارستيا واحدة. لأنه يوجد جسد واحد لربنا يسوع المسيح وكأس واحدة لتوحّدنا بدمه؛ مقدس واحد، كما أنه يوجد أسقف واحد، سوية مع الشيوخ والشمامسة، زملائي الخدام. هكذا، لتكن كل أعمالكم مصنوعة بحسب مشيئة الله"(١١٩).

إن البنية الأساسية التي يصفها القديس إغناطيوس مماثلة لما وصفه القديسان كلمندس ويوستينيانوس. أيضاً، يصف القدس إغناطيوس بنية الكنيسة من خلال إطار الافخارستيا. فبالنسبة له، كما بالنسبة لكلمندس ويوستينيانوس، إن البنية الحاكمة للكنيسة تتضح في عبادة الكنيسة.

من هنا نستنتج أن بنية الكنيسة الأولى وفي مركز جماعة "الكنيسة كلها" ووراء "المذبح الواحد" كان يوجد عرش "أسقف واحد" جالس "في مكان الله"، أو يُفهم على أنه "صورة المسيح" الحية. حول عرشه يوجد شيوخ جالسون، بينما بجانبه وقف الشمامسة يساعدونه في الاحتفال، وأمامه "شعب" الله.

من المهم أيضاً أن نلاحظ أن القديس إغناطيوس هو أول شخص قد استعمل صفة "كاثوليكية" للكنيسة. ويجب هنا أن نؤكد بأن كلمة "كاثوليكية" لا تعني "كونية، شاملة

---

(١١٨) من لائحة القديس إيريناوس نعرف أن كلمندس كان ثالث أسقف على روما.
(١١٩) الرسالة إلى أهل فيلادلفية ٤؛ أيضاً النص من الرسالة إلى أهل سميرنا ٨.

universal" بل تعني "كل whole، كامل complete." كلمة مسكونية اليونانية هي التي تعني كونية. بالنسبة للقديس إغناطيوس فإن الكنيسة المحلية – وهو ما ندعوه اليوم بالأبرشية – هي الكنيسة الكاثوليكية (الكلية، الكاملة)، لأنه هناك في وسط الجماعة الافخارستية، التي يترأسها الأسقف، يظهر ملء المسيح. هذا هو قلب الفهم الأرثوذكسي للكنيسة.

في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس، بدأت كلمة "كاثوليكية" تأخذ معنى "كونية". إن ادعاء بابا روما بأن له سلطان كوني على الكنيسة في كل العالم معتمد على مفهوم أن الكنيسة الكونية – وليس الأبرشية – هي الكنيسة الكاثوليكية. لكن هذا على خلاف مع الطريقة التي بها كان الكتبة المسيحيون الأوائل يرون الأمور. فبالنسبة للكتبة اللاتين (مثل ترتليانوس والقديس كبريانوس) وللكتبة اليونان (مثل القديس إغناطيوس) إن تعبير "كاثوليكية" كان يشير بصورة رئيسية إلى الكنسية المحلية. من الواضح أن هذه الرؤية تمثّل انحرافاً عن الطريقة التي بها كان المسيحيون الأوائل يفهمون طبيعة الكنيسة.

أيضاً هذه الرؤية الكاثوليكية تشوّه الطبيعة الثالوثية للكنيسة المذكورة أعلاه. فالكنيسة هي صورة للثالوث القدوس: فكل أقنوم إلهي هو كلٌ بحد ذاته، هو مالكٌ لملء الطبيعة الإلهية الواحدة التي يملكها الأقنومين الآخرين، وليس الأقنوم جزء من كل. هكذا هي الكنيسة: كل كنيسة هي ملءٌ وكلٌ بحد ذاتها، وليست الكنيسة المحلية جزء من كلٍ. إنها جسد المسيح كله الذي يلتئم ويتحقق حول كأس الإفخارستيا برئاسة الأسقف الواحد. أما اللاهوت الكاثوليكي للكنيسة فيجعل الكنائس المحلية أجزاء من كنيسة كونية شاملة. هذه الرؤية الكاثوليكية مماثلة، وبطريقة واقعية جداً، لعقيدة "الانبثاق من الابن"، والتي تعلّي الطبيعة الإلهية الواحدة على حساب كثلكة الأشخاص (أو الأقانيم).

إذاً، يوجد تفسيران للوحدة العضوية في الكنيسة:

التفسير الكاثوليكي: هو التفسير الجامع (وصل إلى ذروته العام ١٨٧٠): فيه الكنيسة هي مجموع الكنائس المحلية، والتي تؤلّف معاً جسد المسيح. فالكنيسة هنا تُرى بتعابير كلٌ وجزء. كل كنيسة محلية هي جزء من كل، ولا تكون الكنيسة المحلية كنيسة إلا عبر انتمائها إلى "الكل". من هنا نفهم أنه لا بد، بحسب التفسير الكاثوليكي، من وجود رأس شامل، أو أسقف شامل، للكنيسة، وهذا الرأس هو بابا روما.

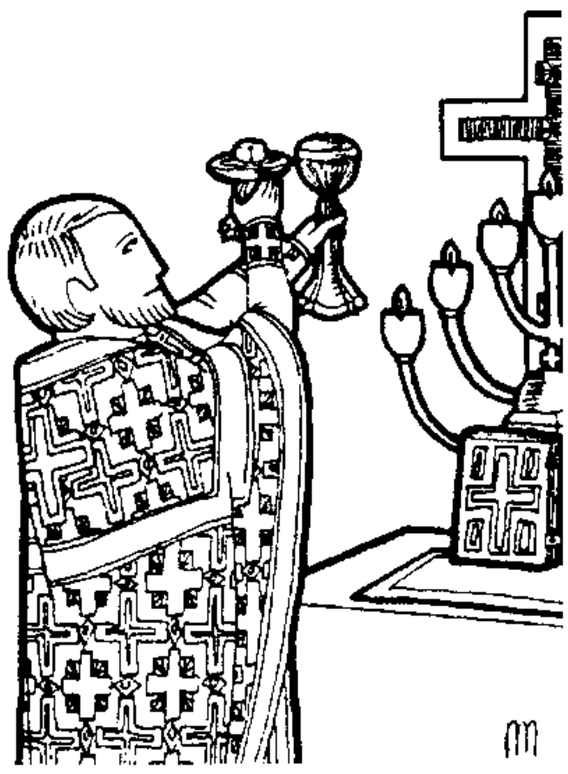

التفسير الأرثوذكسي: هو التفسير الإفخارستي للكنيسة، وهو مطابق لرؤية الكنيسة الأولى كما رأينا. الكنيسة هي كنيسة إفخارستية، حيث الإفخارستيا هو عملٌ يحقّق الكنيسة كجسد المسيح. المسيح غير المنظور يصير حاضراً عبر وفي الوحدة المنظورة للأسقف والشعب (إغناطيوس الأنطاكي، الرسالة إلى سميرنا ٨: ٢). يقول فلوروفسكي: "الأسرار تؤلّف الكنيسة. فقط فيها تتعالى الجماعة الكنسية عن أبعادها البشرية وتصير الكنيسة". بالإفخارستيا لدينا الكنيسة ككل وليس جزء، لدينا المسيح ككل وليس جزء. لهذا فالكنيسة المحقَّقة بالإفخارستيا هي ليست جزء من كل بل هي كنيسة الله بكليّتها.

الكنيسة والكنائس:

إذا كانت كل كنيسة محلية هي كاثوليكية وهي كلٌ وملءٌ، فكيف تكون العلاقة بين الكنيسة الواحدة وبقية الكنائس؟ يجيب الأب شميمان:

" إن كنيسة الله هي جسد المسيح الواحد وغير المنقسم، الحاضر كلياً وبصورة غير منقسمة في كل كنيسة، أي في الوحدة المنظورة لشعب الله، الأسقف والافخارستيا. وإذا كانت الوحدة الشاملة (الكونية) هي حقاً وحدة الكنيسة وليس مجرد وحدة الكنائس، فإن جوهرها هو ليس أن جميع الكنائس معاً تؤلّف عضوية فريدة ووسيعة، بل أن كل كنيسة – في هوية النظام، والإيمان وعطايا الروح القدس – هي الكنيسة نفسها، جسد المسيح نفسه، الحاضر بصورة غير منقسمة حيثما تكون 'الكنيسة.' هكذا إنها الوحدة العضوية نفسها للكنيسة ذاتها، والكنائس ليست مكمِّلة لبعضها البعض، أو أجزاء أو أعضاء، بل كل واحدة وجميعها معاً هي ليست أي شيء آخر سوى الكنيسة الواحدة المقدسة الكاثوليكية الرسولية"(١٢٠).

هذه الهوية الأساسية في إيمان وحياة الكنائس الكاثوليكية الفردية تضمن وحدة كل الكنائس معاً. هذا يعني أن وحدة الكنيسة في العالم كله غير مضمونة وغير معتمدة على

---

(١٢٠) Alexander Schmemann The Idea of Primacy in Orthodox Ecclesiology in The Primacy of Peter, p. 40.

أي بنية ذات أبرشية فائقة كما هو كرسي روما بالمفهوم الكاثوليكي. إنما هذه الوحدة في كل العالم معبَّر عنها هنا بالعلاقات ضمن الكنائس وبالاحتفال المشترك لرؤوس هذه الكنائس، الواحد مع الآخر على مستوى الأسرار.

لقد صلّى الرب أن يكون أتباعه واحداً كما أنه وأبيه واحد. إن سرّ وحدة الكنيسة إذن هو سرّ ثالوثي. فكما أن كل شخص (أقنوم) من الثالوث هو "كاثوليكي" – أي يمتلك ملء الطبيعة الإلهية، بدون أن يكون "جزءاً" من كلٍّ أعظم – هكذا كل كنيسة محلية هي كاثوليكية، تمتلك وتُظهر ملء الحياة في المسيح في شركة مع جميع الكنائس الكاثوليكية الأخرى. إذاً، الكنيسة المحلية لا يمكنها بأي شكل أن تُعتبر جزءاً من كل أعظم.

تاريخياً، كان أساقفة الكنائس في بقعة جغرافية معينة يجتمعون معاً لمناقشة مسائل ذات اهتمام مشترك. القانون الرسولي ٣٤ يعطينا البنية المجمعية التي هي تحت رئاسة أسقف المدينة الرئيسية (metropolis) في هذه البقعة. من المهم ملاحظة أن أسقف المدينة الرئيسة أو الميتروبوليت لم "يسود" على بقية الأساقفة في المجمع نفسه. فالأساقفة كانوا يحكمون كنائسهم، لكن المسائل ذات الاهتمام المشترك بالإضافة إلى الخلافات كانت تُناقش في المجمع. وكرئيس، كان للميتروبوليت صوت واحد فقط مثل بقية الأساقفة.

كان من الطبيعي أنه يجب تنظيم هذه المجامع بحسب خطوط التقسيمات السياسية للإمبراطورية الرومانية وأن أساقفة المدن الرئيسية – مراكز النشاط الاقتصادي والسياسي – يجب أن يكون لهم أولوية. لهذا كان لأسقف المدينة الأولى، أي أسقف العاصمة أولوية على بقية الأساقفة من حيث الإدارة لا المرتبة الكهنوتية.

أيضاً من المهم ملاحظة أن الأساس الرسولي لم يكن عاملاً رئيسياً في تقرير الأولوية في الكنيسة الأولى. فلم تستطع أية كنيسة – ولا حتى كنيسة روما – أن تدّعي أساساً رسولياً أقوى من كنيسة أورشليم، مع ذلك بقيت كنيسة أورشليم أسقفية صغيرة تابعة لقيصرية عاصمة فلسطين التابعة بدورها إلى أنطاكية حتى رفعها إلى مستوى بطريركية من قبل مجمع خلقيدونية العام ٤٥١.

إن القانون ٢٨ من مجمع خلقيدونية قد رفع كرسي القسطنطينية إلى المرتبة الثانية بعد كرسي روما. كان السبب واضحاً جداً: فالقسطنطينية الآن صارت عاصمة الإمبراطورية. لكن روما لم تقبل هذا القانون أبداً. إذاً: لم يكن حضور بطرس الرسول

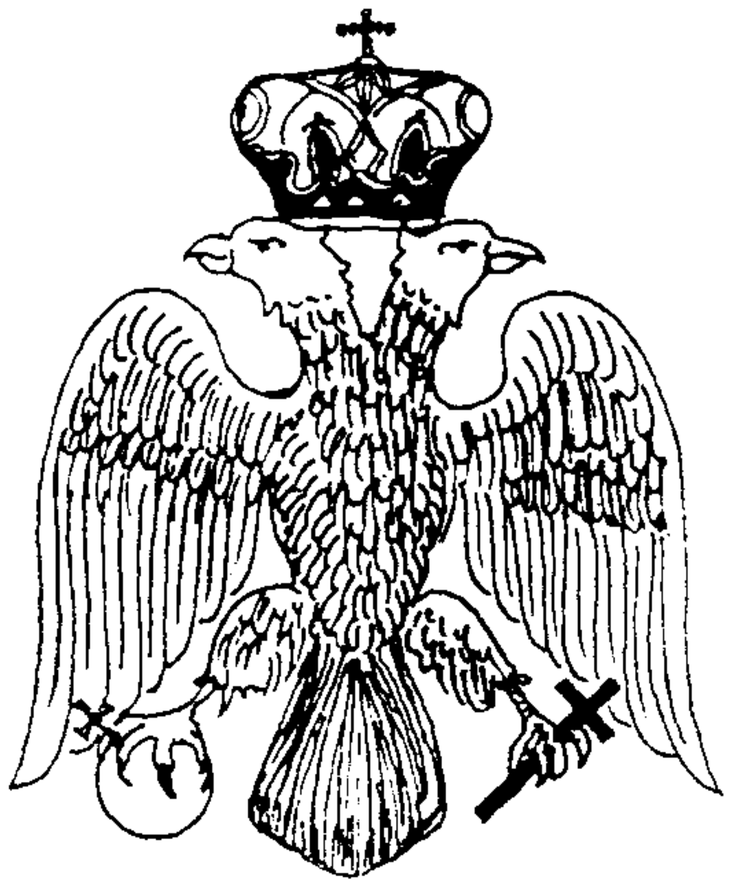

في روما هو السبب في تقدّمها على بقية الكراسي الرسولية، لأن بطرس الرسول كان حاضراً في أورشليم وأنطاكية حضوره في روما إن لم يكن أكثر بكثير. لكن سبب تقدّم كرسي روما هو سبب سياسي تاريخي اجتماعي تدبيري: روما كانت العاصمة، لهذا أسقف روما هو أسقف العاصمة فيترأّس اجتماع الأساقفة.

الأساقفة خلفاء الرسل:

الأساس الثاني من ادعاء روما بالسلطان الكوني هو مطابقة الأساقفة مع الرسل. لقد رأينا أعلاه من نص تيطس أن الرسل كانوا يتجولون من مكان إلى آخر معيّنين قادة للكنائس المحلية. من هذا النص نستنتج أن الرسل لم يكونوا أساقفة لكنائس محلية، بل كانوا رسلاً مبشّرين متجوّلين. أيضاً، لم ينل الأساقفة من الرسل "رسولية"، بل النعمة لقيادة الجماعات المحلية التي أسّسها الرسل بتبشيرهم. الأدلة على هذا فائضة.

فأولاً، نرى من أم الكنائس، كنيسة أورشليم، أن القديس يعقوب لم يكن رسولاً، بل أول أسقف لأورشليم. وفي أول مجمع مسيحي (أعمال الرسل، الإصحاح الخامس عشر)، ترأس يعقوب، أسقف كنيسة أورشليم، وليس القديس بطرس. وكان يعقوب هو الذي أصدر القرار النهائي.

أيضاً، إن لوائح التعاقب الأولى للكنائس لم تسلسل الرسل كأول الأساقفة. فبحسب إيريناوس، كان لينوس، وليس بطرس، أول أسقف لروما[١٢١]. هذه النقطة لم تكن خاصة بالشرق المسيحي فقط، لأن روما نفسها قد قبلتها بدون جدل.

هكذا، في الكنيسة الأولى – حتى في روما – من المستحيل أن نبني نظرية من الأولوية على فكرة التعاقب من رسول معين، لأن الأساقفة لم يكونوا معتبرين خلفاء رسل معينين.

---

(١٢١) ضد الهراطقة: ٣:٣:٣.

المدافعون عن البابوية من الروم الكاثوليك يستشهدون بالقديس كبريانوس لدعم مفهوم البابوية. فالقديس كبريانوس تكلم عن أن المسيح قد أسّس كرسياً وحيداً يسم وحدة الكنيسة، وهذا الكرسي هو كرسي القديس بطرس. لكن حتى علماء الروم الكاثوليك يعترفون أن القديس كبريانوس قد أُسيء فهمه، لأنه عندما كان يتكلم عن كرسي بطرس فإنه لم يكن يتكلم عن روما فقط، بل عن أساقفة كل كنيسة محلية، وهو يرى أن "كرسي بطرس" موجود في كل كنيسة محلية وليس في روما وحدها[١٢٢]. ويؤكّد القديس كبريانوس نفسه: "إن سلطان الأساقفة يشكّل وحدة، منها كل واحد يحتفظ بدوره في كليته". إذاً، كل أسقف محلي يحتفظ بـ"كرسي بطرس" بكليته. كل أسقف محلي هو خليفة بطرس في كل كنيسة، وهو مركز الوحدة في كل كنيسة محلية.

بطرس الرسول رئيس الرسل:

يقول المنطق الكاثوليكي: بما أن بطرس الرسول هو رأس الرسل الاثني عشر وقائدهم ورئيسهم، فإن بابا روما، الذي هو خليفة بطرس الرسول، هو رأس الأساقفة، خلفاء الرسل، وقائدهم ورئيسهم.

الرب يسوع قال لبطرس: "أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨). كان هذا الإعلان ردّاً على اعتراف بطرس: "أنت هو المسيح ابن الله الحي". لن يسعنا الوقت هنا للاستفاضة في تحليل هذه النصوص كتابياً وتاريخياً وآبائياً، ولكننا سنذكر هنا هذه النقاط السريعة[١٢٣]:

١– المسيح يبني الكنيسة لا على شخص بشري (حتى لو كان شخص بطرس، بولس أو حتى شخص والدة الإله) بل على الإيمان الصحيح بشخصه المجيد (المسيح ابن الله الحي). بدون هذا الإيمان لا توجد كنيسة و لا توجد مسيحية.

٢– الكنيسة هي جسد المسيح ورأسها هو المسيح. لهذا فالكنيسة هي كنيسة المسيح ("أبني كنيستي") لا كنيسة بطرس أو بولس أو مريم أو .. أو ..

---

(١٢٢) A. d'Ales: La Theologie de St. Cyprien. Paris, 1922, pp. 91-218. Camelot: Saint Cyprien et la Primaute, dans Istina, 1957, IV, p. 421-34.

(١٢٣) The Primacy of Peter in the Orthodox Church. SVSP, 1973.

٣- في الإصحاح المذكور نفسه وبعد أن طُوِّب بطرس من الرب، ينال توبيخاً قاسياً "اذهب عني يا شيطان...." (متى ١٦: ٢٣). الكنيسة لا تُبنى على عنصر بشري قد يصيب وقد يُخطىء.

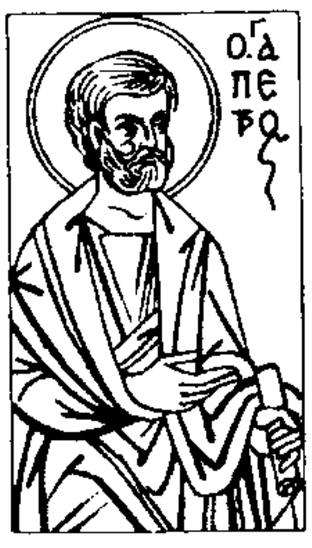

ومن جهة أخرى: يذكر الإنجيل نصّين يتعلّقان ظاهرياً بميّزتين لبطرس الرسول دون سواه من الرسل: فقد أعطاه الرب مفاتيح ملكوت السموات (متى ١٦: ١٩)، وطلب منه أن "ارْعَ غنمي" (يو ٢١: ١٧). فهل حظي بطرس الرسول بما ميّزه عن سواه من الرسل (كما هي امتيازات بابا روما الفائقة والفريدة اليوم)؟ دراسة الكنيسة الأولى تُظهر عكس هذا تماماً: فبطرس كان رسولاً بارزاً في الكنيسة الأولى، لكنه لم يتقلّد أي منصب ثابت في مكان ثابت. هذه خيانة لرسوليته. ولم يرتبط اسمه بكنيسة واحدة[١٢٤]. ورغم أنه دُعي الأول بين جوقة الاثني عشر (أولهم والأول بينهم)، لكنه لم يتصرّف قط بمفرده بل دائماً بصحبة الاثني عشر وأحياناً يوحنا. بطرس هو هامة جوقة الرسل. صحيح أن رسلاً آخرين قد دُعوا هامات (مثل يوحنا، يعقوب وبولس)، لكن بطرس كان أول رسول للمسيح ودائماً ما كان يتكلم بالنيابة عن الكل.

أولوية بطرس كانت فريدة في كنيسة فريدة هي كنيسة العنصرة. فلن تتكرر في التاريخ كنيسةٌ جلّها تقريباً من شهود عيان، شهود مجد الرب وشهود قيامته وحلول الروح القدس، الخ... في هذا الظرف الفريد كان بطرس الأول بين الاثني عشر: في كنيسة معينة في تاريخ معين وفي حقبة معينة. هذا الدور الفريد لبطرس الرسول كان دائماً مرتبطاً بالاثني عشر.

يوحنا الإنجيلي كتب سفر الرؤيا في نهاية القرن الأول وكان آخر سفر يُكتب من أسفار العهد الجديد. سجَّل يوحنا الحبيب رؤية معينة عن "المدينة العظيمة أورشليم المقدسة، نازلة من السماء من عند الله" (رؤ ٢١: ١٠). أورشليم هذه هي "الكنيسة".

---

(١٢٤) راجع أيضاً "أجوبة على ١٠١ سؤالاً في الكتاب المقدس"، وهو كتاب ريموند براون، عالم الكتاب المقدس الكاثوليكي الأمين جداً للتعاليم الكاثوليكية ولكنه بالوقت نفسه عالم مرموق وبارز جداً. يقول (السؤال ٩٩): إنها مفارقة تايخية أن نظن ببطرس كأسقف محلي. رغم إيمان براون بالبابوية إلا أنه لا يجد براهين كتابية أو تاريخية دامغة تسند فكرة البابوية في رئاسة الكنيسة. بالمناسبة أخطأ براون في جواب هذا السؤال عندما ذكر أن إيريناوس قد وضع بطرس أول أسقف على روما، بينما إيريناوس لم يذكر بطرس أبداً.

يستمر يوحنا فيكتب عنها: "وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر" (رؤ٢١: ١٤). إذاً: اسم الرسول بطرس كان واحداً من بين أسماء الرسل الاثني عشر أسوة بهم. فأين الأولوية هنا وأين الرئاسة بالمفهوم البابوي؟! لو كان يوحنا الإنجيلي يؤمن ويعرف بأن لبطرس أولوية ورئاسة كما تفهمها البابوية اليوم لاعتبر ما شاهده من رؤيا أمراً غير صحيح. لكن المساواة بين أسماء الرسل الاثني عشر على أساسات أورشليم السماوية أمر في غاية الوضوح.

ولا نستطيع من العهد الجديد أن نبني فرضية أن بطرس هو مؤسس كرسي روما الفريد، أو أي كرسي آخر. كنيسة روما كانت موجودة قبل وصول بطرس إليها. وفي الرسالة إلى العبرانيين التي كُتبت في كنيسة روما باسم "الذين من إيطاليا" (١٣: ٢٤) لا يُذكر اسم بطرس دلالة على أنه لم يكن أسقف كنيسة روما. وبعد مغادرة بطرس لأورشليم (أع١٢: ١٧) لم يرتبط اسمه بمكان ما أو بكنيسة ما كأسقف لها. وعندما أتى بطرس إلى روما دعا نفسه "الشيخ رفيقهم" (١ بطرس ٥: ١) لا المترأس عليهم مما يدل على أن لقب بطرس كرسول المسيح قد وضعه في مكانة أعلى من مجرد "شيخ" أو أسقف في كنيسة محلية. فطبيعة عمله الرسولي في البشارة لم يجعله في أية كنيسة محلية معينة أو يربطه بها! يومَ العنصرة حضر رومانيون. والفصلان ١٥ و١٦ من رسالة بولس إلى أهل روما يعجّان بأسماء رجالات كنيسة روما. روما وأنطاكية تُنسبان إلى بطرس وبولس مع أن المسيحية دخلت أنطاكية قبل قدومهما. من الممكن جداً أن يكونا قد رسما فيهما شيوخاً فاعتبرتهم الكنيسة خلفاءهما.

أفسابيوس يذكر أن "لينوس كان الأول بعد بطرس الذي حصل على الأسقفية في روما" (٣: ٤)، إلا أن هذا لا يدل على أن بطرس كان الأسقف الأول في روما، لأن دلائل العهد الجديد لا تتفق مع هذه الفرضية ولأن هذه الفرضية تحجّم دور بطرس ولقبه كرسول متجوّل. لقب أسقف على الرسول بطرس هو مفارقة تاريخية.

يُقال إن بطرس رسم لينوس على روما. فلما مات بطرس كان لينوس في كرسيه. فموت بطرس في روما لا يعطي لينوس وزناً خاصاً. وليس من نصٍ في الكتاب المقدس

على أن خلافة الرسول تنحصر في مكان وفاته وإلا لكانت خلافة يوحنا الإنجيلي في أفسس بينما مات وتيموثاوس هو أسقف أفسس. وبولس هو الذي رسمه لا يوحنا.

إذاً: لو كان بطرس الرسول هو هامة الرسل بالمفهوم البابوي المعاصر، لكان يجب أن يكون أول أسقف على أورشليم أم الكنائس، لكنه لم يكن هكذا؛ ولوجب أن تكون سلطاته الكنسية واضحة وغامرة وذات سيادة في طول أعمال الرسل وعرضه وفي تاريخ الكنيسة الأولى، لكنها لم تكن هكذا؛ ولوجب أن يترأس مجمع أورشليم (العام ٤٩) لكنه لم يفعل لأن يعقوب أخا الرب أسقف أورشليم ورئيس مجمع الرسل هو الذي أصدر حكم المجمع (أع ١٥: ٢٨)؛ ولوجب على بقية الرسل الأحد عشر أن يأتمروا بأمره وأن يخضعوا له (كما تخضع أساقفة الكاثوليك في العالم اليوم لبابا روما) لكنهم لم يفعلوا هذا؛ ولوجب أن يتعيّن أساقفة الكنائس بأوامر بطرس الرسول لا في روما فحسب بل في كل مكان، لكن بطرس لم يعيّن أيّاً منهم.

بابا روما يملك اليوم امتيازات وسلطات كنسية لم يملكها بطرس الرسول آنئذ. هذه هي الخلاصة. بابا روما اليوم يصلح أن يكون بابا حتى على بطرس الرسول نفسه! لأن بابا روما يدّعي أنه رأس الكنيسة وحامل مفاتيح ملكوت السموات حصراً، بينما بطرس الرسول لم يدّعِ هذا. مفاتيح ملكوت السموات ورعاية خراف المسيح أُعطيت أولاً للرسول الأول بطرس، لكنها لم تكن محصورة فيه.

يقول أوريجنس في تفسيره لكلمات المسيح لبطرس: "إن قلنا نحن أيضاً: أنت المسيح، ابن الله الحي، نصير عندئذ بطرسَ أيضاً.... لأن كل مَن يماثل المسيح يصير الصخرة. أيعطي المسيح مفاتيح الملكوت لبطرس وحده، في حين لا يستطيع أن ينالهم غيره من المطوَّبين؟"(١٢٥).

معظم النصوص الآبائية (الآباء الكبادوكيون، الذهبي الفم، أوغسطينوس) المتعلّقة ببطرس تعكس الإيمان السابق بأنه على إيمان بطرس الرسول بالمسيح بنى السيد كنيسته. لأن الكنيسة لا تُبنى على شخص بشري. حاشا. لهذا، فجميع الذين يشاطرون بطرس الرسول هذا الإيمان الواحد عينه يكونون خلفاءه. هذا التفسير الآبائي موجود أيضاً في

(١٢٥) الموعظة ١٢: ١٠ على إنجيل متى (PG XIII, 997-1004)

القرون الوسطى المسيحية. يقول القديس غريغوريوس النيصصي مثلاً إن المسيح "بواسطة بطرس أعطى الأساقفة مفاتيح الكرامات السماوية"(١٢٦).

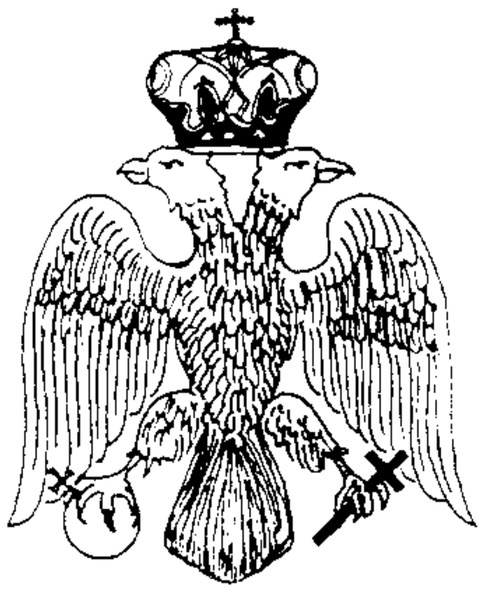

حاول البعض تشويه فهم كلمات بعض آباء الكنيسة العظام للوصول إلى استنتاج يؤكّد آراءهم الخاصة. ماريني Marini مثلاً حاول الاستنتاج بأن رسالة الذهبي الفم إلى بابا روما بعد نفيه الثاني تعبّر عن سلطان كوني لبابا روما يشمل العالم كله. طبعاً هذا المنطق مغلوط لأن تطبيق المنطق نفسه في الاستدلال يؤدّي إلى اعتبار أن لأساقفة قرطاجة وتسالونيكي السلطان الكوني نفسه.

والقديس الذهبي الفم استأنف واحتج لبابا روما لا كتمييز لأولويته بالمفهوم الكاثوليكي، لأنه بالوقت نفسه وبالكلمات نفسه كتب إلى أساقفة ميلان و Aquileia. والذهبي الفم هو القائل بأن فلافيانوس ورث عرش بطرس الأسقفي فهو بطرس آخر، وقال بأن أنطاكية قد تميّزت فوق جميع المدن. وأكّد بأننا حفظنا إيمان بطرس(١٢٧).

أسقف روما خليفة بطرس الرسول:

الأساس الثالث من ادعاء روما بالسلطان الكوني هو أن أسقف روما هو الخليفة الفريد للقديس بطرس وبالتالي هو رأس الكنيسة الكونية:

"إن البابا، أسقف روما وخليفة بطرس، هو المصدر الدائم والمنظور وأساس وحدة كل من الأساقفة وكامل شركة المؤمنين" (Lumen Gentium 23). "لأن الحبر الروماني، بسبب منصبه كنائب المسيح، وراعي الكنيسة كلها، يملك قوة كاملة وفائقة وكونية على كل الكنيسة، قوة يمكنه دائماً أن يمارسها بدون إعاقة" (cf. Christus Dominus 2,9; Lumen Gentium 22).

كما رأينا أن آباء مجمع خلقيدونية قد ذكروا الأهمية الاجتماعية–السياسية لروما كسبب لأولويتها. هذا المبدأ قد قبلته روما بالأصل كما قبله الشرق. وهكذا في القرون الثلاثة الأولى كانت لروما أولوية بسبب كونها عاصمة الإمبراطورية. لكن موقف روما

---

(١٢٦) De castigatione, PG, XLVI, 312 C.

(١٢٧) In Inscript. Act 2: 6

بدأ يتغيّر مع الزمن. والمؤرخون يتفقون على أن هذا التغيّر قد أحدثته الظروف الاجتماعية والسياسية في القرنين الرابع والخامس، وخاصة انتقال العاصمة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطينية، وانهيار الإمبراطورية كمؤسسة سياسية في الغرب. ومع انهيار البنية السياسية للإمبراطورية الرومانية الغربية، صار كرسي روما الميناء الوحيد للاستقرار في لجة من التشوش. أيضاً، إن كون روما الكنيسة الوحيدة في الغرب ذات الأساس الرسولي قد قوّى أهميتها. إذا كان الأمر على هذا النحو – والمؤرخون الكاثوليك يتفقون أنه هكذا – فإن تطور فهم الروم الكاثوليك للاهوت الكنيسة قد تقرّر بالحقائق الاجتماعية–السياسية. إن الجدل الكاثوليكي من جهة البابوية يعتمد على فكرة التطور. وكما رأينا إن ما تطور في روما كان لاهوتاً كنسياً مختلفاً جداً عن لاهوت الكنيسة الذي كان للكنيسة الأولى.

فإذا كانت الكنيسة الأولى تؤمن بأن كل كنيسة محلية (أبرشية) هي الكنيسة الكاثوليكية، عندئذ كل الكنائس وبالتالي كل الأساقفة متساوون، ولا توجد مرتبة فوق مرتبة الأسقف. إذاً، لا يمكن للبابا أن يكون له سلطان كوني على الكنيسة الكونية. وباختصار، إن عقيدة البابوية تقضي على فكرة الكنيسة المحلية.

مجامع الفاتيكان:

مع مجمع الفاتيكان الأول (١٨٧٠) وصلت عقيدة البابوية إلى ذروتها. ويجب الانتباه إلى أن مسألة السلطة هي عقيدة للكنيسة الكاثوليكية وأن البابا، كأسقف روما، له سلطان كوني على الكنيسة الكونية وعلى كل كنيسة محلية:

"لهذا فنحن نعلّم ونعلن أن الكنيسة الرومية، بالترتيب الإلهي، تمتلك تفوّقاً بالقوة الأسقفية على كل كنيسة أخرى، وأن هذه القوة القضائية للحبر الرومي هي أسقفية ومباشرة معاً. إن كلاً من الاكليركيين والمؤمنين، من أي طقس أو رتبة كانت، سواء على انفراد أو مجموعين، هم مرتبطين بالخضوع لهذه القوة بواجب الخضوع المراتبي والطاعة الحقيقية، وهذا ليس فقط في الأمور المتعلقة بالإيمان والأخلاق، بل أيضاً تلك المتعلقة بالتهذيب وإدارة الكنيسة في كل العالم"(١٢٨).

---

(١٢٨) Pastor Aeternus 3.

وحتى لا يفوّت أي واحد مضمون هذه الكلمات، فإن المجمع يضيف مباشرة: "هذا هو تعليم الحقيقة الكاثوليكية، ولا يمكن لأي واحد أن يحيد عنها بدون المخاطرة بإيمانه وخلاصه".

هذه الرؤية هي كلياً مخالفة للاهوت الكنيسة في الكنيسة الأرثوذكسية. فإذا كانت كل كنيسة، بالنسبة للأرثوذكس، هي الكنيسة الكاثوليكية، فعندئذ لا يمكن أن توجد كنيسة "فوق" الكنائس الأخرى، ولا يمكن أن يوجد أسقفان في الكنيسة الواحدة بالوقت نفسه. فإذا كان لكل كنيسة محلية (أبرشية) أسقف واحد، وإذا كان للبابا سلطان أسقفي كوني على كل كنيسة، فإنه إما أن يوجد أسقفان في كل مكان – البابا والأسقف المحلي – أو أن البابا هو الأسقف الحقيقي والأسقف المحلي ما هو سوى مجرد وكيل البابا. إذ لا يمكن لأسقفين أن يملكا سلطاناً أسقفياً على الكنيسة المحلية نفسها بالوقت نفسه. لكن هذه هي الحال في الكنيسة الكاثوليكية. فالبابا يملك سلطاناً أسقفياً مباشراً وفائقاً على كل كنيسة محلية بحيث لا يمكن أن يكون الأسقف المحلي سوى مجرد وكيل للبابا والبابا هو الأسقف الحقيقي. ومجمع الفاتيكان الأول لم يترك أي شك في هذا إذ قال:

"هكذا إذن، إذا كان أي واحد يقول إن الحبر الروماني يملك مجرد منصب الإشراف والتوجيه، وليس القوة الكاملة والفائقة من السلطة على كامل الكنيسة، وهذا ليس فقط في شؤون الإيمان والأخلاق، بل أيضاً في تلك الشؤون المتعلقة بتهذيب وإدارة الكنيسة المنتشرة في كل العالم؛ أو أن له الجزء الرئيسي فقط وليس الملء المطلق من هذه القوة الفائقة؛ أو أن هذه القوة التي له هي ليست أسقفية ومباشرة على كل الكنائس وعلى كل واحدة منها معاً وعلى كل الرعاة والمؤمنين وعلى كل واحد منهم على حدة: ليكن مفروزاً (أناثيما)"(١٢٩).

حاول مجمع الفاتيكان الثاني أن يخفف من لهجة المجمع الأول فقال إنه لا يجب أن يُنظر للأساقفة على أنهم مجرد وكلاء للبابا. لكن المحاولات العملية لزيادة تأثير الأساقفة قد فشلت بإنتاج ثمار حقيقية. فمجمع الأساقفة هو ليس سوى مجرد هيئة استشارية للبابا. وبالفعل فالبابا يوحنا بولس الثاني قد قوّى سلطانه الخاص كخليفة لبطرس ووكيل

---

(١٢٩) Pastor Aeternus 3.

للمسيح. وحديثاً أدخل وعلى انفراد عدة فقرات إلى Code of Canon Law & Code of the Canons of the Eastern Churches. (هذه الفقرات تتعلق بكنيسة الروم الكاثوليك في الشرق، مما يلغي الوهم لدى الكثيرين بأن كنائس الروم الكاثوليك في الشرق لها استقلالية خاصة عن البابا).

ثانياً عصمة البابا:

إن تعليم الروم الكاثوليك عن البابوية سيؤدي بصورة منطقية وحتمية إلى تعليم عصمة البابا.

يؤكد المدافعون الكاثوليك بأن عصمة البابا هي ليست سوى مجرد وظيفة العصمة التي وعد بها المسيح للكنيسة(١٣٠). يقول مجمع الفاتيكان الأول:

"نحن نعلّم ونعرّف كعقيدة مُلهَمة إلهياً أنه عندما يتكلم الحبر الروماني ex cathedra أي عندما يعرّف تعليماً يتعلّق بالإيمان أو الأخلاق يجب أن تؤمن به الكنيسة كلها، (وذلك) لدى ممارسة منصبه كراعي ومعلّم جميع المسيحيين بفضل سلطانه الرسولي الفائق، فإنه يمتلك، بالمعونة الإلهية الموعود له بها في المطوَّب بطرس، تلك العصمة التي شاء الفادي الإلهي لكنيسته أن تتنعّم بها في تعيين التعليم المتعلق بالإيمان أو الأخلاق. لهذا، إن تعيينات كهذه للحبر الروماني هي بحد ذاتها، وليست بإجماع الكنيسة، نهائية"(١٣١).

يُظهر هذا النص نقطتين مهمتين بخصوص هذا التعاليم.
الأولى: العصمة تكمن في شخص وحيد بفضل منصبه.
الثانية: هذا السلطان مشتق ليس من إجماع الكنيسة جمعاء بل من سلطان البابا الذاتي كخليفة لبطرس.

الأرثوذكس يؤمنون أن الكنيسة معصومة. ولم توجد قط محاولات لتوضيع هذه العصمة في أي شخص أو مؤسسة.

---

(١٣٠) بعد انشقاق روما وخلال الحروب الصليبية تنامى نفوذ البابا فساد على الغرب فوق الملوك والأمراء. ولكن اللاهوتيون في باريس رفضوا دعوى العصمة البابوية حتى فرضتها مِحَن التاريخ الغربي في ١٨٧٠.

(١٣١) Pastor Aeternus 4.

ومن الشائع القول إن المجامع المسكونية معصومة. على كل حال، لا يمكن لأي مجمع أن يدعي العصمة ببساطة لمجرد وجوده. فقط بعد أن يتم "قبول" قرارات المجمع من قبل الكنيسة على نطاق واسع، أي بعد أن تجد الكنيسة جمعاء أن هذه القرارات على اتفاق مع فكر الكنيسة (*consensus Ecclesiae*) أو الإجماع الكنسي، عندئذ يمكن القول إنها معصومة. فالكثير من المجامع وقرارات بعض المجامع قد رفضها المؤمنون.

فإذا كان أي مجمع لا يمكن أن يدعي العصمة لمجرد انعقاده، فبالتأكيد لا يمكن لأي شخص في الكنيسة أن يدعي العصمة. الكنيسة لا تخطئ، لكن الأشخاص في الكنيسة تخطئ، حتى لو كانت هذه الأشخاص أساقفة أو بطاركة. القديس بولس وبّخ القديس بطرس. المجمع المسكوني السادس دان البابا هونوريوس بهرطقة المشيئة الواحدة. فأين العصمة؟ البابا يوحنا الثامن دان "الانبثاق من الابن"، مع ذلك فقراره "النهائي"، بمقاييس مجمع الفاتيكان الأول، قد أُبطل من البابوات في القرن الحادي عشر. فإذا كان على خطأ فقد ضلَّ؛ وإن كان على صواب فخلفاؤه (حتى يومنا الحالي) قد أخطأوا.

بالنسبة للأرثوذكس، إن معيار العصمة هو فكر الكنيسة، أو الإجماع الكنسي. لكن روما قد وضعت بوضوح البابا فوق هذا الإجماع. وإذا كان التاريخ لا يدعم هذا الموقف، وهو حتماً لا يدعمه، عندئذ لماذا تطورت النظرية بالمقام الأول، ولماذا يصرّ الكاثوليك على الالتصاق به؟

والسبح لله دائماً

فهرس الأسئلة

الفصل الأول

أسئلة حياتية–اجتماعية–أخلاقية

س ١– في القرن الحادي والعشرين كلام كثير حول حقوق المرأة، ودورها ومساواتها بالرجل. كيف نعي ذلك ونحن في كنيسة المسيح؟ (الأم مريم زكا).....١٨

س ٢– كيف ترى دور المرأة في حياة الكنيسة؟ (اسبيرو جبور).....٢٠

س ٣– شعر المرأة يلعب دوراً في جاذبيتها. والرسول بولس ذكر تغطية شعر المرأة (١كور ١١: ٣–١٥). هل يجب على المرأة المعاصرة أن تغطي شعرها بحسب نصيحة القديس بولس؟ (الأب منيف حمصي).....٢٢

س ٤– ما هو دور الأم في تربية الأولاد تربية مسيحية؟ (اسبيرو جبور).....٢٣

س ٥– المجتمعات المعاصرة، خاصة المتطورة صناعياً، فقدت مفهوم الزنى أو كادت في مناقبها، فصارت العلاقات الجنسية قبل الزواج أمراً مقبولاً، مستساغاً أو حتى محبَّذاً. هذا يتعارض مع الأخلاق المسيحية وتعليم الكنيسة والآباء القديسين. كيف تنظر إلى هذه المسألة؟ (الأب منيف حمصي).....٢٥

س ٦– ما هو دور العفّة في العلاقة بين الزوج والزوجة؟ (اسبيرو جبور).....٢٧

س ٧ – هل يمكن أن يوجد زنى في العلاقة بين الزوج وزوجته، وما هو الزنى؟ (الأم مريم زكا).....٢٨

س ٨– التنجيم ظاهرة اجتماعية تنمو باضطرادٍ وتلقى رواجاً بين كافة الأوساط الاجتماعية بمختلف درجاتها وثقافاتها. هل يتعارض التنجيم مع الإيمان المسيحي أم

أنه مجرد ظاهرة اجتماعية لا علاقة لها بالمسيحية ولا تتناقض معها؟ (د. عدنان طرابلسي).....٣٠

س ٩– يُقال إن العجائب هي لغير المؤمنين. ألا تفيد المؤمنين أيضاً؟ وبخاصة أن غير المؤمنين قد لا يؤمنون بعد العجائب دائماً كما حدث أيام السيد المسيح؟ (الأب منيف حمصي).....٣٢

س ١٠– كثيراً ما نسمع عن مظاهر عجائبية مثل نضح الزيت، البخور، البودرة، الاختطافات، الرؤى، الخ.. كيف نحلّل هذه المظاهر وكيف نتخذ منها موقفاً سليماً؟ (اسبيرو جبور).....٣٥

س ١١– ما هو موقف المسيحي من الأحلام؟ هل يمكن أن تكون رؤى أو رسائل إلهية؟ وكيف نفسّرها وكم يجب أن نعيرها من الاهتمام؟ (اسبيرو جبور).....٣٥

س ١٢– الإنسان فضولي أبداً عن مصير روحه بعد الموت: أين تذهب، ماذا تشعر، ماذا يحدث لها، الخ؟ كم من المعلومات الموثوقة نستطيع استخلاصها من الكتاب المقدس والتقليد؟ (اسبيرو جبور).....٣٨

س ١٣– حرق جثمان الميت المسيحي بعد وفاته عادة موجودة في الدول الغربية. لكنها تبدو غريبة على الفكر والتقليد المسيحيين. فهل تتعارض هذه العادة مع المسيحية بصورة أو بأخرى؟ (د. عدنان طرابلسي).....٣٩

س ١٤– من أكثر الأمور إثارة وتشويقاً قديماً وحديثاً جلسات تحضير الأرواح. وقد تبدو هذه الجلسات صحيحة وواقعية. كيف نقوّم هذه المسألة على ضوء الإيمان المسيحي؟ وهل للإنسان القدرة على السيطرة على الروح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٠

س ١٥– يزداد الحديث عن التقمّص وعن قصص التقمّص المعاصرة. ويحاول الكثيرون أن يجدوا أساساً للتقمّص وتعليماً له في المسيحية وفي الكتاب المقدس. ما رأيك في التقمّص؟ هل هو موجود في المسيحية؟ وهل تقمصّت روح إيليا النبي في يوحنا المعمدان؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٢

س ١٦– اليوغا ظاهرة واسعة الانتشار في العالمين الغربي والشرقي معاً. الكثير من المسيحيين متأثّرون بها ويمارسونها ويدّعون فوائدها. ما هو موقف المسيحية من اليوغا؟ وهل توجد يوغا "مسيحية" إن صحّ التعبير؟ (د. عدنان طرابلسي)...٤٤

س ١٧– هل تؤمن بالحسد والعين الشريرة مع العلم أن بعض الآباء سبق أن ذكره، مثل القديس يوحنا الذهبي الفم؟ (د. عدنان طرابلسي).....٥٠

س ١٨– ما هي النزعة المعادية للسامية، ولماذا يستغلّها اليهود وكيف؟ (اسبيرو جبور).....٥١

س ١٩– هل يوجد ما يمنع المسيحي من الانتساب إلى جمعية أو هيئة علمانية (غير كنسية)؟ خاصة إذا كانت هذه الهيئة ذات أهداف إنسانية؟ (د. عدنان طرابلسي).....٥٢

س ٢٠– التدخين ضارٌ بالصحة. لكننا نجد أن بعض الفئات المسيحية البروتستانتية قد حرّمت التدخين إلى درجة أنها جعلته خطيئة أو شبه خطيئة. ما هي نظرة المسيحية إلى هذه المسألة؟ (الأب منيف حمصي).....٥٣

س ٢١– شرب الخمرة من الأمور التي حلّلها البعض وحرّمها البعض الآخر. هل تحرّم الكنيسة الخمرة؟ (الأب منيف حمصي).....٥٦

س ٢٢– هل يجوز للمسيحي أن يختن طفله في أيامنا الحالية؟ ألا تُعتبر هذه الممارسة يهودية ومنتمية إلى العهد القديم ونحن أبناء العهد الجديد؟ (اسبيرو جبور).....٥٨

س ٢٣– ما رأيك بالموت الرحيم euthanasia أو إيقاف أجهزة التنفس الاصطناعي التي تدعم حياة مريض ميؤوس منه؟ (اسبيرو جبور).....٥٨

س ٢٤– ما هو موقف الكنيسة من الإجهاض؟ وهل يُسمح بالإجهاض في حالات الاغتصاب؟ (د. عدنان طرابلسي).....٥٨

س ٢٥– ما هو تعليم الكنيسة حول موانع الحمل؟ وما هو الفرق بين تعليمها والتعليم الكاثوليكي؟ (د. عدنان طرابلسي).....٦٠

س ٢٦– الكثير من الناس يعتقدون أن الجنس بين الزوجين مسموح به فقط بهدف الإنجاب. هل هذا صحيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٦٦

س ٢٧– التلقيح في الزجاج "خارج الرحم" in vitro fertilization من التطورات الطبية المهمة في العصر الحديث. وهذا التطور يطرح على الكنيسة جملة من المسائل الأخلاقية والاجتماعية. ما هو في رأيك موقف الكنيسة من هذه المسألة؟ (د. عدنان طرابلسي).....٦٦

س ٢٨– بعد نجاح الاستنساخ cloning الحيواني وتتالي الأنباء عن قرب تطبيق الاستنساخ على خلايا بشرية، صار من الطبيعي أن يتدخل الاختصاصيون في علوم الدين والاجتماع والأخلاق، الخ، لكي يدلو كل واحد منهم بدلوه. فما هو موقف الكنيسة، إن كان لها موقف رسمي، من الاستنساخ؟ وكيف نقوّم هذه العملية من وجهة نظر اللاهوت الأرثوذكسي؟ (د. عدنان طرابلسي).....٦٨

س ٢٩– ما رأيك بالتبرع بالأعضاء؟ (د. عدنان طرابلسي).....٧٧

س ٣٠– أثارت نظرية التطور تساؤلات وافتراضات وتحليلات لمّا تنته بعد على كافة المستويات: العلمية، الاجتماعية والدينية. لم يعد المسيحي المؤمن قادراً على التهرّب من مواجهة هذه النظرية، بل صار واجباً عليه على الأقل أن يفهم أبعادها وصلاتها بالإيمان المسيحي. هل يمكن أن تسلّط الضوء على هذه المسألة؟ (د. عدنان طرابلسي).....٧٨

الفصل الثاني

أسئلة كتابية

س٣١ – ما معنى كلمة "إنجيل" وما هو أصلها؟ (د. عدنان طرابلسي).....٨٦

س ٣٢– ما هو أفضل شرح موثوق للكتاب المقدس؟ (اسبيرو جبور).....٨٦

س ٣٣ – هل توجد فروق في ترجمات الكتاب المقدس، وهل كل الترجمات العربية مقبولة في الكنيسة؟ (اسبيرو جبور).....٨٧

س ٣٤– أين هي ظهورات الثالوث القدوس في الكتاب المقدس؟ (اسبيرو جبور).....٨٨

س ٣٥ – ما هي الأناجيل الباطنية (الابوكريفا) ولماذا رفضتها الكنيسة؟ وهل لهذه الكتابات أية فائدة؟ (د. عدنان طرابلسي).....٨٨

س ٣٦ – ما مدى تأثر يوحنا الإنجيلي بالجو الغنوصي في كتابته للإنجيل؟ (د. عدنان طرابلسي).....٩٠

س ٣٧ – أين كان المسيح بين طفولته وبداية بشارته ولماذا كانت الأناجيل صامتة حول هذه الفترة؟ (د. عدنان طرابلسي).....٩٣

س ٣٨ – لماذا توجد سلالتا نسب مختلفتين للمسيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٩٥

س ٣٩ – ما الهدف من ذكر سلالة نسب المسيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٩٦

س ٤٠ – ما هي الفروق الرئيسية في قصتي ميلاد المسيح بين إنجيلي متّى ولوقا؟ (د. عدنان طرابلسي).....٩٧

س ٤١ – ألا تعني آية: "ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (متّى ١: ٢٤) أن يوسف قد عرف مريم وتزوجها بعد ولادة يسوع؟ خاصة وأن يسوع قد دُعي "ابنها البكر" دالاً بالتالي على ولادة أخوة له من بعده؟ (د. عدنان طرابلسي).....٩٨

س ٤٢ – مَن هم أخوة الرب المذكورون في العهد الجديد؟ هل يعني ذكرهم هذا أن مريم لم تكن دائمة البتولية؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٠٠

س ٤٣– هل أحب الرب يسوع يوحنا الإنجيلي أكثر مما أحبَّ سواه من الرسل ولماذا؟ (اسبيرو جبور).....١٠٢

س ٤٤ – هل وجود الشياطين حقيقي أم إن قصص الشياطين الكتابية ذات معانٍ نفسية؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٠٢

س ٤٥ – هل توجد حالات اليوم من "الممسوسين بالشياطين" كما كانت في أيام المسيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٠٥

س ٤٦ – هل صحيح أن السيد المسيح قال في رجال الكهنوت الحاليين: "اسمعوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم"؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٠٦

س ٤٧– لماذا كانت ظهورات الروح القدس بهيئة حمامة أو نار، الخ..؟ (اسبيرو جبور).....١٠٨

س ٤٨ – كيف ندعو الكاهن أبانا والكتاب يقول: "لا تدعوا لكم أباً على الأرض.." (متّى ٢٣: ٩)؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٠٨

س ٤٩ – لماذا أمر الرب الذين من حوله أن لا يقولوا أنه كان المسيح "المسيّا"؟ (د. عدنان طرابلسي).....١١٠

س ٥٠ – لماذا لم يذكر الإنجيلي يوحنا سر الافخارستيا "سر الشكر" أو العشاء الأخير؟ (د. عدنان طرابلسي).....١١٥

س ٥١ – هل كان العشاء الأخير للرب يسوع عشاءً فصحياً أم عادياً؟ (د. عدنان طرابلسي).....١١٦

س ٥٢ – هل حقاً تناول التلاميذ في العشاء الأخير جسدَ المسيح ودمه؟ هل هو مجرد رمزٍ لهما؟ (اسبيرو جبور).....١٢٠

س ٥٣ – لماذا خان يهوذا الاسخريوطي المسيحَ وسلّمه؟ (د. عدنان طرابلسي).. ١٢٠

س ٥٤ – هل تناول يهوذا الاسخريوطي من جسد المسيح ودمه في العشاء الأخير؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٢١

س ٥٥ – ما معنى تمزّق حجاب الهيكل اليهودي عند موت المسيح على الصليب؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٢٣

س ٥٦ – ما هو التجديف على الروح القدس، ولماذا لا يُغفر؟ (اسبيرو جبور).....١٢٤

س ٥٧ – هل ذكر العهد الجديد أولوية الرسول بطرس وبأي معنى؟ (اسبيرو جبور)....١٢٥

س ٥٨ – هل يُعتبر توبيخ بولس لبطرس في أنطاكية إنكاراً لأولويته؟ (اسبيرو جبور)....١٢٦

س ٥٩ – ما هي الخصائص التي تمتّعت بها العذراء مريم في الكتاب المقدس؟ (اسبيرو جبور).....١٢٦

س ٦٠ – ما هو المعنى الرئيسي من سفر رؤيا يوحنا؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٢٨

س ٦١ – لماذا لا يُقرأ سفر رؤيا يوحنا في الكنيسة أسوة ببقية أسفار الكتاب المقدس؟ (اسبيرو جبور).....١٢٩

س ٦٢ – ما المقصود من ضد المسيح أو "المسيح الدجَّال"؟ (د. عدنان طرابلسي).١٢٩

س ٦٣ – لقد برّأ الفاتيكان اليهودَ من دم المسيح. ألا يناقض هذا الكتاب المقدس؟ وما هي الأدلة على تورّط اليهود بقتل المسيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٣٠

س ٦٤ – لماذا لا تتخلّص الكنيسة من العهد القديم الذي هو كتاب يهودي بدلاً من ضمّه مع العهد الجديد في كتاب مقدس واحد؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٣٤

س ٦٥ – ما هو موقف الكنيسة من تبرير اليهودية الصهيونية أطماعها في أرض فلسطين على أساس وعد الله لشعبه في العهد القديم؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٣٦

الفصل الثالث

أسئلة عن الأنبياء والآباء والقديسين

س ٦٦ – كان القديس بولس يسمّي كل المسيحيين قديسين حتى قبل رقادهم. فلماذا يوجد قديسون معيّنون في الكنيسة الأرثوذكسية بدلاً من أن يكون كل المسيحيين قديسين؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٤٠

س ٦٧ – ما هي المعايير لتطويب قديس في الكنيسة الأرثوذكسية؟ (الأب توما بيطار)

س ٦٨ – هل نستطيع أن نسمّي إنساناً قديساً قبل وفاته؟ (الأب توما بيطار)....١٤٢

س ٦٩ – هل توجد مراتب معينة للقديسين. مثلاً: المعادلو الرسل، الشهداء، المعترفون، العادمو القنية، الخ..؟ وكيف تتسلسل هذه المراتب؟ (الأب توما بيطار)....١٤٣

س ٧٠ – سمعتُ بوجود شفيع للعميان وآخر للعاقرات وثالث للأطفال، الخ. هل هذا صحيح؟ ألا يستطيع القديس أن يتشفّع خارج مجال اختصاصه؟ (الأب توما بيطار).....١٤٤

س ٧١ – أين بشّر كل واحد من التلاميذ الاثني عشر بعد العنصرة؟ (د. عدنان طرابلسي)١٤٦

س ٧٢ – مَن هم الآباء الرسوليون ولماذا دُعوا هكذا؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٤٩

س ٧٣ – مَن هم آباء البرية ولماذا دُعوا هكذا؟ (الأب الياس مرقص).....١٤٩

س ٧٤ – مَن هم المتبالهون من أجل المسيح؟ ولماذا عاشوا متبالهين؟ وهل كانوا مرضى نفسيين؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٥٠

س ٧٥ – ما هي قصة حياة القديس جاورجيوس (جورج) ولماذا له هذه الشعبية الواسعة بين الكنائس الأرثوذكسية؟ (الأب الياس مرقص).....١٥٤

س ٧٦ – مَن هو القديس سمعان العمودي ولماذا عاش على العمود؟ هل هذا مرض نفسي؟ (اسبيرو جبور).....١٥٤

س ٧٧ – مَن هنَّ القديسة تقلا والقديسة بربارة والقديسة كاترينا؟ (الأب توما بيطار). ١٥٥

س ٧٨ – هل صحيح أن القديس يوحنا الدمشقي كان آخر آباء الكنيسة الشرقية١٥٥ كما يزعم الغربيون؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٥٧

س ٧٩ – مَن هو القديس يوحنا الذهبي الفم، ولماذا لُقِّب بهذا اللقب، وما هو دوره وأهميته في الكنيسة الأرثوذكسية؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٥٨

س ٨٠ – سمعتُ بوجود قديس أرثوذكسي اسمه أحمد وله أيقونة. مَن هو وما هي قصة حياته؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٦٠

س ٨١ – مَن هو آخر قديس طوِّب في الكنيسة الأنطاكية، وما قصة حياته؟ (الأب توما بيطار).....١٦١

س ٨٢ – مَن هو القديس روفائيل هواويني الذي تمَّ تطويبه مؤخراً من قبل الكنائس الأرثوذكسية في أمريكا؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٦٣

س ٨٣ – هل تتبادل الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية الاعتراف بقديسي كل كنيسة منهما؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٦٧

الفصل الرابع
أسئلة عن الليتورجيا والقداس الإلهي

س ٨٤ – ما معنى كلمة "ليتورجيا" وما هو أصلها؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٧٠

س ٨٥ – هل الرموز المتنوعة في الخدم الليتورجية هي علامة إغناء أم إفقار؟ ما هي ضرورتها؟ (اسبيرو جبور).....١٧٠
س ٨٦ – ما هو معنى الشموع والبخور في العبادة، وهل تجوز العبادة بدونها؟ (اسبيرو جبور).....١٧٢
س ٨٧ – لماذا يبخّر الكاهن الناسَ في الكنيسة؟ (اسبيرو جبور).....١٧٣
س ٨٨ – ما معنى الكلمات التالية وما هو أصلها: "اوصنّا، هللويا، ماراناثا"؟ (اسبيرو جبور).....١٧٤
س ٨٩ – لماذا لا يجوز استعمال الآلات الموسيقية في الكنيسة الأرثوذكسية، رغم استعمالها في العهد القديم للعبادة ورغم استعمال الكنائس غير الأرثوذكسية لها؟ (اسبيرو جبور).....١٧٤
س ٩٠ – ما الأفضل: أن نصغي إلى ترنيم الكاهن والمرتلين في القداس الإلهي أم أن نقرأ في الكتاب ؟ (اسبيرو جبور).....١٧٤
س ٩١ – ما هي الأدوار الليتورجية في حياة الكنيسة الأرثوذكسية؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٧٥
س ٩٢ – ما هي مراحل القداس الإلهي؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٧٨
س ٩٣ – ما ضرورة القداس الإلهي؟ لماذا لا يوجد عند الفرق البروتستانتية إن كان ضرورياً؟ (اسبيرو جبور).....١٧٩
س ٩٤ – ما معنى قول المسيح في العشاء الأخير: "اصنعوا هذا لذكري"؟ (اسبيرو جبور).....١٨٠
س ٩٥ – متى يحلّ الروح القدس على القرابين: هل عندما يقول الكاهن: "خذوا كلوا.. خذوا اشربوا"؟ (اسبيرو جبور).....١٨١
س ٩٦ – متى تكون ذروة القداس الإلهي: أعند المناولة أو عند تحوّل القرابين؟ (اسبيرو جبور).....١٨١
س ٩٧ – مَن هم "الممثلو الشيروبيم" المذكورون قبل الدورة الكبرى في القداس الإلهي؟ (اسبيرو جبور).....١٨٢

س ٩٨ – ما هو معنى الدورة الصغرى والدورة الكبرى في القداس؟ (اسبيرو جبور)....١٨٢
س ٩٩ – ما هو دور الجوقة في القداس الإلهي: هل تصلّي بدلاً عن المؤمنين أم يجب على المؤمنين أن يصلّوا ويرتلّوا مع الجوقة؟ (اسبيرو جبور).....١٨٣
س ١٠٠ – هل يجب أن نتناول في كل مرة نحضر فيها القداس؟ (اسبيرو جبور).....١٨٣
س ١٠١ – هل تجوز المناولة في أية كنيسة أم يجب أن يتناول المرء في كنيسته حصراً؟ (اسبيرو جبور).....١٨٣
س ١٠٢ – ما معنى "التي لكَ، مما لكَ، نقدمها لكَ، عن كل شيء ومن أجل كل شيء"؟ (اسبيرو جبور).....١٨٤
س ١٠٣ – هل يجوز تقبيل الأيقونات عند مغادرة الكنيسة بعد المناولة في القداس الإلهي؟ (اسبيرو جبور).....١٨٤
س ١٠٤ – لماذا نقيم خدمة القداس السابق تقديسه "البروجيزماني" في الصوم الأربعيني المقدس؟ (الأب منيف حمصي).....١٨٤
س ١٠٥ – توجد كلمات يونانية كثيرة في الخدم الليتورجية. لماذا لا تُعرَّب بدلاً من تحيير القارئ العربي؟! وما معنى الكلمات التالية: اينوس، انديفونا، ابوستيخن، ذوكصا، ثيوتوكون، ارمس، أفشين، ايصودون، اكسابوستيلاري، افلوجيتاريا، ايوثينا، ايخوس، كاثسما، كاتافسيا، كونتاكيون، مكارزمي، ميناون، ايكوس، بروكيمنون، برسوميا، استشيرا، سينكساريون، ترساجيون، تريوذيون، تروباريون، تيبيكون، ميناون واوذيا؟ (الأب منيف حمصي).....١٨٦

الفصل الخامس
أسئلة حول الأسرار الإلهية

سر المعمودية الإلهية المقدسة

س ١٠٦– ماذا كانت المعمودية تعني للمسيحيين الأوائل؟ (د. عدنان طرابلسي)...١٨٩

س ١٠٧ – هل كانت الكنيسة الأولى تعمّد الأطفال؟ هل يجب تعميد الأطفال؟ وما هو أفضل عمر لتعميد الطفل؟ (د. عدنان طرابلسي).....١٩٥

س ١٠٨ – هل الطفل الذي يموت قبل تعميده مدين؟ (الأب منيف حمصي).....٢٠١

س ١٠٩ – لماذا تعمّد السيد المسيح وهو البريء من الخطايا وما هي معاني معموديته؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٠٢

س ١١٠– ما هي الولادة الجديدة أو الثانية وهل هي موجودة في الكنيسة الأرثوذكسية كما في الكنائس البروتستانتية؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٠٥

س ١١١ – هل يمكن إعادة المعمودية كما تفعل بعض الفئات "المسيحية" الأخرى؟ (اسبيرو جبور).....٢٠٨

س ١١٢ – ما هو دور العرّاب في المعمودية وكيف يجب اختياره وما هي صفاته؟ (الأب منيف حمصي) ٢٠٨

س ١١٣ – توجد أمور كثيرة أثناء إقامة سر المعمودية الإلهية لا نعرف معناها أو دلالاتها، مثل: قص الشعر وحمل الشموع والرداء الأبيض، والدورة حول جرن المعمودية في طقس المعمودية، الخ؟ هل يمكنك إيضاح ذلك؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٠٩

س ١١٤ – هل يجب أن تكون المعمودية بالتغطيس أم بالرشّ بالماء؟ (الأب منيف حمصي).....٢١٢

س ١١٥ – متى يستطيع العلماني أن يعمّد طفلاً ما وكيف يقيم المعمودية؟ (اسبيرو جبور).٢١٣

س ١١٦ – ما هو موقف الشهداء الذين ماتوا من أجل المسيح قبل أن يعتمدوا؟ (الأب منيف حمصي).....٢١٣

سر مسحة الميرون المقدس

س ١١٧ – ما الفرق بين المسحة بزيت الميرون والمسحة بغيره من أنواع الزيت؟ (اسبيرو جبور).....٢١٤

س ١١٨ – إن كانت الريح تهبُّ حيث تشاء فلماذا كان حلول الروح القدس على المسيحي مرتبطاً بالمسح بالميرون المقدس؟ (اسبيرو جبور).....٢١٥

سر الشكر الإلهي (الافخارستيا)

س ١١٩ – ما هو الأساس الكتابي لمفهوم تحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه؟ لماذا تعتقد الفئات الإنجيلية بأن ما نتناوله إنما هو رمزٌ لجسد المسيح ودمه؟ (اسبيرو جبور).....**٢١٥**

س ١٢٠ – كيف يتحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ويظلان رغم ذلك خبزاً وخمراً؟ (اسبيرو جبور).....**٢١٦**

س ١٢١ – لماذا لا توجد مناولة أولى عند الأرثوذكس؟ (الأب منيف حمصي)..**٢١٧**

س ١٢٢ – ما المشكلة في استعمال الخبز المختمر أو الخبز الفطير "البرشان" في المناولة؟ (اسبير جبور).....**٢١٨**

س ١٢٣ – هل يجوز استعمال الملعقة البلاستيكية في المناولة؟ (اسبير جبور)....**٢١٩**

س ١٢٤ – هل يمكن للمرأة أثناء العادة الشهرية أن تتناول من الأسرار الإلهية؟ ألا تُعتبر غير طاهرة وغير مهيَّأة للمناولة؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٢١٩**

س ١٢٥ –ما الفرق بين القربان الذي يتناوله المؤمنون وبين القربان الذي يوزع لكل المصلين أثناء أو في نهاية القداس الإلهي؟ (اسبير جبور).....**٢٢٢**

سرّ التوبة (الاعتراف)

س ١٢٦ – ماذا نقول عندما نعترف؟ (الأب توما بيطار).....**٢٢٣**

س ١٢٧ – هل الاعتراف ضروري بين الفينة والأخرى؟ ولِمَن يجب على المؤمن أن يعترف؟ (اسبيرو جبور).....**٢٢٥**

س ١٢٨ – هل يجب على المؤمن أن يعترف باستمرار ولِمَن؟ (الأب توما بيطار).**٢٢٦**

س ١٢٩ – إن كنتُ أصلي صلاة قبل الاعتراف (المعروفة في الكنيسة الأرثوذكسية بصلاة المطالبسي) قبل المناولة ألا يغني هذا عن الاعتراف؟ (اسبيرو جبور)..**٢٢٧**

س ١٣٠ – حينما لا يتوفر أب روحي حيث يسكن المسيحي، ما هي افضل طريقة للتعويض عن هذا النقص؟ (الأم مريم زكا).....**٢٢٨**

س ١٣١ – ألا يمكن للاعتراف للكاهن أن يُنقص أو يحط من قيمة المعترف في نظر الكاهن إذا كان هذا المعترف صادقاً في اعترافه؟ ألا يؤثر هذا على شعور الكاهن تجاه المعترف لديه؟ (اسبيرو جبور).....**٢٣١**

سرّ الزواج المقدس

س ١٣٢ – هل توجد خدمة أو صلاة خاصة للخطوبة ومتى تتم؟ (د. عدنان طرابلسي). **٢٣١**

س ١٣٣ – ما هي شروط الزواج؟ (الأب منيف حمصي).....**٢٣٢**

س ١٣٤ – لماذا تمنع الكنيسة الزواج في أوقات معينة كما في الأصوام مثلاً؟ (اسبيرو جبور).....**٢٣٣**

س ١٣٥– ما هي العلاقة بين الزواج والإفخارستيا؟ هل كانت توجد علاقة بين السرّين قديماً؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٢٣٤**

س ١٣٦ – توجد أمور عديدة في طقس الزواج غير مفهومة الدلالات والمعنى، مثل الإكليل والكأس المشتركة وسوى ذلك. هل يمكن أن تشرح معنى هذه الدلالات؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٢٣٥**

س ١٣٧ – ما هو موقف الكنيسة من الزواج المختلط (للعروسين إيمان مختلف)؟ هل اختياري قرين من كنيسة أخرى يناقض إيماني؟ (الأب منيف حمصي).....**٢٣٧**

س ١٣٨ – ما هي شروط الطلاق في الكنيسة الأرثوذكسية ولماذا تختلف عن شروط الكنيسة الكاثوليكية؟ (اسبيرو جبور).....**٢٣٩**

س ١٣٩ – يقول الرب يسوع: "مَن تزوّج بمطلَّقة فقد زنى". لماذا؟ وماذا تفعل المطلَّقات إذن؟ (اسبيرو جبور).....**٢٤١**

س ١٤٠– هل يجب السماح بالزواج المدني أم لا ولماذا؟ (اسبيرو جبور).....**٢٤١**

سر الكهنوت المقدس

س ١٤١ – ما هي رتبة الشماسات التي كانت موجودة في الكنيسة الأولى؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٢٤٢**

س ١٤٢ – لماذا لا يستطيع الكاهن الأرثوذكسي أن يتزوج بعد رسامته؟ ولماذا لا يستطيع الكاهن أن يتزوج ثانية إذا ماتت زوجته؟ (الأب منيف حمصي).....٢٤٦

س ١٤٣ – كيف ترى العلاقة إذاً بين البتولية والزواج والكهنوت؟ (اسبيرو جبور).....٢٤٧

س ١٤٤ – ما هو الفرق بين الكاهن والارشمندريت ؟ (اسبيرو جبور).....٢٤٨

س ١٤٥ – مَن هو المسؤول عن اختيار المرشَّحين للكهنوت؟ لماذا يوجد الكثيرون من الشمامسة والكهنة والأساقفة الذين لا يستحقون أن يكونوا في عداد الكهنوت؟ (اسبيرو جبور).....٢٤٨

س ١٤٦ – لماذا لا يكون الأساقفة في الوقت الحاضر متزوجين بينما كانوا هكذا في العصور المسيحية الأولى؟ (اسبيرو جبور).....٢٤٩

س ١٤٧ – لماذا لا توجد نساء كاهنات في الكنيسة الأرثوذكسية؟ (اسبيرو جبور)٢٥٠

س ١٤٨ – ماذا تعني عصا المطران؟ (اسبيرو جبور).....٢٥١

سر مسحة المرضى

س ١٤٩– إن كان المريض لن يُشفى في كل مرة ينال فيها مسحة المرضى فهل هذا يعني أن المسحة نفسها لا تكون فعّالة في كل مرة؟ (اسبيرو جبور).....٢٥١

س ١٥٠– الأمراض مذكورة في الكتاب المقدس في مناسبات عديدة. ما هو الموقف اللاهوتي من المرض وكيف تراه الكنيسة في حياة المؤمن؟ (د. عدنان طرابلسي).٢٥٢

الفصل السادس
أسئلة عقائدية لاهوتية

دستور الإيمان

س ١٥١ – ما هو معنى "مولود غير مخلوق" في دستور الإيمان؟ (د. عدنان طرابلسي).٢٦٢

س ١٥٢ – توجد تعاريف كثيرة متنوعة ومختلفة للكنيسة. ما هو تعريف الكنيسة، وأي تعريف هو الأصح؟ (اسبيرو جبور).....٢٦٢
س ١٥٣ – ما معنى "كنيسة واحدة جامعة قدوسة رسولية" ومَن هي هذه الكنيسة؟ (اسبيرو جبور).....٢٦٣

الفروق بين الكنائس والشيع

س ١٥٤ – كثيراً ما يُقال إن الفروق بين الكنائس هي فروق بشرية ذات أصول سياسية صنعها رجال الدين للمحافظة على مناصبهم وامتيازاتهم. هل هذا صحيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٦٥
س ١٥٥ – ما هي الشيع التي تدّعي أنها مسيحية بينما لا تؤمن إيماناً مسيحياً صحيحاً؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٦٦
س ١٥٦ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية وهرطقة شهود يهوه؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٦٨
س ١٥٧ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية والمورمون؟ (د. عدنان طرابلسي). ٢٧١
س ١٥٨ – ما هو كتاب المورمون ومَن كتبه؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٧٣
س ١٥٩ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية والسبتيين؟ (د. عدنان طرابلسي)..٢٧٥
س ١٦٠ – ما هي الفروق الرئيسية بين الأرثوذكسية والبروتستانتية؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٧٧
س ١٦١ – "الخلاص" موضوع شائك بين الشرق والغرب. البروتستانت يؤمنون بالخلاص الآني والمضمون متباهين بالقول "أنا مخلَّص!"، بينما يؤمن الأرثوذكس بالخلاص العامل حتى الموت. الكاثوليك والبروتستانت يؤمنون بنظرية "التبرير"، بينما لا يؤمن الأرثوذكس بهذا. على ما يبدو أن كل طرف حين يتكلّم عن الخلاص إنما يتكلّم عن شيء مختلف عما يقصده الطرف الآخر. هل يمكن أن تلقي بعض الضوء على هذه النقاط؟ (د. عدنان طرابلسي).....٢٨٤

س ١٦٢– تقول الفئات البروتستانتية المختلفة إنها لا تؤمن إلا بعقيدة "الكتاب المقدس حصراً" والمعروفة بـ .Sola Scriptura هل يمكنك أن تلقي الضوء على هذه العقيدة وما هو موقف الكنيسة الأرثوذكسية منها؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٢٩٤**

س ١٦٣ – ما هي الفروق الرئيسية بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس اللاخلقيدونية؟ وهل توجد وحدة في الإيمان حالياً؟ (اسبيرو جبور).....**٣٠٧**

س ١٦٤ – ما هي الفروق الرئيسية بين الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٣١٣**

س ١٦٥– ما هي أهمية الفرق بين دستور الإيمان الأرثوذكسي القائل بانبثاق الروح القدس من الآب ودستور الإيمان الكاثوليكي القائل بانبثاق الروح القدس من الآب والابن؟ طالما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بالثالوث القدوس، ألا يكفي هذا؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٣٢٠**

س ١٦٦ – تدّعي الكنيسة الكاثوليكية امتيازات لقداسة البابا لا تقرّ بها الكنيسة الأرثوذكسية، منها: رئاسة كنيسة روما، أولوية البابا، وعصمته. هل يمكن أن تشرح هذه الفروق وموقف الكنيستين منها؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٣٢٤**

س ١٦٧ – تقول الكنيسة الكاثوليكية بالخطيئة الأصلية بينما لا تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بها. ما هي الخطيئة الأصلية ولماذا لا يعترف الأرثوذكس بها؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٣٣١**

س ١٦٨ – ما هي عقيدة "الحبل بدون دنس" ولماذا ترفضها الكنيسة الأرثوذكسية؟ وما هو "الدنس" أصلاً؟ وما علاقة هذه العقيدة بصعود العذراء إلى السماء؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٣٣١**

س ١٦٩ – لماذا يعيّد الأرثوذكس عيد الفصح في توقيت مختلف عن الكاثوليك؟ ألا يجب أن يعيّد الجميع لقيامة المسيح الواحدة في يوم واحد؟ ألا يُعثر هذا غير المسيحيين؟ (د. عدنان طرابلسي).....**٣٣٩**

س ١٧٠ – ما هو أصل الكنيسة المارونية وما هي الفروق بينها وبين الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية؟ (اسبيرو جبور).....**٣٤٠**

س ١٧١ – لماذا لا توجد اليوم موهبة التكلّم بألسنة في الكنيسة الأرثوذكسية كما هي موجودة في بعض الفرق البروتستانتية حسب ادعائها؟ (د. عدنان طرابلسي). **٣٤١**

أسئلة عقائدية متنوعة

س ١٧٢ – ما هي ماهية الله؟ هل هو ذكر، أنثى، روح، ملاك الخ..؟ (د. عدنان طرابلسي)..... **٣٤٣**

س ١٧٣ – ما هي ضرورة الصليب والموت والقيامة؟ ألم يمكن لله أن يختار طريقة أرى لفداء الإنسان؟ (اسبيرو جبور)..... **٣٤٥**

س ١٧٤ – إلى أي مدى كان التجسد الإلهي ضرورة وواجباً؟ أما كان التجسد سيحصل حتى ولو لم يحدث السقوط؟ (اسبيرو جبور)..... **٣٤٥**

س ١٧٥ – نقول إن الابن يولد من الآب والروح القدس ينبثق من الآب. ما هو الفرق بين الولادة والانبثاق؟ (د. عدنان طرابلسي)..... **٣٤٦**

س ١٧٦ – ما معنى كلمة "أقنوم"؟ (د. عدنان طرابلسي)..... **٣٤٦**

س ١٧٧ – ما هي خاصيّات أقانيم الثالوث القدوس المجيد؟ ما الذي يميّز الآب من الابن ومن الروح القدس؟ (د. عدنان طرابلسي)..... **٣٤٧**

س ١٧٨ – كيف تدعو الكنيسة الأرثوذكسية العذراء مريم "أم الله" أو "والدة الإله" مع أن المسيح قد أخذ من مريم طبيعة بشرية فقط؟ وكيف ولدت العذراء مريم اللهَ؟ ولماذا ترفض الفئات البروتستانتية استعمال هذا اللقب؟ (د. عدنان طرابلسي).... **٣٤٩**

س ١٧٩ – لماذا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بأن العذراء مريم هي أقدس خليقة؟ (اسبيرو جبور)..... **٣٥١**

س ١٨٠ – نصلّي: "أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا". هل تستطيع العذراء مريم أن تخلّصنا؟ (اسبيرو جبور)..... **٣٥٢**

س ١٨١ – لماذا نطلب شفاعة القديسين؟ ألم يوصِ المسيح أن نصلّي لله فقط وليس للقديسين؟ هل يستطيع القديسون أن يسمعوا صلواتنا ويستجيبوا لها وهم أموات؟

هل يوجد مخلّص آخر سوى المسيح؟ ولماذا نحتاج إلى وسطاء بيننا وبين المسيح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٣٥٢

س ١٨٢ – النعمة الإلهية أهي مخلوقة أم غير مخلوقة؟ هل لهذا علاقة بالجوهر والقوى في الله؟ ما تأثير هذا على حياة المسيحي، وما الفرق بين الأرثوذكس والكاثوليك في هذه النقطة؟ (د. عدنان طرابلسي).....٣٥٦

س ١٨٣ – هل الخلاص محصور في المسيحيين؟ ما ذنب الذين لم تصلهم البشارة المسيحية؟ وما ذنب الذين عاشوا قبل المسيح وحتى قبل اليهودية؟ وما ذنب الذين يعيشون في عصرنا الحالي حياة تقية فاضلة وهم غير مسيحيين؟ (اسبيرو جبور).....٣٦١

س ١٨٤ – إن كانت أجرة الخطيئة هي الموت وإن كان إيليا النبي لم يمت فهل يحتاج إلى فداء؟ (اسبيرو جبور).....٣٦١

الفصل السابع
أسئلة روحية

س ١٨٥– مَن أسّس الرهبنة المسيحية؟ (الأب الياس مرقس).....٣٦٤

س ١٨٦– هل الرهبنة هروب من هذا العصر ومشكلاته أم هي تحدٍ؟ الكثيرون يرونها أسهل من البقاء في العالم ومن محاربة الجنس والعنف والسلطة؟ (الأم مريم زكّا).....٣٦٥

س ١٨٧ – لماذا لا توجد في الكنيسة الأرثوذكسية رهبنات عاملة على الطريقة الكاثوليكية (اليسوعيون، الفرنسيسكان الخ..)؟ (الأب الياس مرقس).....٣٦٧

س ١٨٨– هل يوجد أكثر من شكل واحد للرهبنة الأرثوذكسية؟ وما هي هذه الأشكال؟ (الأم مريم زكا).....٣٦٧

س ١٨٩– نقول عادة بالأبوة الروحية. يعني هذا أنه لا توجد أمومة روحية وأمّهات روحيات، أم أن الأبوّة الروحية محصورة في الرجال؟ (الأم مريم زكا).....٣٧٠

س ١٩٠– كيف نتوب عملياً؟ هل توجد أعمال معينة ينبغي أن ترافق التوبة؟ (الأم مريم زكـا).....٣٧٢

س ١٩١– كيف يستطيع المسيحي أن يتوب عن خطيئة معينة إن كان لا يستطيع التوقف عن ارتكابها؟ (الأم مريم زكا).....٣٧٥

س ١٩٢ – هل يكفي المعترف أن يعترف بشكل عام عن خطاياه (لقد زنيتُ، لقد كذبتُ الخ..) أم هل يجب أن يسرد بالتفصيل خطاياه؟ (الأب الياس مرقس).....٣٧٦

س ١٩٣– ماذا يفعل المسيحي إذا اختلف مع أبيه الروحي في أمر ما؟ ألا يمكن أن يخطئ الأب الروحي أو يسيء التقدير وهو إنسان؟ (الأب الياس مرقس).....٣٧٧

س ١٩٤– هل يستطيع المسيحي أن يغيّر أباه الروحي؟ (الأم مريم زكا).....٣٧٧

س ١٩٥– ما هي أهمية أن يكون لكل مسيحي أب روحي؟ وما هي حقوق وواجبات الأب الروحي والابن الروحي؟ (الأم مريم زكا).....٣٨٠

س ١٩٦– هل يجب على كل مسيحي أن يكون له قانون يومي من الصلاة؟ وكيف يبدأ المسيحي أول قانون له؟ (الأم مريم زكا).....٣٨٢

س ١٩٧ – أحياناً أخاف أن أصلّي لأني أشعر بخطاياي أمام الله وبأني لستُ مستحقاً أن أقف أمامه وأرفع صلاتي إليه. ماذا يجب أن افعل في مثل هذه الحالة؟ (الأب الياس مرقس).....٣٨٤

س ١٩٨– كيف نعالج حالة الإحساس بتخلّي الله عنا؟ (الأم مريم زكا).....٣٨٤

س ١٩٩– كيف نفهم إماتة الجسد إن كانت الحياة الروحية هي حياة ما قبل الموت؟ وكيف تتوافق هذه الحياة مع متطلباتنا المادية وخاصة أننا نعيش في العالم ولنا واجبات اجتماعية معينة؟ (الأم مريم زكا).....٣٨٧

س ٢٠٠ – للجسد معانٍ عديدة في الكتاب المقدس. ما هي هذه المعاني، خاصة فيما يتعلق بالحياة الروحية للمسيحي؟ (اسبيرو جبور).....٣٨٩

س ٢٠١ – في مجتمع يسوده الاضطراب والضجيج والسرعة كيف يعيش المؤمن في هدوء روحي وفي استقرار داخلي؟ (الأب الياس مرقس) ٣٩٠

س ٢٠٢– ما هي أفضل وأضمن طريقة لكي يعرف فيها المسيحي دعوته (للرهبنة، للكهنوت الخ)؟ ماذا إذا كان يصلي و لم يعرف دعوته؟ بأي شكل سيعرفها بالصلاة؟ هل ستأتيه بشكل إلهام أو إيحاء معين؟ ألا يمكن أن يخدعه إلهامه وشعوره؟ (الأب الياس مرقس) **٣٩٠**

س ٢٠٣– في عصر الاتصالات هل يمكن أن نستعيض عن الخدم الكنسية بحضورها على شاشة التلفزيون أو الكمبيوتر أو الراديو مثلاً؟ (الأب الياس مرقس) **٣٩١**

س ٢٠٤ – كيف يحلّ المؤمن في هذا العصر وبشكل عملي مشكلة الفراغ الروحي واللامبالاة وأشباه اليأس والدعوة للجنس والعنف واللذات الناجمة من استخدام المخدرات والتدخين وما شابه؟ (الأب الياس مرقس)..... **٣٩١**

س ٢٠٥– هل من خطأ في البحث عن حلٍّ لمشكلاتنا بصورة علمية؟ أهو تحدٍ أو رفض للإرادة الإلهية إن فتشنا عن حلٍّ لمسألة العقم عند الزوجين مثلاً بالطرق العلمية؟ (الأم مـريم زكـا)..... **٣٩٢**

س ٢٠٦– هل أنا بحاجة إلى الله فعلاً وأنا في عصر العلم والتكنولوجيا؟ فالذي يحصل على عناية طبية أفضل يعيش أفضل من الذي لا يحصل عليها. فأين هو الله؟ (الأم مـريم زكّا)..... **٣٩٣**

س ٢٠٧– لماذا يعتري الخمول المسيحيين، فيضعف الإيمان وتظهر الهرطقات ؟ (اسبيرو جبور)..... **٣٩٥**

س ٢٠٨– نسمع عن "صلاة يسوع". ما هي هذه الصلاة، وما هي أهميتها في حياة المسيحي؟ وهل تستطيع صلاة يسوع أن تحلّ محلّ بقية الصلوات الكنسية؟ (الأم مـريم زكـا)..... **٣٩٦**

س ٢٠٩– كيف يستطيع المؤمن أن يعيش حياة فرح على الأرض أو في الملكوت إن مات أحد أفراد عائلته غير مؤمن؟ (الأم مريم زكّا)..... **٣٩٩**

س ٢١٠ – كيف نحارب الفتور والتشتت في الصلاة؟ إن كانت الصلاة هي سلاح ضد الفتور فكيف يمكننا أن نستعمل هذا السلاح عندما نكون عاجزين عن استعماله بصورة صحيحة؟ (الأب الياس مرقس)..... **٤٠١**

س ٢١١– كيف ينبغي أن نتهيأ للمناولة المقدسة؟ (الأب الياس مرقس).....٤٠٢
س ٢١٢– كم ينبغي أن نتناول القدسات الإلهية: يومياً، أسبوعياً، شهرياً أم سنوياً؟ (الأب الياس مرقس).....٤٠٢
س ٢١٣– كيف نفسر الانسجام ما بين مؤمن يسعى للرب وله اشتياق نحو الجنس الآخر؟ هل يعيق الجنس التقدم الروحي؟ (الأم مريم زكّا).....٤٠٣
س ٢١٤– هل العفة الجنسية ضرورة للمؤمن بمعنى الانقطاع التام؟ ألا يستطيع المؤمن أن يلبّي حاجته الجنسية مثل بقية الحاجات الجسدية الأخرى بطريقة مقبولة اجتماعياً؟ (الأم مريم زكّا).....٤٠٤
س ٢١٥– هل توجد أيام أو مناسبات معينة ينبغي فيها على الزوجين أن يمتنعا عن ممارسة العلاقات الزوجية الجنسية بينهما ولماذا؟ (الأم مريم زكّا).....٤٠٥
س ٢١٦ – ما معنى اللاهوى؟ هل يمكن أن تتلاشى الأهواء من الإنسان؟ لماذا نحاربها؟ (الأب الياس مرقس).....٤٠٧
س ٢١٧– "الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون". مثل يهودي عتيق. فما حكمه؟ هل صحيح أن الله يعاقب الإنسان على خطاياه بأولاده، كأن يولد له أولاد مشوّهون أو غير ناجحين في الحياة؟ (الأم مريم زكّا).....٤٠٧
س ٢١٨– ما هو أصل الشر ولماذا يسمح الله به إن كان الخالق عادلاً ورحيماً؟ (الأب توما بيطار).....٤٠٩
س ٢١٩– ما هي أهمية جبل آثوس الروحية وأين يقع وما هو تاريخه؟ (الأم مريم زكا)..٤١٠

الفصل الثامن

أسئلة كنسية عامة – تاريخية تحفن كنسي

أسئلة كنسية

س ٢٢٠ – ما هو التسلسل الرسولي؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤١٦

س ٢٢١ – ما هو معنى التقليد والتقليد غير الكتابي؟ (اسبيرو جبور).....٤١٨
س ٢٢٢ –كيف صار الأساقفة خلفاء الرسل في الكنيسة؟ (اسبيرو جبور).....٤١٩
س ٢٢٣ – هل الكنيسة مجمعية أم رئاسية؟ هل الرأي للمجامع أم للأسقف أم للأكثرية؟ (اسبيرو جبور).....٤٢٠
س ٢٢٤ – الكنيسة أمحلية أم هي عالمية؟ هل كنيسة "الحي" جزء أم كل؟ (اسبيرو جبور).....٤٢١
س ٢٢٥ – أين هي الديمقراطية في إدارة الكنيسة الأرثوذكسية؟ (اسبيرو جبور)..٤٢١
س ٢٢٦ – ما معنى "أرثوذكسية"، "كاثوليكية"، "بروتستانتية" ولماذا دُعيت هذه الكنائس هكذا؟ (اسبيرو جبور).....٤٢٢
س ٢٢٧ – هل يوجد بابا في الكنيسة الأرثوذكسية على غرار بابا روما؟ وما هي علاقة الكنيسة الأرثوذكسية حالياً مع بابا روما؟ (اسبيرو جبور).....٤٢٢
س ٢٢٨ – إلى أي مدى يجب على الكنيسة أن تنغمس في النشاط السياسي؟ (اسبيرو جبور).....٤٢٣
س ٢٢٩ – ما هو الفرق بين التقويم الكنسي القديم والجديد وأيهما أصح؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٢٣
س ٢٣٠ – ما هو مجلس الكنائس والحركة المسكونية؟ وهل يجب أن تكون الكنيسة الأرثوذكسية مشتركة فيه؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٢٧

أسئلة تاريخية

س ٢٣١ – متى بدأت الكنيسة: قبل العهد الجديد أم بعده؟ أو بمعنى آخر: ما هي العلاقة بين الكنيسة والكتاب المقدس؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٢٩
س ٢٣٢– هل كانت الكنيسة الأرثوذكسية موجودة أيام المسيح والرسل؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٣٣
س ٢٣٣– هل كان بطرس أول أسقف على روما؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٣٤

س ٢٣٤ – هل صحيح أن غالبية سكان سوريا الطبيعية أيام السيد المسيح كانوا من السريان الحاليين؟ وما هي اللغة أو اللغات في ذلك العصر؟ (اسبيرو جبور)..٤٣٤

س ٢٣٥ – هل صحيح أن معلولا في سوريا تتكلم لغة المسيح الأصلية وهل هي الآرامية؟ ولماذا معلولا في سوريا وليس إحدى قرى فلسطين حيث عاش المسيح؟ (اسبيرو جبور).....٤٣٦

س ٢٣٦ – هل زار السيد المسيح أية أراضٍ سورية أو لبنانية ؟ وأين هي؟ (اسبيرو جبور)..٤٣٦

س ٢٣٧– ما هو الأصل التاريخي للروم الكاثوليك في بلادنا؟ (اسبيرو جبور)..٤٣٧

س ٢٣٨ – من أين أتت الكنائس الآشورية والكلدانية؟ (اسبيرو جبور).....٤٣٧

س ٢٣٩ – ما هو أصل الكنيسة القبطية؟ (اسبيرو جبور).....٤٣٨

س ٢٤٠– أين هو اليوم الصليب الذي صُلب عليه السيد المسيح والذي وجدته القديسة هيلانة؟ (اسبيرو جبور).....٤٤٠

س ٢٤١ – متى بدأت الكنيسة باستعمال الأيقونات في العبادة؟ (اسبيرو جبور).٤٤٠

الفن الكنسي

س ٢٤٢ – ما هو الفرق بين الأيقونة والصورة العادية "الفوتوغرافية أو المرسومة"؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٤١

س ٢٤٣ – متى تكون الأيقونة أيقونة؟ أي هل الأيقونة التي على شاشة الكمبيوتر هي أيقونة؟ هل الصورة المرسومة على الزجاج أو المحفورة على الخشب هي أيقونة؟ (الأستاذ الياس زيّات).....٤٤٣

س ٢٤٤ – مَن يستطيع أن يرسم الأيقونة وما هي الشروط التي يجب أن تتوفّر فيه؟ (الأستاذ الياس زيّات).....٤٤٣

س ٢٤٥ –هل للألوان معنى أو لغة معينة في فن رسم الأيقونات؟ (الأستاذ الياس زيّات).٤٤٣

س ٢٤٦– أ توجد مواد معينة يستعملها رسّام الأيقونات لرسم الأيقونة أم هي مواد رسم اللوحات العادية نفسها؟ (الأستاذ الياس زيّات).....٤٤٥

س ٢٤٧ – هل يُعتبر الفسيفساء Fresco أيقونة؟ يقول البعض إن طريقة رسم الفسيفساء بصورة مجزَّئة لا يجعلها أيقونة لأن ذلك يفقدها الوحدة التي يجب أن تتوفر في الأيقونة. (الأستاذ الياس زيّات).....٤٤٥

س ٢٤٨ – لماذا لم نعد نصوّر المسيح بصورة حَمَلٍ في الأيقونات؟ (اسبيرو جبور).....٤٤٦

س ٢٤٩ – ما رأيك في الخلاف القائم حول رسم أيقونة الثالوث القدوس الذي يصوّر الآب بصورة شيخ أبيض الشعر؟ هل هذه الأيقونة أرثوذكسية رغم وجودها في بعض الكنائس الأرثوذكسية؟ (د. عدنان طرابلسي).....٤٤٦

س ٢٥٠ – هل يوجد نموذج معين في بناء الكنائس الأرثوذكسية وماذا يعني هذا النموذج؟ (اسبيرو جبور).....٤٥٠

فهرس الدراسات الملحقة

- تعليم الكنيسة الأرثوذكسية في موانع الحمل (د. عدنان طرابلسي).....٤٥٥
- رأي لاهوتي في الاستنساخ (التنسيل) (د. عدنان طرابلسي).....٤٦٩
- عقيدة "الكتاب المقدس حصراً " Sola Scriptura : "مناقشة لاهوتية"
(د. عدنان طرابلسي).....٤٨٤
- تفسير ألفاظ ليتورجية (إعداد الأب منيف حمصي).....٥١١

- دراسة كتابية لاهوتية عن معمودية الأطفال في الكنيسة الأولى
(د. عدنان طرابلسي).....٥١٦
- دراسة مفهوم الخلاص بين الشرق والغرب (د. عدنان طرابلسي).....٥٤١
- انبثاق الروح القدس (د. عدنان طرابلسي).....٥٧٥
- النعمة الإلهية: مخلوقة أم غير مخلوقة؟ (د. عدنان طرابلسي).....٦٠٣
- أولوية روما وبابا روما (د. عدنان طرابلسي).....٦١١

فهرس أبجدي INDEX

الرقم يشير إلى رقم السؤال. الأسماء الواردة هنا مسلسلة بحسب الأحرف الأبجدية في الكلمة. أرجو أن يكون هذا الفهرس قريباً من الكامل.

أب دعوة الكاهن أباً (٤٨)
آباء البرية مَن هم (٧٣)
أباء رسوليون مَن هم (٧٢)
أبوة روحية الفرق بينها وبين الأمومة الروحية (١٨٩)
ما العمل إذا اختلف الابن الروحي مع أبيه الروحي (١٩٣)
ما العمل في حال عدم وجود أب روحي (١٣٠)
تغيير الأب الروحي (١٩٤)
أهمية وجود أب روحي لكل مسيحي (١٩٥)
حقوق وواجبات الأب الروحي (١٩٥)
الاعتراف للأب الروحي (١٣١؛ ١٩٢)
أبوكريفا أناجيل الأبوكريفا (٣٥)
آثوس جبل آثوس ما هو وأهميته (٢١٩)
إجهاض موقف المسيحية منه (٢٤)
أحلام معناها وموقف المسيحي منها (١١)
أحمد القديس: حياته (٨٠)
أخلاق مسيحية (٢٨)
أخوة الرب مَن هم (٤١؛ ٤٢)
أدوار ليتورجية ما هي (٩١)
آرامية لغة معلولا: هل هي لغة المسيح (٢٣٤؛ ٢٣٥)

أرشمندريت الفرق بينه وبين الكاهن (١٤٤)
أرواح تحضير الأرواح والمسيحية (١٤)
استحالة الأساس الكتابي لتحوّل القرابين في القداس (١١٩)
كيف يتحوّل الخبز والخمر ويظلان خبزاً وخمراً (١٢٠)
استنساخ موقف المسيحية منه (٢٨)
أسقف زواج الأساقفة (١٤٦)
كيف صار خليفة الرسل (٢٢٢)
معنى عصا المطران (١٤٨)
آشورية أصل الكنيسة الآشورية (٢٣٨)
اعتراف ماذا نقول عند الاعتراف (١٢٦؛ ١٩٢)
ضرورة الاعتراف ولِمَن نعترف (١٢٧)
كم كثيراً علينا أن نعترف (١٢٨)
هل تُغني صلاة قبل الاعتراف عن الاعتراف (١٢٩)
الاعتراف والانتقاص من المعترف بنظر الكاهن (١٣١)
أعضاء التبرع بها في المسيحية (٢٩)
افخارستيا انظر سر الشكر
أقباط أصل الكنيسة القبطية (٢٣٩)
أقنوم معناه (١٧٦)
خاصيّات أقانيم الثالوث القدوس (١٧٧)
آلات موسيقية لماذا لا تستخدمها الكنيسة (٨٩)
الله ماهية الله (١٧٢)
روح الله (١٧٢)
أين هو في عصر العلوم والتكنولوجيا (٢٠٦)
إماتة الجسد. كيف نفهمها (١٩٩)
امرأة حقوقها في القرن العشرين (١)
دورها في حياة الكنيسة (٢)
مساواة المرأة بالرجل (١ و٢)
تغطية شعر المرأة (٣)

	مناولة المرأة أثناء الدورة الشهرية (١٢٤)
	كهنوت المرأة (١٤٧)
	المرأة والشماسات (١٤١)
أم الله	كيف تكون مريم العذراء أم الله (١٧٨)
أمومة روحية	الفرق بينها وبين الأبوة الروحية (١٨٩)
انبثاق	الفرق بين الولادة والانبثاق (١٧٥)
	انبثاق الروح القدس من الآب (١٦٥)
إنجيل	أصل الكلمة ومعناها (٣١)
	الأناجيل الباطنية (الابوكريفا) (٣٥)
إنجيل يوحنا	تأثّره بالغنوصية (٣٦)
	لماذا لم يذكر سر الشكر (٥٠)
أندراوس الرسول	أين بشّر (٧١)
أهواء	اللاهوى: معناه (٢١٦)
أوصنّا	معناها (٨٨)
أولاد	إنجاب الأولاد والمسيحية (٢٥)
أولوية	بطرس (٥٧؛ ٥٨)
آيات / معنى	"ها أنذا بالآثام حُبل بي وبالخطايا ولدتني أمي" (مز ٥١: ٥) (٢٥)
	"ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (متى ١: ٢٤) (٤١)
	"فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملون، لأنهم يقولون ولا يفعلون" (مت٢٣: ٣) (٤٦)
	"لا تدعو لكم أباً على الأرض.." (متّى ٢٣: ٩) (٤٨)
	"اصنعوا هذا لذكري" (لوقا ٢٢: ١٩) (٩٤)
أيقونة	بداية استعمالها في الليتورجيا (٢٤١)
	هل يجور تقبيل الأيقونة بعد المناولة (١٠٣)
	الفروق بينها وبين الصور الأخرى (٢٤٢)
	شروط الأيقونة (٢٤٣؛ ٢٤٤)

مَن يستطيع رسم الأيقونة (٢٤٤)
معنى ألوان الأيقونة (٢٤٥)
ما هي المواد المستعملة لرسم الأيقونة (٢٤٦)
أيقونة الثالوث ورسم الآب بشكل شيخ (٢٤٩)
لماذا لا نصوّر المسيح بعد بشكل حَمَل (٢٤٨)
إيليا النبي إن لم يمت فهل يحتاج إلى فداء (١٨٤)
بابا روما هل يوجد مثيل له في الكنيسة الأرثوذكسية (٢٢٧)
رئاسة البابا (١٦٦)
عصمة البابا (١٦٦)
بتولية مريم (٤٢)
بخور معناه وضرورته (٨٦)
لماذا يبخّر الكاهن للناس (٨٧)
بربارة القديسة سيرة حياتها (٧٧)
برتلماوس الرسول أين بشّر (٧١)
بروتستانت الفروق بين الأرثوذكسية والبروتستانتية (١٦٠)
بطرس الرسول ما معنى أولويته (٥٧؛ ٥٨؛ ١٦٦)
ما معنى ملامته من قبل بولس (٥٨)
هل كان رئيس الرسل (١٦٦)
رئاسة بطرس ورئاسة بابا روما (١٦٦)
أين بشّر (٧١)
هل كان أول أسقف لروما (٢٣٣)
بكر ابنها البكر (٤١)
بناء الكنيسة هل يوجد نموذج معين له (٢٥٠)
بولس الرسول توبيخه لبطرس (٥٨)
تبرع بالأعضاء موقف المسيحية منه (٢٩)
تجديف على الروح القدس (٥٦)
تجسّد إلهي ضرورته (١٧٤)
تحضير الأرواح المسيحية (١٤)

تخلّي معالجة الإحساس بتخلّي الله عنا (١٩٨)
تدخين محلَّل أم محرَّم في المسيحية (٢٠)
تربية مسيحية للأولاد (٢)
ترجمة الكتاب المقدس، الفروق بينها (٣٣)
ترنيم كنسي الأفضل الإصغاء إليه أم القراءة في الكتاب (٩٠)
تسلسل رسولي معناه (٢٢٠)
تشتّت أثناء الصلاة: علاجه (٢١٠)
تطور نظرية التطور وصحتها وموقف المسيحية منها (٣٠)
تعريف الكنيسة (١٥٢)
تقلا القديسة سيرة حياتها (٧٧)
تقليد ما هو ومعناه (١٦٢؛ ٢٢١)
تقمص حقيقة التقمص والمسيحية (١٥)
تقويم الفرق بتقويم الفصح بين الشرق والغرب (٢٢٩)
تكلّم بألسنة ما هي هذه الموهبة (١٧١)
تلاميذ اثني عشر أين بشّر كل واحد منهم (٧١)
تلقيح خارج الرحم موقف المسيحية منه (٢٧)
تنجيم علاقته بالإيمان المسيحي (٨)
توبة كيف نتوب عملياً (١٩٠)
كيف نتوب ونحن نكرر الخطيئة نفسها (١٩١)
توما الرسول أين بشّر (٧١)
ثالوث ظهورات الثالوث في العهد القديم (٣٤)
خاصيّات أقانيم الثالوث القدوس (١٧٧)
العلاقة بين أشخاص الثالوث (١٧٥؛ ١٧٧)
رسم الثالوث (٢٤٩)
جاورجيوس القديس سيرة حياته (٧٥)
جبل آثوس أهميته (٢١٩)
جرن المعمودية معناه (١١٣)
جسد معانيه بالمفهوم الكتابي (٢٠٠)

إماتة الجسد. كيف نفهمها (١٩٩)
جمعيات هل الانتساب مسموح (١٩)
جنس علاقات جنسية قبل الزواج (٥)
هل يجب توقفه قبل المناولة أو في أوقات معينة (٢١٤)
هل هو بهدف الإنجاب فقط (٢٥؛ ٢٦)
الجنس والتقدم الروحي (٢١٣)
وضرورة العفة الجنسية (٢١٤)
الامتناع عنه في أيام ومناسبات معينة (٢١٥)
جنين نظرة الكنيسة له (٢٤)
جوقة ما هو دورها في الليتورجيا الأرثوذكسية (٩٩)
حبل بلا دنس ما هو (١٦٨)
حجاب الهيكل ما معنى تمزقه (٥٥)
حرق حرق جثمان المسيحي بعد موته (١٣)
حركة مسكونية ما هي (٢٣٠)
حسد المسيحية والحسد والعين الشريرة (١٧)
حمامة ظهور الروح القدس بشكل حمامة (٤٧)
حياة بعد الموت (١٢)
ختان هل هو مسموح في المسيحية (٢٢)
خدم كنسية هل يمكن الاستغناء عنها بوسائل الاتصالات (٢٠٣)
خطوبة ما هي خدمتها ومتى تتم (١٣٢)
خطيئة الآباء وذنب الأبناء (٢١٧)
خطيئة أصلية ما هي (١٦٧)
خلاص مفهومه بين الشرق والغرب (١٦١)
الخلاص الآني لدى البروتستانت (١٦١)
هل هو محصور بين المسيحيين (١٨٣)
خمرة شرب الخمرة والمسيحية (٢١)
خمول مسيحي: سببه وعلاجه (٢٠٧)
خيانة يهوذا (٥٣)

دستور الإيمان معنى "مولود غير مخلوق"(١٥١)
معنى "كنيسة واحدة جامعة.." (١٥٣)
الأرثوذكسي والكاثوليكي في انبثاق الروح القدس (١٦٥)
دعوة أفضل طريقة لمعرفة دعوة كل مسيحي (٢٠٢)
دورة في القداس ما هي الدورة الصغرى والدورة الكبرى (٩٨)
دورة في المعمودية معناها (١٣١)
رقاد العذراء وصعودها (١٦٨)
رموز الليتورجيا ضرورتها ومعناها (٨٥)
رهبنة مَن أسسها (١٨٥)
هل هي هروب من العالم (١٨٦)
أشكال الرهبنة الأرثوذكسية (١٨٨)
رهبنات أرثوذكسية على الطريقة الكاثوليكية (١٨٧)
رؤيا يوحنا ما هو معناه (٦٠)
لماذا لا يُقرأ في الكنيسة (٦١)
روح تحضير الأرواح (١٤)
مصير روح الإنسان بعد موته (١٢)
روح قدس لماذا ظهر بشكل حمامة (٤٧)
ما هو التجديف عليه (٥٦)
ربط حلول الروح القدس بالمسح بالميرون (١١٨)
متى يحلّ على القرابين (٩٥)
انبثاق الروح من الآب (١٦٥)
روفائيل هواويني سيرة حياته (٨٢)
روما رئاسة كنيسة روما (١٦٦)
هل كان بطرس الرسول أول أسقف لها (٢٣٣)
روم كاثوليك أصلهم والفرق بينهم وبين الأرثوذكس (٢٣٧؛ ١٦٤)
زنى بين الزوج والزوجة (٧)
زواج شروطه وزواج الأقارب (١٣٣)
منع الزواج بأوقات معينة (١٣٤)

معنى رموز طقس الزواج (١٣٦)
واجبات العرّاب (الإشبين) في الزواج (١٣٦)
موقف الكنيسة من الزواج المدني (١٤٠)
الكنيسة والزواج المختلط (١٣٧)
زواج الكاهن قبل رسامته (١٤٢)
زواج الأساقفة (١٤٦)
غاية الزواج المسيحي (٢٥)
سامية معاداة السامية والمسيحية (١٨)
سبتيون الفروق بينهم وبين الأرثوذكس (١٥٩)
سر الشكر في إنجيل يوحنا (٥٠)
سريان/سريانية سكان سوريا ولغتهم أيام المسيح (٢٣٤)
سلالة النسب الهدف منها (٣٩)
الفروق بين سلالتي النسب بين متى ولوقا (٣٨)
سمعان الرسول أين بشّر (٧١)
سمعان العمودي سيرة حياته (٧٦)
سوريا والسريان ولغتها أيام المسيح (٢٣٥)
هل زار المسيح أراضٍ سورية (٢٣٦)
سولا سكربتورا "عقيدة الكتاب المقدس حصراً" (١٦٢)
سيرة حياة القديس أحمد (٨٠)
القديسة بربارة (٧٧)
القديسة تقلا (٧٧)
القديس جاورجيوس (٧٥)
روفائيل هواويني (٨٢)
القديس سمعان العمودي (٧٦)
القديسة كاترينا (٧٧)
القديس يوحنا الذهبي الفم (٧٩)
القديس يوسف مهنّا الحدّاد الدمشقي (٨١)
شر أصله (٢١٨)

شفاعة ما هي شفاعة القديسين (١٨١)
شكر انظر سر الشكر
شماسة رتبة الشماسات في الكنيسة الأولى (١٤١)
شموع معناها وضرورتها في الخدم الليتورجية (٨٦)
في المعمودية: معناها (١١٣)
شهداء مصيرهم إذا لم يعتمدوا (١١٦)
شهود يهوه الفروق بينهم وبين الأرثوذكس (١٥٦)
شياطين هل وجودها حقيقي (٤٤)
هل يوجد ممسوسون بهم (٤٥)
شيع هرطوقية التي تدّعي إيماناً مسيحياً (١٥٥)
صحة الجسدية والروحية (١٥٠)
صعود العذراء ورقادها (١٦٨)
صلاة من أجل الأموات. ضرورتها (١٨١)
كيف نصلي ونحن نشعر بعدم الاستحقاق (١٩٧)
محاربة الفتور والتشتت فيها (٢١٠)
قانون صلاة يومي (١٩٦)
صلاة يسوع ما هي وما أهميتها (٢٠٨)
صليب ضرورة الصلب (١٧٣)
أين هو صليب المسيح الأصلي (٢٤٠)
صهيونية موقف الكنيسة من الأطماع الصهيونية (٦٥)
صوم الزواج والصوم (١٣٤)
ضد المسيح معناه (٦٢)
طفولة المسيح (٣٧)
طلاق شروطه (١٣٨)
مصير المطلّقات (١٣٩)
طوائف/شيع أصل الفروق بين الكنائس (١٥٤)
ما هي الشيع المسيحية الكاذبة (١٥٥)
عالم والهدوء الروحي (٢٠١)

التلفزيون والكمبيوتر وحضور الخدم الإلهية (٢٠٣)
عجائب لغير المؤمنين أم للمؤمنين (٩)
مظاهر عجائبية (١٠)
عذراء مريم راجع مريم العذراء
عرّاب دوره في المعمودية (١١٢)
دوره في الزواج وواجباته (١٣٦)
عري المعتمد معناه (١١٣)
عشاء أخير هل كان عشاءً فصحياً (٥١)
هل تناول التلاميذ فيه جسد المسيح ودمه (٥٢)
في إنجيل يوحنا (٥٠)
عصا المطران معناها (١٤٨)
عفة دورها في العلاقة بين الزوجين (٦)
الجنسية وضرورتها (٢١٤)
عقاب معاقبة الإنسان عن خطاياه بأولاده (٢١٧)
علم حديث البحث عن حل لمشاكلنا بطريقة علمية (٢٠٦)
عهد جديد والعهد القديم في كتاب واحد (٦٤)
عهد قديم موقف الكنيسة منه ككتاب يهودي (٦٤)
عيد الفصح الفرق بالتوقيت بين الشرق والغرب (٢٢٩)
عين شريرة معناها في المسيحية (١٧)
غطس المعمودية معناه (١١٣)
غنوصية تأثّر إنجيل يوحنا بها (٣٦)
فاتيكان تبرئته لليهود من دم المسيح (٦٣)
فتور الفتور الروحي في الصلاة وعلاجه (٢١٠)
فداء الفرق بين الشرق والغرب (١٦١)
ضرورة الصلب والموت والقيامة (١٧٣)
فراغ روحي علاجه (٢٠٤)
فرح روحي كيف نشعر به إن مات قريب لنا غير مؤمن (٢٠٩)
فروق بين الكنائس حقيقية أم بشرية (١٥٤)

فسيفساء هل يُعتبر الفسيفساء أيقونة (٢٤٧)
فلسطين موقف اليهود من أطماع اليهود فيها (٦٥)
فلك علم الفلك والإيمان المسيحي (٨)
فيلبس الرسول أين بشّر (٧١)
قانون الصلاة أهمية قانون الصلاة الشخصي لكل مسيحي (١٩٦)
قداس السابق تقديسه. ما معناه (١٠٤)
مراحله (٩٢)
ضرورته للكنيسة (٩٣)
ذروة القداس (٩٦)
حلول الروح القدس على القرابين (٩٥)
مَن هم "الممثلو الشيروبيم" (٩٧)
الجوقة ودورها (٩٩)
ما هي الدورة الصغرى والكبرى في القداس (٩٨)
علاقة القداس بوجوب المناولة (١٠٠)
معنى "التي لك، مما لك، نقدمها لك.." (١٠٢)
تقبيل الأيقونات في نهاية القداس بعد المناولة (١٠٣)
قديسون تسمية بولس للقديسين (٦٦)
معايير تطويب القديس (٦٧)
هل نسمّي أحداً قديساً قبل وفاته (٦٨)
مراتب القديسين وتسلسلها (٦٩)
شفاعة القديسين ومعناها (١٨١)
تبادل الاعتراف بالقديسين بين الشرق والغرب (٨٣)
اختصاصات للقديسين (٧٠)
آخر قديس طُوِّب في الكرسي الأنطاكي (٨١)
قربان متى يحلّ الروح القدس على القرابين في القداس الإلهي (٩٥)
الأساس الكتابي لتحوّل القرابين في القداس (١١٩)
كيف يتحوّل الخبز والخمر ويظلان خبزاً وخمراً (١٢٠)
استعمال خبز مختمر أم فطير (١٢٢)

الفرق بين قربان المناولة والخبز المبارَك الموزَّع على المؤمنين (١٢٥)
قص الشعر معناه في المعمودية (١١٣)
كاترينا القديسة سيرة حياتها (٧٧)
كاثوليك الفروق بينهم وبين الأرثوذكس (١٦٤)
النعمة الإلهية مخلوقة لدى الكاثوليك (١٨٢)
كتاب مقدس أفضل شرح موثوق (٣٢)
فروق في الترجمات (٣٣)
علاقته بالكنيسة (٢٣١)
عقيدة "الكتاب المقدس حصراً Sola Scriptura " (١٦٢)
كلدان أصل الكنيسة الكلدانية (٢٣٨)
كنيسة معنى "واحدة جامعة مقدسة رسولية" (١٥٣)
تعريفها (١٥٢)
مجمعية أم رئاسية (٢٢٣)
محلية أم عالمية (٢٢٤)
الديمقراطية في إدارة شؤونها (٢٢٥)
معنى أرثوذكسية، كاثوليكية، وبروتستانتية (٢٢٦)
انغماسها في النشاط السياسي (٢٢٨)
بدايتها قبل أو بعد العهد الجديد (٢٣١)
وجود الكنيسة الأرثوذكسية أيام المسيح (٢٣٢)
كنائس الفروق بينها بشرية أم حقيقية (١٥٤)
نموذج رسم الكنائس (٢٥٠)
كهنة "اسمعوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم" (٤٦)
دعوة الكاهن أباً (٤٨)
الفرق بين الكاهن والأرشمندريت (١٤٤)
زواج الكاهن قبل رسامته (١٤٢)
الاعتراف للكاهن والإنقاص من قيمة المعترف (١٣١)
كهنوت اختيار المرشَّح للكهنوت (١٤٥)
كهنوت المرأة (١٤٧)

لاخلقيدونيون الفروق بينهم وبين الأرثوذكس (١٦٣)
لاهوت المرض (١٥٠)
لاهوى معناه (٢١٦)
لبنان هل زار المسيح أراضٍ لبنانية (٢٣٦)
ليتورجيا معنى كلمة "ليتورجيا" (٨٤)
رموزها وضرورتها (٨٥)
معنى كلمات "أوصنّا"، "هللويا"، "ماراناثا" (٨٨)
ترجمة معاني كلمات يونانية ليتورجية (١٠٥)
الدورة الليتورجية الأسبوعية والسنوية (٩١)
الآلات الموسيقية أثناء الخدم الليتورجية (٨٩)
دور الجوقة والمصلِّين أثناء الخدم الليتورجية (٩٩)
ماء المعمودية معناه (١١٣)
ماراناثا معنى الكلمة (٨٨)
مارونية الفرق بين الكنيسة الأرثوذكسية والمارونية (١٧٠)
متّى الرسول أين بشّر (٧١)
متبالهون مَن هم وما سبب تسميتهم هكذا (٧٤)
مثياس الرسول أين بشّر (٧١)
مجلس الكنائس ما هو (٢٣٠)
مراحل القداس ما هي (٩٢)
مرض لاهوت المرض (١٥٠)
مصدر المرض (١٥٠)
مريم العذراء ما هي خصائصها الكتابية (٥٩)
كيف هي أم الله (١٧٨)
كيف هي أقدس خليقة (١٧٩)
بتولية مريم (٤٢)
رقادها وصعودها (١٦٨)
الحبل بلا دنس (١٦٨)
كيف تخلّص "أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلصينا" (١٨٠)

مسحة الزيت الفرق بين مسحة الميرون والمسحة بالزيوت الأخرى (١١٧)
في المعمودية: معناها (١١٣)
مسحة المرضى هل يجب أن تُشفي المريض دائماً (١٤٩)
مسكونية الحركة المسكونية ما هي (٢٣٠)
مسيح / مسيا هل دُعي المسيح مسيا (٤٩)
معنى "مولود غير مخلوق" (١٥١)
هل زار أراضٍ سورية أو لبنانية (٢٣٦)
طفولته (٣٧)
سلالتا نسب المسيح (٣٨؛ ٣٩)
ميلاده (٤٠)
الدجال (٦٢)
معنى معموديته (١٢٦)
تورّط اليهود بقتله (٨٠)
معلولا هل تتكلم لغة المسيح (٢٥٠)
معمودية معناها للمسيحيين الأوائل (١٢٣)
مصير الطفل غير المتعمِّد بعد موته (١٢٥)
لماذا تعمَّد السيد المسيح (١٠٩)
ضرورة معمودية الأطفال (١٠٧)
إعادة المعمودية (١١١)
دور العرّاب في المعمودية (١١٣)
معنى الرموز في طقس المعمودية (١١٣)
بالتغطيس أم بالرش (١١٤)
إقامة المعمودية من قبل العلماني (١١٥)
مصير الشهداء قبل معموديتهم (١١٦)
معنى أوصنّا، هللويا، ماراناثا (٨٨)
"التي لك، ممّا لك..." (١٠٢)
كلمات يونانية ليتورجية (١٠٥)
الصحة والمرض (١٥٠)

ملابس المعمودية معناها (١١٣)
ممسوس هل وجود الممسوسين حقيقي (٤٥)
مناولة قطعة الخبز المباركة (١٢٥)
بخبز مختمر أم فطير (١٢٢)
بملعقة بلاستيكية (١٢٣)
وجوب المناولة في كل قداس (١٠٠)
إمكانية المناولة في أية كنيسة (١٠١)
مناولة أولى (١٢١)
مناولة المرأة أثناء العادة الشهرية (١٢٤)
كيفية التهيئة للمناولة (٢١١)
كم ينبغي أن نتناول (٢١٢)
موانع الحمل موقف المسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية منها (٢٥)
مورمون الفروق بينهم وبين الأرثوذكس (١٥٧)
ما هو كتاب المورمون (١٥٨)
موت الحياة بعد الموت (١٢)
موت رحيم موقف المسيحية منه (٢٣)
موسيقى بالكنيسة لماذا لا تصحبها آلات موسيقية (٨٩)
موهبة التكلم بالألسنة ما هي (١٧١)
ميرون الفرق بين مسحة الميرون والمسحة بالزيوت الأخرى (١١٧)
ربط حلول الروح القدس بالمسح بالميرون (١١٨)
ميلاد المسيح بين متى ولوقا (٤٠)
نعمة هل النعمة الإلهية مخلوقة أم غير مخلوقة (١٨٢)
هدوء روحي كيف نعيشه في مجتمع صاخب (٢٠١)
هدوئية مقارنتها باليوغا (١٦)
هرطقات معينة ما هي (١٥٥)
هللويا معنى الكلمة (٨٨)
والدة الإله كيف تكون مريم العذراء والدة الإله (١٧٨)
ولادة الفرق بين الولادة والانبثاق (١٧٥)

ولادة ثانية ما هي الولادة الثانية أو الجديدة (١١٠)
يسوع صبا يسوع (٣٧)
يعقوب بن حلفى أين بشّر (٧١)
يعقوب الرسول أين بشّر (٧١)
يهود تبرئة الفاتيكان لهم من دم المسيح (٦٣)
موقف الكنيسة من أطماع اليهود بفلسطين (٦٥)
اليهود والسامية (١٨)
يهوذا الاسخريوطي لماذا خان يسوع (٥٣)
هل تناول جسد المسيح ودمه (٥٤)
يهوذا الرسول أين بشّر (٧١)
يوحنا الإنجيلي هل أحبّه يسوع أكثر (٤٣)
أين بشّر (٧١)
يوحنا الدمشقي هل هو آخر آباء الكنيسة الشرقية (٧٨)
يوسف الحداد القديس سيرة حياته (٨١)
يوغا معناها واليوغا المسيحية (١٦)